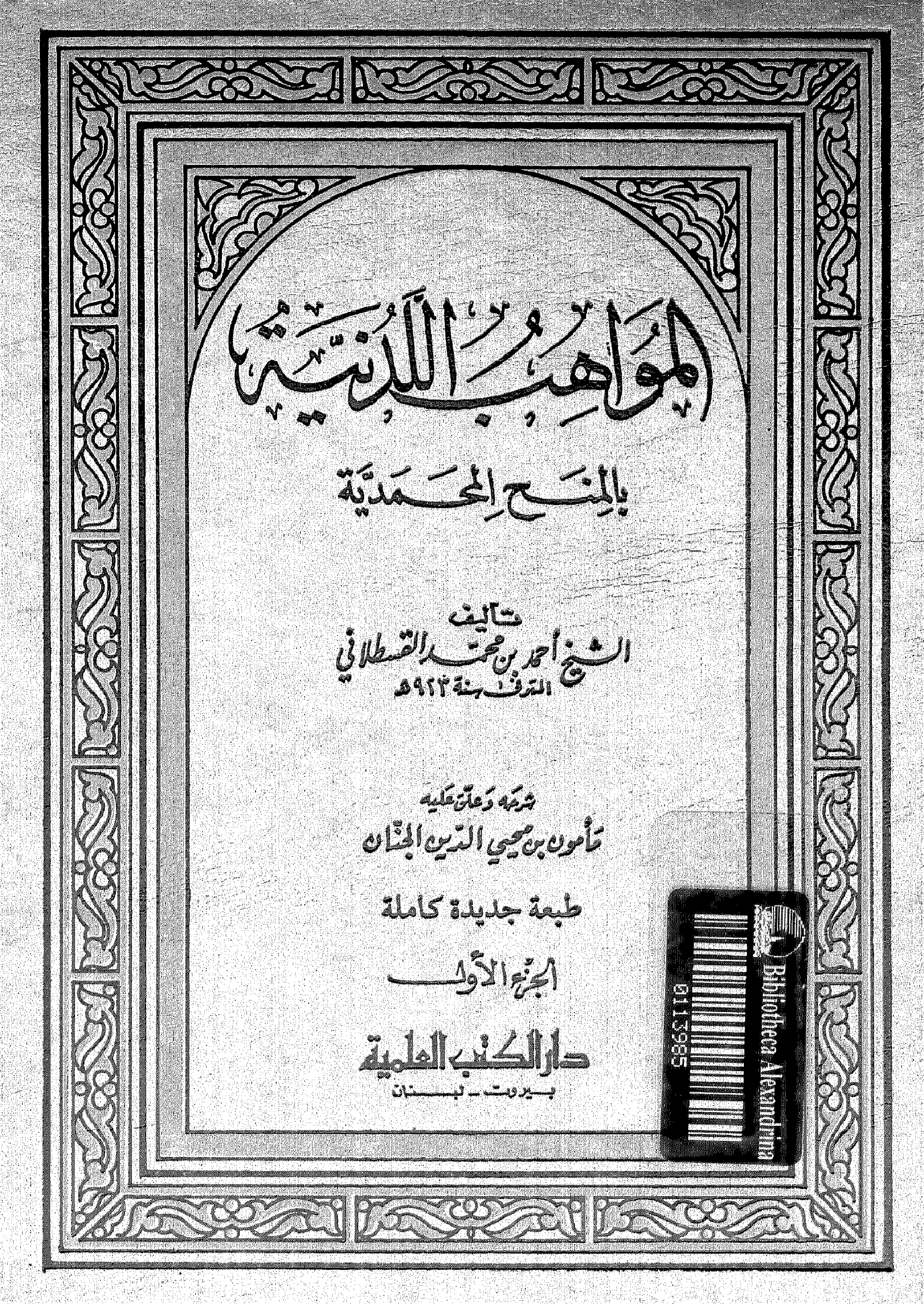


المواهب اللدنية

بالمنح المحمدية

تأليف

الشيخ أحمد بن محمد القسطلاني

المتوفى سنة ٩٢٣هـ

شرحه وعلق عليه

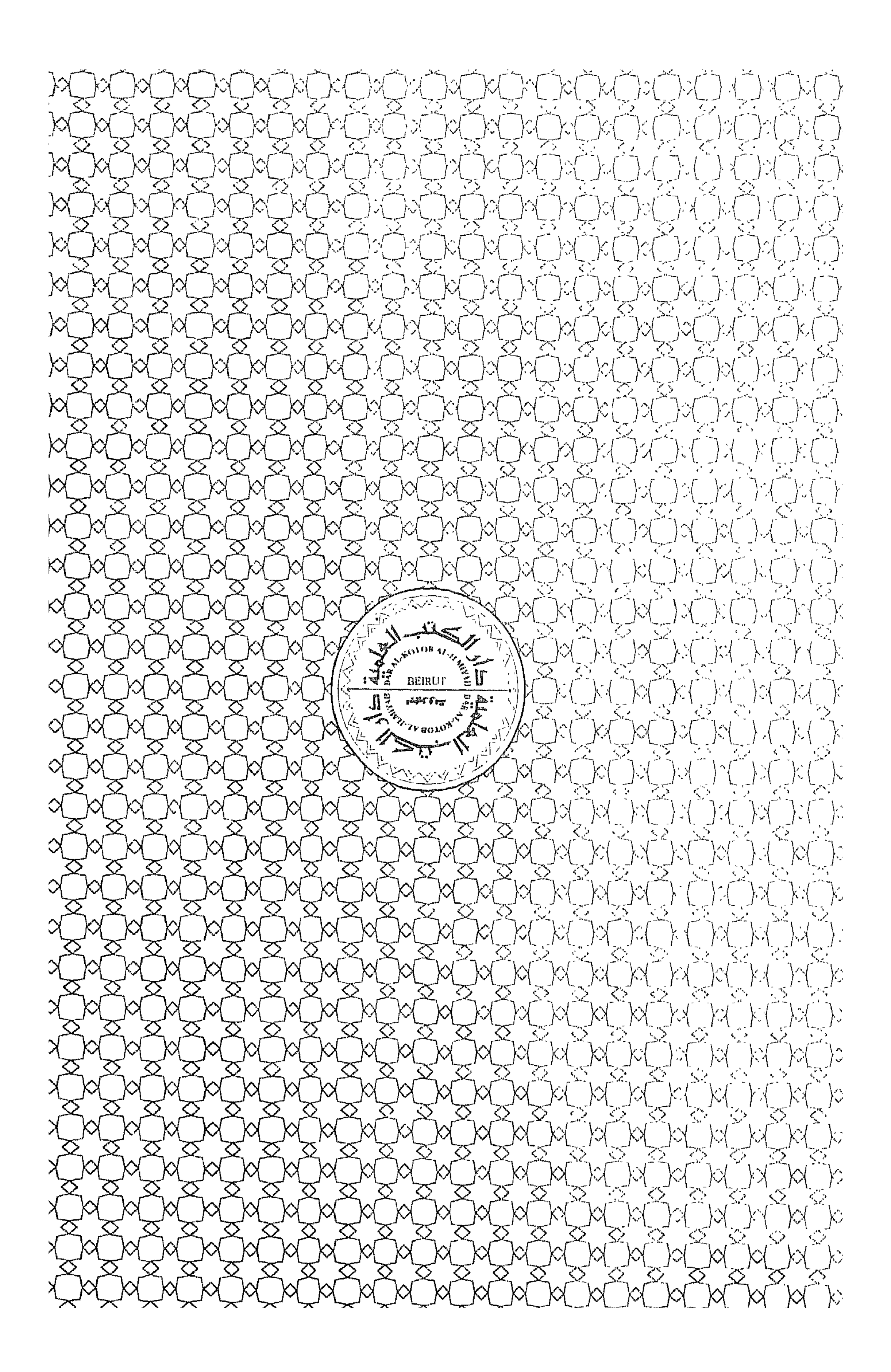
مأمون بن محيي الدين الجنان

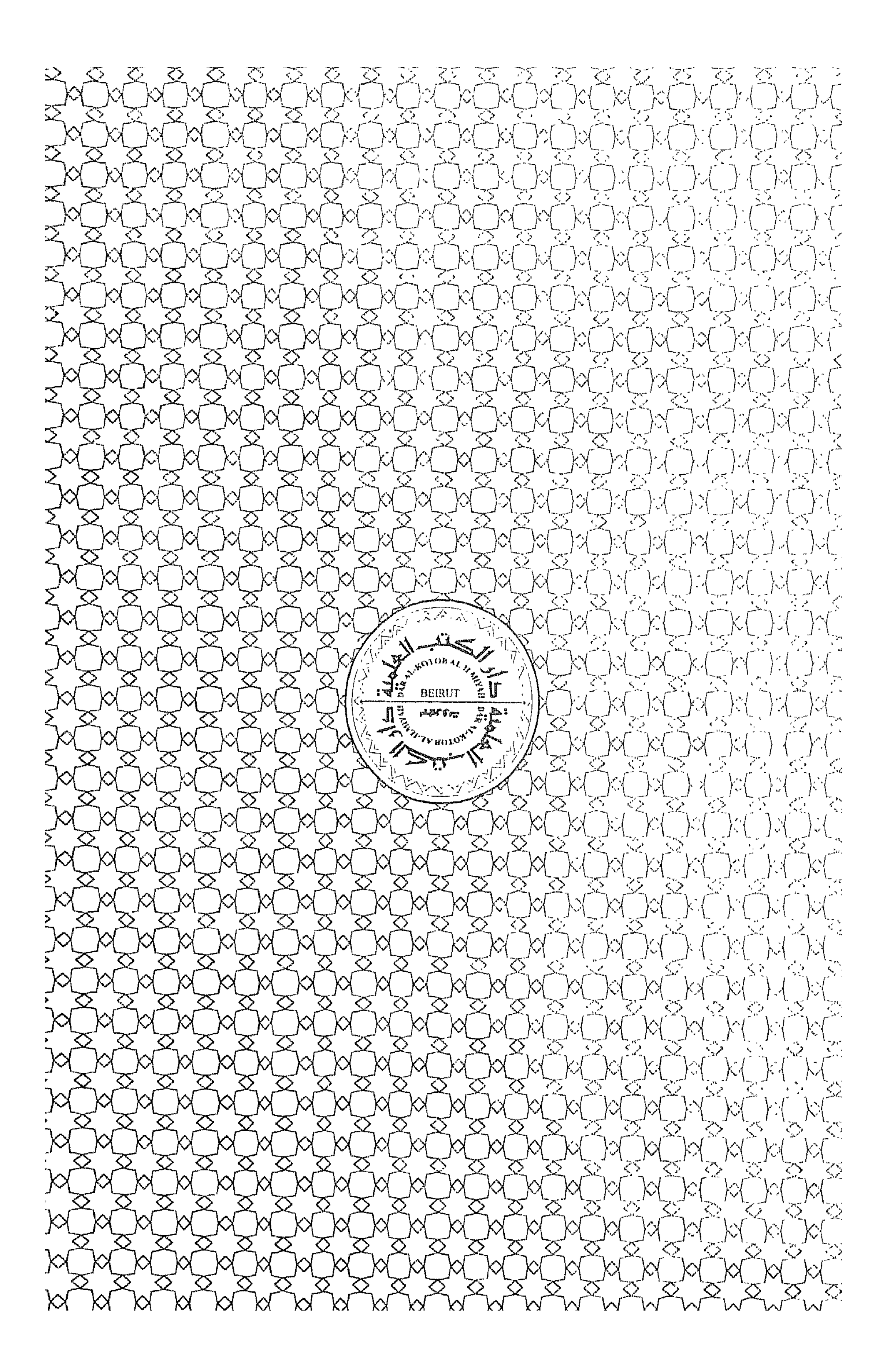
طبعة جديدة كاملة

الجزء الأول

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان


دار الكتب العلمية
DAR AL-KOTOB AL-ILMIYAH
BEIRUT


دار الكتب العلمية
DĀR AL-KOTOB AL-ILMIYAH
BEIRUT
بيروت

المواهب اللدنية

بالمنح المحمدية

تأليف

الشيخ أحمد بن محمد القسطلاني

المتوفى سنة ٩٢٣هـ

شرحه وعلق عليه

مأمون بن محيي الدين الجنان

طبعة جديدة كاملة

الجزء الأول

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

دار الكتب العلمية

بيروت ـ لبنان

العنوان : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
تلفون وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ (١ ٩٦١) ٠٠
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH
Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif, Bohtory st., Melkart bldg., 1st Floore.
Tel. & Fax : 00 (961 1) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله واجب الوجود، ذي الكرم والفضل والجود، المستغني عن كل ما سواه، المفتقر إليه كل ما عداه، الأول القديم بلا بداية، والآخر الكريم بلا نهاية، لم يزل ولا يزال يتصف بصفات الكمال، المنزه عن سمات النقصان والحدوث والزوال، وعن الخير والتغير من حال إلى حال، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، نبي الرحمة، وشفيع الأمة، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين وعلى أتباعه وأشياعه إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن علم السيرة النبوية لم تنقطع العناية بالتأليف فيه إلى يومنا هذا، إلا أن الموضوع في ذاته ليس أمراً يقوم على التجارب أو على النظريات العلمية الحديثة. وإنما هو أمر عماده النقل والرواية. ولقد ذلَّت ألسنة كثيرة بعد أن اعتمدت على الأحاديث الموضوعة والضعيفة، مما أدى بالطبع إلى اجتهادات خاطئة نبعت عن تصور واهم لحقه التبدل والتغير خلال الأعوام والدهور.

ومما يثير الاستغراب حقاً أن بعض القضايا التي اكتنفها الغموض عبثت فيها يد الغزاة بمحاولات مغرضة وجهود مضللة هدفها التشكيك والتشويه، فكان هناك جواب واحد... هو الدفاع عن هذه السيرة المطهرة... وقذف آراء المشوهين بمقلاع الحجج والبراهين قياماً بنصرة هذا الدين. ويبدو أن بعضاً من علمائنا القدامى تنبهوا لهذه القضايا فنظروا في حال المؤلف والراوي والمروي عنه، وميزوا بين المرذول والصحيح، فأتت أقوالهم في معظم الأحيان تعبيراً صحيحاً وصادقاً عن دورهم في توجيه عقل الأمة، بعد أن عنوا كل العناية في تنزيه السيرة المحمدية عن كل شائبة شائنة، وجعلوا الأصل فيها أتباع الكتاب والسنة امتثالاً لأمر الله تعالى: ﴿**وما أتاكم الرسول فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا**﴾ [الحشر: ٧]، وما قدمته النخبة من علمائنا ليس عن طريق الاستقرار والدلالات الظنية، بل بالنظر في حقيقة الأمر وإثباته بالاستعانة بالدلائل والقرائن، مبنية بهذا أضاليل وتمويهات أهل البدع والأهواء.

فخير الكلام كلام الله عز وجل، وخير الهدى محمد صلى الله عليه وعلى آله

وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

وأما عن طريقة عملي في هذا الكتاب ـ بعد توفيق الله ـ فقد تمت على عدة مراحل تتلخص كالآتي:

تناولت المخطوط والطبعات السابقة والشروح التي عثرت عليها للكتاب وأعدت النظر فيها متملياً متأملاً محللاً معللاً بعد أن استرعت انتباهي كثرة الأخطاء والتحريفات وذلك إما عن سهو أو لقلة دراية، فكان لا بد لي من الاستقصاء في المصادر والاحتكام إلى أساس شمولي، ولست أدعي أنني أتيت على كل ما يمكن أن يقال في هذا الموضوع لأن ذلك يعني أن أعيد مادة الكتاب في شكل آخر. ولو أنني ذهبت أنبه إلى كل ما فيه من الأغلاط والتحريف والنقص لملأت صفحات قد تعادل صفحات الكتاب ولكنني اكتفيت بالإشارة إلى كلمات قليلة ليستدل بما ذكر على ما لم يذكر.

وبعد مقابلة النصوص ومعالجتها على ضوء أصول الفكر الإسلامي وبعد تصحيح الأخطاء واستدراك النقص والدلالة على التحريف والضعيف قمت بمقارنة الأحداث بتواريخها على المصادر وبنيت بعض حال الرواة وثبت ملاحظات كمؤشرات وركائز على ما تطرق إليه شكي. وشرحت الغريب المبهم وعدلت إلى بيانه في الحاشية. ومما ألحقت بالشرح أيضاً تراجم رجال الأعلام والصحابة، وخرجت الآيات والأحاديث بعزوها إلى مظانها، وقد عدت إلى الدراسات الحديثة فثبت كل ما يوثق النتائج التي خرجت بها، وأضفت إلى الكتاب شروحات من نتاجات عقلية قلما تجد أحداً تطرق أو أشار إليها، وذلك بالاعتماد على جملة أقوال الفقهاء والمحدثين. وعلى مجموعة ضخمة من المصادر والمراجع.

وأخيراً فإن جهد سنة كاملة من البحث الدؤوب والتتبع والتمحيص والتدوين ليس كثيراً إزاء موضوع تطرق لسيرة النبي محمد ﷺ. فإن أصبت فتلك غاية الأمر وإلا فأرجو ألا أحرم أجره وثوابه ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أتوجه بالشكر الجزيل عرفاناً مني بالجميل والفضل إلى كل من ساهم وساعد في إخراج هذا الكتاب على هذا النحو وذلل عقباته.

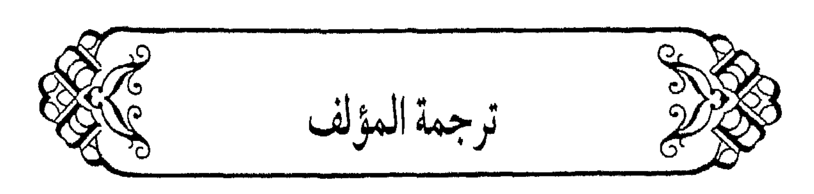
وما حاولت صنعه في هذا الكتاب ليس إلا مساهمة متواضعة شاركت فيها إخواني الذين سبقوني، ولا أدعي أنني بلغت بهذا كمالاً فالكمال لله وحده ولكنني آمل أن يجد فيه القارىء والباحث ما يصبو إليه.

وإن كان ثمة شيء يذكر فهو ثنائي على أساتذتي الذين منهم تعلمت وعلى كتبهم عوّلت ومن آثارهم اقتبست نفعني الله بهم وغفر لي ولهم. والله من وراء القصد.

مأمون بن محيـي الدين الجنّان

دمشق ٥/ ٥/ ١٩٩٤

ص. ب ٢٩١٧٣



ترجمة المؤلف

نسبه:

هو أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك بن أحمد المعروف بالقسطلاني[١] الإمام العلامة والحجة الرحلة الفهامة الفقيه النبيه المقري المجيد المسند المحدث أبو العباس شهاب الدين القتيبي المصري ثم القاهري، صاحب المؤلفات الحافلة والفضائل الكاملة. وأمه حليمة ابنة الشيخ أبي بكر بن أحمد بن حميرة النحاس.

ولادته ونشأته:

ولد الإمام في ثاني عشر ذي القعدة سنة إحدى وخمسين وثمانمائة بمصر ونشأ بها، فحفظ القرآن والشاطبية والجزرية والوردية في النحو.

مشايخه:

أخذ عن ابن حجر العسقلاني وعدة مشايخ منهم: عمر بن قاسم الأنصاري النشار وعبد الغني الهيثمي والشهاب بن أسد وخالد الأزهري النحوي، والفخر المقسمي والسخاوي، والبرهان العجلوني وشيخ الإسلام زكريا الأنصاري وقرأ صحيح البخاري في خمسة مجالس على العلوي النشاوي وتلمذ له. وأخذ بمكة أيضاً عن جماعة منهم: النجم بن فهد وزينب ابنة الشوبكي.

صفاته:

لقد كان من أزهد الناس كثير الأسقام قانعاً متعفف، وكان منقاداً إلى الحق من رد له سهواً أو غلطاً، جيد القراءة للقرآن والحديث والخطابة شجي الصوت، مشارك في الفضائل، متواضع متودد لطيف العشرة.

---

(١) انظر ترجمته في: الضوء اللامع ٢/١٠٣ شذرات الذهب ٨/١٢١ الكواكب السائرة ١/١٢٦ معجم المؤلفين ٢/٨٥ والنور المسافر ١١٣ وخطط مبارك ٦/١١ والأعلام ١/٢٣٢ ومعجم المطبوعات ١٥١١.

وكان يجلس للوعظ بالجامع الغمري فيجتمع عنده الجم الغفير ليس له نظير في الوعظ، وكان له اعتقاد تام في الصوفية.

ولي مشيخة مقام أحمد بن أبي العباس الحرار بالقرافة الصغرى، واقرأ الطلبة وكتب بخطه لنفسه ولغيره. ويحكى أن جلال الدين السيوطي كان ينقصه ويزعم أنه يسرق من كتبه ويستمد منها ولم ينسب النقل إليها وأدعى عليه بذلك بين يدي شيخ الإسلام زكريا الأنصاري فألزمه ببيان مدعاه فقال: إنه نقل عن البيهقي وله عدة مؤلفات فليذكر لنا أنه ذكره في أي من مؤلفاته لنعلم أنه نقله عنه، ولكنه رأى ذلك في مؤلفاتي فنقله، وكان الواجب عليه أن يقول: نقل السيوطي عنه.

ثم إن الشيخ القسطلاني قصد إزالة ما في خاطره فمشى من القاهرة حافير مكشوف الرأس إلى الروضة وكان السيوطي معتزلاً عن الناس بها. فوصل إلى بابه ودقه فقال له: من أنت؟. فقال: أنا القسطلاني جئت إليك حافياً مكشوف الرأس ليطيب خاطرك عليَّ. فقال له: قد طاب ولم يفتح له الباب ولم يقابله:

وحج غير مرة وجاور سنة أربع وثمانين وأربع وتسعين وستين قبلها، وبالجملة فإنه كان إماماً حافظاً متقناً جليل القدر حسن التقرير والتحرير لطيف الإشارة بليغ العبارة حسن الجمع والتأليف لطيف الترتيب والترصيف زينة أهل عصره ونقاوة ذوي دهره ولا يقدح فيه، تحامل معاصريه عليه فلا زالت الأكابر على هذا في كل عصر.

وقد ألف شرحه على البخاري قبل أن يؤلف شيخ الإسلام زكريا الأنصاري شرحه عليه، وكان يقول للشيخ عبد الوهاب الشعرواي: احضر عند شيخ الإسلام شرحي فمهما وصبرته خالفني فيه فاكتبه لي في ورقة، فكان يكتب له أوراقاً ويجهزها إليه وتارة يرسل الشيخ عبده فيأخذها، وقال له مرة: لا تغفل عن كتابة كل ما يخالفني فيه الشيخ فإنه لا يحرر الكتاب إلا الطلبة ولا طلبة لي. وقال العلائي: «إنه كان فاضلاً محصلاً ديناً عفيفاً متقللاً من عشرة الناس إلا في المطالعة والتأليف والاقراء والعبادة».

وقال الشعراوي: كان من أحسن الناس وجهاً طويل القامة حسن الشيب يقرأ بالأربع عشرة رواية. وكان صوته بالقرآن يبكي القاسي إذا قرأ في المحراب تساقط الناس من الخشوع والبكاء وقال: أقام عند النبي ﷺ فحصل له جذب فصنف المواهب اللدنية لما صحا [وقد أكثر فيه من الاستشهاد بكلام سيد وفا وكان يميل إلى الغلو في رفعة قدر النبي ﷺ حتى أنه اختار مذهب مالك في تفضيل المدينة على مكة][1].

وفاته:

وكانت وفاته ليلة الجمعة ثامن المحرم سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة لعروض فالج

(١) انظر الكواكب السائرة ١/ ١٢٧.

له، نشأ من تأثره ببلوغه قطع رأس إبراهيم بن عطاء الله المكي صديق السلطان الغوري، بحيث سقط عن دابته وأغمي عليه فحمل إلى منزله ثم مات بعد أيام، وصلي عليه بالأزهر عقب صلاة الجمعة ودفن بقبة قاضي القضاة بدر الدين العيني من مدرسته بقرب جامع الأزهر. وتأثر كثير من الناس لموته لحسن معاشرته وتواضعه، وصلي عليه غائبة بدمشق مع جماعة منهم: البرهان ابن أبي شريف. وقال ابن أياس: وافق يوم وفاته دخول السلطان سليم عنوة إلى مصر وتملكه بها.

مصنفاته:

قال في النور: ولقد ارتفع شأنه فأعطي السعادة في قلمه وكلمه وصنف التصانيف المقبولة التي سارت بها الركبان في حياتها، وأول دليل على قبول أعماله وأخلاصه في تأليفه عناية الناس بكتابه المواهب اللدنية ومغالاتهم في ثمنه. ومن تصانيفة:

١ ـ **إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري**[1]: وهو في عشرة مجلدات.

٢ ـ **الإسعاد في تلخيص الإرشاد**[2]: من فروع الشافعية لشرف الدين المقري.

٣ ـ **إمتاع الأسماع والابصار**[3]:

٤ ـ **الأنوار المضية في شرح البردة**[4]:

٥ ـ **تحفة السامع والقاري بختم صحيح البخاري**[5]:

٦ ـ **رسالة في الربع المجيب**[6]:

٧ ـ **الروض الزاهر في مناقب الشيخ عبد القادر**[7]:

٨ ـ **زهر الرياض**[8]:

٩ ـ **العقود السنية في شرح المقدمة الجزرية**[9]: في القراءات.

١٠ ـ **فتح الداني في شرح حرز الأماني**[10]: للشاطبي.زاد فيه زيادات ابن الجزري مع فوائد غريبة لا توجد في غيره.

١١ ـ **فتح المواهبي في مناقب الشاطبي**[11]:

١٢ ـ **الكنز في حمزة وهشام على الهمز**[12]:

---

(١) انظر كشف الظنون ١/ ٥٥٢ ومعجم المطبوعات ١٥١١.

(٢) انظر كشف الظنون ١/ ٦٩.

(٣) المصدر السابق ١/ ١٦٦.

(٤) المصدر السابق ١/ ١٣٣٥.

(٥) المصدر السابق ١/ ٣٦٦.

(٦) انظر كشف الظنون ١/ ٨٦٧.

(٧) المصدر السابق ١/ ٩١٩

(٨) المصدر السابق ٢/ ٩٧٠.

(٩) المصدر السابق ٢/ ١٧٩٩.

(١٠) المصدر السابق ١/ ٦٤٧ و ٢/ ١٢٣٢.

(١١) المصدر السابق ٢/ ١٢٣٥.

(١٢) المصدر السابق ٢/ ١٥١٩.

١٣ ـ اللآلىء السنية[١]:
١٤ ـ لطائف الإشارات لفنون القراءات[٢]:
١٥ ـ لوامع الأنوار في الأوعية والأذكار[٣]:
١٦ ـ مدارك المرام في مسالك الصيام[٤]:
١٧ ـ مراصد الصلات في مقاصد الصلاة[٥]:
١٨ ـ مسالك الخفا إلى مشارع الصلاة على النبي المصطفى[٦]:
١٩ ـ مشارق الأنوار المضية في شرح الكواكب الدرية[٧]:
٢٠ ـ منهاج الابتهاج في شرح الجامع الصحيح لمسلم بن الحجاج[٨]: وهو إلى نحو نصفه في ثمان مجلدات.
٢١ ـ منهاج الهداية[٩]:
٢٢ ـ المواهب اللدنية بالمنح المحمدية: في السيرة النبوية[١٠].
٢٣ ـ نزهة الأبرار في مناقب الشيخ أبي العباس أحمد الحرار[١١]:
٢٤ ـ نفائس الأنفاس في الصحبة واللباس[١٢]:
٢٥ ـ النور الساطع في مختصر الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع[١٣]: للسخاوي.
٢٦ ـ يقظة ذوي الاعتبار في موعظة أهل الاغترار[١٤]: .

التعريف بكتاب المواهب اللدنية

إن كتاب المواهب اللدنية بالمنح المحمدية جامع للسيرة النبوية المطهرة حسب تسلسلها الزمني ابتداء من المولد وانتهاء بالوفاة، ويتضمن المغازي والسرايا والبعوث والوفود والغزوات ثم الحديث عن صفات النبي ﷺ. وخصائصه وجمال خَلقه وخُلقه ومواليه وأزواجه وسراريه وخدمه وركوبه وسلاحه وأصناف ثيابه ومعجزاته وغير ذلك.

وقد قال ابن العماد الحنبلي عنه: «المواهب اللدنية بالمنح المحمدية كتاب جليل

---

(١) انظر كشف الظنون ٢/ ١٥٣٤.
(٢) المصدر السابق ٢/ ١٥٥١.
(٣) المصدر السابق ٢/ ١٥٦٢.
(٤) المصدر السابق ٢/ ١٦٤١.
(٥) المصدر السابق ٢/ ١٦٥٢.
(٦) المصدر السابق ٢/ ١٦٦٢.
(٧) المصدر السابق ٢/ ١٣٣٥ و ١٦٨٨.
(٨) المصدر السابق ٢/ ٥٥٨.
(٩) انظر كشف الظنون ٢/ ١٨٤٧.
(١٠) المصدر السابق ٢/ ١٨٩٦ ومعجم المطبوعات ١٥١٢.
(١١) المصدر السابق ٢/ ١٩٣٨.
(١٢) المصدر السابق ٢/ ١٩٦٥.
(١٣) المصدر السابق ٢/ ١٠٩٠.
(١٤) المصدر السابق ٢/ ٢٠٥٠.

المقدار عظيم الوقع كثير النفع ليس له نظير في بابه»[1].

وقال صاحب كتاب كشف الظنون: «وقد شرح كتاب المواهب المولى العلامة خاتمة المحدثين محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المصري المالكي المتوفي سنة (١١٢٢ هـ)؛ شرحاً حافلاً في أربع مجلدات جمع فيه أكثر الأحاديث المروية في شمائل المصطفى وسيره وصفاته الشريعة»[2].

وقال الزرقاني شارح الكتاب: «وله [أي القسطلاني] عدة مؤلفات أعظمها هذه المواهب اللدنية التي أشرقت من سطورها أنوار الأبهة والجلالة وقطرت من أديمها ألفاظ النبوة والرسالة أحسن فيها ترتيباً وضعاً وأحكمها ترصيعاً ووضعاً وكساه الله فيها رداء القبول ففاقت على كثير مما سواها عند ذوي العقول».

وللشيخ أبي الضياء علي بن علي الشبراملسي المتوفي سنة (١٠٨٧ هـ). حاشية على المواهب في خمس مجلدات ضخام نقلها الأميني في خلاصة السير، وقد لخصه يوسف النبهاني في كتاب سماه «الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية». طبع في بيروت سنة (١٣١٠ هـ).

وقد اعتمد مصنف كتاب المواهب اعتماداً كبيراً على كتاب الشفا للقاضي عياض. وهو المومن إليه بقوله عن كتابه المواهب: «ولم أكن والله أهلا لذلك ولم أر نفسي فيما هنالك، لصعوبة هذا المسلك ومشقة السير في طريق لم يكن لمثلي يسلك وإنما هو نكتة سر قراءتي كتاب الشفا بحضرة التخصيص والأصطفا في مكتب التأديب والتعليم. . . ».

وقال الزرقاني شارحه: «لقد صدق المصنف رحمه الله فإنه في هذا الكتاب اقتبس من أنوار الشفا وتعلق بأذياله في غالب التقسيم والأبواب حتى أنه اقتضى أثره في صدر الخطبة. . . ».

كما كان لكتاب فتح الباري للعسقلاني أثره أيضاً وقد ذكر ذلك في المقدمة فقال: «مستمداً من فتح الباري فيض فضله الساري». وفي خاتمة الكتاب أيضاً إشارة إلى ذلك قوله: «واستفتحت مغاليق المعاني بمغاشيح فتح الباري. . . ».

وقوله أيضاً: «وقد انتهت كتابة النسخة المنقولة منها النسخة المباركة النافعة إن شاء الله تعالى في خامس عشر شعبان المكرم سنة تسع وتسعين ثمانمائة وكان الابتداء في المسودة المذكورة ثاني يوم قدومي من مكة المشرفة صحبة الحاج في شهر محرم سنة ثمان وتسعين وثمانمائة».

فيكون على ذلك أنه قضى في تأليفه مدة سنة وثمانية أشهر تقريباً.

---

(١) انظر شذرات الذهب ٨/ ١٢٢.

(٢) انظر كشف الظنون ٢/ ١٨٩٧.

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الحمد لله الذي اطلع في سما الازل شمس معارف
النبوة المحمدية واشرق من افق اسرار الرسالة
مظاهر تجلي الصفات الاحمدية احمده على ان وضع
اساس نبوته على سوابق ازليته ورفع دعايم رسالته
على لواحق ابديته واشهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له الفرد المنفرد في فردانيته بالعظمة
والجلال الواحد المتوحد في وحدانيته باستحقاق الكمال
واشهد ان سيدنا وحبيبنا محمدا عبده ورسوله
اشرف نوع الانسان وانسان عيون الاعيان المتخلص
من خلاصة ولد عدنان الممنوح ببدايع الايات
المخصوص بعموم الرسالة وغرايب المعجزات
السر الجامع الفرقاني والمخصص بمواهب القرب
من النوع الانساني مورد الحقايق الازلية ومصدرها
وجامع جوامع مفرداتها ومنبرها وخطيبها
اذ احضر في حضاير قدسها ومحضرها بيت الله
المعمور الذي اتخذه لنفسه وجعله ناظما لحقايق
قدسه مدة مداد نقطة الاكوان ومنبع ينابيع
الحكم والعرفان المفيض من بحر مداد الوفا على القابل

منه

صورة بداية الجزء الأول من المخطوط

عليه زاده الله شرفا لديه ان تمم تهاعا بدة
علي المصلي اشار لنحوه الحافظ ابن حجر
خصايصه هذه الامة انهم يدخلون الجنة
قبل ساير الامم رواه الطبراني في الاوسط من حديث
عمر بن الخطاب مرفوعا حرمت الجنة علي الانبيا
حتي ادخلها وحرمت علي الامم حتي تدخلها امتي
ومنها انه يدخل الجنة سبعون الفا بغير
حساب رواه الشيخان وعند الطبراني والبيهقي
في البعث ان ربي وعدني ان يدخل من امتي الجنة سبعين
الفا لا حساب عليهم واني سالت ربي المزيد فاعطاني
مع كل واحد من السبعين سبعين الفا وبالجملة فما
اختصت هذه الامة بما لم يعطه غيرها من الامم تكرمة
لنبيها عليه الصلاة والسلام وزيادة في شرفه وتفصيل
فضلها وخصايصها يستدعي سفرا بل اسفارا وذلك فضل
الله يوتيه من يشا والله ذوا الفضل العظيم

تم الجزء الاول من كتاب المواهب اللدنيه
بالمنح المحمدية علي صاحبها افضل الصلاة
واتم السلام يتلوه في الجزء الثاني المقصد
الخامس في تخصيصه عليه الصلاة
والسلام بخصايص الاسرا
والمعراج والله اعلم

وصلي الله علي سيدنا محمد النبي الامي وعلي اله وصحبه وسلم

صورة نهاية الجزء الأول من المخطوط

علي يد العبد الفقير الحقير المعترف بالعجز والتقصير
الراجي عفو ربه القدير افقر الورى واذل الفقرا
ابراهيم نصر الكلسي المالكي غفر الله له ولجميع
المسلمين بمنه وكرمه امين بجاه سيد المرسلين
صلي الله عليه وسلم وكان الفراغ
من كتابة هذا الجزء المبارك يوم الاربع المبارك
الذي هو ٢٩ ايام شهر شوال سنة الف ومايتين
سبعة وستين من هجرة من له العز والشرف

صورة الصفحة الأخيرة من الجزء الأول من المخطوط

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

[illegible] ... عليه الصلاة

و[illegible] ... ج والاسرا وتعميمه

[illegible] ... في حضرة التقريب بالمكالمة

[illegible] ... اعلم منحني الله

واياك الترقي في معارج السعادات واوصلنا به اليه في خطاير

الكرامات ان قصة الاسرا والمعراج من اشهر المعجزات

واظهر البراهين البينات واقوى الحجج المحكمات واصدق

الانبا واعظم الايات واتم الدلالات الدالة على تخصيصه

عليه السلام بعموم الكرامات وقد اختلف العلما

في الاسرا هل هو اسرا واحد في ليلة واحدة يقظة او مناما

او اسراآن كل واحد في ليلة مرة بروحه وبدنه يقظة ومرة

مناما او يقظة بروحه وجسده من المسجد الحرام الى المسجد

الاقصى ثم مناما من المسجد الاقصى الى العرش

وهي اربع اسراآت احتج القايلون بانه رويا مناما مع اتفاقهم

بان رويا الانبيا وحي بقوله تعالى وما جعلنا الرؤيا

التي اريناك الا فتنة للناس لان الرويا مصدر الحلمية

واما البصرية فالروية بالتا وقد انكر ابن مالك

و الحريري وغيرهما كما افاده الشيخ بدر الدين الزركشي

وروده

صورة بداية الجزء الثاني من المخطوط

ولو اتركت علي تبير لحشع انصدع لكنني اخذت غفلة
الظلام الغاسق والليل الواسق فسرقته من ايدي
العوايق والليل يعين السارق واستفتحت مغالق
المعاني بمفاتيح فتح الباري واستخرجنا من مطالب
كنوز العلوم نفايس الدراري حامدا الله تعالى
علي ما انعم والهم وعلم ما لم اكن اعلم مصليا
مسلما علي رسوله من اشرف انبيايه وافضل
مبلغ لانبايه وعلي اله واصحابه واحبابه وخلفايه
صلاة لا ينقطع مددها ولا ينفي امدها قال
مولفه حفظه الله وختم بالصالحات عمله
وقد انهيت كتابة النسخة المنقول منها النسخة
المباركة النافعة ان شا الله تعالى في خامس
عشر شعبان المكرم سنة تسع وتسعين وثمانماية
ومن المسودة في الثاني من شعبان سنة ثمان
وتسعين وثمانماية والله اسال ان ينفع به جيلا
بعد جيل وحسبنا الله ونعم الوكيل واستودع
الله تعالى نفسي وديني وخواتيم عملي وما
انعم به علي ربي وهذا الكتاب وان ينفعني به
والمسلمين وان يوديني واحبابي الي الحرمين الشريفين

بلغ

صورة الصفحة قبل الأخيرة من الجزء الثاني من المخطوط

على احسن وجه واتمه ويرزقني الاقامة بهما في عافية
بلا محنة وان يطيل عمري في طاعته ويلبسني اثواب
عافيته ويجمع لي وللمسلمين بين خيري الدنيا والاخرة
ويصرف عني همومهما ويجعل وفاتي ببلد رسوله
ويمتعنا من المدد المحمدي بجامعه من عبادة
مع رضوانه ويمتعنا بلذة النظر الى وجهه الكريم
من غير عذاب يسبقه فانه سبحانه وتعالى اذا
استودع حفظه والحمد لله وحده وصلى الله
على سيدنا محمد واله وصحبه
وسلم تسليما كثيرا دايما ابدا
الى يوم الدين امين امين
امين والحمد لله
رب العالمين
فانه كريم
...

وكان الفراغ من كتابة هذا الكتاب المبارك في يوم الخميس
المبارك في خامس يوم مضى منه شهر جمادى الاخر
الذي هو من شهور سنة الف وما يتين وثمانية
وستين بعد الهجرة النبوية على صاحبها افضل ... وسلم

صورة آخر المخطوط



تأليف
الشيخ أحمد بن محمد القسطلاني
المتوفى سنة ٩٢٣هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

الحمد لله الذي أطلع في سماء الأزل شمس أنوار معارف النبوة المحمدية، وأشرق من أفق أسرار الرسالة مظاهر تجلي الصفات الأحمدية، أحمده على أن وضع أساس نبوته على سوابق أزليته، ورفع دعائم رسالته على لواحق أبديته.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الفرد المنفرد في فردانيته بالعظمة والجلال، الواحد المتوحد في وحدانيته باستحقاق الكمال، وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمداً عبده ورسوله أشرف نوع الإنسان، وإنسان عيون الأعيان، المستخلص من خالص خلاصة ولد عدنان، الممنوح ببدائع الآيات، المخصوص بعموم الرسالة وغرائب المعجزات، السر الجامع الفرقاني، والمخصص بمواهب القرب من النوع الإنساني، مورد الحقائق الأزلية ومصدرها، وجامع جوامع مفرداتها ومنبرها، وخطيبها إذا حضر في حظائر قدسها ومحضرها، بيت الله المعمور الذي اتخذه لنفسه، وجعله ناظماً لحقائق أنسه، مدة مداد نقطة الأكوان، ومنبع ينابيع الحكم والعرفان، المفيض من بحر مدد الوفا، على القائل من أهل المعارف والاصطفا، حيث خاطب ذاته الأقدسية، بالمنح الأنفسية، فقال:

فأنت رسول الله أعظم كائن	وأنت لكل الخلق بالحق مرسل
عليك مدار الخلق إذ أنت قطبه	وأنت منار الحق تعلو وتعدل
فؤادك بيت الله دار علومه	وباب عليه منه للحق يدخل
ينابيع علم الله منه تفجرت	ففي كل حي منه لله منهل
منحت بفيض الفضل كل مفضل	فكل له فضل به منك يفضل
نظمت نثار الأنبياء فتاجهم	لديك بأنواع الكمال مكلل
فيامدة الإمداد نقطة خطه	ويا ذروة الإطلاق إذ يتسلسل
محال يحول القلب عنك وإنني	وحقك لا أسلو ولا أتحول
عليك صلاة الله منه تواصلت	صلاة اتصال عنك لا تتنصل

شخصت أبصار بصائر سكان سدرة المنتهى لجلال جماله، وحنت أرواح رؤساء الأنبياء إلى مشاهدة كماله، وتلفتت لفتات أنفس الملأ الأعلى إلى نفائس نفحاته، وتطاولت أعناق العقول إلى أعين لمحاته ولحظاته، فعرج به إلى المستوى الأقدس، وأطلعه على السر الأنفس، في إحاطته الجامعة، وحضرات حظيرة قدسه الواسعة، فوقفت أشخاص الأنبياء في حرم الحرمة، على أقدام الخدمة، وقامت أشباح الملائكة في معراج الجلال، على أرجل الإجلال، وهامت أرواح العشاق في مقامات الأشواق:

كـــل إليـــك بكلـــه مشتـــاق ... وعليـــه مـــن رقبـــائـــه أحـــداق

يهـــواك مـــا نـــاح الحمـــام بـــأيكـــة ... أو لاح بـــرق فـــي الـــدجـــى خفـــاق

شـــوق إليـــه لا يـــزال يـــديـــره ... فجميعـــه لجميعـــه عشـــاق

اشتاق القمر لمشاهدته فانشق، فشق مرائر الأشقياء المشاققين، وحن لمفارقته الجذع فتصدع فانصدعت قلوب الأغبياء المنافقين.

وبرقت من مشكاة بعثته بوارق طلائع الحقائق، وانقادت لدعوته العامة خاصة خلاصة الخلائق، ولم يزل يجاهد في الله بصادق عزماته، وينظم أشتات الإسلام بعد افتراق جهاته، حتى كملت كمالات دينه وحججه البالغة، وتمت على سائر أمته الأمية نعمته السابغة، وخير فاختار الرفيق الأعلى، وآثر الآخرة على الأولى، فنقله الله قائماً على قدم السلامة، إلى دار السلام وفردوس الكرامة، وبوأه أسنى مراقي التكريم في دار المقامة، ومنحه أعلى مواهب الشرف في اليوم المشهود، فهو الشاهد والمشهود، والمحمود بالمحامد التي يلهمها للحامد المحمود، ذو المنزلة العلية، والدرجة السنية، في حظائر القدس الأقدسية، والمشاهد الأنفسية، واصل الله عليه فضائل الصلوات، وشرائف التسليم، ونوامي البركات، وعلى آله الأطهار، وأصحابه الأبرار، صلاة وسلاماً لا ينقطع عنهما أمد الأمد، ولا يحصرهما العدد أبد الأبد.

وَبَعْد:

فهذه لطيفة من لطائف نفحات العواطف الرحمانية، ومنحة من منح مواهب العطايا الربانية، تنبىء عن نبذة من كمال شرف نبينا محمد ـ عليه أفضل الصلوات وأنمى التسليم وأسنى الصلات ـ وسبق نوبته في الأزمان الأزلية، وثبوت رسالته في الغايات الأحدية، والتبشير بأحمديته في الأعصر الخالية، والتذكير بمحمديته في الأمم الماضية، وإشراق بوارق لوامع أنوار آيات ولادته التي سار ضوء فجرها في سائر بريته، ودار بدر فجرها في أقطار ملته، وعواطف لطائف رضاعه وحضانته، وينابيع أسرار سر مسراه وبعثته وهجرته، وعوارف معارف عبوديته الساري عرف شذاها في آفاق قلوب أهل ولايته،

ونفائس أنفاس أحواله الزكية، ودقائق حقائق سيرته العلية، إلى حين نقلته لروضة قدسه الأحدية، وتشريفه بشرائف الآيات، وتكريمه بكرائم المعجزات، وترفيعه في آي التنزيل برفعة ذكره، وعلو خطره، وتعظيم محاسن شمائله وخلائقه، وتخصيصه بعموم رسالته، ووجوب محبته واتباع طرائقه وسيادته الجامعة لجوامع السؤدد في مشهد مشاهد المرسلين، وتفضيله بالشفاعة العظمى، العامة لعموم الأولين والآخرين، إلى غير ذلك من عجائب آياته ومنحه، وغرائب أعلام نبوته وحججه.

أوردتها حججاً قاهرة على الملحدين، وذكرى نافعة للموحدين، وتنبيهاً لعزائم المهتدين، ولم أكن ـ والله ـ أهلاً لذلك، ولم أر نفسي فيما هنالك، لصعوبة هذا المسلك، ومشقة السير في طريق لم يكن لمثلي يُسلك، وإنما هو نكتة سر قراءتي كتاب الشفا بحضرة التخصيص والاصطفا، في مكتب التأديب والتعليم في مشهد مشاهد المؤانسة والتكريم، مستجلياً في مجالي تجليات الأنوار الأحمدية، محاسن صفات خلقته، وعظيم أخلاقه الزكية، سارياً بسر سيرته في منهاج ملته إلى سماء هديه الأسنى، راتعاً في رياض روضة سنته النزيهة الحسنا، مستمداً من فتح الباري، فيض فضله الساري، فمنحني صاحب هذه المنح من مصون حقائقه، وأبرز لي مما أكنَّه من مكنون رقائقه، فانفتحت بالفتح المحمدي عين بصيرة الاستبصار وتنزه الناظر في رياض ارتياض رقائق الأسرار، فاستجليت من أبكار مخدرات السنة النبوية من كل صورة معناها، واقتبست من تلألؤ مصباح مشكاة المعارف من كل بارقة أضواها، وانتشقت من كل عبقة صوفية شذاها، واجتنيت من أفنان لطائف تأويل آي الكتاب العزيز من كل ثمرة مشتهاها، ولا زلت في جنات لطائف هذه المنح أغدو وأروح، في غبوق وصبوح، حتى انهلت غمائم المعاني على أرض رياض المباني، فأينعت أزهارها، وتكللت بنفائس جواهر العلوم أوراقها، وطابت لمجتني رقائق الحقائق ثمارها، وتدفقت حياض بدائع ألفاظها، بزلال جوامع كلماتها، وخطب خطيب قلوب أبناء الهوى، على منبر الغرام الأقدس، يدعو لكمال محاسن الحبيب الأرأس، فترنحت بسلاف راح الإرتياح نفائس الأرواح، وتمايلت بمطربات ألحان الحنين إلى جمال المحبوب كرائم الأشباح، وزمزم مزمزم الصفا، بحضرة خلاصة أولي الوفا، منشداً مردداً:

حضـر الحبيـب وغـاب عنـه رقيبـه	حسبـي نعيـم زال عنـه حسيبـه
داوى فـؤادي الـوصـل مـن أدوائـه	طـوبـى لقلبـي والحبيـب طبيبـه
صـدق المحـب حبيبـه فـي حبـه	فحبـاه صـدق الحـب منـه حبيبـه
لبـاه لـب فـؤاده فـأجـابـه	لمـا دعـاه إلـى الغـرام وجيبـه

ولجـامـع الأهـواء حيعـل حبـه   ولحسنـه خطـب القلـوب خطيبـه

فلمـا سمعـت هـذه المـواهـب آذان قلـوب أولـي الألبـاب، تلفتـت عيـون أعيـانهـم لتلخيص خلاصة جوهر هذا الخطاب، في سفر يسفر عن وجه المنح النبوية منيع النقاب، فثنيت عنان القلم إلى تحصيل مآربهم، وتسطير مطالبهم، جانحاً صوب الصواب، مودعاً ما كان مستودعاً لي في غيابات الغيب في هذا الكتاب، مستعيناً في ذلك بالقوي الوهاب، حتى أتاح الله لي ذلك، وتمم ما هنالك، فأوضحت ما خفي من الدليل، ومهدت ما توعر من السبيل.

وسميته: «المواهب اللدنية بالمنح المحمدية» ورتبته على عشرة مقاصد تسهيلاً للسالك والقاصد:

المقصد الأول:

في تشريف الله تعالى له عليه السلام بسبق نبوته في سابق أزليته، ونشره منشور رسالته في مجلس مؤانسته، وكتبه توقيع عنايته في حظائر قدس كرامته، وطهارة نسبه وبراهين أعلام آيات حمله وولادته ورضاعه وحضانته، ودقائق حقائق بعثته وهجرته، ولطائف معارف مغازيه وسراياه وبعوثه وسيرته، مرتباً على السنين من حين نشأته إلى وقت وفاته ونقلته لرياض روضته.

المقصد الثاني:

في ذكر أسمائه الشريفة المنبئة عن كمال أخلاقه المنيفة، وأولاده الكرام الطاهرين وأزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين، وأعمامه، وعماته وإخوته من الرضاعة، وجداته وخدمه ومواليه وحرسه، وكتّابه وكتبه إلى أهل الإسلام في الشرائع والأحكام، ومكاتباته إلى الملوك وغيرهم من الأنام، ومؤذنيه وخطبائه وحداته وشعرائه، وآلات حروبه، ودوابه، والوافدين إليه ﷺ وفيه عشرة فصول.

المقصد الثالث:

فيما فضله الله سبحانه وتعالى به من كمال خلقته، وجمال صورته، وما كرمه به من الأخلاق الزكية وشرفه به من الأوصاف المرضية، وما تدعو ضرورة حياته إليه ﷺ، وفيه ثلاثة فصول.

المقصد الرابع:

في معجزاته الدالة على ثبوت نبوته وصدق رسالته وما اختص به من خصائص آياته وبدائع كراماته. وفيه فصلان.

المقصد الخامس:

في تخصيصه عليه السلام بخصائص المعراج والإسراء، وتعميمه بعموم لطائف التكريم في حضرة التقريب بالمكالمة والمشاهدة والآيات الكبرى.

المقصد السادس:

فيما ورد في آي التنزيل من تعظيم قدره، ورفعة ذكره، وشهادته له تعالى بصدق نبوته، وثبوت بعثته، وقَسَمه تعالى على تحقيق رسالته، وعلو منصبه الجليل ومكانته، ووجوب طاعته واتباع سنته، وأخذه تعالى له الميثاق على سائر النبيين فضلاً ومنة إن أدركوه ليؤمنن به ولينصرنه، والتنويه به في الكتب السالفة كالتوراة والإنجيل، بأنه صاحب الرسالة والتبجيل. وفيه عشرة أنواع.

المقصد السابع:

في وجوب محبته واتباع سنته، والاهتداء بهديه وطريقته، وفرض محبة آله وأصحابه، وقرابته وعترته، وحكم الصلاة والتسليم عليه، زاده الله فضلاً وشرفاً لديه. وفيه ثلاثة فصول.

المقصد الثامن:

في طبه ﷺ لذوي الأمراض والعاهات، وتعبيره الرؤيا، وإنبائه بالأنباء المغيبات. وفيه ثلاثة فصول.

المقصد التاسع:

في لطيفة من حقائق عباداته، ويشتمل على سبعة أنواع.

المقصد العاشر:

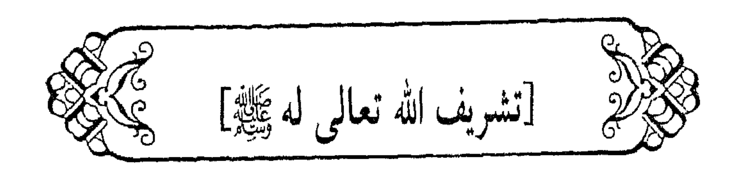
في إتمامه تعالى نعمته عليه بوفاته ونقلته إليه، وزيارة قبره الشريف، ومسجده المنيف، وتفضيله في الآخرة بفضائل الأوليات الجامعة لمزايا التكريم، والدرجات العليات، وتشريفه بخصائص الزلفى في مشهد مشاهد الأنبياء والمرسلين، وتحميده بالشفاعة والمقام المحمود، وانفراده بالسؤدد في مجمع مجامع الأولين والآخرين، وترقيه في جنة عدن أرقى مدارج السعادة، وتعاليه في يوم المزيد أعلى معالي الحسنى وزيادة. وفيه ثلاثة فصول.

والله تعالى جل جده وعز مجده أسأل بوجاهة وجهه الوجيه ونبيه النبيه أن يمدني في هذا الكتاب العزيز بمدد الإقبال والقبول، وينيلني ومن كتبه أو قرأه أو سمعه والمسلمين من العواطف النبوية لطائف السؤل، ونهاية المأمول، وعلى الله قصد السبيل وهو حسبنا ونعم الوكيل.

المقصد الأول

- في تشريف الله تعالى له عليه السلام بسبق نبوته في سابق أزليته، ونشره منشور رسالته في مجلس مؤانسته، وكتبه توقيع عنايته في حظائر قدس كرامته.
- وطهارة نسبه ﷺ.
- وبراهين أعلام آيات حمله وولادته.
- ورضاعه وحضانته.
- ودقائق حقائق بعثته.
- وهجرته.
- ولطائف معارف مغازيه وسراياه وبعوثه.
- وسيرته.

مرتباً على السنين من حين نشأته إلى وقت وفاته ونقلته لرياض روضته.



[تشريف الله تعالى له ﷺ]

اعلم ياذا العقل السليم، والمتصف بأوصاف الكمال والتتميم ـ وفقني الله وإياك بالهداية إلى الصراط المستقيم ـ أنه لما تعلقت إرادة الحق تعالى بإيجاد خلقه، وتقدير رزقه، **أبرز الحقيقة المحمدية من الأنوار الصمدية**(١) في الحضرة الأحدية، ثم سلخ منها العوالم كلها، علوها وسفلها، على صورة حكمه، كما سبق في سابق إرادته وعلمه، ثم أعلمه تعالى بنبوته، وبشره برسالته، هذا وآدم لم يكن إلا ـ كما قال ؛ بين الروح والجسد، ثم انبجست منه ﷺ عيون الأرواح، فظهر بالملأ الأعلى، وهو بالمنظر الأجلى، فكان لهم المورد الأحلى، فهو ﷺ الجنس العالي على جميع الأجناس، والأب الأكبر لجميع الموجودات والناس.

ولما انتهى الزمان باسم الباطن في حقه ﷺ إلى وجود جسمه، وارتباط الروح به، انتقل حكم الزمان إلى الإسم الظاهر، فظهر محمد ﷺ بكليته جسماً وروحاً، فهو ﷺ وإن تأخرت طينته، فقد عرفت قيمته، فهو خزانة السر، وموضع نفوذ الأمر، فلا ينفذ أمر إلا منه، ولا ينقل خير إلا عنه:

---

(١) قال السيوطي في شرح الترمذي: «وأما حديث أولية النور المحمدي فلم يثبت». وأما قول ابن حجر المكي في شرح الأربعين النووية: «إن أولية النور المحمدي أولية مطلقه وأولية ما سواه من الماء والعقل والقلم فنسبية». فباطل لأنه جعل الحديث الصحيح (حديث أولية الماء) تابعاً مرجوحاً لحديث أولية النور الذي هو غير ثابت. والقاعدة الحديثية تقول: إنّ الضعيف إذا عارض الصحيح فلا حاجة إلى تأويل الصحيح من أجل الضعيف. وما ذكر في كتاب مولد العروس الملصق بابن الجوزي «إن الله قبض قبضة من نوره فقال كوني محمداً فكانت محمداً» فما أعظم ضرر هذا الحديث المفترى على الجهال فقد اعتقدوا بسببه أن الله جسم نوراني وأن الرسول جزء منه فكأن هؤلاء لم يسمعوا بقوله تعالى: ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم﴾ [فصلت: ٦ والكهف: ١١٠] وهذا منشأه ترك النص الثابت من أجل الخبر السقيم والموضوع، واغتر كثير من الناس بشهرة قول إن أول خلق الله نور محمد ﷺ في كتب المدائح والموالد وقد شهر نسبة ذلك إلى عبد الرزاق مع أنه لا وجود له في مصنفه.

ألا بــأبــي مــن كــان ملكــاً وسيــداً	وآدم بيـــن المـــاء والطيـــن واقـــف
فــذاك الــرســول الأبطحــي محمــد	لــه فــي العــلا مجــد تليــد وطــارف
أتــى بـزمــان السعــد فــي آخـر المـدى	وكــان لــه فــي كــل عصـر مــواقــف
أتــى لانكســار الــدهــر يجبـر صـدعـه	فــأثنـــت عليـــه ألســـن وعـــوارف
إذا رام أمـــراً لا يكـــون خـــلافـــه	وليـس لـذاك الأمـر فـي الكـون صـارف

أخرج **مسلم**[1] في صحيحه، من حديث **عبد الله بن عمرو بن العاص**[2]، عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الله عز وجل كتب مقادير الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء**»[3].

ومن جملة ما كتب في الذكر ـ وهو أم الكتاب ـ أن محمداً خاتم النبيين [الأحزاب: ٤٠].

وعن **العرباض بن سارية**[4] عن النبي ﷺ قال: «إني عند الله لخاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته»[5] رواه أحمد[6] والبيهقي[7]، والحاكم[8]، وقال: صحيح الإسناد.

---

(١) هو مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري أبو الحسين (٢٠٤ ـ ٢٦١ هـ). حافظ من أئمة المحدثين الاعلام ٧/ ٢٢١ تذكرة الحفاظ ٢/ ٥٨٨ رقم الترجمة (٦١٣) ووفيات الأعيان ٢/ ٩١ تاريخ بغداد ١٣/ ١٠٠ معجم المطبوعات ١٧٤٥.

(٢) هو عبد الله بن عمرو بن العاص (٧ ق. هـ ـ ٦٥ هـ) صحابي. الأعلام ٤/ ١١١ طبقات ابن سعد ٤/١٩٧ رقم الترجمة (٤٤٧) الإصابة ٤/ ١١١ رقم الترجمة (٤٨٣٨) حلية الأولياء ١/ ٢٨٣ رقم الترجمة (٤٣).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب القدر رقم الحديث (٢٦٥٣).

(٤) هو عرباض بن سارية السلمي أبو نجيح. صحابي مات سنة (٧٥ هـ) وقيل غير ذلك انظر الإصابة ٤/ ٢٣٤ رقم الترجمة (٥٤٩٣) شذرات الذهب ١/ ٨٢.

(٥) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ١/ ٨٣ والإمام أحمد بن حنبل في المسند ٤/ ١٢٧ والحاكم في المستدرك ٢/ ٤١٨ و٦٠٠.

(٦) هو أحمد بن محمد بن حنبل أبو عبد الله (١٦٤ ـ ٢٤١ هـ). إمام المذهب الحنبلي وأحد الأئمة الأربعة. الاعلام ١/ ٢٠٣ حلية الأولياء ٩/ ١٦١ رقم الترجمة (٤٤٥). وفيات الأعيان ١/ ١٧ تاريخ بغداد ٤/ ٤١٢.

(٧) هو أحمد بن الحسين بن علي البيهقي أبو بكر (٣٨٤ ـ ٤٥٨ هـ) من أئمة الحديث حافظ. الاعلام ١/ ١١٦ شذرات الذهب ٣/ ٣٠٤ طبقات الشافعية ٣/ ٣ المنتظم ١٦/ ٩٧ رقم الترجمة (٣٣٨٧) وفيات الأعيان ١/ ٢٠ بروكلمان ٦/ ٢٢٩ تذكرة الحفاظ ٣/ ١١٣٢ رقم الترجمة (١٠١٤). معجم المؤلفين ١/ ٢٠٦.

(٨) هو محمد بن عبد الله بن حمدويه بن نعيم الضبي أبو عبد الله (٣٢١ ـ ٤٠٥ هـ) حافظ شهير بالحاكم ويعرف بابن البيع. الأعلام ٦/ ٢٢٧ طبقات الشافعية ٣/ ٦٤ وفيات الأعيان ١/ ٤٨٤ تاريخ بغداد=

وقوله: لمنجدل، يعني: طريحاً ملقى على الأرض قبل نفخ الروح فيه.

وعن **ميسرة الضبي**[1] قال: قلت يا رسول الله، متى كنت نبياً؟ قال: «**وآدم بين الروح والجسد**»[2] هذا لفظ رواية الإمام أحمد. ورواه **البخاري**[3] في تاريخه **وأبو نعيم**[4] في الحلية، وصححه الحاكم.

وأما ما اشتهر على الألسنة بلفظ: كنت نبياً وآدم بين الماء والطين[5]. فقال شيخنا العلامة الحافظ **أبو الخير السخاوي**[6] ـ نفع الله بعلومه ـ في كتابه «**المقاصد الحسنة**»: لم نقف عليه بهذا اللفظ. انتهى.

وقال **الحافظ ابن رجب**[7]، في اللطائف: وبعضهم يرويه: «متى كتبت» من الكتابة، انتهى.

قلت: وكذا رويناه في جزء من حديث أبي عمرو، **إسماعيل بن نجيد**[8]، ولفظه:

= ٥/ ٤٧٣. تذكرة الحفاظ ٣/ ١٠٣٩ رقم الترجمة (٩٦٢). شذرات الذهب ٣/ ١٧٦. المنتظم ١٥/ ١٠٩ رقم الترجمة (٣٠٥٩).

(١) هو ميسرة الفجر ذكره البخاري والبغوي وابن السكن وغيرهم في الصحابة وقال الذهبي هو صحابي من أعراب البصرة. يحتمل أنه ضبي ويلقب بالفجر. راجع الإصابة ٦/ ١٤٩ رقم الترجمة (٨٢٧٧) وطبقات ابن سعد ٧/ ٤٢ رقم الترجمة (٢٩٠٥).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن ميسرة الفجر ٥/ ٥٩ وهذا الحديث لا يدل على أوليته ﷺ: بالنسبة لجميع الخلق وإنما يدل على أن الرسول كان مشهوراً بوصف الرسالة بين الملائكة في الوقت الذي لم يتم تكوّن جسد آدم بدخول الروح فيه فليس فيه دليل على أنه «أول المخلوقات».

(٣) هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري أبو عبد الله (١٩٤ ـ ٢٥٦ هـ) إمام في الحديث. صاحب الجامع الصحيح المعروف بصحيح البخاري. الاعلام ٦/ ٣٤ تذكرة الحفاظ ٢/ ٥٥٥ رقم الترجمة (٥٧٨). وفيات الأعيان ١/ ٤٥٥ تاريخ بغداد ٢/ ٤ شذرات الذهب ٢/ ١٣٤. طبقات الشافعية ٢/ ٢ مفتاح السعادة ٢/ ١٣٠ معجم المطبوعات العربية والمعربة صفحة ٥٣٤.

(٤) هو أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني أبو نعيم (٣٣٦ ـ ٤٣٠ هـ) حافظ مؤرخ. الاعلام ١/ ١٥٧ وفيات الأعيان ١/ ٢٦ طبقات الشافعية ٣/ ٧ شذرات الذهب ٣/ ٢٤٥ تذكرة الحفاظ ٣/ ١٠٩٢. رقم الترجمة (٩٩٣). معجم المؤلفين ١/ ٢٨٢.

(٥) ذكره السيوطي في الدر المنتثرة ١٢٦ وفي تنزية الشريعة لابن عراق ٢/ ٣٤١ وفي كشف الخفاء للعجلوني ٢/ ١٩١ وفي تذكرة الموضوعات للفتني ٨٦ وفي الأسرار المرفوعة لعلي القاري ٢٧١.

(٦) هو محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي (٨٣١ ـ ٩٠٢ هـ) مؤرخ عالم بالحديث والتفسير والأدب. الاعلام ٦/ ٩٤ الضوء اللامع ٨/ ٢ شذرات الذهب ٨/ ١٥ معجم المطبوعات ١٠١٢.

(٧) هو عبد الرحمن بن أحمد بن رجب السلامي البغدادي أبو الفرج زين الدين (٧٣٦ ـ ٧٩٥ هـ). حافظ من العلماء. الاعلام ٣/ ٢٩٥ شذرات الذهب ٦/ ٣٣٩ الدرر الكامنة ٢/ ٣٢١ رقم الترجمة (٣٢٧٦).

(٨) هو إسماعيل بن نجير بن أحمد بن يوسف السلمي النيسابوري. صوفي توفي سنة (٣٦٦ هـ) بمكة. =

متى كتبت نبياً؟ قال: «**كتبت وآدم بين الروح والجسد**».

فتحمل هذه الرواية مع رواية العرباض بن سارية على وجوب نبوته وثبوتها، وظهورها في الخارج، فإن الكتابة تستعمل فيما هو واجب. قال تعالى: ﴿**كتب عليكم الصيام**﴾ [البقرة: ١٨٣]. و ﴿**كتب الله لأغلبن**﴾ [المجادلة: ٢١].

وعن **أبي هريرة**[1] أنهم قالوا: يا رسول الله، متى وجبت لك النبوة قال: «**وآدم بين الروح والجسد**» رواه **الترمذي**[2] وقال: حديث حسن.

وروينا في جزء من أمالي أبي سهل القطان عن سهل بن صالح الهمداني، قال: سألت **أبا جعفر، محمد بن علي**[3]، كيف صار محمد ﷺ يتقدم الأنبياء وهو آخر من بعث؟ قال: إن الله تعالى لما أخذ ﴿من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم؟﴾ [الأعراف: ١٧٢]. كان محمد ﷺ أول من قال بلى، ولذلك صار يتقدم الأنبياء، وهو آخر من بعث.

فإن قلت: إن النبوة وصف لا بد أن يكون الموصوف به موجوداً، وإنما يكون بعد بلوغ أربعين سنة أيضاً، فكيف يوصف به قبل وجوده وإرساله؟

أجاب **العلامة الغزالي**[4] في كتاب «النفخ والتسوية» عن هذا، وعن قوله: «**كنت أول الأنبياء خلقاً وآخرهم بعثاً**»[5]: «بأن المراد بـ «الخلق» هنا: التقدير دون الإيجاد،

= الاعلام ١/٣٢٨ المنتظم ١٤/٢٤٨ رقم الترجمة (٢٧٢٧) والبداية والنهاية ١١/٣٠٦ أحداث سنة (٣٦٦ هـ).

(١) هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي الملقب بأبي هريرة (٢١ ق. هـ ـ ٥٩ هـ). صحابي. انظر الاعلام ٣/٣٠٨ حلية الأولياء ١/٣٧٦ رقم الترجمة (٨٥) الإصابة. الكنى ٧/١٩٩ رقم الترجمة (١١٧٩).

(٢) هو محمد بن عيسى بن سورة بن موسى السلمي البوغي الترمذي أبو عيسى (٢٠٩ ـ ٢٧٩ هـ) من أئمة علماء الحديث وحفاظه. الاعلام ٦/٣٢٢ وتذكرة الحفاظ ٢/٦٣٣ رقم الترجمة (٦٥٨) ـ الفهرست صفحة ٢٣٣ وفيات الأعيان ١/٤٨٤.

(٣) هو محمد بن علي زين العابدين بن الحسين الطالبي الهاشمي القرشي، أبو جعفر الباقر. (٥٧ ـ ١١٤ هـ) له في العلم وتفسير القرآن آراء وأقوال. الأعلام ٦/ ٢٧٠، تذكرة الحفاظ ١/١٢٤ رقم الترجمة (١٠٩) وفيات الأعيان ١/ ٤٥٠ حلية الأولياء ٣/ ١٨٠ رقم الترجمة (٢٣٥).

(٤) هو محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، أبو حامد (٤٥٠ ـ ٥٠٥ هـ) صوفي، فيلسوف الأعلام ٧/٢٢ وفيات الأعيان ١/٤٦٣ طبقات الشافعية ٤/١٠١ وشذرات الذهب ٤/١٠ والوافي بالوفيات ١/٢٧٧ مفتاح السعادة ٢/١٩١ معجم المطبوعات ١٤٠٨.

(٥) أخرجه أبو نعيم في الدلائل صفحة ٤٢ وهو في الشفا ١/٤٥ وفي مناهل الصفا صفحة ٣٨ رقم=

فإنه قبل أن ولدته أمه لم يكن موجوداً مخلوقاً، ولكن الغايات والكمالات سابقة في التقدير لاحقة في الوجود».

«قال: وهو معنى قولهم: «أول الفكرة آخر العمل، وآخر العمل أول الفكرة» وبيانه: أن المهندس المقدر للدار، أول ما يمثل في نفسه صورة الدار، فتحصل في تقديره دار كاملة، وآخر ما يوجد من أعماله هي الدار الكاملة، فالدار الكاملة هي أول الأشياء في حقه تقديراً، وآخرها وجوداً، لأن ما قبلها من ضرب اللبنات وبناء الحيطان، وتركيب الجذوع، وسيلة إلى غاية وكمال وهي الدار، فالغاية هي الدار ولأجلها تقوم الآلات والأعمال».

«ثم قال: وأما قوله عليه السلام: (كنت نبياً) فإشارة إلى ما ذكرناه، وأنه كان نبياً في التقدير قبل تمام خلقة آدم عليه السلام، لأنه لم ينشأ خلقُ آدم إلا ليُنتزَعَ من ذريته محمد ﷺ ويستصفى تدريجاً إلى أن يبلغ كمال الصفا».

«قال: ولا تفهم هذه الحقيقة إلا بأن يعلم أن للدار وجودين: وجوداً في ذهن المهندس ودماغه، والوجود الثاني أنه ينظر إلى صورة الدار خارج الذهن في الأعيان، والوجود الذهني سبب الوجود الخارج للعين، فهو سابق لا محالة. وكذلك فاعلم أن الله تعالى يقدر ثم يوجد على وفق التقدير ثانياً»، انتهى.

وهو متعقب بقول الشيخ **تقي الدين السبكي**[١]: «إنه قد جاء أن الله خلق الأرواح قبل الأجساد، فقد تكون الإشارة بقوله: (كنت نبياً) إلى روحه الشريفة، أو إلى حقيقة من الحقائق، والحقائق تقصر عقولنا عن معرفتها، وإنما يعلمها خالقها ومن أمده الله بنور إلهي، ثم إن تلك الحقائق يؤتي الله كل حقيقة منها ما يشاء في الوقت الذي يشاء، فحقيقة النبي ﷺ قد تكون من حين خلق آدم آتاها الله ذلك الوصف، بأن يكون خَلَقَها متهيئة لذلك، وأفاضه عليها من ذلك الوقت، فصار نبياً، وكتب اسمه على العرش،

= الحديث (٤٨). وهو ضعيف ولا يدل على أنه أول خلق الله وإنما فيه أنه أول الأنبياء. ومعلوم أن البشر أولهم آدم الذي هو آخر الخلق باعتبار أنواع العوالم.

ولو صح الحديث لكان معناه أن روحه ﷺ أول أرواح البشر وفرق بين أن يقال أول أرواح البشر وبين أن يقال أول خلق الله لأن بين كتابة القلم على اللوح المحفوظ وبين خلق السموات والأرض خمسين ألف سنة. كما مر.

(١) هو علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي الأنصاري الخزرجي أبو الحسن تقي الدين (٦٨٣ ـ ٧٥٦ هـ) فقيه حافظ مفسر. الاعلام ٤/٣٠٢ طبقات الشافعية ٦/١٤٦ الدرر الكامنة ٣/٦٣ رقم الترجمة (١٤٨).

وأخبر عنه بالرسالة ليعلم ملائكته وغيرهم كرامته عنده».

«فحقيقته موجودة من ذلك الوقت وإن تأخر جسده الشريف المتصف بها، واتصاف حقيقته بالأوصاف الشريفة المفاضة عليه من الحضرة الإلهية حاصل من ذلك الوقت[1]، وإنما يتأخر البعث والتبليغ، وكل ما له من جهة الله ومن جهة تأهل ذاته الشريفة وحقيقته معجل لا تأخر فيه. وكذلك استنباؤه وإيتاؤه الكتاب والحكم والنبوة، وإنما المتأخر تكونه وتنقله إلى أن ظهر ﷺ».

«وقد علم من هذا: أن من فسره بعلم الله بأنه سيصير نبياً لم يصل إلى هذا المعنى، لأن علم الله تعالى محيط بجميع الأشياء. ووصف النبي ﷺ بالنبوة في ذلك الوقت ينبغي أن يفهم منه أنه أمر ثابت له في ذلك الوقت. ولو كان المراد بذلك مجرد العلم بما سيصير في المستقبل لم يكن له خصوصية بأنه نبي وآدم بين الروح والجسد، لأن جميع الأنبياء يعلم الله تعالى نبوتهم في ذلك الوقت وقبله، فلا بد من خصوصية للنبي ﷺ لأجلها أخبر بهذا الخبر إعلاماً لأمته ليعرفوا قدره عند الله تعالى».

وعن **الشعبي**[2]: قال رجل يا رسول الله، متى استنبئت؟ قال: «**وآدم بين الروح والجسد، حين أخذ مني الميثاق**»[3] رواه **ابن سعد**[4]، من رواية **جابر الجعفي**[5]، فيما ذكره ابن رجب.

فهذا يدل على أنه من حين صور آدم طيناً استخرج منه محمد ﷺ ونبىء وأخذ منه الميثاق، ثم أُعيد إلى ظهر آدم حتى يخرج وقت خروجه الذي قدر الله خروجه فيه فهو أولهم خلقاً.

لا يقال: يلزم خلق آدم قبله، لأن آدم كان حينئذ مواتاً لا روح فيه، ومحمد ﷺ

---

(١) انظر شرح المواهب ١/ ٣٨.

(٢) هو عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار الشعبي الحميري أبو عمرو (١٩ ـ ١٠٣ هـ) راوية من التابعين. الأعلام ٣/ ٢٥١ حلية الأولياء ٤/ ٣١٠ رقم الترجمة (٢٧٦) وفيات الأعيان ١/ ٢٤٤ تاريخ بغداد ١٢/ ٢٢٧ طبقات ابن سعد ٦/ ٢٥٩ رقم الترجمة (٢٣١٦) الكاشف ٢/ ٤٩ رقم الترجمة (٢٥٥٦) وتذكرة الحفاظ ١/ ٧٩ رقم الترجمة (٧٦).

(٣) انظر طبقات ابن سعد ٧/ ٤٢.

(٤) هو محمد بن سعد بن منيع الزهري أبو عبد الله (١٦٨ ـ ٢٣٠ هـ) مؤرخ حافظ. الأعلام ٦/ ١٣٦ وفيات الأعيان ١/ ٥٠٧ تاريخ بغداد ٥/ ٣٢١ الوافي بالوفيات ٣/ ٨٨ تذكرة الحفاظ ٢/ ٤٢٥ رقم الترجمة (٤٣١). والفهرست لابن النديم صفحة (١٤٥).

(٥) هو جابر بن يزيد بن الحارث الجعفي أبو عبد الله تابعي من فقهاء الشيعة. توفي بالكوفة سنة (١٢٨ هـ). الأعلام ٢/ ١٠٥ ميزان الاعتدال ١/ ١٧٦.

كان حياً حين استخرج ونبىء وأخذ منه الميثاق، فهو أول النبيين خلقاً وآخرهم بعثاً.

فإن قلت إن استخراج ذرية آدم منه كان بعد نفخ الروح فيه، كما دل عليه أكثر الأحاديث، والذي تقرر هنا: أنه استخرج ونبىء قبل نفخ الروح في آدم عليه السلام.

أجاب بعضهم: بأنه ﷺ خص باستخراجه من ظهر آدم قبل نفخ الروح. فإن محمداً ﷺ هو المقصود من خلق النوع الإنساني، وهو عينه وخلاصته وواسطة عقده. والأحاديث السابقة صريحة في ذلك، والله أعلم.

وروي عن **علي بن أبي طالب**[1] رضي الله عنه أنه قال: لم يبعث الله تعالى نبياً من آدم فمن بعده إلا أخذ عليه العهد في محمد ﷺ لئن بعث، وهو حي، ليؤمنن به ولينصرنه، ويأخذ العهد بذلك على قومه.

وهو مروي عن **ابن عباس** أيضاً[2] ذكرهما **العماد بن كثير**[3] في تفسيره: [آل عمران: ٨١].

وقيل: إن الله تعالى لما خلق نور نبينا محمد ﷺ أمره أن ينظر إلى أنوار الأنبياء عليهم السلام، فغشيهم من نوره ما أنطقهم الله به فقالوا: يا ربنا، من غشينا نوره؟ فقال الله تعالى: هذا نور محمد بن عبد الله، إن آمنتم به جعلتكم أنبياء، قالوا: آمنا به وبنبوته فقال الله تعالى: أشهد عليكم؟ قالوا: نعم. فذلك قوله تعالى: **﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه﴾** إلى قوله: **﴿وأنا معكم من الشاهدين﴾** [آل عمران: ٨١].

قال الشيخ تقي الدين السبكي: «في هذه الآية الشريفة من التنويه بالنبي ﷺ وتعظيم

---

(١) هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي أبو الحسن (٢٣ق. هـ - ٤٠ هـ) رابع الخلفاء الراشدين أمير المؤمنين وأحد العشرة المبشرين بالجنة ابن عم النبي ﷺ وصهره. الأعلام ٤/ ٢٩٥ وانظر الكامل في التاريخ حوادث سنة (٤٠) وحلية الأولياء ١/ ٦١ رقم الترجمة (٤) والإصابة ٤/ ٢٧٢ رقم الترجمة (٥٦٩٠).

(٢) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي أبو العباس (٣ ق. هـ - ٦٨ هـ) حبر الأمة. صحابي جليل. الأعلام ٤/ ٩٥ الإصابة ٤/ ٩٠ رقم الترجمة (٤٧٧٢) حلية الأولياء ١/ ٣١٤ رقم الترجمة (٤٥) طبقات المفسرين ١/ ٢٣٩ رقم الترجمة (٢٢٤) تذكرة الحفاظ ١/ ٤٠ رقم الترجمة (١٨) تاريخ بغداد ١/ ١٧٣ الكاشف ٢/ ٩٠ رقم الترجمة (٢٨٣٢).

(٣) هو إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوّ بن درع القرشي ثم الدمشقي أبو الفداء عماد الدين (٧٠١ - ٧٧٤ هـ). حافظ مؤرخ فقيه. الأعلام ١/ ٣٢٠، الدرر الكامنة ١/ ٣٧٣ رقم الترجمة (٩٤٤) شذرات الذهب ٦/ ٢٣١ والبداية والنهاية ١٤/ ٣٢٤ وطبقات المفسرين ١/ ١١١ رقم الترجمة (١٠٣).

(٤) انظر تفسير ابن كثير ١/ ٣٧٧ الآية (٨١) من سورة آل عمران.

قدره العلي ما لا يخفى، وفيه مع ذلك: أنه على تقدير مجيئه في زمانهم يكون مرسلاً إليهم، فتكون رسالته ونبوته عامة لجميع الخلق من زمن آدم إلى يوم القيامة، وتكون الأنبياء وأممهم كلهم من أمته، ويكون قوله: «**وبعثت إلى الناس كافة**»[1] لا يختص به الناس من زمانه إلى يوم القيامة، بل يتناول من قبلهم أيضاً. ويتبين بذلك معنى قوله ﷺ: «**كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد**».

«ثم قال: فإذا عرف هذا فالنبي ﷺ نبي الأنبياء، ولهذا ظهر في الآخرة جميع الأنبياء تحت لوائه، وفي الدنيا كذلك ليلة الإسراء صلى بهم. ولو اتفق مجيئه في زمن آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم وجب عليهم وعلى أممهم الإيمان به ونصرته. وبذلك أخذ الله الميثاق عليهم». انتهى وسيأتي إن شاء الله تعالى مزيد لذلك في المقصد السادس.

وذكر العارف الرباني **عبد الله بن أبي جمرة**[2] في كتابه «بهجة النفوس»، ومن قبله **ابن سبع** في «شفاء الصدور»[3] عن **كعب الأحبار**[4]، قال: لما أراد الله تعالى أن يخلق محمداً، أمر جبريل أن يأتيه بالطينة التي هي قلب الأرض وبهاؤها ونورها، قال: فهبط جبريل في ملائكة الفردوس وملائكة الرقيع الأعلى، فقبض قبضة رسول الله ﷺ من موضع قبره الشريف، وهي بيضاء منيرة، فعجنت بماء التسنيم في معين أنهار الجنة، حتى صارت كالدرة البيضاء، لها شعاع عظيم، ثم طافت بها الملائكة حول العرش والكرسي، وفي السماوات والأرض والجبال والبحار، فعرفت الملائكة وجميع الخلق سيدنا محمداً وفضله قبل أن تعرف آدم عليهما السلام[5].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التيمم باب (١) رقم الحديث (٣٣٥) بلفظ «بعثت إلى الناس عامة» وأخرجه النسائي في كتاب الغسل باب التيمم بالصعيد رقم الحديث (٢٦).

(٢) هو عبد الله بن سعد بن سعيد بن أبي جمرة الأزدي الأندلسي أبو محمد. من العلماء بالحديث مالكي. توفي بمصر سنة (٦٩٥ هـ). الأعلام ٤/ ٨٩ الديباج المذهب ١٤٠ (بالهامش) وفيه وفاته سنة (٦٩٩ هـ) وانظر بروكلمان ٦/ ٢٨٢.

(٣) انظر كشف الظنون ٢/ ١٠٥٠.

(٤) هو كعب بن ماتع بن ذي هجن الحميري أبو إسحاق. تابعي توفي في حمص سنة (٣٢ هـ). الأعلام ٥/ ٢٢٨ تذكرة الحفاظ ١/ ٥٢ رقم الترجمة (٣٣) وحلية الأولياء ٥/ ٣٦٤ رقم الترجمة (٣٢٥) وطبقات ابن سعد ٧/ ٣٠٩ رقم الترجمة (٣٨٢٨).

(٥) قال بعض العلماء: «وهذا لا يقال من قبل الرأي». وقال الزرقاني: «... يعني فهو إما عن الكتب القديمة لأنه حبرها أو عن المصطفى بواسطة فهو مرسل وتضعيف بعض المتأخرين جداً له باحتمال أنه من الكتب القديمة وقد بدلت غير مسموع فإن التضعيف إنما هو من جهة السند لأنه المرقاة كما=

وقيل: لما خاطب الله تعالى السماء والأرض بقوله: ﴿**ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين**﴾ [فصلت: ١١]. أجاب موضع الكعبة الشريفة، ومن السماء ما يحاذيها. وقد قال ابن عباس: أصل طينة رسول الله ﷺ من سرة الأرض بمكة. فقال بعض العلماء: هذا يشعر بأن ما أجاب من الأرض إلا درة المصطفى محمد ﷺ، ومن موضع الكعبة دحيت الأرض فصار رسول الله ﷺ هو الأصل في التكوين، والكائنات تبع له. وقيل: لذلك سمي أمياً لأن مكة أم القرى، ودرته أم الخليقة.

فإن قلت: تربة الشخص مدفنه، فكان مقتضى هذا أن يكون مدفنه عليه الصلاة والسلام بمكة، حيث كانت تربته منها.

فقد أجاب عنه صاحب **عوارف المعارف**[1] ـ أفاض الله علينا من عوارفه، وتعطف علينا بعواطفه ـ بأنه قيل: إن الماء لما تموج رمى الزبد إلى النواحي، فوقعت جوهرة النبي ﷺ إلى ما يحاذي تربته بالمدينة، فكان ﷺ مكياً مدنياً، حنينه إلى مكة وتربته بالمدينة انتهى.

وفي «المولد الشريف» **لابن طغر بك**[2]: ويروى أنه لما خلق الله تعالى آدم، ألهمه أن قال: يا رب، لم كنيتني أبا محمد، قال الله تعالى: يا آدم ارفع رأسك، فرفع رأسه فرأى نور محمد ﷺ في سرادق العرش، فقال: يا رب، ما هذا النور؟ قال: هذا نور نبي من ذريتك اسمه في السماء أحمد، وفي الأرض محمد، لولاه ما خلقتك ولا خلقت سماء ولا أرضاً.

ويشهد لهذا، ما رواه الحاكم في صحيحه أن آدم عليه السلام رأى اسم محمد ﷺ مكتوباً على العرش[3]، وأن الله تعالى قال لآدم لولا محمد ما خلقتك.

ولله در **القائل**:

وكان لدى الفردوس في زمن الرضى ... وأثواب شمل الأنس محكمة السدى

= هو معلوم عند من له أدنى إلمام بالفن وليس كل ما ينقل من الكتب القديمة مردوداً بمثل هذا الاحتمال. انظر شرح المواهب ١/ ٤٢ وما بعدها.

(١) هو عمر بن محمد بن عبد الله ابن عمويه أبو حفص شهاب الدين القرشي التيمي البكري السهروردي (٥٣٩ ـ ٦٣٢ هـ) فقيه شافعي مفسر واعظ صوفي. الأعلام ٥/ ٦٢ وفيات الأعيان ١/ ٣٨٠ شذرات الذهب ٥/ ١٥٣ وطبقات الشافعية ٥/ ١٤٣ وطبقات المفسرين ٢/ ١٢ رقم الترجمة (٣٩٢).

(٢) هو عمر بن أيوب بن عمر بن أرسلان سيف الدين أبو جعفر المعروف بابن طغروبك الدمشقي التركي الحنفي. فاضل من آثاره: الدرر النظيم في مولد النبي الكريم. توفي سنة (٦٧٠ هـ). انظر هدية العارفين ١/ ٧٨٧ ومعجم المؤلفين ٧/ ٢٧٨.

(٣) انظر اللآليء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ١/ ٢٩٧ وانظر مجمع الزوائد للهيثمي ٩/ ٤١.

يشاهد في عدن ضياء مشعشعاً ... يزيد على الأنوار في الضوء والهدى
فقال إلهي ما الضياء الذي أرى ... جنود السما تعشو إليه تردداً
فقال نبي خير من وطىء الثرى ... وأفضل من في الخير راح أو اغتدى
تخيرته من قبل خلقك سيداً ... وألبسته قبل النبيين سؤدداً[1]

فإن قلت: إن **مذهب الأشاعرة**[2]: أن أفعال الله تعالى ليست معللة بالأغراض، فكيف تكون خلقة محمد علة في خلق آدم صلى الله عليهما وسلم؟

أجيب: بأن الظاهرة من الأدلة تعليل بعض الأفعال بالحكم والمصالح التي هي غايات ومنافع لأفعاله تعالى، لا بواعث على إقدامه، ولا علل مقتضية لفاعليته، لأن ذلك محال في حقه تعالى، لما فيه من استكماله بغيره. والنصوص شاهدة بذلك، كقوله تعالى: ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾ [الذاريات: ٥٦] أي: قرنت الخلق بالعبادة، أي خلقتهم وفرضت عليهم العبادة، فالتعليل لفظي لا حقيقي، لأن الله تعالى مستغن عن المنافع، فلا يكون فعله لمنفعة راجعة إليه ولا إلى غيره، لأن الله قادر على إيصال المنفعة إلى الغير من غير واسطة العمل.

وروى **عبد الرزاق**[3] بسنده عن **جابر بن عبد الله الأنصاري**[4] قال: قلت يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، أخبرني عن أول شيء خلقه الله تعالى قبل الأشياء. قال: يا جابر، إن الله تعالى قد خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره، فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله تعالى، ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم، ولا جنة ولا نار، ولا ملك ولا سماء، ولا أرض ولا شمس ولا قمر، ولا جني ولا أنسي، فلما أراد الله تعالى أن يخلق الخلق قسم ذلك النور أربعة أجزاء، فخلق من الجزء الأول القلم، ومن الثاني اللوح، ومن الثالث العرش. ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء، فخلق من الجزء الأول

---

(١) عزاه صاحب مصباح الظلام لصالح بن حسين الشاعر.

(٢) نسبة لأبي الحسن الأشعري وهو علي بن إسماعيل بن إسحاق (٢٦٠ ـ ٣٢٤ هـ) مؤسس مذهب الأشاعرة. الأعلام ٤/ ٢٦٣ طبقات الشافعية ٢/ ٢٤٥ وفيات الأعيان ١/ ٣٢٦ ومعجم المطبوعات (٤٥١).

(٣) هو عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري أبو بكر الصنعاني (١٢٦ ـ ٢١١ هـ) حافظ ثقة الأعلام ٣/ ٣٥٣ وفيات الأعيان ١/ ٣٠٣ تذكرة الحفاظ ١/ ٣٦٤ رقم الترجمة (٣٥٧) شذرات الذهب ٢/ ٢٧ وطبقات المفسرين ١/ ٣٠٢ رقم الترجمة (٢٧٨) طبقات ابن سعد ٦/ ٧٤ رقم الترجمة (١٧٧٥).

(٤) هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجي الأنصاري السلمي (١٦ ق. هـ ـ ٧٨ هـ) صحابي كثير الرواية. الأعلام ٢/ ١٠٤ الإصابة ١/ ٢٢٢ رقم الترجمة (١٠٢٢) شذرات الذهب ١/ ٨٤. تذكرة الحفاظ ١/ ٤٣ رقم الترجمة (٢١).

حملة العرش، ومن الثاني الكرسي، ومن الثالث باقي الملائكة، ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء، فخلق من الأول السماوات، ومن الثاني الأرضين ومن الثالث الجنة والنار، ثم قسم الرابع أربعة أجزاء، فخلق من الأول نور أبصار المؤمنين، ومن الثاني نور قلوبهم ـ وهي المعرفة بالله ـ ومن الثالث نور أنسهم، وهو التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله[1]. .

وقد اختلف: هل القلم أول المخلوقات بعد النور المحمدي؟

فقال الحافظ **أبو يعلى الهمداني**[2]: الأصح أن العرش قبل القلم، لما ثبت في الصحيح عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «**قدر الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء**»[3]، فهذا صريح أن التقدير وقع بعد خلق العرش. والتقدير وقع عند أول خلق القلم لحديث **عبادة بن الصامت**[4]، مرفوعاً: «**أول ما خلق الله القلم قال له اكتب، قال: رب، وما أكتب، قال: اكتب مقادير كل شيء**»[5] رواه أحمد، والترمذي وصححه.

ورويا أيضاً من حديث **أبي رزين العقيلي**[6] مرفوعاً: «**إن الماء خلق قبل العرش**»[7].

---

(١) قال المحدث أحمد الغماري في كتاب «المغير على الجامع الصغير» هذا الحديث موضوع وهو جدير بكونه موضوعاً. وهذا الحديث لا وجود له في مصنف عبد الرزاق.

(٢) هو الحسن بن أحمد بن الحسن بن أحمد بن سهل العطار أبو العلاء الهمذاني (٤٨٨ ـ ٥٦٩ هـ) إمام العراقين في القراءات له باع في التفسير والحديث والأنساب والتواريخ. الأعلام ٢/ ١٨١ طبقات المفسرين ١/ ١٣٢ رقم الترجمة (١٢٧) تذكرة الحفاظ ٤/ ١٣٢٤ رقم الترجمة (١٠٩٣) معجم الأدباء ٢/ ٤٣٢ رقم الترجمة (٣٠٥) المنتظم ١٨/ ٢٠٨ رقم الترجمة (٤٢٩٩) شذرات الذهب ٤/ ٢٣١.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب القدر (١٦ ـ رقم الحديث ٢٦٥٣) وانظر الدر المنثور ٣/ ٣٢٢.

(٤) هو عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري الخزرجي أبو الوليد (٣٨ ـ ق. هـ ـ ٣٤ هـ) صحابي كان أحد النقباء. الأعلام ٣/ ٢٥٨ الإصابة ٤/ ٢٧ رقم الترجمة (٤٤٨٨).

(٥) أخرجه الترمذي كتاب القدر باب (١٧) رقم الحديث (٢١٥٥) وفي تفسير سورة (٦٨ ـ القلم) باب (٦٦) رقم الحديث (٣٣١٩) وفي مسند أحمد بن حنبل ٥/ ٣١٧ وأبو داوود كتاب السنة باب في القدر رقم الحديث (٤٧٠٠).

(٦) هو لقيط بن عامر بن المنتفق بن عامر بن عقيل بن عامر العامري أبو رزين العقيلي. صحابي. انظر الإصابة ٦/ ٨ رقم الترجمة (٧٥٤٩) والكاشف ٣/ ١٢ رقم الترجمة (٤٧٥٨).

(٧) أخرجه الترمذي كتاب تفسير القرآن باب (١٢) سورة هود رقم الحديث (٣١٠٩). وانظر البخاري كتاب بدء الخلق باب (١). وأخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ٤/ ١١ و ١٢.

وروى السدي[1] بأسانيد متعددة: «**أن الله تعالى لم يخلق شيئاً مما خلق قبل الماء**»[2] فيجمع بينه وبين ما قبله، بأن أولية القلم بالنسبة إلى ما عدا النور النبوي المحمدي والماء

---

(١) هو إسماعيل بن عبد الرحمن السدي تابعي حجازي الأصل توفي سنة (١٢٨ هـ). الأعلام ١/٣١٧ والكاشف ١/٧٥ رقم الترجمة (٣٩٤) وفيه أنه توفي سنة (١٢٧ هـ).

(٢) قال الله تعالى: ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾ [الأنبياء: ٣٠]

وروى البخاري وابن الجارود والبيهقي من حديث عمران بن الحصين رضي الله عنه قال:

أتى أناس من أهل اليمن إلى رسول الله ﷺ فقالوا يا رسول الله جئناك لنتفقه في الدين فأنبئنا عن بدء هذا الأمر ما كان؟ قال: كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء ثم خلق السموات والأرض. وفي رواية ابن الجارود: «عن أول هذا الأمر». وهو أيضاً رواية للبخاري. وفي رواية البيهقي من طريق أبي معاوية: «كان الله قبل كل شيء» فقوله ﷺ: «كان الله» أي لم يزل موجوداً في الأزل ليس معه غيره. وقوله: «وكان عرشه على الماء» أي وجد وحدث عرشه على الماء أي أن الماء والعرش أول خلق الله. وأولهما وجوداً الماء. فالماء أصل لغيره والماء خلق من غير أصل فبداية العالم من غير مادة ولا يحيل العقل وجود أصل العالم من العدم من غير مادة والقول بأن العالم هيولى أزلية يلزم منه المحال الذي هو التسلسل أو الدور المحالان.

هذا الحديث رواه البخاري في كتاب «التوحيد» بلفظ: «ولم يكن شيء قبله».

قال الحافظ ابن حجر وفي رواية غير البخاري «ولم يكن شيء معه» والقصة متحدة فاقتضى ذلك أن الرواية بالمعنى. ولعل راويها: [أي راوي رواية كتاب «التوحيد»: كان الله ولم يكن شيء قبله]. أخذها من قوله ﷺ في دعائه في صلاة الليل من حديث ابن عباس:

«أنت الأول فليس قبلك شيء». لكن رواية الباب هي: «ولم يكن شيء غيره» أصرح في القدم وفيه دلالة على أنه لم يكن شيء غيره لا الماء ولا العرش ولا غيرهما لأن كل ذلك غير الله. ويكون قوله «كان عرشه على الماء» معناه أنه خلق الماء سابقاً ثم خلق العرش على الماء. وقد وقع في قصة نافع بن زيد الحميري بلفظ:

«كان عرشه على الماء ثم خلق القلم فقال اكتب ما هو كائن ثم خلق السموات والأرض وما فيهن».

وقد روى مسلم من حديث عبد الله بن عمرو عن النبي: «إن الله كتب مقادير الخلائق قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء».

قال الحافظ والمرادبكان في الأول الأزلية وفي الثاني الحدوث. انتهى وقد روى ابن حبان وابن ماجه من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «كل شيء خلق من الماء».

ولفظ ابن حبان: «قلت يا رسول الله إني إذا رأيتك طابت نفسي وقرت عيني فأنبئني عن كل شيء. قال إن الله تعالى خلق كل شيء من الماء وفي لفظ: «كل شيء خلق من الماء».

قال الحافظ: روىٰ السدي في تفسيره بأسانيد متعددة عن جماعة من الصحابة:

«أن الله لم يخلق شيئاً مما خلق قبل الماء» وأما ما رواه أحمد والترمذي من حديث عبادة بن الصامت عن النبي قال: «أول ما خلق الله القلم ثم قال أكتب فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة». فجمع بينه وبين ما قبله بأن أولية القلم بالنسبة إلى ما عدا الماء والعرش أو بالنسبة إلى ما صدر من الكتابة أي أنه قيل له أول ما خلق.

والعرش، انتهى. وقيل: الأولية في كل بالإضافة إلى جنسه، أي أول ما خلق الله من الأنوار نوري، وكذا في باقيها.

وفي أحكام ابن القطان[1]، مما ذكره ابن مرزوق[2]، عن **علي بن الحسين**[3] عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال: «**كنت نوراً بين يدي ربي قبل خلق آدم بأربعة عشر ألف عام**»[4].

وفي الخبر: لما خلق الله آدم جعل ذلك النور في ظهره فكان يلمع في جبينه، فيغلب على سائر نوره، ثم رفعه الله على سرير مملكته وحمله على أكتاف ملائكته وأمرهم فطافوا به في السماوات ليرى عجائب ملكوته.

قال جعفر بن محمد: مكثت الروح في رأس آدم مئة عام، وفي صدره مئة عام وفي ساقيه وقدميه مئة عام، ثم علمه الله تعالى أسماء جميع المخلوقات، ثم أمر الملائكة بالسجود له فسجدوا إلا إبليس، فطرده الله تعالى وخزاه.

وكان السجود لآدم سجود تعظيم وتحية، لا سجود عبادة، كسجود أخوة يوسف له، فالمسجود له في الحقيقة هو الله تعالى، وآدم كالقبلة.

وروي عن **جعفر الصادق**[5] أنه قال: كان أول من سجد لآدم جبريل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم عزرائيل ثم الملائكة المقربون.

وعن **أبي الحسن النقاش**[6]: أول من سجد إسرافيل، قال ولذا جوزي بتولية اللوح المحفوظ.

---

(١) هو علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي الحميري الفاسي أبو الحسن ابن القطان (٥٦٢ ـ ٦٢٨ هـ) حافظ ناقد، الاعلام ٤/٣٣١ شذرات الذهب ٥/١٢٨ معجم المطبوعات ٢١٥.

(٢) هو محمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق العجيسي أبو عبد الله شمس الدين (٧١٠ ـ ٧٨١ هـ) فقيه خطيب من أعيان تلمسان. الأعلام ٥/٣٢٨ شجرة النور ٤٣٦ نيل الإبتهاج هامش الديباج (٢٦٧).

(٣) هو علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي أبو الحسن الملقب بزين العابدين (٣٨ ـ ٩٤ هـ) تابعي. الأعلام ٤/٢٧٧ وفيات الأعيان ١/ ٣٢٠ طبقات ابن سعد ٥/١٦٢ رقم الترجمة (٧٥٥) حلية الأولياء ٣/١٣٣ رقم الترجمة (٢٢٩).

(٤) انظر كشف الخفاء للعجلوني ١/١٨٨ و ٣١٢.

(٥) هو جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي أبو عبد الله الملقب بالصادق (٨٠ ـ ١٤٨ هـ) تابعي من سادات أهل البيت. الأعلام ٢/١٢٦ وفيات الأعيان ١/ ١٠٥ حلية الأولياء ٣/ ١٩٢ رقم الترجمة (٢٣٦).

(٦) هو علي بن عيسى بن هبة الله أبو الحسن مهذب الدين ابن النقاش عالم بالطب أديب له مشاركة في الحديث توفي سنة (٥٧٤ هـ) في دمشق. الأعلام ٤/٣١٨ طبقات الأطباء ٢/ ١٦٢.

وعن ابن عباس: كان السجود يوم الجمعة من وقت الزوال إلى العصر.

ثم خلق الله تعالى له حواء زوجته من ضلع من أضلاعه اليسرى، وهو نائم، وسميت حواء لأنها خلقت من حي، فلما استيقظ ورآها سكن إليها، فقالت الملائكة مه يا آدم، قال: ولم وقد خلقها الله لي؟ فقالوا: حتى تؤدي مهرها، قال: وما مهرها؟ قالوا: تصلي على محمد ﷺ ثلاث مرات.

وذكر **ابن الجوزي**[1] في كتابه «سلوة الأحزان»: أنه لما رام القرب منها طلبت منه المهر، فقال: يا رب، وماذا أعطيها، فقال: يا آدم صل على حبيبي محمد بن عبد الله عشرين مرة، ففعل.

ثم إن الله تعالى أباح لهما نعيم الجنة، ونهاهما عن شجرة الحنطة، وقيل: شجرة العنب، وقيل: شجرة التين، فحسدهما إبليس، فهو أول من حسد وتكبر، فأتى إلى باب الجنة فاحتال حتى دخل الجنة، وأتى إلى آدم وحواء، فوقف وناح نياحة أحزنتهما، فهو أول من ناح، فقالا: ما يبكيك؟ قال: عليكما، تموتان وتفقدان النعيم، ألا أدلكما على شجرة الخلد، فكلا منها، وحلف لهما أنه ناصح، فهو أول من حلف كاذباً، وأول من غش.

فأكلت حواء منها، ثم زينت لآدم حتى أكل، وظنا أن أحداً لا يتجاسر أن يحلف بالله كاذباً، فقال الله تعالى: يا آدم، ألم يكن فيما أبحتك من الجنة مندوحة عن الشجرة؟! قال: بلى يا رب وعزتك، ولكن ظننت أن أحداً لا يحلف بك كاذباً، قال الله: وعزتي وجلالي، لأهبطنك إلى الأرض، لا تنال العيش إلا كداً، فأهبط من الجنة.

وعن ابن عباس: قال الله تعالى: يا آدم، ما حملك على ما صنعت؟ قال: زينته لي حواء، قال: فإني أعقبها أن لا تحمل إلا كرها، ولا تضع إلا كرهاً، ولأدمينها في الشهر مرتين.

وقال وهب بن منبه[2]: لما أهبط آدم إلى الأرض مكث يبكي ثلاثمائة سنة لا يرقأ له دمع.

---

(١) هو عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي أبو الفرج (٥٠٨ ـ ٥٩٧ هـ) عالم في التاريخ والحديث توفي ببغداد. الأعلام ٣/٣١٦ وفيات الأعيان ١/٢٧٩ مفتاح السعادة ١/٢٠٧.

(٢) هو وهب بن منبه الأنباري الصنعاني الذماري أبو عبد الله (٣٤ ـ ١١٤ هـ) مؤرخ كثير الأخبار عن الكتب القديمة يعد في التابعين توفي بصنعاء. الأعلام ٨/١٢٥ شذرات الذهب ١/١٥٠ وفيات الأعيان ٢/ ١٨٠ طبقات ابن سعد ٦/ ٧٠ رقم الترجمة (١٧٥٥) حلية الأولياء ٤/ ٢٣ رقم الترجمة (٢٥٠). كشف الظنون ١٣٢٨.

وقال المسعودي[1]: لو أن دموع أهل الأرض جمعت لكانت دموع آدم أكثر حين أخرجه الله من الجنة.

وقال مجاهد[2]: بكى آدم مائة عام لا يرفع رأسه إلى السماء، وأنبت الله من دموعه العود الرطب والزنجبيل والصندل وأنواع الطيب، وبكت حواء حتى أنبت الله من دموعها القرنفل والأفاوى.

يا بني آدم، انظروا كيف بكى أبوكم على فعلة واحدة ثلاثمائة سنة، فكيف بكم يا أرباب الكبائر العظيمة؟ فاعتبروا يا أولي الأبصار، كان كلما رأى الملائكة تصعد وتهبط ازداد شوقاً إلى الأوطان، وتذكر العهد والجيران، يا أصحاب الذنوب احذروا زلة يقول فيها الحبيب: هذا فراق بيني وبينك، فياذا العقل السليم، انظر كيف جلس أبوك آدم على سرير المملكة، فمديده إلى لقمة نهي عنها فأخرج من الجنة، فاحذروا يا بنيه عواقب المعاصي فإنها من نزلت به نزلت به وحطته عن مرتبته.

فإن قلت: هذه الفعلة التي أهبط بها آدم من الجنة، إن كانت كبيرة فالكبيرة لا تجوز على الأنبياء، وإن كانت صغيرة فلم جرى عليه ما جرى بسببها، من نزع اللباس والإخراج من الجنة وغير ذلك؟

أجاب الزمخشري[3]: بأنها ما كانت إلا صغيرة، مغمورة بأعمال قلبه من الإخلاص والأفكار الصالحة التي هي أجل الطاعات، وأعظم الأعمال، وإنما جرى عليه ما جرى تعظيماً للخطيئة، وتفظيعاً لشأنها وتهويلاً، ليكون ذلك لطفاً له ولذريته في اجتناب الخطايا، واتقاء المآثم.

يا هذا، انظر كم لله من لطف وحكمة في إهباط آدم من الجنة إلى الأرض، لولا نزوله لما ظهر جهاد المجاهدين، واجتهاد العابدين المجتهدين، ولا صعدت زفرات

---

(١) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن عبد الله بن مسعود الهذلي المسعودي أخو أبو العميس توفي سنة (١٦٠ هـ) الكاشف ٢/ ١٥٢ رقم الترجمة (٣٢٨١) شذرات الذهب ١/ ٢٤٧.

(٢) هو مجاهد بن جبير أبو الحجاج المكي مولى بني مخزوم (٢١ ـ ١٠٤ هـ) تابعي مفسر شيخ القراء. الأعلام ٥/ ٢٧٨ حلية الأولياء ٣/ ٢٧٩ رقم الترجمة (٢٤٣) تذكرة الحفاظ ١/ ٩٢ رقم الترجمة (٨٣) معجم الأدباء ٥/ ٥٣ رقم الترجمة (٧٥٦).

(٣) هو محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري جار الله أبو القاسم (٤٦٧ ـ ٥٣٨ هـ) معتزلي مجاهر. توفي في الجرجانية من قرى خوارزم. الأعلام ٧/ ١٧٨ وفيات الأعيان ٢/ ٨١ معجم الأدباء ٥/ ٤٨٩ رقم الترجمة (٩٤٥) أنباه الرواة ٣/ ٢٦٥. مفتاح السعادة ٢/ ٩٧ المنتظم ١٨/ ٣٧ رقم الترجمة (٤١٠٤) طبقات المفسرين ٢/ ٣١٤ رقم الترجمة (٦٢٥) مرآة الجنان ٢/ ٢٦٩.

أنفاس التائبين، ولا نزلت قطرات دموع المذنبين، يا آدم إن كنت أهبطت من دار القرب فإني قريب، أجيب دعوة الداع، إن كان حصل لك بالإخراج من الجنة كسر فأنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي، وإن كان فاتك في السماء زجل المسبحين فقد تعوضت في الأرض أنين المذنبين، أنين المذنبين أحب إلينا من تسبيحهم، زجل المسبحين ربما يشوبه الافتخار، وأنين المذنبين يزينه الانكسار، «**لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون ثم يستغفرون فيغفر لهم**»[1].

سبحان من إذا لطف بعبده في المحن قلبها منحاً، وإذا خذل عبداً لم ينفعه كثرة اجتهاده وكان عليه وبالاً، لقن الله آدم حجته، وألقى عليه ما تقبل به توبته، وطرد إبليس اللعين بعد طول خدمته، فصار عمله هباء منثوراً، قال: اخرج منها ﴿**فإنك رجيم وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين**﴾ [الحجر: ٣٤ و ٣٥] إذا وضع عدله على عبد لم يبق له حسنة، وإذا بسط فضله على عبد لم يبق له سيئة.

انظر لما ظهرت فضائل آدم عليه الصلاة والسلام على الخلائق بالعلم، وكان العلم لا يكمل إلا بالعمل بمقتضاه، والجنة ليست دار عمل ومجاهدة، إنما هي دار نعيم ومشاهدة، قيل له: يا آدم اهبط إلى أرض الجهاد، وصابر جنود الهوى بالجد والاجتهاد، وكأنك بالعيش الماضي وقد عاد على أكمل من ذلك المعتاد.

ولما أظهر إبليس ـ عليه اللعنة ـ الحسد، سعى في الأذى، حتى كان سبباً في إخراج السيد آدم من الجنة، وما فهم الأبله أن آدم إذا خرج من الجنة كملت فضائله، ثم عاد إلى الجنة على أكمل من الحال الأول.

قالوا: وفيه إشارة، كأنه تعالى يقول: لو غفرت في الجنة لما تبين كرمي، بأني أغفر لنفس واحدة، بل أخرجه إلى الدنيا، وآتي بألوف من العصاة حتى أغفر له ولهم ليتبين جودي وكرمي. وأيضاً: علم الله تعالى أن في صلبه الأولاد، والجنة ليست دار توالد، وأيضاً: ليخرج من ظهره في الدنيا من لا نصيب له في الجنة.

يا هذا، الجنة إن شاء الله إقطاعنا. وقد وصل منشور الإقطاع مع جبريل عليه الصلاة والسلام إلى نبينا ﷺ ﴿**وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار**﴾ [البقرة: ٢٥]، إنما يخرج الإقطاع عمن خرج عن الطاعة، نسأل الله التوفيق.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب التوبة باب (١١) حديث رقم (٩) ـ (٢٧٤٩) والترمذي كتاب صفة الجنة باب (٢) رقم الحديث (٢٥٢٦). وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل ٢/٣٠٩.

وقد اختلف في الجنة التي سكنها آدم.

فقيل: هي جنة الخلد.

وقيل غيرها، جعلها الله دار ابتلاء، لأن جنة الخلد إنما يدخل إليها يوم القيامة، ولأنها دار جزاء وثواب لا دار تكليف وأمر ونهي، ودار سلامة لا دار ابتلاء وامتحان، ودار قرار لا دار انتقال.

واحتج القائلون بأنها جنة الخلد، بأن الدخول العارض قد يقع قبل يوم القيامة، وقد دخلها نبينا عليه الصلاة والسلام ليلة الإسراء، وبأن ما ذكروه من أن الجنة لا يوجد فيها ما وجده آدم من الحزن والنصب فإنما هو إذا دخلها المؤمنون يوم القيامة، كما يدل عليه سياق الآيات كلها، فإن نفي ذلك مقرون بدخول المؤمنين إياها، والله أعلم، انتهى.

وروي أنه لما خرج آدم من الجنة رأى مكتوباً على ساق العرش وعلى كل موضع في الجنة اسم محمد ﷺ مقروناً باسم الله تعالى، فقال يا رب هذا محمد من هو؟ فقال الله: هذا ولدك الذي لولاه ما خلقتك. فقال: يا رب بحرمة هذا الولد ارحم هذا الوالد، فنودي: يا آدم، لو تشفعت إلينا بمحمد في أهل السماوات والأرض لشفعناك.

وعن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: «**لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب، أسألك بحق محمد لما غفرت لي، فقال الله: يا آدم، وكيف عرفت محمداً ولم أخلقه؟ قال: لأنك يا رب لما خلقتني بيدك، ونفخت في من روحك، رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك، فقال الله تعالى: صدقت يا آدم، إنه لأحب الخلق إليّ، وإذ سألتني بحقه قد غفرت لك، ولولا محمد ما خلقتك**»[1] رواه البيهقي في دلائله من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم[2] وقال تفرد به عبد الرحمن ورواه الحاكم وصححه، وذكره الطبراني[3] وزاد فيه: وهو آخر الأنبياء من ذريتك.

---

(١) انظر دلائل النبوة للبيهقي ٥/٤٨٩ والمستدرك ٢/ ٦١٥.

(٢) هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي العمري مولاهم المدني. توفي سنة (١٨٢ هـ) شذرات الذهب ١/ ٢٩٧ والكاشف ٢/١٤٦ رقم الترجمة (٣٢٣٧) خلاصة تهذيب الكمال ١٩٢. ميزان الإعتدال ٢/ ٥٦٤.

(٣) هو سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي أبو القاسم (٢٦٠ ـ ٣٦٠ هـ) محدث، مفسر توفي بأصبهان. الأعلام ٣/١٢١، وفيات الأعيان ١/ ٢١٥، شذرات الذهب ٣/ ٣٠ تذكرة الحفاظ ٣/٩١٢ رقم الترجمة (٨٧٥) طبقات المفسرين ١/ ٢٠٤ رقم الترجمة (١٩٤)، المنتظم ١٤/٢٠٦ رقم الترجمة (٢٦٩١)، مرآة الجنان ٢/ ٣٧٢.

وفي حديث سلمان[1] عند ابن عساكر[2] قال: «**هبط جبريل على النبي ﷺ فقال: إن ربك يقول: إن كنت اتخذت إبراهيم خليلاً، فقد اتخذتك حبيباً، وما خلقت خلقاً أكرم علي منك، ولقد خلقت الدنيا وأهلها لأعرفهم كرامتك ومنزلتك عندي، ولولاك ما خلقت الدنيا**»[3].

ولله در سيدي علي وفا[4] حيث قال في قصيدته التي أولها:

سكن الفؤاد فعش هنيئاً يا جسد ... هذا النعيم هو المقيم إلى الأبد

روح الوجود حياة من هو واجد ... لولاه ما تم الوجود لمن وجد

عيسى وآدم والصدور جميعهم ... هم أعين هو نورها لما ورد

لو أبصر الشيطان طلعة نوره ... في وجه آدم كان أول من سجد

أو لو رأى النمروذ نور جماله ... عبد الجليل مع الخليل ولا عند

لكن جمال الله جل فلا يرى ... إلا بتخصيص من الله الصمد

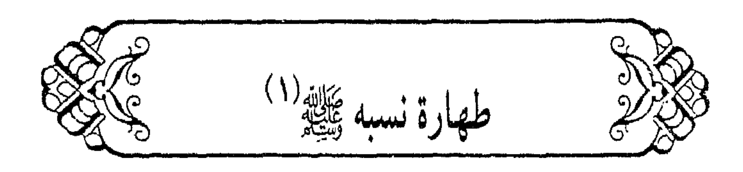
---

(١) هو سلمان الفارسي أبو عبد الله صحابي توفي في المدائن سنة (٣٦ هـ). الأعلام ٣ / ١١١ الإصابة ٣/ ١١٣ رقم الترجمة (٣٣٥٠) حلية الأولياء ١/ ١٨٥ رقم الترجمة (٣٤) طبقات ابن سعد ٧/ ٥٦ رقم الترجمة (٣٥٩) شذرات الذهب ١/ ٤٤.

(٢) هو القاسم بن علي بن الحسن بن هبة الله أبو محمد ابن عساكر (٥٢٧ ـ ٦٠٠ هـ) محدث حافظ. الأعلام ٥/ ١٧٨ طبقات الشافعية ٥/ ١٤٨ شذرات الذهب ٤/ ٣٤٧ تذكرة الحفاظ ٤/ ١٣٦٧ رقم الترجمة (١١١٠).

(٣) انظر تهذيب تاريخ دمشق ١/ ٣٢٣.

(٤) هو علي بن محمد بن محمد بن وفا أبو الحسن القرشي الأنصاري الشاذلي المالكي (٧٥٩ ـ ٨٠٧ هـ) متصوف، توفي بالقاهرة. الأعلام ٥/ ٧ الضوء اللامع ٦/ ٢١ رقم الترجمة (٤٦).



طهارة نسبه ﷺ[1]

ولما خلق الله تعالى حواء لتسكن إلى آدم ويسكن إليها، فحين صار لديها فاضت بركاته عليها، فولدت له في تلك الأعوام الحسناء أربعين ولداً في عشرين بطناً، ووضعت شيثاً وحده، كرامة لمن أطلع الله تعالى بالنبوة سعده.

ولما توفي آدم، كان شيث ـ عليه الصلاة والسلام ـ وصياً على ولده، ثم أوصى شيث ولده بوصية آدم: أن لا يضع هذا النور إلا في المطهرات من النساء، ولم تزل هذه الوصية جارية، تنقل من قرن إلى قرن، إلى أن أدى الله النور إلى عبد المطلب وولده عبد الله، وطهر الله سبحانه هذا النسب الشريف من سفاح الجاهلية، كما ورد عنه ﷺ في الأحاديث المرضية.

قال ابن عباس ـ فيما رواه البيهقي في سننه ـ قال رسول الله ﷺ **«ما ولدني من سفاح الجاهلية شيء، ما ولدني إلا نكاح الإسلام»**[2].

والسفاح ـ بكسر السين المهملة ـ: الزنا، والمراد به هاهنا: أن المرأة تسافح رجلاً مدة، ثم يتزوجها بعد ذلك.

وروى ابن سعد وابن عساكر عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي[3]، عن أبيه قال: كتبت للنبي ﷺ خمسمائة أم، فما وجدت فيهن سفاحاً ولا شيئاً مما كان في أمر الجاهلية.

وعن علي بن أبي طالب أن النبي ﷺ قال: **«خرجت من نكاح، ولم أخرج من**

---

(١) انظر زاد المعاد بشرح المواهب ١/ ٤٨.

(٢) اخرجه البيهقي في سننه ٧/ ١٩٠ وفي المعجم الكبير للطبراني ١٠/ ٣٩٩ وكنز العمال (٣٢٠١٨).

(٣) هو هشام بن محمد أبي النضر ابن السائب ابن بشر الكلبي أبو المنذر مؤرخ عالم بالأنساب وأخبار العرب توفي في الكوفة سنة (٢٠٤ هـ). الأعلام ٨/ ٨٧ وفيات الأعيان ٢/ ١٩٥ ومعجم الأدباء ٥/ ٥٩٥ رقم الترجمة (١٠١٦) مرآة الجنان ٢/ ٢٩ تاريخ بغداد ١٤/ ٤٥.

سفاح من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي، لم يصبني من نكاح أهل الجاهلية شيء»[1] رواه الطبراني في الأوسط، وأبو نعيم وابن عساكر.

وروى أبو نعيم، عن ابن عباس، مرفوعاً: «**لم يلتق أبواي قط على سفاح، لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة، مصفى مهذباً، لا تتشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما**»[2].

وعنه في قوله تعالى: ﴿**وتقلبك في الساجدين**﴾ [الشعراء: ٢١٩]. قال: من نبي إلى نبي حتى أخرجتك نبياً[3]. رواه البزار[4].

وعنه أيضاً في الآية قال: ما زال النبي ﷺ يتقلب في أصلاب الأنبياء حتى ولدته أمه. رواه أبو نعيم.

وعن جعفر بن محمد عن أبيه، في قوله تعالى: ﴿**لقد جاءكم رسول من أنفسكم**﴾ [التوبة: ١٢٨] قال: لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية، قال: وقال النبي ﷺ: «**خرجت من نكاح غير سفاح**».

وعن أنس[5] قال: قرأ رسول الله ﷺ ﴿**لقد جاءكم رسول من أنفَسكم**﴾ ـ بفتح الفاء ـ وقال: أنا أنفسكم نسباً وطهراً وحسباً، ليس في آبائي من لدن آدم سفاح، كلنا نكاح. رواه ابن مردوية[6].

وفي الدلائل لأبي نعيم، عن عائشة عنه ﷺ عن جبريل قال: «**قلبت مشارق الأرض ومغاربها، فلم أر رجلاً أفضل من محمد، ولم أر بني أب أفضل من بني هاشم**»[7] كذا

---

(١) انظر كنز العمال (٣١٨٦٨ ـ ٣١٨٧٠) تاريخ جرجان ٣٦١ دلائل النبوة لأبي نعيم ١/ ١١.

(٢) ذكره ابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق ١/ ٣٤٩ والدر المنثور ٣/ ٢٩٤ و ٥/ ٩٨ والحاوي للفتاوي ٢/ ٣٦٨.

(٣) انظر تفسير البغوي ٣/ ٣٤٤ وتفسير ابن كثير ٣/ ٣٥٢.

(٤) هو أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البصري أبو بكر البزار حافظ عالم بالحديث توفي في الرملة سنة (٢٩٢ هـ). الأعلام ١/ ١٨٩ شذرات الذهب ٢/ ٩ تذكرة الحفاظ ٢/ ٦٥٣ رقم الترجمة (٦٧٥).

(٥) هو أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم البخاري الخزرجي الأنصاري أبو ثمامة أو أبو حمزة (١٠ ق. هـ ـ ٩٣ هـ). صحابي خادم الرسول. مات بالبصرة. الأعلام ٢/ ٢٤ طبقات ابن سعد ٧/ ٣٢ رقم الترجمة (٢٨٧٧) شذرات الذهب ١/ ١٠٠ تذكرة الحفاظ ١/ ٤٤ رقم الترجمة (٢٣).

(٦) هو أحمد بن موسىٰ بن مردويه الأصبهاني أبو بكر ويقال له ابن مردويه الكبير (٣٢٣ ـ ٤١٠ هـ) حافظ مؤرخ مفسر. الأعلام ١/ ٢٦١ تذكرة الحفاظ ٣/ ١٠٥٠ رقم الترجمة (٩٦٥) شذرات الذهب ٣/ ١٩٠ طبقات المفسرين ١/ ٩٤ رقم الترجمة (٨٧).

(٧) انظر مجمع الزوائد ٨/ ٢١٧ ومناهل الصفا ٣١ رقم الحديث (٧).

أخرجه الطبراني في الأوسط. قال الحافظ شيخ الإسلام ابن حجر[1]: لوائح الصحة ظاهرة على صفحات هذا المتن.

وفي البخاري عن أبي هريرة، عنه ﷺ **«بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرنا، حتى كنت من القرن الذي كنت منه»**[2].

وفي مسلم عن واثلة بن الأسقع[3] قال ﷺ: **«إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم»**[4] رواه الترمذي.

وعن العباس قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله خلق الخلق، فجعلني في خير فرقهم، وخير الفريقين، ثم تخير القبائل فجعلني في خير القبيلة، ثم تخير البيوت فجعلني في خير بيوتهم، فأنا خيرهم نفساً، وخيرهم بيتاً»**[5] رواه الترمذي هكذا منفرداً به وقال: حديث حسن. أي خيرهم روحاً وذاتاً، وخيرهم بيتاً أي أصلاً.

وفي حديث رواه الطبراني عن ابن عمر[6] قال: **«إن الله اختار خلقه فاختار منهم بني آدم، ثم اختار بني آدم فاختار منهم العرب، ثم اختارني من العرب، فلم أزل خياراً من خيار، ألا من أحب العرب فبحبي أحبهم، ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم»**[7].

---

(١) هو أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني أبو الفضل شهاب الدين بن حجر (٧٧٣ ـ ٨٥٢ هـ) عالم بالتاريخ والأدب ثم طلب الحديث. توفي بالقاهرة. الأعلام ١/١٧٨ الضوء اللامع ٢/٣٦ رقم الترجمة (١٠٤) شذرات الذهب ٧/١٠٨. الدرر الكامنة ٤/٤٩٢.

(٢) أخرجه البخاري كتاب المناقب باب (٢٣) رقم الحديث (٣٥٥٧).

(٣) هو واثلة بن الأسقع بن عبد العزى بن عبد ياليل الليثي الكناني (٢٢ ق. هـ ـ ٨٣ هـ) صحابي من أهل الصفة. توفي في القدس أو دمشق. الأعلام ٨/١٠٧ الإصابة ٦/٣١٠ رقم الترجمة (٩٠٨٨) حلية الأولياء ٢/٢١ رقم الترجمة (١٢٠).

(٤) أخرجه الترمذي كتاب المناقب باب في فضل النبي رقم الحديث (٣٦٠٥). وأحمد بن حنبل في مسنده ٤/١٠٧.

(٥) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب باب (١) رقم الحديث (٣٦٠٧) وهو باختلاف يسير. وانظر الشفا ١/٨٢ ومناهل الصفا ٥٣ رقم الحديث (١٢٥).

(٦) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي أبو عبد الرحمن. (١٠ ق. هـ ـ ٧٣ هـ) صحابي توفي بمكة. الأعلام ٤/١٠٨ الإصابة ٤/١٠٧ رقم الترجمة (٤٨٢٥) وفيات الأعيان ١/٢٤٦. طبقات ابن سعد ٤/١٠٥ رقم الترجمة (٤٠٢) تذكرة الحفاظ ١/٣٧ رقم الترجمة (١٧) شذرات الذهب ١/٨١ وفيه وفاته (٧٤ هـ).

(٧) انظر الشفا ١/٨٢ وانظر مناهل الصفا ٥٣ رقم الحديث (١٢٧) وانظر الطبراني ١٢/٤٥٥ والمستدرك ٤/٨٦ وفي مجمع الزوائد ٨/٢١٥.

ثم اعلم أنه عليه الصلاة والسلام لم يشركه في ولادته من أبويه أخ ولا أخت، لانتهاء صفوتهما إليه، وقصور نسبهما عليه، ليكون مختصاً بنسب جعله الله تعالى للنبوة غاية، ولتمام الشرف نهاية، وأنت إذا اختبرت حال نسبه الشريف، وعلمت طهارة مولده تيقنت أنه سلالة آباء كرام.

فهو ﷺ النبي العربي الأمي الأبطحي الحرمي الهاشمي القرشي، نخبة بني هاشم، المختار المنتخب من خير بطون العرب وأعرقها في النسب، وأشرفها في الحسب، وأنضرها عوداً، وأطولها عموداً، وأطيبها أرومة، وأعزها جرثومة، وأفصحها لساناً، وأوضحها بياناً، وأرجحها ميزاناً، وأصحها إيماناً، وأعزها نفراً، وأكرمها معشراً، من قبل أبيه وأمه، ومن أكرم بلاد الله على الله وعلى عباده.

● فهو محمد بن عبد الله، الذبيح.

● ابن عبد المطلب، واسمه شيبة الحمد، في قول ابن إسحاق[1]، وهو الصحيح، وقيل سمي به لأنه ولد وفي رأسه شيبة.

وقيل: اسمه عامر، وهو قول ابن قتيبة[2]، وتابعه عليه المجد الشيرازي[3]، وكنيته أبو الحارث، بابن له أكبر ولده.

قيل: وإنما قيل له عبد المطلب، لأن أباه هاشماً قال لأخيه المطلب، وهو بمكة، حين حضرته الوفاة: أدرك عبدك بيثرب، فمن ثم سمي عبد المطلب، وقيل: إن عمه المطلب جاء به إلى مكة رديفه ـ وهو بهيئة بذة ـ فكان يُسأل عنه فيقول: هو عبدي، حياء أن يقول: هو ابن أخي، فلما أدخله وأحسن من حاله، أظهر أنه ابن أخيه، فلذلك قيل له: عبد المطلب.

وهو أول من خضب بالسواد من العرب، وعاش مائة وأربعين سنة.

---

(١) هو محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء المدني من حفاظ الحديث مؤرخ توفي في بغداد سنة (١٥١ هـ) كان قدرياً. الأعلام ٦/ ٢٨ شذرات الذهب ١/ ٢٣٠ وفيات الأعيان ١/ ٤٨٣ تذكرة الحفاظ ١/ ١٧٢ رقم الترجمة (١٦٧) تاريخ بغداد ١/ ٢١٤ معجم الأدباء ٥/ ٢١٩ رقم الترجمة (٨١٥) وطبقات المدلسين صفحة ١٩.

(٢) هو أحمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري أبو جعفر قاض أديب حفظ كتب أبيه في غريب القرآن والحديث والأدب والأخبار توفي في مصر سنة (٣٢٢ هـ) الأعلام ١/ ١٥٦ معجم الأدباء ١/ ٣٩٤ رقم الترجمة (٩٦) بغية الوعاة صفحة ١٣٧ تاريخ بغداد ٤/ ٢٢٩.

(٣) هو محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر أبو طاهر مجد الدين الشيرازي الفيروز آبادي. (٧٢٩ ـ ٨١٧ هـ) لغوي أديب توفي في زبيد. الأعلام ٧/ ١٤٦ الضوء اللامع ١٠/ ٧٩ رقم الترجمة (٢٧٤) بغية الوعاة (١١٧) مفتاح السعادة ١/ ١٠٣ كشف الظنون ١٦٥٧.

● ابن هاشم، واسمه عمرو، وإنما قيل له هاشم لأنه كان يهشم الثريد لقومه في الجدب.

● ابن عبد مناف، واسمه المغيرة.

●ابن قصي - بفتح الصاد - تصغير قصي، أي بعيد، لأنه بعد عن عشيرته في بلاد قضاعة، حين احتملته أمه فاطمة، واسمه مجمع، قال الشاعر:

أبوكم قصي كان يدعى مجمعاً ... به جمع الله القبائل من فهر

وقيل زيد، وقال الشافعي[1]، كما حكاه عنه الحاكم أبو أحمد[2]: يزيد.

● ابن كلاب، وهو إما منقول من المصدر الذي في معنى المكالبة، نحو: كالبت العدو مكالبة، وإما من الكلاب: جمع كلب، لأنهم يريدون الكثرة، كما تسموا بسباع.

وسئل أعرابي: لم تسمون أبناءكم بشر الأسماء، نحو كلب وذئب، وعبيدكم بأحسن الأسماء، نحو: مرزوق ورباح؟ فقال: إنما نسمي أبناءنا لأعدائنا وعبيدنا لأنفسنا. يريدون أن الأبناء عدة للأعداء، وسهام في نحورهم، فاختاروا لهم هذه الأسماء.

واسم كلاب: حكيم، وقيل: عروة.

● ابن مرة.

● ابن كعب، وهو أول من جمع يوم العروبة، وكانت تجتمع إليه قريش في هذا اليوم، فيخطبهم ويذكرهم بمبعث النبي ﷺ ويعلمهم بأنه من ولده، ويأمرهم باتباعه والإيمان به، وينشد في ذلك أبياتاً منها:

يا ليتني شاهد فحواء دعوته ... حين العشيرة تبغي الحق خذلانا

● ابن لؤي، تصغير اللأي بوزن العصا، وهو الثور.

● ابن غالب.

---

(١) هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان ابن شافع الهاشمي القرشي المطلبي أبو عبد الله (١٥٠ - ٢٠٤ هـ) أحد الأئمة الأربعة مناقبه كالشمس توفي في القاهرة. الأعلام ٦/ ٢٦ تذكرة الحفاظ ١/ ٣٦١ رقم الترجمة (٣٥٤) وفيات الأعيان ٢/ ٤٤٧ معجم الأدباء ٥/ ١٩٠ رقم الترجمة (٨١٣) حلية الأولياء ٩/ ٦٣ رقم الترجمة (٤١٥) شذرات الذهب ٢/ ٩ طبقات المفسرين ٢/ ١٠٢ رقم الترجمة (٤٦١). تاريخ بغداد ٢/ ٥٦ مرآة الجنان ٢/ ١٣ طبقات الشافعية ١/ ١٨٥.

(٢) هو محمد بن محمد بن إسحاق أبو أحمد النيسابوري الكرابيسي يعرف بالحاكم الكبير (٢٥٨ - ٣٧٨ هـ) محدث حافظ. توفي في نيسابور. الأعلام ٧/ ٢٠ شذرات الذهب ٣/ ٩٣ نكت الهميان ٢٧٠ تذكرة الحفاظ ٣/ ٩٧٦ رقم الترجمة (٩١٤).

● ابن فهر، واسمه قريش، وإليه تنسب قريش، فما كان فوقه فكناني لا قرشي على الصحيح.

● ابن مالك.

● ابن النضر، واسمه قيس.

● ابن كنانة.

● ابن خزيمة، تصغير خزمة.

● ابن مدركة.

● ابن إلياس، بكسر الهمزة في قول ابن الأنباري[1]، وبفتحها في قول قاسم بن ثابت[2]، ضد الرجاء، واللام فيه للتعريف والهمزة للوصل، قال السهيلي[3]: وهذا أصح. وهو أول من أهدى البدن إلى البيت الحرام، ويذكر أنه كان يسمع في صلبه تلبية النبي ﷺ بالحج؟!

● ابن مضر، وهو أول من سن الحداء للإبل، وكان من أحسن الناس صوتاً.

● ابن نزار ـ بكسر النون ـ من النزر، وهو القليل، قيل لأنه لما ولد، ونظر أبوه إلى نور محمد ﷺ بين عينيه فرح فرحاً شديداً، وأطعم وقال: إن هذا كله نزر، أي قليل لحق هذا المولود، فسمي نزاراً لذلك.

● ابن معد.

● ابن عدنان.

قال ابن دحية[4]: أجمع العلماء ـ والإجماع حجة ـ على أن رسول الله ﷺ إنما انتسب إلى عدنان ولم يتجاوزه. انتهى.

---

(١) هو محمد بن القاسم بن محمد بن بشار أبو بكر الأنباري (٢٧١ ـ ٣٢٨ هـ) أديب لغوي توفي في بغداد. الأعلام ٦/ ٣٣٤ وفيات الأعيان ١/ ٥٠٢ بغية الوعاة ١/ ٢١٢ تذكرة الحفاظ ٣/ ٨٤٢ رقم الترجمة (٨٢١) معجم الأدباء ٥/ ٤١٠ رقم الترجمة (٩٠٤) أنباة الرواة ٣/ ٢٠١ تاريخ بغداد ٣/ ١٨١ شذرات الذهب ٢/ ٣١٥ مرآة الجنان ٢/ ٢٩٤ طبقات المفسرين ٢/ ٢٢٧ رقم الترجمة (٥٦٢) والمنتظم ١٣/ ٣٩٧ رقم الترجمة (٢٤٢٧).

(٢) هو قاسم بن ثابت بن حزم العوفي السرقسطي أبو محمد (٢٥٥ ـ ٣٠٢ هـ) عالم بالحديث واللغة توفي في سرقسطة. الأعلام ٥/ ١٧٤ نفح الطيب ١/ ٣٤٦.

(٣) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي السهيلي أبو القاسم (٥٠٨ ـ ٥٨١ هـ) حافظ لغوي عالم بالتفسير. توفي بمراكش. الأعلام ٣/ ٣١٣، وفيات الأعيان ١/ ٢٨٠. تذكرة الحفاظ ٤/ ١٣٤٨ رقم الترجمة (١٠٩٩) طبقات المفسرين ١/ ٢٧٢ رقم الترجمة (٢٥٧). شذرات الذهب ٤/ ٢٧١، أنباه الرواة ٢/ ١٦٢ مرآة الجنان ٣/ ٤٢٢.

(٤) هو عمر بن الحسن بن علي بن محمد أبو الخطاب بن دحية الكلبي، (٥٤٤ ـ ٦٣٣ هـ) أديب مؤرخ=

ولله در القائل:

ونسبة عز هاشم من أصولها ... ومحتدها المرضي أكرم محتد
سمت رتبة علياء أعظم بقدرها ... ولم تسم إلا بالنبي محمد

ويرحم الله القائل:

وكم أب قد علا بابن ذرى شرف ... كما علت برسول الله عدنان[1]

وعن ابن عباس أنه ﷺ كان إذا انتسب لم يجاوز معد بن عدنان، ثم يمسك ويقول: «**كذب النسابون مرتين أو ثلاثاً**» رواه في مسند الفردوس. لكن قال السهيلي: الأصح في هذا الحديث أنه من قول ابن مسعود[2].

وقال غيره: كان ابن مسعود إذا قرأ قوله تعالى: ﴿**ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله**﴾ [إبراهيم: ٩] قال: كذب النسابون[3]، يعني أنهم يدعون علم الأنساب ونفى الله علمها عن العباد.

وروي عن عمر أنه قال: إنما ينتسب إلى عدنان وما فوق ذلك لا ندري ما هو.

وعن ابن عباس: بين عدنان وإسماعيل ثلاثون أباً لا يعرفون.

وعن عروة بن الزبير[4]: ما وجدنا أحداً يعرف بعد معد بن عدنان.

وسئل مالك[5] ـ رحمه الله ـ عن الرجل يرفع نسبة إلى آدم، فكره ذلك، وقال من

= حافظ توفي بالقاهرة. الأعلام ٥/ ٤٤ وفيات الأعيان ١/ ٣٨١. شذرات الذهب ٥/ ١٦٠. نفح الطيب ١/ ٣٦٨ حسن المحاضرة ١/ ٢٠١.

(١) انظر ديوان ابن الرومي ٦/ ١٧٩ وخزانة الأدب ١١/ ٣٨ ومغني اللبيب ١/ ١١٨ وبلا نسبة في تخليص الشواهد صفحة ١٨٧.

(٢) هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي أبو عبد الرحمن صحابي توفي في المدينة سنة (٣٢ هـ). الأعلام ٤/ ١٣٧ الإصابة ٤/ ١٢٩ رقم الترجمة (٤٩٤٥) حلية الأولياء ١/ ١٢٤ رقم الترجمة (٢١) شذرات الذهب ١/ ٣٨ طبقات ابن سعد ٣/ ١١١ رقم الترجمة (٤١) تاريخ بغداد ١/ ١٤٧.

(٣) انظر تفسير البغوي ٣/ ٢٢ وتفسير ابن كثير ٢/ ٥٢٤.

(٤) هو عروة بن الزبير بن العوام الأسدي القرشي أبو عبد الله (٢٢ ـ ٩٣ هـ). تابعي ـ فقيه ـ حافظ. توفي بالمدينة. الأعلام ٤/ ٢٢٦ وفيات الأعيان ١/ ٣١٦. حلية الأولياء ٢/ ١٧٦ رقم الترجمة (١٧١) شذرات الذهب ١/ ١٠٣ وفيه توفي سنة (٩٤ هـ). طبقات ابن سعد ٥/ ١٣٦ رقم الترجمة (٧٢٩).

(٥) هو مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الحميري، أبو عبد الله (٩٣ ـ ١٧٩ هـ) عالم. محدث ـ فقيه توفي في المدينة. الأعلام ٥/ ٢٥٧ وفيات الأعيان ١/ ٤٣٩. حلية الأولياء ٦/ ٣١٦ رقم الترجمة=

أخبره بذلك؟ وكذا روي عنه في رفع نسب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

فالذي ينبغي لنا، الإعراض عما فوق عدنان، لما فيه من التخليط والتغيير للألفاظ، وعواصة تلك الأسماء، مع قلة الفائدة.

وقد ذكر الحافظ أبو سعد النيسابوري[1] عن أبي بكر بن أبي مريم عن سعيد بن عمرو الأنصاري[2] عن أبيه عن كعب الأحبار: أن نور رسول الله ﷺ لما صار إلى عبد المطلب وأدرك، نام يوماً في الحجر فانتبه مكحولاً مدهوناً، قد كسي حلة البهاء والجمال، فبقي متحيراً لا يدري من فعل به ذلك، فأخذه أبوه بيده ثم انطلق به إلى كهنة قريش فأخبرهم بذلك، فقالوا له: اعلم أن إله السماوات قد أذن لهذا الغلام أن يتزوج، فزوجه قيلة فولدت له الحارث ثم ماتت، فزوجه بعدها هند بنت عمرو، وكان عبد المطلب يفوح منه رائحة المسك الإذفر، ونور رسول الله ﷺ يضيء في غرته، وكانت قريش إذا أصابها قحط تأخذ بيد عبد المطلب فتخرج به إلى جبل ثبير فيتقربون به إلى الله تعالى، ويسألونه أن يسقيهم الغيث، فكان يغيثهم ويسقيهم ببركة نور محمد ﷺ غيثاً عظيماً.

ولما قدم أبرهة[3] ملك اليمن ـ من قبل أصحمة النجاشي ـ لهدم بيت الله الحرام، وبلغ عبد المطلب ذلك، قال: يا معشر قريش، لا يصل إلى هدم البيت، لأن لهذا البيت رباً يحميه ويحفظه.

ثم جاء أبرهة فاستاق إبل قريش حتى طلع جبل ثبير، فاستدارت دائرة غرة رسول الله ﷺ على جبينه كالهلال واشتد شعاعها على البيت الحرام مثل السراج، فلما نظر عبد المطلب إلى ذلك قال: يا معشر قريش: ارجعوا فقد كفيتم هذا الأمر، فوالله ما استدار هذا النور مني إلا أن يكون الظفر لنا، فرجعوا متفرقين.

ثم إن أبرهة أرسل رجلاً من قومه ليهزم الجيش، فلما دخل مكة ونظر إلى وجه عبد المطلب خضع وتلجلج لسانه وخر مغشياً عليه، فكان يخور كما يخور الثور عند ذبحه، فلما أفاق خر ساجداً لعبد المطلب، وقال: أشهد أنك سيد قريش حقاً.

= (٣٨٦) شذرات الذهب ١/ ٢٨٩ طبقات ابن سعد ٥/ ٤٦ رقم الترجمة (٦٣٩) طبقات المفسرين ٢/ ٢٩٤ رقم الترجمة (٦١٣) تذكرة الحفاظ ١/ ٢٠٧ رقم الترجمة (١٩٩).

(١) هو عبد الرحمن بن حسن الأصبهاني النيسابوري أبو سعد، حافظ توفي سنة (٣٠٧ هـ). انظر الأعلام ٣/ ٣٠٤.

(٢) هو سعيد بن عمرو بن شرحبيل الأنصاري السعدي. انظر الكاشف ١/ ٢٩٣ رقم الترجمة (١٩٥٩).

(٣) انظر السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٤٣ وانظر شرح المواهب ١/ ٨٣.

وروي: أنه لما حضر عبد المطلب عند أبرهة أمر سايس فيله الأبيض العظيم الذي كان لا يسجد للملك أبرهة كما تسجد سائر الفيلة أن يحضره بين يديه، فلما نظر الفيل إلى وجه عبد المطلب، برك كما يبرك البعير، وخر ساجداً، وأنطق الله تعالى الفيل، فقال: السلام على النور الذي في ظهرك يا عبد المطلب، كذا في النطق المفهوم.

ولما دخل جيش أبرهة ومعهم الفيل لهدم الكعبة الشريفة برك الفيل، فضربوه في رأسه ضرباً شديداً ليقوم فأبىء فوجهوه راجعاً إلى اليمن فقام.

ثم أرسل الله عليهم طيراً أبابيل من البحر، مع كل طائر منها ثلاثة أحجار، حجر في منقاره وحجران في رجليه كأمثال العدس، لا تصيب أحداً منهم إلا أهلكته، فخرجوا هاربين يتساقطون بكل طريق.

وأصيب أبرهة في جسده بداء، فتساقطت أنامله أنملة أنملة، وسال منه الصديد والقيح والدم، وما مات حتى انصدع قلبه.

وإلى هذه القصة أشار سبحانه وتعالى بقوله لنبيه ﷺ: ﴿**ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل**﴾ [الفيل: ١ ـ ٥] السورة إلى آخرها.

فإن قلت: لم قال الله تعالى له عليه الصلاة والسلام: ﴿**ألم تر كيف** . .﴾ [الفيل: ١] مع أن هذه القصة كانت قبل البعث بزمان طويل؟

فالجواب أن المراد من الرؤية هنا: العلم والتذكر، وهو إشارة إلى أن الخبر به متواتر، فكأن العلم الحاصل به ضروري، مساوٍ في القوة للرؤية.

وقد كانت هذه القصة دالة على شرف سيدنا محمد ﷺ وتأسيساً لنبوته وإرهاصاً لها، وإعزازاً لقومه بما ظهر عليهم من الاعتناء حتى دانت لهم العرب، واعتقدت شرفهم وفضلهم على سائر الناس، بحماية الله عز وجل لهم، ودفعه عنهم مكر أبرهة، الذي لم يكن لسائر العرب بقتاله قدرة، وكان ذلك كله إرهاصاً لنبوته عليه الصلاة والسلام.

قال الرازي[1]: ومذهبنا أنه يجوز تقديم المعجزات على زمان البعثة تأسيساً، قال: ولذلك قالوا: كانت الغمامة تظله عليه الصلاة والسلام، يعني قبل بعثته.

---

(١) هو محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري أبو عبد الله فخر الدين الرازي (٥٤٤ ـ ٦٠٦ هـ) مفسر عالم في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل. توفي في هراة. الأعلام ٦/٣١٣ وفيات الأعيان ١/٤٧٤ مفتاح السعادة ١/٤٤٥ معجم المطبوعات ٩١٥ طبقات الشافعية ٥/٣٣ روضات الجنات ٤/٩٠.

وخالفه العلامة السيد[1] في شرح المواقف ـ تبعاً لغيرة ـ فاشترط في المعجز أن لا يتقدم على الدعوى، بل يكون مقارناً لها. كما سيأتي إن شاء الله في المقصد الرابع.

فإن قلت: إن الحجاج[2] خرب الكعبة ولم يحدث شيء من ذلك!!

فالجواب: أن ذلك وقع إرهاصاً لأمر نبينا ﷺ، والإرهاص إنما يحتاج إليه قبل قدومه، فلما ظهر عليه الصلاة والسلام، وتأكدت نبوته بالدلائل القطعية فلا حاجة إلى شيء من ذلك، والله أعلم.

ولما فرج الله عن عبد المطلب، ورجع أبرهة خائباً، فبينما هو يوماً نائم في الحجر، إذ رأى مناماً عظيماً، فانتبه فزعاً مرعوباً، وأتى كهنة قريش، وقص عليهم رؤياه، فقالت له الكهنة: إن صدقت رؤياك ليخرجن من ظهرك من يؤمن به أهل السماوات والأرض وليكونن في الناس علماً مبيناً. فتزوج فاطمة. وحملت في ذلك الوقت بعبد الله الذبيح، وقصته في ذبحه مشهورة مخرجة عند الرواة مسطورة[3].

وكان سببها حفر أبيه عبد المطلب زمزم، لأن الجرهمي عمرو بن الحارث لما أحدث قومه بحرم الله الحوادث، وقيض الله لهم من أخرجهم من مكة، فعمد عمرو بن الحارث إلى نفائس فجعلها في زمزم وبالغ في طمها، وفر إلى اليمن بقومه، فلم تزل زمزم من ذلك العهد مجهولة إلى أن رفعت عنها الحجب برؤيا منام رآها عبد المطلب، دلته على حفرها بأمارات عليها.

فمنعته قريش من ذلك، ثم آذاه من السفهاء من آذاه، فاشتد بذلك بلواه، ومعه ولده الحارث ولم يكن له ولد سواه، فنذر لئن جاءه عشرة بنين وصاروا له أعواناً ليذبحن أحدهم لله قرباناً. ثم احتفر عبد المطلب زمزم فكانت له فخراً وعزاً.

فلما تكامل بنوه عشرة وهم: الحارث والزبير وحجل وضرار والمقوم وأبو لهب والعباس وحمزة وأبو طالب وعبد الله، وقر الله عينه بهم، نام ليلة عند الكعبة المطهرة فرأى في المنام قائلاً يقول: يا عبد المطلب: أوف بنذرك لرب هذا البيت، فاستيقظ فزعاً مرعوباً، وأمر بذبح كبش وأطعمه للفقراء والمساكين. ثم نام فرأى: أن قرب ما هو أكبر

(١) هو علي بن محمد بن علي السيد الزين أبو الحسن الحسيني المعروف بالجرجاني الحنفي ويعرف بالسيد الشريف. (٧٤٠ ـ ٨١٦ هـ) فيلسوف من العلماء بالعربية. توفي بشيراز. الأعلام ٥/٧ الضوء اللامع ٥/٣٢٨ رقم الترجمة (١٠٧٨) مفتاح السعادة ١/١٦٧ معجم المطبوعات ٦٧٨.

(٢) هو الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي أبو محمد (٤٠ ـ ٩٥ ـ هـ) قائد وخطيب. مات بواسط. الأعلام ٢/١٦٨ وفيات الأعيان ١/١٢٣ تهذيب تاريخ دمشق ٤/٤٨.

(٣) انظر السيرة النبوية لابن هشام ١/١٦٠ والبداية والنهاية ١/١٤٧.

من ذلك، فاستيقظ من نومه وقرب ثوراً، ثم نام فرأى: أن قرب ما هو أكبر من ذلك، فانتبه وقرب جملاً، وأطعمه للمساكين، ثم نام: فنودي: أن قرب ما هو أكبر من ذلك، فقال: ما أكبر من ذلك فقال: قرب أحد أولادك الذي نذرته.

فاغتم غماً شديداً، وجمع أولاده، وأخبرهم بنذره، ودعاهم إلى الوفاء، فقالوا: إنا نطيعك، فمن تذبح منا؟ فقال: ليأخذ كل واحد منكم قدحاً ـ والقدح: سهم بغير نصل ـ ثم ليكتب فيه اسمه، ثم ائتوا به، ففعلوا، وأخذوا أقداحهم ودخلوا على هبل [اسم صنم عظيم].

وكان في جوف الكعبة، وكانوا يعظمونه، ويضربون بالقداح عنه، فيستقسمون بها، أي يرتضون بما يقسم لهم، ثم يضرب بها القيم الذي لها ـ قال: فدفع عبد المطلب إلى ذلك القيم القداح وقام يدعو الله تعالى، فخرج على عبد الله، وكان أحب ولده إليه.

فقبض عبد المطلب على يد ولده عبد الله، وأخذ الشفرة ثم أقبل إلى إساف ونائلة ـ صنمين عند الكعبة ينحر ويذبح عندهما النسائك ـ فقام إليه سادة قريش فقالوا: ما تريد أن تصنع؟ فقال: أوفي بنذري، فقالوا: لا ندعك أن تذبحه حتى تعذر فيه إلى ربك، ولئن فعلت هذا لا يزال الرجل يأتي بابنه فيذبحه وتكون سنة. وقالوا له: انطلق إلى فلانة الكاهنة ـ قلت: قيل اسمها: قطبة، كما ذكره الحافظ عبد الغني[1] في كتاب المبهمات، وذكر ابن إسحاق أن اسمها: سجاح ـ فلعلها أن تأمرك بأمر فيه فرج لك.

فانطلقوا حتى أتوها بخيبر، فقص عليها عبد المطلب القصة، فقالت: كم الدية فيكم؟ قالوا: عشرة من الإبل، فقالت: ارجعوا إلى بلادكم ثم قربوا صاحبكم ثم قربوا عشرة من الإبل، ثم اضربوا عليه وعليها بالقداح، فإن خرجت القداح على صاحبكم فزيدوا في الإبل ثم اضربوا أيضاً، هكذا حتى يرضى ربكم. فإذا خرجت على الإبل فانحروها فقد رضي ربكم وتخلص صاحبكم.

فرجع القوم إلى مكة، وقربوا عبد الله، وقربوا عشرة من الإبل، وقام عبد المطلب يدعو، فخرجت القداح على ولده، ولم يزل يزيد عشراً عشراً حتى بلغت مائة فخرجت القداح على الإبل. فنحرت الإبل وتركت، لا يصد عنها إنسان ولا طائر ولا سبع.

ولهذا روي ـ كما عند الزمخشري في الكشاف ـ أنه ﷺ قال: «**أنا ابن الذبيحين**»[2].

---

(١) هو عبد الغني بن سعيد بن علي الأزدي أبو محمد (٣٣٢ ـ ٤٠٩ هـ) حافظ وعالم بالأنساب وفاته بالقاهرة. الأعلام ٤/ ٣٣ وفيات الأعيان ١/ ٣٠٥.

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٢٨١ وفي تفسير القرطبي ١٥/ ١١٣ وفي السلسلة الضعيفة للألباني ٣٣١ وكشف الخفا للعجلوني ١/ ٢٣٠ والضعفاء للعقيلي ٣/ ٩٤ والكشاف لابن حجر ١٤١.

وعند الحاكم في المستدرك، عن معاوية بن أبي سفيان[1]: كنا عند رسول الله ﷺ فأتاه أعرابي، فقال: يا رسول الله، خلفت البلاد يابسة، والماء يابساً، هلك المال وضاع العيال، فعد عليَّ مما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين. قال: فتبسم رسول الله ﷺ ولم ينكر عليه. الحديث، وتأتي تتمته قريباً إن شاء الله تعالى.

ويعني بالذبيحين: عبد الله وإسماعيل بن إبراهيم.

وإن كان قد ذهب بعض العلماء إلى أن الذبيح إسحاق[2].

فإن صح هذا، فالعرب تجعل العم أباً، قال الله تعالى إخباراً عن بني يعقوب عليه السلام: **﴿أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي، قالوا: نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق﴾** [البقرة: ١٣٣].

وفي حديث معاوية ـ الموعود بتتمته قريباً ـ قال معاوية: إن عبد المطلب لما أمر بحفر زمزم نذر لله إن سهل الأمر بها أن ينحر بعض ولده، فأخرجهم فأسهم بينهم فخرج السهم لعبد الله، فأراد ذبحه فمنعه أخواله من بني مخزوم، وقالوا أرضِ ربك، وافد ابنك، ففداه بمائة ناقة، فهو الذبيح الأول وإسماعيل الذبيح الثاني.

قال ابن القيم[3]: «ومما يدل على أن الذبيح إسماعيل، أنه لا ريب أن الذبح كان بمكة، ولذلك جعل القرابين يوم النحر بها، كما جعل السعي بين الصفا والمروة ورمي الجمرات تذكيراً بشأن إسماعيل وأمه، وإقامة لذكر الله تعالى، ومعلوم أن إسماعيل وأمه هما اللذان كانا بمكة دون إسحاق وأمه».

ثم قال: «ولو كان الذبح بالشام ـ كما يزعم أهل الكتاب، ومن تلقى عنهم ـ لكانت القرابين والنحر بالشام لا بمكة».

«وأيضاً فإن الله سمى الذبيح حليماً، لأنه لا أحلم ممن سلم نفسه للذبح طاعة لربه، ولما ذكر إسحاق سماه: عليماً».

---

(١) هو معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي. (٢٠ ق. هـ ـ ٦٠ هـ). مؤسس الدولة الأموية في الشام. مات في دمشق. الأعلام ٧/ ٢٦١ أخباره كثيرة.

(٢) انظر زاد المعاد بشرح المواهب ١/ ٤٩.

(٣) هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن أسعد الزرعي الدمشقي أبو عبد الله ابن القيم الجوزية، (٦٩١ ـ ٧٥١ هـ) تلميذ ابن تيمية. وفاته في دمشق. الأعلام ٦/ ٥٦ الدرر الكامنة ٣/ ٤٠٠ رقم الترجمة (١٠٦٧) معجم المطبوعات ٢٢٢ وشذرات الذهب ٦/ ١٨٦.

«وأيضاً: فإن الله أجرى العادة البشرية: أن بكر الأولاد أحب إلى الوالدين ممن بعده، وإبراهيم لما سأل ربه الولد، ووهبه له تعلقت شعبة من قلبه بمحبته، والله تعالى قد اتخذ إبراهيم خليلاً، والخلة منصب يقتضي توحيد المحبوب بالمحبة، وأن لا يشارك فيها، فلما أخذ الولد شعبة من قلب الوالد جاءت غيرة الخلة تنزعها من قلب الخليل، فأمر بذبح المحبوب، فلما قدم على ذبحه، وكانت محبة الله أعظم عنده من محبة الولد خلصت الخلة حينئذ من شوائب المشاركة، فلم يبق في الذبح مصلحة، إذ كانت المصلحة إنما هي في العزم وتوطين النفس، وقد حصل المقصود فنسخ الأمر وفدي الذبيح، وصدق الخليل الرؤيا». انتهى.

وقد أنشد بعضهم فقال:

إن الذبيح - هديت - إسماعيل ... نطق الكتاب بذاك والتنزيل
شرف به خص الإله نبينا ... وأبانه التفسير والتأويل

وروي مما ذكره المعافى بن زكريا[1]، أن عمر بن عبد العزيز[2] سأل رجلاً أسلم من علماء اليهود: أي ابني إبراهيم أمر بذبحه؟ فقال: والله يا أمير المؤمنين، إن اليهود ليعلمون أنه إسماعيل، ولكنهم يحسدونكم معشر العرب أن يكون أباكم، للفضل الذي ذكره الله عنه، فهم يجحدون ذلك ويزعمون أنه إسحاق لأن إسحاق أبوهم. انتهى.

فانظر أيها الخليل ما في هذه القصة من السر الجليل، وهو أن الله تعالى يري عباده الجبر بعد الكسر، واللطف بعد الشدة، فإنه كان عاقبة صبر هاجر وابنها على البعد والوحدة والغربة والتسليم لذبح الولد، آلت إلى ما آلت إليه من جعل آثارهما ومواطىء أقدامهما مناسك لعباده المؤمنين، ومتعبدات لهم إلى يوم الدين، وهذه سنة الله تعالى فيمن يريد رفعته من خلقه بعد استضعافه وذله وانكساره وصبره، وتلقيه القضاء بالرضا فضلاً منه، قال الله تعالى: **﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم**

---

(١) هو المعافى بن زكريا بن يحيى الجريري النهرواني أبو الفرج المعروف بابن طرارة (٣٠٣ - ٣٩٠ هـ) قاض من الأدباء الفقهاء له شعر حسن. وفاته بالنهروان في العراق. الأعلام ٧/ ٢٦٠ وفيات الأعيان ٢/ ١٠٠ تاريخ بغداد ١٣/ ٢٣٠ إنباه الرواة ٣/ ٢٩٦ معجم الأدباء ٥/ ٥٠٧ رقم الترجمة (٩٥٣) طبقات المفسرين ٢/ ٣٢٣ رقم الترجمة (٦٣٧) تذكرة الحفاظ ٣/ ١٠١٠ رقم الترجمة (٩٤٣) مرآة الجنان ٢/ ٤٤٣.

(٢) هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي أبو حفص (٦١ - ١٠١ هـ) من ملوك الدولة المروانية الأموية. توفي في المعرة. الأعلام ٥/ ٥٠ فوات الوفيات ٣/ ١٣٣ رقم الترجمة (٣٧٥) حلية الأولياء ٥/ ٢٥٣ رقم الترجمة (٣٢٣) الأغاني ٩/ ٢٩٢ وفيات الأعيان ٢/ ١٢٨.

أئمة ونجعلهم الوارثين، ونمكن لهم في الأرض﴾ [القصص: ٥ و ٦] **﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾** [الجمعة: ٤].

وقد استشكل بعض الناس: أن عبد المطلب نذر نحر أحد بنيه إذا بلغوا عشرة، وقد كان تزويجه بهالة أم ابنه حمزة بعد وفائه بنذره، فحمزة والعباس ولدا عبد المطلب إنما ولدا بعد الوفاء بنذره، وإنما كان أولاده عشرة بهما.

قال السهيلي: ولا إشكال في هذا، فإن جماعة من العلماء قالوا: كان أعمامه عليه السلام اثني عشر، فإن صح هذا، فلا إشكال في الخبر، وإن صح قول من قال: كانوا عشرة لا يزيدون، فالولد يقع على البنين وبنيهم حقيقة لا مجازاً، فكان عبد المطلب قد اجتمع له من ولده وولد ولده عشرة رجال حين وفى بنذره.

ويقع في بعض السير أن عبد الله كان أصغر بني أبيه عبد المطلب. وهو غير معروف. ولعل الرواية أصغر بني أمه، وإلا فحمزة كان أصغر من عبد الله، والعباس أصغر من حمزة.

وروي عن العباس أنه قال: أذكر مولد رسول الله ﷺ وأنا ابن ثلاثة أعوام أو نحوها، فجيء به حتى نظرت إليه، وجعل النسوة يقلن لي: قبل أخاك، فقبلته.

فكيف يصح أن يكون عبد الله هو الأصغر؟!

ولكن رواه **البكائي**[1]، ولروايته وجه: وهو أن يكون أصغر ولد أبيه حين أراد نحره، ثم ولد له بعد ذلك حمزة والعباس.

---

(١) هو زياد بن عبد الله بن الطفيل القيسي العامري البكائي أبو محمد راوي السيرة النبوية عن محمد بن إسحاق كان ثقة في الحديث توفي سنة (١٨٣ هـ). الأعلام ٣/ ٥٤ وفيات الأعيان ١/ ١٥٩.



[آيات حمله ﷺ]

ولما انصرف عبد الله مع أبيه من نحر الإبل، مرَّ على امرأة من بني أُسد بن عبد العزى، وهي عند الكعبة، واسمها قتيلة ـ بضم القاف وفتح المثناة الفوقية ـ ويقال رقية بنت نوفل، فقالت له حين نظرت إلى وجهه، وكان أحسن رجل رؤي في قريش: لك مثل الإبل التي نحرت عنك وقع علي الآن، لما رأت في وجهه من نور النبوة، ورجت أن تحمل بهذا النبي الكريم ﷺ، فقال لها: أنا مع أبي، ولا أستطيع خلافه ولا فراقه[1]، وقيل: أجابها بقوله:

أمـــا الحـــرام فـــالممـــات دونـــه والحـــل لا حـــل فـــأستبينـــه
فكيـــف بـــالأمـــر الـــذي تبغينـــه **يحمـــي** الكـــريـــم عـــرضـــه ودينـــه

وعند أبي نعيم والخرائطي[2] وابن عساكر، من طريق عطاء[3] عن ابن عباس: لما خرج عبد المطلب بابنه عبد الله ليزوجه، مر به على كاهنة من تَبَالَة[4] متهودة قد قرأت الكتب، يقال لها: فاطمة بنت مر الخثعمية، فرأت نور النبوة في وجه عبد الله فقالت له . . . وذكر نحوه.

ثم خرج به عبد المطلب، حتى أتى به وهب بن عبد مناف بن زهرة ـ وهو يومئذ

---

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام ١/ ١٦٤.

(٢) هو محمد بن جعفر بن محمد بن سهل أبو بكر الخرائطي السامري (٢٤٠ ـ ٣٢٧ هـ) حافظ للحديث وفاته في مدينة يافا. الأعلام ٦/ ٧٠ شذرات الذهب ٢/ ٣٠٩ معجم الأدباء ٥/ ٢٧٧ رقم الترجمة (٨٣٣).

(٣) هو عطاء بن أبي رباح بن أسلم بن صفوان (أبو محمد) (٢٧ ـ ١١٤ هـ) تابعي فقيه توفي في مكة. الأعلام ٤/ ٢٣٥ تذكرة الحفاظ ١/ ٩٨ رقم الترجمة (٩٠) حلية الأولياء ٣/ ٣١٠ رقم الترجمة (٢٤٤) شذرات الذهب ١/ ١٤٧ وفيات الأعيان ١/ ٣١٨ طبقات ابن سعد ٦/ ٢٠ رقم الترجمة (١٥٤٢).

(٤) تبالة: بالفتح موضع ببلاد اليمن، بلدة مشهورة من أرض تهامة. انظر معجم البلدان ٢/ ٩.

سيد بني زهرة نسباً وشرفاً ـ فزوجه ابنته آمنة، وهي يومئذ أفضل امرأة في قريش نسباً وموضعاً.

فزعموا: أنه دخل عليها حين ملكها مكانه[1]، فوقع عليها يوم الإثنين أيام منى، في شعب أبي طالب عند الجمرة، فحملت برسول الله ﷺ. ثم خرج من عندها فأتى المرأة التي عرضت عليه ما عرضت، فقال لها: مالك لا تعرضين علي اليوم ما عرضت بالأمس، فقالت: فارقك النور الذي كان معك بالأمس، فليس لي بك اليوم حاجة، إنما أردت أن يكون النور في فأبى الله، إلا أن يجعله حيث شاء.

ولما حملت آمنة برسول الله ﷺ ظهر لحمله عجائب، ووجد لإيجاده غرائب.

فذكروا أنه لما استقرت نطفته الزكية، ودرته المحمدية في صدفة آمنة القرشية نودي في الملكوت ومعالم الجبروت، أن عطروا جوامع القدس الأسنى، وبخروا جهات الشرف الأعلى، وافرشوا سجادات العبادات في صفف الصفا لصوفية الملائكة المقربين، أهل الصدق والوفا، فقد انتقل النور المكنون إلى بطن آمنة ذات العقل الباهر، والفخر المصون، قد خصها الله تعالى القريب المجيب بهذا السيد المصطفى الحبيب، لأنها أفضل قومها حسباً وأنجب، وأزكاهم أصلاً وفرعاً وأطيب.

وقال سهل بن عبد الله التستري[2] فيما رواه الخطيب البغدادي[3] الحافظ: لما أراد الله تعالى خلق محمد ﷺ في بطن أمه آمنة، ليلة رجب، وكانت ليلة جمعة، أمر الله تعالى

---

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام ١/ ١٦٥ وفيه: «يقال إن المرأة التي مر عليها عبد الله مع أبيه أسمها «فاطمة بنت مر» وكانت من أجمل النساء وأعفهن وكانت قرأت نور النبوة في وجهه فدعته إلى نكاحها فأبى فلما أبى قالت:

إنـــي رأيـــت مخيلـــة نشـــأت	فتـــلألأت بحـــنـاتـــم القطـــر
لله مـــا زهـــريـــة سلبـــت	منـــك الـــذي استلبـــت ومـــا تـــدري

ويقال: إن التي عرضت نفسها عليه هي ليلى العدوية. وانظر دلائل النبوة ١/ ١٠٣.

(٢) هو سهل بن عبد الله بن يونس التستري أبو محمد (٢٠٠ ـ ٢٨٣ هـ) صوفي عالم في علوم الرياضيات والإخلاص وعيوب الأفعال. توفي بالبصرة. الأعلام ٣/ ١٤٣ طبقات الصوفية ٢٠٦ وفيات الأعيان ١/ ٢١٨ حلية الأولياء ١٠/ ١٨٩ رقم الترجمة (٥٤٦) طبقات المفسرين ١/ ٢١٥ رقم الترجمة (٢٠٢) تذكرة الحفاظ ٢/ ٦٨٥ [ترجمة ابن جراش].

(٣) هو أحمد بن علي بن ثابت البغدادي أبو بكر المعروف بالخطيب (٣٩٢ ـ ٤٦٣ هـ) مؤرخ حافظ توفي ببغداد. الأعلام ١/ ١٧٢ معجم الأدباء ١/ ٤٩٧ رقم الترجمة (١١٩) وفيات الأعيان ١/ ٢٧ طبقات الشافعية ٣/ ١٢ تذكرة الحفاظ ٣/ ١١٣٥ رقم الترجمة (١٠١٥) شذرات الذهب ٣/ ٣١١ مرآة الجنان ٣/ ٨٧ مفتاح السعادة ١/ ٢٥٨.

في تلك الليلة رضوان خازن الجنان، أن يفتح الفردوس، وينادي مناد في السماوات والأرض: ألا إن النور المخزون المكنون الذي يكون منه النبي الهادي، في هذه الليلة **يستقر في بطن أمه الذي فيه يتم خلقه ويخرج إلى الناس بشيراً ونذيراً.**

وفي رواية كعب الأحبار: أنه نودي تلك الليلة في السماء وصفاحها، والأرض وبقاعها، أن النور المكنون الذي منه رسول الله ﷺ يستقر الليلة في بطن آمنة، فيا طوبى لها ثم يا طوبى، وأصبحت يومئذ أصنام الدنيا منكوسة، وكانت قريش في جدب شديد، وضيق عظيم، فاخضرت الأرض وحملت الأشجار، وأتاهم الرفد من كل جانب، فسميت تلك السنة التي حمل فيها برسول الله ﷺ سنة الفتح والإبتهاج.

وطوبى: الطيب والحسنى والخير والخيرَة. قاله في القاموس[1]. وقال غيره: فرح وقرة عين. وقال الضحاك[2]: عطية. وقال عكرمة[3]: نِعَم. وفي الحديث: «**طوبى للشام فإن الملائكة باسطة أجنحتها عليها**»[4] فالمراد بها هنا: «فعلى» من الطيب وغيره مما ذكر، لا الجنة ولا الشجرة.

وفي حديث ابن إسحاق: أن آمنة كانت تحدث: أنها أتيت حين حملت به ﷺ فقيل لها: إنك قد حملت بسيد هذه الأمة، وقالت: ما شعرت بأني حملت به، ولا وجدت له ثقلاً، ولا وحماً، كما تجد النساء إلا أني أنكرت رفع حيضتي، وأتاني آت وأنا بين النائمة واليقظانة فقال: هل شعرت بأنك حملت بسيد الأنام، ثم أمهلني حتى إذا دنت ولادتي أتاني فقال لي: قولي:

أعيـــــذه بـــــالــــــواحـــــد   مـــــن شـــــر كـــــل حـــــاســـــد

ثم سميه محمداً[5].

---

(١) راجع القاموس المحيط ١/ ١٠٢ مادة (طاب).

(٢) هو الضحاك بن مزاحم البلخي الخراساني أبو القاسم. مفسر توفي بخراسان سنة (١٠٥ هـ). الأعلام ٣/ ٢١٥ طبقات المفسرين ١/ ٢٢٢ رقم الترجمة (٢١٠) خلاصة تهذيب الكمال ١٥٠.

(٣) هو عكرمة بن عبد الله البربري المدني أبو عبد الله (٢٥ ـ ١٠٥ هـ) مفسر حافظ تابعي. توفي بالمدينة. الأعلام ٤/ ٢٤٤ حلية الأولياء ٣/ ٣٢٦ رقم الترجمة (٢٤٥) وفيات الأعيان ١/ ٣١٩ تذكرة الحفاظ ١/ ٩٥ رقم الترجمة (٨٧) معجم الأدباء ٣/ ٥١٨ رقم الترجمة (٥٢٦) شذرات الذهب ١/ ١٣٠ طبقات المفسرين ١/ ٣٨٦ رقم الترجمة (٣٣١).

(٤) أخرجه الترمذي كتاب المناقب باب في فضل الشام واليمن رقم الحديث (٣٩٥٤) وأحمد بن حنبل في مسنده ٥/ ١٨٤ وهو في مجمع الزوائد ١٠/ ٦٠ وكنز العمال (٣٥٠١٦).

(٥) انظر السيرة لابن هشام ١/ ١٦٦ ودلائل النبوة للبيهقي ١/ ٨٢.

وفي رواية غير ابن إسحاق: وعلقي عليه هذه التميمة، قالت فانتبهت وعند رأسي صحيفة من ذهب مكتوب فيها هذه الأبيات:

أعيـــذه بـــالـــواحـــد	مـــن شـــر كـــل حـــاســـد
وكـــل خلـــق رائـــد	مـــن قـــائـــم وقـــاعـــد
عـــن السبيـــل حـــائـــد	علـــى الفســـاد جـــاهـــد
مـــن نـــافـــث أو عـــاقـــد	وكـــل خلـــق مـــارد
يـــأخـــذ بـــالمـــراصـــد	فـــي طـــرق المـــوارد

قال الحافظ عبد الرحيم العراقي[1]. هكذا ذكر هذه الأبيات بعض أهل السير، وجعلها من حديث ابن عباس ولا أصل لها. انتهى.

وعن شداد بن أوس[2] أن رجلاً من بني عامر سأل رسول الله ﷺ: ما حقيقة أمرك، قال: **«بدو شأني أني دعوة أبي إبراهيم، وبشرى أخي عيسى، وأني كنت بكر أبي وأمي، وأنها حملت بي كأثقل ما تحمل النساء، وجعلت تشتكي إلى صواحبها ثقل ما تجد، ثم إن أمي رأت في منامها أن الذي في بطنها نور»**[3]. الحديث.

ففيه: أن أمه ـ عليه السلام ـ وجدت الثقل في حمله، وفي سائر الأحاديث أنها لم تجد ثقلاً ؟!

وجمع أبو نعيم الحافظ بينهما: بأن الثقل كان في ابتداء علوقها به، والخفة عند استمرار الحمل به، فيكون على الحالين خارجاً عن المعتاد المعروف، انتهى.

وخرج أبو نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان من دلالة حمل آمنة برسول الله ﷺ أن كل دابة كانت لقريش نطقت تلك الليلة، وقالت: حمل برسول الله ﷺ ورب الكعبة، وهو إمام الدنيا وسراج أهلها، ولم يبق سرير لملك من ملوك الدنيا إلا أصبح منكوساً، وفرت وحوش المشرق إلى وحوش المغرب بالبشارات، وكذلك أهل

---

(١) هو عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن أبو الفضل زين الدين المعروف بالحافظ العراقي (٧٢٥ ـ ٨٠٦ هـ) باحث حافظ. توفي بالقاهرة. الأعلام ٣/ ٣٤٤، الضوء اللامع ٤/ ١٧١ رقم الترجمة (٤٥٢) شذرات الذهب ٧/ ٥٥ معجم المطبوعات ١٣١٧.

(٢) هو شداد بن أوس بن ثابت الخزرجي الأنصاري أبو يعلى صحابي من الأمراء توفي في القدس سنة (٥٨ هـ). الأعلام ٣/ ١٥٨ الإصابة ٣/ ١٩٥ رقم الترجمة (٣٨٤٢) حلية الأولياء ١/ ٢٦٤ رقم الترجمة (٤١).

(٣) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ٤/ ١٢٧ وفي المستدرك للحاكم ٢/ ٦٠٠ وكنز العمال (٣٥٤٠٦ ـ ٣٥٤١٩) ودلائل النبوة للبيهقي ١/ ٨٣ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٢٢٣.

البحار يبشر بعضهم بعضاً، وله في كل شهر من كل شهور حمله نداء في الأرض ونداء في السماء: أن أبشروا فقد آن أن يظهر أبو القاسم ﷺ ميموناً مباركاً. . الحديث. وهو شديد الضعف.

وعن غيره: لم يبق في تلك الليلة دار إلا أشرقت ولا مكان إلا دخله النور، ولا دابة إلا نطقت.

وعن أبي زكريا يحيى بن عائذ[1]: بقي ﷺ في بطن أمه تسعة أشهر كملاً، لا تشكو وجعاً ولا مغصاً ولا ريحاً ولا ما يعرض لذوات الحمل من النساء، وَكانت تقول: والله ما رأيت من حمل هو أخف منه ولا أعظم بركة منه.

ولما تم لها من حملها شهران توفي عبد الله[2]، وقيل: توفي وهو في المهد، قاله الدولابي[3].

وعن ابن أبي خيثمة[4]: وهو ابن شهرين.

وقيل: وهو ابن سبعة. وقيل: وهو ابن ثمانية وعشرين شهراً[5].

والراجح المشهور: الأول.

وكان عبد الله قد رجع ضعيفاً مع قريش لما رجعوا من تجارتهم، ومروا بالمدينة يثرب، فتخلف عند أخواله بني عدي بن النجار، فأقام عندهم مريضاً شهراً، فلما قدم أصحابه مكة سألهم عبد المطلب عنه فقالوا: خلفناه مريضاً، فبعث إليه أخاه الحارث فوجده قد توفي، ودفن في دار التابعة، وقيل دفن بالأبواء.

وقالت آمنة زوجته ترثيه:

عفا جانب البطحاء من آل هاشم وجاور لحداً خارجاً في الغمائم

---

(١) هو يحيى بن مالك بن عائذ أبو زكريا الأندلسي حافظ مات بالأندلس سنة (٣٧٦ هـ). انظر تذكرة الحفاظ ٣/١٠٠٣ رقم الترجمة (٩٣٦) وتاريخ الأندلس ٢/ ١٩٣.

(٢) انظر زاد المعاد بهامش شرح المواهب ١/ ٥٥.

(٣) هو محمد بن أحمد بن حماد بن سعد بن مسلم أبو بشر الأنصاري بالولاء الرازي الدولابي الورّاق (٢٢٤ ـ ٣١٠ هـ) مؤرخ من حفاظ الحديث. توفي بين مكة والمدينة. الأعلام ٥/ ٣٠٨ تذكرة الحفاظ ٢/ ٧٥٩ رقم الترجمة (٧٦٠) شذرات الذهب ٢/ ٢٦٠ وفيات الأعيان ١/ ٥٠٧.

(٤) هو أحمد بن زهير أبي خيثمة بن حرب بن شداد النسائي ثم البغدادي أبو بكر (١٨٥ ـ ٢٧٩ هـ) مؤرخ من حفاظ الحديث راوية للأدب بصير بأيام الناس. وفاته ببغداد الأعلام ١/ ١٢٨ شذرات الذهب ٢/ ١٧٤ تاريخ بغداد ٤/ ١٦٢ تذكرة الحفاظ ٢/ ٥٩٢ رقم الترجمة (٦١٩).

(٥) انظر دلائل النبوة للبيهقي ١/ ١٨٧.

دعتــه المنــايــا دعــوة فــأجــابهــا ... وما تركت في الناس مثل ابن هاشم
عشيــة راحــوا يحملــون ســريــره ... تعــاوره أصحــابــه فــي التــزاحــم
فــإن تــك غــالتــه المنــايــا وريبهــا ... فقــد كــان معطــاء كثيــر التــراحــم

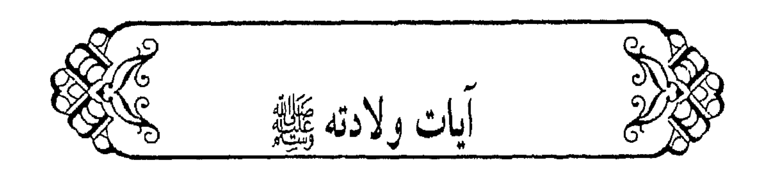
ويذكر عن ابن عباس، أنه لما توفي عبد الله قالت الملائكة إلهنا وسيدنا، بقـي نبيك يتيماً، فقال الله تعالى: أنا له حافظ ونصير.

وقيل لجعفر الصادق: لم يتم النبي ﷺ من أبويه؟ قال: لئلا يكون عليه حق لمخلوق[1]. نقله عنه أبو حيان[2] في البحر.

---

(١) انظر النهر الماد ٣/١٢٧٨ في تفسير قوله تعالى: ﴿ألم يجدك يتيماً﴾ [الضحى: ٦].

(٢) هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي الأندلسي الجياني النفري أثير الدين أبو حيان (٦٥٤ ـ ٧٤٥ هـ) عالم بالعربية والتفسير والحديث والتراجم توفي في القاهرة. الأعلام ٧/ ١٥٢ فوات الوفيات ٤/ ٧١ رقم الترجمة (٥٠٦) طبقات الشافعية ٦/ ٣٢ شذرات الذهب ٦/ ١٤٥ الدرر الكامنة ٤/ ٣٠٢ رقم الترجمة (٨٣٢).



آيات ولادته ﷺ

وروى أبو نعيم عن عمرو بن قتيبة قال: سمعت أبي ـ وكان من أوعية العلم ـ قال: لما حضرت ولادة آمنة قال الله تعالى لملائكته: افتحوا أبواب السماء كلها، وأبواب الجنان، وألبست الشمس يومئذ نوراً عظيماً، وكان قد أذن الله تعالى تلك السنة لنساء الدنيا أن يحملن ذكوراً كرامة لمحمد ﷺ. . الحديث وهو مطعون فيه.

وذكر أبو سعيد عبد الملك النيسابوري[1] في كتابه الكبير كما نقله عنه صاحب كتاب السعادة والبشرى عن كعب في حديثه الطويل، ورواه أبو نعيم من حديث ابن عباس قال: كانت آمنة تحدث وتقول: أتاني آت حين مر بي من حملي ستة أشهر في المنام وقال لي يا آمنة إنك حملت بخير العالمين فإذا ولدتيه فسميه محمداً واكتمي شأنك قالت ثم لما أخذني ما يأخذ النساء ولم يعلم بي أحد لا ذكر ولا أنثى، وإني لوحيدة في المنزل وعبد المطلب في طوافه، فسمعت وجبة عظيمة وأمراً عظيماً هالني، ثم رأيت كأن جناح طائر أبيض قد مسح على فؤادي فذهب عني الرعب وكل وجع أجده، ثم التفت فإذا أنا بشربة بيضاء فتناولتها فأصابني نور عال، ثم رأيت نسوة كالنخل طولاً كأنهن من بنات عبد مناف، يحدقن بي فبينا أنا أتعجب وأنا أقول واغوثاه من أين علمن بي. قال في غير هذه الرواية فقلن لي نحن آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران وهؤلاء من الحور العين واشتد بي الأمر وأنا أسمع الوجبة في كل ساعة أعظم وأهول مما تقدم فبينا أنا كذلك إذا بديباج أبيض قد مد بين السماء والأرض، وإذا قائل يقول خذاه عن أعين الناس، قالت ورأيت رجالاً قد وقفوا في الهواء بأيديهم أباريق من فضة، ثم نظرت فإذا أنا بقطعة من الطير قد أقبلت حتى غطت حجرتي، مناقيرها من الزمرد وأجنحتها من الياقوت فكشف الله عن بصري فرأيت مشارق الأرض ومغاربها، ورأيت ثلاثة أعلام مضروبات، علماً بالمشرق

---

(١) هو عبد الملك بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الخركوشي، أبو سعد أو أبو سعيد، واعظ محدث، حافظ، مفسر، فقيه. توفي بنيسابور سنة (٤٠٧ هـ) الأعلام ٤/ ١٦٣. شذرات الذهب ٣/ ١٨٤. طبقات الشافعية ٣/ ٢٨٢ معجم البلدان ٣/ ٤٢٢. كشف الظنون ١/ ٢٤٥.

وعلماً بالمغرب وعلماً على ظهر الكعبة فأخذني المخاض فوضعت محمداً ﷺ فنظرت إليه فإذا هو ساجد قد رفع أصبعيه إلى السماء كالمتضرع المبتهل، ثم رأيت سحابة بيضاء قد اقبلت من السماء حتى غشيته فغيبته عني، فسمعت منادياً ينادي طوفوا به مشارق الأرض ومغاربها وأدخلوه البحار ليعرفوه باسمه ونعته وصورته، ويعلمون أنه سمي فيها الماحي، لا يبقى شيء من الشرك إلا محي في زمنه، ثم انجلت عنه في أسرع وقت. . الحديث. وهو مما تكلم فيه.

وروى الخطيب البغدادي بسنده كما ذكره صاحب السعادة والبشرى أيضاً أن آمنة قالت لما وضعته عليه السلام رأيت سحابة عظيمة لها نور أسمع فيها صهيل الخيل وخفقان الأجنحة وكلام الرجال، حتى غشيته وغيب عني فسمعت منادياً ينادي طوفوا بمحمد ﷺ جميع الأرض وأعرضوه على كل روحاني من الجن والإنس والملائكة والطيور والوحوش وأعطوه خلق آدم، ومعرفة شيث، وشجاعة نوح، وخلة إبراهيم ولسان إسماعيل، ورضا إسحاق، وفصاحة صالح، وحكمة لوط، وبشرى يعقوب، وشدة موسى، وصبر أيوب، وطاعة يونس، وجهاد يوشع، وصوت داود وحب دانيال ووقار إلياس وعصمة يحيى وزهد عيسى، واغمسوه في أخلاق النبيين قالت: ثم انجلت عني فإذا به قد قبض على حريرة بيضاء خضراء مطوية طياً شديداً ينبع من تلك الحريرة ماء وإذا قائل يقول بخ بخ قبض محمد ﷺ على الدنيا كلها لم يبق خلق من أهلها إلا دخل طائعاً في قبضته، قالت ثم نظرت إليه فإذا به كالقمر ليلة البدر وريحه يسطع كالمسك الإذفر، وإذا بثلاثة نفر في يد أحدهم إبريق من فضة، وفي يد الثاني طست من زمرد أخضر وفي يد الثالث حريرة بيضاء فنشرها فأخرج منها خاتماً تحار أبصار الناظرين دونه فغسله من ذلك الإبريق سبع مرات ثم ختم بين كتفيه بالخاتم ولفه في الحريرة ثم احتمله فأدخله بين أجنحته ساعة ثم رده إلي ورواه أبو نعيم عن ابن عباس وفيه نكارة.

وروى الحافظ أبو بكر بن عائذ في كتابه المولد ـ كما نقله عنه الشيخ بدر الدين الزركشي[1] في شرح بردة المديح ـ عن ابن عباس: لما ولد ﷺ قال في أذنه رضوان خازن الجنان: أبشر يا محمد فما بقي لنبي علم إلا وقد أعطيته، فأنت أكثرهم علماً، وأشجعهم قلباً.

وروى محمد بن سعد من حديث جماعة منهم عطاء وابن عباس: أن آمنة بنت

---

(١) هو محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله بدر الدين (٧٤٥ ـ ٧٩٤ هـ) فقيه شافعي، مات في مصر. الأعلام ٦/ ٦٠ الدرر الكامنة ٣/ ٣٩٧ رقم الترجمة (١٠٥٩). شذرات الذهب ٦/ ٣٣٥ كشف الظنون ١٢٥.

وهب قالت: لما فصل مني ـ تعني النبي ﷺ ـ خرج معه نور أضاء له ما بين المشرق والمغرب، ثم وقع إلى الأرض معتمداً على يديه، ثم أخذ قبضة من التراب فقبضها ورفع رأسه إلى السماء.

وروى الطبراني: أنه لما وقع إلى الأرض وقع مقبوضة أصابع يده مشيراً بالسبابة كالمسبح بها.

وروي عن عثمان بن أبي العاصي[1] عن أمه أم عثمان الثقفية ـ واسمها فاطمة بنت عبد الله ـ قالت: لما حضرت ولادة رسول الله ﷺ رأيت البيت حين وقع قد امتلأ نوراً، ورأيت النجوم تدنو حتى ظننت أنها ستقع علي[2]. رواه البيهقي.

وأخرج أحمد والبزار والطبراني والحاكم والبيهقي عن العرباض بن سارية. أن رسول الله ﷺ قال: «**إني عبد الله وخاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته، وسأخبركم عن ذلك، إني دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى، ورؤيا أمي التي رأت، وكذلك أمهات الأنبياء يرين، وإن أم رسول الله ﷺ رأت حين وضعته نوراً أضاء له قصور الشام**»[3] قال الحافظ ابن حجر: صححه ابن حبان والحاكم.

وأخرج أبو نعيم عن عطاء بن يسار[4] عن أم سلمة عن آمنة: قالت: لقد رأيت ليلة وضعته نوراً أضاءت له قصور الشام حتى رأيتها. وأخرج أيضاً، عن بريدة[5] عن مرضعته في بني سعد أن آمنة قالت: رأيت كأنه خرج من فرجي شهاب أضاءت له الأرض حتى رأيت قصور الشام.

---

(١) هو عثمان بن أبي العاص بن بشر بن عبد بن دهمان أبو عبد الله من ثقيف صحابي مات بالبصرة سنة (٥١ هـ) الأعلام ٤/٢٠٧ الإصابة ٤/ ٢٢١ رقم الترجمة (٥٤٣٣) طبقات ابن سعد ٦/٤٧ رقم الترجمة (١٦٧٢).

(٢) وهو في دلائل النبوة للبيهقي باختلاف ١/ ١١١ وقد ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٢٢٠.

(٣) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ٤/١٢٧ والحاكم في المستدرك ٢/ ٦٠٠ ودلائل النبوة للبيهقي ١/ ٨٠ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٢/ ٢٢٣.

(٤) هو عطاء بن يسار الهلالي القاصي مولى ميمونة أم المؤمنين أبو عبد الله أو أبو محمد المدني فقيه واعظ صاحب قصص وعبادة. توفي سنة (١٠٣ هـ) وقيل سنة (٩٤ هـ) وقيل (١٠٤ هـ). انظر طبقات ابن سعد ٥/ ١٣١ رقم الترجمة (٧١٨) تذكرة الحفاظ ١/ ٩٠ رقم الترجمة (٨٠) شذرات الذهب ١/ ١٢٥. والكاشف ٢/ ٢٣٣ رقم الترجمة (٣٨٦٥).

(٥) هو بريدة بن الحصيب بن عبد الله بن الحارث الأسلمي، صحابي توفي في مرو سنة (٦٣ هـ). الأعلام ٢/ ٥٠ الإصابة ١/ ١٥١ رقم الترجمة (٦٢٩) تهذيب التهذيب ١/ ٤٣٢ طبقات ابن سعد ٧/ ٢٥٩ رقم الترجمة (٣٦١٦).

وعن همام بن يحيى[1] عن إسحاق بن عبد الله أن أم رسول الله ﷺ قالت: لما ولدته خرج من فرجي نور أضاء له قصور الشام، فولدته نظيفاً ما به قذر، رواه ابن سعد.

وإلى هذا أشار العباس بن عبد المطلب في شعره، حيث قال:

وأنت لما ولدت أشرقت الـ أرض وضاءت بنورك الأفق

فنحن في ذاك الضياء وفي النو ر وسبل الرشاد نخترق

قال في **اللطائف**: «وخروج هذا النور عند وضعه، إشارة إلى ما يجيء به من النور الذي اهتدى به أهل الأرض، وزال به ظلمة الشرك. قال تعالى: ﴿**قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه**﴾ [المائدة: ١٥ و ١٦]. الآية، وأما إضاءة قصور بصرى بالنور الذي خرج معه فهو إشارة إلى ما خص الشام من نور نبوته، فإنها دار ملكه ـ كما ذكر كعب: أن في الكتب السالفة: محمد رسول الله ﷺ مولده بمكة ومهاجره بيثرب وملكه بالشام ـ فمن مكة بدت نبوة نبينا عليه الصلاة والسلام، وإلى الشام انتهى ملكه، ولهذا أسري به ﷺ إلى الشام، إلى بيت المقدس، كما هاجر قبله إبراهيم عليه السلام إلى الشام، وبها ينزل عيسى ابن مريم عليه السلام، وهي أرض المحشر والمنشر. وخرج أحمد وأبو داود وابن حبان والحاكم في صحيحهما عن النبي ﷺ أنه قال: «عليكم بالشام، فإنها خيرة الله من أرضه، يجتبي إليها خيرته من عباده»[2]. انتهى ملخصاً.

وأخرج أبو نعيم عن عبد الرحمن بن عوف[3] عن أمه **الشفاء**[4] قالت: لما ولدت آمنة رسول الله ﷺ وقع على يدي فاستهل، فسمعت قائلاً يقول: رحمك الله، قالت الشفاء: وأضاء لي ما بين المشرق والمغرب، حتى نظرت إلى بعض قصور الروم، قالت: ثم ألبنته وأضجعته، فسمعت قائلاً يقول: أي ذهبت به؟ قال: إلى المشرق، قالت: فلم يزل الحديث مني على بال حتى بعثه الله فكنت في أول الناس إسلاماً.

---

(١) هو همام بن يحيى بن دينار الأزدي العوذي المحلمي بالولاء أبو عبد الله البصري. له علم بالحديث توفي سنة (١٦٤ هـ) وقيل سنة (١٦٣ هـ). الأعلام ٨/ ٩٤ تهذيب التهذيب ١١/ ٦٧ ميزان الاعتدال ٣/ ٢٥٨ شذرات الذهب ١/ ٢٥٨ تذكرة الحفاظ ١/ ٢٠١ رقم الترجمة (١٩٤).

(٢) أخرجه أبو داوود في كتاب الجهاد باب في سكنى الشام رقم الحديث (٢٤٨٣) وفي كنز العمال (٣٨٢٠٦) تهذيب تاريخ دمشق ١/ ٣٠.

(٣) هو عبد الرحمن بن عوف بن عبد مناف الزهري أبو محمد القرشي (٤٤ ق. هـ ـ ٣٢ هـ) صحابي توفي في المدينة مناقبه كثيرة. الأعلام ٣/ ٣٢١ حلية الأولياء ١/ ٩٨ رقم الترجمة (٩) والإصابة ٤/ ١٧٦ رقم الترجمة (٥١٧١).

(٤) انظر طبقات ابن سعد ٨/ ١٩٥ رقم الترجمة (٤١٩٣).

ومن عجائب ولادته عليه السلام ما خرجه البيهقي وأبو نعيم عن حسان بن ثابت قال: إني لغلام ابن سبع سنين أو ثمان، أعقل ما رأيت وسمعت، إذا يهودي يصرخ ذات غداة: يا معشر يهود، فاجتمعوا إليه، وأنا أسمع، قالوا: ويلك مالك؟ قال: طلع نجم أحمد الذي ولد به هذه الليلة.

وعن عائشة قالت: كان يهودي قد سكن مكة، فلما كانت الليلة التي ولد فيهارسول الله ﷺ قال: يا معشر قريش: هل ولد فيكم الليلة مولود، قالوا: لا نعلم، قال: انظروا، فإنه ولد في هذه الليلة نبي هذه الأمة. بين كتفيه علامة. فانصرفوا فسألوا، فقيل لهم قد ولد لعبد الله بن عبد المطلب غلام، فذهب اليهودي معهم إلى أمه، فأخرجته لهم، فلما رأى اليهودي العلامة خر مغشياً عليه، وقال: ذهبت النبوة من بني إسرائيل، يا معشر قريش: أما والله ليسطون بكم سطوة يخرج خبرها من المشرق والمغرب(١). رواه يعقوب بن سفيان(٢) باسناد حسن كما قاله في فتح الباري.

ومن عجائب ولادته أيضاً: ما روي من ارتجاج إيوان كسرى وسقوط أربع عشرة شرافة من شرفاته، وغيض بحيرة طبرية، وخمود نار فارس. وكان لها ألف عام لم تخمد(٣)، كما رواه البيهقي وأبو نعيم والخرائطي في «الهواتف» وابن عساكر.

وفي سقوط الأربع عشرة شرافة إشارة إلى أنه يملك منهم ملوك وملكات بعدد الشرفات، وقد ملك منهم في أربع سنين عشرة، ذكره ابن ظفر(٤) وزاد ابن سيد الناس(٥): وملك الباقون إلى خلافة عثمان رضي الله عنه.

ومن ذلك أيضاً: ما وقع من زيادة حراسة السماء بالشهب، وقطع رصد الشياطين، ومنعهم من استراق السمع.

---

(١) انظر دلائل النبوة للبيهقي ١/ ١٠٨. وهو في المستدرك ٢/ ٦٠١.

(٢) هو يعقوب بن سفيان بن جوان الفارس الفسوي أبو يوسف حافظ مات بالبصرة سنة (٢٧٧ هـ). الأعلام ٨/ ١٩٨ تذكرة الحفاظ ٢/ ٥٨٢ رقم الترجمة (٦٠٧).

(٣) انظر دلائل النبوة ١/ ١٨ و ٤٩.

(٤) هو محمد بن عبد الله أبي محمد بن محمد بن ظفر العقلي المكي، أبو عبد الله حجة الدين (٤٩٧ - ٥٦٥ هـ). أديب، رحالة، مفسر. مات في حماة. الأعلام ٦/ ٢٣٠. وفيات الأعيان ١/ ٥٢٢. معجم الأدباء ٥/ ٤٤٢ رقم الترجمة (٩١٦). هدية العارفين ٢/ ٩٦. مفتاح السعادة ١/ ٢٣٣.

(٥) هو محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن سيد الناس اليعمري الربعي أبو الفتح فتح الدين (٦٧١ - ٧٣٤ هـ) مؤرخ، أديب، حافظ توفي بالقاهرة. الأعلام ٧/ ٣٤. فوات الوفيات ٣/ ٢٨٧ رقم الترجمة (٤٢٧). شذرات الذهب ٦/ ١٠٨. مرآة الجنان ٤/ ٢٩١. الدرر الكامنة ٤/ ٢١٣ رقم الترجمة (٥٧٤).

ولقد أحسن الشقراطيسي[1] حيث قال:

ضاءت لمولده الآفاق واتصلت	بشرى الهواتف في الإشراق والطفل
وصرح كسرى تداعى من قواعده	وانقض منكسر الأرجاء ذا ميل
ونار فارس لم توقد وما خمدت	مذ ألف عام ونهر القوم لم يسل
خرت لمبعثه الأوثان وانبعثت	ثواقب الشهب ترمي الجن بالشعل

وولد ﷺ معذوراً أي مختوناً[2] مسروراً ـ أي مقطوع السرة ـ كما روي من حديث أبي هريرة عند ابن عساكر.

وروى الطبراني في الأوسط وأبو نعيم والخطيب وابن عساكر من طرق، عن أنس: أن النبي ﷺ قال: «**من كرامتي على ربي أني ولدت مختوناً، ولم ير أحداً سوأتي**»[3] وصحّحه الضياء[4] في المختارة.

وعن ابن عمر قال: ولد النبي ﷺ مسروراً مختوناً. رواه ابن عساكر.

قال الحاكم في المستدرك: تواترت الأخبار أنه عليه السلام ولد مختوناً. انتهى.

وتعقبه الحافظ الذهبي[5] فقال: ما أعلم صحة ذلك؟! فكيف يكون متواتراً؟ وأجيب: باحتمال أن يكون أراد بتواتر الأخبار اشتهارها وكثرتها في السير، لا من طريق السند المصطلح عليه عند أئمة الحديث.

وقد حكى الحافظ زين الدين العراقي، أن الكمال بن العديم[6] ضعف أحاديث

---

(١) هو عبد الله بن يحيى بن علي أبو محمد الشقراطيسي التوزري. فقيه مالكي توفي بتوزر سنة (٤٦٦ هـ) الأعلام ٤/ ١٤٤ شجرة النور ١١٧ معجم المؤلفين ١٠/ ٧٠.

(٢) انظر زاد المعاد بشرح المواهب ١/ ٦٠.

(٣) انظر العلل المتناهية لابن الجوزي ١/ ١٦٥. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٢٢٤. وكنز العمال (٣١٩٢٤ ـ ٣٢١٣٤). وفي دلائل النبوة لأبي نعيم ١/ ٤٦. وفي البداية والنهاية ٢/ ٢٤٧.

(٤) هو محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن السعدي المقدسي أبو عبد الله ضياء الدين (٥٦٩ ـ ٦٤٣ هـ) مؤرخ عالم بالحديث. توفي في دمشق. الأعلام ٦/ ٢٥٥. فوات الوفيات ٣/ ٤٢٦ رقم الترجمة (٤٧٧) شذرات الذهب ٥/ ٢٢٤ تذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٠٥ رقم الترجمة (١١٢٩).

(٥) هو محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي شمس الدين أبو عبد الله (٦٧٣ ـ ٧٤٨ هـ) حافظ مؤرخ توفي في دمشق. الأعلام ٥/ ٣٢٦. فوات الوفيات ٣/ ٣١٥ رقم الترجمة (٤٣٦) طبقات الشافعية ٥/ ٢١٦ شذرات الذهب ٦/ ١٥٣. الدرر الكامنة ٣/ ٣٣٦ رقم الترجمة (٨٩٤) المنهل الصافي ٣٦٦ رقم الترجمة (٢٠١).

(٦) هو عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي كمال الدين ابن العديم (٥٨٨ ـ ٦٦٠ هـ) مؤرخ=

كونه ولد مختوناً، وقال: إنه لا يثبت في هذا شيء من ذلك.

وأقره عليه، وبه صرح ابن القيم ثم قال: ليس هذا من خصائصه ﷺ، فإن كثيراً من الناس ولد مختوناً.

وحكى الحافظ ابن حجر: أن العرب تزعم أن الغلام إذا ولد في القمر فسخت قلفته ـ أي اتسعت ـ فيصير كالمختون.

وفي «الوشاح» لابن دريد[1]: قال ابن الكلبي: بلغني أن آدم خلق مختوناً واثني عشر نبياً من بعده خلقوا مختونين آخرهم محمد ﷺ: **شيث وإدريس ونوح وسام ولوط ويوسف وموسى وسليمان وشعيب ويحيى وهود [وصالح] صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.**

وفي هذه العبارة تجوز، لأن الختان هو القطع، وهو غير ظاهر، لأن الله تعالى يوجد ذلك على هذه الهيئة من غير قطع، فيحمل الكلام باعتبار أنه على صفة المقطوع.

وقد حصل من الاختلاف في ختانه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه ولد مختوناً كما تقدم.

الثاني: أنه ختنه جده عبد المطلب يوم سابعه، وصنع له مأدبة وسماه محمداً. رواه الوليد بن مسلم[2] بسنده إلى ابن عباس وحكاه ابن عبد البر[3] في التمهيد.

= محدث كاتب. توفي بالقاهرة. الأعلام ٥/ ٤٠ فوات الوفيات ٣/ ١٢٦ رقم الترجمة (٣٧٢) معجم الأدباء ٤/ ٤٣٣ رقم الترجمة (٦٨١) مرآة الجنان ٤/ ١٨٥ شذرات الذهب ٥/ ٣٠٣ كشف الظنون ٢٩١.

(١) هو محمد بن الحسن بن دريد الأزدي أبو بكر (٢٢٣ ـ ٣٢١ هـ). لغوي أديب توفي في بغداد. الأعلام ٦/ ٨٠ معجم الأدباء ٥/ ٢٩٦ رقم الترجمة (٨٤٩) وفيات الأعيان ١/ ٤٩٧ طبقات الشافعية ٢/ ١٤٥ تاريخ بغداد ٢/ ١٩٥ خزانة الأدب ١/ ٤٩٠.

(٢) هو الوليد بن مسلم الأموي بالولاء الدمشقي أبو العباس (١١٩ ـ ١٩٥ هـ) حافظ للحديث. توفي بذي المروة. الأعلام ٨/ ١٢٢. تذكرة الحفاظ ١/ ٣٠٢ رقم الترجمة (٢٨٢) طبقات المدلسين صفحة (٢٠) شذرات الذهب ١/ ٣٤٤. طبقات ابن سعد ٧/ ٣٢٦ رقم الترجمة (٣٩٢٦).

(٣) هو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي أبو عمر (٣٦٨ ـ ٤٦٣ هـ). حافظ، مؤرخ، أديب، بحاثة. توفي بشاطبة. الأعلام ٨/ ٢٤٠. وفيات الأعيان ٢/ ٣٤٨. معجم المطبوعات (١٥٩). تذكرة الحفاظ ٣/ ١١٢٨ رقم الترجمة (١٠١٣) شذرات الذهب ٣/ ٣١٤.

والثالث: أنه ختن عند حليمة، كما ذكره ابن القيم والدمياطي[1] ومغلطاي[2] وقالا: إن جبريل عليه السلام ختنه حين طهر قلبه.

وكذا أخرجه الطبراني في الأوسط وأبو نعيم من حديث أبي بكرة.

قال الذهبي: وهذا منكر.

واعلم أن الختان: هو قطع القلفة التي تغطي الحشفة من الرجل، وقطع بعض الجلدة التي في أعلى الفرج من المرأة، ويسمى ختان الرجل: إعذاراً ـ بالعين المهملة والذال المعجمة والراء ـ وختان المرأة خفاضاً ـ بالخاء المعجمة والفاء والضاد المعجمة أيضاً ـ.

واختلف العلماء: هل هو واجب؟.

● فذهب أكثرهم إلى أنه سنَّة وليس بواجب، وهو قول مالك وأبي حنيفة وبعض أصحاب الشافعي.

● وذهب الشافعي إلى وجوبه، وهو مقتضى قول سحنون[3] من المالكية.

● وذهب بعض أصحاب الشافعي إلى أنه واجب في حق الرجال، سنة في حق النساء.

واحتج من قال إنه سنة، بحديث أبي المليح بن أسامة عن أبيه: أن النبي ﷺ قال: «**الختان سنة للرجال مكرمة للنساء**»[4] رواه أحمد في مسنده والبيهقي.

وأجاب من أوجبه بأنه ليس المراد بالسنة هنا خلاف الواجب، بل المراد الطريقة، واحتجوا على وجوبه بقوله تعالى: ﴿**أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً**﴾ [النحل: ١٢٣]، وثبت

---

(١) هو عبد المؤمن بن خلف الدمياطي أبو محمد شرف الدين. (٦١٣ ـ ٧٠٥ هـ) حافظ. توفي بالقاهرة. الأعلام ٤/١٦٩. فوات الوفيات ٢/٤٠٩ رقم الترجمة (٣٠٨) طبقات الشافعية ٤/١٠ شذرات الذهب ٦/١٢ الدرر الكامنة ٢/٤١٧ رقم الترجمة (٢٥٢٥) تذكرة الحفاظ ٤/١٤٧٧ رقم الترجمة (١١٦٦).

(٢) هو مغلطاي بن قليج بن عبد الله البكجري المصري الحكري الحنفي أبو عبد الله علاء الدين (٦٨٩ ـ ٧٦٢ هـ). مؤرخ، حافظ، نسابة، ناقد. الأعلام ٧/٢٧٥ الدرر الكامنة ٤/٣٥٢ رقم الترجمة (٩٦٣). شذرات الذهب ٦/١٩٧. معجم المطبوعات (١٧٦٨).

(٣) هو عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخي الملقب بسحنون (١٦٠ ـ ٢٤٠ هـ) قاض، فقيه. توفي بالقيروان. الأعلام ٤/٥ وفيات الأعيان ١/٢٩١.

(٤) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ٥/٧٥ وفي السنن الكبرى للبيهقي ٨/٣٢٥ وفي المعجم الكبير للطبراني ٧/٣٣٠ و ١١/٣٣٣ وفي كنز العمال (٤٥٣٠٥).

في الصحيحين من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**اختتن إبراهيم النبي ﷺ وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم**»[١] وبما روى أبو داود من قوله ﷺ للرجل الذي أسلم: «**ألق عنك شعر الكفر واختتن**»[٢].

واحتج القفال لوجوبه: بأن بقاء القفلة يحبس النجاسة، ويمنع صحة الصلاة، فيجب إزالتها.

وقال الفخر الرازي: «الحكمة من الختان، أن الحشفة قوية الحس، فما دامت مستورة تقوي اللذة عند المباشرة، فإذا قطعت القلفة تصلبت الحشفة فضعفت اللذة، وهو اللائق بشريعتنا تقليلاً للذة لا قطعاً لها، كما تفعل المانوية، فذلك إفراط وإبقاء القفلة تفريط، فالعدل الختان». انتهى.

وإذا قلنا بوجوب الختان، فمحل الوجوب بعد البلوغ على الصحيح من مذهبنا، لما روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس أنه سئل: مثل من أنت حين قبض رسول الله ﷺ قال: «وأنا يومئذ مختون وكانوا لا يختنون الرجل حتى يدرك»[٣]. وقال بعض أصحابنا: يجب على الولي أن يختن الصبي قبل البلوغ، والله أعلم.

وقد اختلف في عام ولادته ﷺ:

فالأكثرون على أنه عام الفيل، وبه قال ابن عباس، ومن العلماء من حكى الإتفاق عليه، وقال: كل قول يخالفه وهم.

والمشهور: أنه ولد بعد الفيل بخمسين يوماً، وإليه ذهب السهيلي في جماعة.

وقيل: بعده بخمسة وخمسين يوماً، وحكاه الدمياطي في آخرين وقيل: بشهر، وقيل بأربعين يوماً.

وقيل: بعد الفيل بعشر سنين وقيل: قبل الفيل بخمس عشرة سنة، وقيل: غير ذلك.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ٢/٤١٨ وأخرجه مسلم في صحيحه رقم الحديث (٢٣٧٠) والبخاري في كتاب أحاديث الأنبياء باب (٨) رقم الحديث (٣٣٥٦) وكتاب الاستئذان باب (٥١) رقم الحديث (٦٢٩٨) وفي السنن الكبرى للبيهقي ٨/ ٢٢٥ وفي كنز العمال (٤٥٣٠٤) وانظر البداية والنهاية ١/ ١٤٧.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الطهارة باب في الرجل يُسلم فيؤمر بالغسل رقم الحديث (٣٥٦) والإمام أحمد بن حنبل في مسنده ٣/ ٤١٥ وفي السنن الكبرى للبيهقي ١/ ١٧٢ وفي اتحاف السادة المتقين ٢/ ٤٠٨ و ٤١٨ وفي الدر المنثور ١/ ١١٤ وفي كنز العمال (١٣٢٢).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الاستئذان باب (٥١) رقم الحديث (٦٢٩٩). وهو في مسند الإمام أحمد ابن حنبل ١/ ٢٨٧ و ٣٥٧ باختلاف يسير.

والمشهور أنه بعد الفيل، لأن قصة الفيل كانت توطئة لنبوته، وتقدمة لظهوره وبعثته، وإلا فأصحاب الفيل ـ كما قاله ابن القيم ـ كانوا نصارى أهل كتاب، وكان دينهم خيراً من دين أهل مكة إذ ذاك، لأنهم كانوا عباد أوثان، فنصرهم الله تعالى على أهل الكتاب نصراً لا صنع للبشر فيه، إرهاصاً وتقدمة للنبي الذي خرج من مكة، وتعظيماً للبلد الحرام.

واختلف أيضاً في الشهر الذي ولد فيه.

والمشهور: أنه ولد في شهر ربيع الأول، وهو قول جمهور العلماء. ونقل ابن الجوزي الاتفاق عليه.

وفيه نظر: فقد قيل في صفر، وقيل في ربيع الآخر. وقيل في رجب، ولا يصح.

وقيل: في رمضان، وروي عن ابن عمر بإسناد لا يصح، وهو موافق لمن قال: إن أمه حملت به في أيام التشريق.

وأغرب من قال: ولد في عاشوراء.

وكذا اختلف أيضاً في أي يوم من الشهر:

فقيل إنه غير معين، إنما ولد يوم الإثنين من ربيع الأول من غير تعيين، والجمهور على أنه يوم معين منه.

فقيل: لليلتين خلتا منه.

وقيل: لثمان خلت منه، قال الشيخ قطب الدين القسطلاني[1]: وهو اختيار أكثر أهل الحديث، ونقل عن ابن عباس وجبير بن مطعم، وهو اختيار أكثر من له معرفة بهذا الشأن، واختاره الحميدي[2]، وشيخه ابن حزم[3]، وحكى القضاعي[4] في «عيون

---

(١) هو محمد بن أحمد بن علي العنبسي الشاطبي أبو بكر قطب الدين التوزري القسطلاني (٦١٤ ـ ٦٨٦ هـ) محدث عالم بالحديث ورجاله. توفي في القاهرة. الأعلام ٥/ ٣٢٣. طبقات الشافعية ٥/ ١٨ وفوات الوفيات ٣/ ٣١٠ رقم الترجمة (٤٣٣). شذرات الذهب ٥/ ٣٩٧.

(٢) هو محمد بن فتوح بن عبد الله الأزدي الحميدي أبو عبد الله ابن أبي نصر. (٤٢٠ ـ ٤٨٨ هـ) مؤرخ محدث توفي في بغداد. الأعلام ٦/ ٣٢٧ نفح الطيب ١/ ٣٨١ وفيات الأعيان ١/ ٤٨٥ مفتاح السعادة ١/ ١٣.

(٣) هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد (٣٨٤ ـ ٤٥٦ هـ) حافظ. فقيه. ناقد. توفي في بادية لبلة (من بلاد الأندلس).. الأعلام ٤/ ٢٥٤ معجم الأدباء ٣/ ٥٤٦ رقم الترجمة (٥٤٢) وفيات الأعيان ١/ ٣٤٠ شذرات الذهب ٣/ ٢٩٩ تذكرة الحفاظ ٣/ ١١٤٦ رقم الترجمة (١٠١٦).

(٤) هو محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكمون. أبو عبد الله القضاعي. مؤرخ. مفسر. محدث. =

المعارف» إجماع أهل الزيج عليه، ورواه الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم، وكان عارفاً بالنسب وأيام العرب، أخذ ذلك عن أبيه جبير.

وقيل لعشر، وقيل لاثني عشر، وعليه عمل أهل مكة في زيارتهم موضع مولده في هذا الوقت، وقيل لسبع عشرة وقيل لثمان عشرة، وقيل لثمان بقين منه. وقيل: إن هذين القولين غير صحيحين عمن حكيا عنه بالكلية.

والمشهور: أنه ولد [يوم الإثنين] ثاني عشر شهر ربيع الأول، وهو قول ابن إسحاق وغيره.

وإنما كان في شهر ربيع على الصحيح ولم يكن في المحرم، ولا في رجب، ولا في رمضان، ولا غيرها من الأشهر ذوات الشرف، لأنه عليه السلام لا يتشرف بالزمان، وإنما الزمان يتشرف به كالأماكن، فلو ولد في شهر من الشهور المذكورة، لتوهم أنه تشرف بها، فجعل الله تعالى مولده ﷺ في غيرها ليظهر عنايته به وكرامته عليه.

وإذا كان يوم الجمعة الذي خلق فيه آدم عليه السلام خص بساعة لا يصادفها عبد مسلم يسأل الله فيها خيراً إلا أعطاه إياه، فما بالك بالساعة التي ولد فيها سيد المرسلين. ولم يجعل الله تعالى في يوم الإثنين ـ يوم مولده ﷺ ـ من التكليف بالعبادات ما جعل في يوم الجمعة ـ المخلوق فيه آدم ـ من الجمعة والخطبة وغير ذلك، إكراماً لنبيه ﷺ بالتخفيف عن أمته، بسبب عناية وجوده قال تعالى: ﴿**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ومن جملة ذلك: عدم التكليف.

واختلف أيضاً في الوقت الذي ولد فيه.

والمشهور أنه يوم الإثنين. فعن. أبي قتادة الأنصاري[(١)]: أنه ﷺ سئل عن صيام يوم الإثنين فقال: «**ذاك يوم ولدت فيه، وأنزلت علي فيه النبوة**»[(٢)] رواه مسلم، وهذا يدل على أنه ﷺ ولد نهاراً.

وفي المسند، عن ابن عباس قال: ولد ﷺ يوم الإثنين، واستنبىء يوم الإثنين،

= توفي في مصر سنة (٤٥٤ هـ). الأعلام ٦/١٤٦ وفيات الأعيان ١/٤٦٢ طبقات الشافعية ٣/٦٢. معجم المطبوعات (١٥١٥) معجم المؤلفين ١٠/ ٤٢. كشف الظنون (١٧٢).

(١) هو الحارث (أو النعمان، أو عمرو) بن ربعي الأنصاري الخزرجي السلمي. أبو قتادة (١٨ ق. هـ ـ ٥٤ هـ) صحابي. توفي بالمدينة. الأعلام ٢/ ١٥٤. الإصابة ٧/ ١٥٥ رقم الترجمة (٩١٢) الكاشف ٣/ ٣٢٥ رقم الترجمة (٣٣٤). شذرات الذهب ١/ ٦٠.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ٢٩٧/٥. وأبو نعيم في حلية الأولياء ٥٢/٩. وفي البداية والنهاية ٢/ ٢٤٢.

وخرج مهاجراً من مكة إلى المدينة يوم الإثنين، ودخل المدينة يوم الإثنين،.ورفع الحجر يوم الإثنين. انتهى.

وكذا فتح مكة ونزول سورة المائدة يوم الإثنين.

وقد روي أنه ولد [يوم الإثنين] عند طلوع الفجر، فعن عبد الله بن عمرو بن العاصي قال: كان بمر الظهران راهب يسمى عيصى، من أهل الشام، وكان يقول: يوشك أن يولد فيكم يا أهل مكة مولود تدين له العرب ويملك العجم، هذا زمانه، فكان لا يولد بمكة مولود إلا يسأل عنه، فلما كان صبيحة اليوم الذي ولد فيه رسول الله ﷺ خرج عبد المطلب حتى أتى عيصى فناداه، فأشرف عليه، فقال له عيصى: كن أباه، فقد ولد ذلك المولود الذي كنت أحدثكم عنه يوم الإثنين، ويبعث يوم الإثنين، ويموت يوم الإثنين. قال: ولد لي الليلة مع الصبح مولود، قال: فما سميته؟ قال: محمداً، قال: والله لقد كنت أشتهي أن يكون هذا المولود فيكم أهل هذا البيت، بثلاث خصال تعرّفه: فقد أتى عليهن منها: أنه طلع نجمه البارحة، وأنه ولد اليوم، وأن اسمه محمد. رواه أبو جعفر بن أبي شيبة[1]، وخرجه أبو نعيم في الدلائل بسند فيه ضعف.

وقيل: كان مولده ﷺ عند طلوع الغفر، وهو ثلاثة أنجم صغار ينزلها القمر، وهو مولد النبيين، ووافق ذلك من الشهور الشمسية نيسان، وهو برج الحمل، وكان لعشرين مضت منه.

وقيل ولد ليلاً فعن عائشة قالت: كان بمكة يهودي يتجر فيها، فلما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله ﷺ قال: يا معشر قريش هل ولد فيكم الليلة مولود قالوا لا نعلم قال ولد الليلة نبي هذه الأمة الأخيرة بين كتفيه علامة فيها شعرات متواترات كأنهن عرف فرس فخرجوا باليهودي حتى أدخلوه على أمه فقالوا: أخرجي لنا ابنك فأخرجته وكشفوا عن ظهره فرأى تلك الشامة فوقع اليهودي مغشياً عليه فلما أفاق قالوا مالك ويلك قال: ذهبت والله النبوة من بني إسرائيل، رواه الحاكم.

قال الشيخ بدر الدين الزركشي: «**والصحيح أن ولادته** ﷺ كانت نهاراً، قال: وأما ما روي من تدلي النجوم فضعفه ابن دحية **لاقتضائه** أن الولادة ليلاً. قال: وهذا لا يصلح أن يكون تعليلاً، فإن زمان النبوة صالح للخوارق، ويجوز أن تسقط النجوم نهاراً» انتهى.

---

(١) هو محمد بن عثمان بن محمد بن أبي شيبة العبسي أبو جعفر الكوفي. مؤرخ. محدث ـ حافظ. مات في بغداد سنة (٢٩٧ هـ). الأعلام ٦/ ٢٦٠. تذكرة الحفاظ ٢/ ٦٦١ رقم الترجمة (٦٨١). طبقات المفسرين ٢/ ١٩٤ رقم الترجمة (٥٣٢) تاريخ بغداد ٢/ ٤٢.

فإن قلت: إذا قلنا بأنه عليه الصلاة والسلام ولد ليلاً، فأيما أفضل: ليلة القدر أو ليلة مولده ﷺ؟

أجيب: بأن ليلة مولده أفضل من ليلة القدر من وجوه ثلاثة:

أحدها: أن ليلة المولد ليلة ظهوره ﷺ، وليلة القدر معطاة له، وما شرف بظهور ذات المشرف من أجله أشرف مما شرف بسبب ما أعطيه، ولا نزاع في ذلك، فكانت ليلة المولد ـ بهذا الاعتبار ـ أفضل.

الثاني: أن ليلة القدر شرفت بنزول الملائكة فيها، وليلة المولد شرفت بظهوره ﷺ فيها. ومن شرفت به ليلة المولد أفضل ممن شرفت بهم ليلة القدر، على الأصح المرتضى، فتكون ليلة المولد أفضل.

الثالث: أن ليلة القدر وقع التفضل فيها على أمة محمد ﷺ، وليلة المولد الشريف وقع التفضل فيها على سائر الموجودات، فهو الذي بعثه الله عز وجل رحمة للعالمين، فعمت به النعمة على جميع الخلائق، فكانت ليلة المولد أعم نفعاً، فكانت أفضل.

فيا شهراً ما أشرفه وأوفر حرمة لياليه، كأنها لآلىء في العقود، ويا وجهاً ما أشرفه من مولود، فسبحان من جعل مولده للقلوب ربيعاً وحسنه بديعاً.

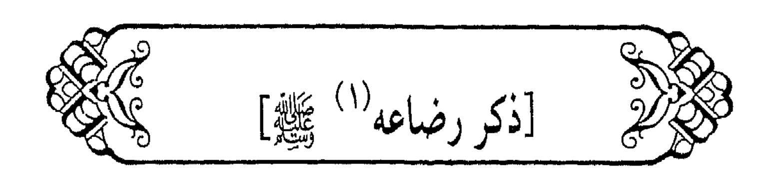
يقـول لنـا لسـان الحـال منـه	وقـول الحـق يعـذب للسميـع
فـوجهـي والـزمـان وشهـر وضعـي	ربيـع فـي ربيـع فـي ربيـع

واختلف أيضاً في مدة الحمل به، فقيل: تسعة أشهر، وقيل ثمانية وقيل سبعة وقيل ستة.

وولد عليه السلام في الدار التي كانت لمحمد بن يوسف أخي الحجاج ويقال بالشعب، ويقال بالردم ويقال بعسفان[1].

---

(١) هو محمد بن يوسف الثقفي. أمير استعمله الحجاج على صنعاء. ومات فيها سنة (٩١ هـ). الأعلام ٧/ ١٤٧.



[ذكر رضاعه[1] ﷺ]

وأرضعته ﷺ ثويبة، عتيقة أبي لهب، أعتقها حين بشرته بولادته عليه السلام.

وقد رؤي أبو لهب بعد موته في النوم فقيل له ما حالك؟ فقال: في النار، إلا أنه خفف عني كل ليلة إثنين، وأمص من بين أصبعي هاتين ماء[2]، وأشار برأس أصبعه وأن ذلك بإعتاقي لثويبة عندما بشرتني بولادة النبي ﷺ وبإرضاعها له.

قال ابن الجزري[3]: فإذا كان هذا أبو لهب الكافر، الذي نزل القرآن بذمه جوزي في النار بفرحه ليلة مولد النبي ﷺ به، فما حال المسلم الموحد من أمته عليه السلام الذي يسر بمولده، ويبذل ما تصل إليه قدرته في محبته ﷺ، لعمري إنما يكون جزاؤه من الله الكريم أن يدخله بفضله العميم جنات النعيم.

ولا زال أهل الإسلام يحتفلون بشهر مولده عليه السلام[4]، ويعملون الولائم، ويتصدقون في لياليه بأنواع الصدقات، ويظهرون السرور، ويزيدون في المبرات. ويعتنون بقراءة مولده الكريم، ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم.

ومما جرب من خواصه أنه أمان في ذلك العام، وبشرى عاجلة بنيل البغية والمرام، فرحم الله امرءاً اتخذ ليالي شهر مولده المبارك أعياداً، ليكون أشد علة على من في قلبه مرض وأعيا داء.

---

(١) انظر زاد المعاد بشرح المواهب ١/ ٦٢.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب النكاح باب (٢١) رقم الحديث (٥١٠١).

(٣) هو محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف. أبو الخير شمس الدين العمري الدمشقي ثم الشيرازي الشافعي الشهير بابن الجزري. (٧٥١ هـ - ٨٣٣ هـ). حافظ، مقرىء. توفي في شيراز. الأعلام ٧/ ٤٥. شذرات الذهب ٧/ ٢٠٤. الضوء اللامع ٩/ ٢٥٥ رقم الترجمة (٦٠٨) مفتاح السعادة ٣/ ٨٥ هدية العارفين ٢/ ١٨٧.

(٤) أول من أحدث فعل ذلك كوكبري. مظفر الدين ابن الأمير زين الدين أبي الحسن علي بن بكتكين التركماني. أبو سعيد الملك المظفر صاحب إربل المتوفي بإربل سنة (٦٣٠ هـ). وقال ابن كثير: «كان يعمل المولد الشريف في ربيع الأول، ويحتفل فيه احتفالاً هائلاً». البداية والنهاية ١٣/ ١٤٧.

ولقد أطنب ابن الحاج[1] في «المدخل» في الإنكار على ما أحدثه الناس من البدع والأهواء والغناء بالآلات المحرمة عند عمل المولد الشريف، فالله يثيبه على قصده الجليل، ويسلك بنا سبيل السنة، فإنه حسبنا ونعم الوكيل.

وقد ذكروا أنه لما ولد ﷺ، قيل: من يكفل هذه الدرة اليتيمة، التي لا يوجد لمثلها قيمة؟ قالت الطيور: نحن نكفله ونغنم خدمته العظيمة، قالت الوحوش: نحن أولى بذلك ننال شرفه وتعظيمه، فنادى لسان القدرة: أن يا جميع المخلوقات: إن الله تعالى قد كتب في سابق حكمته القديمة أن نبيه الكريم يكون رضيعاً لحليمة الحليمة[2].

قالت حليمة: فيما رواه ابن إسحاق وابن راهويه[3] وأبو يعلى والطبراني والبيهقي وأبو نعيم: قدمت مكة في نسوة من بني سعد بن بكر، نلتمس الرضعاء في سنة شهباء، فقدمت على أتان لي ومعي صبي لنا وشارف لنا، والله ما تبض بقطرة، وما ننام ليلنا ذلك أجمع مع صبينا ذاك، لا يجد في ثديي ما يغنيه، ولا في شارفنا ما يغذيه.

فقدمنا مكة، فوالله ما علمت منا امرأة إلا وقد عرض عليها رسول الله ﷺ فتأباه، إذا قيل لها يتيم، فوالله ما بقي من صواحبي امرأة إلا أخذت رضيعاً غيري، فلما لم أجد غيره، قلت لزوجي: والله إني لأكره أن أرجع من بين صواحبي ليس معي رضيع، لأنطلقن إلى ذلك اليتيم فلآخذنه، فذهبت فإذا به مدرج في ثوب صوف أبيض من اللبن، يفوح منه المسك، وتحته حريرة خضراء، راقداً على قفاه، يغط، فأشفقت أن أوقظه من نومه لحسنه وجماله، فدنوت منه رويداً فوضعت يدي على صدره فتبسم ضاحكاً، وفتح عينيه لينظر إلي، فخرج من عينيه نور حتى دخل خلال السماء وأنا أنظر، فقبلته بين عينيه، وأعطيته ثديي الأيمن، فأقبل عليه بما شاء من لبن، فحولته إلى الأيسر فأبى، وكانت تلك حاله بعد. ـ قال أهل العلم: أعلمه الله تعالى أن له شريكاً فألهمه العدل ـ قالت: فروي وروي أخوه.

ثم أخذته، فما هو إلا أن جئت به رحلي، فأقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن،

---

(١) هو محمد بن محمد بن محمد ابن الحاج. أبو عبد الله العبدري المالكي الفاسي فقيه. توفي بالقاهرة سنة (٧٣٧ هـ). الأعلام ٧/ ٣٥. الدرر الكامنة ٤/ ٢٣٧ رقم الترجمة (٦٢٧).

(٢) انظر زاد المعاد بشرح المواهب ١/ ٦٢.

(٣) هو إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي التميمي المروزي أبو يعقوب ابن رهويه. (١٦١ ـ ٢٣٨ هـ). حافظ. توفي بنيسابور. الأعلام ١/ ٢٩٢. حلية الأولياء ٩/ ٢٣٤ رقم الترجمة (٤٤٦). وفيات الأعيان ١/ ٦٤. شذرات الذهب ٢/ ٨٩، تذكرة الحفاظ ٢/ ٤٣٣ رقم الترجمة (٤٤٠). مفتاح السعادة ٢/ ٢٩٧.

فشرب حتى رويَ [وشرب أخوه حتى روي]، فقام صاحبي ـ تعني زوجها ـ إلى شارفنا تلك، فإذا إنها لحافل، فحلب ما شرب وشربت حتى روينا، وبتنا بخير ليلة، فقال صاحبي: يا حليمة، والله إني لأراك قد أخذت نسمة مباركة، ألم تري ما بتنا به الليلة من الخير والبركة حين أخذناه، فلم يزل الله يزيدنا خيراً.

قال في رواية ذكرها ابن طغر بك في «النطق المفهوم»: فلما نظر صاحبي إلى هذا قال لي: اسكتي واكتمي أمرك، فمن ليلة ولد هذا الغلام أصبحت الأحبار قواماً على أقدامها، لا يهنؤها عيش النهار ولا نوم الليل.

قالت حليمة: فودعت النساء بعضهن بعضاً وودعت أنا أم النبي ﷺ، ثم ركبت أتاني وأخذت محمداً ﷺ بين يدي، قالت: فنظرت إلى الأتان وقد سجدت نحو الكعبة ثلاث سجدات ورفعت رأسها إلى السماء ثم مشت حتى سبقت دواب الناس الذين كانوا معي، وصار الناس يتعجبون مني ويقلن النساء لي وهن ورائي: يا بنت أبي ذؤيب أهذه أتانك التي كنت عليها وأنت جائية معنا تخفضك طوراً وترفعك أخرى؟ فأقول: تالله إنها هي فيتعجبن منها ويقلن إن لها لشأناً عظيماً. قالت: فكنت أسمع أتاني تنطق وتقول والله إن لي لشأناً ثم شأناً بعثني الله بعد موتي ورد لي سمني بعد هزالي، ويحكن يا نساء بني سعد إنكن لفي غفلة وهلى تدرين من على ظهري، على ظهري خيار النبيين وسيد المرسلين وخير الأولين والآخرين وحبيب رب العالمين.

قالت حليمة ـ فيما ذكره ابن إسحاق وغيره ـ: ثم قدمنا منازل بني سعد، ولا أعلم أرضاً من أرض الله أجدب ـ [بالدال المهملة] ـ منها، فكانت غنمي تروح على حين قدمنا به شباعاً لُبناً، فنحلب ونشرب، وما يحلب إنسان قطرة لبن ولا يجدها في ضرع، حتى كان الحاضر من قومنا يقولون لرعاتهم: اسرحوا حيث يسرح راعي غنم بنت أبي ذؤيب، فتروح أغنامهم جياعاً ما تبض بقطرة لبن، وتروح أغنامي شباعاً لُبناً.

فللَّه درها من بركة كثرت بها مواشي حليمة ونمت وارتفع قدرها به وسمت ولم تزل حليمة تتعرف الخير والسعادة وتفوز منه بالحسنى وزيادة.

لقد بلغت بالها شمي حليمة	مقاماً علا في ذروة العز والمجد
وزادت مواشيها وأخصب ربعها	وقد عم هذا السعد كل بني سعد

قال ابن الطراح رأيت في كتاب الترقيص لأبي عبد الله محمد بن المعلى الأزدي(١) أن من شعر حليمة ما كانت ترقص به النبي ﷺ:

---

(١) انظر كشف الظنون ١/ ٤٠١.

يـــا رب إذ أعطيتـــه فـــأبقـــه وأعلـــه إلـــى العـــلا وأرقـــه
وأدحـــض أبـــاطيـــل العـــدا بحقـــه

وعند غيره كانت الشيماء[1] أخته من الرضاعة تحضنه وترقصه وتقول:

هـــذا أخ لـــم تلـــده أمـــي وليـــس مـــن نســـل أبـــي وعمـــي
فـــديتـــه مـــن مخـــول معمـــي فـــأنمـــه اللهـــم فيمـــا تنمـــي

وأخرج البيهقي والصابوني[2] في المائتين والخطيب وابن عساكر في تاريخهما وابن طغر بك السياف في النطق المفهوم عن العباس بن عبد المطلب قال قلت يا رسول الله دعاني للدخول في دينك أمارة لنبوتك رأيتك في المهد تناغي القمر وتشير إليه بأصبعك فحيث أشرت إليه مال قال: «**إني كنت أحدثه ويحدثني ويلهيني عن البكاء وأسمع وجبته حين يسجد تحت العرش**»[3] قال البيهقي تفرد به أحمد بن إبراهيم الجيلي وهو مجهول وقال الصابوني: هذا حديث غريب الإسناد والمتن وهو في المعجزات حسن.

والمناغاة: المحادثة، وقد ناغت الأم صبيها: لاطفته وشاغلته بالمحادثة والملاعبة.

وفي فتح الباري عن سيرة الواقدي[4]: أنه ﷺ تكلم في أوائلُ ما ولد. وذكر ابن سبع في الخصائص أن مهده كان يتحرك بتحريك الملائكة.

وأخرج البيهقي وابن عساكر عن ابن عباس قال كانت حليمة تحدث أنها أول ما فطمت رسول الله ﷺ تكلم فقال: «**الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلاً**»، فلما ترعرع كان يخرج فينظر إلى الصبيان يلعبون فيجتنبهم[5]. الحديث.

---

(١) هي ابنة الحارث بن عبد العزى بن رفاعة السعدية. أخت النبي من الرضاع. توفيت بعد (٨ هـ). الأعلام ٣/ ١٨٤. الإصابة ٨/١٢٣ رقم الترجمة (٦٣٠). حسن الصحابة (٢٩٠). جمهرة الأنساب (٢٥٣).

(٢) هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل أبو عثمان الصابوني (٣٧٣ ـ ٤٤٩ هـ). عارف بالحديث والتفسير. مات في نيسابور. الأعلام ١/ ٣١٧. تهذيب تاريخ دمشق ٣/ ٢٧. طبقات الشافعية ٣/ ١١٧.

(٣) ذكره المتقي الهندي في كنز العمال (٣١٨٢٨). وفي البداية والنهاية ٢/ ٢٤٨ وفيه «تفرد به الليثي وهو مجهول».

(٤) هو محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء المدني أبو عبد الله الواقدي. (١٣٠ ـ ٢٠٧ هـ). مؤرخ. من حفاظ الحديث توفي في بغداد. الأعلام ٦/ ٣١١. تذكرة الحفاظ ١/ ٣٤٨ رقم الترجمة (٣٣٤). تاريخ بغداد ٣/ ٣ وفيات الأعيان ١/ ٥٠٦ معجم الأدباء ٥/ ٣٩١ رقم الترجمة (٩٠٠) شذرات الذهب ٢/ ١٨ طبقات ابن سعد ٧/ ٢٤١ رقم الترجمة (٣٤٩٩).

(٥) انظر دلائل النبوة للبيهقي ١/ ١٤٠.

وقد روى ابن سعد وأبو نعيم وابن عساكر، عن ابن عباس قال: كانت حليمة لا تدعه يذهب مكاناً بعيداً، فغفلت عنه، فخرج مع أخته الشيماء في الظهيرة إلى البهم، فخرجت حليمة تطلبه، حتى تجده مع أخته فقالت: في هذا الحر؟ قالت أخته: يا أمه ما وجد أخي حراً، رأيت غمامة تظل عليه، إذا وقف وقفت وإذا سار سارت حتى انتهى إلى هذا الموضع الحديث.

وكان ﷺ يشب شباباً لا يشبه الغلمان.

قالت حليمة: فلما فصلته قدمنا به على أمه، ونحن أحرص شيء على مكثه فينا، لما نرى من بركته، فكلمنا أمه وقلنا: لو تركتيه عندنا حتى يغلظ، فإنا نخشى عليه وباء مكة، ولم نزل بها حتى ردته معنا فرجعنا به.

فوالله إنه لبعد مقدمنا بشهرين أو ثلاثة مع أخيه من الرضاعة، لفي بُهم لنا خلف بيوتنا، جاء أخوه يشتد، فقال: ذاك أخي القرشي، قد جاء رجلان عليهما ثياب بيض، فأضجعاه وشقا بطنه، فخرجت أنا وأبوه نشتد نحوه، فنجده قائماً منتقعاً لونه، فاعتنقه أبوه وقال: أي بني، ما شأنك، فقال: جائني رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاني فشقا بطني، ثم استخرجا منه شيئاً فطرحاه، ثم رداه كما كان. فرجعنا به معنا، فقال أبوه: يا حليمة لقد خشيت أن يكون ابني قد أصيب، فانطلق بنا نرده إلى أهله قبل أن يظهر به ما نتخوف، قالت حليمة فاحتملناه حتى قدمنا به مكة إلى أمه، فقالت: ما ردكما به فقد كنتما حريصين عليه؟ قلنا نخشى عليه الإتلاف والأحداث، فقالت: ما ذاك بكما، فاصدقاني شأنكما، فلم تدعنا حتى أخبرناه خبره، قالت: أخشيتما عليه الشيطان، كلا والله ما لشيطان عليه سبيل، وإنه لكائن لابني هذا شأن عظيم فدعاه عنكما.

وفي حديث شداد بن أوس عن رجل من بني عامر، عند أبي يعلى وأبي نعيم وابن عساكر: أن رسول الله ﷺ قال: «**كنت مسترضعاً في بني سعد بن بكر، فبينا أنا ذات يوم في بطن واد، مع أتراب لي من الصبيان، إذا أنا برهط ثلاثة معهم طست من ذهب، مليء ثلجاً، فأخذوني من بين أصحابي، وانطلق الصبيان هراباً مسرعين إلى الحي، فعمد أحدهم فأضجعني على الأرض إضجاعاً لطيفاً، ثم شق ما بين مفرق صدري إلى منتهى عانتي وأنا أنظر إليه، لم أجد لذلك مساً، ثم أخرج أحشاء بطني ثم غسلها بذلك الثلج، فأنعم غسلها، ثم أعادها مكانها، ثم قال الثاني فقال لصاحبه تنح، ثم أدخل يده في جوفي فأخرج قلبي وأنا أنظر إليه فصدعه ثم أخرج منه مضغة سوداء فرمى بها ثم قال بيده يمنة ويسرة كأنه يتناول شيئاً فإذا بخاتم في يده من نور يحار الناظر دونه فختم به قلبي فامتلأ وذلك نور النبوة والحكمة ثم أعاده مكانه فوجدت برد ذلك الخاتم في قلبي دهراً،**

ثم قال الثالث لصاحبه تنح، فأمَّر يده بين مفرق صدري إلى منتهى عانتي فالتأم ذلك الشق بإذن الله تعالى، ثم أخذ بيدي فأنهضني من مكاني إنهاضاً لطيفاً ثم قال للأول: زنه بعشرة من أمته فوزنوني بهم فرجحتهم ثم قال زنه بمائة من أمته فرجحتهم ثم قال زنه بألف فرجحتهم فقال: دعوه فلو وزنتموه بأمته كلها لرجحهم، ثم ضموني إلى صدورهم وقبلوا رأسي وما بين عيني ثم قالوا: يا حبيب لم ترع إنك لو تدري ما يراد بك من الخير لقرت عيناك الحديث».

وفي رواية ابن عباس، عند البيهقي، قالت حليمة: إذا أنا بابني ضمرة يعدو فزعاً، وجبينه يرشح باكياً ينادي: يا أبت، يا أماه، الحقا محمداً فما تلحقاه إلا ميتاً. أتاه رجل فاختطفه من أوساطنا، وعلا به ذروة الجبل، حتى شق صدره إلى عانته، وفيه: أنه عليه السلام قال: «**أتاني رهط ثلاثة، بيد أحدهم إبريق من فضة، وفي يد الثاني طست من زمردة خضراء**» الحديث[1].

فإن قلت: هل غسل قلبه الشريف في الطست خاص به، أو فعل بغيره من الأنبياء عليهم السلام؟

أجيب: بأنه ورد في خبر التابوت والسكينة: أنه كان فيه الطست الذي غسلت فيه قلوب الأنبياء، ذكره الطبري، وعزاه العماد ابن كثير في تفسيره لرواية السدي عن أبي مالك عن ابن عباس.

فإن قلت: ما الحكمة في ختم قلبه المقدس؟

أجيب: بأنه إشارة إلى ختم الرسالة به، وهذا مسلم، إن كان الختم خاصاً به، أما إذا ورد أنه ليس خاصاً به بل بكل نبي ـ وسيأتي إن شاء الله تعالى قريباً ما في الخاتم الشريف من المباحث ـ فتكون الحكمة أنه علامة يمتاز بها عن غيره ممن ليس بنبي.

والمراد بالوزن: في قوله «زنه بعشرة الخ» الوزن الإعتباري، فيكون المراد الرجحان في الفضل، وهو كذلك.

وفائدة فعل الملكين، ذلك، ليعلم الرسول ذلك، حتى يخبر به غيره ويعتقده، إذ هو من الأمور الإعتقادية.

وقد وقع شق صدره السريف [واستخراج قلبه] مرة أخرى عند مجيء جبريل له

---

(١) انظر دلائل النبوة للبيهقي ١/١٤٦ و ٢/٥ وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل ٤/ ١٨٤ وفي تهذيب تاريخ دمشق ١/٣٨ و ١/ ٣٧٢.

بالوحي في غار حراء. ومرة أخرى عند الإسراء به، وسيأتي كل في موضعه إن شاء الله تعالى.

وروى الشق أيضاً، وهو ابن عشر أو نحوها، مع قصة له مع عبد المطلب، أبو نعيم في الدلائل.

وروي خامسة، ولا تثبت.

والحكمة في شق صدره الشريف في حال صباه، واستخراج العلقة منه، تطهيره عن حالات الصبا حتى يتصف في سن الصبا بأوصاف الرجولية، ولذلك نشأ عليه السلام على أكمل الأحوال من العصمة.

وقد روي أنه ختم بخاتم النبوة بين كتفيه، وكان ينم مسكاً، وأنه مثل زر الحجلة[1]، ذكره البخاري.

وفي مسلم: جمع عليه خيلان، كأنها الثآليل السود عند نغض كتفه[2]، ويروى: غضروف كتفه اليسرى.

وفي كتاب أبي نعيم: الأيمن.

وفي مسلم أيضاً: كبيضة الحمام[3].

وفي صحيح الحاكم: شعر مجتمع.

وفي البيهقي: مثل السلعة.

وفي الشمائل: بضعة ناشزة.

وفي حديث عمرو بن أخطب: كشيء يختم به.

وفي تاريخ ابن عساكر: مثل البندقة.

وفي الترمذي ودلائل البيهقي: كالتفاحة[4].

وفي الروض: كأثر المحجمة القابضة على اللحم.

وفي تاريخ ابن أبي خيثمة: شامة خضراء محتفرة في اللحم.

---

(١) أخرجه البخاري برقم [٣٥٤١ و ٥٦٧٠] ومسلم في كتاب الفضائل (١١١). والترمذي في المناقب (١١) برقم (٣٦٤٣) وأحمد بن حنبل في المسند ٦/ ١١٢.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٥/ ٨٢ ورواه مسلم رقم الحديث (٢٣٤٦).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل رقم الحديث (١٠٩ و ١١٠) وهو في مسند الإمام أحمد بن حنبل ٥/ ٩٠.

(٤) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب (٣) رقم الحديث (٣٦٢٠) وهو في مسند الإمام أحمد بن حنبل ٤/ ١٦٣.

وفيه أيضاً: شامة سوداء تضرب إلى الصفرة حولها شعرات متراكمات كأنها عرف الفرس.

وفي تاريخ القضاعي: ثلاث شعرات مجتمعات.

وفي كتاب الترمذي الحكيم[1]: كبيضة حمام، مكتوب في باطنها: الله وحده لا شريك له، وفي ظاهرها: توجه حيث كنت فإنك المنصور.

وفي كتاب المولد لابن عائذ: كان نوراً يتلألأ.

وفي سيرة ابن أبي عاصم: عذرة كعذرة الحمام، قال أبو أيوب: يعني قرطمة الحمامة.

وفي تاريخ نيسابور: مثل البندقة من لحم مكتوب فيه باللحم: محمد رسول الله.

وعن عائشة: كتينة صغيرة تضرب إلى الدهمة، وكان مما يلي الفقار قالت: فلمسته حين توفي فوجدته قد رفع.

حكى هذا كله الحافظ مغلطاي.

لكن قال في فتح الباري: ما ورد من أن الخاتم كان كأثر المحجم، أو كالشامة السوداء أو الخضراء، مكتوب عليها: محمد رسول الله، أو: سر فإنك المنصور. لم يثبت منها شيء[2]. قال: ولا يغتر بما وقع في صحيح ابن حبان، فإنه غفل حيث صحح ذلك.

وقال الهيثمي[3] في «موارد الظمآن» بعد أن أورد الحديث ولفظه: مثل البندقة من اللحم مكتوب عليه: محمد رسول الله. اختلط على بعض الرواة خاتم النبوة بالخاتم الذي كان يختم به.

وبخط الحافظ ابن حجر على الهامش: البعض المذكور هو إسحاق بن إبراهيم قاضي سمرقند وهو ضعيف.

وقوله: زر الحجلة ـ بالزاي والراء ـ والحجلة ـ بالحاء المهملة والجيم ـ قال

---

(١) هو محمد بن علي بن الحسن بن بشر أبو عبد الله الحكيم الترمذي، باحث صوفي عالم بالحديث و «أصول الدين» اضطراب في تاريخ وفاته فمنهم من قال: سنة (٢٥٥ هـ و٢٨٥ هـ وقيل ٣١٨ و٣٢٠ هـ). الأعلام ٦/ ٢٧٢ طبقات الشافعية ٢/ ٢٠ مفتاح السعادة ٢/ ١٧٠ لسان الميزان ٥/ ٣٠٨ كشف الظنون ١/ ٩٣٨ معجم المطبوعات ٦٣٣ تذكرة الحفاظ ٢/ ٦٤٥ رقم الترجمة (٦٦٨).

(٢) انظر فتح الباري ٦/ ٦٩٨.

(٣) هو علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي أبو الحسن نور الدين المصري القاهري (٧٣٥ ـ ٨٠٧ هـ) حافظ. الأعلام ٤/ ٢٦٦ الضوء اللامع ٥/ ٢٠٠ رقم الترجمة (٦٧٦) أنباء القمر ٢/ ٣٠٧.

النووي: هي واحدة الحجال، وهي بيت كالقبة، لها أزرار كبار وعرى، هذا هو الصواب. وقال بعضهم: المراد بالحجلة: الطائر المعروف. وزرها: بيضها[١]، وأشار إليه الترمذي وأنكره عليه العلماء.

وقوله: جمع ـ بضم الجيم وإسكان الميم ـ أي كجمع الكف، وصورته: أن تجمع الأصابع وتضمها.

وقوله: خيلان: ـ بكسر الخاء المعجمة وإسكان التحتية ـ جمع خال، وهوالشامة على الجسد.

وقوله: نغض: ـ بالنون والغين والضاد، المعجمتين ـ قال النووي: النُغْض والنَّغْض والناغض: أعلى الكتف، وقيل هو العظم الرقيق الذي على طرفه، وقيل: ما يظهر منه عند التحرك، سمي ناغضاً لتحركه.

وقوله: بضعة ناشزة ـ بالمعجمة والزاي ـ أي قطعة لحم مرتفعة على جسده. وبيضة الحمامة: معروفة. انتهى.

والثآليل: ـ بالمثلثة ـ جمع ثؤلول: وهو حب يعلو ظاهر الجسد، واحدته كالحمصة فما دونها.

وفي القاموس: وقرطمتا الحمام ـ أي بكسر القاف ـ نقطتان على أصل منقاره[٢].

وقال بعض العلماء: اختلفت أقوال الرواة في خاتم النبوة، وليس ذلك باختلاف، بل كل شبه بما سنح له، وكلها ألفاظ مؤداها واحد، وهو: قطعة لحم، ومن قال: شعر، فلأن الشعر حوله متراكم عليه، كما في الرواية الأخرى.

وقال القرطبي[٣]: الأحاديث الثابتة دالة على أن خاتم النبوة كان شيئاً بارزاً أحمر عند كتفه الأيسر، إذا قلل، قدر ببيضة الحمامة، وإذا كبر: جُمع اليد.

وقال القاضي عياض[٤]. وهذه الروايات متقاربة متفرقة، متفقة على أنه شاخص

---

(١) انظر فتح الباري ٦/ ٦٩٨.

(٢) راجع القاموس المحيط ٤/ ١٦٥ مادة (القرطم).

(٣) هو أحمد بن عمر بن إبراهيم أبو العباس الأنصاري القرطبي (٥٧٨ ـ ٦٥٦ هـ) فقيه مالكي من رجال الحديث. توفي في الاسكندرية. الأعلام ١/ ١٨٦ نفح الطيب ٢/ ٦٤٣.

(٤) هو عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي أبو الفضل (٤٧٦ ـ ٥٤٤ هـ) محدث عالم بأنساب العرب وأيامهم. توفي بمراكش. الأعلام ٥/ ٩٩ وفيات الأعيان ١/ ٣٩٢ وقضاة الأندلس ١٠١ ومفتاح السعادة ٢/ ١٩ إنباه الرواة ٢/ ٣٦٢ الديباج المذهب ١٦٨ معجم المطبوعات=

في جسده، قدر بيضة الحمامة، وزر الحجلة. وأما رواية جمع الكف فظاهرها المخالفة، فتتأول على وفق الروايات الكثيرة، ويكون معناه: على هيئة جمع الكف، لكنه أصغر منه في قدر بيضة الحمامة. قال: وهذا الخاتم هو أثر شق الملكين بين كتفيه.

قال النووي: هذا الذي قاله ضعيف، بل باطل، لأن شق الملكين إنما كان في صدره وبطنه. انتهى.

ويشهد له قول أنس في حديث عند مسلم ـ يأتي في ذكر قلبه الشريف، من المقصد الثالث، إن شاء الله تعالى ـ: فلقد كنت أرى أثر المخيط في صدره[1].

لكن أجيب: بأن في حديث عتبة بن عبد السلمي[2] ـ عند أحمد والطبراني ـ أن الملكين لما شقا صدره قال أحدهما للآخر: خطه، فخاطه وختم عليه بخاتم النبوة، فلما ثبت أن خاتم النبوة بين كتفيه حمل القاضي عياض ذلك على أن الشق لما وقع في صدره، ثم خيط حتى التأم كما كان، ووقع الختم بين كتفيه كان ذلك أثر الختم. وفهم النووي وغيره منه: أن قوله بين كتفيه متعلق بالشق وليس كذلك، بل هو متعلق بأثر الختم، وحينئذ فليس ما قاله القاضي عياض بباطل، انتهى.

وقال السهيلي: والصحيح أنه ـ يعني خاتم النبوة ـ كان عند نغض كتفه الأيسر.

واختلف هل ولد به؟ أو وضع بعد ولادته؟ على قولين.

وقد وقع التصريح بوقت وضع الخاتم، وكيف وضع، ومن وضعه، في حديث أبي ذر عند البزار وغيره قال: قلت يا رسول الله: كيف علمت أنك نبي، وبم علمت أنك نبي حتى استيقنت؟ قال: «**أتاني آتيان، وفي رواية ملكان، وأنا ببطحاء مكة، فوقع أحدهما بالأرض، وكان الآخر بين السماء والأرض، فقال أحدهما لصاحبه: أهو هو؟ قال: هو هو، قال: فزنه برجل**». **الحديث**[3]. وفيه: ثم قال أحدهما لصاحبه: شق بطنه، فشق بطني فأخرج قلبي فأخرج منه معمز الشيطان وعلق الدم فطرحهما، فقال أحدهما لصاحبه: اغسل بطنه غسل الإناء، وأغسل قلبه غسل الملاء، ثم قال أحدهما لصاحبه:

= ١٣٩٧ تذكرة الحفاظ ٤/ ١٣٠٤ رقم الترجمة (١٠٨٣) روضات الجنات ٥٠٦ طبقات المفسرين ٢/ ٢١ رقم الترجمة (٣٩٨) تاج العروس مادة (حصب).

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان (٢٦١) وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل ٣/ ١٢١ ودلائل النبوة للبيهقي ٢/ ٥.

(٢) هو عتبة بن عبد السلمي أبو الوليد، صحابي توفي بالشام سنة (٨٧هـ). الكاشف ٢/ ٢١٥ رقم الترجمة (٣٧٢١) والإصابة ٤/ ٢١٤ رقم الترجمة (٥٣٩٩).

(٣) انظر دلائل النبوة للبيهقي ٢/ ٥ وما بعدها.

خط بطنه، فخاط بطني وجعل الخاتم بين كتفي كما هو الآن، ووليا عني، وكأني أرى الأمر معاينة.

وعند أبي نعيم في الدلائل: أنه ﷺ لما ولد، ذكرت أمه أن الملك غمسه في الماء الذي أنبعه ثلاث غمسات، ثم أخرج سرقة من حرير أبيض، فإذا فيها خاتم فضرب على كتفه كالبيضة المكنونة، تضيء كالزهرة.

وقيل: ولد به، فالله أعلم.

وأخرج الحاكم في المستدرك عن وهب بن منبه قال: لم يبعث الله نبياً إلا وقد كان عليه شامات النبوة في يده اليمنى، إلا أن يكون نبينا ﷺ فإن شامة النبوة كانت بين كتفيه.

وعلى هذا: فيكون وضع الخاتم بين كتفيه بإزاء قلبه مما اختص به عن سائر الأنبياء والله أعلم.

ولما بلغ ﷺ أربع سنين ـ وقيل خمساً، وقيل ستاً، وقيل سبعاً، وقيل تسعاً، وقيل اثنتي عشرة سنة وشهراً وعشرة أيام ـ ماتت أمه بالأبواء[1] وقيل بشعب أبي ذئب بالحجون. وفي القاموس: ودار رائعة بمكة فيها مدفن آمنة أم النبي ﷺ.

وأخرج ابن سعد عن ابن عباس وعن الزهري، وعن عاصم بن عمرو بن قتادة[2] دخل حديث بعضهم في حديث بعض قالوا: لما بلغ رسول الله ﷺ ست سنين خرجت به أمه إلى أخواله بني عدي بن النجار بالمدينة، تزورهم، ومعه أم أيمن[3]، فنزلت به دار التابعة. فأقامت به عندهم شهراً، فكان ﷺ يذكر أموراً كانت في مقامه ذلك، ونظراً إلى الدار فقال: ها هنا نزلت بي أمي، وأحسنت العوم في بئر بني عدي بن النجار، وكان قوم من اليهود يختلفون ينظرون إلي. قالت أم أيمن فسمعت أحدهم يقول: هو نبي هذه الأمة، وهذه دار هجرته، فوعيت ذلك كله من كلامهم، ثم رجعت به أمه إلى مكة، فلما كانت بالأبواء توفيت.

وروى أبو نعيم من طريق الزهري عن أسماء بنت رهم عن أمها قالت: شهدت آمنة

---

(١) انظر معجم البلدان ١/ ٧٩ وفيه: وبالأبواء قبر آمنة بنت وهب أم النبي ﷺ. وانظر زاد المعاد بشرح المواهب ١/ ٥٥ وشرح المواهب ١/ ١٦٢.

(٢) هو عاصم بن عمر بن قتادة بن النعمان الظفري المدني الأنصاري الأوسي. عالم بالمغازي كثير الحديث. مات سنة (١٢٠ هـ وقيل سنة ١٢٩ هـ). الكاشف ٢/ ٤٦ رقم الترجمة (٢٥٣٦).

(٣) هي بركة الحبشية بنت ثعلبة مولاة رسول الله وحاضنته، توفيت في أول خلافة عثمان وقيل بعد موت النبي ﷺ بخمسة أشهر. طبقات ابن سعد ٨/ ١٧٩ رقم الترجمة (٤١٥٦).

أم النبي ﷺ في علتها التي ماتت بها، ومحمد عليه السلام غلام يفع له خمس سنين عند رأسها، فنظرت إلى وجهه ثم قالت:

بــــارك الله فيـــك مـــن غـــلام	يـا ابـن الـذي مـن حـومـة الحمـام
نجـــا بعـــون الملـــك المنعـــام	فـــودي غـــداة الضـــرب بـــالسهـــام
بمـــائـــة مـــن إبـــل ســـوام	إن صـــح مـــا أبصـــرت فـــي المنـــام
فـــأنـــت مبعـــوث إلـــى الأنـــام	مـــن عنـــد ذي الجـــلال والإكـــرام
تبعـــث فـــي الحـــل وفـــي الحـــرام	تبعـــث فـــي التحقيـــق والإســـلام
ديـــن أبيـــك البـــر إبـــراهـــام	فـــالله أنهـــاك عـــن الأصنـــام

أن لا تواليها مع الأقوام

ثم قالت: كل حي ميت، وكل جديد بال، وكل كبير يفنى وأنا ميتة وذكري باق، وقد تركت خيراً، وولدت طهراً، ثم ماتت. فكنا نسمع نوح الجن عليها فحفظنا من ذلك هذه الأبيات:

نبكـــي الفتـــاة البـــرة الأمينـــة	ذات الجمـــال العفـــة الـــرزينـــة
زوجـــة عبـــد الله والقـــرينـــة	أم نبـــــي الله ذي السكينـــــة
وصـــاحـــب المنبـــر بـــالمـــدينـــة	صـــارت لـــدى حفـــرتهـــا رهينـــة

وقد روي أن آمنة آمنت به ﷺ بعد موتها.

فروى الطبري[1] بسنده عن عائشة أن النبي ﷺ نزل الحجون كئيباً حزيناً، فأقام به ما شاء الله عز وجل، ثم رجع مسروراً، قال: «**سألت ربي فأحيا لي أمي، فآمنت بي ثم ردها**»[2].

ورواه أبو حفص بن شاهين[3] في كتاب: «الناسخ والمنسوخ» له، بلفظ، قالت عائشة: حج بنا رسول الله ﷺ حجة الوداع، فمر بي على عقبة الحجون، وهو باك حزين

(١) هو أحمد بن عبد الله بن محمد الطبري أبو العباس محب الدين (٦١٥ ـ ٦٩٤ هـ). حافظ فقيه شافعي. توفي في مكة. الأعلام ١/ ١٥٩ شذرات الذهب ٥/ ٤٢٥ طبقات الشافعية ٥/ ٨ وفيه مولده سنة (٦١٠ هـ) مرآة الجنان ٤/ ٢٢٤ والمنهل الصافي ٣٢٠ رقم الترجمة (١٨٤) تذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٧٤ رقم الترجمة (١١٦٣).

(٢) ذكره السيوطي في اللآلىء المصنوعة ١/ ١٣٨.

(٣) هو عمر بن أحمد بن عثمان ابن شاهين أبوحفص(٢٩٧ ـ ٣٨٥ هـ) عالم بالحديث حافظ. الأعلام ٥/ ٤٠ تاريخ بغداد ٥/ ٢٦٥ لسان الميزان ٤/ ٢٨٣ كشف الظنون ١٤٢٥ تذكرة الحفاظ ٣/ ٩٨٧ رقم الترجمة (٩٢٣) مرآة الجنان ٢/ ٤٢٦.

مغتم، فبكيت لبكائه، ثم إنه نزل فقال: «يا حميراء استمسكي» فاستندت إلى جنب البعير، فمكثت ملياً، ثم عاد إلي وهو فرح متبسم فقال: «**ذهبت لقبر أمي فسألت ربي أن يحييها، فأحياها فآمنت بي**»[1].

وكذا روي من حديث عائشة أيضاً إحياء أبويه ﷺ حتى آمنا به. أورده السهيلي، وكذا الخطيب في السابق واللاحق.

وقال السهيلي: إن في إسناده مجاهيل.

وقال ابن كثير: إنه حديث منكر جداً، وسنده مجهول.

وقال ابن دحية: هذا الحديث موضوع يرده القرآن والإجماع. انتهى.

وقد جزم بعض العلماء: أن أبويه ﷺ ناجيان، وليسا في النار، متمسكاً بهذا الحديث وغيره.

وتعقبه عالم آخر: بأنه لم ير أحداً صرح بأن الإيمان بعد انقطاع العمل بالموت ينفع صاحبه، فإن ادعى أحد الخصوصية فعليه الدليل. انتهى.

وقد سبقه لذلك، أبو الخطاب بن دحية، وعبارته: من مات كافراً لم ينفعه الإيمان بعد الرجعة، بل لو آمن عند المعاينة لم ينفعه ذلك، فكيف بعد الإعادة. انتهى.

وتعقبه القرطبي[2] في «التذكرة»: بأن فضائله ﷺ وخصائصه لم تزل تتوالى وتتابع إلى حين مماته، فيكون هذا مما فضله الله به وأكرمه، قال: وليس إحياؤهما وإيمانهما بممتنع عقلاً ولا شرعاً، فقد ورد في الكتاب العزيز إحياء قتيل بني إسرائيل، وإخباره بقاتله، وكان عيسى عليه السلام يحيي الموتى، وكذلك نبينا ﷺ أحيا الله على يده جماعة من الموتى، وإذا ثبت هذا فلا يمتنع إيمانهما بعد إحيائهما، ويكون ذلك زيادة في كرامته وفضيلته.

ثم قال: وقوله: من مات كافراً إلى آخر كلامه، مردود بما روي في الخبر أن الله تعالى رد الشمس على نبيه ﷺ بعد مغيبها. ذكره الطحاوي[3] وقال: إنه حديث ثابت،

---

(١) ذكره السيوطي في اللآلىء المصنوعة ١/١٣٨ والفوائد المجموعة للشوكاني ٣٢٢.

(٢) هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي أبو عبد الله القرطبي. مفسر توفي في مصر (شمال أسيوط بالمنية) سنة (٦٧١ هـ). الأعلام ٥/ ٣٢٢ نفح الطيب ١/ ٤٢٨ والديباج المذهب ٣١٧.

(٣) هو أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي الطحاوي، أبو جعفر (٢٣٩ ـ ٣٢١ هـ) فقيه حنفي توفي بالقاهرة. الأعلام ١/٢٠٦ وفيات الأعيان ١/١٩ لسان الميزان ١/ ٢٧٤ معجم المطبوعات=

فلو لم يكن رجوع الشمس نافعاً، وأنه لا يتجدد به الوقت لما ردها عليه، فكذلك يكون إحياء أبوي النبي ﷺ نافعاً لإيمانهما وتصديقهما بالنبي ﷺ انتهى.

وقد طعن بعضهم في حديث رد الشمس. كما سيأتي إن شاء الله في مقصد المعجزات.

وقد تمسك القائل بنجاتهما أيضاً بأنهما ماتا قبل البعثة، في زمن الفترة، ولا تعذيب قبلها لقوله تعالى: ﴿**وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً**﴾ [الإسراء: ١٥] قال: وقد أطبقت الأئمة الأشاعرة من أهل الكلام والأصول، والشافعية من الفقهاء على أن من مات ولم تبلغه الدعوة يموت ناجياً.

قال: وقال الإمام فخر الدين الرازي في كتابه «أسرار التنزيل» ما نصه: «قيل أن آزر لم يكن والد إبراهيم، بل كان عمه، واحتجوا عليه بوجوه، منها: أن آباء الأنبياء ما كانوا كفاراً، ويدل عليه وجوه منها: قوله تعالى: ﴿**الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين**﴾ [الشعراء: ٢١٨ و ٢١٩] قيل معناه: أنه كان ينتقل نوره من ساجد إلى ساجد، ففيه دلاله على أن جميع آباء محمد كانوا مسلمين».

ثم قال: ومما يدل على أن آباء محمد ﷺ ما كانوا مشركين، قوله عليه السلام: «**لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات**» وقال تعالى: ﴿**إنما المشركون نجس**﴾ [التوبة: ٢٨] فوجب أن لا يكون أحد من أجداده مشركاً». كذا قال.

وهو متعقب:

● بأنه لا دلالة في قوله: ﴿**وتقلبك في الساجدين**﴾ [الشعراء: ٢١٩] على ما ادعاه، فقد ذكر البيضاوي[1] ـ في تفسيره ـ وغيره، أن معنى الآية: وترددك في تصفح أحوال المتهجدين، كما روي أنه لما نسخ فرض قيام الليل طاف عليه السلام تلك الليلة ببيوت أصحابه لينظر ما يصنعون، حرصاً على كثرة طاعاتهم، فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع لها من دندنتهم بذكر الله تعالى.

● وقد ورد النص بأن أبا إبراهيم عليه الصلاة والسلام مات على الكفر، كما صرح به البيضاوي وغيره، قال تعالى: ﴿**فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه**﴾ [التوبة: ١١٤]،

= ١٢٣٢ هدية العارفين ١/ ٥٨ تذكرة الحفاظ ٣/ ٨٠٨ رقم الترجمة (٧٩٧) شذرات الذهب ٢/ ٢٨٨ مفتاح السعادة ٢/ ٢٧٥ مرآة الجنان ٢/ ٢٨١ طبقات المفسرين ١/ ٧٤ رقم الترجمة (٦٩).

(١) هو عبد الله بن عمر بن علي الشيرازي أبو سعيد أو أبو الخير ناصر الدين البيضاوي. مفسر قاض توفي في تبريز سنة (٦٨٥ هـ وقيل ٦٩١ هـ). الأعلام ٤/ ١١٠ طبقات الشافعية ٥/ ٥٩ مفتاح السعادة ١/ ٤٣٦ مرآة الجنان ٤/ ٢٢٠ هدية العارفين ١/ ٤٦٢.

وأما قوله إنه كان عمه فعدول عن الظاهر من غير دليل. انتهى.

ونقل الإمام أبو حيان في «البحر» عند تفسير قوله: ﴿**وتقلبك في الساجدين**﴾ [الشعراء: ٢١٩] أن الرافضة هم القائلوزن أن آباء النبي ﷺ كانوا مؤمنين، مستدلين بقوله تعالى: ﴿**وتقلبك في الساجدين**﴾ [الشعراء: ٢١٩] وبقوله عليه السلام: «**لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين**» الحديث. انتهى.

● وروى ابن جرير[1] عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن أبيه: أن النبي ﷺ لما قدم مكة أتى رسم قبر، فجلس إليه فجعل يخاطب ثم قام مستعبراً فقلنا يا رسول الله إنا رأينا ما صنعت، قال: «**إني استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فأذن لي، واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي**»[2]. فما رؤي باكياً أكثر من يومئذ.

● وروى ابن أبي حاتم في تفسيره عن عبد الله بن مسعود، أن رسول الله ﷺ أومأ إلى المقابر فاتبعناه، فجاء حتى جلس إلى قبر منها فناجاه طويلاً، ثم بكى فبكينا لبكائه، ثم قام فقام إليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فدعاه ثم دعانا، فقال: ما أبكاكم؟ قلنا: بكينا لبكائك، فقال: إن القبر الذي جلست عنده قبر آمنة، وإني استأذنت ربي في زيارتها فأذن لي، وإني استأذنته في الدعاء لها فلم يأذن لي، وأنزل الله علي: ﴿**ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى**﴾ [التوبة: ١١٣] فأخذني ما يأخذ الولد للوالد. ورواه الطبراني من حديث ابن عباس.

● وفي مسلم: «**استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي فزوروا القبور، فإنها تذكر الآخرة**»[3].

قال القاضي عياض: بكاؤه عليه السلام على ما فاتها من إدراك أيامه والإيمان به.

● وفي مسلم أيضاً: «أن رجلاً قال: يا رسول الله: أين أبي، قال «**في النار**» فلما قفا دعاه، قال: «**إن أبي وأباك في النار**»[4].

---

(١) هو محمد بن جرير بن يزيد الطبري أبو جعفر (٢٢٤ ـ ٣١٠ هـ). مؤرخ مفسر توفي ببغداد. الأعلام ٦/ ٦٩ معجم الأدباء ٥/ ٢٤٢ رقم الترجمة (٨٣٠). تذكرة الحفاظ ٢/ ٧١٠ رقم الترجمة (٧٢٨). شذرات الذهب ٢/ ٢٦٠ طبقات الشافعية ٢/ ١٣٥ مفتاح السعادة ١/ ٢٠٥ وفيات الأعيان ١/ ٤٥٦ طبقات المفسرين ٢/ ١١٠ رقم الترجمة (٤٦٨).

(٢) ذكره البيهقي في السنن الكبرى ٤/ ٧٦ وفي المطالب العالية لابن حجر ٨٠١. وفي إرواء الغليل للألباني ٣/ ٢٢٤ وفي المعجم الكبير للطبراني ٥/ ٨٢ وفي مجمع الزوائد للهيثمي ٣/ ٩٨ وفي تفسير ابن كثير ٤/ ١٥٩ وفي تفسير الطبري ١١/ ٣١ وفي كنز العمال (٣٥٥١٦).

(٣) ذكره في الأمالي الشجرية ٢/ ٣٠٠ وذكره مسلم في صحيحه كتاب الجنائز رقم (١٠٨).

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان رقم (٢٤٧).

قال النووي: فيه أن من مات على الكفر فهو في النار، ولا ينفعه قرابة المقربين. وفيه: أن من مات في الفترة على ما كانت عليه العرب من عبادة الأوثان فهو في النار، وليس في هذا مؤاخذة قبل بلوغ الدعوة، فإن هؤلاء كانت قد بلغتهم دعوة إبراهيم وغيره من الأنبياء.

وقال الإمام فخر الدين: من مات مشركاً فهو في النار، وإن مات قبل البعثة، لأن المشركين كانوا قد غيروا الحنيفية دين إبراهيم، واستبدلوا بها الشرك وارتكبوه، وليس معهم حجة من الله به، ولم يزل معلوماً من دين الرسل كلهم، من أولهم إلى آخرهم، قبح الشرك والوعيد عليه في النار، وأخبار عقوبات الله لأهله متداولة بين الأمم قرناً بعد قرن، فللّه الحجة البالغة على المشركين، في كل وقت وحين، ولو لم يكن إلا ما فطر الله عباده عليه من توحيد ربوبيته، وأنه يستحيل في كل فطرة وعقل أن يكون معه إله آخر، وإن كان سبحانه لا يعذب بمقتضى هذه الفطرة وحدها، فلم تزل دعوة الرسل إلى التوحيد في الأرض معلومة لأهلها، فالمشرك مستحق للعذاب في النار لمخالفته دعوة الرسل، وهو مخلد فيها دائماً كخلود أهل الجنة في الجنة. انتهى.

وقد تعقب العلامة أبو عبد الله الأبي[1] من المالكية فيما وضعه على صحيح مسلم قول النووي الماضي وفيه «أن من مات في الفترة على ما كانت عليه العرب من عبادة الأوثان في النار، إلى آخره» بما معناه:

تأمل ما في كلامه من التنافي، فإن من بلغتهم الدعوة ليسوا بأهل فترة، لأن أهل الفترة هم: الأمم الكائنة بين أزمنة الرسل الذين لم يرسل إليهم الأول، ولا أدركوا الثاني، كالأعراب الذين لم يرسل إليهم عيسى ولا لحقوا النبي ﷺ. والفترة بهذا التفسير تشمل ما بين كل رسولين، كالفترة بين نوح وهود، لكن الفقهاء إذا تكلموا في الفترة فإنهم يعنون التي بين عيسى ونبينا عليهما الصلاة والسلام. وذكر البخاري عن سلمان أنها كانت ستمائة سنة.

ولما دلت القواطع على أن لا تعذيب حتى تقوم الحجة أي قوله تعالى: ﴿**وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً**﴾ [الإسراء: ١٥]، علمنا أنهم غير معذبين، فإن قلت قد صحت أحاديث بتعذيب أهل الفترة، كحديث «**رأيت عمرو بن لحي يجر قصبه في**

---

(١)هو محمد بن خلفة بن عمر الأبي الوشتاتي المالكي. عالم بالحديث توفي بتونس سنة (٨٢٧ هـ). الأعلام ٦/ ١١٥ شجرة النور ٢٤٤ معجم المطبوعات ٣٦٣ نيل الابتهاج هامش الديباج صفحة ٢٨٧.

النار»[1] و **«رأيت صاحب المحجن في النار، وهو الذي يسرق الحاج بمحجنه، فإذا بصر به، قال: إنما تعلق بمحجني»**[2].

أجيب بأجوبة:

● أحدها: أنها أخبار آحاد فلا تعارض القطع.

● الثاني: قصر التعذيب على هؤلاء، والله أعلم بالسبب.

● الثالث: قصر التعذيب المذكور في هذه الأحاديث على من بدل وغير من أهل الفترة، بما لا يعذر به من الضلال كعبادة الأوثان وتغيير الشرائع. فإن أهل الفترة ثلاثة أقسام:

الأول: من أدرك التوحيد ببصيرته، ثم من هؤلاء من لم يدخل في شريعة، كقس ابن ساعدة[3]، وزيد بن عمرو بن نفيل[4]. ومنهم من دخل في شريعة حق قائمة الرسم، كتبع[5] وقومه من حمير وأهل نجران، وورقة بن نوفل[6]، وعمه عثمان بن الحويرث.

● القسم الثاني من أهل الفترة: وهم من بدل وغير، فأشرك ولم يوحد، وشرع لنفسه فحلل وحرم، وهم الأكثر، كعمور بن لحي، أول من سن للعرب عبادة الأصنام وشرع الأحكام، فبحر البحيرة، وسيب السائبة، ووصل الوصيلة وحمى الحام[7]، وتبعته العرب في ذلك وغيره مما يطول ذكره.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المناقب باب (٩) رقم الحديث (٣٥٢١)، ومسلم في صحيحه رقم (٩٠٤).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الكسوف رقم (١٠) والإمام أحمد في المسند ٢/ ١٥٩.

(٣) هو قس بن ساعدة بن عمرو بن عدي بن مالك توفي نحو (٢٣ ق. هـ). الأعلام ٥/ ١٩٦ والأغاني ١٥/ ٢٣٦.

(٤) هو زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى القرشي العدوي توفي سنة (١٧ ق. هـ). الأعلام ٣/ ٦٠. الأغاني ٣/ ١١٧ خزانة الأدب ٣/ ٩٩.

(٥) هو تبع بن حسان بن تبان قيل اسمه مرثد وهو تبع الأصفر ملك من ملوك حمير في اليمن. الأعلام ٢/ ٨٣.

(٦) هو ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى القرشي. توفي نحو (١٢ ق. هـ). الأعلام ٨/ ١١٤. الإصابة ٦/ ٣١٧ الترجمة (٩١٣٢) الأغاني ٣/ ١١٣.

(٧) البحيرة: التي يمنع درها للطواغيت، فلا يحلبها أحد من الناس، والسائبة: التي كانوا يسيبونها لآلهتهم لا يحمل عليها شيء، والوصيلة: الناقة البكر فكانوا يسيبونها بعد لطواغيتهم إن وصلت إحداهما بالأخرى ليس بينهما ذكر. والحام: فحل الإبل يضرب الضراب المعدود فإذا قضى ضرابه ودعوه للطواغيت وأعفوه من الحمل، فلم يحمل عليه شيء وسموه الحام. انظر سيرة ابن هشام ١/ ٩٣.

القسم الثالث من أهل الفترة: وهم من لم يشرك ولم يوحد، ولا دخل في شريعة نبي، ولا ابتكر لنفسه شريعة، ولا اخترع ديناً، بل بقي عمره على حين غفلة من هذا كله. وفي الجاهلية من كان على ذلك.

وإذا انقسم أهل الفترة إلى الثلاثة أقسام، فيحمل من صح تعذيبه على أهل القسم الثاني لكفرهم بما تعدوا به من الخبائث، والله سبحانه وتعالى قد سمى جميع هذا القسم كفاراً ومشركين، فإنا نجد القرآن كلما حكى حال أحد سجل عليهم بالكفر والشرك، كقوله تعالى: ﴿**ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة**﴾ ثم قال: ﴿**ولكن الذين كفروا**﴾ الآية [المائدة: ١٠٣].

والقسم الثالث هم أهل الفترة حقيقة، وهم غير معذبين.

وأما أهل القسم الأول: كقس وزيد بن عمرو، فقد قال عليه السلام في كل منهما «**أنه يبعث أمة وحده**»[١].

وأما عثمان بن الحويرث، وتبّع وقومه وأهل نجران، فحكمهم حكم أهل الدين الذين دخلوا فيه، ما لم يلحق أحد منهم الإسلام الناسخ لكل دين. انتهى ملخصاً وسيأتي ما قيل في ورقة في حديث المبعث إن شاء الله تعالى.

فهذا ما تيسر في مسألة والديه ﷺ، وقد كان الأولى ترك ذلك، وإنما جرَّنا إليه ما وقع من المباحثة فيه بين علماء العصر.

ولقد أحسن الحافظ شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقي حيث قال:

حبا الله النبي مزيد فضل ... على فضل وكان به رؤوفاً
فأحيا أمه وكذا أباه ... لإيمان به فضلاً لطيفاً
فسلم فالقديم بذا قدير ... وإن كان الحديث به ضعيفاً

فالحذر الحذر، من ذكرهما بما فيه نقص، فإن ذلك قد يؤذي النبي ﷺ، فإن العرف جار بأنه إذا ذكر أبو الشخص بما ينقصه، أو وصف بوصف به، وذلك الوصف فيه نقص تأذى ولده بذكر ذلك له عند المخاطبة. وقد قال عليه السلام: «**لا تؤذوا الأحياء بسبِّ الأموات**»[٢] رواه الطبراني في الصغير، ولا ريب أن أذاه عليه السلام كفر يقتل فاعله ـ إن

---

(١) أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة ١/ ٢٨ وكنز العمال (٣٤٠٧١ ـ ٣٠٤٧٢) واللآلىء المصنوعة ١/ ١٠٠ ودلائل النبوة للبيهقي ٢/ ١١٣، وفي المستدرك للحاكم ٣/ ٤٣٨.

(٢) ذكره في كنز العمال (٣٧٤١٧) وفي الترمذي بلفظ «لا تسبوا» برقم (١٩٨٢) وفي مسند الإمام=

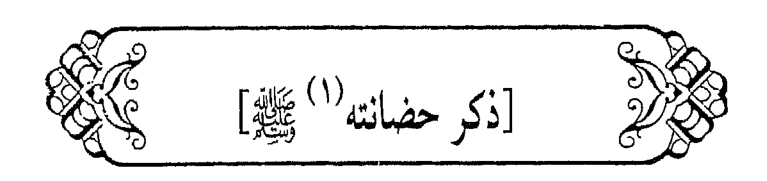
لم يتب ـ عندنا. وستأتي مباحث ذلك إن شاء الله تعالى في الخصائص من مقصد المعجزات.

وقد أطنب بعض العلماء في الاستدلال لإيمانهما، فالله تعالى يثيبه على قصده الجميل.

قال الحافظ ابن حجر في بعض كتبه: والظن بآله ـ يعني الذين ماتوا قبل البعثة ـ أنهم يطيعون عند الامتحان إكراماً له ﷺ لتقر عينه.

وقال في الأحكام: ونحن نرجو أن يدخل عبد المطلب الجنة في جملة من يدخلها طائعاً فينجو، إلا أبا طالب فإنه أدرك البعثة ولم يؤمن.

= أحمد بن حنبل ٤/ ٢٥٢ وفي مجمع الزوائد للهيثمي ٨/ ٧٦ وفي إتحاف السادة المتقين ٧/ ٤٩٠ وفي كنز العمال (٤٢٧١٥) وفي الكامل في الضعفاء لابن عدي ٤/ ١٥٦٨.



[ذكر حضانته[1] ﷺ]

وقد كانت أم أيمن، بركة، دايته وحاضنته بعد موت أمه، وكان عليه السلام يقول لها: أنت أمي بعد أمي.

ومات جده عبد المطلب كافله، وله ثمان سنين ـ وقيل ثمان سنين وشهر وعشرة أيام، وقيل تسع، وقيل عشر، وقيل ست، وقيل ثلاث وفيه نظر ـ وله عشر ومائة سنة، وقيل مائة وأربعون سنة.

وكفله أبو طالب، واسمه عبد مناف، وكان عبد المطلب قد أوصاه بذلك لكونه شقيق عبد الله.

وقد أخرج ابن عساكر عن جلهمة بن عرفطة قال: قدمت مكة وهم في قحط، فقالت قريش: يا أبا طالب، أقحط الوادي وأجدب العيال، فهلم فاستسق، فخرج أبو طالب، ومعه غلام كأنه شمس دجن، تجلت عنه سحابة قتماء[2]، حوله أغيلمة فأخذه أبو طالب، فألصق ظهره بالكعبة، ولاذ الغلام بأصبعه، وما في السماء قزعة، فأقبل السحاب من ها هنا وها هنا، وأغدق واغدودق، وانفجر الوادي، وأخصب النادي والبادي. وفي ذلك يقول أبو طالب:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل
يلوذ به الهلاك من آل هاشم فهم عنده في نعمة وفواضل

والثمال ـ بكسر المثلثة ـ: الملجأ والغياث، وقيل: المطعم في الشدة.

وعصمة للأرامل: أي يمنعهم من الضياع والحاجة. والأرامل: المساكين من رجال

(١) انظر زاد المعاد بشرح المواهب ١/ ٦٣.

(٢) الدجن إلباس الغيم الأرض وأقطار السماء. انظر القاموس المحيط ٤/ ٢٢٤ مادة (دجن). والقتماء: التي يعلوها سواد غير شديد.

ونساء، ويقال لكل واحد من الفريقين على انفراده: أرامل، وهو بالنساء أخص، وأكثر استعمالاً، والواحد أرمل وأرملة.

وهذا البيت من أبيات في قصيدة لأبي طالب، ذكرها ابن إسحاق بطولها، وهي أكثر من ثمانين بيتاً. قالها لما تمالأت قريش على النبي ﷺ، ونفروا عنه من يريد الإسلام، وأولها:

لما رأيت القوم لا ود عندهم ... وقد قطعوا كل العرى والوسائل
وقد جاهرونا بالعداوة والأذى ... وقد طاوعوا أمر العدو المزايل
أعبد مناف أنتم خير قومكم ... فلا تشركوا في أمركم كل واغل
فقد خفت إن لم يصلح الله أمركم ... تكونوا كما كانت أحاديث وائل
أعوذ برب الناس من كل طاعن ... علينا بسوء أو ملح بباطل
وثور ومن أرسى ثبيراً مكانه ... وراقٍ لبر في حراء ونازل
وبالبيت حق البيت في بطن مكة ... وتالله إن الله ليس بغافل
كذبتم وبيت الله نبزي محمداً ... ولما نطا عن دونه ونناضل
ونسلمه حتى نصرع حوله ... ونذهل عن أبنائنا والحلائل

ومعنى نناضل: نجادل ونخاصم وندافع.

ونُبزي: ـ بضم النون وسكون الموحدة آخره زاي ـ أي نقهر ونغلب عليه.

قال ابن التين: إن في شعر أبي طالب هذا دليلاً على أنه كان يعرف نبوة النبي ﷺ قبل أن يبعث، لما أخبره به بحيرى وغيره من شأنه.

وتعقبه الحافظ أبو الفضل بن حجر: بأن ابن إسحاق ذكر أن إنشاء أبي طالب لهذا الشعر كان بعد البعثة، ومعرفة أبي طالب بنبوته عليه السلام جاءت في كثير من الأخبار.

وتمسك بها الشيعة في أنه كان مسلماً.

قال: ورأيت لعلي بن حمزة البصري[1] جزءاً جمع في شعر أبي طالب، وزعم أنه كان مسلماً، وأنه مات على الإسلام، وأن الحشوية[2] تزعم أنه مات كافراً، واستدل لدعواه بما لا دلالة فيه. انتهى[3].

---

(١) هو علي بن حمزة البصري أبو القاسم لغوي أديب، توفي سنة (٣٧٥ هـ). الأعلام ٤/ ٢٨٣ بغية الوعاة ٣٣٧.

(٢) الحشوية: هم المنتمون للظاهر، قيل سموا بذلك لقول الحسن البصري لما رأى سقوط كلامهم وكانوا يجلسون في حلقته. ردوا هؤلاء إلى حشا الحلقة. أي جانبها.

(٣) اعلم أن الإسلام والإيمان متلازمان فلا يصح كل منهما بدون الآخر. فالنطق بالشهادتين لا يقبل عند=

ولما بلغ رسول الله ﷺ اثنتي عشرة سنة خرج مع عمه أبي طالب إلى الشام، حتى بلغ بصرى، فرآه بحيرى الراهب، واسمه جرجيس، فعرفه بصفته فقال، وهو آخذ بيده: هذا سيد العالمين، هذا يبعثه رحمة للعالمين. فقيل له: وما علمك بذلك؟ فقال: إنكم حين أشرفتم به من العقبة، لم يبق شجر ولا حجر إلا خر ساجداً، ولا يسجد إلا لنبي، وإني أعرفه بخاتم النبوة، في أسفل من غضروف كتفه، مثل التفاحة، وإنا نجده في كتبنا، وسأل أبا طالب أن يرده خوفاً عليه من اليهود.

والحديث رواه ابن أبي شيبة، وفيه: أنه ﷺ أقبل وعليه غمامة تظله.

و «بحيرى» ـ بفتح الموحدة وكسر المهملة وسكون المثناة التحتية آخره راء مقصورة ـ قال الذهبي ـ في تجريد الصحابة ـ: رأى رسول الله ﷺ قبل البعثة وآمن به، وذكره ابن منده[1]، وأبو نعيم في الصحابة. وهذا ينبني على تعريفهم الصحابي: بمن رآه

= الله بدون التصديق بالقلب، والتصديق القلبي لا يقبل عند الله بدون النطق، قال الإمام أبو حنيفة: فهما كالظهر مع البطن. وقال الإمام النووي: من صدق بقلبه ولم ينطق بلسانه فهو كافر مخلّد في النار بالإجماع. وخالف بعضهم فقال: من صدّق بقلبه ولم ينطق فهو مؤمن عند الله إذا لم يعرض عليه فيأبى. كأبي طالب فقد عرض عليه الرسول أن يقول لا إله إلا الله فأبى [أخرجه البخاري في كتاب الجنائز رقم الحديث (١٣٦٠)] فلم يختلف اثنان من العلماء في كفر الآبي. الممتنع. وقد روى أبو داوود [٣٢١٤] والبيهقي في دلائله [٣٤٨/٢ و ٣٤٩]: «أن علياً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن عمّك الشيخ الضال قد مات، فقال: إذهب فواره وفي رواية إن عمك الشيخ الكافر. فلذلك لم يختلفوا في كفر الآبي، وقال الفقيه محمد بن أحمد ميارة المالكي في كتابه «الدر الثمين» ما نصه: «وانظر المسلم الذي ولد في الإسلام إذا اتفق له أنه لم ينطق بالشهادتين قط. فإن كان لعجز كالأخرس فهو كمن نطق وإن كان إباية وامتناعاً فهو كافر بلا شك. وإن كان لغفلة فقط فهل هو كمن امتنع فهو كافر قطعاً أو هو كمن نطق فهو مؤمن». ونسب للجمهور قولان: اهـ. والقول الصحيح أنه مؤمن عاصي. وفي ذلك قال صاحب مراصد المعتمد نظماً:

ومن يكن ذا النطق منه ما اتفق	فإن يكن عجزاً يكن كمن نطق
وإن يكن ذلك عن إبـاءِ	فحكمه الكفر بلا امتراءِ
وإن يكن لغفلة فكالإبا	وذا لسنة عياض نسبا
وقيل كالنطق وللجمهور	نسب والشيخ أبي منصور

وقال محمد بن يوسف السنوسي: «إعلم أن الناس على ضربين مؤمنٌ وكافر أما المؤمن بالأصالة فيجب أن يذكرها [أي كلمة الإخلاص] مرة في العمر ينوي في تلك المرة بذكرها الوجوب وإن ترك ذلك فهو عاصٍ وإيمانه صحيح وأما الكافر فذكره لهذه الكلمة واجب شرط في صحة إيمانه القلبي مع القدرة وإن عجز عن ذكرها بعد حصوله إيمانه القلبي لمفاجأة الموت ونحو ذلك سقط عنه الواجب. اهـ.

(١) هو محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى ابن منده أبو عبد الله العبدي الأصبهاني (٣١٠ ـ ٣٩٥ هـ) حافظ للحديث من الرحالين في طلبه. الأعلام ٢٩/٦ تذكرة الحفاظ ٢/ ٧٤١ رقم الترجمة (٧٤٠).

ﷺ، هل المراد حال النبوة، أو أعم من ذلك حتى يدخل من رآه قبل النبوة ومات قبلها على دين الحنيفية. وهو محل نظر، وسيأتي البحث فيه إن شاء الله في المقصد السابع.

وخرج الترمذي وحسنه ـ، والحاكم وصححه ـ أن في هذه السفرة أقبل سبعة من الروم يقصدون قتله عليه السلام، فاستقبلهم بحيرى، فقال: ما جاء بكم؟ قالوا: إن هذا النبي خارج في هذا الشهر، فلم يبق طريق إلا بعث إليها بأناس، فقال: أفرأيتم أمراً أراد الله أن يقضيه، هل يستطيع أحد من الناس رده؟ قالوا: لا قال: فبايعوه وأقاموا معه، ورده أبو طالب. وبعث معه أبو بكر بلالاً.

قال البيهقي: هذه القصة مشهورة عند أهل المغازي. انتهى.

وضعف الذهبي الحديث لقوله في آخره: «وبعث معه أبو بكر بلالاً» فإن أبا بكر إذ ذاك لم يكن متأهلاً، ولا اشترى بلالاً.

قال الحافظ ابن حجر في الإصابة: الحديث رجاله ثقات، وليس فيه منكر سوى هذه اللفظة، فتحمل على أنها مدرجة فيه مقتطعة من حديث آخر وهماً من أحد رواته.

وفي حديث عند البيهقي وأبي نعيم: أن بحيرى رآه ـ وهو في صومعته ـ في الركب حين أقبلوا، وغمامة بيضاء تظله من بين القوم، ثم أقبلوا حتى نزلوا بظل شجرة قريباً منه، فنظر إلى الغمامة حين أظلت الشجرة، وتهصرت أغصان الشجرة على رسول الله ﷺ حتى استظل تحتها الحديث.

وفيه: أن بحيرى قام فاحتضنه وأنه جعل يسأله عن أشياء حاله: من نومه وهيئته وأموره. ويخبره رسول الله ﷺ فيوافق ذلك ما عند بحيرى من صفته، ورأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده.

وتقدم أن أخته الشيماء بنت حليمة رأته في الظهيرة، وغمامة تظله، إذا وقف وقفت، وإذا سار سارت، رواه أبو نعيم وابن عساكر. ولله در القائل:

إن قال يوماً ظللته غمامة ... هي في الحقيقة تحت ظل القائل

ونقل الشيخ بدر الدين الزركشي عن بعض أهل المعرفة: أنه ﷺ كان معتدل الحرارة والبرودة، فلا يحس بالحر ولا بالبرد، وأنه كان في ظل غمامة من اعتداله. كذا نقل رحمه الله.

وأخرج ابن منده، بسند ضعيف عن ابن عباس: أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه صحب النبي ﷺ وهو ابن ثمان عشرة، والنبي ﷺ ابن عشرين سنة، وهم يريدون الشام في تجارة، حتى نزل منزلاً فيه سدرة، فقعد في ظلها، ومضى أبو بكر إلى راهب يقال له

بحيرى، يسأله عن شيء، فقال له: من الرجل الذي في ظل الشجرة، فقال له: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، قال: هذا والله نبي، ما استظل تحتها بعد عيسى عليه السلام إلا محمد. ووقع في قلب أبي بكر التصديق، فلما بعث النبي ﷺ اتبعه.

قال الحافظ أبو الفضل بن حجر في الإصابة: إن صحت هذه القصة فهي سفرة أخرى بعد سفرة أبي طالب. انتهى.

ثم خرج ﷺ أيضاً ومعه ميسرة غلام خديجة ابنة خويلد ابن أسد، في تجارة لها حتى بلغ سوق بصرى، وقيل سوق حباشة بتهامة، وله إذ ذاك خمس وعشرون سنة، لأربع عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة، فنزل تحت ظل شجرة،ة فقال نسطورا الراهب: ما نزل تحت ظل هذه الشجرة إلا نبي، وفي رواية بعد عيسى. وكان ميسرة يرى في الهاجرة ملكين يظلانه من الشمس، ولما رجعوا إلى مكة في ساعة الظهيرة، وخديجة في علية لها، فرأت رسول الله ﷺ وهو على بعيره وملكان يظلان عليه. رواه أبو نعيم.

وتزوج ﷺ خديجة بعد ذلك بشهرين وخمسة وعشرين يوماً ـ وقيل: كان سنة إحدى وعشرين سنة، وقيل ثلاثين ـ وكانت تدعى في الجاهلية بالطاهرة، وكانت تحت أبي هالة بن زرارة التميمي فولدت له هنداً وهالة، وهما ذكران، ثم تزوجها عتيق بن عابد المخزومي فولدت له هنداً.

وكان لها ـ حين تزويجها بالنبي ﷺ ـ من العمر أربعون سنة وبعض أخرى.

وكانت عرضت نفسها عليه، فذكر ذلك لأعمامه، فخرج معه منهم حمزة حتى دخل خويلد بن أسد فخطبها إليه.

فتزوجها عليه السلام، وأصدقها عشرين بكرة(١)، وحضر أبو طالب ورؤساء مضر، فخطب أبو طالب فقال:

الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم، وزرع إسماعيل، وضئضىء معد، وعنصر مضر، وجعلنا حضنة بيته، وسواس حرمه، وجعل لنا بيتاً محجوجاً، وحرماً آمناً، وجعلنا الحكام على الناس، ثم إن ابن أخي هذا، محمد بن عبد الله، لا يوزن برجل إلا رجح به، فإن كان في المال قل، فإن المال ظل زائل، وأمر حائل، ومحمد ممن قد عرفتم قرابته، وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها من الصداق ما آجله وعاجله من مالي كذا، وهو ـ والله ـ بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل، فزوجها.

والضئضىء: الأصل.

---

(١) انظر السيرة لابن هشام ١/ ٢٠١

وحضنة بيته: أي الكافلين له والقائمين بخدمته.

وسواس حرمه: أي: متولي أمره.

قال: ابن إسحاق: وزوجه إياها خويلد.

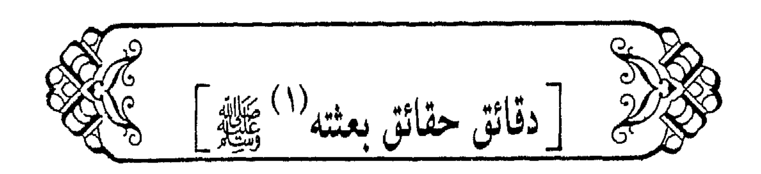
وقد ذكر الدولابي وغيره: أن النبي ﷺ أصدق خديجة اثنتي عشر أوقية ذهباً ونشاً. قالوا: وكل أوقية أربعون درهماً، والنش: نصف أوقية.

ولما بلغ ﷺ خمساً وثلاثين سنة، خافت قريش أن تنهدم الكعبة من السيول، فأمروا باقوم ـ بموحدة فألف فقاف مضمومة فواو ساكنة فميم ـ النجار النبطي مولى سعيد ابن العاصي، وصانع المنبر الشريف، بأن يبني الكعبة المعظمة.

وحضر ﷺ وكان ينقل معهم الحجارة، وكانوا يضعون أزرهم على عواتقهم، ويحملون الحجارة، ففعل ذلك ﷺ فلبط به ـ بالموحدة، كعنى أي سقط من قيامه كما في القاموس[1] ـ ونودي: عورتك، فكان ذلك أول ما نودي. فقال له أبو طالب أو العباس: يا ابن أخي اجعل إزارك على رأسك، فقال: ما أصابني ما أصابني إلا من التعري.

---

(١) انظر القاموس المحيط ٢/٣٩٦ مادة. (لبط).



[دقائق حقائق بعثته[1] ﷺ]

ولما بلغ رسول الله ﷺ أربعين سنة وقيل: وأربعين يوماً، وقيل: وعشرة أيام، وقيل: وشهرين، يوم الإثنين لسبع عشرة خلت من رمضان ـ وقيل: لسبع، وقيل: لأربع وعشرين ليلة ـ

وقال ابن عبد البر: يوم الإثنين لثمان من ربيع الأول سنة إحدى وأربعين من الفيل. وقيل: في أول ربيع:

بعثه الله رحمة للعالمين، ورسولاً إلى كافة الثقلين أجمعين.

ويشهد لبعثه يوم الإثنين ما رواه مسلم عن أبي قتادة أنه ﷺ سئل عن صوم الإثنين فقال: «**فيه ولدت وفيه أنزل علي**»[2].

وقال ابن القيم في «الهدي النبوي»: واحتج القائلون بأنه كان في رمضان بقوله تعالى: ﴿**شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن**﴾ [البقرة: ١٨٥] قالوا: أول ما أكرمه الله بنبوته أنزل عليه القرآن.

وقال الآخرون: إنما نزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر إلى بيت العزة، ثم نزل نجوماً بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة.

وقيل: كان ابتداء المبعث في رجب.

وروى البخاري في «التعبير»[3] من حديث عائشة: «أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح وكان يأتي

---

(١) انظر شرح المواهب ١/٢٠٦ وزاد المعاد بهامشه ١/ ٥٥ و ٦٤. والبداية والنهاية ٣/ ٣. وطبقات ابن سعد ١/ ١٤٩.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الصيام رقم الحديث (١٩٨) والإمام أحمد بن حنبل في المسند ٥/ ٢٩٩ والسنن الكبرى للبيهقي ٤/ ٢٩٣ ومشكاة المصابيح للتبريزي (٢٠٤٥) ودلائل النبوة للبيهقي ٢/ ١٣٣.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التعبير رقم الحديث (٦٩٨٢) وفي كتاب التفسير رقم الحديث (٤٩٥٦).

حراء فيتحنث فيه ـ وهو التعبد ـ الليالي ذوات العدد، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فتزوده لمثلها، حتى فجأة الحق وهو في غار حراء.

فجاءه الملك فيه، فقال: اقرأ، «**فقلت ما أنا بقارىء، فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني**»، فقال: اقرأ، فقلت: «**ما أنا بقارىء، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني**»، فقال: اقرأ، «**فقلت: ما أنا بقارىء، فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني**» فقال: ﴿**اقرأ باسم ربك الذي خلق**﴾ حتى ـ بلغ ـ ﴿**ما لم يعلم**﴾ [العلق: ١ ـ ٥].

فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، حتى دخل على خديجة، فقال: «**زملوني زملوني**» فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال: «**يا خديجة، مالي؟**» وأخبرها الخبر، ثم قال: «**قد خشيت على نفسي**».

فقالت له: كلا، أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق.

ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي، وهو ابن عم خديجة أخي أبيها ـ وكان امرءاً تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب بالعربية من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب ـ وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت له خديجة: أي ابن عم، اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: ماذا ترى؟ فأخبره النبي ﷺ ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي أنزل على موسى، يا ليتني فيها جذعاً، ليتني أكون حياً حين يخرجك قومك. فقال رسول الله ﷺ: أو مخرجي هم؟ فقال ورقة: نعم، لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً.

ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفتر الوحي[١] فترة حتى حزن النبي ﷺ فيما بلغنا[٢] حزناً غدا منه مراراً كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال، فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه منه، تبدى له جبريل فقال: يا محمد إنك رسول الله حقاً، فيسكن لذلك جأشه، وتقر نفسه فيرجع، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك، فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل، فقال له مثل ذلك».

● وقد تكلم العلماء في معنى قوله ﷺ لخديجة: «**قد خشيت على نفسي**» فذهب

---

(١) المصدر السابق (٦٩٨٢).

(٢) انظر فتح الباري ١٢/٤٣٦ وما بعدها.

الإسماعيلي[1] إلى أن هذه الخشية كانت منه قبل أن يحصل له العلم الضروري بأن الذي جاءه ملك من عند الله. وكان أشق شيء عليه أن يقال عليه مجنون.

وقيل: إن خشيته كانت من قومه أن يقتلوه، ولا غرو، فإنه بشر يخشى من القتل والأذية، كما يخشى البشر.

● وقوله: «ما أنا بقارىء» أي: أنا أمي فلا أقرأ الكتب.

● وقال القاضي عياض: إنما ابتدىء ﷺ بالرؤيا، لئلا يفجأه الملك ويأتيه صريح النبوة بغتة فلا تحتملها قوى البشر، فبدىء بأوائل خصال النبوة وتباشير الكرامة. انتهى.

فإن قلت: فلم كرر قوله «ما أنا بقارىء» ثلاثاً؟

أجاب أبو شامة[2] كما في فتح الباري: بأن يحمل قوله أولاً «ما أنا بقارىء» على الإمتناع، وثانياً: على الإخبار بالنفي المحض، وثالثاً: على الإستفهام[3].

● والحكمة من الغط ثلاثاً، شغله عن الالتفات لشيء آخر، وإظهاراً للشدة والجد في الأمر، تنبيهاً على ثقل القول الذي سيلقى عليه.

وقيل: إبعاداً لظن التخيل والوسوسة، لأنهما ليسا من صفات الجسم، فلما وقع ذلك بجسمه علم أنه من أمر الله.

● فإن قلت: من أين عرف ﷺ أن جبريل ملك من عند الله، وليس من الجن؟

فالجواب من وجهين:

أحدهما: أن الله تعالى أظهر على يدي جبريل عليه السلام معجزات عرفه بها. كما أظهر الله تعالى على يد محمد ﷺ معجزات عرفناه بها.

وثانيهما: إن الله تعالى خلق في محمد ﷺ علماً ضرورياً بأن جبريل من عند الله ملك لا جني ولا شيطان، كما أن الله تعالى خلق في جبريل علماً ضرورياً بأن المتكلم معه هو الله تعالى، وأن المرسل له ربه تعالى لا غير.

● وقول ورقة: يا ليتني فيها جذعاً. الضمير للنبوة، أي: ليتني كنت شاباً عند

---

(١) هو أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل أبو بكر الإسماعيلي الجرجاني (٢٩٧ ـ ٣٧١ هـ) حافظ فقيه. الأعلام ١/٨٦.

(٢) هو عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي أبو القاسم شهاب الدين أبو شامة (٥٩٩ ـ ٦٦٥ هـ) مؤرخ محدث باحث ـ توفي في دمشق. الأعلام ٣/٢٩٩ فوات الوفيات ٢/٢٦٩ رقم الترجمة (٢٥١) بغية الوعاة (٢٩٧) تذكرة الحفاظ ٤/١٤٦٠ رقم الترجمة (١١٥٧) طبقات الشافعية ٥/٦١ طبقات المفسرين ١/٢٦٨ رقم الترجمة (٢٥٤) مرآة الجنان ٤/١٦٤ شذرات الذهب ٥/٣١٨.

(٣) راجع فتح الباري ١/٣١.

ظهورها حتى أبالغ في نصرتها وحمايتها. وأصل الجذع: من أسنان الدواب، وهو ما كان منها شاباً فتياً.

وأخرج البيهقي من طريق العلاء بن جارية الثقفي عن بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ حين أراد الله كرامته وابتداءه بالنبوة كان لا يمر بحجر ولا شجر إلا سلم عليه وسمع منه، فيلتفت رسول الله خلفه وعن يمينه وعن شماله فلا يرى إلا الشجر وما حوله من الحجارة. وهي تحييه بتحية النبوة: السلام عليك يا رسول الله الحديث.

وعن جابر: أن رسول الله ﷺ قال: «**جاورت بحراء شهراً، فلما قضيت جواري هبطت، فنوديت فنظرت عن يميني فلم أر شيئاً ونظرت عن شمالي فلم أر شيئاً، ونظرت خلفي فلم أر شيئاً، فرفعت رأسي فرأيت شيئاً فلم أثبت له، فأتيت خديجة فقلت: دثروني دثروني وصبوا علي ماء بارداً فنزلت: ﴿يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر﴾ [المدثر: ١ ـ ٣] الآية، وذلك قبل أن تفرض الصلاة**»[1] رواه البخاري ومسلم والترمذي.

ولم يكن جواره ﷺ لطلب النبوة، لأنها أجل من أن تنال بالطلب أو الاكتساب، وإنما هي موهبة من الله، وخصوصية يخص بها من يشاء من عباده، والله أعلم حيث يجعل رسالته.

ولم تكن الرجفة المذكورة خوفاً من جبريل عليه السلام، فإنه ﷺ أجل من ذلك، وأثبت جناناً، وإنما رجف غبطة بحاله وإقباله على الله عز وجل، فخشي أن يشغل بغير الله عن الله.

وقيل: خاف من ثقل أعباء النبوة.

وفي رواية البيهقي في الدلائل: أن خديجة قالت لأبي بكر: يا عتيق اذهب به إلى ورقة بن نوفل، فأخذه أبو بكر، فقص عليه ما رأى، فقال ﷺ: «**إذا خلوت وحدي سمعت نداء: يا محمد، يا محمد، فانطلق هارباً**».. فقال: لا تفعل إذا قال، فاثبت حتى تسمع، ثم ائتني فأخبرني، فلما خلا ناداه يا محمد فثبت فقال: قل بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين. إلى آخرها. ثم قال: قل لا إله إلا الله[2]. الحديث.

واحتج به من قال بأولية نزول الفاتحة.

والصحيح أن أول ما نزل عليه ﷺ من القرآن «اقرأ» كما صح ذلك عن عائشة،

---

(١) اخرجه البخاري في كتاب التفسير رقم الحديث (٤٩٢٢) ومسلم في كتاب الإيمان رقم (٢٥٧) وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل ٣/٣٠٦.
(٢) انظر دلائل النبوة للبيهقي ٢/١٥٨.

وروي ذلك عن أبي موسى الأشعري[1] وعبيد بن عمير[2].

قال النووي: وهو الصواب الذي عليه الجماهير من السلف والخلف.

وأما ما روي عن جابر وغيره: أن أول ما نزل ﴿**يا أيها المدثر**﴾ [المدثر: ١] فقال النووي: ضعيف، بل باطل، وإنما نزلت بعد فترة الوحي.

وأما حديث البيهقي أنه الفاتحة ـ كقول بعض المفسرين ـ فقال البيهقي: هذا منقطع، فإن كان محفوظاً فيحتمل أن يكون خبراً عن نزولها بعدما نزلت عليه ﴿**اقرأ باسم ربك**﴾ [العلق: ١] و ﴿**يا أيها المدثر**﴾ [المدثر: ١].

وقال النووي ـ بعد ذكر هذا القول ـ بطلانه أظهر من أن يذكر. انتهى.

وقد روي أن جبريل عليه السلام أول ما نزل بالقرآن على النبي ﷺ أمره بالاستعاذة، كما رواه الإمام أبو جعفر بن جرير عن ابن عباس قال: «**أول ما نزل جبريل على محمد ﷺ قال: يا محمد، استعذ، قال: استيعذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم، ثم قال: قل بسم الله الرحمن الرحيم، ثم قال: اقرأ باسم ربك الذي خلق. قال عبد الله: وهي أول سورة أنزلها الله على محمد ﷺ**».

قال الحافظ عماد الدين بن كثير، بعد أن ذكره: وهذا الأثر غريب، وإنما ذكرناه ليعرف، فإن في إسناده ضعفاً وانقطاعاً، والله أعلم.

وقد أورد ابن أبي جمرة سؤالاً، وهو أنه: لم اختص ﷺ بغار حراء، فكان يخلو فيه ويتحنث دون غيره من المواضع؟

وأجاب: بأن هذا الغار له فضل زائد على غيره: من جهة أنه منزوٍ ومجموع لتحنثه وهو يبصر بيت ربه، والنظر إلى البيت عبادة، فكان له فيه اجتماع ثلاث عبادات: الخلوة والتحنث والنظر إلى البيت. وغيره ليس فيه هذه الثلاث.

ولله در المرجاني[3] حيث قال في فضائل حراء وما اختص به:

---

(١) هو عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب أبو موسى من بني الأشعر من قحطان (٢١ ق. هـ ـ ٤٤ هـ). صحابي توفي في الكوفة. الأعلام ٤/ ١١٤ حلية الأولياء ١/ ٢٥٦ رقم الترجمة (٤٠) والإصابة ٤/ ١١٩ رقم الترجمة (٤٨٨٩) طبقات ابن سعد ٤/ ٧٨ رقم الترجمة (٣٦٧). أخبار القضاة ١/ ٢٨٣ الأنساب ١/ ١٦٦ مادة (الأشعري) تذكرة الحفاظ ١/ ٢٣ رقم الترجمة (١٠) شذرات الذهب ١/ ٢٩.

(٢) هو عمر بن عبيد بن قتادة أبو عاصم الليثي المكي. قاض مكة حافظ. توفي سنة (٦٨ هـ). الكاشف ٢/ ٢٠٩ رقم الترجمة (٣٦٧٩) أخبار القضاة ١/ ١٢٣.

(٣) هو عبد الله بن محمد بن عبد الملك أبو محمد المرجاني. (٦٣٣ ـ ٦٩٩ هـ) واعظ. مفسر. صوفي=

تـأمـل حـراء فـي جمـال محيـاه | فكـم مـن أنـاس مـن حـلا حسنـه تـاهـوا
فممـا حـوى مـن جـا لعليـاه زائـراً | يفـرج عنـه الهـم فـي حـال مـرقـاه
بـه خلـوة الهـادي الشفيـع محمـد | وفيـه لـه غـار لـه كـان يـرقـاه
وقبلتـه للقـدس كـانـت بغـاره | وفيـه أتـاه الـوحـي فـي حـال مبـداه
وفيـه تجلـى الـروح بـالمـوقـف الـذي | بـه الله فـي وقـت البـداءة سـواه
وتحـت تخـوم الأرض فـي السبـع أصلـه | ومـن بعـد هـذا اهتـز بـالسفـل أعـلاه
ولمـا تجلـى الله قـدس ذكـره | لطـور تشظـى فهـو إحـدى شظـايـاه
ومنهـا ثبيـر ثـم ثـور بمكـة | كـذا قـد أتـى فـي نقـل تـاريـخ مبـداه
وفـي طيبـة أيضـاً ثـلاث فعـدهـا | فعيـراً وورقـانـاً وأحـداً روينـاه
ويقبـل فـي سـاعـة الظهـر مـن دعـا | بـه ينـادي مـن دعـانـا أجبنـاه
وفـي أحـد الأقـوال فـي عقبـة حـرا | أتـى ثـم قـابيـل لهـابيـل غشـاه
وممـا حـوى سـراً حـوتـه صخـوره | مـن التبـر إكسيـراً يقـام سمعنـاه
سمعـت بـه تسبيحهـا غيـر مـرة | وأسمعتـه جمعـاً فقـالـوا سمعنـاه
بـه مـركـز النـور الإلهـي مثبتـاً | فللّـه مـا أحلـى مقـامـاً بـأعـلاه

وروى أبو نعيم أن جبريل وميكائيل شقا صدره وغسلاه ثم قال: ﴿اقرأ باسم ربك﴾ [العلق: ١ ـ ٥] الآيات، الحديث، وفيه: فقال ورقة: أبشر، فأنا أشهد أنك الذي بشر به ابن مريم، وأنك على مثل ناموس موسى، وأنك نبي مرسل.

وكذا روى شق صدره الشريف هنا أيضاً الطيالسي[1] والحارث[2] في مسنديهما.

والحكمة فيه: ليتلقى النبي ﷺ ما يوحي إليه بقلب قوي، في أكمل الأحوال من التطهير.

قال ابن القيم وغيره: وكمل الله تعالى له عليه السلام من الوحي مراتب عديدة:

= عالم بالفقه. توفي في تونس. الأعلام ٤/ ١٢٥ شذرات الذهب ٥/ ٤٥١. هدية العارفين ١/ ٤٦٣.

(١) هو سليمان بن داوود بن الجارود مولى قريش أبو داوود الطيالسي (١٣٣ ـ ٢٠٤ هـ) حافظ للحديث توفي بالبصرة. الأعلام ٣/ ١٢٥ تاريخ بغداد ٩/ ٢٤ معجم المطبوعات ٣١٠ كشف الظنون ١٦٧٩ تذكرة الحفاظ ١/ ٣٥١ رقم الترجمة (٣٤٠) شذرات الذهب ٢/ ١٢ طبقات ابن سعد ٧/ ٢٢٤ رقم الترجمة (٣٣٩٨).

(٢) هو الحارث بن محمد بن أبي أسامة داهر التميمي أبو محمد (١٨٦ ـ ٢٨٢ هـ) حافظ للحديث بغدادي. الأعلام ٢/ ١٥٧ مراة الجنان ٢/ ١٩٤ تذكرة الحفاظ ٢/ ٦١٩ رقم الترجمة (٦٤٦) شذرات الذهب ٢/ ١٧٨.

● أحدها: الرؤيا الصادقة، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح.

● الثانية: ما كان يلقيه الملك في روعه وقلبه من غير أن يراه، كما قال ﷺ: «**إن روح القدس نفث في روعي، لن تموت نفسي حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب**»[1] الحديث رواه ابن أبي الدنيا[2] في القناعة، وصححه الحاكم.

والروع ـ بضم الراء ـ أي نفسي، وروح القدس: جبريل عليه السلام.

● الثالثة: كان يتمثل له الملك رجلاً، فيخاطبه حتى يعي عنه ما يقول له، فقد كان يأتيه في صورة دحية الكلبي[3]. رواه النسائي[4] بسند صحيح من حديث ابن عمر.

قلت: وكان دحية جميلاً وسيماً، إذا قدم لتجارة خرجت الظعن لتراه.

فإن قلت: إذا لقي جبريل النبي ﷺ في صورة دحية، فأين تكون روحه؟ فإن كانت في الجسد الذي له ستمائة جناح، فالذي أتى لا روح جبريل ولا جسده، وإن كانت في هذا الذي هو في صورة دحية فهل يموت الجسد العظيم أم يبقى خالياً من الروح المنتقلة عنه إلى الجسد المشبه بجسد دحية[5].

أجيب ـ كما ذكره العيني[6] ـ بأنه لا يبعد أن لا يكون انتقالها موجب موته، فيبقى الجسد حياً، لا ينقص من معارفه شيء، ويكون انتقال روحه إلى الجسد الثاني كانتقال

---

(١) ذكره البيهقي في الأسماء والصفات ١٩٨ وجمع الجوامع للسيوطي (٥٥٧٥) اتحاف السادة المتقين ٥/٤١٦ الدر المنثور ٥/ ٩٤ ومسند الشافعي ٢٣٣ وكنز العمال (١٩٢٩٠).

(٢) هو عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان ابن أبي الدنيا القرشي الأموي بالولاء البغدادي أبو بكر (٢٠٨ ـ ٢٨١ هـ) حافظ للحديث توفي ببغداد. الأعلام ٤/١١٨ تذكرة الحفاظ ٢/٦٧٧ رقم الترجمة (٦٩٩). تاريخ بغداد ١٠/٨٩ فوات الوفيات ٢/٢٢٨ رقم الترجمة (٢٣٥). طبقات الحنابلة ١/ ١٩٢.

(٣) هو دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة الكلبي. صحابي توفي نحو سنة (٤٥ هـ) في دمشق «المزة» الأعلام ٢/ ٣٣٧ الإصابة ٢/ ١٦١ رقم الترجمة (٢٣٨٦) طبقات ابن سعد ٤/ ١٨٨ رقم الترجمة (٤٤٤). والأنساب ٥/ ٨٥ مادة (الكلبي).

(٤) هو أحمد بن علي بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار أبو عبد الرحمن النسائي. (٢١٥ ـ ٣٠٣ هـ). حافظ قاضي. مات بالرملة (بفلسطين) وقيل بمكة. الأعلام ١/ ١٧١ وفيات الأعيان ١/ ٢١ طبقات الشافعية ٢/ ٨٣ تذكرة الحفاظ ٢/ ٦٩٨ رقم الترجمة (٧١٩) شذرات الذهب ٢/ ٢٣٩.

(٥) انظر زاد المعاد بهامش شرح المواهب ١/ ٥٥.

(٦) هو محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد أبو محمد بدر الدين العيني الحنفي (٧٦٢ ـ ٨٥٥ هـ) مؤرخ. محدث. توفي بالقاهرة. الأعلام ٧/ ١٦٣. الضوء اللامع ١٠/ ١٣١ رقم الترجمة (٥٤٥). شذرات الذهب ٧/ ٢٨٦. ومعجم المطبوعات (١٤٠٢).

أرواح الشهداء إلى أجواف طير خضر، وموت الأجساد بمفارقة الأرواح ليس بواجب عقلاً، بل بعادة أجراها الله تعالى في بني آدم، فلا تلزم في غيرهم. انتهى.

● الرابعة: كأن يأتيه في مثل صلصلة الجرس، وكان أشده عليه، حتى إن جبينه ليتفصد عرقاً في اليوم الشديد البرد، حتى إن راحلته لتبرك به في الأرض، ولقد جاءه الوحي مرة كذلك وفخذه على فخذ زيد بن ثابت[1]، فثقلت عليه حتى كادت ترضها[2].

قلت: وروى الطبراني عن زيد بن ثابت قال: كنت أكتب الوحي لرسول الله ﷺ، وكان إذا نزل عليه أخذته برحاء شديدة، وعرق عرقاً شديداً مثل الجمان، ثم سري عنه. وكنت أكتب وهو يملي علي، فما أفرغ حتى تكاد رجلي تكسر من ثقل الوحي، حتى أقول: لا أمشي على رجلي أبداً.

ولما نزلت عليه سورة المائدة، كادت أن تنكسر عضد ناقته من ثقل السورة[3]، ورواه أحمد والبيهقي في الشعب.

● الخامسة: أن يرى الملك في صورته التي خلق عليها له ستمائة جناح، فيوحي إليه ما شاء الله أن يوحيه، وهذا وقع له مرتين كما في سورة النجم.

● السادسة: ما أوحاه الله إليه، وهو فوق السماوات من فرض الصلوات وغيرها.

● السابعة: كلام الله له منه إليه بلا واسطة ملك، كما كلم الله موسى.

● قال: وقد زاد بعضهم مرتبة ثامنة وهي تكليم الله له كفاحاً من غير حجاب. انتهى.

قال شيخ الإسلام الولي ابن العراقي[4]: وكأن ابن القيم أخذ ذلك من روض السهيلي لكنه لم يذكر نزول إسرافيل إليه بكلمات من الوحي قبل جبريل.

فقد ثبت في الطرق الصحاح عن عامر الشعبي أن رسول الله ﷺ وكل به إسرافيل

---

(١) هو زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري الخزرجي أبو خارجة (١١ ق. هـ - ٤٥ هـ) صحابي. الأعلام ٣/ ٥٧. الإصابة ٣/ ٢٢ رقم الترجمة (٢٨٧٤)،

(٢) أخرجه النسائي بكتاب الجهاد رقم الحديث (٤). والبخاري بكتاب الصلاة باب (١٢). وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل ٥/ ١٩١ و ١٨٤. وفي سنن أبي داوود بكتاب الجهاد باب (١٩) رقم الحديث (٢٥٠٧).

(٣) اخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ٦/ ٤٥٥.

(٤) هو أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين الكردي الرازياني ثم المصري أبو زرعة ولي الدين ابن العراقي. (٧٦٢ - ٨٢٦ هـ). قاض حافظ توفي بالقاهرة. الأعلام ١/ ١٤٨ الضوء اللامع ١/ ٣٣٦ المنهل الصافي صفحة ٣١٢ رقم الترجمة (١٧٩) ذيل تذكرة الحفاظ ٥/ ٢٨٤.

فكان يتراءى له ثلاث سنين ويأتيه بالكلمة من الوحي، والشيء، ثم وكل به جبريل فجاء بالقرآن.

وأما قوله ـ أعني ابن القيم ـ: السادسة، ما أوحاه الله إليه فوق السماوات، يعني ليلة المعراج، السابعة كلام الله بلا واسطة. فإن أراد ما أوحاه إليه جبريل فهو داخل فيما تقدم، لأنه إما أن يكون جبريل في تلك الحالة على صورته الأصلية، أو على صورة الآدمي، وكلاهما قد تقدم ذكره، وإن أراد وحي الله بلا واسطة ـ وهو الظاهر ـ فهي الصورة التي بعدها.

وأما قوله: وقد زاد بعضهم مرتبة ثامنة: وهي تكليم الله له كفاحاً من غير حجاب، فهذا على مذهب من يقول إنه ﷺ رأى ربه تعالى، وهي مسألة خلاف يأتي الكلام عليها إن شاء الله تعالى.

ويحتمل أن ابن القيم رحمه الله تعالى أراد بالمرتبة السادسة وحي جبريل، وغاير بينه وبين ما قبله باعتبار محل الإيحاء، أي كونه فوق السماوات، بخلاف ما تقدم، فإنه كان في الأرض، ولا يقال، يلزم عليه أن تتعدد أقسام الوحي باعتبار البقعة التي جاء فيها جبريل إلى النبي ﷺ وهو غير ممكن، لأنا نقول: الوحي الحاصل في السماء باعتبار ما في تلك المشاهد من الغيب نوع غير نوع الأرض على اختلاف بقاعها. انتهى.

قلت: ويزاد أيضاً:

● كلامه تعالى له في المنام، كما في حديث الزهري «**أتاني ربي في أحسن صورة فقال: يا محمد أتدري فيم يختصم الملأ الأعلى..**»[1] الحديث.

● ثم مرتبة أخرى، وهي العلم الذي يلقيه الله تعالى في قلبه، وعلى لسانه عند الاجتهاد في الأحكام، لأنه اتفق على أنه ﷺ إذا اجتهد أصاب قطعاً، وكان معصوماً من الخطأ، وهذا خرق للعادة في حقه دون سائر الأمة، وهو يفارق النفث في الروع من حيث حصوله بالاجتهاد، والنفث بدونه.

● ومرتبة أخرى: وهي مجيء جبريل في صورة رجل غير دحية، لأن دحية كان معروفاً عندهم، ذكره ابن المنير[2]، وإن كانت داخلة في المرتبة الثالثة التي ذكرها ابن القيم.

---

(١) أخرجه الترمذي رقم الحديث (٣٢٣٤) وفي المعجم الكبير للطبراني ٣٤٩/٨ وتفسير ابن كثير ٥١٦/٤ والإمام أحمد بن حنبل في مسنده ٣٦٨/١.

(٢) هو أحمد بن محمد بن منصور المعروف بابن منير الإسكندري (٦٢٠ ـ ٦٨٣ هـ) قاض وخطيب. الأعلام ٢٢٠/١ فوات الوفيات ١٤٩/١ رقم الترجمة (٥٥) شذرات الذهب ٣٨١/٥ والديباج المذهب صفحة ٧١.

وذكر الحليمي[1] أن الوحي كان يأتيه على ستة وأربعين نوعاً، فذكرها، وغالبها - كما قال في فتح الباري - من صفات حامل الوحي، ومجموعها يدخل فيما ذكر والله أعلم.

وذكر ابن المنير أن الحال كان يختلف في الوحي باختلاف مقتضاه، فإن نزل بوعد وبشارة نزل الملك بصورة الآدمي، وخاطبه من غير كدّ، وإن نزل بوعيد ونذارة كان حينئذٍ كصلصلة الجرس. انتهى.

وقد ذكر ابن عادل، في تفسيره: أن جبريل عليه السلام نزل على النبي ﷺ أربعة وعشرين ألف مرة، ونزل على آدم اثنتي عشرة مرة، وعلى إدريس أربع مرات وعلى نوح خمسين مرة، وعلى إبراهيم اثنتين وأربعين مرة، وعلى موسى أربعمائة مرة، وعلى عيسى عشر مرات. كذا قال رحمه الله.

وقد روي: أن جبريل تبدى له ﷺ في أحسن صورة وأطيب رائحة فقال: يا محمد إن الله يقرئك السلام ويقول لك: أنت رسولي إلى الجن والإنس، فادعهم إلى قول لا إله إلا الله ثم ضرب برجله الأرض فنبعت عين ماء فتوضأ منها جبريل ثم أمره أن يتوضأ وقام جبريل يصلي وأمره أن يصلي معه فعلمه الوضوء والصلاة ثم عرج إلى السماء ورجع رسول الله ﷺ لا يمر بحجر ولا مدر ولا شجر إلا وهو يقول السلام عليك يا رسول الله، حتى أتى خديجة فأخبرها فغشي عليها من الفرح ثم أمرها فتوضأت وصلى بها كما صلى به جبريل فكان ذلك أول فرضها ركعتين ثم إن الله أقرها في السفر كذلك وأتمها في الحضر[2].

وقال مقاتل: كانت الصلاة أول فرضها ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي، لقوله تعالى: **﴿وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار﴾** [غافر: ٥٥].

قال في فتح الباري: كان ﷺ قبل الإسراء يصلي قطعاً[3]، وكذلك أصحابه، ولكن اختلف: هل افترض قبل الخمس شيء من الصلاة أم لا؟ فقيل: إن الفرض كان صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها، والحجة فيه قوله تعالى: **﴿وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها﴾** [طه: ١٣٠]. انتهى.

---

(١) هو الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الجرجاني أبو عبد الله (٣٣٨ - ٤٠٣ هـ). فقيه شافعي قاض. وفاته في بخارى. الأعلام ٢/ ٢٣٥. وتاريخ جرجان ١٩٨ رقم الترجمة (٢٨٦).

(٢) هو في كنز العمال (٤٥٨٧) وفي علل الحديث للرازي صفحة ١٥١.

(٣) انظر فتح الباري ١/ ٦١١ كتاب الصلاة باب (١).

قال النووي: أول ما وجب الإنذار والدعاء إلى التوحيد، ثم فرض الله من قيام الليل ما ذكره في أول سورة المزمل، ثم نسخه بما في آخرها، ثم نسخه بإيجاب الصلوات الخمس ليلة الإسراء بمكة، وأما ما ذكره في هذه الرواية من أن جبريل علمه الوضوء وأمره به فيدل على أن فرضية الوضوء كانت قبل الإسراء.

ثم فتر الوحي فترة شق عليه وأحزنه.

وفترة الوحي: عبارة عن تأخره مدة من الزمان، وكان ذلك ليذهب عنه ما كان يجده عليه السلام من الروع، وليحصل له التشوق إلى العود.

وكانت مدة فترة الوحي ثلاث سنين، كما جزم به ابن إسحاق.

وفي تاريخ الإمام أحمد، ويعقوب بن سفيان عن الشعبي: أنزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة، فقرن بنبوته إسرافيل ثلاث سنين، فكان يعلمه الكلمة والشيء ولم ينزل عليه القرآن على لسانه، فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل، فنزل عليه القرآن على لسانه عشرين سنة، وكذا رواه ابن سعد والبيهقي.

فقد تبين أن نبوته ﷺ كانت متقدمة على إرساله، كما قال أبو عمر وغيره، كما حكاه أبو أمامة بن النقاش[1]. فكان في نزول سورة «اقرأ» نبوته، وفي نزول سورة المدثر إرساله بالنذارة والبشارة والتشريع، وهذا قطعاً متأخر عن الأول، لأنه لما كانت سورة «اقرأ» متضمنة لذكر أطوار الآدمي: من الخلق والتعليم والإفهام، ناسب أن تكون أول سورة أنزلت، وهذا هو الترتيب الطبيعي، وهو أن يذكر سبحانه وتعالى ما أسداه إلى نبيه عليه السلام من العلم والفهم والحكمة والنبوة، ويمن عليه بذلك في معرض تعريف عباده بما أسداه إليهم من نعمة البيان الفهمي والنطقي والخطي، ثم يأمره سبحانه وتعالى بأن يقوم فينذر عباده.

وكان أول من آمن بالله وصدق صديقة النساء خديجة، فقامت بأعباء الصديقية. قال لها ﷺ: خشيت على نفسي، فقالت: أبشر فوالله لا يخزيك الله أبداً. ثم استدلت بما فيه من الصفات والأخلاق والشيم على أن من كان كذلك لا يخزى أبداً.

وكان أول ذكر آمن من بعدها صديق الأمة، وأسبقها إلى الإسلام أبو بكر، فآزره

---

(١) هو محمد بن علي بن عبد الواحد الدكالي المصري أبو أمامة المعروف بابن النقاش (٧٢٠ ـ ٧٦٣ هـ). مفسر واعظ فقيه. توفي بالقاهرة. الأعلام ٦/٢٨٦ الدرر الكامنة ٤/٧١ رقم الترجمة (٢٠٩) بغية الوعاة ٧٨ شذرات الذهب ٦/١٩٨ طبقات المفسرين ٢/٢٠٢ رقم الترجمة (٥٤٠).

في الله. وعن ابن عباس أنه أول الناس إسلاماً، واستشهد له بقول حسان بن ثابت:

إذا تذكرت شجوى من أخي ثقة ... فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
خير البرية أتقاها وأعدلها ... بعد النبي وأوفاها بما حملا
والثاني التالي المحمود مشهده ... وأول الناس قدماً صدق الرسلا

رواه أبو عمر.

وممن وافق ابن عباس وحساناً على أن الصديق أول الناس إسلاماً، أسماء بنت أبي بكر، والنخعي[1] وابن الماجشون[2] ومحمد بن المنكدر[3] والأخنس[4].

وقيل: إن علي بن أبي طالب أسلم بعد خديجة، وكان في حجر النبي ﷺ. فعلى هذا يكون أول من أسلم من الرجال أبو بكر، ويكون علي أول صبي أسلم، لأنه كان صبياً لم يدرك، ولذا قال:

سبقتكمُ إلى الإسلام طراً ... صغيراً ما بلغت أوان حلمي

وكان سن علي إذ ذاك عشر سنين، فيما حكاه الطبري.

وقال ابن عبد البر: وممن ذهب إلى أن علياً أول من أسلم من الرجال: سلمان وأبو ذر والمقداد وخباب وجابر وأبو سعيد الخدري، وزيد بن الأرقم، وهو قول ابن شهاب وقتادة وغيرهم.

قال: واتفقوا على أن خديجة أول من أسلم مطلقاً.

وقيل: أول رجل أسلم، ورقة بن نوفل. ومن يمنع، يدعى أنه أدرك نبوته عليه السلام لا رسالته. لكن جاء في السير، وهو في رواية أبي نعيم المتقدمة أنه قال: أبشر، فأنا أشهد أنك الذي بشر به ابن مريم وأنك على مثل ناموس موسى، وأنك نبي مرسل،

---

(١) هو إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود أبو عمران النخعي، (٤٦ ـ ٩٦ هـ) تابعي حافظ. الأعلام ١/ ٨٠ حلية الأولياء ٤/ ٢١٩ رقم الترجمة (٢٧٣) طبقات ابن سعد ٦/ ٢٧٩ رقم الترجمة (٢٣٢٥) تذكرة الحفاظ ١/ ٧٣ رقم الترجمة (٧٠) شذرات الذهب ١/ ١١١ وفيات الأعيان ١/ ٣.

(٢) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الله التيمي بالولاء أبو مروان ابن الماجشون. فقيه مالكي توفي سنة (٢١٢ هـ). الأعلام ٤/ ١٦٠ وفيات الأعيان ١/ ٢٨٧.

(٣) هو محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير (بالتصغير) بن عبد العزى القرشي التيمي المدني. (٥٤ ـ ١٣٠ هـ) زاهد من رجال الحديث. الأعلام ٧/ ١١٢ وطبقات الحفاظ ١/ ١٢٧ رقم الترجمة (١١٤).

(٤) هو الأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب بن علاج بن أبي سلمة بن عبد العزى. مات في أول خلافة عمر. الإصابة ١/ ٢٣ رقم الترجمة (٦١).

وأنك ستؤمر بالجهاد، وإن أدرك ذلك لأجاهدن معك. فهذا صريح بتصديقه برسالة محمد ﷺ.

قال البلقيني[1]: بل يكون بذلك أول من أسلم من الرجال. وبه قال العراقي في نكته على ابن الصلاح[2] وذكره ابن منده في الصحابة.

وحكى العراقي: كون علي أول من أسلم عن أكثر العلماء، وحكى ابن عبد البر الإتفاق عليه.

وادعى الثعلبي[3] اتفاق العلماء على أن أول من أسلم خديجة، وأن اختلافهم إنما هو في أول من أسلم بعدها.

قال ابن الصلاح: والأورع أن يقال:
أول من أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر.
ومن الصبيان أو الأحداث علي.
ومن النساء خديجة.
ومن الموالي زيد.
ومن العبيد بلال. والله أعلم، انتهى.

وقال الطبري: الأولى التوفيق بين الروايات كلها وتصديقها فيقال:
أول من أسلم مطلقاً خديجة.
وأول من أسلم علي بن أبي طالب، وهو صبي لم يبلغ، وكان مستخفياً بإسلامه.
وأول رجل عربي بالغ أسلم وأظهر إسلامه أبو بكر بن أبي قحافة.
وأول من أسلم من الموالي زيد.

---

(١) هو عمر بن رسلان بن نصير بن صالح الكناني العسقلاني الأصل ثم البلقيني المصري أبو حفص سراج الدين (٧٢٤ ـ ٨٠٥ هـ). حافظ فقيه شافعي. توفي بالقاهرة الأعلام ٥/ ٤٦ الضوء اللامع ٦/ ٨٥ رقم الترجمة (٢٨٦) شذرات الذهب ٧/ ٥١ طبقات المفسرين ٢/ ٥ رقم الترجمة (٣٨٥).

(٢) هو عثمان بن عبد الرحمٰن (صلاح الدين) بن عثمان بن موسى بن أبي النصر الشهرزوري الكردي الشرخاني أبو عمر تقي الدين المعروف بابن الصلاح (٥٧٧ ـ ٦٤٣ هـ) مفسر محدث فقيه توفي في دمشق. الأعلام ٤/ ٢٠٧ وفيات الأعيان ١/ ٣١٢ طبقات الشافعية ٥/ ١٣٧ طبقات المفسرين ١/ ٣٨٢ رقم الترجمة (٣٢٧) شذرات الذهب ٥/ ٢٢١ مفتاح السعادة ١/ ٣٩٧ وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٣٠ رقم الترجمة (١١٤١) تاريخ بغداد (١٣٠).

(٣) هو أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي أبو إسحاق مفسر، مؤرخ توفي سنة (٤٢٧ هـ). الأعلام ١/ ٢١٢. وفيات الأعيان ١/ ٢٢ إنباه الرواة ١/ ١١٩ معجم المطبوعات ٦٦٣ معجم الأدباء ٢/ ١٩ رقم الترجمة (١٨٤) طبقات الشافعية ٣/ ٢٣ مرآة الجنان ٣/ ٤٦ مفتاح السعادة ٢/ ٦٧.

قال: وهذا متفق عليه لا خلاف فيه، وعليه يحمل قول من قال: أول من أسلم من الرجال أبو بكر، أي الرجال البالغين الأحرار، ويؤيد هذا ما روي عن الحسن أن علي بن أبي طالب قال: إن أبا بكر سبقني إلى أربع لم أوتهن: سبقني إلى إفشاء الإسلام، وقدم الهجرة، ومصاحبته في الغار، وإقام الصلاة، وأنا يومئذ بالشعب يظهر إسلامه وأخفيه. الحديث، خرجه صاحب فضائل أبي بكر وخيثمة بمعناه.

وأما ما روي: من صحبة الصديق للنبي ﷺ وهو ابن ثماني عشرة سنة، وهم يريدون الشام في تجارة، وحديث بحيرى، وأنه وقع في قلب أبي بكر اليقين، وقول ميمون بن مهران[2]: والله لقد آمن أبو بكر بالنبي ﷺ زمن بحيرى، فالمراد بهذا الإيمان اليقين بصدقه، وهو ما وقر في قلبه، وإلا فالنبي ﷺ تزوج خديجة وسافر إلى الشام قبل المبعث.

ثم أسلم بعد زيد بن حارثة، عثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله، بدعاء أبي بكر الصديق، فجاء بهم إلى رسول الله ﷺ حين استجابوا له، فأسلموا وصلوا.

ثم أسلم أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح، وأبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بعد تسعة أنفس. والأرقم بن أبي الأرقم المخزومي، وعثمان بن مظعون الجمحي. وأخواه: قدامة وعبد الله، وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وامرأته فاطمة بنت الخطاب.

وقال ابن سعد: أول امرأة أسلمت بعد خديجة أم الفضل زوج العباس، وأسماء بنت أبي بكر، وعائشة أختها. كذا قاله ابن إسحاق وغيره. وهو وهم، لأن عائشة لم تكن ولدت بعد فكيف أسلمت. وكان مولدها سنة أربع من النبوة، قاله مغلطاي وغيره.

ودخل الناس في الإسلام أرسالاً من الرجال والنساء.

---

(١) هو خيثمة بن سليمان بن حيدرة القرشي الطرابلسي أبو الحسن. (٢٥٠ ـ ٣٤٣ هـ) من حفاظ الحديث رحالة. توفي في طرابلس (الشام). الأعلام ٢/ ٣٢٦ شذرات الذهب ٢/ ٣٦٥ تذكرة الحفاظ ٣/ ٨٥٨ رقم الترجمة (٨٣٤). العبر ٢/ ٢٦٢.

(٢) هو ميمون بن مهران الرقي أبو أيوب (٣٧ ـ ١١٧ هـ) فقيه من القضاة. الأعلام ٧/ ٣٤٢ تذكرة الحفاظ ١/ ٩٨ رقم الترجمة (٩١) حلية الأولياء ٤/ ٨٢ رقم الترجمة (٢١٥) شذرات الذهب ١/ ١٥٤ طبقات ابن سعد ٧/ ٣٣٢ رقم الترجمة (٣٩٤٨) العبر ١/ ١٤٧.

[فصل في ترتيب الدعوة النبوية][1]

ثم إن الله تعالى أمر رسوله ﷺ بأن يصدع بما جاء به، أي يواجه المشركين به.

وقال مجاهد: هو الجهر بالقرآن في الصلاة.

وقال أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود: ما زال النبي ﷺ مستخفياً حتى نزلت ﴿فاصدع بما تؤمر﴾ [الحجر: ٩٤] فجهر هو وأصحابه.

وقال البيضاوي: ﴿فاصدع بما تؤمر﴾ [الحجر: ٩٤] من صدع بالحجة إذا تكلم بها جهاراً أو فرق به بين الحق والباطل. وأصله: الإبانة والتمييز. و «ما» مصدرية أو موصولة، و «الراجع» محذوف، أي بما تؤمر به من الشرائع انتهى.

قالوا: وكان ذلك بعد ثلاث سنين من النبوة، وهي المدة التي أخفى فيها رسول الله ﷺ أمره إلى أن أمره الله تعالى بإظهاره.

فبادى قومه بالإسلام وصدع به كما أمره الله تعالى.

ولم يبعد منه قومه ولم يردوا عليه، حتى ذكر آلهتهم وعابها، وكان ذلك سنة أربع، كما قاله العتقي[2]. فأجمعوا على خلافه وعداوته إلا من عصم الله منهم بالإسلام. وحدب عليه عمه أبو طالب ومنعه وقام دونه.

فاشتد الأمر، وتضارب القوم، وأظهر بعضهم لبعض العداوة، وتذامرت قريش على من أسلم منهم يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم.

ومنع رسول الله بعمه أبي طالب وبني هاشم ـ غير أبي لهب ـ وبني المطلب.

وقال مقاتل: كان رسول الله ﷺ عند أبي طالب يدعوه إلى الإسلام، فاجتمعت قريش إلى أبي طالب يريدون بالنبي ﷺ سوءاً، فقال أبو طالب: حين تروح الإبل فإن حنت ناقة إلى غير فصيلها دفعته إليكم. وقال:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم ... حتى أوسد في التراب دفيناً
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة ... وأبشر وقر بذاك منك عيوباً
ودعوتني وزعمت أنك ناصحي ... ولقد صدقت وكنت ثم أميناً
وعرضت ديناً لا محالة إنه ... من خير أديان البرية ديناً

---

(١) انظر كتاب زاد المعاد بهامش شرح المواهب ١/ ٦٥.

(٢) هو محمد بن عبد الله بن محمد العتقي الإفريقي أبو عبد الرحمٰن. فلكي مؤرخ توفي في مصر سنة (٣٨٥ هـ). الأعلام ٦/ ٢٢٥ أخبار الحكماء ١٨٧ الوافي بالوفيات ٣/ ٢٣٩.

لـــولا المـــلامـــة أو حـــذاري سبـــة لـــوجـــدتنـــي سمحـــاً بـــذاك مبينـــاً

وقد كفى الله تعالى نبيه ﷺ المستهزئين. كما قال تعالى: ﴿وأعرض عن المشركين﴾ [الحجر: ٩٤] أي لا تلتفت إلى ما يقولون: ﴿إنا كفيناك المستهزئين﴾ [الحجر: ٩٥] يعني بقمعهم وإهلاكهم. وقد قيل: إنهم كانوا خمسة من أشراف قريش:

الوليد بن المغيرة.

والعاصي بن وائل.

والحارث بن قيس.

والأسود بن عبد يغوث.

والأسود بن المطلب.

وكانوا يبالغون في إذائه ﷺ والاستهزاء به. فقال جبريل لرسول الله ﷺ: أمرت أن أكفيكهم. فأومأ إلى ساق الوليد، فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظيماً لأخذه، فأصاب عرقاً في عقبه فمات، وأومأ إلى أخمص العاصي فدخلت فيها شوكة فانتفخت رجله حتى صارت كالرحى فمات، وأشار إلى أنف الحارث فامتخط قيحاً فمات، وإلى الأسود بن عبد يغوث وهو قاعد في أصل شجرة فجعل ينطح برأسه الشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات، وإلى عيني الأسود بن عبد المطلب فعمي.

وكان ﷺ يطوف على الناس في منازلهم يقول: «**يا أيها الناس، إن الله يأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً**»، وأبو لهب وراءه يقول: يا أيها الناس: إن هذا يأمركم أن تتركوا دين آبائكم[1].

ورماه الوليد بن المغيرة بالسحر، وتبعه قومه على ذلك.

وآذته قريش ورموه بالشعر والكهانة والجنون.

ومنهم من كان يحثو التراب على رأسه، ويجعل الدم على بابه.

ووطىء عقبة بن أبي معيط على رقبته الشريفة وهو ساجد عند الكعبة حتى كادت عيناه تبرزان. وخنقوه خنقاً شديداً، فقام أبو بكر دونه، فجذبوا رأسه ولحيته ﷺ حتى سقط أكثر شعره، فقام أبو بكر دونه وهو يقول: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله.

وقال ابن عمرو ـ كما في البخاري ـ: بينا رسول الله ﷺ بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة ابن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ فلف ثوبه في عنقه فخنقه خنقاً شديداً، فجاء أبو

---

(١) أخرجه في زوائد المسند ٣/ ٤٩١ و ٤/ ٣٤١ والمستدرك للحاكم ١/ ١٥ والمعجم الكبير للطبراني ٥/ ٥٦ وما بعدها.

بكر فأخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله ﷺ[1]. وفي رواية ثم قال: **﴿أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله﴾** [غافر: ٢٨].

وقد ذكر العلماء، أن أبا بكر رضي الله عنه أفضل من مؤمن آل فرعون، لأن ذاك اقتصر حيث انتصر على اللسان، وأما أبو بكر فأتبع اللسان يداً، ونصر بالقول والفعل محمداً ﷺ.

وأخرج مسلم من حديث أبي هريرة قال: قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ قالوا نعم، فقال: واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته، ولأعفرن وجهه بالتراب، فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي ليطأ على رقبته، فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه، ويتقي بيديه، فقيل له: مالك؟ قال: إن بيني وبينه خندقاً من نار، وهولاً وأجنحة، فقال رسول الله ﷺ: لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً، وأنزل الله **﴿إن الإنسان ليطغى﴾** [العلق: ٦ ـ ١٩] إلى آخر السورة[2].

ولما نزلت **﴿تبت يدا أبي لهب وتب﴾** [المسد: ١] جاءت امرأة أبي لهب، فقال أبو بكر: يا رسول الله، لو تنحيت عنها فإنها امرأة بذية، قال: «**سيحال بيني وبينها**» فقالت: يا أبا بكر، هجانا صاحبك، قال: والله ما ينطق بالشعر ولا يقوله، فاندفعت راجعة، فقال أبو بكر: يا رسول الله، ما رأتك، قال: «**كان بيني وبينها مالك سترني بجناحه حتى ذهبت**». رواه ابن أبي شيبة وأبو نعيم. وفي رواية البيهقي فقال ﷺ: «**قل لها: ترين عندي أحداً؟ فإنها لن تراني**»[3].

وفي رواية أيضاً: «كان ﷺ يصلي عند الكعبة، وجمع من قريش في مجالسهم، إذ قال قائل منهم: ألا تنظرون إلى هذا المرائي، أيكم يقوم إلى جزور آل فلان، فيعمد إلى فرثها ودمها وسلاها، فيجيء به ثم يمهله حتى إذا سجد وضعه بين كتفيه، فانبعث أشقاهم، فلما سجد ﷺ وضعه بين كتفيه، وثبت النبي ﷺ ساجداً، فضحكوا حتى مال بعضهم على بعض من الضحك، فانطلق منطلق إلى فاطمة وهي جويرية، فأقبلت تسعى، وثبت النبي ﷺ ساجداً حتى ألقته عنه، وأقبلت عليهم تسبهم، فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة قال: اللهم عليك بقريش ثم سمى فقال: اللهم عليك بعمرو بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط، وعمارة ابن الوليد.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار باب (٢٩) رقم الحديث (٣٨٥٦).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه رقم الحديث (٢٧٩٧). وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل ٢/ ٣٧٠.

(٣) أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة ١/ ١٦.

قال عبد الله: فوالله لقد رأيتهم صرعى يوم بدر، ثم سحبوا إلى القليب، قليب بدر، ثم قال رسول الله ﷺ: «**وأتبع أصحاب القليب لعنة**»[1].

واستدل بهذا الحديث: على أن من عرض له في صلاته ما يمنع انعقادها ابتداء لا تبطل صلاته، فلو كانت نجاسة فأزالها في الحال، ولا أثر لها صحت صلاته اتفاقاً.

واستدل به أيضاً: على طهارة فرث ما يؤمل لحمه، وعلى أن إزالة النجاسة ليست بفرض، وهو ضعيف.

وأجاب النووي: بأنه عليه السلام لم يعلم ما وضع على ظهره، فاستمر في سجوده، استصحاباً لأصل الطهارة.

وتعقب: بأنه مشكل على قولنا بوجوب الإعادة، في مثل هذه الصورة.

وأجيب عنه: بأن الإعادة إنما تجب في الفريضة، فإن ثبت أنها فريضة فالوقت موسع فلعله أعاد.

وتعقب: بأنه لو أعاد لنقل، ولم ينقل، وبأن الله لا يقره على صلاة فاسدة.

وقد استشكل بعضهم عد عمارة بن الوليد في المذكورين، لأنه لم يقتل في بدر، بل ذكر أصحاب المغازي: أنه مات بأرض الحبشة، وله قصة مع النجاشي، إذ تعرض لامرأته فأمر النجاشي ساحراً فنفخ في احليل عمارة من سحره فتوحش، وصار مع البهائم إلى أن مات في خلافة عمر.

وأجيب: بأن كلام ابن مسعود ـ أنه رآهم صرعى في القليب ـ محمول على الأكثر، ويدل عليه: أن عقبة بن أبي معيط لم يطرح في القليب، وإنما قتل صبراً بعد أن رحلوا عن بدر بمرحلة. وأمية بن خلف لم يطرح في القليب، كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

وقوله: ثم قال رسول الله ﷺ: «**وأتبع أصحاب القليب لعنة**» يحتمل أن يكون من تمام الدعاء الماضي، فيكون فيه علم عظيم من أعلام النبوة ويحتمل أن يكون قاله ﷺ بعد أن ألقوا في القليب.

ثم أسلم حمزة بن عبد المطلب[2]، وكان أعز فتى في قريش، وأشده شكيمة، وكان إسلامه ـ فيما قاله العتقي ـ سنة ست، فعزَّ به رسول الله ﷺ، وكفت عنه قريش قليلاً، وقال حمزة حين أسلم:

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة باب (١٠٩) رقم الحديث (٥٢٠).

(٢) انظر السيرة لابن هشام ١/ ٣١١.

حمــــدت الله حيـــن هـــدى فـــؤادي	إلـــى الإســـلام والـــديـــن الحنيـــف
لـــديـــن جـــاء مـــن رب عـــزيـــز	خبيـــر بـــالعبـــاد بهـــم لطيـــف
إذا تليـــت رســـائلـــه علينـــا	تحـــدر دمـــع ذي اللـــب الحصيـــف
رســـائـــل جـــاء أحمـــد مـــن هـــداهـــا	بـــآيـــات مبينـــة الحـــروف
وأحمـــد مصطفـــى فينـــا مطـــاع	فـــلا تغشـــوه بـــالقـــول العنيـــف
فـــلا والله نسلمـــه لقـــوم	ولمـــا نقـــض فيهـــم بـــالسيـــوف

وعند مغلطاي: وسألوه ـ يعني: النبي ﷺ ـ إن كنت تطلب الشرف فينا فنحن نسودك علينا، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً قد غلب عليك بذلنا أموالنا في طلب الطب لك حتى نبرئك منه فيك.

فقال لهم عليه السلام: «**ما بي ما تقولون، ولكن الله بعثني رسولاً، وأنزل علي كتاباً، وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً، فبلغتكم رسالة ربي، ونصحت لكم، فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم من الدنيا والآخرة، وإن تردوه علي أصبر لأمر الله، حتى يحكم الله بيني وبينكم**»[1].

والرئي ـ بفتح الراء، وقد تكسر، ثم همزة، فياء مشددة ـ جني يري فيحب، أو المكسورة للمحبوب منها، قاله في القاموس.

ثم إن النضر بن الحارث، وعقبة بن أبي معيط ذهبا إلى أحبار اليهود، فسألاهم عنه ﷺ فقالوا لهما: سلاه عن ثلاثة، فإن أخبركما بهن فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل فهو متقول. سلاه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول، وعن رجل طواف، وعن الروح ما هو؟

فقال لهم عليه السلام: «**أخبركم غداً**»، ولم يقل إن شاء الله تعالى، فلبث الوحي أياماً، ثم نزل قوله تعالى: ﴿**ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله**﴾ [الكهف: ٢٣ و ٢٤] وأنزل الله تعالى ذكر الفتية الذين ذهبوا، وهم أصحاب الكهف، وذكر الرجل الطواف. وهو ذو القرنين. وقال فيما سألوه عن الروح ﴿**ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي**﴾ [الإسراء: ٨٥] الآية.

وفي البخاري[2] من حديث عبد الله بن مسعود قال: «بينا أنا مع النبي ﷺ في حرث، وهو متكىء على عسيب، إذ مر اليهود، فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح، قالوا: ما رابكم إليه، وقال بعضهم: لا يستقبلكم بشيء تكرهونه، فقالوا: سلوه، فسألوه

---

(١) المصدر السابق ١/٣١٣.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب العلم باب (٤٧) رقم الحديث (١٢٥).

عن الروح، فأمسك النبي ﷺ فلم يرد عليهم شيئاً، فعلمت أنه يوحى إليه، فقمت مقامي فلما نزل الوحي قال: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾ [الإسراء: ٨٥]».

قال الحافظ ابن كثير: وهذا يقتضي - فيما يظهر من بادىء الرأي - أن هذه آية مدنية، وأنها إنما نزلت حين سأله اليهود عن ذلك بالمدينة، مع أن السورة [الإسراء] كلها مكية.

وقد يجاب عن هذا: بأنه قد تكون نزلت عليه مرة ثانية بالمدينة، كما نزلت عليه بمكة قبل ذلك. ومما يدل على نزولها بمكة ما رواه الإمام أحمد من حديث ابن عباس قال قالت قريش لليهود أعطونا شيئاً نسأل عنه هذا الرجل، فقالوا: سلوه عن الروح، فسألوه فنزلت[1] الحديث. انتهى.

وهذا الحديث رواه الترمذي أيضاً باسناد رجاله رجال مسلم.

فيحمل على تعدد النزول كما أشار إليه ابن كثير، ويحمل سكوته في المرة الثانية على توقع مزيد بيان في ذلك.

وقد اختلف في المراد بالروح المسؤول عنه في هذا الخبر:

فقيل: روح الإنسان.

وقيل: جبريل.

وقيل: عيسى.

وقيل: ملك يقوم وحده صفاً يوم القيامة.

وقيل: غير ذلك.

وقال القرطبي: الراجح أنهم سألوه عن روح الإنسان لأن اليهود لا تعترف بأن عيسى روح الله، ولا تجهل أن جبريل ملك، وأن الملائكة أرواح.

وقال الإمام فخر الدين: المختار أنهم سألوه عن الروح الذي هو سبب الحياة، وأن الجواب وقع على أحسن الوجوه وبيانه: أن السؤال عن الروح يحتمل عن ماهيته، وهل هي متحيزة أم لا؟ وهل هي حالة في متحيز أم لا؟ وهل هي قديمة أو حادثة، وهل تبقى بعد انفصالها من الجسد أو تفنى، وما حقيقة تعذيبها وتنعيمها، وغير ذلك من متعلقاتها.

قال: وليس في السؤال ما يخصص أحد هذه المعاني، إلا أن الأظهر أنهم سألوه عن الماهية. وهل الروح قديمة أو حادثة؟ والجواب يدل على أنها شيء موجود مغاير للطبائع والأخلاط وتركيبها، فهي جوهر بسيط مجرد لا يحدث إلا بمحدث، وهو قوله تعالى: «كن»، فكأنه قال: هي موجودة محدثة بأمر الله وتكوينه ولها تأثير في إفادة الحياة

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ٥٣١ وفي المسند للإمام أحمد بن حنبل ١/ ٢٥٥.

للجسد، ولا يلزم من عدم العلم بكيفيتها المخصوصة نفيه.

قال: ويحتمل أن يكون المراد بالأمر في قوله تعالى: ﴿من أمر ربي﴾ [الإسراء: ٨٥] الفعل، كقوله تعالى: ﴿وما أمر فرعون برشيد﴾ [هود: ٩٧] أي فعله. فيكون الجواب: أنها حادثة.

ثم قال: وقد سكت السلف عن البحث في هذه الأشياء والتعمق فيها. انتهى.

وقال في فتح الباري: وقد تنطع قوم فتباينت أقوالهم:

فقيل: هي النفس الداخل الخارج.

وقيل: جسم لطيف، يحل في جميع البدن.

وقيل: هي الدم.

وقيل: إن الأقوال فيها بلغت المائة.

ونقل ابن منده عن بعض المتكلمين: أن لكل نبي خمسة أرواح، ولكل مؤمن ثلاثة، ولكل حي واحدة.

وقال ابن العربي: اختلفوا في الروح والنفس، فقيل متغايران، وهو الحق، وقيل هما شيء واحد، وقد يعبر بالروح عن النفس وبالعكس.

وقال ابن بطال[1]: معرفة حقيقة الروح مما استأثر الله بعلمه بدليل هذا الخبر.

قال: والحكمة في إبهامه: اختبار الخلق، ليعرفهم عجزهم عن علم ما لا يدركونه حتى يضطرهم إلى رد العلم إليه.

وقال القرطبي: الحكمة في ذلك إظهار عجز المرء، لأنه إذا لم يعلم حقيقة نفسه مع القطع بوجوده، كان عجزه عن إدراك حقيقة الحق من باب أولى.

وقال بعضهم: ليس في الآية دلالة على أن الله لم يطلع نبيه ﷺ على حقيقة الروح بل يحتمل أن يكون أطلعه الله ولم يأمره أن يطلعهم. وقد قالوا في علم الساعة نحو هذا والله أعلم. انتهى.

ولما كثر المسلمون، وظهر الإيمان، أقبل كفار قريش على من آمن يعذبونهم ويؤذونهم ليردوهم عن دينهم.

حتى إنه مر عدو الله، أبو جهل، بسمية أم عمار بن ياسر، وهي تعذب فطعنها بحربة في فرجها فقتلها.

---

(١) هو علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال أبو الحسن. عالم بالحديث توفي سنة (٤٤٩ هـ). الأعلام ٤/٢٨٥. شذرات ٣/٢٨٣ الديباج المذهب ٢٠٣ كشف الظنون ١١٩ و ٥٤٦ والصلة ١/٤٠٧.

وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه إذا مر بأحد من العبيد يعذب اشتراه منهم وأعتقه، منهم بلال وعامر بن فهيرة.

وعن أبي ذر: كان أول من أظهر الإسلام سبعة: رسول الله ﷺ، وأبو بكر وعمار وأمه سمية وصهيب وبلال والمقداد. فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمه أبي طالب، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أدراع الحديد وصهروهم في الشمس، وإن بلالاً هانت عليه نفسه في الله عز وجل، وهان على قومه، فأخذوه فأعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة، وهو يقول: أحد أحد[١]. رواه أحمد في مسنده.

وعن مجاهد مثله، وزاد في قصة بلال: وجعلوا في عنقه حبلاً ودفعوه إلى الصبيان يلعبون به حتى أثر الحبل في عنقه.

فانظر كيف فعل ببلال ما فعل من الإكراه على الكفر، وهو يقول أحد أحد، فمزج مرارة العذاب بحلاوة الإيمان، وهذا كما وقع له أيضاً عند موته، كانت امرأته تقول: واحزناه وهو يقول: واطرباه. غداً ألقى الأحبة محمداً وصحبه، فمزج مرارة الموت بحلاوة اللقاء. ولله در أبي محمد الشقراطسي حيث قال:

لاقى بلال بلاء من أمية قد	أحله الصبر فيه أكرم النزل
إذ أجهدوه بضنك الأسر وهو على	شدائد الأزل ثبت الأزر لم يزل
ألقوه بطحا برمضاء البطاح وقد	عالوا عليه صخور جمة الثقل
فوحد الله إخلاصاً وقد ظهرت	بظهره كندوب الطل في الطلل
إن قدَّ ظهر ولي الله من دبر	قد قدَّ قلب عدو الله من قبل

يعني إن كان ظهر ولي الله بلال قد ظهر فيه التعذيب بقده، فقد جوزي عدو الله أمية وقد قلبه ببدر، لأنه قتل يومئذ، وكان عبد الرحمن بن عوف قد أسره يومئذ وأراد استبقاءه لأخوة كانت بينهما في الجاهلية، فرآه بلال معه فصاح بأعلى صوته يا أنصار الله رأس الكفر أمية بن خلف، لا نجوت إن نجا فنهشوه بأسيافهم حتى قتلوه.

وأخرج البيهقي عن عروة أن أبا بكر أعتق ممن كان يعذب في الله سبعة منهم[٢]، الزنيرة، فذهب بصرها، وكانت ممن تعذب في الله، فتأبى إلا الإسلام، فقال المشركون: ما أصاب بصرها إلا اللات والعزى، فقالت: كلا والله ما هو كذلك فرد الله عليها بصرها.

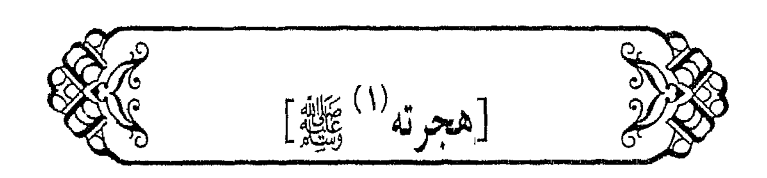
والزنيرة: بكسر الزاي وتشديد النون المكسورة. كسكينة: كذا في القاموس[٣].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ١/ ٤٠٤.

(٢) وهم: بلال ـ وعامر بن فهيرة ـ وأم عنيس ـ وزنيرة ـ والنهدية وبنتها ـ والمؤملية.

(٣) راجع القاموس المحيط ٢/ ٤٢ مادة (زنرة).



[هجرته[1] ﷺ]

ثم أذن رسول الله ﷺ لأصحابه في الهجرة إلى الحبشة، وذلك في رجب سنة خمس من النبوة.

فهاجر إليها ناس ذوو عدد، منهم من هاجر بأهله، ومنهم من هاجر بنفسه، وكانوا أحد عشر رجلاً ـ وقيل اثنا عشر رجلاً ـ وأربع نسوة ـ وقيل: وخمس نسوة، وقيل وامرأتين ـ.

وأميرهم عثمان بن مظعون، وأنكر ذلك الزهري وقال: لم يكن لهم أمير. وخرجوا مشاة إلى البحر، فاستأجروا سفينة بنصف دينار.

وكان أول من خرج عثمان بن عفان مع امرأته رقية بنت رسول الله ﷺ، وأخرج يعقوب بن سفيان بسند موصول إلى أنس قال: أبطأ على رسول الله ﷺ خبرهما، فقدمت امرأة فقالت: قد رأيتهما وقد حمل عثمان امرأته على حمار، فقال: إن عثمان لأول من هاجر بأهله بعد لوط.

فلما رأت قريش استقرارهم في الحبشة وأمنهم أرسلوا عمرو بن العاصي، وعبد الله ابن أبي ربيعة بهدايا وتحف من بلادهم إلى النجاشي ـ واسه أصحمة ـ وكان معهما عمارة ابن الوليد، ليردهم إلى قومهم، فأبى ذلك وردهما خائبين بهديتهما.

وأسلم عمر بن الخطاب بعد حمزة بثلاثة أيام فيما قاله أبو نعيم بدعوته ﷺ: «**اللهم أعز الإسلام بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب**»[2] وكان المسلمون إذ ذاك بضعة وأربعين رجلاً، وإحدى عشرة امرأة.

---

(١) انظر شرح المواهب ١/ ٢٧٠ و ٢٨٧ والبداية والنهاية ٣/ ١٧٣ وزاد المعاد بهامش شرح المواهب ١/ ٨٠ وطبقات ابن سعد ١/ ١٥٩.

(٢) ذكره السيوطي في جمع الجوامع (٩٧٢٣) وفي الدر المنثور ٣/ ٤٣ وكنز العمال (٣٢٧٧١ ـ ٣٥٨٥٢) ومشكاة المصابيح للتبريزي (٦٠٣٦) وشرح السنة للبغوي ١٤/ ٩٢ وبلفظ آخر في مسند الإمام أحمد بن حنبل ٢/ ٩٥ وفي دلائل النبوة للبيهقي ٢/ ٢١٦.

وكان سبب إسلامه ـ فيما ذكره أسامة بن زيد عن أبيه عن جده عن عمر ـ أنه قال: بلغنى إسلام أختي فدخلت عليها، فقلت يا عدوة نفسها، قد بلغني عنك أنك صبوت، ثم ضربتها، فسال الدم فلما رأت الدم بكت وقالت: يا ابن الخطاب ما كنت فاعلاً فافعل فقد أسلمت.

قال: فدخلت وأنا مغضب فإذا كتاب في ناحية البيت، فإذا فيه **﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾** فلما مررت بالرحمن الرحيم ذعرت ورميت بالصحيفة من يدي، قال: ثم رجعت إليها فإذا فيها **﴿سبح لله ما في السموات والأرض﴾** حتى بلغت **﴿آمنوا بالله ورسوله﴾** [الحديد: ١ ـ ٧] فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله.

فخرج القوم يتبادرون بالتكبير استبشاراً بما سمعوا مني، فجئت إلى رسول الله ﷺ في بيت في أسفل الصفا، فدخلت وأخذ رجلان بعضدي حتى دنوت من النبي ﷺ فقال: «أرسلوه» فأرسلوني فجلست بين يديه، فأخذ بمجمع ثيابي فجذبني إليه ثم قال: «**أسلم يا ابن الخطاب، اللهم اهد قلبه**» فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، فكبر المسلمون تكبيرة سمعت بطرق مكة[1].

وكان الرجل إذا أسلم استخفى ثم خرجت إلى رجل لم يكن يكتم السر، فقلت له إني صبوت، قال فرفع صوته بأعلاه: ألا إن ابن الخطاب قد صبأ، فما زال الناس يضربوني وأضربهم، فقال خالي: ما هذا؟ قالوا: ابن الخطاب، فقام على الحجر وأشار بكمه فقال: ألا إني قد أجرت ابن اختي، فانكشف الناس عني، قال: فما زلت أضرب وأضرب حتى أعز الله الإسلام.

قال ابن عباس: لما أسلم عمر قال جبريل للنبي ﷺ: يا محمد، لقد استبشر أهل السماء بإسلام عمر[2]. رواه ابن ماجه.

ولما رأت قريش عزة النبي ﷺ بمن معه، وإسلام عمر، وعزة أصحابه بالحبشة، وفشو الإسلام في القبائل، أجمعوا على أن يقتلوا النبي ﷺ، فبلغ أبا طالب، فجمع بني هاشم وبني المطلب فأدخلوا رسول الله ﷺ شعبهم ومنعوه ممن أراد قتله، فأجابوه حتى كفارهم، فعلوا ذلك حمية على عادة الجاهلية.

فلما رأت قريش ذلك اجتمعوا وائتمروا أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب: أن لا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم، ولا يبيعوا منهم شيئاً، ولا يبتاعوا منهم،

---

(١) ذكره أبو نعيم في الحلية ١/٤١ وكنز العمال (٣٥٧٤٠) وانظر سيرة ابن هشام ١/٣٦٦.

(٢) ذكره المتقي الهندي في كنز العمال (٣٢٧٣٨) والكامل في الضعفاء لابن عدي ٤/ ١٥٢٥.

ولا يقبلوا منهم صلحاً أبداً حتى يسلموا رسول الله ﷺ للقتل.

وكتبوه في صحيفة بخط منصور بن عكرمة ـ وقيل بغيض بن عامر ـ فشلت يده، وعلقوا الصيحفة في جوف الكعبة، هلال المحرم سنة سبع من النبوة.

فانحاز بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب فدخلوا معه في شعبه، إلا أبا لهب فكان مع قريش. فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثاً، وقال ابن سعد: سنتين حتى جهدوا وكان لا يصل إليهم شيء إلا سراً.

وقدم نفر من مهاجرة الحبشة، حين قرأ ﷺ **﴿والنجم إذا هوى﴾** حتى بلغ **﴿أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى﴾** [النجم: ١ ـ٢٠] ألقى الشيطان في أمنيته[١] أي في تلاوته: تلك الغرانيق[٢] العلى وإن شفاعتهن لترتجى، فلما ختم السورة «سجد ﷺ وسجد معه المشركون»[٣] لتوهمهم أنه ذكر آلهتهم بخير، وفشا ذلك في الناس، وأظهره الشيطان حتى بلغ أرض الحبشة، ومن بها من المسلمين، عثمان بن مظعون وأصحابه. وتحدثوا أن أهل مكة قد أسلموا كلهم، وصلوا معه ﷺ، وقد أمن المسلمون بمكة، فأقبلوا سراعاً من الحبشة.

والغرانيق في الأصل: الذكور من طير الماء، واحدها: غرنوق وغرنيق، سمي به لبياضه. وقيل: هو الكركي.

والغرنوق أيضاً: الشاب الأبيض الناعم.

وكانوا يزعمون أن الأصنام تقربهم من الله، وتشفع لهم، فشبهت بالطيور التي تعلوا في السماء وترتفع.

ولما تبين للمشركين عدم ذلك، رجعوا إلى أشد ما كانوا عليه.

وقد تكلم القاضي عياض ـ رحمه الله ـ في «الشفاء» على هذه القصة وتوهين أصلها بما يشفي ويكفي، لكن تعقب في بعضه كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

وقال الإمام فخر الدين الرازي ـ مما لخصته من تفسيره ـ هذه القصة باطلة

---

(١) قال في فتح الباري: «وما قيل من أن ذلك بسبب إلقاء الشيطان في أثناء قراءة رسول الله ﷺ لا صحة له عقلاً ولا نقلاً» راجع: ٨/٧٩١.

(٢) الغرانيق: جمع غرنيق أو غرنوق. وهو طائر أبيض طويل العنق من طير الماء، ويطلق في العراق على ما يسمى بالأوز العراقي. وهو نوع من الكراكي. انظر الحيوان للجاحظ ٥/٥٣٨، وحياة الحيوان الكبرى ٢/١٨١.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب (٤) رقم الحديث (٤٨٦٢). وهو بلفظ آخر في مسند الإمام أحمد بن حنبل ١/٢٨٨.

موضوعة، لا يجوز القول بها. قال الله تعالى: ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يوحى﴾ [النجم: ٣ و ٤] وقال الله تعالى: ﴿سنقرئك فلا تنسى﴾ [الأعلى: ٦].

وقال البيهقي: هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل، ثم أخذ يتكلم في أن رواة هذه القصة مطعونون.

وأيضاً: فقد روى البخاري في صحيحه أنه ﷺ قرأ سورة النجم وسجد، وسجد المسلمون والمشركون والإنس والجن، وليس فيه حديث الغرانيق. بل روي هذا الحديث من طرق كثيرة، وليس فيها ألبته حديث الغرانيق.

ولا شك أن من جوز على الرسول تعظيم الأوثان فقد كفر، لأن من المعلوم بالضرورة أن أعظم سعيه كان في نفي الأوثان، ولو جوزنا ذلك ارتفع الأمان عن شرعه، وجوزنا في كل واحد من الأحكام والشرائع أن يكون كذلك. ويبطل قوله تعالى: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾ [المائدة: ٦٧] فإنه لا فرق في الفعل بين النقصان في الوحي وبين الزيادة فيه.

فبهذه الوجوه، عرفنا على سبيل الإجمال أن هذه القصة موضوعة. وقد قيل: إن هذه القصة من وضع الزنادقة لا أصل لها. انتهى.

وليس كذلك. بل لها أصل.

فقد خرجها: ابن أبي حاتم، والطبري، وابن المنذر[1]، من طرق عن شعبة، عن ابن بشر، عن سعيد بن جبير.

وكذا ابن مردوية، والبزار، وابن إسحاق في السيرة، وموسى بن عقبه في المغازي، وأبو معشر[2] في السيرة.

كما نبه عليه الحافظ عماد الدين بن كثير وغيره، لكن قال: إن طرقها كلها مرسلة وأنه لم يرها مسندة من وجه صحيح. وهذا متعقب بما سيأتي:

وكذا نبه على ثبوت أصلها شيخ الإسلام الحافظ أبو الفضل العسقلاني فقال: أخرج ابن أبي حاتم والطبري وابن المنذر من طرق عن شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير قال: قرأ رسول الله ﷺ، بمكة والنجم، فلما بلغ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى،

(١) هو محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري أبو بكر (٢٤٢ ـ ٣١٩ هـ) فقيه من الحفاظ توفي بمكة. الأعلام ٥/ ٢٩٤. طبقات الشافعية ٢/ ١٢٦. وفيات الأعيان ١/ ٤٦١ شذرات الذهب ٢/ ٢٨٠. تذكرة الحفاظ ٣/ ٧٨٢ رقم الترجمة (٨٧٥).

(٢) هو نجيح بن عبد الرحمن السندي أبو معشر. فقيه. له معرفة بالتاريخ توفي ببغداد سنة (١٧٠ هـ). الأعلام ٨/ ١٤. تذكرة الحفاظ ١/ ٢٣٤ رقم الترجمة (٢٢١)، هدية العارفين ٢/ ٤٨٩.

القى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى، فقال المشركون: ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم فسجد وسجدوا، فنزلت هذه الآية **﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته﴾** [الحج: ٥٢] الآية.

وأخرجه البزار وابن مردويه من طريق أمية بن خالد عن شعبه فقال: في إسناده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، فيما أحسب، ثم ساق الحديث. وقال البزار: لا يروي متصلاً إلا بهذا الإسناد. وتفرد بوصلة أمية بن خالد وهو ثقة مشهور.

قال؛ وإنما يروى هذا من طريق الكلبي(١)عن أبي صالح عن ابن عباس. انتهى، والكلبي متروك لا يعتمد عليه.

وكذا أخرجه النحاس بسند آخر فيه الواقدي.

وذكرها ابن إسحاق في السيرة مطولاً، وأسندها عن محمد بن كعب، وكذلك عن موسى بن عقبة في المغازي عن ابن شهاب الزهري.

وكذا أبو معشر في السيرة له عن محمد بن كعب (٢)القرظي ومحمد بن قيس وأورده من طريق الطبري.

وأورده ابن أبي حاتم من طريق أسباط عن السدى.

ورواه ابن مردوية من طريق عباد بن صهيب عن يحي بن كثير (٣) عن الكلبي عن أبي صالح، وعن أبي بكر الهذلي، وأيوب عن عكرمة، وعن سليمان التيمي عمن حدثه، ثلاثتهم عن ابن عباس.

وأوردها الطبري أيضاً من طريق العوفي(٤) عن ابن عباس. ومعناهم كلهم في ذلك واحد.

---

(١) هو محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن الحارث الكلبي، أبو النضر مفسر راوية له معرفة في النسب وأخبار العرب وأيامها. توفي بالكوفة سنة (١٤٦ هـ). الأعلام ٦/ ١٣٣ وفيات الأعيان ١/ ٤٩٣.

(٢) هو محمد بن كعب القرظي (٤٠ ـ ١٢٠ هـ) توفي بالكوفة انظر الكاشف ٣/ ٨١ رقم الترجمة (٥٢١٤).

(٣) هو يحيى بن صالح الطائي بالولاء اليمامي أبو نصر بن أبي كثير. أخذ عن أعيان التابعين من أهل الحديث. توفي سنة (١٢٩ هـ). الأعلام ٨/ ١٥٠ تذكرة الحفاظ ١/ ١٢٨ رقم الترجمة (١١٥) طبقات ابن سعد ٦/ ٧٩ رقم الترجمة (١٧٩٠).

(٤) هو عطية بن سعد بن جنادة العوفي الجدلي القيسي الكوفي أبو الحسن. من رجال الحديث. كان يعد من شيعة أهل الكوفة. توفي بالكوفة سنة (١١١ هـ). الأعلام ٤/ ٢٣٧ والكاشف ٢/ ٢٣٥ رقم الترجمة (٣٨٧٦).

وكلها سوى طريق سعيد بن جبير إما ضعيف وإما منقطع. لكن كثرة الطرق تدل على أن للقصة أصلاً.

مع أن لها طريقين آخرين مرسلين رجالهما على شرط الصحيح.

أحدهما: ما أخرجه الطبري من طريق يونس بن يزيد عن ابن شهاب: حدثني أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فذكر نحوه.

والثاني: ما أخرجه إيضاً من طريق المعتمر بن سليمان،[1] وحماد ابن سلمة[2] كلاهما عن داود بن أبي هند، عن أبي العالية.

قال الحافظ ابن حجر: وقد تجرأ ابن العربي[3] - كعادته - فقال: ذكر الطبري في ذلك روايات كثيرة لا أصل لها. وهو إطلاق مردود عليه.[4]

وكذا قول القاضي عياض:

«هذا الحديث لم يخرجه أهل الصحة، ولا رواه ثقة بسند سليم متصل، مع ضعف نقلته، واضطراب رواياته وانقطاع إسناده».

وكذا قوله: «ومن حملت عنه هذه القصة من التابعين والمفسرين لم يسندها أحد منهم ولا رفعها إلى صاحب، وأكثر الطرق عنهم في ذلك ضعيفة واهية».

قال: «وقد بين البزار أنه لا يعرف من طريق يجوز ذكره، إلا طريق أبي بشر عن سعيد بن جبير، مع الشك الذي وقع في وصله وأما الكلبي فلا تجوز الرواية عنه لقوة ضعفه».

---

(١) هو معتمر بن سليمان بن طرخان التيمي الدار أبو محمد (١٠٦ - ١٨٧ هـ) حافظ . الأعلام ٧/ ٢٦٥ تذكرة الحفاظ ١/ ٢٦٦ رقم الترجمة (٣٥١) العبر ١/ ٢٩٨ طبقات ابن سعد ٧/ ٢١٣. رقم الترجمة (٣٣١٩).

(٢) هو حماد بن سلمة بن دينار البصري الربعي بالولاء أبو سلمة أحد رجال الحديث نحوي. مفتي البصرة. توفي سنة (١٦٧ هـ). الأعلام ٢/ ٣٧٢ حلية الأولياء ٦/ ٢٤٩ رقم الترجمة (٣٧٢) تذكرة الحفاظ ١/ ٢٠٢ رقم الترجمة (١٩٧) شذرات الذهب ١/ ٢٦٢ العبر ١/ ٢٤٩.

(٣) هو محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الإشبيلي المالكي أبو بكر ابن العربي. (٤٦٨ - ٥٤٣ هـ) حافظ قاض، مات بقرب فاس. الأعلام ٦/ ٢٣٠ وفيات الأعيان ١/ ٤٨٩ نفح الطيب ١/ ٣٤٠ قضاة الاندلس ١٠٥ الديباج المذهب (٢٨١) تذكرة الحفاظ ٤/ ١٢٩٤ رقم الترجمة (١٠٨١) مرآة الجنان ٣/ ٢٨٩.

(٤) انظر شرح المواهب للزرقاني وفيه: لكثرة الطرق مع المراسيل الصحيحة ١/ ٢٨٤.

«ثم رده من طريق النظر: بأن ذلك لو وقع لارتد كثير ممن أسلم. قال: ولم ينقل ذلك». انتهى.

وجميع ذلك لا يتمشى مع القواعد:

فإن الطرق إذا كثرت وتباينت مخارجها دل ذلك على أن لها أصلاً.

وقد ذكرنا أن ثلاثة أسانيد منها على شرط الصحيح، وهي مراسيل يحتج بمثلها من يحتج بالمرسل، وكذا من لا يحتج به لاعتضاد بعضها ببعض.

وإذا تقرر ذلك: تعين تأويل ما وقع فيها مما يستنكر، وهو قوله: **ألقى الشيطان على لسانه: تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى.**

فإن ذلك لا يجوز حمله على ظاهره، لأنه يستحيل عليه ﷺ أن يزيد في القرآن عمداً ما ليس فيه، وكذا سهواً إذا كان مغايراً لما جاء به من التوحيد لمكان عصمته.

وقد سلك العلماء في ذلك مسالك:

فقيل: جرى ذلك على لسانه حين أصابته سنة، وهو لا يشعر، فلما علم بذلك أحكم الله آياته، وهذا أخرجه الطبري عن قتادة.

ورده القاضي: عياض: بأنه لا يصح، لكونه لا يجوز على النبي ﷺ ذلك، ولا ولاية للشيطان عليه في النوم.

وقيل: إن الشيطان ألجأه إلى أن قال ذلك بغير اختياره. ورده ابن العربي بقوله تعالى، حكاية عن الشيطان: ﴿**وما كان لي عليكم من سلطان**﴾ [إبراهيم: ٢٢] الآية، قال: فلو كان للشيطان قوة على ذلك لما بقي لأحد قوة على طاعة.

وقيل: إن المشركين كانوا إذا ذكروا آلهتهم وصفوها بذلك، فعلق بحفظه ﷺ فجرى ذلك على لسانه لما ذكرهم سهواً.

وقد رد ذلك القاضي عياض فأجاد.

وقيل: لعله قال ذلك توبيخاً للكفار.

قال القاضي عياض: وهذا جائز إذا كانت هناك قرينة تدل على المراد، ولا سيما وقد كان الكلام في ذلك الوقت جائزاً في الصلاة.

وإلى هذا نحا الباقلاني[1].

---

(١) هو محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر أبو بكر الباقلاني (٣٣٨ ـ ٤٠٣ هـ). قاض متكلم. توفي=

وقيل: إنه لما وصل إلى قوله: ﴿ومناة الثالثة الأخرى﴾ [النجم: ٢٠] خشي المشركون أن يأتي بعدها بشيء يذم آلهتهم به فبادروا إلى ذلك الكلام، فخلطوه في تلاوة النبي ﷺ على عادتهم في قولهم: (لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه) ونسب ذلك إلى الشيطان لكونه الحامل لهم على ذلك. أو المراد بالشيطان شيطان الإنس.

وقيل المراد بالغرانيق العلى، الملائكة، وكان الكفار يقولون: الملائكة بنات الله، ويعبدونها، فنسق ذكر الكل ليرد عليهم بقوله: ﴿ألكم الذكر وله الأنثى﴾ [النجم: ٢١] فلما سمعه المشركون حملوه على الجميع، وقالوا: إنه عظم آلهتنا ورضوا بذلك، فنسخ الله تينك الكلمتين وأحكم آياته.

وقيل: كان النبي ﷺ يرتل القرآن، فارتصده الشيطان في سكتة من السكتات ونطق بتلك الكلمات محاكياً نغمة النبي ﷺ بحيث سمعه من دنا إليه فظنها من قوله، وأشاعها.

قال: وهذا أحسن الوجوه، ويؤيده ما ورد عن ابن عباس في تفسير «تمنى» بـ«تلا».

وكذا استحسن ابن العربي هذا التأويل وقال: معنى قوله: في أمنيته، أي في تلاوته، فأخبر الله تعالى في هذه الآية أن سنة الله في رسله، إذا قالوا قولاً زاد الشيطان فيه من قبل نفسه، فهذا نص في أن الشيطان زاد في قول النبي ﷺ، لا أن النبي ﷺ قاله.

وقد سبق إلى ذلك الطبري، مع جلالة قدره وسعة علمه وشدة ساعده في النظر، فصوب هذا المعنى. انتهى.

ثم هاجر المسلمون الثانية إلى أرض الحبشة[1]. وعدتهم ثلاثة وثمانون رجلاً إن كان عمار بن ياسر فيهم، وثماني عشرة امرأة.

وكان معهم عبيد الله بن جحش مع امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان، فتنصر هناك ثم توفي على دين النصرانية. وتزوج رسول الله ﷺ أم حبيبة بنت أبي سفيان سنة سبع من الهجرة إلى المدينة، وهي بالحبشة كما سيأتي إن شاء الله تعالى في المقصد الثاني عند ذكر أزواجه ﷺ.

وخرج أبو بكر الصديق رضي الله عنه مهاجراً إلى الحبشة حتى بلغ برك الغماد[2]

= ببغداد. الأعلام ٦/ ١٧٦ وفيات الأعيان ١/ ٤٨١ قضاة الأندلس ٣٧ تاريخ بغداد ٥/ ٣٧٩ الديباج المذهب ٢٦٧.

(١) انظر طبقات ابن سعد ١/ ١٦١ والبداية والنهاية ٣/ ٦٤ وزاد المعاد بهامش شرح المواهب ١/ ٨٠.

(٢) برك الغماد: موضع وراء مكة وقيل بلد من اليمن. انظر معجم البلدان ١/ ٣٩٩. والروض المعطار في خبر الأقطار (٨٦).

ورجع في جوار سيد القارة، مالك بن الدغنة ـ بفتح الدال المهملة وكسر الغين المعجمة، وتخفيف النون. وبضم الدال والغين وتشديد النون ـ يعبد ربه في داره، وابتنى مسجداً بفناء داره، وكان يصلي فيه ويقرأ القرآن فيتقصف عليه نساء المشركين وأبناؤهم، ويعجبون منه. وكان أبو بكر رجلاً بكّاء لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن.

فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين فقالوا لابن الدغنة: إنا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا، فانهه، فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربّه في داره فعل، وإن أبى إلا أن يعلن فسله أن يرد إليك ذمتك، فإنا قد كرهنا أن نخفرك.

فقال أبو بكر لابن الدغنة: فإني أرد إليك جوارك وأرضى بجوار الله[1]. الحديث رواه البخاري.

ثم قام رجال في نقض الصحيفة، فأطلع الله نبيه ﷺ على أن الأرضة أكلت جميع ما فيها من القطيعة والظلم، فلم تدع إلا اسم الله تعالى فقط، فلما أنزلت لتمزق وجدت كما قال ﷺ: وذلك في السنة العاشرة.

ولما أتت عليه ﷺ تسع وأربعون سنة وثمانية أشهر وأحد عشر يوماً، مات عمه أبو طالب، وله سبع وثمانون سنة.

وقيل في النصف من شوال من السنة العاشرة.

وقال ابن الجزار[2]: قبل هجرته عليه الصلاة والسلام بثلاث سنين.

وروي أنه ﷺ كان يقول له عند موته: يا عم قل لا إله إلا الله، كلمة أستحل لك بها الشفاعة يوم القيامة.

فلما رأى أبو طالب حرص رسول الله ﷺ قال له: والله يا ابن أخي، لولا مخافة قريش أني إنما قلتها جزعاً من الموت لقلتها، لا أقولها إلا لأسرك بها. فلما تقارب من أبي طالب الموت نظر العباس إليه يحرك شفتيه، فأصغى إليه بأذنه فقال: يا ابن أخي، والله لقد قال أخي الكلمة التي أمرته بها فقال ﷺ: لم أسمعه. كذا رواية ابن إسحاق أنه أسلم عند الموت.

ورواه البيهقي في الدلائل من طريق يونس بن بكير عن ابن إسحاق حدثنا العباس

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الكفالة باب (٤) رقم الحديث (٢٢٩٧).

(٢) هو أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد أبو جعفر القيرواني ابن الجزار. طبيب مؤرخ. توفي سنة (٣٦٩ هـ). الأعلام ١/ ٨٥. كشف الظنون (٩٤٦). معجم الأدباء ١/ ٢٥١ رقم الترجمة (٤٩).

عن عبد الله بن معبد بن عباس عن بعض أهله عن ابن عباس[1] فذكره، وقال البيهقي: إنه منقطع.

وأجيب عنه: بأن شهادة العباس لأبي طالب لو أداها بعد ما أسلم كانت مقبولة ولم ترد بقوله ﷺ لم أسمع، لأن الشاهد العدل إذا قال سمعت وقال من هو أعدل منه: لم أسمع أخذ بقول من أثبت السماع. ولكن العباس شهد بذلك قبل أن يسلم.

مع أن الصحيح من الحديث قد أثبت لأبي طالب الوفاة على الكفر والشرك، كما روينا في صحيح البخاري من حديث سعيد بن المسيب. حتى قال أبو طالب أخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله. قال رسول الله ﷺ والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك فأنزل الله تعالى: **﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى﴾** [التوبة: ١١٣] وأنزل الله في أبي طالب، فقال لرسول الله ﷺ: **﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾**[2] [القصص: ٥٦].

وأجيب أيضاً بأن أبا طالب لو قال كلمة التوحيد، ما نهى الله تعالى نبيه ﷺ عن الاستغفار له.

وفي الصحيح عن العباس أنه قال لرسول الله ﷺ: إن أبا طالب كان يحوطك وينصرك ويغضب لك، فهل ينفعه ذلك؟ قال: نعم، وجدته في غمرات من النار فأخرجته إلى ضحضاح[3].

وفي رواية الصحيح أيضاً أنه ﷺ قال: لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبية يغلي منه دماغه[4].

وفي رواية يونس عن ابن إسحاق زيادة فقال: يغلي منه دماغه حتى يسيل على قدميه.

قال السهيلي: من باب النظر في حكمة الله، ومشاكلة الجزاء للعمل؛ أن أبا طالب كان مع رسول الله ﷺ بجملته متحزباً له، إلا أنه كان متثبتاً بقدميه على ملة عبد المطلب، حتى قال عند الموت: أنا على ملة عبد المطلب، فسلط العذاب على قدميه خاصة لتثبيته

---

(١) انظر دلائل النبوة للبيهقي ٢/٣٤٦.

(٢) انظر تفسير ابن كثير ٢/٣٩٣ تفسير سورة التوبة آية (١١٣).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار باب (٤٠) رقم الحديث (٣٨٨٣). وأخرجه مسلم في صحيحه رقم الحديث (٢٠٩).

(٤) أخرجه البخاري فيكتاب مناقب الأنصار باب(٤٠) رقم الحديث(٣٨٨٥).ومسلمرقم الحديث(٢١٠).

إياهما على ملة آبائه. ثبتنا الله على الصراط المستقيم.

وفي شرح التنقيح للقرافي: [1] الكفار أربعة أقسام، فذكر منها من آمن بظاهره وباطنه وكفر بعدم الإذعان للفروع، كما حكي عن أبي طالب أنه كان يقول: إني لأعلم أن ما يقوله ابن أخي لحق، ولولا أني أخاف أن تعيرني نساء قريش لا تبعته. وفي شعره يقول:

لقد علموا أن ابننا لا مكذب ... يقينا ولا يعزى لقول الأباطل

فإن هذا تصريح باللسان واعتقاد بالجنان غير أنه لم يذعن. انتهى.

وحكي عن هشام بن السائب الكلبي، أو أبيه أنه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة، جمع إليه وجوه قريش، فأوصاهم فقال:

يامعشر قريش، أنتم صفوة الله من خلقه. إلى أن قال: وإني أوصيكم بمحمد خيراً، فإنه الأمين في قريش، والصديق في العرب، وهو الجامع لكل ما أوصيكم به، وقد جاء بأمر قبله الجنان وأنكره اللسان مخافة الشنآن، وأيم الله كأني أنظر إلى صعاليك العرب، وأهل الوبر والأطراف، والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته، وصدقوا كلمته، وعظموا أمره، فخاض بهم غمرات الموت، فصارت رؤساء قريش وصناديدها أذناباً، ودورها خراباً، وضعفاؤها أرباباً، وإذا أعظمهم عليه أحوجهم إليه، وأبعدهم منه أحظاهم عنده، قد محضته العرب ودادها، وأصغت له فؤادها، وأعطته قيادها، يا معشر قريش، كونوا له ولاة، ولحزبه حماة، والله لا يسلك أحد سبيله إلا رشد، ولا يأخذ أحد بهديه إلا سعد، ولو كان لنفسي مدة ولأجلي تأخير لكففت عنه الهزاهز، ولدفعت عنه الدواهي. ثم هلك.

ثم بعد ذلك بثلاثة أيام ـ وقيل: بخمسة ـ في رمضان، بعد البعث بعشر سنين، على الصحيح، ماتت خديجة رضي الله عنها.

وكان ﷺ يسمي ذلك العام عام الحزن، فيما ذكر صاعد وكانت مدة إقامتها معه ﷺ خمساً وعشرين سنة على الصحيح. ثم بعد أيام من موت خديجة تزوج عليه السلام سودة بنت زمعة.

ثم خرج عليه السلام إلى الطائف بعد موت خديجة بثلاثة أشهر، في ليال بقين من

---

(١) هو أحمد بن إدريس بن عبد الرحمٰن أبو العباس شهاب الدين الصنهاجي القرافي. من علماء المالكية توفي في مصر سنة (٦٨٤ هـ). الأعلام ١/ ٩٥ الديباج المذهب ٦٢ شجرة النور ١٨٨ معجم المطبوعات ١٥٠١ حسن المحاضرة ١/ ١١٢.

شوال، سنة عشر من النبوة. لما ناله من قريش بعد موت أبي طالب. وكان معه زيد بن حارثة.

فأقام به شهراً، يدعو ثقيف إلى الله تعالى فلم يجيبوه وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه.

قال موسى بن عقبة: ورجموا عراقيبه بالحجارة حتى اختضبت نعلاه بالدماء، زاد غيره: وكان إذا أزلقته الحجارة قعد إلى الأرض، فيأخذون بعضديه فيقيمونه، فإذا مشى رجموه وهم يضحكون، وزيد ابن حارثة يقيه بنفسه، حتى لقد شج في رأسه شجاجاً.

وفي البخاري ومسلم من حديث عائشة أنها قالت للنبي ﷺ، هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد، قال: **«لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت - وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل [عليه السلام]، فناداني»**. فقال: إن الله قد سمع قول قومك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت، فناداني ملك الجبال، فسلم علي ثم قال: يا محمد، إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين[1] قال ﷺ: **«بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً»**[2].

وعبد ياليل - بالتحتانية وبعدها ألف ثم لام مكسورة ثم تحتانية ساكنة ثم لام - ابن عبد كلال - بضم الكاف وتخفيف اللام آخره لام - وكان ابن عبد ياليل من أكابر أهل الطائف من ثقيف.

وقرن الثعالب: هو ميقات أهل نجد، ويقال له: قرن المنازل.

وأفاد ابن سعد: أن مدة أقامته ﷺ بالطائف كانت عشرة أيام.

ولما انصرف ﷺ عن أهل الطائف، مر في طريقه بعتبة وشيبة ابني ربيعة وهما في حائط لهما، فلما رأيا ما لقي تحركت له رحمهما، فبعثا له مع عداس النصراني - غلامهما - قطف عنب، فلما وضع ﷺ يده في القطف قال: بسم الله، ثم أكل، فنظر عداس إلى وجهه ثم قال: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلدة، فقال له رسول الله ﷺ: من

---

(١) الأخشبين: تثنية الأخشب. جبلا مكة. يقال، أحدهما أبو قبيس والآخر فيعقان. انظر معجم ما استعجم ١/ ١٢٣. معجم البلدان ١/ ١٢٢. الروض المعطار في خبر الأقطار (١٨).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق باب (٧) رقم الحديث (٣٢٣١). ومسلم رقم الحديث (١٧٩٥).

أي البلاد أنت. وما دينك؟ قال نصراني من نينوى. فقال ﷺ: من قرية الرجل الصالح يونس بن متى؟ قال: وما يدريك؟ قال: ذاك أخي، وهو نبي مثلي. فأكب عداس على يديه ورأسه ورجليه يقبلها وأسلم.

ولما نزل نخلة[1] ـ وهو موضع على ليلة من مكة ـ صرف الله إليه سبعة من جن نصيبين ـ مدينة بالشام ـ وكان ﷺ قد قام في جوف الليل يصلي فاستمعوا له وهو يقرأ سورة الجن.

وفي الصحيح أن الذي آذنه ﷺ بالجن ليلة الجن شجرة، وأنهم سألوه الزاد فقال كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في يد أحدكم أوفر ما كان لحماً، وكل بعر علف لدوابكم[2].

وفي هذا رد على من زعم أن الجن لا تأكل ولا تشرب.

وذكر صاحب الروض من أسماء السبعة الذين أتوه ﷺ، عن ابن دريد: منشي وناشي وشاصر وماضر والأحقب. لم يزد تسمية على هؤلاء.

قال الحافظ ابن كثير: وقد ذكر ابن إسحاق خروجه عليه السلام إلى أهل الطائف ودعاءه إياهم، وأنه لما انصرف عنهم بات بنخلة، فقرأ تلك الليلة من القرآن، فاستمعه الجن من أهل نصيبين.

قال: وهذا صحيح، لكن قوله إن الجن كان استماعهم تلك الليلة فيه نظر، فإن الجن كان استماعهم في ابتداء الإيحاء، ويدل له حديث ابن عباس عند أحمد قال: كان الجن يستمعون الوحي فيسمعون الكلمة فيزيدون فيها عشراً، فيكون ما سمعوه حقاً وما زادوه باطلاً، وكانت النجوم لا يرمي بها قبل ذلك، فلما بعث رسول الله ﷺ كان أحدهم لا يأتي مقعده إلا رمي بشهاب يحرق ما أصاب منه، فشكوا ذلك إلى إبليس، فقال: ما هذا إلا من أمر قد حدث، فبعث جنوده فإذا النبي ﷺ يصلي بين جبلي نخلة فأخبروه فقال: «**هذا الحدث الذي حدث في الأرض**»[3].

ورواه النسائي وصححه الترمذي.

قال: وخروجه ﷺ إلى الطائف كان بعد موت عمه.

---

(١) انظر معجم البلدان ٥/ ٢٧٧. مادة (نخلة الشامية).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه رقم الحديث (٤٥٠).

(٣) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في المسند ١/ ٢٧٤ وفي المستدرك للحاكم ٢/ ٥٠٣ والبيهقي في السنن الكبرى ٢/ ١٩٤. وانظر تفسير ابن كثير ٤/ ١٦٢ (الأحقاف آية ٢٩) وتفسير البغوي ٤/ ١٥٥.

وروى ابن أبي شيبة عن عبدالله بن مسعود قال: هبطوا على النبي ﷺ وهو يقرأ القرآن ببطن نخلة، فلما سمعوه قالوا: أنصتوا، فأنزل الله عز وجل: ﴿وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن﴾ [الأحقاف: ٢٩].

فهذا مع رواية ابن عباس تقتضي أن رسول الله ﷺ لم يشعر بحضورهم في هذه المرة، وإنما استمعوا قراءته ثم رجعوا إلى قومهم، ثم بعد ذلك وفدوا إليه أرسالاً، قوماً وفوجاً بعد فوج. انتهى.

وفي طريقه ـ عليه السلام ـ هذه، دعا بالدعاء المشهور:

«اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت أرحم الراحمين، وأنت رب المستضعفين، إلى من تكلني إلى عدو بعيد يتجهمني أم إلى صديق قريب ملكته أمري، إن لم تكن غضبان علي فلا أبالي، غير أن عافيتك أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، أن ينزل بي غضبك، أو يحل بي سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك».[1]

أورده ابن إسحاق، ورواه الطبراني في كتاب الدعاء عن عبدالله بن جعفر قال: لما توفي أبو طالب، خرج النبي ﷺ ماشياً إلى الطائف، فدعاهم إلى الإسلام فلم يجيبوه، فأتى ظل شجرة فصلى ركعتين ثم قال: اللهم إليك أشكو. فذكره.

وقوله: يتجهمني ـ بتقديم الجيم على الهاء ـ أي يلقاني بالغلظة والوجه الكريه.

ثم دخل ﷺ مكة في جوار المطعم بن عدي.

ولما كان في شهر ربيع الأول أسري[2] بروحه وجسده يقظة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم عرج به من المسجد الأقصى إلى فوق سبع سماوات، ورأى ربه بعيني رأسه[3]، وأوحى الله إليه ما أوحى، وفرض عليه الصلوات الخمس، ثم انصرف في ليلته إلى مكة.

---

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره ٤/ ١٦٣ [الأحقاف: ٢٩٠].

(٢) انظر شرح المواهب ١/ ٣٠٦. وطبقات ابن سعد ١/ ١٦٦ والبداية والنهاية ٣/ ١٠٧.

(٣) وهو قول: أنس والحسن وعكرمة. وروى الطبراني في المعجم الأوسط بإسناد قوي عن ابن عباس رضي الله عنهما: «رأى محمد ربه مرتين» وروى ابن خزيمة بإسناد قوي: رأى محمد ربه، والمراد أنه رآه بقلبه بدليل حديث مسلم من طريق أبي العالية عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ما كذب الفؤاد ما رأىٰ﴾ [النجم: ١١] ﴿ولقد آره نزلة أخرى﴾ [النجم: ١٣]. قال: رأى ربه بفؤاده مرتين: وأخرج أيضاً من طريق عطاء عن ابن عباس قال: «رآه بقلبه» فيحمل المطلق على المقيد فتحمل رواية ـ رأى =

فأخبـر بذلك، فصدقه الصديق، وكل من آمن بالله.

وكذبه الكفار واستوصفوه مسجد بيت المقدس، فمثله الله له، فجعل ينظر إليه ويصفه. (1)

قال الزهري: وكان ذلك بعد المبعث بخمس سنين. حكاه عنه القاضي عياض، ورجحه القرطبي والنووي. واحتج: بأنه لا خلاف أن خديجة صلت معه بعد فرض الصلاة، ولا خلاف أنها توفيت قبل الهجرة إما بثلاث أو بخمس، ولا خلاف أن فرض الصلاة كان ليلة الإسراء.

وتعقب: بأن موت خديجة بعد البعث بعشر سنين على الصحيح في رمضان، وذلك قبل أن تفرض الصلاة. ويؤيده إطلاق حديث عائشة أن خديجة ماتت قبل أن تفرض الصلوات الخمس. ويلزم منه أن يكون موتها قبل الإسراء وهو المعتمد، وأما

= محمد ربه - على رواية رأى ربه بفؤاده مرتين. ولا سيما وقد روى ابن مردويه عنه أنه قال لم يره رسول الله ﷺ بعينه إنما رآه بقلبه. قال الحافظ وعلى هذا فيمكن الجمع بين إثبات ابن عباس ونفي عائشة. [أخرجه الشيخان بـ ٣٢٣٤ - ٤٨٥٥ - م ٢٨٧ - ٢٨٩. والترمذي ٣٢٧٨]. بأن يحمل على نفيها على رؤية البصر وإثباته على رؤية القلب [فتح الباري ٨/ ٨٨٢ وما بعدها].

فإن قيل: فكيف يوفق بين الرؤية بالفؤاد وبين ما رواه مسلم عن عائشة أنها قالت في قوله تعالى: ﴿ولقد رآه نـزلة أخرى﴾ [النجم: ١٣] أنا أول من سأل رسول الله ﷺ عن هذا، فقال: «إنما هو جبريل» قلنا الإشكال ظاهر، فنصير إلى ترجيح. ما روته عائشة عن النبي ﷺ. في تفسير: ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾ [النجم: ١٣] على ما جاء عن ابن عباس من تفسير الآية برؤيته ﷺ لربه مرتين. لأن المرفوع يقدم على الموقوف وبالنسبة لغير هذه الحيثية، فالجمع المذكور صحيح. وبذلك يجمع بين ما ذكر وبين ما روى مسلم عن أبي ذر: قلت هل رأيت ربك يا رسول الله؟. قال: نور أنى أراه. [كتاب الإيمان (٢٩١) والترمذي (٣٢٨٢)] وما رواه أحمد من حديثه أيضاً: رأيت نوراً. . بدليل ما رواه ابن خزيمة عنه أنه قال: «رآه بقلبه ولم يره بعينه ومعنا قوله ﷺ : «نور أنىٰ آراه» [على أن الحافظ العراقي نقل عن أحمد أنه أنكر هذا الحديث وعليه فيكون حديث مسلم نور أنىٰ آراه. من جملة ما انتقد على مسلم] حال دون رؤيتي له ببصري نور منعني وهو نور من الأنوار المخلوقة وليس في قوله عليه السلام «نور أنىٰ آراه» وقوله: «رأيت نوراً». منافاة لإثبات الرؤية بالفؤاد وإنما يفيد نفي الرؤية البصرية وليس معنى الرؤية بالفؤاد، العلم بل معناها نظر إلى ربه بقوة جعلها الله من قلبه كقوة العين.

ومجمل القول: إنه لم يثبت أن النبي ﷺ قال رأيته بعيني ولا أن أحداً من الصحابة أو التابعين أو أتباعهم أنه قال رآه بعيني رأسه.

(1) انظر السيرة لابن هشام ٢/ ٣٦. وفتح الباري ٨/ ٤٩٥. وتفسير ابن كثير ٣/ ٢. وانظر أيضاً تفسير البغوي ٣/ ٧٦.

التردد في سنة وفاتها فيرده جزم عائشة بأنها ماتت قبل الهجرة بثلاث سنين قاله الحافظ ابن حجر.

وقيل: قبل الهجرة بسنة. قاله ابن حزم، وادعى فيه الإجماع.

وقيل: قبل الهجرة بسنة وخمسة أشهر، قاله السدي وأخرجه من طريقه الطبري والبيهقي، فعلى هذا كان في شوال.

وقيل: كان في رجب. حكاه ابن عبد البر، وقَبْله ابن قتيبة، وبه جزم النووي في الروضة.

وقيل: كان قبل الهجرة بسنة وثلاثة أشهر، فعلى هذا يكون في ذي الحجة، وبه جزم ابن فارس.[1]

وقيل: قبل الهجرة بثلاث سنين، ذكره ابن الأثير.

وقال الحربي[2]: إنه كان في سابع عشري ربيع الآخر، وكذا قال النووي في فتاويه، لكن قال في شرح مسلم: في ربيع الأول.

وقيل: كان ليلة السابع والعشرين من رجب، واختاره الحافظ عبد الغني بن سرور المقدسي[3].

وأما اليوم الذي يسفر عن ليلتها، فقيل الجمعة، وقيل السبت وعن ابن دحية: يكون إن شاء الله يوم الإثنين، ليوافق المولد والمبعث والهجرة والوفاة، فإن هذه أطوار الإنتقالات: وجوداً ونبوة ومعراجاً وهجرة ووفاة.

وسيأتي إن شاء الله تعالى في قصة الإسراء والمعراج وما فيهما من المباحث والله الموفق والمعين.

ولما أراد الله تعالى إظهار دينه وإعزاز نبيه، وإنجاز موعده له، خرج ﷺ في

---

(١) هو أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي أبو الحسين (٣٢٩ ـ ٣٩٥ هـ). لغوي أديب. توفي بالري. الأعلام ١/ ١٩٣ وفيات الأعيان ١/ ٣٥ يتيمة الدهر ٣/ ٤٦٣ رقم الترجمة (٣٤).

(٢) هو إبراهيم بن إسحاق بن بشير بن عبد الله البغدادي الحربي أبو إسحاق (١٩٨ ـ ٢٨٥ هـ) محدث توفي ببغداد. الأعلام ١/ ٣٢ تذكرة الحفاظ ٢/ ٥٨٤ رقم الترجمة (٦٠٩) معجم الأدباء ١/ ٧٠ رقم الترجمة (٦) تاريخ بغداد ٦/ ٢٧ العبر ٢/ ٧٤ فوات الوفيات ١/ ١٤ رقم الترجمة (٢).

(٣) هو عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي الجماعيلي الدمشقي الحنبلي أبو محمد تقي الدين (٥٤١ ـ ٦٠٠ هـ). حافظ عالم بالرجال توفي بمصر. الأعلام ٤/ ٣٤ تذكرة الحفاظ ٤/ ١٣٧٢ رقم الترجمة (١١١٢) شذرات الذهب ٤/ ٣٤٥. مرآة الجنان ٣/ ٤٩٩.

الموسم الذي لقي فيه الأنصار ـ الأوس والخزرج ـ.

فعرض نفسه ﷺ على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم[1]، فبينما هو عند العقبة، لقي رهطاً من الخزرج، أراد الله بهم خيراً، فقال لهم: «**من أنتم**» قالوا: نفر من الخزرج، قال: «**أفلا تجلسون أكلمكم**» قالوا: بلى، فجلسوا معه، فدعاهم إلى الله، وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن.

وكان من صنع الله، أن اليهود كانوا معهم في بلادهم، وكانوا أهل كتاب، وكان الأوس والخزرج أكثر منهم، فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا: إن نبياً سيبعث الآن، قد أظل زمانه، نتبعه فنقتلكم معه. فلما كلمهم النبي ﷺ عرفوا النعت، فقال بعضهم لبعض: لا تسبقنا اليهود إليه.

فأجابوه إلى ما دعاهم إليه، وصدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام، فأسلم منهم ستة نفر وكلهم من الخزرج وهم:

أبو أمامة، أسعد بن زرارة.
وعوف بن الحارث بن رفاعة، وهو ابن عفراء.
ورافع بن مالك بن العجلان.
وقطبة بن عامر بن حديدة.
وعقبة بن عامر بن نابي.
وجابر بن عبد الله بن رئاب، وليس بجابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام.

ومن أهل العلم بالسير، من يجعل فيهم عبادة بن الصامت ويسقط جابر بن رئاب.

فقال لهم النبي ﷺ: «**تمنعون ظهري حتى أبلغ رسالة ربي**».

فقالوا: يا رسول الله، إنما كانت بعاث عام الأول، يوم من أيامنا، اقتتلنا به، فإن تقدم ونحن كذلك لا يكون لنا عليك اجتماع، فدعنا حتى نرجع إلى عشائرنا، لعل الله أن يصلح ذات بيننا، وندعوهم إلى ما دعوتنا، فعسى الله أن يجمعهم عليك، فإن اجتمعت كلمتهم عليك واتبعوك فلا أحد أعز منك، وموعدك الموسم العام القابل.

وانصرفوا إلى المدينة. ولم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر رسول الله ﷺ.

فلما كان العام المقبل لقية اثنا عشر رجلاً ـ وفي الإكليل: أحد عشر ـ وهي العقبة الثانية، فيهم خمسة من الستة المذكورين، وهم: أبو أمامة. وعوف بن عفراء، ورافع بن مالك وقطبة بن عامر ابن حديدة، وعقبة بن عامر بن نابي، ولم يكن فيهم جابر بن عبد

(١) انظر السيرة لابن هشام ٢/٦٣.
(٢) انظر فتح الباري ٧/٢٧٩ (٣٨٨٩).

الله ابن رئاب لم يحضرها. والسبعة تتمة الأثني عشر هم:

معاذ بن الحارث بن رفاعة، وهو ابن عفراء أخو عوف المذكور.

وذكوان بن عبد قيس الزرقي، وقيل إنه رحل إلى رسول الله ﷺ إلى مكة فسكنها معه، فهو مهاجري أنصاري قتل يوم أحد.

وعبادة بن الصامت بن قيس.
وأبو عبد الرحمن، يزيد بن ثعلبة البلوي.
والعباس بن عبادة بن نضلة.
وهؤلاء من الخزرج، ومن الأوس رجلان:
أبو الهيثم بن التيهان، من بني عبد الأشهل.
وعويم بن ساعدة.

فأسلموا وبايعوا على بيعة النساء، أي وفق بيعتهم التي نَزلت بعد ذلك عند فتح مكة وهي: أن لا نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل أولادنا ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف، والسمع والطاعة في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وأثره علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقول بالحق حيث كنا لا نخاف في الله لومة لائم. قال ﷺ **«فإن وفيتم فلكم الجنة، ومن غشي من ذلك شيئاً كان أمره إلى الله إن شاء عذبه، وإن شاء عفا عنه»**(١) ولم يفرض يومئذ القتال.

ثم انصرفوا إلى المدينة فأظهر الله الإسلام.

وكان أسعد بن زرارة يجمع بالمدينة بمن أسلم.

وكتبت الأوس والخزرج إلى النبي ﷺ: إبعث إلينا من يقرئنا القرآن، فبعث إليهم مصعب بن عمير.

وروى الدارقطني عن ابن عباس أن النبي ﷺ كتب إلى مصعب ابن عمير أن يجمع بهم.. الحديث، وكانوا أربعين رجلاً.

فأسلم على يد مصعب بن عمير خلق كثير من الأنصار، وأسلم في جماعتهم سعد ابن معاذ وأسيد بن حضير، وأسلم بإسلامهما جميع بني عبد الأشهل في يوم واحد، الرجال والنساء، ولم يبق منهم أحد إلا أسلم، حاشا الأصيرم، وهو عمرو بن ثابت بن وقش، فإنه تأخر بإسلامه إلى يوم أحد، فأسلم واستشهد ولم يسجد لله سجدة واحدة،

---

(١) أخرج البخاري نحوه في كتاب مناقب الأنصار باب (٤٣) رقم الحديث (٣٨٩٢).

وأخبر رسول الله ﷺ أنه من أهل الجنة. ولم يكن في بني عبد الأشهل منافق ولا منافقة، بل كانوا كلهم حنفاء مخلصين رضي الله عنهم.

ثم قدم على النبي ﷺ في العقبة الثالثة في العام المقبل في ذي الحجة، أوسط أيام التشريق منهم سبعون رجلاً ـ وقال ابن سعد: يزيدون رجلاً أو رجلين ـ وامرأتان.

وقال ابن إسحاق: ثلاث وسبعون وامرأتان.

وقال الحاكم: خمسة وسبعون نفساً.

فكان أول من ضرب على يده الشريفة عليه السلام البراء بن معرور. ويقال: أبو الهيثم، ويقال أسعد بن زرارة، على أنهم يمنعونه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم، وعلى حرب الأحمر والأسود.

وكانت أول آية نزلت في الإذن بالقتال ﴿**أذن للذين يقاتلون**﴾ [الحج: ٣٩] الآية وفي الإكليل ﴿**إن الله اشترى من المؤمنين**﴾ [التوبة: ١١١] الآية.

ونقب عليهم اثني عشر نقيباً.

وفي حديث جابر عند أحمد بإسناد حسن وصححه الحاكم وابن حبان: مكث ﷺ عشر سنين يتتبع الناس في منازلهم في المواسم بمنى وغيرها، يقول: من يؤويني؟ من ينصرني حتى أبلغ رسالة ربي وله الجنة؟ حتى بعثنا الله إليه من يثرب، فذكر الحديث. وفيه: وعلى أن تنصروني إذا قدمت عليكم بيثرب، فتمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة[1] الحديث.

وحضر العباس العقبة تلك الليلة متوثقاً لرسول الله ﷺ، ومؤكداً على أهل يثرب، وكان يومئذ على دين قومه.

قال ابن إسحاق: ولما تمت بيعة هؤلاء لرسول الله ﷺ ليلة العقبة، وكانت سراً عن كفار قريش، أمر رسول الله ﷺ من كان معه بالهجرة إلى المدينة[2]. فخرجوا أرسالاً، وأقام بمكة ينتظر أن يؤذن له في الخروج، فكان أول من هاجر من مكة إلى المدينة أبو سلمة بن عبد الأسد، قبل بيعة العقبة بسنة، قدم من الحبشة لمكة، فآذاه أهلها، وبلغه إسلام من أسلم من الأنصار فخرج إليهم.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ٣/ ٣٢٢ وفي مجمع الزوائد ٦/ ٤٦.

(٢) انظر البداية والنهاية ٣/ ١٦٦ و ١٧٥، طبقات ابن سعد ١/ ١٧٤. وزاد المعاد بشرح المواهب ١/ ٨٠.

ثم عامر بن ربيعة وامرأته ليلى، ثم عبد الله بن جحش. ثم المسلمون أرسالاً، ثم عمر بن الخطاب وأخوه زيد وعياش بن أبي ربيعة في عشرين راكباً، فقدموا المدينة فنزلوا في العوالي.

ثم خرج عثمان بن عفان، حتى لم يبقَ معه ﷺ إلا علي بن أبي طالب وأبو بكر. كذا قاله ابن إسحاق، قال مغلطاي وفيه نظر لما يأتي بعده.

وكان الصديق كثيراً ما يستأذن رسول الله ﷺ في الهجرة فيقول: لا تعجل لعل الله أن يجعل لك صاحباً، فيطمع أبو بكر أن يكون هو.

ثم اجتمع قريش ومعهم إبليس، في صورة شيخ نجدي في دار الندوة، دار قصي بن كلاب، وكانت قريش لا تقضي أمراً إلا فيها، يتشاورون فيما يصنعون في أمره عليه الصلاة والسلام، فاجتمع رأيهم على قتله وتفرقوا على ذلك.

فإن قيل: لم تمثل الشيطان في صورة نجدي؟

فالجواب: لأنهم قالوا ـ كما ذكره بعض أهل السير ـ لا يدخلن معكم في المشاروة أحد من أهل تهامة، لأن هواهم مع محمد، فلذلك تمثل في صورة نجدي. انتهى.

ثم أتى جبريل النبي ﷺ فقال: لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه، فلما كان الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام فيثبوا عليه، فأمر ﷺ عليا فنام مكانه، وغطى ببرد أخضر، فكان أول من شرى نفسه في الله ووقى بها رسول الله وفي ذلك يقول علي:

وقيت بنفسي خير من وطىء الثرى ... ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر
رسول إله خاف أن يمكروا به ... فنجاه ذو الطول الإله من المكر

ثم خرج ﷺ، وقد أخذ الله على أبصارهم، فلم يره أحد منهم، ونثر على رؤوسهم كلهم تراباً كان في يده، وهو يتلو قوله تعالى: ﴿**يس**﴾ إلى قوله تعالى: ﴿**فأغشيناهم فهم لا يبصرون**﴾ [يسٓ: ١ ـ٩]. ثم انصرف عليه السلام حيث أراد.

فأتاهم آت ممن لم يكن معهم، فقال: ما تنتظرون ها هنا؟ قالوا: محمداً، قال: قد خيبكم الله، قد والله خرج محمد عليكم، ثم ما ترك منكم رجلاً إلا وضع على رأسه تراباً وانطلق لحاجته، أفما ترون ما بكم؟ فوضع كل رجل يده على رأسه، فإذا عليه تراب.

وفي رواية أبي حاتم، مما صححه الحاكم من حديث ابن عباس: فما أصاب رجلاً منهم حصاة إلا قتل يوم بدر كافراً.

وفي هذه نزل قوله تعالى: ﴿**وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك**﴾ [الأنفال: ٣٠] الآية.

ثم أذن الله تعالى لنبيه ﷺ في الهجرة. قال ابن عباس: بقوله تعالى: ﴿**وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً**﴾ [الإسراء: ٨٠] أخرجه الترمذي وصححه الحاكم.

فإن قلت ما الحكمة في هجرته ﷺ إلى المدينة وإقامته بها إلى أن انتقل إلى ربه عز وجل؟

أجيب: بأن حكمة الله تعالى قد اقتضت أنه عليه السلام تتشرف به الأشياء، لا أنه يتشرف بها، فلو بقي عليه السلام في مكة إلى انتقاله إلى ربه لكان يتوهم أنه قد تشرف بمكة، إذ أن شرفها قد سبق بالخليل وإسماعيل، فأراد الله تعالى أن يظهر شرفه عليه السلام فأمره بالهجرة إلى المدينة، فلما هاجر إليها تشرفت به، حتى وقع الإجماع على أن أفضل البقاع الموضع الذي ضم أعضاءه الكريمة صلوات الله وسلامه عليه.

وذكر الحاكم أن خروجه عليه السلام كان بعد بيعة العقبة بثلاثة أشهر أو قريباً منها.

وجزم ابن إسحاق: بأنه خرج أول يوم من ربيع الأول. فعلى هذا يكون بعد البيعة بشهرين وبضعة عشر يوماً، وكذا جزم الأموي ـ في المغازي ـ عن ابن إسحاق فقال: كان مخرجه من مكة بعد العقبة بشهرين وليال. قال: وخرج لهلال ربيع الأول وقدم المدينة لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول.

قال في فتح الباري: وعلى هذا خرج يوم الخميس. وقال الحاكم: تواترت الأخبار أن خروجه كان يوم الإثنين، ودخوله المدينة كان يوم الإثنين، إلا أن محمد بن موسى الخوارزمي[1] قال: إنه خرج من مكة يوم الخميس. ويجمع بينهما: بأن خروجه من مكة كان يوم الخميس وخروجه من الغار كان ليلة الإثنين، لأنه أقام فيه ثلاث ليال: ليلة الجمعة وليلة السبت وليلة الأحد، وخرج أثناء ليلة الإثنين.

وكانت مدة مقامه بمكة من حين النبوة إلى ذلك الوقت بضع عشرة سنة، ويدل عليه قول صرمة[2]:

---

(١) هو محمد بن موسى الخوارزمي أبو عبد الله. رياضي فلكي مؤرخ توفي سنة (٢٣٢ هـ). الأعلام ١١٦/٧. كشف الظنون ٥٧٩ هدية العارفين ٩/٢.

(٢) هو صرمة بن أنس ويقال ابن قيس توفي نحو (٥ هـ) صحابي شاعر. الأعلام ٢٠٣/٣ الإصابة ٢٤١/٣ رقم الترجمة (٤٠٥٦).

ثوى في قريش بضع عشرة حجة   يذكر لو يلقى صديقاً مواتيا

وقيل غير ذلك.

وأمره جبريل أن يستصحب أبا بكر.

وأخبر عليه السلام علياً بمخرجه وأمره أن يتخلف بعده حتى يؤدي عنه الودائع التي كانت عنده للناس.

قال ابن شهاب قال عروة قالت عائشة: فبينما نحن جلوس يوماً في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة قال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله ﷺ متقنعاً في ساعة لم يكن يأتينا فيها. قال أبو بكر: فداء له أبي وأمي، والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر، قالت: فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن فأذن له فدخل، فقال ﷺ لأبي بكر: «**أخرج من عندك**»، فقال أبو بكر: إنما هم أهلك بأبي وأمي يا رسول الله.

قال السهيلي: وذلك أن عائشة قد كان أبوها أنكحها منه ﷺ قبل ذلك.

فقال ﷺ: «**إنه قد أذن لي في الخروج**»[1].

فقال أبو بكر: الصحبة بأبي أنت وأمي يا رسول الله.

قال ﷺ: «**نعم**».

فقال أبو بكر: فخذ بأبي أنت وأمي يا رسول الله إحدى راحلتي هاتين.

قال رسول الله ﷺ: بل بالثمن.

فإن قلت: لم لم يقبلها إلا بالثمن، وقد أنفق عليه أبو بكر من ماله ما هو أكثر من هذا فقبل؟

أجيب: بأنه إنما فعل ذلك لتكون هجرته إلى الله بنفسه وماله رغبة منه عليه السلام في استكمال فضل الهجرة إلى الله، وأن يكون على أتم الأحوال. انتهى.

قالت عائشة: فجهزناهما أحسن الجهاز، وصنعنا لهما سفرة من جراب فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت بها على فم الجراب فبذلك سميت بذات النطاقين.

قالت: ثم لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغار ثور ـ جبل بأسفل مكة ـ.

وكان من قوله ﷺ حين خرج من مكة، لما وقف على الحزورة، ونظر إلى البيت

---

(١) انظر طبقات ابن سعد ١/ ١٧٦.

فقال: «والله إنك لأحب أرض الله إلي، وإنك لأحب أرض الله إلى الله، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت»[1].

وهذا من أصح ما يحتج به في تفضيل مكة على المدينة.

ولم يعلم بخروجه عليه السلام إلا علي وآل أبي بكر.

وروي أنهما خرجا من خوخة لأبي بكر في ظهر بيته ليلاً إلى الغار.

ولما فقدت قريش رسول الله ﷺ طلبوه بمكة، أعلاها وأسفلها، وبعثوا القافة أثره في كل وجه، فوجد الذي ذهب قبل ثور أثره هنالك، فلم يزل يتبعه حتى انقطع لما انتهى إلى ثور.

وشق على قريش خروجه وجزعوا لذلك، وجعلوا مائة ناقة لمن رده.

ولله در الشيخ شرف الدين الأبوصيري[2] حيث قال:

ويح قوم جفوا نبيا بأرض ... ألفته ضبابها والظباء

وسلوه وحن جذع إليه ... وقلوه ووده الغرباء

أخرجوه منها وآواه غار ... وحمته حمامة ورقاء

وكفته بنسجها عنكبوت ... ما كفته الحمامة الحصداء

يقال شجرة حصداء: أي كثيرة الورق، فكأنه استعاره للحمامة لكثرة ريشها.

وفي حديث مروي في الهجرة، أنه عليه السلام ناداه ثبير: اهبط عني، فإني أخاف أن تقتل على ظهري فأعذب، فناداه حراء: إلي يا رسول الله.

وذكر قاسم بن ثابت في الدلائل أن رسول الله ﷺ لما دخل الغار وأبو بكر معه، أنبت الله على بابه الراءة. قال قاسم: وهي شجرة معروفة، وهي أم غيلان. وعن أبي جنيفة[3]: تكون مثل قامة الإنسان لها خيطان وزهر أبيض تحشى به المخاد فيكون

---

(١) أخرجه الترمذي في المناقب باب (٦٨) رقم الحديث (٣٩٢٥). وابن ماجه في المناسك باب (١٠٣) رقم الحديث (٣١٠٨). وأخرجه الإمام أحمد بن حنبل باختلاف يسير في المسند ٤/ ٣٠٥.

(٢) هو محمد بن سعيد بن حماد بن عبد الله الصنهاجي البوصيري المصري شرف الدين أبو عبد الله (٦٠٨ ـ ٦٩٦ هـ). شاعر توفي في الإسكندرية. الأعلام ٦/ ١٣٩. فوات الوفيات ٣/ ٣٦٢ رقم الترجمة (٤٥٦). شذرات الذهب ٥/ ٤٣٢.

(٣) هو أحمد بن داود بن ونند الدينوري أبو حنيفة. مهندس مؤرخ نباتي. توفي سنة (٢٨٢ هـ). الأعلام ١/ ١٢٣. معجم الأدباء ١/ ٣٥٢ رقم الترجمة (٨٠). أنباه الرواة ١/ ٤١ بغية الوعاة ١٣٢ وخزانة الأدب ١/ ٢٥.

كالريش لخفته ولينه، لأنه كالقطن، فحجبت عن الغار أعين الكفار.

وفي مسند البزار: أن الله عز وجل أمر العنكبوت[1] فنسجت على وجه الغار وأرسل حمامتين وحشيتين فوقفتا على وجه الغار، وأن ذلك مما صد المشركين عنه، وأن حمام الحرم من نسل تينك الحمامتين.

ثم أقبل فتيان قريش من كل بطن بعصيهم وهراويهم وسيوفهم، فجعل بعضهم ينظر في الغار، فلم ير إلا حمامتين وحشيتين بفم الغار، فرجع إلى أصحابه فقالوا له: مالك؟ قال: رأيت حمامتين وحشيتين فعرفت أنه ليس فيه أحد. وقال آخر: ادخلوا الغار، فقال أمية بن خلف: ما أربكم إلى الغار، إن فيه لعنكبوتاً أقدم من ميلاد محمد.

وقد روي أن الحمامتين باضتا في أسفل النقب ونسج العنكبوت، فقالوا: لو دخلا لتكسر البيض وتفسخ نسج العنكبوت. وهذا أبلغ في الإعجاز من مقاومة القوم بالجنود.

فتأمل كيف أظلت الشجرة المطلوب وأضلت الطالب، وجاءت العنكبوت فسدت باب الطلب، وحاكت وجه المكان فحاكت ثوب نسجها، فحاكت ستراً حتى عمي على القائف الطلب ولله در القائل:

والعنكبوت أجادت حوك حلتها ... فما تخال خلال النسج من خلل

ولقد حصل للعنكبوت الشرف بذلك، وما أحسن قول ابن النقيب:[2]

ودود القز إن نسجت حريراً ... يجمل لبسه في كل شي
فإن العنكبوت أجل منها ... بما نسجت على رأس النبي

وروي أنه ﷺ قال: «**اللهم أعم أبصارهم**»[3]، فعميت عن دخوله، وجعلوا يضربون يميناً وشمالاً حول الغار. وهذا يشير إليه قول صاحب البردة:

أقسمت بالقمر المنشق إن له ... من قلبه نسبة مبرورة القسم
وما حوى الغار من خير ومن كرم ... وكل طرف من الكفار عنه عم
فالصدق في الغار والصديق لم يرما ... وهم يقولون ما بالغار من أرِم

---

(1) ورد ذكر العنكبوت عن ابن عباس في مسند الإمام أحمد بن حنبل ٣٤٨/١ وانظر طبقات ابن سعد ١٧٧/١.

(2) هو الحسن بن شاور بن طرخان بن الحسن ابن النقيب الكناني، ناصر الدين المعروف بالنفيسي. شاعر. الأعلام ١٩٢/٢. فوات الوفيات ٣٢٤/١ رقم الترجمة (١١٥) شذرات الذهب ٤٠٠/٥. حسن المحاضرة ٥٦٩/١ وفيه أسمه «محمد بن الحسن بن شاور».

(3) ذكره ابن حجر في الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف ص٧٦.

ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على خير البرية لم تنسج ولم تحم
وقاية الله أغنت عن مضاعفة من الدروع وعن عال من الأطم

أي عموا عما في الغار مع خلق الله ذلك فيهم، لأنهم ظنوا أن الحمام لا يحوم حوله ﷺ وأن العنكبوت لا تنسج عليه لما جرت العادة أن هذين الحيوانين متوحشان لا يألفان معموراً، فمهما أحسا بالإنسان فرا منه، وما علموا أن الله تعالى يسخر ما شاء من خلقه لمن شاء من عباده، وأن وقاية عبده بما شاء تغني عبده عن التحصن بمضاعفة من الدروع، وعن التحصن بالعالي من الأطم، وهي الحصون، فللّه در الأبو صيري شاعراً، وما أحسن قوله في قصيدته اللامية حيث قال:

واغيرتا حين أضحى الغار وهو به كمثل قلبي معمور ومأهول
كأنما المصطفى فيه وصاحبه الـ ـصديق ليثان قد آواهما غيل
وجلل الغار نسج العنكبوت على وهن فياحبذا نسج وتجليل
عناية ضل كيد المشركين بها وما مكائدهم إلا الأضاليل
إذ ينظرون وهم لا يبصرونهما كأن أبصارهم من زيغها حول

وفي الصحيح عن أنس قال أبو بكر: يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لرآنا، فقال له رسول الله ﷺ: **«ما ظنك باثنين الله ثالثهما»**[1].

وروي أن أبا بكر قال: نظرت إلى قدمي رسول الله ﷺ في الغار وقد تفطرتا دماً فاستبكيت وعلمت أنه ﷺ لم يكن تعود الحفا والجفوة.

وروي أيضاً أن أبا بكر دخل الغار قبل رسول الله ﷺ ليقيه بنفسه، وأنه رأى جحراً فيه، فألقمه عقبه لئلا يخرج منه ما يؤذي رسول الله ﷺ فجعلت الحيات والأفاعي تضربنه وتلسعنه، فجعلت دموعه تتحدر. وفي رواية: فدخل رسول الله ﷺ ووضع رأسه في حجر أبي بكر فنام، فلدغ أبو بكر في رجله من الجحر ولم يتحرك فسقطت دموعه على وجه رسول الله ﷺ، فقال: ما لك يا أبا بكر؟ فقال لدغت فداك أبي وأمي، فتفل رسول الله ﷺ فذهب ما يجده. رواه رزين[2].

وروي أيضاً: أن أبا بكر لما رأى القافة اشتد حزنه على رسول الله ﷺ وقال إن

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار باب (٤٥) رقم الحديث (٣٩٢٢) ومسلم رقم الحديث (٢٣٨١).

(٢) هو رزين بن معاوية بن عمار العبدري السرقسطي الأندلسي أبو الحسن. عالم بالحديث. توفي في مكة سنة (٥٣٥ هـ). الأعلام ٣/ ٢٠ شذرات الذهب ٤/ ١٠٦.

قتلت أنا فإنما أنا رجل واحد، وإن قتلت أنت هلكت الأمة، فعندها قال له رسول الله ﷺ: ﴿**لا تحزن إن الله معنا**﴾ [التوبة: ٤٠] يعني بالمعونة والنصر، فأنزل الله سكينته ـ وهي أمنة تسكن عندها القلوب ـ على أبي بكر لأنه كان منزعجاً، وأيده ـ يعني النبي ﷺ ـ بجنود لم تروها من الملائكة ليحرسوه في الغار، أو ليصرفوا وجوه الكفار وأبصارهم عن رؤيته[1].

انظر، لما رأى الرسول حزن الصديق قد اشتد لكن لا على نفسه، قوي قلبه ببشارة ﴿**لا تحزن إن الله معنا**﴾ [التوبة: ٤٠] وكانت تحفة «ثاني اثنين» مدخرة له دون الجميع، فهو الثاني في الإسلام والثاني في بذل النفس والعمر وسبب الموت لما وقى الرسول ﷺ بماله ونفسه وجوزي بمواراته معه في رمسه، وقام مؤذن التشريف ينادي على منائر الأمصار «ثاني اثنين إذ هما في الغار» ولقد أحسن حسان حيث قال:

وثـانـي اثنيـن فـي الغـار المنيـف وقـد ... طـاف العـدو بـه إذ صـاعـد الجبـلا
وكـان حـب رسـول الله قـد علمـوا ... مـن الخـلائـق لـم يعـدل لـه بـدلا

وتأمل قول موسى عليه السلام لبني إسرائيل: ﴿**كلا إن معي ربي سيهدين**﴾ [الشعراء: ٦٢] وقول نبينا ﷺ للصديق: ﴿**إن الله معنا**﴾ [التوبة: ٤٠] فموسى خص بشهود المعية ولم يتعد منه إلى أتباعه، ونبينا تعدى منه إلى الصديق، ولم يقل «معي» لأنه أمد أبا بكر بنوره فشهد سر المعية، ومن ثم سرى سر السكينة على أبي بكر، وإلا لم يثبت تحت أعباء هذا التجلي والشهود، وأين معية الربوبية في قصة موسى عليه السلام من معية الإلهية في قصة نبينا ﷺ. قاله العارف شمس الدين بن اللبان[2].

وأخرج أبو نعيم في الحلية عن عطاء بن ميسرة، قال: نسجت العنكبوت مرتين، مرة على داود حين كان طالوت يطلبه، ومرة على النبي ﷺ في الغار[3].

وكذا نسجت على الغار الذي دخله عبد الله بن أنيس لما بعثه ﷺ لقتل خالد بن

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي رقم الحديث (٣٦٥٢ ـ ٣٦٥٣ ـ ٣٩٢٢ ـ ٤٦٦٣). وصحيح مسلم رقم الحديث (٢٣١٠) والإمام أحمد بن حنبل في مسنده ١/٢ ودلائل النبوة للبيهقي ٤٧٨/٢ ومجمع الزوائد للهيثمي ٥٢/٦. وشرح السنة للبغوي ٣٦٩/١٣. والدر المنثور للسيوطي ٢٣٩/٣.

(٢) هو محمد بن أحمد بن عبد المؤمن الإسعردي الدمشقي شمس الدين ابن اللبان (٦٧٩ ـ ٧٤٩ هـ). مفسر. من علماء العربية. أديب توفي في مصر. الأعلام ٢٢٧/٥. الدرر الكامنة ٣٣٠/٣ رقم الترجمة (٨٨٧). طبقات الشافعية ٢١٣/٥. مرآة الجنان ٣٣٣/٤ ذيل تذكرة الحفاظ ١٢١/٥.

(٣) انظر حلية الأولياء ١٩٧/٥.

نبيح الهذلي بعرنة، فقتله ثم حمل رأسه ودخل في غار فنسجت عليه العنكبوت، وجاء الطلب فلم يجدوا شيئاً فانصرفوا راجعين.

وفي تاريخ ابن عساكر: أن العنكبوت نسجت أيضاً على عورة زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب لما صلب عرياناً في سنة إحدى وعشرين ومائة.

وكان مكثه ﷺ وأبو بكر في الغار ثلاث ليال، وقيل بضعة عشر يوماً. والأول هو المشهور.

وكان يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر، وهو غلام شاب ثقف ـ أي ثابت المعرفة بما يحتاج إليه لقن ـ فيدلج من عندهما بسحر، فيصبح مع قريش بمكة كبائت معهم، فلا يسمع أمراً يكادان به إلا وعاه، حتى يأتيهما بخبر ذلك اليوم حين يختلط الظلام.

ويرعى عليهما عامر بن فهيرة ـ مولى أبي بكر ـ منحة من غنم، فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء فيبيتان في رسل، وهو لبن منحتهما، يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث.

واستأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر، عبد الله بن الأريقط دليلاً ـ وهو على دين كفار قريش، ولم يعرف له إسلام ـ فدفعا إليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال.

فأتاهما براحلتيهما صبح ثلاث، وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل، فأخذ بهم على طريق السواحل، فمروا بقديد على أم معبد ـ عاتكة بنت خالد الخزاعية ـ وكانت برزة جلدة، تحتبي بفناء القبة، ثم تسقي وتطعم.

وكان القوم مرملين مسنتين، فطلبوا لبناً ولحماً يشترونه منها، فلم يجدوا عندها شيئاً، فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة في كسر الخيمة، خلفها الجهد عن الغنم، فسألها رسول الله ﷺ **«هل بها من لبن»** فقالت: لهي أجهد من ذلك، فقال: **«أتأذنين لي أن أحلبها»** فقالت: نعم بأبي أنت وأمي إن رأيت بها حلباً فاحلبها، فدعا بالشاة فاعتقلها ومسح ضرعها، وسمى الله، فتفاجت ودرت، ودعا بإناء يربض الرهط ـ أي يشبع الجماعة حتى يربضوا ـ فحلب فيه ثجا وسقى القوم حتى رووا، ثم شرب آخرهم، ثم حلب فيه مرة أخرى علا بعد نهل، ثم غادره عندها وذهبوا.

فقل ما لبثت حتى جاء زوجها أبو معبد ـ قال السهيلي: لا يعرف اسمه، وقال العسكري: أكثم بن أبي الجون، ويقال: ابن الجون ـ يسوق أعنزاً عجافاً، يتساوكن هزالاً، مخهن قليل.

فلما رأى أبو معبد اللبن عجب وقال: ما هذا يا أم معبد؟ أنى لك هذا والشاء

عازب حيال، ولا حلوب في البيت؟ فقالت: لا والله، إلا أنه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا. فقال: صفيه يا أم معبد.

فقالت: رأيت رجلاً ظاهر الوضاءة. مليح الوجه حسن الخلق، لم تعبه ثجلة ولم تزر به صعلة، وسيم قسيم، في عينيه دعج، وفي أشفاره وطف، وفي صوته صحل، أحور أكحل، أزج أقرن، شديد سواد الشعر، في عنقه سطع، وفي لحيته كثاثة، إذا صمت فعليه الوقار، وإذا تكلم سما وعلاه البهاء، وكأن منطقه خرزات نظم يتحدرن، حلو المنطق، فصل لا نزر ولا هذر، أجهر الناس وأجمله من بعيد، وأحلاه وأحسنه من قريب، ربعة لا تشنؤه من طول، ولا تقتحمه عين من قصر، غصن بين غصنين، فهو أنضر الثلاثة وأحسنهم قدراً، له رفقاء يحفون به، إذا قال استمعوا لقوله، وإذا أمر تبادروا إلى أمره، محفود محشود، لا عابس ولا مفند.

فقال: هذا والله صاحب قريش، لو رأيته لاتبعته[1].

قالت أسماء بنت أبي بكر: ولما خفي علينا أمر رسول الله ﷺ، أتانا نفر من قريش منهم أبو جهل بن هشام، فخرجت إليهم، فقال: أين أبوك؟ فقلت: والله لا أدري أين أبي، قالت: فرفع أبو جهل يده ـ وكان فاحشاً خبيثاً ـ فلطم خدي لطمة خرج منها قرطي، قالت: ثم انصرفوا.

ولما لم ندر أين توجه رسول الله ﷺ، أتى رجل من الجن يسمعون صوته ولا يرونه، وهو ينشد هذه الأبيات:

جزى الله رب الناس خير جزائه ... رفيقين حلا خيمتي أم معبد
هما نزلا بالبر ثم ترحلا ... فأفلح من أمسى رفيق محمد
فيا لقصي ما زوى الله عنكم ... به من فعال لا تجارى وسؤدد
ليهن بني كعب مكان فتاتهم ... ومقعدها للمؤمنين بمرصد
سلوا أختكم عن شاتها وإنائها ... فإنكم إن تسألوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلبت ... له بصريح ضرة الشاة مزبد
فغادرها رهناً لديها لحالب ... يرددها في مصدر ثم مورد[2]

فلما سمعنا قوله عرفنا حيث توجه ﷺ.

وقوله: مرملين: أي نفدت أزوادهم. ومسنتين: أي مجدبين، ويروى: مشتين:

---

(١) انظر طبقات ابن سعد ١/ ١٧٨.

(٢) المصدر السابق ١/١٧٩.

دخلوا الشتاء. وكسر الخيمة: - بكسر الكاف وفتحها، وسكون السين - جانبها. وتفاجت: بتشديد الجيم - فتحت ما بين رجليها. ويربض الرهط: - بضم المثناة التحتية، وكسر الموحدة - أي يرويهم ويثقلهم حتى يناموا ويمتدوا على الأرض. من أربض في المكان يربض: إذا لصق به وأقام. والثج: السيلان. وفي رواية: فحلب ثجا حتى علاه الثمال - بضم المثلثة - الرغوة واحدة: ثمالة. والبهاء أي بهاء اللبن: وهو وبيص رغوته. وتساوكن هزالاً: أي تمايلن، ويروى: تشاركن من المشاركة، أي تساوين في الهزال. وغادره: - بالغين المعجمة - أبقاه والشاء عازب، أي بعيدة المرعى. والأبلج: - بالجيم - المشرق الوجه المضيئة. والحيال: - بكسر الحاء المهملة - جمع حائل، وهي التي ليس بها حمل. والوضاءة: الحسن. والثجلة: - بفتح الثاء المثلثة، وسكون الجيم - عظم البطن، ويروى بالنون والحاء: أي نحول ودقة. والصعلة: - بفتح الصاد - صغر الرأس، وهي أيضاً الدقة والنحول في البدن. والوسيم: الحسن، وكذلك: القسيم. وفي عينيه دعج: أي سواد. والوطف: قال في القاموس: محركة، كثرة شعر الحاجبين والعينين. وفي صوته صحل: - بالتحريك - وهو كالبحة - بضم الموحدة - أن لا يكون حاد الصوت. وأحور: قال في القاموس: الحور - بالتحريك - أن يشتد بياض بياض العين، وسواد سوادها. والكحل: - بفتحتين - سواد في أجفان العين خلقه، والرجل: أكحل وكحيل. والأزج: الدقيق طرف الحاجبين وفي القاموس: والزجج - محركة - دقة الحاجبين في طول. والأقرن: المقرون الحاجبين. وفي عنقه سطع: - بفتحتين - أي ارتفاع وطول. وفي لحيته كثاثة: الكثاثة في اللحية أن تكون غير دقيقة ولا طويلة، وفيها كثاثة، يقال: رجل كث اللحية - بالفتح - وقوم كث - بالضم -. وإذا تكلم سما وعلاه البهاء: أي ارتفع وعلا على جلسائه. وفصل - بالصاد المهملة - ولا نزر - بسكون المعجمة - ولا هذر - بفتحها -: أي بين ظاهر، يفصل بين الحق والباطل. ولا تشنؤه من طول: كذا جاء في رواية، أي لا يبغض لفرط طوله، ويروى: ولا يشنى من طول: أبدل من الهمزة ياء، يقال: شنيته أشنؤه، شنأ وشنآناً، قاله ابن الأثير. ولا تقتحمه عين من قصر: أي لا تتجاوزه إلى غيره احتقاراً، وكل شيء ازدريته فقد اقتحمته. ومحفود: أي مخدوم. والمحشود: الذي عنده حشد وهم الجماعة. ولا عابس: من عبوس الوجه. والمفند: الذي يكثر اللوم وهو التفنيد. والضرة: لحمة الضرع. وغادرها: أي خلف الشاة عندها مرتهنة بأن تدر، انتهى.

وأخرج ابن سعد وأبو نعيم من طريق الواقدي: حدثني حزام ابن هشام عن أبيه عن أم معبد قالت: بقيت الشاة التي لمس عليه السلام ضرعها عندنا حتى كان زمان الرمادة، زمان عمر بن الخطاب، وكنا نحلبها صبوحاً وغبوقاً وما في الأرض قليل ولا كثير.

ثم تعرض لهما بقديد سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي[1]، فبكى أبو بكر وقال: يا رسول الله أتينا، قال: «كلا» ودعا رسول الله ﷺ بدعوات، فساخت قوائم فرسه، وطلب الأمان، فقال: أعلم أن قد دعوتما علي، فادعوا لي ولكما أن أرد الناس عنكما ولا أضركما. قال: فوقفا لي، فركبت فرسي حتى جئتهما، قال: ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت أن سيظهر أمر رسول الله ﷺ، فأخبرتهما أخبار ما يريد بهما الناس، وعرضت عليهما الزاد والمتاع فلم يرزآني[2].

واجتاز ﷺ في وجهه ذلك بعبد يرعى غنماً، فكان من شأنه ما رويناه من طريق البيهقي بسنده عن قيس بن النعمان قال: لما انطلق النبي ﷺ وأبو بكر مستخفيين، مرا بعبد يرعى غنماً، فاستسقياه اللبن فقال: ما عندي شاة تحلب، غير أن ها هنا عناقاً حملت عام أول، فما بقي بها لبن، فقال: ادع بها، فاعتقلها ﷺ ومسح ضرعها، ودعا حتى أنزلت، وجاء أبو بكر بمجن فحلب فسقى أبا بكر، ثم حلب فسقى الراعي، ثم حلب فشرب، فقال الراعي: بالله من أنت، فوالله ما رأيت مثلك. فقال: أو تراك تكتم علي حتى أخبرك؟ قال نعم، قال: فإني رسول الله، فقال أنت الذي تزعم قريش أنك صابىء؟ قال: إنهم ليقولون ذلك، قال: فأشهد أنك نبي، وأن ما جئت به حق، وأنه لا يفعل ما فعلت إلا نبي، وأنا متبعك، قال: إنك لن تستطيع ذلك يومك، فإذا بلغك أني قد ظهرت فائتنا.

قال الحافظ مغلطاي ـ بعد ذكره لقصة أم معبد ـ: وفي الإكليل قصة أخرى شبيهة بقصة أم معبد. قال الحاكم: فلا أدري أهي هي، أم غيرها.

ولما سمع المسلمون بالمدينة خروج رسول الله ﷺ من مكة، فكانوا يغدون كل غداة إلى الحرة ينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة، فانقلبوا يوماً بعد ما أطالوا انتظارهم، فلما أووا إلى بيوتهم أوفى رجل من يهود على أطم من آطامهم لأمر ينظر إليه، فبصر برسول الله ﷺ وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب، فلم يملك اليهودي نفسه فنادى بأعلى صوته يا بني قيلة هذا جدكم ـ أي حظكم ومطلوبكم ـ قد أقبل، فخرج إليه بنو

---

(١) هو سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي الكناني، أبو سفيان. صحابي. توفي في سنة (٢٤ هـ). الأعلام ٣/ ٨٠. الإصابة ٣/ ٦٩. رقم الترجمة (٣١٠٩). وسياق قصة سراقة بشرح المواهب ١/ ٣٤٦.

(٢) أخرجه البخاري. كتاب مناقب الأنصار. باب (٤٥) رقم الحديث (٣٩٠٦). والإمام أحمد بن حنبل في مسنده ٤/ ١٧٦.

قيلة ـ وهم الأوس والخزرج ـ سراعاً بسلاحهم فتلقوه، فنزل بقباء على بني عمرو بن عوف. . الحديث رواه البخاري[1].

وفيه: أن أبا بكر قام للناس، وجلس رسول الله ﷺ صامتاً، فطفق من جاء من الأنصار ممن لم ير رسول الله ﷺ يحيي أبا بكر، حتى أصابت الشمس رسول الله ﷺ فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه، فعرف الناس رسول الله ﷺ عند ذلك.

وظاهر هذا أنه عليه السلام كانت الشمس تصيبه، وما تقدم من تظليل الغمام والملك له كان قبل بعثته، كما هو صريح في موضعه.

قال موسى بن عقبة عن ابن شهاب: وكان قدومه عليه السلام لهلال ربيع الأول، أي أول يوم منه.

وفي رواية جرير بن حازم[2] عن ابن إسحاق: قدمها لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول، ونحوه عند أبي معشر، لكن قال: ليلة الإثنين.

وعن ابن سعد: قدمها لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول.

وفي «شرف المصطفى» من طريق أبي بكر بن حزم: قدم لثلاث عشرة من ربيع الأول.

وهذا يجمع بينه وبين الذي قبله بالحمل على الإختلاف في رؤيه الهلال.

وقيل: كان حين اشتد الضحاء يوم الإثنين لاثنتي عشرة ليلة منه وبه جزم النووي في كتاب السير من الروضة.

وقال ابن الكلبي: خرج من الغار يوم الإثنين أول يوم من ربيع الأول ودخل المدينة يوم الجمعة لثنتي عشرة منه، وقيل لليلتين منه.

وعند البيهقي: لثنتين وعشرين ليلة.

وقال ابن حزم: خرجا من مكة وقد بقي من صفر ثلاث ليال.

وأقام علي بمكة بعد مخرج النبي ﷺ ثلاثة أيام، ثم أدركه بقباء يوم الإثنين سابع ـ وقيل: ثامن ـ عشر ربيع، وكانت مدة مقامه مع النبي ﷺ ليلة أو ليلتين.

وأمر ﷺ بالتاريخ فكتب من حين الهجرة.

---

(١) أخرجه البخاري رقم الحديث (٣٩٠٦).

(٢) هو جرير بن حازم بن زيد بن عبد الله الأزدي البصري. أبو النضر توفي سنة (١٧٠ هـ). الكاشف ١/ ١٢٦ رقم الترجمة (٧٧٧). تذكرة الحفاظ ١/ ١٩٩ رقم الترجمة (١٩١). العبر ١/ ٢٥٨.

وقيل: إن عمر أول من أرخ وجعله من المحرم[1].

وأقام ﷺ بقباء [2] في بني عمرو بن عوف اثنتين وعشرين ليلة.

وفي صحيح مسلم: أقام فيهم أربع عشرة ليلة[3].

ويقال: إنه أقام يوم الإثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس.

وأسس مسجد قباء الذي أسس على التقوى[4]، على الصحيح، وهو أول مسجد بني في الإسلام وأول مسجد صلى فيه ﷺ بأصحابه جماعة ظاهراً، وأول مسجد بني لجماعة المسلمين عامة، وإن كان تقدم بناء غيره من المساجد لكن لخصوص الذي بناه.

ثم خرج ﷺ من قباء يوم الجمعة حين ارتفع النهار، فأدركته الجمعة في بني سالم ابن عوف فصلاها بمن كان معه من المسلمين، وهم مائة، في بطن وادي رانوناء ـ براء مهملة ونونين ممدوداً، كعاشوراء وتاسوعاء ـ واسم المسجد «الغبيب» ـ بضم الغين المعجمة، تصغير غب ، كما ضبطه صاحب المغانم المطابة، والوادي: ذي صلب ـ ولذا سمي مسجد الجمعة، وهو مسجد صغير مبني بحجارة قدر نصف القامة، وهو على يمين السالك إلى مسجد قباء.

وركب ﷺ على راحلته بعد الجمعة متوجهاً إلى المدينة.

وروى أنس بن مالك أنه ﷺ أقبل إلى المدينة وهو مردف أبا بكر، وأبو بكر شيخ يعرف، والنبي ﷺ شاب لا يعرف، قال: فيلقى الرجل أبا بكر فيقول: يا أبا بكر من هذا الرجل الذي بين يديك، قال: فيقول: هذا الرجل يهديني السبيل، قال: فيحسب الحاسب أنه إنما يعني الطريق، وإنما يعني سبيل الخير[5]، الحديث رواه البخاري.

وقد روى ابن سعد أنه ﷺ قال لأبي بكر: أله عني الناس، فكان إذا سئل من أنت قال: باغي حاجة، فإذا قيل: من هذا معك؟ قال: هذا يهديني السبيل.

وفي حديث الطبراني، من رواية أسماء: فكان أبو بكر رجلاً معروفاً في الناس، فإذا لقيه لاق يقول لأبي بكر: من هذا معك؟ فيقول: هذا يهديني [السبيل] يريد الهداية في الدين، ويحسبه الآخر دليلاً.

---

(١) انظر المنتظم ٤/٢٢٦ حوادث سنة (١٧ هـ).

(٢) قباء: بالضم: وأصله اسم بئر في طريق مكة على ميلين من المدينة. انظر معجم البلدان ٤/٣٠١ ومعجم ما استعجم (١٠٤٤) والروض المعطار (١٤٥٢) وانظر طبقات ابن سعد ١/١٨٨.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة باب (٤٨) رقم الحديث (٤٢٨).

(٤) وعنه قوله تعالى: ﴿لمَسجدٌ أسس على التقوى من أول يوم أحق أنْ تقوم فيه﴾ [التوبة: ١٠٨].
وقد جاء في فضائل مسجد قباء أحاديث كثيرة. انظر فتح الباري ٣/٨٨ ـ (١١٩١).

(٥) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار باب (٤٥) رقم الحدبث (٣٩١١).

وإنما كان أبو بكر معروفاً لأهل المدينة لأنه كان يمر عليهم في سفره للتجارة، وكان ﷺ لم يشب، وكان ﷺ أسن من أبي بكر. وفي حديث أنس: لم يكن في الذين هاجروا أشمط غير أبي بكر[1].

وكان ﷺ كلما مرّ على دار من دور الأنصار يدعونه إلى المقام عندهم: يا رسول الله، هلم إلى القوة والمنعة، فيقول: **«خلوا سبيلها»** - يعني ناقته - **«فإنها مأمورة»**[2]. وقد أرخى زمامها، وما يحركها، وهي تنظر يميناً وشمالاً، حتى إذا أتت دار مالك ابن النجار، بركت على باب المسجد، وهو يومئذ مربد لسهل وسهيل ابني رافع بن عمرو، وهما يتيمان في حجر معاذ بن عفراء - ويقال أسعد بن زرارة وهو المرجح - ثم ثارت، وهو ﷺ عليها حتى بركت على باب أبي أيوب الأنصاري، ثم ثارت منه وبركت في مبركها الأول، وألقت جرانها بالأرض - يعني باطن عنقها أو مقدمه من المذبح - وأزرمت - يعني صوتت من غير أن تفتح فاها - ونزل عنها ﷺ وقال: **«هذا المنزل إن شاء الله»**.

واحتمل أبو أيوب رحله وأدخله في بيته، ومعه زيد بن حارثة، وكانت دار بني النجار أوسط دور الأنصار وأفضلها، وهم أخوال عبد المطلب، جده عليه السلام.

وفي حديث أبي أيوب الأنصاري، عند أبي يوسف يعقوب[3] في كتاب الذكر والدعاء له قال: نزل علي رسول الله ﷺ حين قدم المدينة فكنت في العلو، فلما خلوت إلى أم أيوب قلت لها: رسول الله ﷺ أحق بالعلو منا، تنزل عليه الملائكة وينزل عليه الوحي، فما بت تلك الليلة لا أنا ولا أم أيوب، فلما أصبحت، قلت: يا رسول الله، ما بت الليلة أنا ولا أم أيوب، قال: **«لم يا أبا أيوب»** قلت: كنت أحق بالعلو منا تنزل عليك الملائكة وينزل عليك الوحي، لا والذي بعثك بالحق لا أعلو سقيفة أنت تحتها أبداً[4]. الحديث. ورواه الحاكم أيضاً.

وقد ذكر أن هذا البيت الذي لأبي أيوب، بناه له عليه السلام تبع الأول لما مر بالمدينة وترك فيها أربعمائة عالم، وكتب كتاباً للنبي ﷺ ودفعه إلى كبيرهم، وسأله أن

(١) المصدر السابق (٣٩١١).

(٢) انظر طبقات ابن سعد ١/ ١٨٣ والبداية والنهاية ٣/ ١٩٦.

(٣) هو يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري الكوفي البغدادي أبو يوسف (١١٣ - ١٨٢ هـ) فقيه حنفي حافظ، توفي ببغداد. الأعلام ٨/ ١٩٣ مفتاح السعادة ٢/ ١٠٠ أخبار القضاة ٣/ ٢٥٤ تاريخ بغداد ١٤/ ٢٤٢ شذرات الذهب ١/ ٢٩٨ وفيات الأعيان ٢/ ٣٠٣ مرآة الجنان ١/ ٣٨٢.

(٤) انظر المستدرك للحاكم ٣/ ٤٦٠.

يدفعه للنبي ﷺ، فتداول الدار الملاك إلى أن صارت لأبي أيوب، وهو من ولد ذلك العالم. قال: وأهل المدينة الذين نصروه ﷺ من ولد أولئك العلماء. فعلى هذا: إنما نزل في منزل نفسه، لا في منزل غيره. كذا حكاه في تحقيق النصرة.

وفرح أهل المدينة بقدومه ﷺ، وأشرقت المدينة بحلوله فيها، وسرى السرور إلى القلوب. قال أنس بن مالك: لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء، وصعدت ذوات الخدور على الأجاجير عند قدومه يقلن:

طَلَعَ البَدْرُ عَلَيْنَا ... مِن ثَنِيّاتِ الوَدَاعْ
وَجَبَ الشُكْرُ عَلَيْنَا ... مَا دَعَا لِلّهِ دَاع

قلت: إنشاد هذا الشعر عند قدومه ﷺ المدينة رواه البيهقي في الدلائل[1]، وأبو الحسن بن المقري[2] في كتاب الشمائل له عن ابن عائشة، وذكره الطبري في الرياض عن أبي الفضل بن الجمحي قال: سمعت ابن عائشة يقول ـ أراه عن أبيه ـ فذكره. وقال خرجه الحلواني على شرط الشيخين. انتهى.

وسميت ثنية الوداع لأنه ﷺ ودعه بها بعض المقيمين بالمدينة في بعض أسفاره.

وقيل: لأنه عليه السلام شيع إليها بعض سراياه، فودعه عندها.

وقيل: لأن المسافر من المدينة كان يشيع إليها ويودع عندها قديماً.

وصحح القاضي عياضٌ هذا الأخير، واستدل عليه بقول نساء الأنصار حين مقدمه ﷺ:

طَلَعَ البَدْرُ عَلَيْنَا ... مِن ثَنِيّاتِ الوادَاعْ

فدل على أنه اسم قديم.

وقال ابن بطال: إنما سميت ثنية الوداع لأنهم كانوا يشيعون الحاج والغزاة إليها، ويودعونهم عندها، وإليها كانوا يخرجون عند التلقي. انتهى.

قال شيخ الإسلام الولي العراقي: وهذا كله مردود، ففي صحيح البخاري وسنن أبي داود والترمذي عن السائب بن يزيد قال: لما قدم رسول الله ﷺ من تبوك خرج الناس يتلقونه من ثنية الوداع[3]. قال: وهذا صريح في أنها من جهة الشام، ولهذا لما نقل

---

(١) انظر فتح الباري ٧/ ٣٣٣ (٣٩٢٥).

(٢) هو محمد بن إبراهيم بن علي بن عاصم بن زاذان الخازن الأصبهاني أبو بكر ابن المقري. (٢٨٥ ـ ٣٨١ هـ) حافظ. الأعلام ٥/ ٢٩٥ تذكرة الحفاظ ٣/ ٩٧٣ رقم الترجمة (٩١٣) شذرات الذهب ٣/ ١٠١ العبر٣/ ١٨.

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد باب (١٦٤) رقم الحديث ٢٧٧٩ وفي دلائل النبوة للبيهقي ٥/ ٢٦٥.

والدي رحمه الله في شرح الترمذي كلام ابن بطال قال: إنه وهم، قال: وكلام ابن عائشة معضل لا تقوم به حجة. انتهى.

وسبقه إلى ذلك ابن القيم في الهدي النبوي فقال: هذا وهم من بعض الرواة، لأن ثنية الوداع إنما هي من ناحية الشام، لا يراها القادم من مكة ولا يمر بها إلا إذا توجه إلى الشام، وإنما وقع ذلك عند قدومه من تبوك. انتهى.

لكن قال ابن العراقي أيضاً: ويحتمل أن تكون الثنية التي من كل جهة يصل إليها المشيعون يسمونها ثنية الوداع. انتهى.

وفي «شرف المصطفى» وأخرجه البيهقي عن أنس: لما بركت الناقة على باب أبي أيوب خرج'جوار من بني النجار بالدفوف يقلن:

نحن جوار من بني النجار ... يا حبذا محمد من جار

فقال ﷺ: «أتحبينني»، قلن: نعم يا رسول الله. وفي رواية الطبراني في الصغير فقال ﷺ: «**الله يعلم قلبي يحبكم**»[1].

وقال الطبري: وتفرق الغلمان والخدم في الطرق ينادون جاء محمد، جاء رسول الله.

ووعك أبو بكر وبلال، فكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول:

كل امرىء مصبح في أهله ... والموت أدنى من شراك نعله

وكان بلال إذا أقلعت عنه الحمى يرفع عقيرته ويقول:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ... بواد وحولي إذخر وجليل

وهل أردن يوماً مياه مجنة ... وهل يبدون لي شامة وطفيل

اللهم العن شيبة بن ربيعة وأمية بن خلف كما أخرجونا من أرضنا إلى أرض الوباء

ثم قال رسول الله ﷺ: «**اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، اللهم بارك لنا في صاعنا ومدنا، وصححها لنا وانقل حماها إلى الجحفة**»[2].

---

(١) ذكره الطبراني في المعجم الصغير ١/ ٣٣.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات باب (٤٣) رقم الحديث (٦٣٧٢) ومسلم في الحج رقم الحديث (٤٨٠) وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل ٦/ ٥٦ وفي السنن الكبرى للبيهقي ٣/ ٣٣٢ وفي موطأ مالك كتاب الجامع باب (٤) رقم الحديث (١٤) وفي دلائل النبوة للبيهقي ٢/ ٥٦٦ وفي كنز العمال. (٣٤٨٨١ ـ ٣٨١٥٩) وفي إتحاف السادة المتقين ٦/ ٤٧٩.

قالت ـ يعني عائشة ـ: وقدمنا المدينة وهي أوبأ أرض الله، فكان بطحان يجري نجلا. تعني: ماء آجنا[1].

وقال عمر: اللهم ارزقني شهادة في سبيلك واجعل موتي في بلد رسولك. رواه البخاري[2].

وقوله: يرفع عقيرته: أي صوته، لأن العقيرة الساق، كأن الذي قطعت رجله رفعها وصاح، ثم قيل لكل من صاح ذلك، حكاه الجوهري. وشامة وطفيل: عينان بقرب مكة، والمراد بالوادي وادي مكة.

وجليل: نبت ضعيف.

وأقام ﷺ عند أبي أيوب سبعة أشهر. وقيل: إلى صفر من السنة الثانية وقال الدولابي: شهراً.

وكان يصلي حيث أدركته الصلاة، ولما أراد ﷺ بناء المسجد الشريف[3]، قال: «**يا بني النجار ثامنوني بحائطكم**» قالوا: لا نطلب ثمنه إلا إلى الله[4]، فأبى ذلك ﷺ وابتاعها بعشرة دنانير أداها من مال أبي بكر رضي الله عنه، وكان قد خرج من مكة بماله كله.

قال أنس: وكان في موضع المسجد نخل وخرب ومقابر مشركين، فأمر بالقبور فنبشت وبالخرب فسويت وبالنخل فقطعت، ثم أمر باتخاذ اللبن فاتخذ، وبني المسجد وسقف بالجريد، وجعلت عمده خشب النخل، وعمل فيه المسلمون، وكان عمار بن ياسر ينقل لبنتين لبنتين، لبنة عنه ولبنة عن النبي ﷺ فقال له عليه الصلاة والسلام: «**للناس أجر ولك أجران، وآخر زادك من الدنيا شربة لبن، وتقتلك الفئة الباغية**»[5].

وروينا أنه ﷺ كان ينقل معهم اللبن ويقول وهو ينقل [اللبن]:

هـذا الحمـال لا حمـال خيبـر ... هـذا أبـر ربنـا وأطهـر

اللهـم إن الأجـر أجـر الآخـرة ... فـارحـم الأنصـار والمهـاجـرة

قال ابن شهاب: ولم يبلغنا أنه ﷺ تمثل ببيت شعر تام غير هذا[6]. انتهى.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل المدينة باب (١٢) رقم الحديث (١٨٨٩).

(٢) أخرجه البخاري باب (١٢) رقم الحديث (١٨٩٠).

(٣) انظر السيرة لابن هشام ٢/ ١٤٠ والبداية والنهاية ٣/ ٢١٣ وطبقات ابن سعد ٢/ ١٨٤.

(٤) أخرجه البخاري في عدة مواضع (٢٧٧١ ـ ٢٧٧٤ ـ ٢٧٧٩ ـ ٣٩٣٢) وأبو داوود في كتاب الصلاة رقم الحديث (٤٥٣) والنسائي في المساجد رقم (١٢) وأحمد بن حنبل في المسند ٣/ ٢١٢.

(٥) انظر فتح الباري ٧/ ٣٠٤ رقم (٣٩٠٦).

وقد قيل: إن الممتنع عليه ﷺ إنشاء الشعر لا إنشاده، ولا دليل على منع إنشاده متمثلاً.

وقوله: هذا الحمال: ـ بكسر الحاء المهملة، وتخفيف الميم ـ أي المحمول من اللبن أبر عند الله من حمال خيبر، أي: التي تحمل منها من التمر والزبيب ونحو ذلك. وفي رواية المستملي بالجيم. انتهى.

وفي كتاب «تحقيق النصرة» قيل: ووضع عليه السلام رداءه فوضع الناس أرديتهم وهم يقولون:

لئـــن قعـــدنـــا والنبـــي يعمـــل ذاك إذاً للعمــــــل المضلـــــــل

وآخرون يقولون:

لا يستـــوي مـــن يعمـــر المســـاجـــدا يـــدأب فيهـــا قـــائمـــاً وقـــاعـــدا
ومن يرى عن التراب حائدا

وجعلت قبلة المسجد للقدس، وجعل له ثلاثة أبواب: باب في مؤخره، وباب يقال له: باب الرحمة، والباب الذي يدخل منه.

وجعل طوله مما يلي القبلة إلى مؤخره مائة ذراع، وفي الجانبين مثل ذلك أو دونه.

وجعل أساسه قريباً من ثلاثة أذرع، وبنى بيوتاً إلى جنبه باللبن وسقفها بجذوع النخل والجريد، فلما فرغ من البناء بنى لعائشة في البيت الذي يليه شارعاً إلى المسجد، وجعل سودة بنت زمعة في البيت الآخر الذي يليه إلى الباب الذي يلي آل عثمان.

ثم تحول عليه السلام من دار أبي أيوب إلى مساكنه التي بناها.

وكان قد أرسل زيد بن حارثة وأبا رافع مولاه إلى مكة، فقدما بفاطمة وأم كلثوم وسودة بنت زمعة وأسامة بن زيد وأم أيمن، وخرج عبد الله بن أبي بكر معهم بعيال أبيه.

وكان في المسجد موضع مظلل، تأوي إليه المساكين، يسمى الصفة، وكان أهله يسمون: أهل الصفة، وكان ﷺ يدعوهم بالليل فيفرقهم على أصحابه، وتتعشى طائفة منهم معه عليه السلام.

وفي البخاري من حديث أبي هريرة: لقد رأيت سبعين من أصحاب الصفة، ما منهم رجل عليه رداء، إما إزار، وإما كساء، قد ربطوا في أعناقهم، فمنها ما يبلغ نصف الساق، ومنها ما يبلغ الكعبين، فيجمعه بيده كراهية أن ترى عورته[1].

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الصلاة باب (٥٨) رقم الحديث (٤٤٢).

وهذا يشعر بأنهن كانوا أكثر من سبعين، وهؤلاء الذين رآهم أبو هريرة غير السبعين الذين بعثهم في غزوة بئر معونة، وكانوا من أهل الصفة أيضاً، لكنهم استشهدوا قبل إسلام أبي هريرة.

وقد اعتنى بجمع أصحاب الصفة ابن الأعرابي[1] والسلمي[2]. والحاكم وأبو نعيم، وعند كل منهم ما ليس عند الآخر، وفيما ذكروه اعتراض ومناقشة، قاله في فتح الباري.

وكان ﷺ يخطب يوم الجمعة إلى جذع في المسجد قائماً، فقال: إن القيام قد شق علي، فصنع له المنبر.

وكان عمله وحنين الجذع في السنة الثامنة - بالميم - من الهجرة، وبه جزم ابن النجار[3] وعورض: بما في حديث الإفك[4] في الصحيحين، قالت عائشة: فثار الحيان - الأوس والخزرج - حتى كادوا أن يقتتلوا ورسول الله ﷺ على المنبر فنزل فخفضهم حتى سكتوا.

وجزم ابن سعد بأن عمل المنبر كان في السنة السابعة. وعورض: بذكر العباس وتميم فيه، وكان قدوم العباس بعد الفتح في آخر سنة ثمان، وقدوم سنة تسع.

وعن بعض أهل السير: أنه عليه السلام كان يخطب على منبر من طين قبل أن يتخذ المنبر الذي من خشب. وعورض: بأن الأحاديث الصحيحة أنه كان يستند إلى الجذع إذا خطب.

وستأتي قصة حنين الجذع إن شاء الله تعالى في مقصد المعجزات.

---

(١) هو أحمد بن محمد بن زياد بن بشر بن درهم أبو سعيد ابن الأعرابي (٢٤٦ - ٣٤٠ هـ) مؤرخ متصوف. توفي في مكة. الأعلام ١/ ٢٠٨ تذكرة الحفاظ ٣/ ٨٥٣ رقم الترجمة (٨٣٠) شذرات الذهب ٢/ ٣٥٤ حلية الأولياء ١٠/ ٣٧٥ رقم الترجمة (٦٤٧). العبر ٢/ ٢٥٢.

(٢) هو محمد بن الحسين بن محمد بن موسى الأزدي السلمي النيسابوري أبو بعد الرحمٰن (٣٢٥ - ٤١٢ هـ) متصوف. توفي في نيسابور. الأعلام ٦/ ٩٩ مفتاح السعادة ١/ ٤٥١ تاريخ بغداد ٢/ ٢٤٨ تذكرة الحفاظ ٣/ ١٠٤٦ رقم الترجمة (٩٦٣) مرآة الجنان ٣/ ٢٦ والمنتظم ١٥/ ١٥٠ رقم الترجمة (٣١٠٥).

(٣) هو محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله بن محاسن أبو عبد الله محب الدين ابن النجار (٥٧٨ - ٦٤٣ هـ). مؤرخ حافظ للحديث. توفي في بغداد. الأعلام ٧/ ٨٦ طبقات الشافعية ٥/ ٤١ مفتاح السعادة ١/ ٢١٠ شذرات الذهب ٥/ ٢٢٦ فوات الوفيات ٤/ ٣٦ رقم الترجمة (٤٩٤). مرآة الجنان ٤/ ١١١ وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٢٨ رقم الترجمة (١١٤٠) معجم الأدباء ٥/ ٤٤٣ رقم الترجمة (٩١٧).

(٤) انظر البداية والنهاية ٤/ ١٦١ وطبقات ابن سعد ٢/ ٥٠. والمنتظم ٣/ ٢٢١.

ولما كان بعد قدومه بخمسة أشهر، آخى عليه السلام بين المهاجرين والأنصار[1] وكانوا تسعين رجلاً، من كل طائفة خمسة وأربعون، على الحق والمواساة والتوارث.

وكانوا كذلك إلى أن نزل بعد بدر ﴿**وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض**﴾ [الأنفال: ٧٥] الآية.

وبنى بعائشة على رأس تسعة أشهر. وقيل ثمانية، وقيل ثمانية عشر شهراً في شوال.

[رؤيا الأذان][2]

وكان الناس ـ كما في السير وغيرها ـ إنما يجتمعون إلى الصلاة لتحين مواقيتها، من غير دعوة.

وأخرج ابن سعد في الطبقات، من مراسيل سعيد بن المسيب: أن بلالاً كان ينادي للصلاة بقوله: الصلاة جامعة الحديث.

وشاور رسول الله ﷺ أصحابه فيما يجمعهم به للصلاة ـ وكان ذلك فيما قيل في السنة الثانية ـ فقال بعضهم: ناقوس كناقوس النصارى، وقال آخرون: بوق كبوق اليهود، وقال بعضهم: بل نوقد ناراً ونرفعها فإذا رآها الناس أقبلوا إلى الصلاة.[3]

فرأى عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه في منامه رجلاً فعلمه الأذان والإقامة، فلما أصبح أتى النبي ﷺ فأخبره بما رأى، وفي رواية معاذ بن جبل عند الإمام أحمد قال: يا رسول الله إني رأيت فيما يرى النائم ـ ولو قلت إني لم أكن نائماً لصدقت ـ رأيت: شخصاً عليه ثوبان أخضران فاستقبل القبلة فقال: الله أكبر، الله أكبر، مثنى مثنى، حتى فرغ من الأذان. الحديث، فقال ﷺ «**إنها لرؤيا حق إن شاء الله تعالى، قم مع بلال فألق عليه ما رأيت فليؤذن به، فإنه أندى صوتاً منك**». قال: فقمت مع بلال فجعلت ألقيه ويؤذن.[4].

قال: فسمع بذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو في بيته، فخرج يجر رداءه يقول: والذي بعثك بالحق يا رسول الله، لقد رأيت مثل ما رأى.

---

(١) انظر السيرة لابن هشام ٢/ ١٥٠ وانظر طبقات ابن سعد ١/ ١٨٣ والمنتظم ٣/ ٧٠.

(٢) انظر السيرة لابن هشام ٢/ ١٥٤ وانظر طبقات ابن سعد ١/ ١٨٩.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأذان باب (١) رقم الحديث (٦٠٤).

(٤) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة باب (٢٨) رقم الحديث (٤٩٩) وأحمد بن حنبل في مسنده ٤/ ٤٣ وفي السنن الكبرى للبيهقي ١/ ٣٩٠ ودلائل النبوة للبيهقي ٧/ ١٨ كنز العمال (٢٠٩٥٢)

ووقع في الأوسط للطبراني: أي أبا بكر أيضاً رأى الأذان.

وفي الوسيط للغزالي: أنه رآه بضعة عشر رجلاً.

وعبارة الجيلي في شرح التنبيه: أربعة عشر.

وأنكره ابن الصلاح ثم النووي، وفي سيرة مغلطاي: أنه رآه سبعة من الأنصار.

قال الحافظ أبو الفضل بن حجر رحمه الله: ولا يثبت شيء من ذلك إلا لعبد الله بن زيد، وقصة عمر جاءت في بعض الطرق. انتهى. قال السهيلي: فإن قلت: ما الحكمة التي خصت الأذان بأن يراه رجل من المسلمين في نومه. ولم يكن عن وحي من الله لنبيه كسائر العبادات والأحكام الشرعية، وفي قوله ﷺ له: «إنها لرؤيا حق». ثم بنى حكم الأذان عليها، وهل كان ذلك عن وحي من الله له أم لا؟

وأجاب: بأنه ﷺ قد أريه ليلة الإسراء. فروى البزار عن علي قال: لما أراد الله تعالى أن يعلم رسوله الأذان جاء جبريل عليه السلام بدابة يقال لها البراق فركبها حتى أتى بها الحجاب الذي يلي عرش الرحمن، فبينما هو كذلك خرج ملك من الحجاب، فقال: يا جبريل من هذا؟ قال: والذي بعثك بالحق، إني لأقرب الخلق مكاناً، وإن هذا الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتي هذه. فقال الملك: الله أكبر، الله أكبر، فقيل له من وراء الحجاب: صدق عبدي؛ أنا أكبر، أنا أكبر.. وذكر بقية الأذان.

قال السهيلي: وهذا أقوى من الوحي، فلما تأخر فرض الأذان إلى المدينة وأراد إعلام الناس بوقت الصلاة تلبث الوحي حتى رأى عبد الله الرؤيا فوافقت ما رأى ﷺ فلذلك قال: إنها لرؤيا حق إن شاء الله تعالى، وعلم حينئذ أن مراد الله بما رآه في السماء أن يكون سنة في الأرض وقوى ذلك عنده موافقة رؤيا عمر للأنصاري. انتهى.

وتعقب: بأن حديث البزار في إسناده زياد بن المنذر أبو الجارود [1]، وهو متروك.

وقال في فتح الباري: وقد استشكل إثبات حكم الأذان برؤيا عبد الله بن زيد، فإن رؤيا غير الأنبياء لا ينبني عليها حكم شرعي:

وأجيب: باحتمال مقارنة الوحي لذلك [2]. ويؤيده ما رواه عبد الرزاق وأبو داود في المراسيل، من طريق عبيد بن عمير الليثي ـ أحد كبار التابعين ـ أن عمر لما رأى

---

(١) هو زياد بن المنذر الهمذاني الخراساني أبو الجارود. رأس الفرقة الجارودية توفي (بعد سنة ١٥٠ هـ). الأعلام ٣/ ٥٥ تهذيب التهذيب ٣/ ٣٨٦ مروج الذهب ٣/ ٢٢٠ والملل والنحل ١/ ١٥٧.

(٢) أو لأنه ﷺ أمر بمقتضاها لينظر أيقر على ذلك أم لا، ولا سيما لما رأى نظمها يبعد دخول الوسواس فيه، وهذا ينبني على القول بجواز إجتهاده ﷺ في الأحكام وهو المنصور في الأصول. انظر فتح الباري ٢/ ١٠٤.

الأذان جاء ليخبر النبي ﷺ فوجد الوحي قد ورد بذلك، فما راعه إلا أذان بلال، فقال له النبي ﷺ: «**سبقك بذلك الوحي**»[1].

وهذا أصح مما حكى الداودي[2] عن ابن إسحاق: أن جبريل أتى النبي ﷺ بالأذان قبل أن يخبره عبد الله بن زيد وعمر بثمانية أيام.

وقد عرفت رؤيا عبد الله بن زيد برواية ابن أسحاق وغيره: وذلك أنه قال:

«طاف بي - وأنا نائم - رجل يحمل ناقوساً في يده، فقلت يا عبد الله أتبيع الناقوس؟ قال: وما تصنع به؟ قلت: ندعو به إلى الصلاة، قال: أفلا أدلك على ما هو خير لك من ذلك؟ فقلت [له][3] بلى، قال: تقول الله أكبر، الله أكبر وذكر بقية كلمات الأذان. قال: ثم استأخر عني غير بعيد ثم قال [ثم تقول][3] إذا أقمت. . .الصلاة فقل: الله أكبر، الله أكبر، إلى آخر كلمات الإقامة»[4]. ورواه أبو داود بإسناد صحيح.

ولم تعرف كيفية رؤيا عمر حين رأى النداء، وقد قال: رأيت مثل الذي رأى.

وفي مسند الحارث: أول من أذن بالصلاة جبريل، أذن في سماء الدنيا فسمعه عمر وبلال، فسبق عمر بلالاً إلى رسول الله ﷺ فأخبره بها، فقال عليه السلام لبلال «**سبقك بها عمر**»[5] وظاهره: أن عمر وبلالاً سمعا ذلك في اليقظة.

وقد وردت أحاديث تدل على أن الأذان شرع بمكة قبل الهجرة:

منها للطبراني من طريق سالم بن عبد الله بن عمر، عن أبيه قال: لما أسري بالنبي ﷺ أوحى الله إليه الأذان فنزل به وعلمه بلالا.

وفي إسناده طلحة بن زيد وهو متروك.

ومنها: للدارقطني في «الأفراد»، من حديث أنس أن جبريل أمر النبي ﷺ بالأذان حين فرضت الصلاة. وإسناده ضعيف.

ومنها: حديث البزار عن علي، المتقدم.

قال في فتح الباري: والحق أنه لا يصح شيء من هذه الأحاديث وقد جزم ابن

---

(١) انظر مراسيل أبو داوود صفحة ٥ وفتح الباري ٢/ ١٠٥.

(٢) هو أحمد بن نصر البشكري أبو جعفر. فقيه مالكي توفي بتلمسان سنة (٤٣٠ هـ) الديباج المذهب ٣٥.

(٣) ليست في الأصل وهي في سنن أبي داوود.

(٤) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة باب (٢٨) رقم الحديث (٤٩٩).

(٥) انظر فتح الباري ٢/ ١٠٠ (٦٠٤).

المنذر بأنه ﷺ كان يصلي بغير أذان منذ فرضت الصلاة بمكة إلى أن هاجر إلى المدينة، إلى أن وقع التشاور في ذلك. والله سبحانه أعلم.

فإن قلت: هل أذن ﷺ بنفسه قط؟

أجاب السهيلي: بأنه قد روى الترمذي من طريق يدور على عمر ابن الرماح، قاضي بلخ يرفعه إلى أبي هريرة أنه ﷺ أذن في سفر وصلى وهم على رواحلهم[1]. الحديث. قال: فنزع بعض الناس بهذا الحديث إلى أنه ﷺ أذن بنفسه. انتهى.

وليس هذا الحديث من حديث أبي هريرة، إنما هو من حديث يعلى بن مرة.

وكذا جزم النووي بأنه عليه الصلاة والسلام أذن مرة في السفر، وعزاه للترمذي وقواه.

ولكن روى الحديث الدارقطني وقال فيه: أمر بالأذان، ولم يقل: أذن. قال السهيلي: والمفصل يقضي على المجمل المحتمل.

وفي مسند أحمد من الوجه الذي أخرج منه الترمذي هذا الحديث: فأمر بلالاً فأذن[2]، قال في فتح الباري فعرف أن في رواية الترمذي اختصاراً، وأن قوله أذن: أمر، كما يقال: أعطى الخليفة فلاناً ألفاً، وإنما باشر العطاء غيره، ونسب للخليفة لكونه أمر، انتهى.

فإن قلت هل صلى النبي ﷺ خلف أحد من أصحابه؟ قلت:

نعم، ثبت في صحيح مسلم وغيره أنه ﷺ صلى خلف عبد الرحمن بن عوف، ولفظه: عن المغيرة بن شعبة أنه غزا مع رسول الله ﷺ تبوك، فتبرز رسول الله ﷺ قبل الغائط، فحمل معه إداوة قبل صلاة الفجر... الحديث إلى أن قال: فأقبلت معه حتى نجد الناس قد قدموا عبد الرحمن بن عوف فصلى بهم، فأدرك رسول الله ﷺ إحدى الركعتين، فصلى مع الناس الركعة الأخيرة، فلما سلم عبد الرحمن بن عوف قام رسول الله ﷺ يتم صلاته، فأفزع ذلك المسلمين، فأكثروا التسبيح، فلما قضى النبي ﷺ صلاته أقبل عليهم ثم قال؛ أحسنتم، أو قال: أصبتم يغبطهم أن صلوا لوقتها[3].

ورواه أبو داود في السنن بنحوه ولفظه: ووجدنا عبد الرحمن وقد ركع بهم ركعة

---

(١) أخرجه الترمذي باب (١٨٦) رقم الحديث (٤١١).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في المسند ٤/ ١٧٤.

(٣) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ٤/ ٢٤٩ وصحيح مسلم رقم الحديث (٢٧٤).

من صلاة الفجر، فقام رسول الله ﷺ فصف مع المسلمين فصلى وراء عبد الرحمن بن عوف الركعة الثانية، ثم سلم عبد الرحمن، فقام رسول الله ﷺ في صلاته[1] الحديث.

قال النووي: فيه جواز اقتداء الفاضل بالمفضول، وجواز اقتداء النبي ﷺ خلف بعض أمته.

قال: وأما بقاء عبد الرحمن في صلاته وتأخر أبي بكر رضي الله عنه ليتقدم النبي ﷺ، فالفرق بينهما أن عبد الرحمن كان قد ركع ركعة، فترك النبي ﷺ التقدم لئلا يختل ترتيب صلاة القوم، بخلاف صلاة أبي بكر.

نعم في السيرة الهشامية: أن أبا بكر كان الإمام وأن رسول الله ﷺ كان يأتم به. لكنه ـ كما قال السهيلي ـ حديث مرسل في السيرة، والمعروف في الصحاح أن أبا بكر كان يصلي بصلاة رسول الله ﷺ، والناس يصلون بصلاة أبي بكر.

لكن قد روي عن أنس من طريق متصل: أن أبا بكر كان الإمام يومئذ، واختلف فيه خبر عائشة رضي الله عنها. انتهى.

وفي الترمذي مصححاً من حديث جابر: أن آخر صلاة صلاها رسول الله ﷺ في ثوب واحد متوشحاً به خلف أبي بكر[2].

قال ابن الملقن[3]: وقد نصر هذا القول غير واحد من الحفاظ: منهم الضياء، وابن ناصر[4]، وقال: صح وثبت أنه ﷺ صلى خلف أبي بكر مقتدياً به في مرضه الذي مات فيه ثلاث مرات، ولا ينكر هذا إلا جاهل لا علم له بالرواية.

وقيل: إنه كان مرتين، جمعاً بين الأحاديث، وبه جزم ابن حبان.

---

(١) أخرجه أبو داود، في كتاب الطهارة باب (٦٠) رقم الحديث (١٤٩).

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الصلاة باب (١٥١) رقم الحديث (٣٦٣).

(٣) هو عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي، سراج الدين أبو حفص بن النحوي، المعروف بابن الملقن. (٧٢٣ ـ ٨٠٤ هـ). عالم بالحديث والفقه توفي في القاهرة. الأعلام ٥/ ٥٧. الضوء اللامع ٣/ ١٠٠ رقم الترجمة (٣٣٠).

(٤) هو محمد بن ناصر بن محمد بن علي أبو الفضل السلامي ويقال له بن ناصر. (٤٦٧ ـ ٥٥٠ هـ). محدث. توفي في بغداد. الأعلام ٧/ ١٢١. وفيات الأعيان ١/ ٤٨٨. المنتظم ١٨/ ١٠٣ رقم الترجمة (٤٢٠١). شذرات الذهب ٤/ ١٥٥. تذكرة الحفاظ ٤/ ١٢٨٩ رقم الترجمة (١٠٧٩).

وروى الدارقطني من طريق المغيرة بن شعبة أن رسول الله ﷺ قال: «**ما مات نبي حتى يؤمه رجل من أمته**»[1].

ولما كان بعد شهر من مقدمه عليه الصلاة والسلام لاثنتي عشرة خلت من ربيع الآخر ـ قال الدولابي يوم الثلاثاء، وقال السهيلي بعد الهجرة بعام أو نحوه ـ زيد في صلاة الحضر ركعتان ركعتان، وتركت صلاة الفجر لطول القراءة فيها، وصلاة المغرب لأنها وتر النهار، وأقرت صلاة السفر.

وفي البخاري عن عائشة (فرضت الصلاة ركعتين [ركعتين]) ثم هاجر النبي ﷺ [إلى المدينة] ففرضت أربعاً. وتركت صلاة الفجر لطول القراءة فيها، وصلاة المغرب لأنها وتر النهار، وأقرت صلاة السفر)[2].

وفي البخاري عن عائشة فرضت الصلاة ركعتين ثم هاجر النبي ففرضت أربعاً، وتركت صلاة السفر على الفريضة الأولى[3].

وقيل إنما فرضت أربعاً، ثم خفف عن المسافر. ويدل له حديث: (إن الله وضع عن المسافر شطر الصلاة)[4].

وقيل: إنما فرضت في الحضر أربعاً، وفي السفر ركعتين، وهو قول ابن عباس، قال رضي الله عنه: (فرض الله الصلاة على لسان نبيكم ﷺ في الحضر أربعاً، وفي السفر ركعتين)[5] رواه مسلم وغيره.

وسيأتي مزيد لذلك إن شاء الله تعالى في أول الصلاة من مقصد عباداته عليه الصلاة والسلام.

قال ابن إسحاق وغيره: ونصبت أحبار يهود العداوة للنبي ﷺ بغياً وحسداً، وسحره لبيد بن الأعصم، وهو من يهود بني زريق، فكان يخيل إليه أنه يفعل الفعل وهو لا يفعله، وجعل سحره في مشط ومشاطة، ودفنه في بئر ذي أروان ـ وأكثر أهل الحديث

---

(١) ذكره ابن عبد البر في التمهيد ٦/ ١٤٤.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة باب (١) رقم الحديث (٣٥٠ ـ ٣٩٣٥) والنسائي باب كيف فرضت الصلاة ١/ ٢٢٥.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار باب (٤٨) رقم الحديث (٣٩٣٥).

(٤) أخرجه أبو داوود في كتاب الصيام باب (٤٤) رقم الحديث (٢٤٠٨). وجمع الجوامع (٥٠٨٦) والدر المنثور ١/ ١٩٣ كنز العمال (٢٠١٨١).

(٥) أخرجه أبو داوود في كتاب الصلاة باب (١٨) رقم الحديث (١٢٤٧) وأخرجه مسلم أيضاً برقم (٦٨٧).

يقول: ذروان ـ تحت راعوفة البئر[1]، كما ثبت في الصحيح.

وليس هذا بقادح في النبوة، فإن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يبتلون في أبدانهم بالجراحات والسموم والقتل غير ذلك مما جوّزه العلماء عليهم.

وانضاف إلى اليهود جماعة من الأوس والخزرج، منافقون، على دين آبائهم من الشرك والتكذيب بالبعث، إلا أنهم قهروا بظهور الإسلام، فأظهروه واتخذوه جنة من القتل، ونافقوا في السر، منهم عبد الله بن أبي بن سلول، وكان رأس المنافقين، وهو الذي قال: ﴿**لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل**﴾ [المنافقون: ٨] كما سيأتي إن شاء الله في غزوة بني المصطلق.

(١) أخرجه البخاري في كتاب الطب باب (٤٧) رقم الحديث (٥٧٦٣ ـ ٣١٧٥) ومسلم في صحيحه رقم الحديث (٢١٨٩).

ـ مغازيه وسراياه وبعوثه[1] ﷺ

وأذن الله تعالى لرسوله ﷺ بالقتال. قال الزهري: أول آية نزلت في الإذن بالقتال ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير﴾ [الحج: ٣٩] أخرجه النسائي بإسناد صحيح[2].

قال في البحر: والمأذون فيه ـ أي في الآية ـ محذوف، أي: في القتال، لدلالة «يقاتلون» عليه، وعلل الإذن: بأنهم ظلموا، كانوا يأتون رسول الله ﷺ من بين مضروب ومشجوج، فيقول لهم: اصبروا، فإني لم أومر بالقتال، حتى هاجر فأذن له بالقتال بعدما نهي عنه في نيف وسبعين آية. انتهى.

وقال غيره: وإنما شرع الله تعالى الجهاد في الوقت اللائق به، لأنهم لما كانوا بمكة كان المشركون أكثر عدداً، فلو أمر المسلمون ـ وهم قليلون ـ بقتال الباغين لشق عليهم، فلما بغى المشركون، وأخرجوه ﷺ من بين أظهرهم وهموا بقتله، واستقر عليه الصلاة والسلام بالمدينة واجتمع عليه أصحابه، وقاموا بنصره، وصارت المدينة لهم دار إسلام، ومعقلاً يلجؤون إليه، شرع الله تعالى جهاد الأعداء، فبعث ﷺ البعوث والسرايا وغزا وقاتل هو وأصحابه حتى دخل الناس في دين الله أفواجاً أفواجاً.

وكان عدد مغازيه ﷺ التي خرج فيها بنفسه، سبعاً وعشرين. قاتل في تسع منها بنفسه الشريفة ﷺ: بدر، وأحد، والمريسيع، والخندق، وقريظة، وخيبر، وفتح مكة، وحنين، والطائف. وهذا على قول من قال: فتحت مكة عنوة.

---

(١) جرت عادة أهل السير غالباً أن يسموا كل عسكر حضره النبي ﷺ بنفسه غزوة ـ ومالم يحضر سرية وبعثاً. انظر طبقات ابن سعد ٢/٣ والسيرة لابن هشام ٢/ ٢٤٠ وما بعدها وانظر شرح المواهب ١/ ٣٧٥.

(٢) انظر تفسير البغوي ٣/ ٢٤٤ [الحج: ٣٩] أخرجه النسائي كتاب الجهاد باب وجوب الجهاد ٦/ ٢.

وكانت سراياه التي بعث فيها سبعاً وأربعين سرية[1]. وقيل: إنه قاتل في بني النضير.

وأفاد في فتح الباري: أن السرية ـ بفتح المهملة وكسر الراء وتشديد التحتانية ـ هي التي تخرج بالليل ـ والسارية: التي تخرج بالنهار.

قال: وقيل سميت بذلك ـ يعني السرية ـ لأنّه يخفى ذهابها. وهذا يقتضي أنها أخذت من السر، ولا يصح، لاختلاف المادة.

وهي قطعة من الجيش تخرج منه وتعود إليه، وهي من مائة إلى خمسمائة، فما زاد على خمسمائة يقال له منسر ـ بالنون ثم المهملة ـ فإن زاد على الثمانمائة سمي جيشاً، [وما بينهما يسمى هبطة][2]، فإن زاد على أربعة آلاف سمي جحفلاً، والخميس: الجيش العظيم، وما افترق من السرية يسمى بعثاً[3]، والكتيبة ما اجتمع ولم ينتشر[4]، انتهى ملخصاً.

وكان أول بعوثه ﷺ على رأس سبعة أشهر، في رمضان، وقيل في ربيع الأول سنة اثنتين. بعث عمه حمزة[5]، وأمره على ثلاثين رجلاً من المهاجرين.

وقيل من الأنصار، وفيه نظر، لأنه لم يبعث أحداً من الأنصار حتى غزا بهم بدراً، لأنهم شرطوا له أن يمنعوه في دارهم.

فخرجوا يعترضون عيراً لقريش، فيها أبو جهل اللعين، فلقيه في ثلاثمائة راكب فبلغوا سيف البحر من ناحية العيص، فلما تصافوا حجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني، وكان عليه السلام قد عقد له لواء أبيض.

«واللواء هو العلم الذي يحمل في الحرب، يعرف به موضع صاحب الجيش، وقد يحمله أمير الجيش، وقد يدفعه لمقدم المعسكر».

وقد صرح جماعة من أهل اللغة بترادف اللواء والراية، لكن روى أحمد والترمذي

---

(١) قال ابن إسحاق: وكانت بعوثه ﷺ وسراياه ثمانياً وثلاثين من بين بعث وسرية. انظر البداية والنهاية ٥/ ١٩١. و ٣/ ٢٣٥.

(٢) ليست في الأصل. وهي من كلام الحافظ في فتح الباري ٨/ ٧٠.

(٣) قوله: فالعشرة وما بعدها تسمى حفيرة والأربعون عصبة وإلى الثلاثمائة مقنب [بقاف ونون ثم موحدة] فإن زاد سمي جمرة بالجيم.

(٤) انظر فتح الباري ٨/ ٧٠.

(٥) انظر طبقات ابن سعد ٢/٣ والبداية والنهاية ٣/ ٢٣٢ وانظر شرح المواهب ١/ ٣٩٠.

عن ابن عباس: كانت راية رسول الله ﷺ سوداء، ولواؤه أبيض[١]، ومثله عند الطبراني عن بريدة، وعند ابن عدي[٢] عن أبي هريرة وزاد: مكتوب فيه لا إله إلا الله محمد رسول الله.

وهو ظاهر في التغاير، ولعل التفرقة بينهما عرفية.

وذكر ابن إسحاق، وكذا أبو الأسود عن عروة: أن أول ما حدثت الرايات يوم خيبر، وما كانوا يعرفون قبل ذلك إلا الألوية. انتهى.

ثم سرية عبيدة بن الحارث[٣] إلى بطن رابغ، في شوال، على رأس ثمانية أشهر، في ستين رجلاً، وعقد له لواء أبيض، حمله مسطح بن أثاثة، يلقى أبا سفيان بن حرب. وكان على المشركين ـ وقيل مكرز بن حفص، وقيل عكرمة بن أبي جهل ـ في مائتين، ولم يكن بينهم قتال، إلا أن سعد بن أبي وقاص رمى بسهم، فكان أول سهم رمي في الإسلام.

وقال ابن إسحاق: وكانت راية عبيدة ـ فيما بلغنا ـ أول راية عقدت في الإسلام، وبعض الناس يقول: راية حمزة. قال: وإنما أشكل أمرهما لأنه عليه الصلاة والسلام بعثهما معاً، فاشتبه ذلك على الناس. انتهى.

وهذا يشكل بقولهم: إن بعث حمزة كان على رأس سبعة أشهر، لكن يحتمل أن يكون ﷺ عقد رايتيهما معاً، ثم تأخر خروج عبيدة إلى رأس الثمانية، لأمر اقتضاه، والله أعلم.

ثم سرية سعد بن أبي وقاص[٤] إلى الخرار ـ بخاء معجمة وراءيـن مهملتين، وهو واد بالحجاز يصب في الجحفة ـ وكان ذلك في ذي القعدة، على رأس تسعة أشهر، وعقد له لواء أبيض، حمله المقداد بن عمرو، في عشرين رجلاً، يعترض عيراً لقريش،

---

(١) انظر شرح السنة للبغوي ١٠/ ٤٠٤.

(٢) هو عبد الله بن عدي بن عبد الله بن محمد ابن مبارك بن القطان الجرجاني أبو أحمد (٢٧٧ ـ ٣٦٥ هـ). عالم بالحديث. الأعلام ٤/ ١٠٣ تذكرة الحفاظ ٣/ ٩٤٠ رقم الترجمة (٨٩٣) شذرات الذهب ٣/ ٥١ طبقات الشافعية ٢٠/ ٢٣٣. مرآة الجنان ٢/ ٣٧١ كشف الظنون ١٣٨٢ تاريخ جرجان ٢٦٦ رقم الترجمة (٤٤٣).

(٣) انظر طبقات ابن سعد ٢/ ٤ والبداية ٣/ ٢٣٢ والسيرة لابن هشام ٢/ ٢٤١ تاريخ الطبري ٢/ ٤٠٤ شرح المواهب ١/ ٣٩١.

(٤) انظر طبقات ابن سعد ٢/ ٤ والسيرة لابن هشام ٢/ ٢٥١ وتاريخ الطبري ٢/ ٤٠٤ وشرح المواهب ١/ ٣٩٢.

فخرجوا على أقدامهم، فصبحوها صبح خامسة فوجدوا العير قد مرت بالأمس.

ثم غزوة ودان[1]، وهي الأبواء، وهي أول مغازيه، كما ذكره ابن إسحاق وغيره. وفي البخاري: أن أولها الأبواء.

خرج ﷺ في صفر على رأس اثني عشر شهراً من مقدمه المدينة، يريد قريشاً، في ستين رجلاً، وحمل اللواء حمزة بن عبد المطلب. فكانت الموادعة ـ أي المصالحة ـ على أن بني ضمرة لا يغزونه ولا يكثرون عليه جمعاً، ولا يعينون عليه عدواً.
واستعمل على المدينة سعد بن عبادة[2].

وليس بين ما وقع في سيرة ابن إسحاق وبين ما نقله عنه البخاري اختلاف، لأن الأبواء وودان مكانان متقاربان بينهما ستة أميال أو ثمانية.

ثم غزوة بواط[3] ـ بفتح الموحدة وقد تضم وتخفيف الواو وآخره مهملة ـ وهي الثانية، غزاها ﷺ في شهر ربيع الأول، على رأس ثلاثة عشر شهراً من الهجرة، حتى بلغها من ناحية رضوى ـ بفتح الراء وسكون المعجمة، مقصور ـ في مائتين من أصحابه، يعترض عيراً لقريش فيهم أمية بن خلف الجمحي واستعمل على المدينة السائب بن عثمان بن مظعون.

فرجع ولم يلقَ كيداً، أي حرباً، قال ابن الأثير: والكيد الاحتيال والاجتهاد، وبه سميت الحرب كيداً.

ثم غزوة العشيرة[4] ـ بالشين المعجمة، والتصغير، آخره هاء. لم يختلف أهل المغازي في ذلك، وفي البخاري: العشيراء، أو: العسيرة، والأولى بالمعجمة بلا هاء، والثانية: بالمهملة وبالهاء ـ وأما غزوة العسرة ـ بالمهملة بغير تصغير ـ فهي غزوة تبوك، وستأتي إن شاء الله تعالى.

---

(١) انظر طبقات ابن سعد ٢/ ٥ والسيرة لابن هشام ٢/ ٢٤١ والمنتظم ٣/ ٨٨ وتاريخ الطبري ٢/ ٤٠٧ البداية والنهاية ٣/ ٢٤٠ وشرح المواهب ١/ ٣٩٢.

(٢) هو سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة الخزرجي أبو ثابت صحابي توفي سنة (١٤ هـ). الأعلام ٣/ ٨٥ الإصابة ٣/ ٨٠ رقم الترجمة (٣١٦٧).

(٣) انظر طبقات ابن سعد ٢/ ٥ وتاريخ الطبري ٢/ ٤٠٧ والسيرة لابن هشام ٢/ ٢٤٨ والبداية ٣/ ٢٤٥ والمنتظم ٣/ ٨٩ وشرح المواهب ١/ ٣٩٣.

(٤) انظر السيرة لابن هشام ٢/ ٢٤٨ المنتظم ٣/ ٩٠ والبداية ٣/ ٢٤٥ وطبقات ابن سعد ٢/ ٦ والطبري ٢/ ٤٠٨ وشرح المواهب ١/ ٣٩٤.

ونسبت هذه إلى المكان الذي وصلوا إلى المكان الذي وصلوا إليه، وهو موضع لبني مدلج بينبع.

وخرج إليها ﷺ في جمادى الأولى - وقيل: الآخرة - على رأس ستة عشر شهراً من الهجرة، في خمسين ومائة رجل - وقيل في مائتي رجل - ومعهم ثلاثون بعيراً يتعقبونها، وحمل اللواء - وكان أبيض - حمزة، يريد عير قريش التي صدرت من مكة إلى الشام بالتجارة. فخرج إليها ليغنمها فوجدها قد مضت.

ووداع بني مدلج من كنانة[1].

وكانت نسخة الموادعة فيما ذكره غير ابن إسحاق.

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من محمد رسول الله لبني ضمرة، فإنهم آمنون على أموالهم وأنفسهم، وأن لهم النصر على من رامهم أن لا يحاربوا في دين الله ما بل بحر صوفة، وأن النبي إذا دعاهم لنصر أجابوه، عليهم بذلك ذمة الله ورسوله[2].

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد.

ثم غزوة بدر[3] الأولى. قال ابن إسحاق: ولما رجع عليه الصلاة والسلام - أي: من غزوة العشيرة - لم يقم إلا ليالي، وقال ابن حزم: بعد العشيرة بعشرة أيام، حتى أغار كرز بن جابر الفهري على سرح المدينة، فخرج ﷺ في طلبه حتى بلغ سفوان - بفتح المهملة والفاء - موضع من ناحية بدر، ففاته كرز بن جابر. وتسمى بدراً الأولى.

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة زيد بن حارثة، وحمل اللواء علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه.

ثم سرية أمير المؤمنين عبد الله بن جحش[4] في رجب على رأس سبعة عشر شهراً، وكان معه ثمانية - وقيل اثنا عشر - من المهاجرين، إلى نخلة على ليلة من مكة، في رجب يترصد قريشاً، فمرت بهم عيرهم تحمل زبيباً وأدماً من الطائف، فيها عمرو بن الحضرمي، فتشاور المسلمون وقالوا: نحن في آخر يوم من رجب، فإن قتلناهم هتكنا

---

(١) انظر طبقات ابن سعد ٢/ ٦.

(٢) [كانت هذه الموادعة في غزوة ودان - الأبواء -] انظر السيرة لابن هشام ٢/ ٢٤١ وطبقات ابن سعد ٢/ ٥ والمنتظم ٣/ ٨٩ والبداية ٣/ ٢٤٠.

(٣) انظر السيرة لابن هشام ٢/ ٢٥١ وشرح المواهب ١/ ٣٩٦ والبداية والنهاية ٣/ ٢٤٦.

(٤) انظر السيرة لابن هشام ٢/ ٢٥٢ والمنتظم ٣/ ٩١ والبداية ٣/ ٢٤٧ طبقات ابن سعد ٢/ ٧ وشرح المواهب ١/ ٣٩٧.

حرمة الشهر، وإن تركناهم الليلة دخلوا حرمة مكة، فأجمعوا على قتلهم فقتلوا عمراً واستأسروا عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان، وهرب من هرب، واستاقوا العير، وكانت أول غنيمة في الإسلام، فقسمها ابن جحش، وعزل الخمس من ذلك قبل أن يفرض، ويقال: بل قدموا بالغنيمة كلها.

فقال النبي ﷺ: «**ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام**»[1] فأخر الأسيرين والغنيمة حتى رجع من بدر فقسمها مع غنائمها.

وتكلمت قريش: إن محمداً سفك الدماء، وأخذ المال في الشهر الحرام، فأنزل الله تعالى: ﴿**يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه..**﴾ [البقرة: ٢١٧] الآية وفي ذلك يقول عبد الله بن جحش:

تعدون قتلاً في الحرام عظيمة	وأعظم منه لو يرى ذاك راشد
صدودكم عما يقول محمد	وكفر به والله راء وشاهد
سقينا من ابن الحضرمي رماحنا	بنخلة لما أوقد الحرب واقد

وبعثت قريش إلى رسول الله ﷺ في فداء الأسيرين، وهما: عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان، ففاداهما رسول الله ﷺ. فأما الحكم فأسلم وحسن إسلامه، وأقام عند رسول الله ﷺ حتى قتل يوم بئر معونة شهيداً، وأما عثمان فلحق بمكة فمات بها كافراً.

ثم حولت القبلة إلى الكعبة[2]، وكان رسول الله ﷺ يصلي إلى بيت المقدس بالمدينة ستة عشر شهراً[3].

وقيل سبعة عشر، وقيل ثمانية عشر شهراً.

وقال الحربي: قدم ﷺ المدينة في ربيع الأول، فصلى إلى بيت المقدس تمام السنة وصلى من سنة اثنتين ستة أشهر. ثم حولت القبلة.

وقيل: كان تحويلها في جمادى، وقيل: كان يوم الثلاثاء في نصف شعبان، وقيل يوم الإثنين نصف رجب.

---

(١) انظر المنتظم ٣/ ٩٣ والبداية ٣/ ٢٤٨.

(٢) انظر المنتظم ٣/ ٩٣ والبداية ٣/ ٢٥١ وطبقات ابن سعد ١/ ١٨٦ والسيرة لابن هشام ٢/ ٢٥٧ وانظر شرح الزرقاني للمواهب ١/ ٣٩٩.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه رقم الحديث (٥٢٥) والنسائي كتاب الصلاة باب فرض القبلة ١/ ٢٤٣ وفي كتاب القبلة باب استقبال القبلة ٢/ ٦٠.

وظاهر حديث البراء في البخاري: أنها كانت صلاة العصر.

ووقع عند النسائي من رواية سعيد بن المعلى: أنها الظهر.

وأما أهل قباء فلم يبلغهم الخبر إلى صلاة الفجر من اليوم الثاني، كما في الصحيحين عن ابن عمر أنه قال: بينما الناس بقباء في صلاة الصبح إذ جاءهم آت فقال: إن رسول الله ﷺ قد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة(١).

وفي هذا دليل على أن الناسخ لا يلزم حكمه إلا بعد العلم به، وإن تقدم نزوله، لأنهم لم يؤمروا بإعادة العصر والمغرب والعشاء والله أعلم.

وروى الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما: لما هاجر ﷺ إلى المدينة، واليهود أكثر أهلها يستقبلون بيت المقدس أمره الله تعالى أن يستقبل بيت المقدس، ففرحت اليهود، فاستقبلها سبعة عشر شهراً، وكان ﷺ يحب أن يستقبل قبلة إبراهيم، فكان يدعو وينظر إلى السماء فنزلت الآية(٢).

قال في فتح الباري وظاهر حديث ابن عباس هذا أن استقبال بيت المقدس إنما وقع بعد الهجرة إلى المدينة. لكن أخرج أحمد من وجه آخر عن ابن عباس رضي الله عنهما: كان ﷺ يصلي بمكة نحو بيت المقدس، والكعبة بين يديه، قال: والجمع بينهما ممكن: بأن يكون أمر لما هاجر أن يستمر على الصلاة لبيت المقدس.

وأخرج الطبري أيضاً من طريق ابن جريج قال: صلى النبي ﷺ أول ما صلى إلى الكعبة، ثم صرف إلى بيت المقدس وهو بمكة، فصلى ثلاث حجج، ثم هاجر، فصلى إليه بعد قدومه المدينة ستة عشر شهراً، ثم وجهه الله إلى الكعبة.

وقوله في حديث ابن عباس الأول: «أمره الله تعالى» يرد قول من قال: إنه صلى إلى بيت المقدس باجتهاد.

وعن أبي العالية: أنه صلى إلى بيت المقدس يتألف أهل الكتاب. وهذا لا ينفي أن يكون بتوقيف.

واختلفوا في المسجد الذي كان يصلي فيه:

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة باب (٣٤) رقم الحديث (٤٠٣) ومسلم برقم (٥٢٦).

(٢) ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً ترضَاهَا فَوَلِّ وجهَكَ شَطْرَ المسجدِ الحَرامِ وحيثُ ما كُنْتُم فولُّوا وُجُوهَكُم شَطْرَهُ وإنَّ الذينَ أُوتوا الكتابَ ليعلمونَ أنه الحقُّ منْ رَبهم وما الله بغَافلٍ عَمَّا يَعملُونَ﴾ [البقرة: ١٤٤].

فعند ابن سعد في الطبقات: أنه صلى ركعتين من الظهر في مسجده بالمسلمين، ثم أمر أن يتوجه إلى المسجد الحرام، فاستدار إليه ودار معه المسلمون.

ويقال: إنه ﷺ زار أم بشر بن البراء بن معرور في بني سلمة، فصنعت له طعاماً، وكانت الظهر، فصلى عليه الصلاة والسلام بأصحابه ركعتين، ثم أمر فاستدار، إلى الكعبة، واستقبل الميزاب، فمسي مسجد القبلتين. قال ابن سعد قال الواقدي: هذا عندنا أثبت[1].

ولما حول الله تعالى القبلة حصل لبعض الناس من المنافقين والكفار واليهود ارتياب وزيغ عن الهدى وشك، وقالوا: ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها، أي: ما لهؤلاء تارة يستقبلون كذا، وتارة يستقبلون كذا، فأنزل الله جوابهم في قوله **﴿قل لله المشرق والمغرب﴾** [البقرة: ١٤٢] أي الحكم والتصرف، والأمر كله لله، فحيثما توجهنا فالطاعة في امتثال أمره، ولو وجهنا كل يوم مرات إلى جهات متعددة فنحن عبيده، وفي تصريفه وخدامه حيثما وجهنا توجهنا.

ولله تعالى بنبينا عليه السلام وبأمته عناية عظيمة، إذ هداهم إلى قبلة خليله، قال عليه السلام فيما رواه أحمد من حديث عائشة رضي الله عنها: إن اليهود لا يحسدوننا على شيء كما يحسدوننا على يوم الجمعة، التي هدانا الله إليها وضلوا عنها. وعلى القبلة التي هدانا الله إليها وضلوا عنها، وعلى قولنا خلف الإمام: آمين[2].

وقال بعض المؤمنين: فكيف صلاتنا التي صليناها نحو بيت المقدس؟ وكيف من مات من إخواننا وهم يصلون إلى بيت المقدس؟ فأنزل الله **﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾** [البقرة: ١٤٣].

وقيل قال اليهود: اشتاق إلى بلد أبيه، وهو يريد أن يرضي قومه، ولو ثبت على قبلتنا لرجونا أن يكون هو النبي الذي ننتظر أن يأتي. فأنزل الله تعالى: **﴿وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم﴾** [البقرة: ١٤٤] يعني أن اليهود الذين أنكروا استقبالكم الكعبة وانصرافكم عن بيت المقدس يعلمون أن الله سيوجهك إليها بما في كتبهم عن أنبيائهم.

ثم فرض صيام شهر رمضان[3]، بعدما حولت القبلة إلى الكعبة بشهر، في شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من مقدمه ﷺ.

---

(١) انظر طبقات ابن سعد ١/ ١٨٦

(٢) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في المسند ٦/ ١٣٥.

(٣) انظر شرح الزرقاني للمواهب ١/ ٣٩٩.

وزكاة الفطر قبل العيد بيومين: أن يخرج عن الصغير والكبير والحر والعبد والذكر والأنثى صاع من تمر، أو صاع من زبيب، أو صاع من شعير أو صاع من بر، وذلك قبل أن تفرض زكاة الأموال.

وقيل إن زكاة الأموال فرضت فيها، وقيل: قبل الهجرة والله أعلم.

ثم غزوة بدر الكبرى[1]، وتسمى العظمى، والثانية، وبدر القتال.

وهي قرية مشهورة، نسبت إلى بدر بن يخلد بن النضر بن كنانة، كان نزلها، وقيل: بدر بن الحارث، حافر بئرها، وقيل بدر اسم البئر التي بها سميت لاستدارتها، أو لصفائها ورؤية البدر فيها.

وقال ابن كثير: وهو يوم الفرقان، والذي أعز الله فيه الإسلام وأهله، ودمغ فيه الشرك وخرب محله، وهذا مع قلة عدد المسلمين، وكثرة العدو مع ما كانوا فيه من سوابغ الحديد، والعدة الكاملة، والخيول المسومة، والخيلاء الزائدة، فأعز الله تعالى رسوله وأظهر وحيه وتنزيله، وبيّض وجه النبي ﷺ وقبيله، وأخزى الشيطان وجيله، ولهذا قال تعالى ممتناً على عباده المؤمنين وحزبه المتقين: ﴿**ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة**﴾ [آل عمران: ١٢٣] أي قليل عددكم، لتعلموا أن النصر إنما هو من عند الله، لا بكثرة العدد والعدد[2]. انتهى.

فقد كانت هذه الغزوة أعظم غزوات الإسلام، إذ منها كان ظهوره، وبعد وقوعها أشرق على الآفاق نوره، ومن حين وقوعها أذل الله الكفار، وأعز من حضرها من المسلمين، فهو عنده من الأبرار.

وكان خروجهم يوم السبت لثنتي عشرة خلت من رمضان، على رأس تسعة عشر شهراً، ويقال: لثمان خلون منه. قاله ابن هشام.

واستخلف أبا لبابة الأنصاري.

وخرج معه الأنصار، ولم تكن قبل ذلك خرجت معه، وكان عدة من خرج معه ثلاثمائة وخمسة، وثمانية لم يحضروها، إنما ضرب لهم بسهمهم وأجرهم فكانوا كمن حضرها.

وكان معهم ثلاثة أفراس: «بعزجة» فرس المقداد، و «العيسوب» فرس الزبير

---

(١) انظر البداية والنهاية ٣/ ٢٥٥ تاريخ الطبري ٢/ ٤٢١ والسيرة لابن هشام ٢/ ٢٥٦ والمنتظم ٣/ ٩٧ وشرح المواهب للزرقاني ١/ ٤٠٦ وطبقات ابن سعد ٢/ ٨.

(٢) انظر تفسير ابن كثير ١/ ٤٠٠.

وفرس لمرثد الغنوي[1]، لم يكن لهم خيل يومئذ غير هذه، وكان معهم سبعون بعيراً.

وكان المشركون ألفاً ويقال: تسعمائة وخمسون رجلاً، معهم مائة فرس، وسبعمائة بعير.

وكان قتالهم يوم الجمعة لسبع عشرة خلت من رمضان، وقيل يوم الإثنين وقيل غير ذلك.

وكانت من غير قصد من المسلمين إليها ولا ميعاد، كما قال الله تعالى: ﴿**ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولاً**﴾ [الأنفال: ٤٢].

وإنما قصد ﷺ والمسلمون التعرض لعير قريش. وذلك أن أبا سفيان كان بالشام في ثلاثين راكباً منهم عمرو بن العاصي، فأقبلوا في قافلة عظيمة، فيها أموال قريش، حتى إذا كانوا قريباً من بدر، فبلغ النبي ﷺ ذلك، فندب أصحابه إليهم وأخبرهم بكثرة المال وقلة العدو، وقال: «**هذه عير لقريش فيها أموال فاخرجوا إليها، لعل الله أن ينفلكموها**»[2].

فلما سمع أبو سفيان بسيره عليه السلام، استأجر ضمضم بن عمرو الغفاري أن يأتي قريشاً بمكة، فيستنفرهم ويخبرهم أن محمداً قد عرض لعيرهم في أصحابه.

فنهضوا في قريب من ألف ولم يتخلف أحد من أشراف قريش إلا أبا لهب، وبعث مكانه العاصي بن هشام بن المغيرة.

وخرج رسول الله ﷺ في أصحابه، حتى بلغ الروحاء، فأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عن عيرهم، فاستشار النبي ﷺ الناس في طلب العير، أو حرب النفير، وقال: «**إن الله وعدكم إحدى الطائفتين: إما العير وإما قريش**» وكانت العير أحب إليهم.

فقام أبو بكر فقال فأحسن، ثم قام عمر فقال فأحسن.

ثم قام المقداد بن عمرو، فقال: يا رسول الله امض لما أمرك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون[3]. ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا برك

---

(١) هو مرثد بن كناز بن الحصين بن يربوع الغنوي صحابي توفي سنة (٤ هـ). الأعلام ٧/ ٢٠١ الإصابة ٦/ ٧٨ رقم الترجمة (٧٨٧٢).

(٢) انظر الدر المنثور ٣/ ١٦٨ وطبقات ابن سعد ٢/ ٨ والبداية والنهاية ٣/ ٢٥٦ وتفسير القرطبي ٧/ ٣٧٣ وتفسير الطبري ٩/ ١٢٢.

(٣) إشارة إلى الآية (٢٤) من سورة المائدة. وانظر البداية والنهاية ٣/ ٢٦٢.

الغماد ـ يعني مدينة الحبشة ـ لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه.

فقال له ﷺ: «**خيراً**» ودعا له بخير. ثم قال ﷺ: «**أيها الناس أشيروا علي**» وإنما يريد الأنصار. لأنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا: يا رسول الله إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى دارنا، فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمامنا، نمنعك مما نمنع منه أنفسنا وأبناءنا ونساءنا. وكان ﷺ يتخوف أن لا تكون الأنصار ترى عليها نصرته إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم. فلما قال ذلك عليه الصلاة والسلام:

قال له سعد بن معاذ: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله. قال: «**أجل**».

قال: قد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن نلقى عدونا، إنا لصبر عند الحرب، صدق عند اللقاء، ولعل الله أن يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله تعالى.

فسر عليه الصلاة والسلام بقول سعد، ونشطه ذلك، ثم قال: «**سيروا على بركة الله تعالى وأبشروا، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني أنظر الآن إلى مصارع القوم**» قال ثابت عن أنس رضي الله عنه قال ﷺ: «**هذا مصرع فلان**» ويضع يده على الأرض، ها هنا وها هنا.. قال فما ماط أحدهم ـ أي ما تنحى ـ عن موضع يده عليه الصلاة والسلام[1].

تنبيه: قال ابن سيد الناس في «عيون الأثر»: روينا من طريق مسلم أن الذي قال ذلك: سعد بن عبادة سيد الخزرج، وإنما يعرف ذلك عن سعد بن معاذ، كذا رواه ابن إسحاق وغيره.

واختلف في شهود سعد بن عبادة بدراً، ولم يذكره ابن عقبة ولا ابن إسحاق في البدريين، وذكره الواقدي والمدائني[2] وابن الكلبي منهم. انتهى.

ثم ارتحل ﷺ قريباً من بدر، ونزلت قريش بالعدوة القصوى من الوادي، ونزل

---

(١) ذكره في مجمع الزوائد ٦/ ٨٠ والبداية والنهاية ٣/ ٢٦٢.

(٢) هو علي بن محمد بن عبد الله أبو الحسن المدائني (١٣٥ ـ ٢٢٥ هـ) مؤرخ توفي في بغداد. الأعلام ٤/ ٣٢٣ تاريخ بغداد ١٢/ ٥٤ معجم الأدباء ٤/ ٢٢٠ رقم الترجمة (٦٢٦) شذرات الذهب ٢/ ٥٤.

المسلمون على كثيب أعفر تسوخ فيه الأقدام وحوافر الدواب، وسبقهم المشركون إلى ماء بدر فأحرزوه، وحفروا القلب لأنفسهم.

وأصبح المسلمون بعضهم محدث وبعضهم جنب، وأصابهم الظمأ، وهم لا يصلون إلى الماء، ووسوس الشيطان لبعضهم وقال: تزعمون أنكم على الحق، وفيكم نبي الله. وأنكم أولياء الله، وقد غلبكم المشركون على الماء، وأنتم عطاش، وتصلون محدثين مجنبين، وما ينتظر أعداؤكم إلا أن يقطع العطش رقابكم ويذهب قواكم فيتحكموا فيكم كيف شاؤوا.

فأرسل الله عليهم مطراً سال منه الوادي، فشرب المسلمون واغتسلوا وتوضؤوا وسقوا الركاب وملؤوا الأسقية، وأطفأ الغبار ولبد الأرض حتى ثبتت عليها الأقدام. وزالت عنهم وسوسة الشيطان، وطابت أنفسهم، فذلك قوله تعالى: ﴿**وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به**﴾ [الأنفال: ١١]. أي من الأحداث والجنابة ﴿**ويذهب عنكم رجز الشيطان**﴾ [الأنفال: ١١] أي وسوسته ﴿**وليربط على قلوبكم**﴾ [الأنفال: ١١] بالصبر ﴿**ويثبت به الأقدام**﴾ [الأنفال: ١١]. حتى لا تسوخ في الرمل، بتلبيد الأرض.

وبني لرسول الله ﷺ عريش فكان فيه[1].

ثم خرج عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة، ودعا إلى المبارزة، فخرج فتية من الأنصار وهم: عوف ومعاذ ابنا الحارث ـ وأمهما عفراء ـ وعبد الله بن رواحة. فقالوا من أنتم؟ فقالوا: رهط من الأنصار، فقالوا ما لنا بكم من حاجة.

ثم نادى مناديهم: يا محمد، أخرج لنا أكفاءنا من قومنا. فقال ﷺ قم يا عبيدة بن الحارث، قم يا حمزة، قم يا علي.

فلما قاموا ودنوا منهم قالوا من أنتم؟ فتسموا لهم، فقالوا: نعم أكفاء كرام، فبارز عبيدة ـ وكان أسن القوم ـ عتبة بن ربيعة، وبارز حمزة شيبة بن ربيعة، وبارز علي الوليد بن عتبة.

فقتل علي الوليد. هكذا ذكره ابن إسحاق.

وعند موسى بن عقبة ـ كما نقله في فتح الباري ـ برز حمزة لعتبة، وعبيدة لشيبة وعلي للوليد.

ثم اتفقا: فقتل علي الوليد، وقتل حمزة الذي بارزه، واختلف عبيدة ومن بارزه

---

(١) انظر السيرة لابن هشام ٢/ ٢٧٢.

بضربتين، فوقعت الضربة في ركبة عبيدة ومال علي وحمزة على الذي بارزه عبيدة فأعاناه على قتله.

وعند الحاكم، من طريق عبد خير عن علي: مثل قول موسى بن عقبة.

وعند أبي الأسوذ عن عروة مثله.

وأورد ابن سعد من طريق عبيدة السلماني: أن شيبة لحمزة، وعبيدة لعتبة، وعلياً للوليد، ثم قال: الثبت أن عتبة لحمزة، وشيبة لعبيدة.

وأخرج أبو داود عن علي قال: تقدم عتبة وتبعه ابنه وأخوه، فنادى: من يبارز فانتدب له شبان من الأنصار، فقال: من أنتم؟ فأخبروه، فقال: لا حاجة لنا فيكم، إنما أردنا بني عمنا، فقال رسول الله ﷺ: «**قم يا حمزة، قم يا علي، قم يا عبيدة**» فأقبل حمزة إلى عتبة، وأقبلت إلى شيبة، واختلف بين عبيدة والوليد ضربتان، فأثخن كل واحد منهما صاحبه، ثم ملنا على الوليد فقتلناه واحتملنا عبيدة[1].

قال الحافظ ابن حجر: وهذا أصح الروايات، لكن الذي في السير من أن الذي بارزه علي هو الوليد هو المشهور هو اللائق بالمقام، لأن عبيدة وشيبة كانا شيخين كعتبة وحمزة، بخلاف علي والوليد فكانا شابين.

وقد روى الطبراني بإسناد حسن عن علي قال: أعنت أنا وحمزة عبيدة بن الحارث على الوليد بن عتبة، فلم يعب النبي ﷺ علينا ذلك. وهذا موافق لرواية أبي داود. والله أعلم. انتهى.

قال ابن إسحاق: ثم تزاحف الناس ودنا بعضهم من بعض.

ورسول الله ﷺ في العريش ومعه أبو بكر، ليس معه فيه غيره، وهو ﷺ يناشد ربه ما وعده من النصر ويقول: «**اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإيمان اليوم فلا تعبد في الأرض أبداً**». وأبو بكر يقول: يا رسول الله، خل بعض مناشدتك ربك، فإن الله منجز لك ما وعدك[2].

---

(١) أخرجه أبو داوود كتاب الجهاد ياب (١٠٩) رقم الحديث (٢٦٦٥) وذكره في السنن الكبرى ٣/ ٢٧٦ وفي مجمع الزوائد ٦/ ٧٦ وفي المستدرك ٣/ ١٩٤ وشرح السنة للبغوي ١١/ ٦٦ ودلائل النبوة للبيهقي ٣/ ٧٢ كنز العمال (٢٩٩٤٧).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (١٣٨٣ ـ ١٣٨٤) وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل ١/ ٣٢ وفي اتحاف السادة المتقين ٩/ ٢٢٨ وفي تفسير القرطبي ١٦/ ٢٦٣ وفي البخاري عن ابن عباس برقم (٢٩١٥ ـ ٣٩٥٣).

وعند سعيد بن منصور[1] من طريق عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وتكاثرهم وإلى المسلمين فاستقلهم، فركع ركعتين وقام أبو بكر عن يمينه، فقال عليه السلام وهو في صلاته: «**اللهم لا تخذلني، اللهم أنشدك ما وعدتني**»[2].

وروى النسائي والحاكم عن علي قال: قاتلت يوم بدر شيئاً من قتال، ثم جئت فإذا رسول الله ﷺ يقول في سجوده: «**يا حي، يا قيوم**» فرجعت وقاتلت ثم جئت فوجدته كذلك[3].

وفي الصحيح: أن رسول الله ﷺ لما كان يوم بدر في العريش مع الصديق، أخذت رسول الله ﷺ سنة من النوم ثم استيقظ متبسماً، فقال: «**أبشر با أبا بكر، هذا جبريل على ثناياه النقع**»[4] ثم خرج من باب العريش وهو يتلو ﴿**سيهزم الجمع ويولون الدبر**﴾ [القمر: ٤٥].

فإن قلت: كيف جعل أبو بكر يأمره عليه الصلاة والسلام بالكف عن الإجتهاد في الدعاء ويقوي رجائه ويثبته، ومقام الرسول ﷺ هو المقام الأحمد، ويقينه فوق يقين كل أحد؟

أجاب السهيلي نقلاً عن شيخه: بأن الصديق في تلك الساعة كان في مقام الرجاء، والنبي ﷺ في مقام الخوف، لأن لله تعالى أن يفعل ما يشاء، فخاف أن لا يعبد الله في الأرض، فخوفه ذلك عبادة. انتهى.

وقال الخطابي: لا يتوهم أحد أن أبا بكر كان أوثق بربه من النبي ﷺ في تلك الحالة، بل الحامل للنبي ﷺ على ذلك شفقته على أصحابه وتقوية قلوبهم، فبالغ في التوجه والدعاء والابتهال لتسكن نفوسهم عند ذلك لأنهم كانوا يعلمون أن وسيلته مستجابة، فلما قال له أبو بكر ما قال، كف عن ذلك وعلم أنه استجيب له لما وجد أبو بكر في نفسه من القوة والطمأنينة، فلهذا عقبه بقوله: ﴿**سيهزم الجمع ويولون الدبر**﴾ [القمر: ٤٥].

(١) هو سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني: حافظ توفي سنة (٢٢٧ هـ). وتذكرة الحفاظ ٢/ ٤١٦ رقم الترجمة (٤٢٢) شذرات الذهب ٢/ ٦٢ العبر ١/ ٣٩٩ طبقات ابن سعد ٦/ ٤٤ رقم الترجمة (١٦٥٨) وفيه: «كنيته أبو عثمان».

(٢) انظر فتح الباري ٧/ ٣٦٦ (٣٩٥٣).

(٣) ذكره البيهقي في دلائل النبوة ٣/ ٤٩ وكنز العمال (١٧٩٩٩ ـ ٢٩٩٥١) وميزان الاعتدال (٥٣٧٨) والمستدرك ١/ ٢٢٢ وفتح الباري ٧/ ٣٦٧.

(٤) ذكره ابن كثير في تفسيره ٣/ ٥٦٣ ودلائل النبوة للبيهقي ٣/ ٥٤.

وقال غيره: وكان النبي ﷺ في تلك الحالة في مقام الخوف، وهو أكمل حالات الصلاة، وجاز عنده أن لا يقع النصر يومئذ، لأن وعده بالنصر لم يكن معيناً لتلك الواقعة، وإنما كان مجملاً. هذا هو الذي يظهر من بادىء الرأي.

وإنما قال ﷺ: اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام فلا تعبد بعد اليوم لأنه علم أنه خاتم النبيين، فلو هلك هو ومن معه حينئذ، لا يبعث أحد ممن يدعو إلى الإيمان.

وأما شدة اجتهاده عليه الصلاة والسلام ونصبه في الدعاء، فإنه رأى الملائكة تنصب في القتال وجبريل على ثناياه الغبار وأنصار الله يخوضون غمرات الموت. والجهاد على ضربين جهاد بالسيف وجهاد بالدعاء، ومن سنة الإمام أن يكون وراء الجند لا يقاتل معه، فكان الكل في جهاد واجتهاد، ولم يكن ليريح نفسه من أحد الجدين والجهادين وأنصارِ الله وملائكته يجتهدون، ولا ليؤثر الدعة وحزب الله مع أعدائه يجتلدون. انتهى.

وفي صحيح مسلم عن ابن عباس قال عمر بن الخطاب: (لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً دخل العريش، فاستقبل القبلة ثم مد يديه، وجعل يهتف بربه: «**اللهم أنجز لي ما وعدتني**»... فما زال يهتف بربه ماداً يديه حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأخذ أبو بكر رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك. فأنزل الله تعالى ﴿**إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم**﴾ [الأنفال: ٩]. مرسل إليكم مداداً لكم ﴿**بألف من الملائكة مردفين**﴾ [الأنفال: ٩]. أي متتابعين بعضهم في إثر بعض[1]. وعلى قراءة فتح الدال معناه: أردف الله المسلمين وجاءهم بهم مداداً.

وفي الآية الأخرى ﴿**بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين**﴾ [آل عمران: ١٢٤]. فقيل معناه: إن الألف أردفهم بثلاثة آلاف. فكان الأكثر مداداً للأقل، وكان الألف مردفين بمن وراءهم. والألف هم الذين قاتلوا مع المؤمنين، وهم الذين قال لهم ﴿**فثبتوا الذين آمنوا**﴾ [الأنفال: ١٢] وكانوا في صور الرجال، ويقولون للمؤمنين: اثبتوا فإن عدوكم قليل وإن الله معكم.

وقال الربيع بن أنس: أمد الله المسلمين بألف ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم صاروا خمسة آلاف.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه رقم (١٣٨٤ ـ ١٧٦٣) والدر المنثور ٣/ ١٧٠ وفي تفسير الطبري ٩/ ١٢٧ والقرطبي في تفسيره ٤/ ١٩٣.

وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة: أمد الله المؤمنين يوم بدر بخمسة آلاف.

وعن عامر الشعبي: أن المسلمين بلغهم يوم بدر أن كرز بن جابر يمد المشركين فشق عليهم، فأنزل الله: ﴿**ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين**﴾ إلى قوله: ﴿**مسومين**﴾ [آل عمران: ١٢٤ و ١٢٥]، قال: فبلغت كرزاً الهزيمة فلم يمد المشركين، ولم تمد المسلمون بالخمسة.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: جاء إبليس يوم بدر في جند من الشياطين، معه رايته، في صورة سراقة بن مالك بن جعشم، فقال الشيطان للمشركين: لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم، فلما أقبل جبريل والملائكة كانت يده في يد رجل من المشركين،فانتزع يده ثم نكص على عقبيه، فقال الرجل: يا سراقة أتزعم أنك جار؟

فقال إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب.

وروي أن جبريل نزل في خمسمائة وميكائيل في خمسمائة في صورة الرجال على خيل بلق، عليهم ثياب بيض، وعلى رؤوسهم عمائم بيض، قد أرخوا أطرافها بين أكتافهم.

وقال ابن عباس: كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيض، ويوم حنين: عمائم خضر.

وعن علي: كانت سيما الملائكة يوم بدر الصوف الأبيض، وكانت سيماهم أيضاً في نواصي خيلهم. رواه ابن أبي حاتم.

وروى ابن مردويه عن ابن عباس رفعه، في قوله تعالى: ﴿**مسومين**﴾ [آل عمران: ١٢٥]. قال: معلمين، وكانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم سود ويوم حنين عمائم خضر.

وروى ابن أبي حاتم عن الزبير: أن الملائكة نزلت وعليهم عمائم صفر.

قيل: ولم تقاتل الملائكة سوى يوم بدر من الأيام، وكانوا يكونون فيما سواه عدداً ومدداً، وبذلك صرح العماد بن كثير في تفسيره فقال: المعروف من قتال الملائكة إنما كان يوم بدر، ثم روى عن ابن عباس قال: لم تقاتل الملائكة إلا يوم بدر[1].

وقال ابن مرزوق: ولم تكن تقاتل في غيرها بل يحضرون خاصة على المختار من الأقوال عند بعضهم.

---

(١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/ ٨٣.

وفي نهاية البيان في تفسير القرآن عند تفسير قوله تعالى: **﴿ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم﴾** [التوبة: ٢٥]. وهل قاتلت الملائكة يومئذ أم لا؟ فيه قولان: أحدهما ـ وهو قول الجمهور ـ أنها لم تقاتل، انتهى.

وهذا يرده حديث مسلم في صحيحه عن سعد بن أبي وقاص أنه رأى عن يمين رسول الله ﷺ وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض ما رأيتهما قبل ولا بعد ـ يعني جبريل وميكائيل عليهما الصلاة والسلام ـ يقاتلان كأشد القتال[1].

قال النووي: فيه بيان إكرامه ﷺ بإنزال الملائكة تقاتل معه، وبيان أن قتالهم لم يختص بيوم بدر. قال: وهذا هو الصواب خلافاً لمن زعم اختصاصه، فهذا صريح في الرد عليه. وفيه أن رؤية الملائكة لا تختص بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام بل يراهم الصحابة والأولياء. انتهى.

قال ابن الأنباري: وكانت الملائكة لا تعلم كيف تقتل الآدميون، فعلمهم الله تعالى بقوله: **﴿فاضربوا فوق الأعناق﴾** [الأنفال: ١٢]. أي الرؤوس **﴿واضربوا منهم كل بنان﴾** [الأنفال: ١٢]. قال ابن عطية: كل مفصل.

قال السهيلي: جاء في التفسير أنه ما وقعت ضربة يوم بدر إلا في رأس أو مفصل، وكانوا يعرفون قتلى الملائكة من قتلاهم بآثار سود في الأعناق والبنان.

وعن ابن عباس قال: حدثني رجل من بني غفار قال: أقبلت أنا وابن عم لي حتى صعدنا على جبل يشرف على بدر ـ ونحن مشركان ـ ننظر الوقعة على من تكون الدبرة، فننهب مع من ينهب، فبينما نحن في الجبل إذ دنت منا سحابة فيها حمحمة الخيل فسمعت قائلاً يقول: أقدم حيزوم، فأما ابن عمي فانكشف قناع قلبه فمات مكانه في الحال. وأما أنا فكدت أهلك ثم تماسكت. رواه البيهقي وأبو نعيم.

والدبرة: ـ بسكون الموحدة ـ الهزيمة في القتال.

وحيزوم:[2] إسم فرس جبريل. قاله في القاموس.

وروى أبو أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه قال: لقد رأيتنا يوم بدر، وإن أحدنا ليشير بسيفه إلى المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه السيف.. رواه الحاكم وصححه والبيهقي وأبو نعيم.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الفضائل رقم الحديث (٤٧).
(٢) انظر القاموس المحيط ٤/ ٩٧ مادة (حزم).

قال الشيخ تقي الدين السبكي: سئلت عن الحكمة في قتال الملائكة مع النبي ﷺ مع أن جبريل قادر على أن يدفع الكفار بريشة من جناحه.

فقلت: ذلك لإرادة أن يكون الفعل للنبي ﷺ وأصحابه، وتكون الملائكة مدداً على عادة مدد الجيوش، رعاية لصور الأسباب وسنتها التي أجراها الله تعالى في عباده، والله فاعل الجميع انتهى.

ولما التقى الجمعان، تناول رسول الله ﷺ كفاً من الحصباء، فرمى به في وجوههم وقال: شاهت الوجوه. فلم يبق مشرك إلا دخل في عينيه ومنخريه منها شيء فانهزموا وقتل الله من قتل من صناديد قريش، وأسر من أسر من أشرافهم.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله تعالى: **﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾** [الأنفال: ١٧] قال: هذا يوم بدر، أخذ ﷺ ثلاث حصيات، فرمى بحصاة في ميمنة القوم وبحصاة في ميسرة القوم، وبحصاة بين أظهرهم، وقال: «**شاهت الوجوه**» فانهزموا[١].

وقد روي عن غير واحد: أن هذه الآية نزلت في رميه ﷺ يوم بدر، وإن كان فعل ذلك يوم حنين أيضاً كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

وقد اعتقد جماعة: أن المراد بالآية سلب فعل الرسول عنه، وإضافته إلى الرب تعالى، وجعلوا ذلك أصلاً في الجبر، وإبطال نسبة الأفعال إلى العباد، وتحقيق نسبتها إلى الرب وحده.

وهذا غلط منهم في فهم القرآن، ولو صح ذلك لوجب طرده، فيقال: ما صليت إذ صليت، ولا صمت إذ صمت، ولا فعلت كذا إذ فعلت ولكن الله فعل ذلك، فإن طردوا ذلك لزمهم في أفعال العباد طاعتهم ومعاصيهم إذ لا فرق، وإن خصوه بالرسول وحده وأفعاله جميعها، أو برميه وحده ناقضوا. فهؤلاء لم يوفقوا لفهم ما أريد بالآية.

ومعلوم أن تلك الرمية من البشر لا تبلغ هذا المبلغ، فكان منه ﷺ مبدأ الرمي، وهو الحذف، ومن الرب تعالى نهايته وهو الإيصال، فأضاف إليه رمي الحذف الذي هو مبدؤه ونفى عنه رمي الإيصال الذي هو نهايته.

ونظير هذا في الآية نفسها قوله تعالى: **﴿فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم﴾** [الأنفال: ١٧]. ثم قال: **﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾** [الأنفال: ١٧]. فأخبر أنه تعالى

(١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/ ١٨٤ وتهذيب تاريخ دمشق ٦/ ٣٥١ وفي المعجم الكبير للطبراني ٧/ ٣٥٩.

وحده هو الذي انفرد بإيصال الحصباء إلى أعينهم، ولم يكن برسوله ﷺ، ولكن وجه الإشارة بالآية أنه سبحانه أقام أسباباً تظهر للناس، فكان ما حصل من الهزيمة والقتال والنصر مضافاً إليه وبه وهو خير الناصرين.

قال ابن إسحاق: وقاتل عكاشة بن محصن الأسدي يوم بدر بسيفه حتى انقطع في يده، فأتى رسول الله ﷺ فأعطاه جذلاً من حطب فقال له قاتل به، فهزه فعاد في يده سيفاً طويل القامة، شديد المتن، أبيض الحديد، فقاتل به حتى فتح الله على المسلمين، وكان ذلك السيف يسمى العون، ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله ﷺ حتى قتل وهو عنده.

وجاءه عليه الصلاة والسلام يومئذ ـ فيما ذكره القاضي عياض عن ابن وهب ـ معاذ بن عمرو يحمل يده، ضربه عكرمة عليها فتعلقت بجلدة، فبصق ﷺ عليها فلصقت. قال ابن إسحاق: ثم عاش بعد ذلك حتى كان زمن عثمان.

وعن عروة بن الزبير، عن عائشة: لما أمر ﷺ بالقتلى أن يطرحوا في القليب، فطرحوا فيه، إلا ما كان من أمية بن خلف فإنه انتفخ في درعه فملأها، فألقوا عليه ما غيبه من التراب والحجارة.

وإنما ألقوا في القليب ولم يدفنوا، لأنه عليه الصلاة والسلام كره أن يشق على أصحابه لكثرة جيف الكفار أن يأمرهم بدفنهم فكان جرهم إلى القليب أيسر عليهم[1].

وفي الطبراني عن أنس بن مالك قال: أنشأ عمر بن الخطاب يحدثنا عن أهل بدر فقال: إن رسول الله ﷺ كان يرينا مصارع أهل بدر بالأمس من بدر، يقول: «**هذا مصرع فلان غداً إن شاء الله**» قال عمر: فوالذي بعثه بالحق ما أخطؤوا الحدود التي حدها ﷺ، حتى انتهى إليهم فقال: يا فلان بن فلان، ويا فلان بن فلان، ويا فلان بن فلان، هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقاً؟! فإني وجدت ما وعدني الله حقاً[2].

وفي رواية فنادى: يا عتبة بن ربيعة ويا شيبة بن ربيعة، ويا أمية بن خلف، ويا أبا

---

(١) وفي مختصر الروضة للحجازي: وتحرم الصلاة على الكافر ولا يجب على المسلم غسله، ويجوز، وقريبه الكافر أولى، ويجب علينا تكفين الذمي ودفنه، لا حربي ومرتد، بل يجوز إغراء الكلاب عليه، فإن دفن فلئلا يتأذى بريحه.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد باب (١١٥) رقم الحديث (٢٦٨١) وفي دلائل النبوة للبيهقي ٣/ ٤٧ وما بعدها وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل ٣/ ٢١٩ وفي النسائي ٤/ ١٠٩ وفي كنز العمال (٣٠٠٢٣) وفي اتحاف السادة المتقين ٧/ ١٨٤ ومجمع الزوائد ٦/ ٨٠.

جهل بن هشام: . ، وفي بعضه نظر، لأن أمية بن خلف لم يكن في القليب لأنه كان ـ كما تقدم ـ ضخماً وانتفخ فألقوا عليه من الحجارة والتراب ما غيبه. لكن يجمع بينهما بأنه كان قريباً من القليب فنودي فيمن نودي لكونه كان من جملة رؤسائهم.

وقال ابن إسحاق: حدثني بعض أهل العلم أنه ﷺ قال: «**يا أهل القليب، بئس العشيرة كنتم، كذبتموني وصدقني الناس**»[1].

فقال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله، كيف تكلم أجساداً لا روح فيها، فقال: «**ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا شيئاً**»[2].

وتأولت عائشة ذلك فقالت: إنما أراد النبي ﷺ: إنهم الآن ليعلمون أن الذي أقول لهم حق. ثم قرأت ﴿**إنك لا تسمع الموتى**﴾ [النمل: ٨٠] الآية، فقولها يدل على أنها كانت تنكر ذلك مطلقاً، لقولها: إنهم الآن ليعلمون.

وقال قتادة: أحياهم الله تعالى توبيخاً وتصغيراً، ونقمة وحسرة.

وفيه رد على من أنكر أنهم يسمعون، كما روي عن عائشة رضي الله عنها.

ومن الغريب، أن في المغازي ـ لابن إسحاق ـ من رواية يونس بن بكير، بإسناد جيد عن عائشة حديثاً وفيه: «**ما أنتم بأسمع لما أقول منهم**». وأخرجه الإمام أحمد بإسناد حسن. فإن كان محفوظاً فكأنها رجعت عن الإنكار، لما ثبت عندها من رواية هؤلاء الصحابة، لكونها لم تشهد القصة.

وقال الإسماعيلي: كان عند عائشة من الفهم والذكاء وكثرة الرواية والغوص على غوامض العلم ما لا مزيد عليه، لكن لا سبيل إلى رد رواية الثقة إلا بنص مثله، يدل على نسخه أو تخصيصه أو استحالته، فكيف والجمع بين الذي أنكرته وأثبته غيرها ممكن، لأن قوله تعالى: ﴿**إنك لا تسمع الموتى**﴾ [النمل: ٨٠] لا ينافي قوله عليه السلام: «**إنهم الآن ليسمعون**» لأن الإسماع هو إبلاغ الصوت من المسمع في أذن السامع، فالله تعالى هو الذي أسمعهم بأن أبلغهم صوت النبي ﷺ بذلك. وأما جوابها بأنه إنما قال: إنهم ليعلمون، فإن كانت سمعت ذلك فلا ينافي رواية يسمعون بل يؤيدها.

---

(١) ذكره في إتحاف السادة المتقين ١/ ٣٨٠.

(٢) أخرجه مسلم كتاب الجنة باب (١٧) رقم الحديث (٧٦ ـ ٧٧) والنسائي ٤/ ١٠٩ وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل ١/ ٢٧ وفي المعجم الكبير للطبراني ١٠/ ١٩٨ وفي مجمع الزوائد ٦/ ٩١ إتحاف السادة المتقين ١/ ٣٨٠ وفي كنز العمال (٢٩٨٦٧) وأخرجه أيضاً البخاري في كتاب المغازي باب (٨) رقم الحديث (٣٩٧٦).

وقال السهيلي ما محصله: إن في نفس الخبر ما يدل على خرق العادة بذلك لنبيه ﷺ لقول الصحابة له: أتخاطب أقواماً قد جيفوا؟! فأجابهم بما أجابهم. قال: وإذا جاز أن يكونوا في تلك الحالة عالمين جاز أن يكونوا سامعين، وذلك إما بآذان رؤوسهم إذا قلنا إن الروح تعاد إلى الجسد، أو إلى بعضه عند المسألة، وهو قول أكثر أهل السنة، وإما بآذان القلب أو الروح على مذهب من يقول بتوجه السؤال إلى الروح من غير رجوع إلى الجسد أو إلى بعضه.

قال: وقد روي عن عائشة أنها احتجت بقوله تعالى: **﴿وما أنت بمسمع من في القبور إن أنت إلا نذير﴾** [فاطر: ٢٢ و ٢٣] وهذه الآية كقوله تعالى: **﴿أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي﴾** [الزخرف: ٤٠] أي إن الله هو الذي يهدي ويوفق ويوصل الموعظة إلى آذان القلوب لا أنت. وجعل الكفار أمواتاً وصماً على جهة التشبيه بالأموات وبالصم، فالله هو الذي يسمعهم على الحقيقة إذا شاء، لا نبيه ولا أحد، فإذاً لا تعلق بالآية من وجهين:

أحدهما: أنها إنما نزلت في دعاء الكفار إلى الإيمان.

الثاني: أنه إنما نفى عن نبيه أن يكون هو المسمع لهم، وصدق الله فإنه لا يسمعهم إذا شاء إلا هو، يفعل ما يشاء وهو على كل شيء قدير. انتهى ولقد أحسن العلامة ابن جابر[1] حيث قال:

بدا يوم بدر وهو كالبدر حوله	كواكب في أفق الكواكب تنجلي
وجبريل في جند الملائك دونه	فلم تغن أعداد العدو المخذل
رمى بالحصى في أوجه القوم رمية	فشردهم مثل النعام المجفل
وجاد لهم بالمشرفي فسلموا	فجاد له بالنفس كل مجندل
عبيدة سل عنهم وحمزة واستمع	حديثهم في ذلك اليوم من علي
فهم عتبوا بالسيف عتبة إذ غدا	فذاق الوليد الموت ليس له ولي
وشيبة لما شاب خوفاً تبادرت	إليه العوالي بالخضاب المعجل
وجال أبو جهل فحقق جهله	غداة تردى بالردى عن تذلل
فأضحى قليباً في القليب وقومه	يؤمونه فيها إلى شر منهل

---

(١) هو محمد بن أحمد بن علي بن جابر الأندلسي الهواري المالكي أبو عبد الله شمس الدين (٦٩٨ - ٧٨٠ هـ). شاعر عالم بالعربية اشتهر بالأعمى والبصير. مات في «البيرة». الأعلام ٥/٣٢٨ مفتاح السعادة ١/١٥٦ بغية الوعاة ١٤ نفح الطيب ٢/٦٦٨ الدرر الكامنة ٣/٣٣٩ رقم الترجمة (٩٠٠) شذرات الذهب ٦/٢٦٨.

وجـاء لهـم خيـر الأنـام مـوبخـاً ففتـح مـن أسمـاعهـم كـل مقفـل
وأخبـر مـا أنتـم بـأسمـع منهـم ولكنهـم لا يهتـدون لمقـول
سـلا عنهـم يـوم السـلا إذا تضـاحكـوا فعـاد بكـاء عـاجـلاً لـم يـؤجـل
ألـم يعلمـوا علـم اليقيـن بصـدقـه ولكنهـم لا يـرجعـون لمعقـل
فيـا خيـر خلـق الله جـاهـك ملجئـي وحبـك ذخـري فـي الحسـاب وموئلـي
عليـك صـلاة يشمـل الآل عـرفهـا وأصحـابـك الأخيـار أهـل التفضـل

وحكى العلامة ابن مرزوق: أن ابن عمر رضي الله عنهما مر مرة ببدر فإذا رجل يعذب ويئن، فلما اجتاز به ناداه: يا عبد الله، قال ابن عمر، رضي الله عنهما: فلا أدري أعرف اسمي أم كما يقول الرجل لمن يجهل اسمه يا عبد الله، فالتفت إليه، فقال: اسقني، فأردت أن أفعل، فقال الأسود الموكل بتعذيبه: لا تفعل يا عبد الله، فإن هذا من المشركين الذين قتلهم رسول الله ﷺ ببدر. ورواه الطبراني في الأوسط.

قال: ومن آيات بدر الباقية، ما كنت اسمعه من غير واحد من الحجاج أنهم إذا اجتازوا بذلك الموضع يسمعون كهيئة طبل ملوك الوقت، ويرون أن ذلك لنصر أهل الإيمان، قال: وربما أنكرت ذلك، وربما تأولته بأن الموضع لعله صلب فتستجيب فيه حوافر الدواب، فكان يقال لي: إنه دهس رمل غير صلب، وغالب ما يسير هناك الإبل وإخفافها لا تصوت في الأرض الصلبة، فكيف بالرمال؟ قال ثم لما منَّ الله عليه بالوصول إلى ذلك الموضع المشرف، نزلت عن الراحلة أمشي وبيدي عود طويل من شجر السعدان المسمى بأم غيلان، وقد نسيت ذلك الخبر الذي كنت أسمع، فما راعني وأنا أسير في الهاجرة إلا وواحد من عبيد الأعراب الجمالين يقول: أتسمعون الطبل، فأخذتني ـ لما سمعت كلامه ـ قشعريرة بينة وتذكرت ما كنت أخبرت به، وكان في الجو بعض ريح، فسمعت صوت الطبل، وأنا دهش مما أصابني من الفرح أو الهيبة، أو ما الله أعلم به، فشككت، وقلت: لعل الريح سكنت في هذا العود الذي في يدي وحدث مثل هذا الصوت، وأنا حريص على طلب التحقيق لهذه الآية العظيمة، فألقيت العود من يدي، وجلست على الأرض، أو ثبت قائماً، أو فعلت جميع ذلك، فسمعت صوت الطبل سماعاً محققاً، أو صوتاً لا أشك فيه أنه صوت طبل، وذلك من ناحية اليمين ونحن سائرون إلى مكة المشرفة، ثم نزلنا إلى بدر، فظللت أسمع ذلك الصوت يومي أجمع، المرة بعد المرة.

قال: لقد أخبرت أن ذلك الصوت لا يسمعه جميع الناس اهـ.

وروى الطبراني من حديث أبي اليسر[1]، أنه أسر العباس، وقيل للعباس ـ وكان جسيماً ـ كيف أسرك أبو اليسر وهو دميم، ولو شئت لجعلته في كفك، فقال: ما هو إلا أن لقيته فظهر في عيني كالخندمة ـ وهي بالخاء المعجمة ـ جبل من جبال مكة، قاله في القاموس.

ولما ولي عمر بن الخطاب وثاق الأسرى شد وثاق العباس، فسمعه النبي ﷺ وهو يئن فلم يأخذه النوم، فبلغ الأنصار، فأطلقوا العباس، فكأن الأنصار فهموا رضى رسول الله ﷺ بفك وثاقه، وسألوه أن يتركوا له الفداء طلباً لتمام رضاه فلم يجبهم.

وفي حديث أنس عند الإمام أحمد: استشار ﷺ الناس في الأسرى يوم بدر فقال: «**إن الله قد أمكنكم منهم**»، فقام عمر بن الخطاب فقال: يا رسول الله، اضرب أعناقهم، فأعرض عنه عليه السلام، ثم عاد ﷺ فقال: «**يا أيها النّاس، إن الله قد أمكنكم منهم**». فقال عمر: يا رسول الله، اضرب أعناقهم، فأعرض عنه عليه السلام، فعل ذلك ثلاثاً، فقام أبو بكر فقال يا رسول الله، أرى أن تعفو عنهم، وأن تقبل منهم الفداء، فذهب من وجه رسول الله ﷺ ما كان فيه من الغم، فعفا وقبل منهم الفداء. قال: وأنزل الله ﴿**لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم، فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً**﴾ [الأنفال: ٦٨ و ٦٩][2]. الآية. ويأتي الكلام عليها في النوع العاشر في إزالة الشبهات من الآيات المشكلات من المقصد السادس إن شاء الله تعالى.

وأخرج ابن إسحاق من حديث ابن عباس أنه ﷺ قال: «**يا عباس، افد نفسك وابني أخيك، عقيل بن إبي طالب ونوفل بن الحارث، وحليفك عتبة بن عمرو**». قال إني كنت مسلماً ولكن القوم استكرهوني. قال: «**الله تعالى أعلم بما تقول، إن يكن ما تقول حقاً فإن الله يجزيك، ولكن ظاهر أمرك أنك كنت علينا**»[3].

وذكر موسى بن عقبة أن فداءهم كان أربعين أوقية ذهباً.

وعند أبي نعيم في الدلائل بإسناد حسن من حديث ابن عباس أنه جعل على العباس

---

(١) هو كعب بن مالك بن عمرو بن القين الأنصاري السلمي الخزرجي (أبو عبد الله). صحابي شاعر توفي سنة (٥٠ هـ) وقيل (٥٥ هـ). الأعلام ٥/ ٢٨٨. نكت الهميان ٢٣١ خزانة الأدب ١/ ٢٠٠ والإصابة ٥/ ٣٠٨ رقم الترجمة (٧٤٢٧) (وكنيته: أبو بشير وقيل أبو عبد الرحمن).

(٢) هو في المسند ٣/ ٢٤٣ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/ ٨٧ والبداية ٣/ ٢٩٧ وفي تفسير ابن كثير ٤/ ٣٢.

(٣) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ١/ ٣٥٣ وفي تهذيب تاريخ دمشق ٧/ ٢٣٢ وفي فتح الباري ٧/ ٤٠٩ رقم (٤٠١٨) وانظر تفسير ابن كثير ٢/ ٣٢٧ [الأنفال: ٧٠].

مائة أوقية وعلى عقيل ثمانين، فقال له العباس: اللقرابة صنعت هذا؟ فأنزل الله تعالى ﴿يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم﴾ [الأنفال: ٧٠]. الآية. فقال العباس: وددت لو أخذ مني أضعافها لقوله تعالى﴿يؤتكم خيراً مما أُخذ منكم﴾[الأنفال:٧٠][1].

وكان قد استشهد يوم بدر من المسلمين أربعة عشر رجلاً: ستة من المهاجرين، وثمانية من الأنصار، ستة من الخزرج، واثنان من الأوس[2].

تنبيه: لا يقدح في وعد الله أن استشهد هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم، وإنما هذا الوعد كقوله تعالى: ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله﴾ إلى قوله: ﴿حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾ [التوبة: ٢٩]. فقد نجز الموعود وغلبوا كما وعدوا، فكان وعد الله مفعولاً ونصره للمؤمنين ناجزاً والحمد لله.

وقتل من المشركين سبعون، وأسر سبعون، وكان من أفضلهم العباس بن عبد المطلب، وعقيل بن أبي طالب، ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وكل أسلم.

وكان العباس رضي الله عنه ـ فيما قاله أهل العلم بالتاريخ ـ قد أسلم قديماً، وكان يكتم إسلامه، وخرج مع المشركين يوم بدر فقال النبي ﷺ: من لقي العباس فلا يقتله، فإنه خرج مستكرهاً، ففادى نفسه ورجع إلى مكة.

وقيل إنه أسلم يوم بدر، فاستقبل النبي ﷺ يوم الفتح بالأبواء، وكان معه حين فتح مكة، وبه ختمت الهجرة.

وقيل أسلم يوم فتح خيبر.

وقيل كان يكتم إسلامه وأظهره يوم فتح مكة، وكان إسلامه قبل بدر، وكان يكتب بأخبار المشركين إلى النبي ﷺ، وكان يحب القدوم على رسول الله ﷺ، فكتب إليه عليه الصلاة والسلام: «إن مقامك بمكة خير لك».

وقيل إن سبب إسلامه، أنه خرج لبدر بعشرين أوقية من ذهب ليطعم بها

---

(١) انظر تفسير البغوي ٢/ ٢٢١ [الأنفال: ٧٠] ـ وأسباب النزول للواحدي ١٣٧. ورواه الطبراني في الأوسط عن ابن عباس.

(٢) من المهاجرين: عبيدة بن الحارث ـ ومهجع مولى عمر ـ وعمير بن أبي وقاص أخو سعد بن أبي وقاص ـ وعاقل بن البكير الليثي ـ وصفوان بن بيضاء الفهري ـ وذو الشمالين عمير بن عبد عمرو بن نضلة الخزاعي. من الأنصار: عوف بن عفراء ـ وشقيقه معوذ بن عفراء ـ وحارثة بن سراقة ـ ويزيد بن الحارث ـ ورافع بن المعلى ـ وعمير بن الحمام ـ [من الأوس]: سعد بن خيثمة ـ ومبشر بن عبد المنذر.

المشركين، فأخذت منه في الحرب، فكلم النبي ﷺ أن يحسب العشرين أوقية من فدائه، فأبى وقال: «أما شيء خرجت تستعين به علينا فلا نتركه لك»، فقال العباس تركتني أتكفف قريشاً، فقال له ﷺ: «فأين الذهب الذي دفعته إلى أم الفضل وقت خروجك من مكة» فقال العباس: وما يدريك؟ فقال: «أخبرني ربي»، فقال: أشهد أنك صادق، فإن هذا لم يطلع عليه أحد إلا الله، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك عبده ورسوله.[1].

ولما فرغ ﷺ من بدر في آخر رمضان وأول يوم من شوال، بعث زيد بن حارثة بشيراً فوصل المدينة ضحى، وقد نفضوا أيديهم من تراب رقية بنت رسول الله ﷺ، وهذا هو الصحيح في وفاة رقية[2].

وقد روي أنه ﷺ شهد دفن بنته رقية، فقعد على قبرها ودمعت عيناه، وقال «أيكم لم يقارف الليلة» فقال أبو طلحة أنا، فأمره أن ينزلها قبرها.

وأنكر البخاري هذه الرواية، وخرج الحديث في الصحيح فقال فيه: عن أنس. شهدنا دفن بنت رسول الله ﷺ وذكر الحديث ولم يسم رقية ولا غيرها.

وذكر الطبراني أنها أم كلثوم فحصل في حديث الطبراني التبيين. ومن قال: كانت رقية فقد وهم.

وكان عثمان قد تخلف لأجل رقية زوجته فضرب له رسول الله ﷺ بسهمه وأجره.

وأمر ﷺ عند انصرافه عاصم بن ثابت ـ وهو جد عاصم بن عمر بن الخطاب ـ بقتل عقبة بن أبي معيط، فقتله صبراً.

ثم أقبل عليه السلام قافلاً إلى المدينة ومعه الأسرى من المشركين، واحتمل النفل الذي أصيب منهم، وجعل عليه عبد الله بن كعب من بني مازن. فلما خرج من مضيق الصفراء قسم النفل بين المسلمين على السواء.

وأمر علياً بالصفراء بقتل النضر بن الحارث.

ثم مضى ﷺ حتى قدم المدينة قبل الأسرى بيوم. فلما قدموا فرقهم بين أصحابه وقال: استوصوا بهم خيراً.

وقد استقر الحكم في الأسرى عند الجمهور من العلماء: أن الإمام مخير فيهم، إن شاء قتل كما فعل ﷺ ببني قريظة، وإن شاء فادى بمال كما فعل بأسرى بدر، وإن شاء استرق من أسر. هذا مذهب الشافعي وطائفة من العلماء، وفي المسألة خلاف مقرر في كتب الفقه والله أعلم.

---

(١) انظر تفسير البغوي ٢/ ٢٢١ [الأنفال: ٧٠].

(٢) انظر طبقات ابن سعد ٢/ ١٣.

ولما قدم أبو سفيان بن الحارث من بدر لمكة، سأله أبو لهب عن خبر قريش. فقال: والله ما هو إلا أن لقينا القوم فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاؤوا، ويأسروننا كيف شاؤوا، وأيم الله ـ مع ذلك ـ ما لمت الناس. لقينا رجالٌ بيض على خيل بلق بين السماء والأرض، والله لا يقوم لها شيء.

قال أبو رافع ـ مولى رسول الله ﷺ وكان غلاماً للعباس بن عبد المطلب قال: وكان الإسلام قد دخلنا ـ فقلت: والله تلك الملائكة. فرفع أبو لهب يده فضربني في وجهي ضربة، فقامت أم الفضل إلى عمود فضربت به في رأس أبي لهب وقالت: استضعفته أن غاب عنه سيده.

قال: فوالله ما عاش إلا سبع ليال، حتى رماه الله بالعدسة، وهي قرحة كانت العرب تتشاءم بها. وقيل إنها تعدي أشد العدوى، فتباعد عنه بنوه حتى قتله الله، وبقي بعد موته ثلاثاً لا تقرب جنازته ولا يحاول دفنه. فلما خافوا السبة في تركه حفروا له ثم دفعوه بعود في حفرته، وقذفوا بالحجارة من بعيد حتى واروه.

وقال ابن عقبة: أقام النوح على قتلى قريش شهراً.

ثم سرية عمير بن عدي الخطمي[1]، وكانت لخمس ليال بقين من رمضان، على رأس تسعة عشر شهراً من الهجرة، إلى عصماء بنت مروان ـ زوج يزيد بن زيد الخطمي ـ وكانت تعيب الإسلام، وتؤذي رسول الله ﷺ، فجاءها ليلاً، وكان أعمى، فدخل عليها بيتها، وحولها نفر من ولدها نيام، منهم من ترضعه، فجسها بيده، ونحى الصبي عنها، ووضع سيفه على صدرها، حتى أنفذه من ظهرها. ثم صلى الصبح معه ﷺ بالمدينة وأخبره بذلك، فقال: «**لا ينتطح فيها عنزان**» أي لا يعارض فيها معارض ولا يسأل عنها فإنها هدر.

قالوا: وهذا من الكلام المفرد الموجز البليغ، الذي لم يسبق إليه ﷺ، وسيأتي لذلك نظائر إن شاء الله تعالى.

[غزوة قرقرة الكُدْر] [2]

وفي أول شوال صلى صلاة الفطر.

وفي أول شوال أيضاً ـ وقيل بعد بدر بسبعة أيام، وقيل في نصف المحرم سنة

---

(١) انظر طبقات ابن سعد ٢/ ٢٠ والمغازي للواقدي (١٧٢).

(٢) انظر السيرة لابن هشام ٣/ ٤٦ وطبقات ابن سعد ٢/ ٢٣ وتاريخ الطبري ٢/ ٤٨٧ والمغازي للواقدي=

ثلاث ـ خرج ﷺ يريد بني سليم، فبلغ ماء يقال له الكدر، وتعرف بغزوة قرقرة، وهي أرض ملساء.

والكدر: طير في ألوانها كدرة عرف بها ذلك الموضع.

فأقام بها عليه السلام ثلاثاً، وقيل عشراً، فلم يلق أحداً. وكانت غيبته ﷺ خمس عشرة ليلة، واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة، وقيل ابن أم مكتوم، وحمل اللواء علي بن أبي طالب.

وذكرها ابن سعد بعد غزوة السويق.

ثم سرية سالم بن عمير[1] إلى أبي عفك اليهودي ـ وكان شيخاً كبيراً، قد بلغ عشرين ومائة سنة ـ وكان يحرض على النبي ﷺ، ويقول فيه الشعر، فأقبل إليه سالم ووضع سيفه على كبده ثم اعتمد عليه حتى خش في الفراش، فصاح عدو الله أبو عفك. فثار إليه أناس ممن هم على قوله، فأدخلوه منزله فقتل.

وكانت هذه السرية في شوال على رأس عشرين شهراً من الهجرة.

ثم غزوة بني قينقاع[2] ـ بتثليث النون، والضم أشهر ـ بطن من يهود المدينة، لهم شجاعة وصبر.

وكانت يوم السبت نصف شوال، على رأس عشرين شهراً من الهجرة.

وقد كانت الكفار بعد الهجرة مع النبي ﷺ على ثلاثة أقسام:

● قسم وادعهم ﷺ على أن لا يحاربوه ولا يؤلبوا عليه عدوه وهم طوائف اليهود الثلاثة: قريظة والنضير وبنو قينقاع.

● وقسم حاربوه ونصبوا له العداوة كقريش.

● وقسم تاركوه، وانتظروا ما يؤول إليه أمره، كطوائف من العرب. فمنهم من كان يحب ظهوره في الباطن كخزاعة. وبالعكس كبني بكر. ومنهم من كان معه ظاهراً ومع عدوه باطناً، وهم المنافقون.

وكان أول من نقض العهد من اليهود بنو قينقاع، فحاربهم ﷺ في شوال بعد وقعة بدر. قال الواقدي بشهر.

= ١٨٢ وانظر معجم البلدان ٤/ ٤٤١ مادة (كُدر) وانظر شرح المواهب ١/ ٤٥٤ والبداية والنهاية ٣/ ٣٤٦.

(١) انظر المغازي للواقدي ١٧٤ وطبقات ابن سعد ٢/ ٢١ وانظر شرح المواهب ١/ ٤٥٥.

(٢) انظر تاريخ الطبري ٢/ ٤٧٩ والسيرة لابن هشام ٣/ ٥٠ وطبقات ابن سعد ٢/ ٢١ ووفاء الوفاء ٢/ ٣٥٦ والمغازي للواقدي ١٧٦ وفي شرح المواهب للزرقاني ١/ ٤٥٦ والبداية والنهاية ٤/ ٤.

وأغرب الحاكم، فزعم أن إجلاء بني قينقاع وإجلاء بني النضير كان في زمن واحد، ولم يوافق على ذلك، لأن إجلاء بني النضير كان بعد بدر بستة أشهر، على قول عروة، أو بعد ذلك بمدة طويلة على قول ابن إسحاق.

وكان من أمر بني قينقاع، أن امرأة من العرب جلست إلى صائغ يهودي، فراودها على كشف وجهها، فأبت فعمد إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سوأتها، فضحكوا منها فصاحت، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله، فشدت اليهود على المسلم فقتلوه، ووقع الشر بين المسلمين وبين بني قينقاع[1].

فسار إليهم النبي ﷺ بعد أن استخلف أبا لبابة بن عبد المنذر.

فحاصرهم أشد الحصار، خمس عشرة ليلة إلى هلال ذي العقدة، وكان اللواء بيد حمزة بن عبد المطلب، وكان أبيض، فقذف الله في قلوبهم الرعب، ونزلوا على حكم رسول الله ﷺ، على أن لهم أموالهم، وأن لهم النساء والذرية.

فأمر عليه الصلاة والسلام المنذر بن قدامة بتكتيفهم.

وكلم عبد الله بن أُبي بن سلول رسول الله ﷺ فيهم، وألح عليه من أجلهم. فأمر ﷺ أن يجلوا، وتركهم من القتل، وأمر أن يجلوا من المدينة، فلحقوا بأذرعات. فما كان أقل بقاءهم فيها. وأخذ من حصنهم سلاحاً وآلة كثيرة.

وكانت بنو قينقاع حلفاء لعبد الله بن أبي، وعبادة بن الصامت، فتبرأ عبادة من حلفهم، فقال: يا رسول الله، أتبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلفهم، وأتولى الله ورسوله والمؤمنين، وأبرأ من حلف الكفار وولايتهم. ففيه وفي عبد الله أنزل: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض**﴾ [المائدة: ٥١]. إلى قوله: ﴿**فإن حزب الله هم الغالبون**﴾ [المائدة: ٥٦].

ثم غزوة السويق[2] في ذي الحجة، يوم الأحد لخمس خلون منها، على رأس اثنين وعشرين شهراً من الهجرة، وقال ابن إسحاق في صفر.

وسميت: غزوة السويق، لأنه كان أكثر زاد المشركين، وغنمه المسلمون.

واستخلف أبا لبابة.

---

(١) انظر السيرة لابن هشام ٣/ ٥١ وانظر البداية والنهاية ٤/ ٤ وطبقات ابن سعد ٢/ ٢١.

(٢) انظر تاريخ الطبري ٢/ ٤٨٣ والسيرة لابن هشام ٣/ ٤٧ ووفاء الوفاء ٢/ ٣٤٤ والمغازي للواقدي ١٨٢ وطبقات ابن سعد ٢/ ٢٢ وشرح المواهب ١/ ٤٥٨.

وكان سبب هذه الغزوة أن أبا سفيان حين رجع بالعير من بدر إلى مكة نذر لا يمس النساء والدهن حتى يغزو محمداً ـ عليه السلام ـ فخرج في مائتي راكب من قريش ليبر يمينه: حتى أتوا العريض ـ ناحية من المدينة على ثلاثة أميال ـ فحرقوا نخلاً وقتلوا رجلاً من الأنصار، فرأى أبو سفيان أن قد انحلت يمينه، فانصرف بقومه راجعين.

وخرج ﷺ في طلبهم، في مائتين من المهاجرين والأنصار، وجعل أبو سفيان وأصحابه يلقون جرب السويق ـ وهي عامة أزوادهم ـ يتخففون للهرب، فيأخذها المسلمون، ولم يلحقهم عليه الصلاة والسلام، فرجع إلى المدينة.

وكانت غيبته خمسة أيام.

وفي ذي الحجة صلى رسول الله ﷺ صلاة العيد وأمر بالأضحية[1].

وفيه مات عثمان بن مظعون.

وفي شوال ولد عبد الله بن الزبير.

وفي هذه السنة تزوج علي فاطمة[2] رضي الله عنهما، كما قاله الحافظ مغلطاي.

وقال الطبري في كتابه «ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى»: تزوجها في صفر في السنة الثانية، وبنى بها في ذي الحجة على رأس اثنين وعشرين شهراً من التاريخ.

وقال أبو عمر بعد وقعة أحد.

وقال غيره: بعد بنائه ﷺ بعائشة رضي الله عنها بأربعة أشهر ونصف، وبنى بها بعد تزويجها بسبعة أشهر ونصف.

وتزوجها وهي ابنة خمس عشرة سنة وخمسة أشهر ـ أو ستة ونصف ـ وسنه يومئذ إحدى وعشرون سنة وخمسة أشهر. ولم يتزوج عليها حتى ماتت.

وعن أنس قال: جاء أبو بكر ثم عمر يخطبان فاطمة إلى النبي ﷺ فسكت ولم يرجع إليهما شيئاً، فانطلقا إلى علي يأمرانه بطلب ذلك. قال علي: فنبهاني لأمر، فقمت أجر ردائي حتى أتيت النبي ﷺ. فقلت: تزوجني فاطمة؟ قال: **«وعندك شيء»** قلت: فرسي وبدني، فقال: **«أما فرسك فلا بد لك منها وأما بدنك فبعها»**، فبعتها بأربعمائة درهم وثمانين، فجئته بها، فوضعها في حجره، فقبض منها قبضة وقال: **«أي بلال: ابتع**

---

(١) ذكر بعض وقائع السنة الثانية للهجرة. في شرح المواهب ١/ ٤٦٠.

(٢) انظر شرح المواهب ٢/ ٣.

لنا بها طيباً». وأمرهم أن يجهزوها، فجعل لها سرير مشرَّط، ووسـادة من أدم حشوها ليف. وقال لعلي: «**إذا أتتك فلا تحدث شيئاً حتى آتيك**».

فجاءت أم أيمن حتى قعدت في جانب البيت وأنا في جانب، وجاء رسول الله ﷺ فقال: «**ها هنا أخي**»، قالت أم أيمن: أخوك وقد زوجته ابنتك؟ قال: «**نعم**». ودخل ﷺ فقال لفاطمة: «**ائتني بماء**»، فقامت إلى قعب في البيت فأتت فيه بماء فأخذه ومج فيه ثم قال لها: «**تقدمي**» فتقدمت، فنضح بين ثدييها وعلى رأسها وقال: «**اللهم إني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم**». ثم قال لها: «**أدبري**» فأدبرت فصب بين كتفيها. ثم فعل مثل ذلك بعلي. ثم قال: «**ادخل بأهلك بسم الله والبركة**»[1]. أخرجه أبو حاتم، وأحمد في المناقب بنحوه.

وفي حديث أنس عند أبي الخير القزويني الحاكمي: خطبها علي بعد أن خطبها أبو بكر ثم عمر فقال ﷺ: «**قد أمرني ربي بذلك**».

قال أنس: ثم دعاني عليه السلام بعد أيام فقال لي يا أنس: «**ادع لي أبا بكر وعمر وعثمان وعبد الرحمن وعدة من الأنصار**»، فلما إجتمعوا وأخذوا مجالسهم وكان علي غائباً فقال ﷺ.

الحمد لله المحمود بنعمته، المعبود بقدرته، المطاع بسلطانه، المرهوب من عذابه وسطوته، النافذ أمره في سمائه وأرضه، الذي خلق الخلق بقدرته، وميزهم بأحكامه، وأعزهم بدينه، وأكرمهم بنبيه محمد ﷺ. إن الله تبارك اسمه وتعالت عظمته جعل المصاهرة سبباً لاحقاً، وأمراً مفترضاً، أوشج به الأرحام، وألزم به الأنام، فقال عز من قائل ﴿وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربك قديراً﴾ [الفرقان: ٥٤]. **فأمر الله تعالى يجري إلى قضائه، وقضاؤه يجري إلى قدره، ولكل قضاء قدر، ولكل قدر أجل، ولكل أجل كتاب، يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب. ثم إن الله عزّ وجل أمرني أن أزوج فاطمة من علي بن أبي طالب، فاشهدوا أني قد زوجته على أربعمائة مثقال فضة إن رضي بذلك علي**.

ثم دعا ﷺ بطبق من بسر ثم قال: **انتهبوا فانتبهنا**.

ودخل علي فتبسم النبي ﷺ في وجهه ثم قال: «**إن الله عزّ وجل أمرني أن أزوجك فاطمة على أربعمائة مثقال فضة، أرضيت بذلك؟**» فقال قد رضيت بذلك يا رسول الله،

---

(١) أخرجه مسلم رقم الحديث (١٠٧١) والإمام أحمد بن حنبل في المسند ١/١٢٦ وهو في كنز العمال (٣٧٧٥٥).

فقال عليه السلام: «**جمع الله شملكما وأعز جدكما، وبارك عليكما، وأخرج منكما كثيراً طيباً**».

قال أنس: فوالله لقد أخرج الله منهما الكثير الطيب.

والعقد لعلي وهو غائب محمول على أنه كان له وكيل حاضر، أو على أنه لم يرد به العقد، بل إظهار ذلك، ثم عقد معه لما حضر، أو على تخصيصه بذلك، جمعا بينه وبين ما ورد، مما يدل على شرط القبول على الفور.

وأخرج الدولابي، عن أسماء قالت: لقد أولم علي على فاطمة، فما كان وليمة في ذلك الزمان أفضل من وليمته، رهن درعه عند يهودي بشطر شعير، وكانت وليمته آصعاً من شعير وتمر وحيس. والحيس: التمر والأقط.

وأخرج أحمد في المناقب عن علي: كان جهاز فاطمة خميلة وقربة ووسادة من أدم حشوها ليف.

ثم سرية محمد بن مسلمة[1] وأربعة معه إلى كعب بن الأشرف اليهودي، لأربع عشرة ليلة مضت من ربيع الأول، على رأس خمسة وعشرين شهراً من الهجرة.

روى أبو داود والترمذي من طريق الزهري عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه: أن كعب بن الأشرف كان شاعراً، وكان يهجو رسول الله ﷺ ويحرض عليه كفار قريش. وكان النبي ﷺ قدم المدينة وأهلها أخلاط، فأراد إستصلاحهم، وكان اليهود والمشركون يؤذون المسلمين أشد الأذى، فأمر رسول الله ﷺ بالصبر.

فلما أبى كعب بن الأشرف أن ينزع عن أذاه، أمر رسول الله ﷺ سعد بن معاذ أن يبعث رهطاً ليقتلوه[2].

وفي رواية قال ﷺ: «**من لنا بابن الأشرف**»؟ ـ وفي أخرى: «**من لكعب بن الأشرف**» أي من ينتدب لقتله ـ «**فقد استعلن بعداوتنا وهجانا، وقد خرج إلى قريش فجمعهم إلى قتالنا. وقد أخبرني الله بذلك**»[3]. ثم قرأ على المسلمين ﴿**ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من**

---

(١) انظر المغازي للواقدي ١٨٤ وطبقات ابن سعد ٢/ ٢٤ ووفاء الوفاء ٢/ ٢٦٢ والبداية والنهاية ٤/ ٦ والسيرة لابن هشام ٣/ ٥٨ وتاريخ الطبري ٢/ ٤٨٧ وشرح المواهب ٢/ ٨.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب [الخراج والفيء والإمارة] باب (٢٢) رقم الحديث (٣٠٠٠).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الرهن باب (٣) رقم الحديث (٢٥١٠ ـ ٣٠٣١ ـ ٣٠٣٢ ـ ٤٠٣٧ ـ ٤٥٦٦) وذكره الحاكم في المستدرك ٣/ ٤٣٤ وفي طبقات ابن سعد ٢/ ٢٤.

الذين آمنوا سبيلاً، أولئك الذين لعنهم الله﴾ [النساء: ٥١ و ٥٢].

وفي الإكليل: فقد آذانا بشعره، وقوى المشركين.

وفي رواية ابن إسحاق: فقال محمد بن مسلمة، أخو بني عبد الأشهل: أنا لك به يا رسول الله، أنا أقتله، قال: «**فافعل إن قدرت على ذلك**». قال: يا رسول الله إنه لا بد لنا أن نقول، قال: «**قولوا ما بدا لكم فأنتم في حل من ذلك**».

فاجتمع في قتله محمد بن مسلمة وأبو نائلة ـ بنون وبعد الألف تحتانية ـ سلكان بن سلامة ـ وكان أخا كعب من الرضاعة ـ وعباد بن بشر، والحارث بن أوس بن معاذ، وأبو عبس بن جبر. وهؤلاء الخمسة من الأوس.

وفي رواية ابن سعد: فلما قتلوه وبلغوا بقيع الغرقد كبروا، وقد قام عليه السلام تلك الليلة يصلي، فلما سمع تكبيرهم كبر وعرف أن قد قتلوه، ثم انتهوا إليه فقال: «**أفلحت الوجوه**»[1]. قالوا: أفلح وجهك يا رسول الله، ورموا برأسه بين يديه، فحمد الله على قتله.

وفي كتاب «شرف المصطفى» أن الذين قتلوا كعباً حملوا رأسه في مخلاة إلى المدينة، فقيل إنه أول رأس حمل في الإسلام.

وأصاب ذباب السيف الحارث بن أوس فجرح ونزف الدم فتفل عليه على جرحه فلم يؤذه بعد.

غزوة غطفان، وهي غزوة ذي أمر[2] ـ بفتح الهمزة والميم ـ وسماها الحاكم غزوة أنمار. وهي بناحية نجد.

وكانت لثنتي عشرة مضت من ربيع الأول على رأس خمس وعشرين شهراً من الهجرة.

وسببها: أن جمعاً من بني ثعلبة ومحارب تجمعوا يريدون الإغارة، جمعهم دعثور بن الحارث المحاربي ـ وسماه الخطيب: غورث، وغيره: غورك ـ وكان شجاعاً.

فندب ﷺ المسلمين وخرج في أربعمائة وخمسين فارساً، واستخلف على المدينة

---

(١) ذكره الزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٧/ ١٩٠ والحاكم في المستدرك ٣/ ٤٣٤ وفي السنن الكبرى للبيهقي ٣/ ٢٥٦ وفي مجمع الزوائد للهيثمي ٦/ ١٩٨ والبداية ٤/ ١٤٢.

(٢) انظر المغازي للواقدي ١٩٣ وتاريخ الطبري ٢/ ٤٨٧ والسيرة لابن هشام ٣/ ٤٩ ووفاء الوفاء ٢/ ٢٦٢ شرح المواهب ٢/ ١٤ وطبقات ابن سعد ٢/ ٢٦.

عثمان بن عفان. فلم سمعوا بمهبطه ﷺ عليهم هربوا في رؤوس الجبال، فأصابوا رجلاً منهم يقال له: حبان من بني ثعلبة، فأدخل على رسول الله ﷺ فدعاه إلى الإسلام فأسلم، وضمه إلى بلال.

وأصاب النبي ﷺ مطر فنزع ثوبيه ونشرهما على شجرة ليجفا، واضطجع تحتها، وهم ينظرون، فقالوا لدعثور: قد إنفرد محمد فعليك به، فأقبل ومعه سيف حتى قام على رأسه ﷺ فقال: من يمنعك مني اليوم؟ فقال ﷺ: «الله» فدفع جبريل في صدره، فوقع السيف من يده، فأخذه النبي ﷺ فقال: «**من يمنعك مني**»؟ فقال: لا أحد، وأنا أشهد أن لا إله ألا الله وأنك رسول الله. ثم أتى قومه فدعاهم إلى الإسلام. وأنزل الله ﴿**يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم**﴾ [المائدة: ١١]. الآية[1].

ويقال كان ذلك في ذات الرقاع.

ثم رجع ﷺ ولم يلق كيداً، وكانت غيبته إحدى عشرة ليلة.

غزوة بحران[2] وتسمى غزوة بني سليم، من ناحية الفرع ـ بفتح الفاء والراء ـ كما قيده السهيلي، وقال في القاموس: وبحران موضع بناحية الفرع، كذا رأيته بخطه بضم الفاء لا غير.

وسببها: أنه بلغه ﷺ أن بها جمعاً كبيراً من بني سليم، فخرج في ثلاثمائة رجل من أصحابه، فوجدهم قد تفرقوا في مياههم، فرجع ولم يلق كيداً.

وكان قد إستعمل على المدينة ابن أم مكتوم، كما قاله ابن هشام، وكانت غيبته عشر ليال.

سرية زيد بن حارثة[3] إلى القردة ـ بالقاف المفتوحة وسكون الراء، وقيل بالفاء

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في المسند ٣/ ٣٦٥ وفي المستدرك للحاكم ٣/ ٣٩ وفي دلائل النبوة للبيهقي ٣/ ١٦٨ وفي تغليق التعليق لابن حجر (١١٥٠) ومشكاة المصابيح للتبريزي (٥٣٠٥) وفي طبقات ابن سعد ٢/ ٢٦ والسنن الكبرى للبيهقي ٩/ ٦٧ وكشف الخفاء للعجلوني ٢/ ١٩٣ وفي أخلاق النبوة (٤٣) وفي سنن سعيد بن منصور (٢٥٠٤) وكنز العمال (٣١٨٢٣).

(٢) انظر السيرة لابن هشام ٣/ ٥٠ والمغازي للواقدي ١٩٦ وطبقات ابن سعد ٢/ ٢٧ والبداية ٤/ ٤ ودلائل النبوة للبيهقي ٣/ ١٧٢ وانظر معجم ما استعجم ١/ ٢٢٨ وشرح المواهب ٢/ ١٤.

(٣) انظر تاريخ الطبري ٢/ ٤٩٢ والسيرة لابن هشام ٣/ ٥٣ والمغازي للواقدي ١٩٧ وطبقات ابن سعد ٢/ ٢٧ والبداية ٤/ ٥ وشرح المواهب ٢/ ١٧.

وكسر الراء، كما ضبطه ابن الفرات[1] ـ إسم ماء من مياه نجد[2].

وسببها: ـ كما قال ابن إسحاق ـ أن قريشاً خافوا من طرقهم التي يسلكون إلى الشام، حين كان من وقعة بدر ما كان، فسلكوا طريق العراق، فخرج منهم تجار فيهم أبو سفيان بن حرب، ومعهم فضة كثيرة.

وعند ابن سعد: بعثه ﷺ لهلال جمادى الآخرة على رأس ثمانية وعشرين شهراً من الهجرة، في مائة راكب يعترض عيراً لقريش فيها صفوان بن أمية وحويطب بن عبد العزى، ومعهم مال كثير وآنية فضة. فأصابوها وقدموا بالعير على رسول الله ﷺ، وخمسها فبلغ الخمس قيمة عشرين ألف درهم.

وعند مغلطاي: خمسة وعشرين ألف درهم.

وذكرها ابن إسحاق قبل قتل ابن الأشرف.

[ثم غزوة أحد][3] وهو جبل مشهور بالمدينة على أقل من فرسخ منها.

وسمي بذلك لتوحده وإنقطاعه عن جبال أخر هناك، ويقال له: ذو عينين، قال في القاموس: بكسر العين وبفتحها مثنى، جبل بأحد. انتهى.

وهو الذي قال فيه ﷺ: «**أحد جبل يحبنا ونحبه**»[4]

وقيل: وفيه قبر هارون، أخي موسى، عليهما السلام.

وكانت عنده الوقعة المشهورة، في شوال سنة ثلاث بالإتفاق، يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلت منه ـ وقيل لسبع ليال خلون منه، وقيل في نصفه ـ .

وعن مالك: بعد بدر بسنة، وعنه أيضاً: كانت على أحد وثلاثين شهراً من الهجرة.

---

(١) هو محمد بن العباس بن أحمد بن محمد بن الفرات، أبو الحسن (٣١٩ ـ ٣٨٤ هـ) حافظ. الأعلام ٦/ ١٨٣، المنتظم ١٤/ ٣٧١ رقم الترجمة (٢٩٠٥)، تاريخ بغداد ٣/ ١٢٢ وتذكرة الحفاظ ٣/ ١٠١٥ رقم الترجمة (٩٤٦)، العبر ٣/ ٢٦.

(٢) انظر معجم البلدان ٤/ ٣٢٢ مادة (قردة).

(٣) انظر تاريخ الطبري ٢/ ٤٩٩ والسيرة لابن هشام ٣/ ٦٤ طبقات ابن سعد ٢/ ٢٨ والمغازي للواقدي ١٩٩ والبداية ٤/ ١٠ وصحيح مسلم بشرح النووي ١٢/ ١٤٧ ودلائل النبوة للبيهقي ٣/ ٢٠١ ومعجم البلدان ١/ ١٠٩ مادة (أحد). وشرح المواهب ٢/ ١٨.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة باب (٥٤) رقم الحديث (١٤٨١) والمعجم الكبير للطبراني ٧/ ١٠٦ وفي ميزان الإعتدال (٣١٤٣) ومجمع الزوائد للهيثمي ٤/ ١٣ وفي إتحاف السادة المتقين ١/ ١٦٥ وفي كنز العمال (٣٤٩٨٦) وفي فتح الباري ٣/ ٤٨١. و ٧/ ٤٣٩.

وكان سببها. كما ذكره ابن إسحاق عن شيوخه، وموسى بن عقبة عن ابن شهاب، وأبو الأسود عن عروة، وابن سعد، قالوا ـ أو من قال منهم ـ ما حاصله.

إن قريشاً لما رجعوا من بدر إلى مكة، وقد أصيب أصحاب القليب، ورجع أبو سفيان بعيره، قال عبد الله بن أبي ربيعة، وعكرمة ابن أبي جهل، في جماعة ممن أصيب آباؤهم وإخوانهم وأبناؤهم يوم بدر: يا معشر قريش، إن محمداً قد وتركم، وقتل خياركم، فأعينونا بهذا المال على حربه ـ يعنون عير أبي سفيان، ومن كانت له في تلك العير تجارة ـ لعلنا أن ندرك به ثأرنا. فأجابوا لذلك، فباعوها وكانت ألف بعير، والمال خمسين ألف دينار.

وفيهم ـ كما قال ابن إسحاق وغيره ـ أنزل الله **﴿إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله، فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون﴾** [الأنفال: ٣٦].

واجتمعت قريش لحرب رسول الله ﷺ. وكتب العباس بن عبد المطلب كتاباً يخبر رسول الله ﷺ بخبرهم، وسار بهم أبو سفيان حتى نزلوا ببطن الوادي من قبل أحد مقابل المدينة.

وكان رجال من المسلمين أسفوا على ما فاتهم من مشهد بدر.

وأري ﷺ ليلة الجمعة رؤيا، فلما أصبح قال: «**إني والله قد رأيت خيراً، رأيت بقراً تذبح، ورأيت في ذباب سيفي ثلماً، ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة، فأما البقر فناس من أصحابي يقتلون، وأما الثلم الذي أريت في سيفي فهو رجل من أهل بيتي يقتل**»[١].

وقال ابن عقبة، ويقول رجال: كان الذي بسيفه ما قد أصاب وجهه، فإن العدو أصابوا وجهه الشريف ﷺ يومئذ، وكسروا رباعيته، وجرحوا شفته.

وفي رواية قال عليه الصلاة والسلام: «**وأولت الدرع الحصينة بالمدينة فامكثوا، فإن دخل القوم الأزقة قاتلناهم، ورموا من فوق البيوت**»[٢].

فقال أولئك القوم: يا رسول الله، كنا نتمنى هذا اليوم، أخرج بنا إلى أعدائنا لا يرون أنا جبنا عنهم.

---

(١) أخرج مسلم نحوه في كتاب الرؤيا رقم الحديث (٢٠). وأخرجه البخاري مقطعاً في غير موضع من المغازي باب (٢٦) رقم الحديث (٤٠٨١) وفي المناقب باب علامات النبوة في الإسلام وفي كتاب التعبير باب إذا رأى بقراً تنحر وأخرجه ابن ماجه في كتاب تعبير الرؤيا باب (١٠) رقم الحديث (٣٩٢١).

(٢) انظر دلائل النبوة للبيهقي ٣/ ٢٠١ و ٢٠٧ وانظر فتح الباري ٧/ ٤٤٠ كتاب المغازي باب (١٧).

فصلى ﷺ بالناس الجمعة، ثم وعظهم وأمرهم بالجد والإجتهاد، وأخبرهم أن لهم النصر ما صبروا، وأمرهم بالتهيؤ لعدوهم، ففرح الناس بذلك.

ثم صلى بالناس العصر وقد حشدوا، وحضر أهل العوالي، ثم دخل ﷺ بيته ومعه صاحباه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، فعمماه وألبساه.

وصف الناس ينتظرون خروجه عليه السلام، فقال سعد بن معاذ وأسيد بن حضير: استكرهتم رسول الله ﷺ على الخروج، فردوا الأمر إليه، فخرج ﷺ وقد لبس لأمته ـ وهي بالهمزة وقد يترك تخفيفاً: الدرع ـ وتقلد سيفه، فندموا جميعاً على ما صنعوا، فقالوا: ما كان لنا أن نخالفك فاصنع ما شئت. فقال: «**ما ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه**»[1].

وفي حديث ابن عباس عند أحمد والنسائي والطبراني، وصححه الحاكم: نحو حديث ابن أسحاق، وفيه إشارة النبي ﷺ إليهم أن لا يبرحوا من المدينة، وإيثارهم الخروج لطلب الشهادة، ولبسه للأمته، وندامتهم على ذلك وقوله ﷺ: «**لا ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل**» وفيه: «**إني رأيت أني في درع حصينة**» الحديث.

وعقد عليه السلام ثلاثة ألوية:

ـ لواء بيد أسيد بن حضير.

ـ ولواء للمهاجرين بيد علي بن أبي طالب وقيل بيد مصعب بن عمير.

ـ ولواء للخزرج بيد الحباب بن المنذر وقيل بيد سعد بن عبادة.

وفي المسلمين مائة دارع. وخرج السعدان أمامه يعدوان: سعد ابن معاذ وسعد بن عبادة، دارعين.

واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم، وعلى الحرس تلك الليلة محمد بن مسلمة.

وأدلج عليه السلام في السحر، وكان قد رد جماعة من المسلمين لصغرهم، منهم: أسامة، وابن عمر، وزيد بن ثابت وأبو سعيد الخدري. والنعمان بن بشير. قال مغلطاي: وفيه نظر.

وكان المسلمون ألف رجل، ويقال: تسعمائة، والمشركون ثلاثة آلاف رجل فيهم سبعمائة دارع ومائتا فرس، وثلاثة آلاف بعير وخمس عشرة امرأة.

ونزل عليه السلام بأحد ورجع عنه عبد الله بن أبي في ثلاثمائة ممن تبعه من قومه

---

(١) هو في دلائل النبوة للبيهقي ٣/ ٢٠٨ وفي فتح الباري ٧/ ٤٣٩ كتاب المغازي باب (١٧).

من أهل النفاق. ويقال: إن النبي ﷺ أمرهم بالإنصراف لكفرهم بمكان يقال له الشوط، وقيل بأحد.

ثم صف المسلمون بأصل أحد، وصف المشركون بالسبخة.

قال ابن عقبة: وكان على ميمنة خيل المشركين خالد بن الوليد وعلى ميسرتها عكرمة بن أبي جهل.

وجعل ﷺ على الرماة ـ وهم خمسون رجلاً ـ عبد الله بن جبير، وقال: «**إن رأيتمونا تتخطفنا الطير فلا تبرحوا من مكانكم هذا حتى أرسل إليكم، وإن رأيتمونا هزمنا القوم وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم**»[1] كذا في البخاري من حديث البراء.

وفي حديث ابن عباس عند أحمد والطبراني والحاكم: أنه ﷺ أقامه في موضع ثم قال: «**إحموا ظهورنا، فإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا وإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا.**»[2].

قال ابن إسحاق: وقال رسول الله ﷺ «**من يأخذ هذا السيف بحقه**»[3]. فقام إليه رجال، فأمسكه عنهم، حتى قام إليه أبو دجانة سماك، فقال: وما حقه يا رسول الله؟ قال: أن تضرب به في وجه العدو حتى ينحني، قال: أنا آخذه بحقه يا رسول الله، فأعطاه إياه، وكان رجلاً شجاعاً يختال عند الحرب، فلما رآه ﷺ يتبختر قال: إنها لمشية يبغضها الله إلا في مثل هذا الموطن.

قال الزبير بن العوام ـ فيما قاله ابن هشام ـ فقلت والله لأنظرن ما يصنع أبو دجانة. فاتبعته فأخذ عصابة له حمراء فعصب بها رأسه، فقالت الأنصار: أخرج عصابة الموت فخرج وهو يقول

أنا الذي عاهدني خليلي ... ونحن بالسفح لدى النخيل

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد باب (١٦٤) رقم الحديث (٣٠٣٩ ـ ٣٩٨٦ ـ ٤٠٤٣ ـ ٤٠٦٧ ـ ٤٥٦١) وأبو داوود في كتاب الجهاد باب (١٠٦) رقم الحديث (٢٦٦٢) وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل ٤/ ٢٩٣.

(٢) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/ ١١٠ والبيهقي في دلائل النبوة ٣/ ٢٧٠ وفي المعجم الكبير للطبراني ١/ ٣٦٦ وفي الدر المنثور ٢/ ٨٤ وانظر فتح الباري ٧/ ٤٤٤ كتاب المغازي باب (١٧) رقم الحديث (٤٠٤٣).

(٣) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ٣/ ١٢٣ والمستدرك للحاكم ٣/ ٢٣٠ ومصنف ابن أبي شيبة ١٢/ ٢٠٦ و ١٤/ ٤٠١ ومجمع الزوائد ٦/ ١٠٩ و ٩/ ١٢٤ والعلل لابن أبي حاتم الرازي (١٠١٣) وكنز العمال (١٠٩٧٢ ـ ١٠٩٧٣).

ألا أقوم الدهر في الكيّول أضرب بسيف الله والرسول[1]

فجعل لا يلقى أحداً من المشركين إلاّ قتله.

وقوله: في الكيول ـ بفتح الكاف وتشديد المثناة التحتية ـ مؤخر الصفوف. وهو: فيعول من كال الزند يكيل كيلاً إذا كبا ولم يخرج ناراً، فشبه مؤخر الصفوف به لأن من كان فيه لا يقاتل. قال أبو عبيدة: ولم يسمع إلا في هذا الحديث. وقاتل حمزة بن عبد المطلب حتى قتل أرطأة بن شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف.

والتقى حنظلة الغسيل وأبو سفيان فضربه شداد بن أوس فقتله فقال ﷺ: **«إن حنظلة لتغسله الملائكة»**، فسألوا امرأته جميلة أخت عبد الله ابن أبي فقالت: خرج وهو جنب فقال عليه السلام **«لذلك غسلته الملائكة»**[2].

وبذلك تمسك من قال من العلماء: إن الشهيد يغسل إذا كان جنباً.

وقتل علي طلحة بن أبي طلحة، صاحب لواء المشركين، ثم حمل لواءهم عثمان بن أبي طلحة، فحمل عليه حمزة فقطع يده وكتفه.

ثم أنزل الله نصره على المسلمين فحسوا الكفار بالسيوف حتى كشفوهم عن العسكر وكانت الهزيمة، فولى الكفار لا يلوون على شيء، ونساؤهم يدعون بالويل، وتبعهم المسلمون حتى أجهضوهم. ووقعوا ينهبون العسكر ويأخذون ما فيه من الغنائم.

وفي البخاري: قال البراء: فقال أصحاب عبد الله بن جبير: أي قوم، الغنيمة، ظهر أصحابكم فما تنتظرون، فقال عبد الله بن جبير: أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ؟ قالوا: والله لنأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة، فلما أتوهم صرفت وجوههم، فأقبلوا منهزمين. وفي حديث عائشة عند البخاري أيضاً: لما كان يوم أحد هزم المشركون هزيمة بينة، فصاح إبليس: أي عباد الله أخراكم، فرجعت أولاهم فاجتلدت مع أخراهم[3].

وعند أحمد والحاكم من حديث ابن عباس: أنهم لما رجعوا اختلطوا بالمشركين والتبس العسكران فلم يتميزوا، فوقع القتل في المسلمين بعضهم في بعض.

وفي رواية غيرهما: ونظر خالد بن الوليد إلى خلاء الجبل وقلة أهله فكر بالخيل،

---

(١) انظر البداية والنهاية ٤/١٧.

(٢) ذكره الحاكم في المستدرك ٣/ ٢٠٤ وفي تلخيص الحبير لابن حجر ٢/ ١١٨ وفي حلية الأولياء ١/ ٣٥٧ وفي السيرة لابن هشام ٣/ ٧٩ وفي دلائل النبوة للبيهقي ٣/ ٢٤٦ وكنز العمال (٣٣٢٥٨).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق باب (١١) رقم الحديث (٣٢٩٠ ـ ٣٨٢٤ ـ ٤٠٦٥ ـ ٦٦٦٨ ـ ٦٨٨٣ ـ ٦٨٩٠).

وتبعه عكرمة بن أبي جهل فحملوا على من بقي من النفر الرماة فقتلوهم وأميرهم عبد الله بن جبير.

وفي البخاري: أنهم لما اصطفوا للقتال، خرج سباع فقال: هل من مبارز، فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب فشد عليه فكان كأمس الدابر، وكان وحشي كامناً تحت صخرة، فلما دنا منه رماه بحربته حتى خرجت من بين وركيه فكان آخر العهد به[1]. انتهى.

وكان مصعب بن عمير قاتل دون رسول الله ﷺ حتى قتل، وكان الذي قتله ابن قمئة، وهو يظنه رسول الله ﷺ فصاح ابن قمئة إن محمداً قتل. ويقال كان ذلك إزب العقبة، ويقال: بل هو إبليس لعنه الله تصور في صورة جعال.

وقال قائل: أي عباد الله أخراكم، أي: احترزوا من جهة أخراكم فعطف المسلمون يقتل بعضهم بعضاً وهم لا يشعرون، وانهزمت طائفة منهم جهة المدينة، وتفرق سائرهم، ووقع فيهم القتل. قال موسى بن عقبة: ولما فقد عليه السلام، قال رجل منهم: إن رسول الله ﷺ قد قتل، فارجعوا إلى قومكم ليؤمنوكم قبل أن يأتوكم فيقتلوكم، فإنهم داخلوا البيوت. وقال رجال منهم: إن كان رسول الله ﷺ قتل أفلا تقاتلون على دينكم وعلى ما كان عليه نبيكم حتى تلقوا الله عز وجل شهداء. منهم أنس بن مالك بن النضر شهد له بها عند رسول الله ﷺ سعد بن معاذ.

قال في «عيون الأثر»: كذا وقع في هذا الخبر: أنس بن مالك، وإنما هو أنس بن النضر عم أنس بن مالك بن النضر. انتهى.

وثبت رسول الله ﷺ حتى انكشفوا عنه، وثبت معه من أصحابه أربعة عشر رجلاً، سبعة من المهاجرين، فيهم أبو بكر الصديق، وسبعة من الأنصار.

وفي البخاري: لم يبق معه عليه الصلاة والسلام إلا اثنا عشر رجلاً. فأصابوا منا سبعين، وكان ﷺ وأصحابه أصاب من المشركين يوم بدر أربعين ومائة، سبعين أسيراً وسبعين قتيلاً.

فقال أبو سفيان: أفي القوم محمد، ثلاث مرات، فنهاهم النبي ﷺ أن يجيبوه، ثم قال: أفي القوم ابن أبي قحافة ثلاث مرات، ثم قال: أفي القوم ابن الخطاب ثلاث مرات، ثم رجع إلى أصحابه فقال: أما هؤلاء فقد قتلوا، فما ملك عمر نفسه فقال:

---

(١) انظر سياق القصة في السيرة لابن هشام ٣/ ٧٤ والبداية ٤/ ١٨.

كذبت يا عدو الله، إن الذين عددت لأحياء كلهم، وبقي لك ما يسوؤك، قال: يوم بيوم، والحرب سجال[1].

وتوجه ﷺ يلتمس أصحابه، فاستقبله المشركون فرموا وجهه فأدموه وكسروا رباعيته[2]، والذي جرح وجهه عبد الله بن قمئة، وعتبة ابن أبي وقاص أخو سعد هو الذي كسر رباعيته، ومن ثم لم يولد من نسله ولد يبلغ الحنث إلا وهو أبخر أو أهتم ـ أي مكسور الثنايا من أصلها ـ يعرف ذلك في عقبه.

وقال ابن هشام؛ في حديث أبي سعيد الخدري: إن عتبة بن أبي وقاص رمى رسول الله ﷺ يومئذ فكسر رباعيته اليمنى السفلى، وجرح شفته السلفى، وأن عبد الله بن هشام الزهري شجه في جبهته وأن ابن قمئة جرح وجنته فدخلت خلقتان من المغفر في وجنته، ووقع ﷺ في حفرة من الحفر التي كان أبو عامر الفاسق يكيد بها المسلمين.

وفي رواية: وهشموا البيضة على رأسه[3] ـ أي كسروا الخوذة ـ ورموه بالحجارة حتى سقط لشقه في حفرة من الحفر التي حفرها أبو عامر، فأخذ علي بيده، واحتضنه طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائماً، ونشبت حلقتان من المغفر في وجهه، فانتزعهما أبو عبيدة بن الجراح وعض عليهما حتى سقطت ثنيتاه من شدة غوصهما في وجهه.

وامتص مالك بن سنان ـ والد أبي سعيد الخدري ـ الدم من وجنته ثم ازدرده، فقال له ﷺ: من مس دمي دمه لم تصبه النار، وسيأتي إن شاء الله تعالى حكم دمه عليه السلام.

وفي الطبراني من حديث أبي أمامة قال: رمى عبد الله بن قمئة رسول الله ﷺ يوم أحد فشج وجهه وكسر رباعيته فقال: خذها وأنا ابن قميئة، فقال رسول الله ﷺ وهو يمسح الدم عن وجهه: «**أقمأك الله**»[4] فسلط الله عليه تيس جبل فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة.

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الجهاد باب (١٦٤) رقم الحديث (٣٠٣٩) وانظر البداية ٤/ ٢٧.

(٢) وفي ما أصاب النبي ﷺ من الجراح يوم أحد. أخرج مسلم في صحيحه كتاب الجهاد (١٠٦) وفي الدر المنثور ٢/ ٨٤ وأحمد بن حنبل في المسند ٢/ ٣١٧ وفي البخاري كتاب المغازي باب (٢٥) رقم الحديث (٤٠٧٣ ـ ٤٠٧٤ ـ ٤٠٧٦) والمستدرك للحاكم ٣/٢٦٦ سنن سعيد بن منصور (٢٨٤٧) وفي الكامل في الضعفاء لابن عدي ٢/ ٦٩٧.

(٣) أخرجه البخاري كتاب الطب باب (٢٧) رقم الحديث (٥٧٢٢) وأخرجه أيضاً ابن ماجه في كتاب الطب باب (١٥) رقم الحديث (٣٤٦٤).

(٤) ذكره في فتح الباري ٧/ ٤٦٤ (٤٠٦٩) (٤٠٧٥). وفي إتحاف السادة المتقين ٧/ ٩٣ وفي الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف لابن حجر (٣٢).

وروى ابن إسحاق عن حميد الطويل عن أنس قال: كسرت رباعيته ﷺ يوم أحد وشج وجهه، فجعل الدم يسيل على وجهه، وجعل يمسحه ويقول: «**كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم،وهو يدعوهم إلى ربهم**»[1] فأنزل الله تعالى:﴿**ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون**﴾ [آل عمران: ١٢٨] ورواه أحمد والترمذي والنسائي من طريق حميد به.

وعند ابن عائذ[2] من طريق الأوزاعي[3]: بلغنا أنه لما جرح ﷺ يوم أحد، أخذ شيئاً فجعل ينشف دمه وقال: لو وقع منه شيء على الأرض لنزل عليهم العذاب من السماء، ثم قال: «**اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**»[4].

وروى عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال: ضرب وجه النبي ﷺ يومئذ بالسيف سبعين ضربة، ووقاه الله شرها كلها. قال في فتح الباري: وهذا مرسل قوي، ويحتمل أن يكون أراد بالسبعين حقيقتها أو المبالغة، انتهى.

وقاتلت أم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية يوم أحد ـ فيما قاله ابن هشام ـ فخرجت أول النهار حتى انتهت إلى رسول الله قالت: فقمت أباشر القتال وأذب عنه بالسيف وأرمي عن القوس حتى خلصت الجراحة إلي، أصابني ابن قمئة ـ أقمأه الله تعالى ـ لما ولى الناس عن رسول الله ﷺ أقبل يقول: دلوني على محمد فلا نجوت إن نجا، قالت فاعترضت له، فضربني هذه الضربة، ولكن ضربته ضربات على ذلك، ولكن عدو الله عليه درعان.

قالت أم سعد بن الربيع: فرأيت على عاتقها جرحاً أجوف له غور.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي باب (٢٢) رقم الحديث (٤٠٦٨) والإمام أحمد بن حنبل في مسنده ٣/ ٢٠٦ وفي إتحاف السادة المتقين ٧/ ٩٢ وفي صحيح مسلم كتاب الجهاد باب (٢٧) رقم الحديث (١٠٤) وفي تفسير القرطبي ٤/ ١٩٩ مشكاة المصابيح (٥٨٤٩) والدر المنثور ٢/ ٧١.

(٢) هو محمد بن عائذ بن أحمد القرشي الدمشقي (١٥٠ ـ ٢٣٣ هـ) حافظ كاتب، وهو من القدرية. الأعلام ٦/ ١٧٩ شذرات الذهب ٢/ ٧٨ العبر ١/ ٤١٤ النجوم الزاهرة ٢/ ٢٦٥ والوافي بالوفيات ٣/ ١٨١.

(٣) هو عبد الرحمٰن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي أبو عمرو (٨٨ ـ ١٥٧ هـ) فقيه كثير الحديث توفي في بيروت. الأعلام ٣/ ٣٢٠ حلية الأولياء٦/ ١٣٥ رقم الترجمة (٣٥٤) وفيات الأعيان ١/ ٢٧٥ شذرات الذهب ١/ ٢٤١.

(٤) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في المسند ١/ ٤٤١ وفي مجمع الزوائد ٦/ ١١٧ وفي تفسير الطبري ١/ ١٣ وفي تفسير القرطبي ٤/ ١٩٩. وفي الدر المنثور ٣/ ٩٥. وفي المعجم الكبير للطبراني ٦/ ١٤٦ وفي إتحاف السادة المتقين ٥/ ٥٤ وفي دلائل النبوة للبيهقي ٣/ ٢١٥ وفي كنز العمال (٢٩٨٨٣ ـ ٣٥٥٦٣).

وترس دون رسول الله ﷺ ـ فيما قاله ابن إسحاق ـ أبو دجانة بنفسه، يقع النبل في ظهره وهو منحن عليه حتى كثر عليه النبل وهو لا يتحرك.

ورمى سعد بن أبي وقاص دون رسول الله ﷺ. قال سعد: فلقد رأيته يناولني النبل ويقول: إرم فداك أبي وأمي، حتى إنه ليناولني السهم ماله نصل فيقول: إرم به.

وأصيبت يومئذ عين قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنته، فأتى بها إلى رسول الله ﷺ فأخذها رسول الله بيده وردها إلى موضعها وقال: «**اللهم اكسه جمالاً**»[1] فكانت أحسن عينيه وأحدهما نظراً[2]. ورواه الدارقطني بنحوه، ويأتي لفظه إن شاء الله تعالى في مقصد المعجزات.

ورمي أبو رهم كلثوم بن الحصين بسهم فوقع في نحره فبصق عليه ﷺ فبرىء.

وانقطع سيف عبد الله بن جحش، فأعطاه ﷺ عرجوناً فعاد في يده سيفاً، فقاتل به وكان ذلك السيف يسمى العرجون، ولم يزل يتوارث حتى بيع من بغا التركي من أمراء المعتصم بالله في بغداد بمائتي دينار.

وهذا نحو حديث عكاشة السابق في غزوة بدر إلا أن سيف عكاشة كان يسمى العون، وهذا يسمى العرجون.

واشتغل المشركون بقتلى المسلمين يمثلون بهم، يقطعون الآذان والأنوف والفروج ويبقرون البطون وهم يظنون أنهم أصابوا رسول الله ﷺ واشراف أصحابه.

وكان أول من عرف رسول الله ﷺ كعب بن مالك، قال عرفت عينيه تزهران من تحت المغفر، فناديت بأعلى صوتي: يا معشر المسلمين، هذا رسول الله ﷺ، فلما عرفوه نهضوا ونهض معهم نحو الشعب، معه أبو بكر وعمر وعلي ورهط من المسلمين، فلما أسند رسول الله ﷺ في الشعب أدركه أبي بن خلف وهو يقول: أين محمد، لا نجوت إن نجا، فقالوا: يا رسول الله، يعطف عليه رجل منا؟ فقال ﷺ: دعوه، فلما دنا تناول ﷺ الحربة من الحارث بن الصمة، فلما أخذها منه عليه السلام انتفض بها انتفاضة تطايرنا عنه تطاير الشعراء عن ظهر البعير إذا انتفض، ثم استقبله عليه الصلاة والسلام، فطعنه طعنة وقع بها عن فرسه ولم يخرج له دم فكسر ضلعاً من أضلاعه.

---

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٣/ ٢٥٢. وفي إتحاف السادة المتقين ٧/ ١٨٧.

(٢) وقيل في هذا المعنى شعراً:

إن كان موسى سقى الأسباط من حجر ... فإن في الكف معنى ليس في الحجر

إن كان عيسى برا الأعمى بدعوته ... فكم براحته قد رد من بصر

فلما رجع إلى قريش قال: قتلني والله محمد، أليس قد كان قال لي بمكة: أنا أقتلك، فوالله لو بصق علي لقتلني. فمات عدو الله بسرف وهم قافلون به إلى مكة[1]. رواه البيهقي وأبو نعيم ولم يذكر: فكسر ضلعاً من أضلاعه.

قال الواقدي: وكان ابن عمر يقول: مات أبي بن خلف ببطن رابغ، فإني لأسير ببطن رابغ بعد هوي من الليل إذا نار تأجج لي لهبها فهبتها، وإذا رجل يخرج منها في سلسلة يجتذبها يصيح العطش، وإذا رجل يقول: لا تسقه، فإن هذا قتيل رسول الله ﷺ، هذا أبي بن خلف، ورواه البيهقي.

ولما انتهى ﷺ إلى فم الشعب ملأ علي بن أبي طالب درقته من المهراس ـ وهو صخرة منقورة تسع كثيراً من الماء، وقيل هو اسم ماء بأحد ـ فجاء به إلى رسول الله ﷺ وغسل عن وجهه الدم، وصب على رأسه وهو يقول: اشتد غضب الله على من رمى وجه نبيه.

وصلى النبي ﷺ الظهر يومئذ قاعداً من الجراح التي أصابته، وصلى المسلمون خلفه قعوداً.

قال ابن إسحاق: ووقعت هند بنت عتبة والنسوة اللاتي معها يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله ﷺ يجدعن الآذان والآنف، وبقرت عن كبد حمزة فلاكتها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها.

ولما أراد أبو سفيان الانصراف أشرف على الجبل، ثم صرخ بأعلى صوته: أنعمت فعال، إن الحرب سجال، يوم بيوم بدر، أعل هبل.

وكان أبو سفيان حين أراد الخروج إلى أحد، كتب على سهم نعم، وعلى آخر: لا، وأجالها عند هبل، فخرج سهم نعم، فخرج إلى أحد، فلما قال: أعل هبل، أي زد علواً.

فقال رسول الله ﷺ لعمر أجبه فقل: «الله أعلا وأجل».

فقال أبو سفيان: أنعمت فعال، أي اترك ذكرها فقد صدقت في فتواها وأنعمت، أي أجابت بنعم.

فقال عمر: لا سواء، قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار.

---

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٣/٢٥٨. وإتحاف السادة المتقين ٧/١٨٣. وفي طبقات ابن سعد ٢/ ٣٥.

فقال: إن لنا عزى ولا عزى لكم.

فقال ﷺ قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم.

.ولما انصرف أبو سفيان وأصحابه نادى: إن موعدكم بدر العام القابل، فقال ﷺ لرجل من أصحابه: «**قل نعم، هو بيننا وبينكم موعد**»[١].

وذكر الطبراني: أنه لما انصرف المشركون، خرج النساء إلى الصحابة يعنهم فكانت فاطمة فيمن خرج، فلما لقيت النبي ﷺ اعتنقته وجعلت تغسل جراحاته بالماء فيزداد الدم، فلما رأت ذلك أخذت شيئاً من حصير أحرقته بالنار وكمدته به حتى لصق بالجرح فاستمسك الدم[٢].

ثم أرسل عليه الصلاة والسلام محمد بن مسلمة ـ كما ذكره الواقدي ـ فنادى في القتلى: يا سعد بن الربيع، مرة بعد أخرى، فلم يجبه، حتى قال إن رسول الله ﷺ أرسلني إليك، فأجابه بصوت ضعيف، فوجده جريحاً في القتلى وبه رمق فقال: أبلغ رسول الله ﷺ عني السلام، وقل له: يقول لك، جزاك الله عنا خير ما جزى به نبياً عن أمته، وأبلغ قومك عني السلام وقل لهم: لا عذر لكم عند الله أن يخلص إلى نبيكم وفيكم (عين) تطرف، ثم مات[٣].

وقتل أبو جابر، فما عرف إلا ببنانه ـ أي أصابعه، وقيل أطرافها، واحدتها. بنانه.

وخرج ﷺ يلتمس حمزة، فوجده ببطن الوادي، قد بقر بطنه عن كبده، ومثل به فجدع أنفه وأذناه، فنظر عليه السلام إلى شيء لم ينظر إلى شيء أوجع لقلبه منه فقال: «**رحمة الله عليك، لقد كنت فعولاً للخير، وصولاً للرحم، أما والله لأمثلن بسبعين منهم مكانك**» قال: فنزلت عليه خواتيم سورة النحل ﴿**وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به**﴾ [النحل: ١٢٦][٤] الآية، فصبر وكفر عن يمينه وأمسك عما أراد.

---

(١) انظر سيرة ابن هشام ٣/ ١٠٠.

(٢) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٣/ ٢٦٠ وفي صحيح البخاري كتاب الجهاد باب (٨٥) رقم الحديث (٢٩١١) وفي فتح الباري ٧/ ٤٧٤ كتاب المغازي باب (٢٥) وفي صحيح مسلم كتاب الجهاد باب (٣٧) رقم الحديث (١٠١) وأخرجه ابن ماجه كتاب الطب باب (١٥) رقم الحديث (٣٤٦٤). والإمام أحمد بن حنبل في مسنده ٥/ ٣٣٠.

(٣) ذكره الحاكم في المستدرك ٢/ ٢٠١.

(٤) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٣/ ٢٨٨. وفي مجمع الزوائد ٦/ ١١٩. والدر المنثور ٤/ ١٣٥ وفي المستدرك للحاكم ٣/ ١٩٧. والطبراني ٣/ ١٥٦ وفي فتح الباري ٧/ ٤٧٢. كتاب المغازي باب (٢٤). وفي السلسلة الضعيفة للألباني (٥٥٠).

وممن مثل به كما مثل بحمزة عبد الله بن جحش، ابن أخت حمزة، ولذا يعرف بالمجدع في الله، وكان حين قتل ابن بضع وأربعين سنة، ودفن مع حمزة في قبر واحد.

ولما أشرف ﷺ على القتلى قال: «**أنا شهيد على هؤلاء، وما من جريح يجرح في الله إلا والله يبعثه يوم القيامة يدمي جرحه، اللون لون دم والريح ريح المسك**».

وفي رواية عبد الله بن ثعلبة قال ﷺ لقتلى أحد: «**زملوهم بجراحهم**»[1].

وروى أبو بكر بن مردويه أن رسول الله ﷺ قال: «**يا جابر ألا أخبرك: ما كلم الله تعالى أحداً قط إلا من وراء حجاب، وإنه كلم أباك كفاحاً، فقال سلني أعطك، فقال أسألك أن أرد إلى الدنيا فأقتل فيك ثانية، فقال الرب عز وجل: إنه سبق مني أنهم لا يرجعون إلى الدنيا قال: أي رب فأبلغ من ورائي، فأنزل الله ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً﴾** [آل عمران: ١٦٩][2] الآية.

وعن ابن عباس قال رسول الله ﷺ: **لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم وحسن مقيلهم، قالوا: يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله بنا لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب، قال الله تعالى: أنا أبلغهم عنكم فأنزل الله عز وجل هذه الآيات: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا﴾**[3] [آل عمران: ١٦٩].

قال بعض من تكلم على هذا الحديث: قوله: ثم تأوي إلى قناديل، يصدقه قوله تعالى: **﴿والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم﴾** [الحديد: ١٩] وإنما تأوي إلى تلك القناديل ليلاً وتسرح نهاراً، وبعد دخول الجنة في الآخرة لا تأوي إلى تلك القناديل، وإنما ذلك في البرزخ.

وقال مجاهد: الشهداء يأكلون من ثمر الجنة وليسوا فيها.

---

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٣/ ٢٩٠. وفي سيرة ابن هشام ٣/ ١٠٤. تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٧/ ٣١٦. وفي طبقات ابن سعد ٢/ ٣٣ وفي كنز العمال (١١٧٣٨ ـ ٢٩٨٩٠).

(٢) أخرجه ابن ماجه في كتاب الجهاد باب (١٦) رقم الحديث (٢٨٠٠). وفي السنن الكبرى للبيهقي (١٩٠ ـ ٢٨٠٠) وفي الترغيب والترهيب للمنذري ٢/ ٣١٣ وفي السنة لابن أبي عاصم ١/ ٢٦٧.

(٣) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ١/ ٢٦٦. وفي سنن أبي داود كتاب الجهاد باب (٢٥) رقم الحديث (٢٥٢٠). وفي إتحاف السادة المتقين ١٠/ ٣٨٨. وفي الحاوي للفتاوي للسيوطي ٢/ ٣٠٦.

وقد رد هذا القول، ويشهد له ما وقع في مسند ابن أبي شيبة وغيره: أن رسول الله ﷺ قال: «**الشهداء بنهر أو على نهر يقال له بارق عند باب الجنة، في قباب خضر يأتيهم رزقهم منها بكرة وعشياً**»[1].

قال الحافظ عماد الدين بن كثير: كأن الشهداء أقسام، منهم من تسرح أرواحهم في الجنة، ومنهم من يكون على هذا النهر بباب الجنة، وقد يحتمل أني يكون منتهى سيرهم إلى هذا النهر فيجتمعون هنالك، ويغدى عليهم برزقهم هناك ويراح.

قال: وقد روينا في مسند الإمام أحمد حديثاً فيه بشرى لكل مؤمن بأن روحه تكون في الجنة أيضاً وتسرح فيها وتأكل من ثمارها، وترى ما فيها من النضرة والسرور وتشاهد ما أعد الله لها من الكرامة.

قال: وهو إسناد صحيح عزيز عظيم اجتمع فيه ثلاثة من الأئمة الأربعة، أصحاب المذاهب المتبعة، فإن الإمام أحمد رواه عن الشافعي عن مالك بن أنس عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه يرفعه: «**نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه**»[2].

وقوله يعلق، أي يأكل، وفي هذا الحديث أن روح المؤمن تكون على شكل طائر في الجنة، وأما أرواح الشهداء ففي حواصل طير خضر، فهي كالراكب بالنسبة إلى أرواح عموم المؤمنين، فإنها تطير بأنفسها. فنسأل الله الكريم المنان أن يميتنا على الإيمان.

وقد استشهد يوم أحد من المسلمين سبعون ـ فيما قاله مغلطاي. وغيره ـ وقيل خمسة وستون أربعة من المهاجرين.

وروى ابن منده من حديث أبي بن كعب قال: استشهد من الأنصار يوم أحد أربعة وستون ومن المهاجرين ستة وصححه ابن حبان من هذا الوجه.

وقتل من المشركين ثلاثة وعشرون رجلاً، وقتل ﷺ بيده أبي بن خلف.

وحضرت الملائكة يومئذ، ففي حديث سعد بن أبي وقاص عند مسلم في

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ١/ ٢٦٦ وفي المستدرك للحاكم ٢/ ٧٤. وفي المعجم الكبير للطبراني ١٠/ ٤٠٥ وفي إتحاف السادة المتقين ١٠/ ٣٨٨. والدر المنثور ٢/ ٩٦. وفي مجمع الزوائد للهيثمي ٥/ ٢٩٤. وفي تفسير الطبري ٢/ ٣٤ وتفسير ابن كثير ٢/ ١٤٢ وفي كنز العمال (١١٠٩٩) وفي الحاوي للفتاوي للسيوطي ٢/ ٣٠٦. وفي مصنف ابن أبي شيبه ٥/ ٢٩٠.

(٢) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ٣/ ٤٥٥. وفي زاد المسير لابن الجوزي ١/ ٥٠١. وفي البداية والنهاية ١٠/ ٣٤١.

صحيحه: «أنه رأى عن يمين رسول الله ﷺ وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض ما رأيتهما قبل ولا بعد، يعني جبريل وميكائيل يقاتلان كأشد القتال»[1].

وفيه ـ كما قدمناه في غزوة بدر ـ أن قتال الملائكة معه ﷺ لا يختص بيوم بدر، خلافاً لمن زعمه، كما نص عليه النووي في شرح مسلم كما قدمته والله أعلم.

ولما بكى المسلمون على قتلاهم سر بذلك المنافقون وظهر غش اليهود.

ذكر القاضي عياض في الشفاء عن القاضي أبي عبد الله بن المرابط[2] من المالكية أنه قال: من قال إن النبي ﷺ هزم يستتاب فإن تاب وإلا قتل، لأنه تنقص، إذ لا يجوز ذلك عليه في خاصته، إذ هو على بصيرة من أمره ويقين من عصمته. انتهى.

وهذا موافق لمذهبنا. لكن قال العلامة البساطي[3] من المالكية: هذا القائل إن كان يخالف في أصل المسألة، أعني حكم الساب، فله وجه، وإن وافق على أن الساب لا تقبل توبته فمشكل انتهى.

وقد كان في قصة أحد، وما أصيب به المسلمون من الفوائد والحكم الربانية أشياء عظيمة:

منها: تعريف المسلمين سوء عاقبة المعصية وشؤم ارتكاب النهي، لما وقع من ترك الرماة موقفهم الذي أمرهم رسول الله ﷺ أن لا يبرحوا منه.

ومنها: أن عادة الرسل أن تبتلى ثم تكون لهم العافية، والحكمة في ذلك أن لو انتصروا دائماً لدخل في المسلمين من ليس منهم ولم يتميز الصادق من غيره ولو انكسروا دائماً لم يحصل المقصود من البعثة، فاقتضت الحكمة الجمع بين الأمرين ليتميز الصادق من الكاذب. وذلك أن نفاق المنافقين كان مخفياً عن المسلمين فلما جرت هذه القصة وأظهر أهل النفاق ما أظهروه من الفعل والقول حتى عاد التلويح تصريحاً، وعرف المسلمون أن لهم عدواً في دارهم، واستعدوا لهم وتحرزوا منهم.

---

(١) أخرجه البخاري كتاب المغازي باب (١٨) رقم الحديث (٤٠٥٤ ـ ٥٨٢٦).

(٢) هو محمد بن خلف بن سعيد بن وهب أبو عبد الله ابن المرابط قاضي. فقيه محدث. توفي بالمدينة سنة (٤٨٥ هـ). الأعلام ٦/ ١١٥. الوافي بالوفيات ٣/ ٤٦. كشف الظنون (١٣٦١) الديباج المذهب (٢٧٣).

(٣) هو محمد بن أحمد بن عثمان الطائي البساطي أبو عبد الله شمس الدين. (٧٦٠ ـ ٨٤٢ هـ). فقيه. قاضي. توفي بالقاهرة. الأعلام ٥/ ٣٣٢. شذرات الذهب ٧/ ٢٤٥ الضوء اللامع ٧/ ٥ رقم الترجمة (٧) بغية الوعاة (١٣).

ومنها: أن في تأخير النصر في بعض المواطن هضماً للنفس وكسراً لشماختها فلما ابتلي المسلمون صبروا وجزع المنافقون.

ومنها: أن الله تعالى هيأ لعباده المؤمنين منازل في دار كرامته لا تبلغها أعمالهم، فقيض لهم أسباب الابتلاء والمحن ليصلوا إليها.

ومنها: أن الشهادة من أعلى مراتب الأولياء فساقهم إليها.

رمنها: أنه أراد هلاك أعدائه فقيض لهم الأسباب التي يستوجبون بها ذلك من كفرهم وبغيهم وطغيانهم في إيذاء أوليائه، فمحص ذنوب المؤمنين ومحق بذلك الكافرين.

غزوة حمراء الأسد(١)

وهي على ثمانية أميال من المدينة على يسار الطريق إذا أردت ذا الحليفة.

وكانت صبيحة يوم الأحد لست عشرة، أو لثمان خلون من شوال على رأس اثنين وثلاثين شهراً من الهجرة لطلب عدوهم بالأمس، ونادى مؤذن رسول الله ﷺ أن لا يخرج معنا أحد إلا من حضر يومناً بالأمس، أي من شهد أحداً.

وإنما خرج عليه الصلاة والسلام مرهباً للعدو، وليبلغهم أنه خرج في طلبهم ليظنوا به قوة، وأن الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم.

وأقام ﷺ بها الإثنين والثلاثاء والأربعاء، ثم رجع إلى المدينة يوم الجمعة وقد غاب خمساً.

وظفر ﷺ في مخرجه ذلك بمعاوية بن المغيرة بن أبي العاص فأمر بضرب عنقه صبراً.

قال الحافظ مغلطاي: وحرمت الخمر في شوال، ويقال في سنة أربع. انتهى.

قال أبو هريرة فيما رواه أحمد: حرمت الخمر ثلاث مرات: قدم رسول الله ﷺ المدينة وهم يشربون الخمر، ويأكلون الميسر، فسألوا رسول الله ﷺ عنهما فأنزل الله **﴿يسألونك عن الخمر والميسر. قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس﴾** [البقرة: ٢١٩] إلى آخر الآية. فقال الناس: ما حرم علينا، إنما قال: فيهما إثم كبير.

---

(١) انظر المنتظم ٣/ ١٧٢ السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ١٢٨ وطبقات ابن سعد ٢/ ٣٧. وتاريخ الطبري ٢/ ٢١٣. والكامل في التاريخ ٢/ ٥٧. ودلائل النبوة للبيهقي ٣/ ٣١٢. والبداية والنهاية ٤/ ٥٢. وشرح المواهب للزرقاني ٢/ ٥٩.

وكانوا يشربون الخمر حتى كان يوماً من الأيام صلى رجل من المهاجرين أم أصحابه في المغرب خلط في قراءته، فأنزل الله آية أغلظ منها ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون**﴾ [النساء: ٤٣] .

وكان الناس يشربون ثم نزلت آية أغلظ منها ﴿**يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر**﴾ إلى قوله: ﴿**لعلكم تفلحون**﴾ [المائدة: ٩٠] قال: انتهينا ربنا(١).

والميسر: القمار وقيل غيره.

وولد الحسن بن علي في هذه السنة.

ثم سرية عبدالله بن عبد الأسد،(٢) هلال المحرم على رأس خمس وثلاثين شهراً من الهجرة، إلى قطن - جبل بناحية فيد - ومعه مائة وخمسون رجلاً من الأنصار والمهاجرين، لطلب طليحة وسلمة ابني خويلد، فلم يجدهما، ووجد إبلاً وشاء فأغار عليهما ولم يلق كيداً.

ثم سرية عبد الله بن أنيس وحده(٣)، يوم الإثنين لخمس خلون من المحرم، على رأس خمسة وثلاثين شهراًمن الهجرة، إلى سفيان بن خالد الهذلي بعرنة - وادي عرفة - لأنه بلغه ﷺ أنه جمع الجموع لحربه.

فلما وصل إليه قال له ممن الرجل؟ قال: من بني خزاعة، سمعت بجمعك لمحمد فجئتك لأكون معك، قال: أجل. فمشى معه ساعة، ثم اغتره وقتله، وأخذ رأسه، فكان يسير الليل ويتوارى النهار، حتى قدم المدينة، فقال ﷺ: «**أفلح الوجه**» قال: أفلح وجهك يا رسول الله، ووضع رأسه بين يديه.(٤)

وكانت غيبته ثمان عشرة ليلة، وقدم يوم السبت لسبع بقين من محرم.

ثم سرية عاصم بن ثابت(٥)، في صفر على رأس ستة وثلاثين شهراً من الهجرة إلى

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في المسند ٢/ ٣٥١.

(٢) انظر طبقات ابن سعد ٢/ ٣٨. ودلائل النبوة للبيهقي ٣/ ٣١٩. والمنتظم ٣/ ١٩٧. وشرح المواهب للزرقاني ٢/ ٦٢. ومغازي الواقدي (٣٤٠).

(٣) انظر طبقات ابن سعد ٢/ ٣٩. والمنتظم ٣/ ١٩٧. وشرح المواهب ٢/ ٦٣.

(٤) أخرجه أحمد بن حنبل في المسند ٣/ ٤٩٦. والبيهقي في السنن الكبرى ٢/ ٢٢٢. والهيثمي في مجمع الزوائد ٦/ ٢٠٣ و ٩/ ٣١٩.

(٥) انظر المنتظم ٢/ ٢٠٠. وطبقات ابن سعد ٢/ ٤٢. الأغاني ٤/ ٢٢٥ (الأحوص). وسيرة ابن هشام ٣/ ١٧٨ ودلائل النبوة للبيهقي ٣/ ٣٢٣. والكامل في التاريخ ٢/ ٥٩. وشرح المواهب للزرقاني ٢/ ٦٤.

الرجيع ـ بفتح الراء وكسر الجيم، اسم ماء لهذيل بين مكة وعسفان ـ بناحية الحجاز، وكانت الوقعة بالقرب منه فسميت به.

وحديث عضل والقارة ـ بفتح الضاد المعجمة بعدها لام ـ بطن من بني الهون بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر، ينسبون إلى عضل بن الديش. وأما القارة، فبالقاف وتخفيف الراء، بطن من الهون ينسبون إلى الديش المذكور، قال ابن دريد: القارة: أكمة سوداء فيها حجارة، كأنهم نزلوا عندها فسموا بها.

وقصة عضل القارة كانت في بعث الرجيع، لا في سرية بئر معونة، وقد فصل بينهما ابن إسحاق، فذكر بعث الرجيع في أواخر سنة ثلاث، وبئر معونة أوائل سنة أربع.

وذكر الواقدي أن خبر بئر معونة وخبر أصحاب الرجيع جاءا إلى النبي ﷺ في ليلة واحدة.

وسياق ترجمة البخاري يوهم أن بعث الرجيع وبئر معونة شيء واحد، وليس كذلك، لأن بعث الرجيع كان سرية عاصم وخبيب وأصحابهما، وهي مع عضل والقارة. وبئر معونة كانت سرية القراء، وهي مع رعل وذكوان، وكأن البخاري أدمجها معها لقربها منها.

ويدل على قربها منها ما في حديث أنس من تشريك النبي ﷺ بين بني لحيان وبين عصية وغيرهم في الدعاء.

ولم يرد البخاري ـ رحمه الله ـ أنهما قصة واحدة، ولم يقع ذكر عضل والقارة عنده صريحاً.

وإنما وقع ذلك عند ابن إسحاق. فإنه بعد أن استوفى قصة أحد قال: ذكر يوم الرجيع: حدثني عاصم بن عمر بن قتاده قال: قدم على رسول الله ﷺ بعد أحد رهط من عضل والقارة فقالوا: يا رسول الله، إن فينا إسلاماً، فابعث معنا نفراً من أصحابك يفقهوننا، فبعث معهم ستة من أصحابه وأمر ﷺ على القوم مرثد بن أبي مرثد الغنوي. كذا في السيرة له ـ وفي الصحيح: وأمر عليهم عاصم بن ثابت، كما سيأتي، وهو أصح ـ فخرجوا مع القوم حتى أتوا على الرجيع ـ ماء لهذيل ـ غدروا بهم فاستصرخوا عليهم هذيلاً فلم يرع القوم، وهم في رحالهم، إلا الرجال بأيديهم السيوف، وقد غشوهم، فأخذوا أسيافهم ليقاتلوا القوم، فقالوا لهم: إنا والله لا نريد قتلكم، ولكنا نريد أن نصيب بكم شيئاً من أهل مكة، ولكم عهد الله وميثاقه أن لا نقتلكم، فأبوا، فأما مرثد وخالد وعاصم، فقالوا: والله لا نقبل من مشرك عهداً وقاتلوا حتى قتلوا.

وفي البخاري: وأمر عليهم عاصم بن ثابت، حتى إذا كانوا بالهدأة ـ بين عسفان ومكة ـ ذكروا لحي من هذيل يقال لهم بنو لحيان، فنفروا لهم في مائتيْ رجل. وعند بعضهم فتبعوهم بقريب من مائة رام.

والجمع بينهما واضح، بأن تكون المائة الأخرى غير رماة.

وفي رواية أبي مشعر في مغازيه: فنزلوا بالرجيع سحراً، فأكلوا تمر عجوة، فسقط نواه بالأرض، وكانوا يسيرون الليل ويكمنون بالنهار، فجاءت امرأة من هذيل ترعى غنماً، فرأت النواءات وأنكرت صغرهن، وقالت هذا تمر يثرب فصاحت في قومها قد أتيتم، فجاؤوا في طلبهم، فوجدوهم قد كمنوا في الجبل، وتبعوا آثارهم حتى لحقوهم.

وفي رواية ابن سعد: فلم يرع القوم إلا الرجال بأيديهم السيوف قد غشوهم.

فلما أحس بهم عاصم وأصحابه لجأوا إلى فدفد ـ بفاءين مفتوحتين، ومهملتين، الأولى ساكنة ـ وهي الرابية المشرفة، فأحاط بهم القوم، فقالوا: لكم العهد والميثاق إن نزلتم إلينا أن لا نقتل منكم رجلاً، فقال عاصم بن ثابت أيها القوم: أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر، ثم قال اللهم أخبر عنا رسولك، فاستجاب الله لعاصم فأخبر رسول الله خبرهم يوم أصيبوا.

فرموهم بالنبل، فقتلوا عاصماً، ونزل إليهم على العهد والميثاق: خبيب بن عدي[1] وزيد بن الدثنة ـ بفتح الدال المهملة، وكسر المثلثة، والنون المفتوحة المشددة ـ وعبد الله بن طارق.

فانطلقوا بخبيب وزيد بن الدثنة حتى باعوهما بمكة، فابتاع بنو الحارث بن عامر خبيباً، فلبث خبيب عندهم أسيراً، حتى إذا أجمعوا على قتله استعار من بعض بنات الحارث موسى يستحد بها ـ يعني يحلق عانته، فغفلت عن ابن لها صغير فأقبل إليه الصبي فأجلسه عنده فخشيت المرأة أن يقتله، ففزعت، فقال خبيب: ما كنت لأغدر.

قال قالت: والله ما رأيت أسيراً خيراً من خبيب، والله لقد وجدته يأكل قطفاً من عنب مثل رأس الرجل، وإنه لموثق بالحديد وما بمكة من ثمرة، وما كان إلا رزقاً رزقه الله[2].

---

(١) هو خبيب بن عدي بن مالك بن عامر الأوسي الأنصاري. صحابي توفي في سنة (٤ هـ). الإصابة ٢/ ١٠٣. رقم الترجمة (٧٧) المنتظم ٣/ ٢٠٩ رقم الترجمة (٧٧).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المغازي باب (١٠) رقم الحديث (٣٩٨٩ ـ ٤٠٨٦).

وهذه كرامة جعلها الله تعالى لخبيب، آية على الكفار، وبرهاناً لنبيه لتصحيح رسالته.

والكرامة للأولياء ثابتة مطلقاً عند أهل السنة. لكن استثنى بعض المحققين منهم كالعلامة الرباني أبي القاسم القشيري[1] ما وقع به التحدي لبعض الأنبياء فقال: ولا يصلون إلى مثل إيجاد ولد من غير أب ونحو ذلك. وهذا أعدل المذاهب في ذلك[2].

وإن إجابة الدعوة في الحال، وتكثير الطعام والمكاشفة بما يغيب عن العين، والإخبار بما سيأتي ونحو ذلك قد كثر جداً، حتى صار وقوع ذلك ممن ينسب إلى الصلاح كالعادة.

---

(١) هو عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة النيسابوري القشيري، أبو القاسم. (٣٧٦ ـ ٤٦٥ هـ) حافظ مفسر. توفي بنيسابور. الأعلام ٤/٥٧. فوات الوفيات ١/٢٩٩. تاريخ بغداد ١١/٨٣. مفتاح السعادة ١/٤٣٨. كشف الظنون ٥٢٠ طبقات الشافعية ٣/٢٤٣.

(٢) يجب الإيمان بوجود الأولياء وكراماتهم، قال الله تعالى: ﴿**ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون**﴾ [يونس: ٦٢و ٦٣] والولي هو المؤمن المستقيم بطاعة الله، وقال تعالى: ﴿**إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون**﴾ [فصلت: ٣٠]. وصف الأولياء بالاستقامة وهي لزوم طاعة الله بأداء الواجبات واجتناب المحرمات والإكثار من نوافل العبادات.

ـ ثم الكرامة هي أمر خارق للعادة تظهر على يد المؤمن المستقيم بطاعة الله وبذلك تفترق الكرامات عن السحر والشعوذة. وتفترق الكرامة عن المعجزة بأن المعجزة تكون لإثبات النبوة وأما الكرامة فتكون للدلالة على صدق اتباع صاحبها لنبيه وهي قد تقع باختيار الولي وطلبه. قال بعضهم: «وقد يكون من لا يكشف له أفضل ممن كشف لأن الذي يكاشف بشيء من الخوارق قد يكون ذلك ليقوي إيمانه ويثبت جنانه، وفوق هؤلاء باشر بواطنهم روح اليقين وصفت سرائرهم بنور التقوى فلا حاجة لهم إلى مدد من الحوادث».

ولهذا لم تكثر في الصحابة الكرامات كثرتها فيمن بعدهم ومما يفترق به الولي عن النبي أن الولي تجوز عليه المعاصي الكبيرة والصغيرة لكنه معصوم من الكفر. والدليل على ذلك حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ عن الله تعالى: «من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب. ولا يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها». [أخرجه البخاري كتاب الرقاق باب (٣٨) رقم الحديث (٦٥٠٢)]. وفي رواية الطبراني من حديث حذيفة: «ويكون من أوليائي وأصفيائي ويكون جاري مع النبيين والصديقين والشهداء في الجنة».

ومعنى الحديث: «أي بلا كيف لا بالحلول والمجاورة الحسية لتعاليه سبحانه عن الحلول في شيء من خلقه أو مجاورته لشيء من خلقه بالحيّز والمكان كما تعتقد ملاحدة المتصوفة والمشبهة».

فانحصر الخارق الآن في نحو ما قاله القشيري، وتعين تقييد من أطلق، بأن كل معجزة لنبي يجوز أن تقع كرامة لولي.

ووراء ذلك: أن الذي استقر عند العامة، أن خرق العادة يدل على أن من وقع له ذلك يكون من أولياء الله، وهو غلط. فإن الخارق قد يظهر على يد المبطل من ساحر وكاهن وراهب، فيحتاج من يستدل بذلك على ولاية أولياء الله إلى فارق، وأولى ما ذكروه: أن يختبر حال من وقع له ذلك، فإن كان متمسكاً بالأوامر الشرعية والنواهي، كان علامة على ولايته، ومن لا فلا[1]. والله أعلم انتهى ملخصاً من الفتح.

ولما خرجوا بخبيب من الحرم ليقتلوه قال: دعوني أصلي ركعتين ـ وعند موسى ابن عقبة: أنه صلاهما في موضع مسجد التنعيم ـ وقال: اللهم أحصهم عدداً، ولا تبق منهم أحداً، واقتلهم بدداً ـ يعني متفرقين، فلم يحل الحول ومنهم أحد حي ـ. وفي رواية بريدة بن سفيان، فقال خبيب: اللهم إني لا أجد من يبلغ رسولك مني السلام فبلغه.

وفي رواية أبي الأسود عن عروة، جاء جبريل إلى النبي ﷺ فأخبرة بذلك.. الحديث.

ثم أنشأ يقول:

فلست أبالي حين أقتل مسلماً ... على أي شق كان لله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ ... يبارك على أوصال شلو ممزع[2]

والأوصال جمع: وصل، وهو العضو. والشلو ـ بكسر المعجمة ـ الجسد ويطلق على العضو. لكن المراد به هنا الجسد. والممزع ـ بالزاي، ثم المهملة ـ المقطع ومعنى الكلام: أعضاء جسد مقطع.

وعند أبي الأسود عن عروة زيادة في هذا الشعر:

لقد أجمع الأحزاب في وألبوا ... قبائلهم واستجمعوا كل مجمع

(١) والدليل على كرامة الولي ما جاء في القرآن من قوله تعالى ﴿قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربي﴾ [النحل: ٤٠].
وما رواه الترمذي كتاب التفسير باب (١٦) رقم الحديث (٣١٢٧) بلفظ: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله» وما ثبت بالإسناد الصحيح أن عمر نادى أمير الجيش الذي كان بنهاوند «سارية بن زنيم»: يا سارية الجبل الجبل. فسمع سارية وكان عمر بالمدينة يخطب. وانظر ما حصل لخبيب في البخاري (٣٩٨٩) وكشف الخفاء للعجلوني ٢/ ٥٣٢ والسلسلة الصحيحة للألباني (١١١٠).

(٢) انظر فتح الباري ٧/ ٤٨٢ رقم الحديث (٣٩٨٩).

وفيه أيضاً:

إلى الله أشكو غربتي بعد كربتي ... وما أرصد الأحزاب لي عند مصرعي

وساق ابن إسحاق هذه الأبيات ثلاثة عشر بيتاً، قال ابن هشام: ومن الناس من ينكرها لخبيب.

وكان خبيب أول من سن الركعتين عند القتل لكل مسلم قتل صبراً، كذا قال ابن إسحاق، وقوله هذا يدل على أنها سنة جارية.

وإنما صار فعل خبيب سنة ـ والسنة إنما هي أقوال رسول الله ﷺ وأفعاله وتقريره ـ لأنه فعله في حياته ﷺ، فاستحسن ذلك من فعله واستحسنها المسلمون. والصلاة خير ما ختم به عمل العبد[1].

وقد صلى هاتين الركعتين زيد بن حارثة، مولى رسول الله ﷺ، وذلك في حياته عليه الصلاة والسلام، كما رويناه من طريق السهيلي بسنده إلى الليث بن سعد قال: بلغني أن زيد بن حارثة اكترى بغلاً من رجل بالطائف، فاشترط عليه المكري أن ينزله حيث شاء. قال: فمال به إلى خربة، فقال له انزل فنزل، فإذا في الخربة قتلى كثيرة، قال فلما أراد أن يقتله قال له دعني أصلي ركعتين، قال: صلِّ فقد صلى قبلك هؤلاء فلم تنفعهم صلاتهم شيئاً، فلما صليت أتاني ليقتلني فقلت: يا أرحم الراحمين، قال: فسمع صوتاً: لا تقتله، فهاب ذلك، فخرج يطلبه فلم ير شيئاً، فرجع إلي، فناديت: يا أرحم الراحمين

---

(١) أخرج البخاري عن عائشة قولها: قال رسول الله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد». رقم الحديث (٢٦٩٧).

وقال الحافظ في الفتح: «وهذا الحديث معدود من أصول الإسلام وقاعدة من قواعده. فإن معناه من اخترع في الدين ما لا يشهد له أصل من أصوله فلا يلتفت إليه. قال النووي: هذا الحديث مما ينبغي أن يعتنى بحفظه واستعماله في إبطال المنكرات وإشاعة الاستدلال به كذلك.

وقال الطرقي: هذا الحديث يصلح أن يسمى نصف أدلة الشرع لأن الدليل يتركب من مقدمتين والمطلوب بالدليل إما إثبات الحكم أو نفيه وهذا الحديث مقدمة كبرى في إثبات كل حكم شرعي ونفيه، لأن منطوقه مقدمة كلية في كل دليل نافٍ لحكم مثل أن يقال: «في الوضوء بماء نجس» هذا ليس من أمر الشرع وكل ما كان كذلك فهو مردود فهذا العمل مردود فالمقدمة الثانية ثابتة بهذا الحديث، وإنما يقع النزاع في الأولى ومفهومه أن من عمل عملاً عليه أمر الشرع فهو صحيح مثل أن (يقال) في الوضوء بالنية هذا عليه أمر الشرع وكل ما كان عليه أمر الشرع فهو صحيح فالمقدمة ثابتة بهذا الحديث والأولى فيها النزاع. فلو اتفق أن يوجد حديث يكون مقدمة أولى في إثبات كل حكم شرعي ونفيه لاستقل الحديثان بجميع أدلة الشرع. لكن هذا الثاني لا يوجد فإذا حديث الباب نصف أدلة الشرع والله أعلم».

فعل ذلك ثلاثاً، فإذا بفارس على فرس في يده حربة حديد في رأسها شعلة نار، فطعنه بها فأنفذها من ظهره فوقع ميتاً. ثم قال: لما دعوت المرة الأولى: يا أرحم الراحمين كنت في السماء السابعة، فلما دعوت المرة الثانية يا أرحم الراحمين كنت في سماء الدنيا، فلما دعوت الثالثة أتيتك. انتهى.

ووقع في رواية أبي الأسود عن عروة: فلما وضعوا فيه السلاح وهو مصلوب ـ يعني خبيباً ـ نادوه وناشدوه: أتحب أن محمداً مكانك؟ قال: لا والله، ما أحب أن يفديني بشوكة في قدمه [1].

ويقال: إن الذي قال ذلك زيد بن الدثنة، وأن أبا سفيان قال له: يا زيد، أنشدك الله أتحب أن محمداً الآن عندنا مكانك تضرب عنقه، وأنك في أهلك؟ قال: والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه، وإني لجالس في أهلي. قال أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحداً يحب كحب أصحاب محمد محمداً.

ثم قتله نسطاس ـ بكسر النون ـ.

وبعثت قريش إلى عاصم ليؤتوا بشيء من جسده يعرفونه، وكان عاصم قتل عظيماً من عظمائهم يوم بدر، ولعل العظيم المذكور: عقبة بن أبي معيط، فإن عاصماً قتله صبراً بأمر النبي ﷺ بعد أن انصرفوا من بدر. ووقع عند ابن إسحاق وكذا في رواية بريدة بن سفيان: أن عاصماً لما قتل أرادت هذيل أخذ رأسه ليبيعوه من سلافة بنت سعد، وهي أم مسافح وجلاس ابني طلحة العبدري، وكان عاصم قتلهما يوم أحد، وكانت قد نذرت حين أصاب ابنيها يوم أحد لئن قدرت على رأس عاصم لتشربن الخمر في قحفه ـ بكسر القاف، وهو ما انفلق من الجمجمة فبان ـ.

قال الطبري: وجعلت لمن جاء برأسه مائة ناقة.

فمنعهم منه الدبر ـ بفتح المهملة وسكون الموحدة: الزنابير ـ فلم يقدروا منه على شيء [2].

وكان عاصم بن ثابت قد أعطى الله عهداً أن لا يمسه مشرك ولا يمس مشركاً. فكان عمر لما بلغه خبره يقول: يحفظ الله العبد المؤمن بعد وفاته، كما حفظه في حياته.

وإنما استجاب الله تعالى له في حماية لحمه من المشركين، ولم يمنعهم من قتله

---

(١) انظر المنتظم ٣/٢٠١ حوادث سنة (٤ هـ).

(٢) والعرب تجعل الفراش والنحل والزنابير والدبر كلها من الذبان. انظر كتاب الحيوان ٣/ ٣٠٥، وحياة الحيوان الكبرى ٢/ ٢٩٧.

لما أراد من إكرامه بالشهادة، ومن كرامته حمايته من هتك حرمته بقطع لحمه.

سرية المنذر بن عمرو[1] ـ بفتح العين المهملة ـ إلى بئر معونة ـ بفتح الميم وضم المهملة وسكون الواو بعدها نون ـ موضع ببلاد هذيل بين مكة وعسفان. في صفر على رأس ستة وثلاثين شهراً من الهجرة، على رأس أربعة أشهر من أحد.

بعث معه المطلب السلمي ليدلهم على الطريق.

وكانت مع رعل ـ بكسر الراء وسكون العين المهملة ـ بطن من بني سليم، ينسبون إلى رعل بن عوف بن مالك. وذكوان بطن من بني سليم أيضاً ينسبون إلى ذكوان بن ثعلبة. فنسبت الغزوة إليها.

وهذه الوقعة تعرف بسرية القراء، وكان من أمرها ـ كما قاله ابن إسحاق ـ أنه قدم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر المعروف بملاعب الأسنة على رسول الله ﷺ فعرض عليه الإسلام، فلم يسلم ولم يبعد عن الإسلام. وقال: يا محمد لو بعثت رجالاً من أصحابك إلى أهل نجد فدعوتهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك. فقال ﷺ: «**إني أخشى أهل نجد عليهم**» قال أبو براء: أنا لهم جار فابعثهم[2].

فبعث عليه الصلاة والسلام المنذر بن عمرو، ومعه القراء وهم سبعون ـ وقيل أربعون وقيل: ثلاثون ـ.

وقد بين قتاده في روايته أنهم كانوا يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل، وفي رواية ثابت: يشترون به الطعام لأهل الصفة، ويتدارسون القرآن بالليل[3].

فساروا حتى نزلوا بئر معونة، بعثوا حرام بن ملحان بكتابه ﷺ إلى عدو الله عامر بن الطفيل العامري، ومات كافراً ـ وليس هو عامر بـن الطفيل الأسلمي الصحابي ـ فلما أتاه لم ينظر في كتابه حتى عدا على الرجل فقتله، ثم استصرخ عليهم بني عامر فلم يجيبوه، وقالوا: لن نخفر أبا براء، وقد عقد لهم عقداً وجواراً، فاستصرخ عليهم قبائل من سليم: عصية ورعلاً فأجابوه إلى ذلك، ثم خرجوا حتى غشوا القوم فأحاطوا بهم في رحالهم،

---

(١) انظر طبقات ابن سعد ٢/ ٣٩. والمنتظم ٣/ ١٩٨. والكامل في التاريخ ٢/ ٦٣. ودلائل النبوة للبيهقي ٣/ ٣٣٨. والبداية والنهاية ٤/ ٧٣. وشرح المواهب للزرقاني ٢/ ٧٤. وسيرة ابن هشام ٣/ ١٩٣.

(٢) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/ ١٢٨. ودلائل النبوة للبيهقي ٣/ ٣٣٩. والبداية والنهاية ٤/ ٧٤.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المغازي باب (٢٩) رقم الحديث (٤٠٩٠). ومسلم في كتاب الإمارة رقم الحديث (١٤٧). ودلائل النبوة للبيهقي ٣/ ٣٤٤.

فلما رأوهم أخذوا سيوفهم وقاتلوهم حتى قتلوا إلى آخرهم، إلا كعب بن زيد فإنهم تركوه وبه رمق، فعاش حتى قتل يوم الخندق شهيداً.

وأسر عمرو بن أمية الضمري، فلما أخبرهم أنه من مضر أخذه عامر بن الطفيل وأعتقه عن رقبة زعم أنها كانت على أمه.

فلما بلغ النبي ﷺ خبرهم، قال «**هذا عمل أبي براء قد كنت لهذا كارهاً متخوفاً**» [1]، فبلغ ذلك أبا براء فمات أسفاً على ما صنع عامر بن الطفيل.

وقتل عامر بن فهيرة يومئذ فلم يوجد جسده، دفنته الملائكة[2].

قال ابن سعد عن أنس بن مالك: ما رأيت رسول الله ﷺ وجد على أحد ما وجد على أصحاب بئر معونة.

وفي صحيح مسلم عن أنس أيضاً: (دعا ﷺ على الذين قتلوا أصحاب بئر معونة ثلاثين صباحاً، يدعو على رعل ولحيان وعصية عصت الله ورسوله، قال أنس: أنزل الله في الذين قتلوا يوم بئر معونة قرآناً قرأناه ثم نسخ بعد ـ أي نسخت تلاوته ـ أن بلغوا قومنا أنا قد لقينا ربنا، فرضي عنا ورضينا عنه)[3].

كذا وقع في هذه الرواية، وهو يوهم أن بني لحيان ممن أصاب القراء يوم بئر معونة، وليس كذلك. وإنما أصاب رعل وذكوان وعصية ومن صحبهم من سليم، وأما بنو لحيان فهم الذين أصابوا بعث الرجيع. وإنما أتى إلى رسول الله ﷺ عنهم كلهم في وقت واحد، فدعا على الذين أصابوا أصحابه في الموضعين دعاء واحداً والله أعلم.

[غزوة بني النضير][4]

ثم غزوة بني النضير ـ بفتح النون وكسر الضاد المعجمة ـ قبيلة كبيرة من اليهود، في ربيع الأول سنة أربع. وذكرها ابن إسحاق هنا.

قال السهيلي: وكان ينبغي أن يذكرها بعد بدر، لما روى عقيل بن خالد وغيره عن

---

(١) ذكره ابن سعد في الطبقات الكبرى ٢/ ٤٠. ودلائل النبوة للبيهقي ٣/ ٣٤١. ومجمع الزوائد للهيثمي ٦/ ١٢٩. والبداية والنهاية ٤/ ٧٥.

(٢) انظر طبقات ابن سعد ٢/ ٤٠. والبداية والنهاية ٤/ ٧٥. ودلائل النبوة للبيهقي ٣/ ٣٤٢. وتاريخ الطبري ٢/ ٢٢١. والسيرة النبوية لابن هشام ٣/ ١٩٦. والكامل في التاريخ ٢/ ٦٤.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه رقم الحديث (٦٧٧). ودلائل النبوة للبيهقي ٣/ ٣٤٧.

(٤) انظر طبقات ابن سعد ٢/ ٤٣. والمنتظم ٣/ ٢٠٣. والسيرة النبوية لابن هشام ٣/ ١٩٩. والكامل في التاريخ ٢/ ٦٤. ودلائل النبوة للبيهقي ٣/ ١٧٦. وتاريخ الطبري ٢/ ٢٢٣ والبداية والنهاية ٤/ ٧٦ وصحيح البخاري في كتاب المغازي باب (١٤) رقم الحديث (٤٠٢٨). وفتح الباري ٧/ ٤١٩. وشرح المواهب للزرقاني ٢/ ٧٩.

الزهري قال: كانت غزوة بني النضير على رأس ستة أشهر من وقعة بدر قبل أحد.

ورجح الداودي ما قاله ابن إسحاق من أن غزوة بني النضير بعد بئر معونة، مستدلاً بقوله تعالى ﴿وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم﴾ [الأحزاب: ٢٦].

قال الحافظ أبو الفضل بن حجر: وهو استدلال واه، فإن الآية نزلت في شأن بني قريظة، فإنهم هم الذين ظاهروا الأحزاب، وأما بنو النضير فلم يكن لهم في الأحزاب ذكر، بل كان من أعظم الأسباب في جمع الأحزاب ما وقع من إجلائهم، فإنه كان من رؤوسهم حيي بن أخطب، وهو الذي حسن لبني قريظة الغدر، وموافقة الأحزاب حتى كان من هلاكهم ما كان فكيف يصير السابق لاحقاً. انتهى.[1]

وقد تقدم قريباً أن عامر بن الطفيل أعتق عمرو بن أمية لما قتل أهل بئر معونة عن رقبة عن أمه، فخرج عمرو إلى المدينة فصادف رجلين من بني عامر معهما عقد وعهد من رسول الله ﷺ لم يشعر به عمرو، فقال لهما عمرو من أنتما؟ فذكرا له أنهما من بني عامر، فتركهما حتى ناما فقتلهما عمرو، وظن أنه ظفر ببعض ثأر أصحابه، فأخبر رسول الله ﷺ بذلك فقال «**لقد قتلت قتيلين لأدينهما**»[2].

قال ابن إسحاق وغيره: ثم خرج ﷺ إلى بني النضير ليستعين بهم في دية ذينك القتيلين اللذين قتلهما عمرو بن أمية، للجوار الذي كان ﷺ عقده لهما، وكان بين بني النضير وبين بني عامر عقد وحلف.

فلما أتاهم ﷺ يستعينهم في ديتهما قالوا: يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه، ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا: إنكم لن تجدوه على مثل هذا الحال. وكان ﷺ إلى جنب جدار من بيوتهم.

وقالوا: من رجل يعلو على هذا البيت فيلقي هذه الصخرة عليه فيقتله ويريحنا منه؟ فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب فقال: أنا لذلك، فصعد ليلقي عليه الصخرة ورسول الله في نفر من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم.

قال ابن سعد: فقال سلام بن مشكم: لا تفعلوا، والله ليخبرن بما هممتم، وإنه لنقض للعهد الذي بيننا وبينه.

---

(١) انظر المنتظم ٣/٢٠٣. والسيرة النبوية لابن هشام ٣/٢٠٠. ودلائل النبوة للبيهقي ٣/١٨١. والكامل في التاريخ ٤/٦٥. والبداية والنهاية ٤/٧٧. وطبقات ابن سعد ٢/٤٤. وتاريخ الطبري ٢/٢٢٥.

(٢) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/١٢٩. وتغليق التعليق. (١١٢٥).

قال ابن إسحاق: وأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما أراد القوم، فقام ﷺ مظهراً أنه يقضي حاجته، وترك أصحابه في مجلسهم، ورجع مسرعاً إلى المدينة.

واستبطأ النبي ﷺ أصحابه، فقاموا في طلبه حتى انتهوا إليه، فأخبرهم الخبر بما أرادت يهود من الغدر به.

قال ابن عقبة: ونزل في ذلك قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم**﴾ [المائدة: ١١] الآية.

قال ابن إسحاق: فأمر ﷺ بالتهيؤ لحربهم والسير إليهم.

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم.

ثم سار بالناس حتى نزل بهم فحاصرهم ست ليال. قال ابن إسحاق: فتحصنوا منه في الحصون فقطع النخل وحرقها وخرب.

فنادوه: يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه، فما بال قطع النخل وتحريقها.

قال السهيلي: قال أهل التأويل: وقع في نفوس بعض المسلمين من هذا الكلام شيء حتى أنزل الله: ﴿**ما قطعتم من لينة**﴾ إلى قوله: ﴿**وليخزي الفاسقين**﴾ [الحشر: ٥] واللينة: ألوان التمر ما عدا العجوة والبرني. ففي هذه الآية أنه ﷺ لم يحرق من نخلهم إلا ما ليس بقوت الناس، وكانوا يقتاتون العجوة، وفي الحديث «**العجوة من الجنة وتمرها يغذو أحسن غذاء**»[1]، والبرني أيضاً كذلك. ففي قوله تعالى: ﴿**ما قطعتم من لينة**﴾ [الحشر: ٥] ولم يقل من نخلة على العموم، تنبيه على كراهة قطع ما يقتات ويغذو من شجر العدو إذا رجي أن يصل إلى المسلمين.

قال ابن إسحاق: وقد كان رهط من بني عوف بن الخزرج منهم عبد الله بن أبي ابن سلول بعثوا إلى بني النضير: أن اثبتوا وتمنعوا، فإنا لن نسلمكم، إن قوتلتم قاتلنا معكم، وإن أخرجتم خرجنا معكم. فتربصوا، فقذف الله في قلوبهم الرعب، فلم ينصروهم. فسألوا رسول الله ﷺ أن يجليهم عن أرضهم ويكف عن دمائهم.

وعند ابن سعد: أنهم حين هموا بغدره ﷺ وأعلمه الله بذلك، بعث إليهم محمد بن مسلمة: أن اخرجوا من بلدي فلا تساكنوني بها، وقد هممتم بما هممتم به من الغدر، وقد أجلتكم عشراً، فمن رؤي منكم بعد ذلك ضربت عنقه.

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ٢/ ٢٠١. والترمذي في سننه في كتاب الطب باب (٢٢) رقم الحديث (٢٠٦٦). وابن ماجه في سننه كتاب الطب باب (٨) رقم الحديث (٣٤٥٣). والدارمي في الرقاق (١١٥).

فمكثوا على ذلك أياماً يتجهزون، وتكاروا من أناس من أشجع إبلاً، فأرسل إليهم عبد الله بن أبي: لا تخرجوا من دياركم، وأقيموا في حصونكم فإن معي ألفين من قومي من العرب يدخلون حصونكم وتمدكم قريظة وحلفاؤكم من غطفان، فطمع حيي فيما قاله ابن أبي، فأرسل إلى رسول الله ﷺ، إنا لا نخرج من ديارنا، فاصنع ما بدا لك.

فأظهر ﷺ التكبير، وكبر المسلمون بتكبيره، وسار إليهم ﷺ في أصحابه، فصلى العصر بفناء بني النضير، وعلي يحمل رايته، فلما رأوا رسول الله ﷺ قاموا على حصونهم، ومعهم النبل والحجارة، واعتزلهم ابن أبي ولم يمنعهم، وكذا حلفاؤهم من غطفان، فيئسوا من نصرهم، فحاصرهم ﷺ وقطع نخلهم، وقال لهم عليه الصلاة والسلام: «**اخرجوا منها، ولكم دماؤكم وما حملت الإبل إلا الحلقة**»[1] ـ وهي بإسكان اللام قال في القاموس؛ الدرع ـ فنزلت يهود على ذلك فحاصرهم خمسة عشر يوماً، فكانوا يخربون بيوتهم بأيديهم.

ثم أجلاهم عن المدينة وولي إخراجهم محمد بن مسلمة. وحملوا النساء والصبيان، وتحملوا على ستمائة بعير فلحقوا بخيبر. وحزن عليهم المنافقون حزناً شديداً.

وقبض ﷺ الأموال، ووجد من الحلقة خمسين درعاً وخمسين بيضة، وثلاثمائة وأربعين سيفاً.

وكانت بنو النضير صفياً لرسول الله ﷺ حبساً لنوائبه، ولم يسهم منها لأحد، لأن المسلمين لم يوجفوا عليها بخيل ولا ركاب، وإنما قذف في قلوبهم الرعب، وأجلوا عن منازلهم إلى خيبر، ولم يكن ذلك عن قتال من المسلمين لهم، فقسمها ﷺ بين المهاجرين ليرفع بذلك مؤنتهم عن الأنصار، إذ كانوا قد قاسموهم في الأموال والديار، غير أنه أعطى أبا دجانة وسهل بن حنيف لحاجتهما. وفي الإكليل: وأعطى سعد بن معاذ سيف ابن أبي الحقيق، وكان سيفاً له ذكر عندهم.

[غزوة ذات الرقاع][2]

واختلف فيها متى كانت:

فعند ابن إسحاق: بعد بني النضير سنة أربع، في شهر ربيع الآخر، وبعض جمادى.

---

(١) ذكره ابن سعد في الطبقات الكبرى ٢/ ٤١.

(٢) انظر المنتظم ٣/ ٢١٤. وطبقات ابن سعد ٢/ ٤٦. والكامل في التاريخ ٢/ ٦٦. والسيرة النبوية

وعند ابن سعد وابن حبان: في المحرم سنة خمس.

وجزم أبو معشر: بأنها بعد بني قريظة في ذي القعدة سنة خمس، فتكون ذات الرقاع في آخر السنة الخامسة وأول التي تليها.

قال في فتح الباري: قد جنح البخاري إلى أنها كانت بعد خيبر، واستدل لذلك بأمور، ومع ذلك فذكرها قبل خيبر، فلا أدري: هل تعمد ذلك تسليماً لأصحاب المغازي أنها كانت قبلها، أو أن ذلك من الرواة عنه، أو إشارة إلى احتمال أن تكون ذات الرقاع اسماً لغزوتين مختلفتين كما أشار إليها البيهقي. على أن أصحاب المغازي مع جزمهم بأنها كانت قبل خيبر مختلفون في زمانها. انتهى.

والذي جزم به ابن عقبة تقدمها، لكن تردد في وقتها فقال: لا ندري كانت قبل بدر أو بعدها؟ أو قبل أحد أو بعدها؟

قال الحافظ ابن حجر: وهذا التردد لا حاصل له، بل الذي ينبغي الجزم به أنها بعد غزوة بني قريظة، لأن صلاة الخوف في غزوة الخندق لم تكن شرعت، وقد ثبت وقوع صلاة الخوف في غزوة ذات الرقاع. فدل على تأخرها بعد الخندق.

ثم قال عند قول البخاري: «وهي بعد خيبر» لأن أبا موسى جاء بعد خيبر، وإذا كان كذلك وثبت أن أبا موسى شهد غزوة ذات الرقاع لزم أنها كانت بعد خيبر.

قال: وعجبت من ابن سيد الناس كيف قال: جعل البخاري حديث أبي موسى هذا حجة في أن غزوة ذات الرقاع متأخرة عن خيبر. قال: وليس في خبر أبي موسى ما يدل على شيء من ذلك، انتهى كلام ابن سيد الناس.

قال: وهذا النفي مردود، والدلالة على ذلك واضحة كما قررته.

قال: وأما الدمياطي: فادعى غلط الحديث الصحيح، وأن جميع أهل السير على خلافه. وقد تقدم أنهم مختلفون في زمانها. فالأولى الاعتماد على ما ثبت في الصحيح.

وأما قول الغزالي: إنها آخر الغزوات. فهو غلط واضح، وقد بالغ ابن الصلاح في إنكاره.

وقال بعض من انتصر للغزالي: لعله أراد آخر غزوة صليت فيها صلاة الخوف.

= لابن هشام ٣/ ٢١٣. ودلائل النبوة للبيهقي ٣/ ٣٦٩. والبداية والنهاية ٤/ ٨٤. وصحيح البخاري في كتاب المغازي باب (٣٢) رقم الحديث (٤١٢٥). وشرح المواهب للزرقاني ٢/ ٨٦.

وهو انتصار مردود، بما أخرجه أبو داود والنسائي وصححه ابن حبان من حديث أبي بكرة: أنه صلى مع النبي ﷺ صلاة الخوف[1]. وإنما أسلم أبو بكرة بعد غزوة الطائف بالإتفاق. انتهى.

وأما تسميتها بذات الرقاع:

فلأنهم رقعوا فيها راياتهم، قاله ابن هشام.

وقيل: لشجرة في ذلك الموضع يقال لها ذات الرقاع.

وقيل: الأرض التي نزلوا بها فيها بقع سود وبقع بيض، كأنها مرقعة برقاع مختلفة، فسميت ذات الرقاع لذلك.

وقيل: إن خيلهم كان بها سواد وبياض. قاله ابن حبان.

وقال الواقدي: سميت بجبل هناك فيه بقع. قال الحافظ ابن حجر: وهذا لعله مستند ابن حبان، ويكون قد تصحف عليه بخيل.

قال: وأغرب الداودي فقال: سميت ذات الرقاع لوقوع صلاة الخوف فيها، فسميت بذلك لترقيع الصلاة فيها. انتهى.

قال السهيلي: وأصح من هذه الأقوال كلها، ما رواه البخاري عن أبي موسى الأشعري قال: (خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة ونحن ستة نفر، بيننا بعير نعتقبه، فنقبت أقدامنا، ونقبت قدماي، وسقطت أظفاري، فكنا نلف على أرجلنا الخرق، فسميت غزوة ذات الرقاع، لما كنا نعصب من الخرق على أرجلنا)[2].

وكان من خبر هذه الغزوة، كما قاله ابن إسحاق: أنه ﷺ غزا نجداً يريد بني محارب وبني ثعلبة ـ بالمثلثة ـ من غطفان ـ بفتح الغين المعجمة والمهملة ـ لأنه ﷺ بلغه أنهم جمعوا الجموع. فخرج في أربعمائة من أصحابه ـ وقيل: سبعمائة ـ واستعمل على المدينة عثمان بن عفان، وقيل أبا ذر. حتى نزل نخلاً ـ بالخاء المعجمة ـ موضعاً من نجد من أراضي غطفان.

قال ابن سعد: فلم يجد في محالهم إلا نسوة فأخذهن.

وقال ابن إسحاق: فلقي جمعاً منهم فتقارب الناس، ولم يكن بينهم حرب، وقد

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الصلاة باب (١٤) رقم الحديث (١٢٣٨). والنسائي في سننه ٣/ ١٧٢. وفتح الباري في ٧/ ٥٣٧.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المغازي باب (٣٢). رقم الحديث (٤١٢٨).

أخاف الناس بعضهم بعضاً، حتى صلى رسول الله ﷺ بالناس صلاة الخوف، ثم انصرف الناس.

قال ابن سعد: وكان ذلك أول ما صلاها.

وقد رويت صلاة الخوف من طرق كثيرة وسيأتي إن شاء الله تعالى الكلام على ما تيسر منها في مقصد عباداته ﷺ.

وكانت غيبته ﷺ في هذه الغزوة خمس عشرة ليلة.

وفي البخاري عن جابر قال: كنا مع النبي ﷺ بذات الرقاع، فإذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها للنبي ﷺ، فجاء رجل من المشركين وسيف النبي ﷺ معلق بالشجرة فاخترطه ـ يعني سله من غمده ـ فقال تخافني قال: لا، قال: فمن يمنعك مني؟ قال: «الله»[1].

وعند أبي عوانة: فسقط السيف من يده فأخذه رسول الله ﷺ فقال: **«من يمنعك مني؟»** قال: كن خير آخذ. قال: **«تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟»** قال الأعرابي: أعاهدك أني لا أقاتلك، ولا أكون مع قوم يقاتلونك. قال: فخلى سبيله. فجاء إلى قومه فقال: جئتكم من عند خير الناس.

وفي رواية عند البخاري: ولم يعاقبه[2].

وإنما لم يؤاخذه ﷺ بما صنع، وعفا عنه، لشدة رغبته عليه الصلاة والسلام في استئلاف الكفار ليدخلوا في الإسلام.

وفي رواية أبي اليمان عند البخاري ـ في الجهاد ـ قال: من يمنعك مني ثلاث مرات[3]. وهو استفهام إنكاري، أي لا يمنعك مني أحد.

وقد كان الأعرابي قائماً على رأسه والسيف في يده والنبي ﷺ جالس لا سيف معه.

ويؤخذ من مراجعة الأعرابي له في الكلام أن الله سبحانه منع نبيه، وإلا فما الذي أحوجه إلى مراجعته مع احتياجه إلى الحظوة عند قومه بقتله. وفي قوله ﷺ في جوابه: الله، أي يمنعني منك، إشارة إلى ذلك، ولذلك لما أعادها الأعرابي فلم يزده على ذلك الجواب، وفي ذلك غاية التهكم وعدم المبالاة به.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المغازي باب (٣٢) رقم الحديث (٤١٣٦).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المغازي باب (٣٢) رقم الحديث (٤١٣٥ ـ ٢٩١٠).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير باب (٨٤) رقم الحديث (٢٩١٠).

وذكر الواقدي في نحو هذه القصة أنه أسلم، ورجع إلى قومه فاهتدى به خلق كثير. وقال فيه: إنه رمي بالزلخة حين هم بقتله ﷺ، فندر السيف من يده وسقط إلى الأرض. والزلخة ـ بضم الزاي وتشديد اللام ـ وجع يأخذ في الصلب.

وقال البخاري: قال مسدد عن أبي عوانة عن أبي بشر: اسم الرجل غورث بن الحارث، أي على وزن جعفر.

وحكى الخطابي فيه: غويرث، بالتصغير. وقد تقدم في غزوة غطفان وهي غزوة ذي أمر بناحية نجد مثل هذه القصة لرجل اسمه دعثور، وأنه قام على رأسه ﷺ بالسيف فقال: من يمنعك مني؟ فقال: ﷺ: الله، ودفع جبريل في صدره فوقع السيف من يده وأنه أسلم.

قال في عيون الأثر: والظاهر أن الخبرين واحد.

وقال غيره من المحققين: الصواب أنهما قصتان في غزوتين.

وفي هذه القصة: فرط شجاعته، وقوة يقينه وصبره على الأذى، وحلمه على الجهال ﷺ.

وفي انصرافه ﷺ من هذه الغزوة، أبطأ جمل جابر بن عبد الله فنخسه ﷺ فانطلق متقدماً بين يدي الركاب، ثم قال: «أتبيعينيه؟» فابتاعه منه وقال: لك ظهره إلى المدينة، فلما وصلها أعطاه الثمن وأرجح، ووهب له الجمل[1]. والحديث أصله في البخاري.

ولا حجة فيه لجواز بيع وشرط، لما وقع فيه من الاضطراب. وقيل غير ذلك مما يطول ذكره والله أعلم.

[غزوة بدر][2]

وهي الصغرى، وتسمى: بدر الموعد.

وكانت في شعبان، بعد ذات الرقاع. قال ابن إسحاق: لما قدم رسول الله ﷺ

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير باب (٣٤ ـ ٤٩) رقم الحديث (٢٠٩٧ ـ ٢٨٦١). فتح الباري ٦/ ٨٢. ودلائل النبوة للبيهقي ٣/ ٣٨١. وصحيح مسلم كتاب الرضاع رقم الحديث (٥٧). ومسند الإمام أحمد بن حنبل ٣/٣١٦. وتهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٣/ ٣٩٠. والبداية ٤/ ٨٧.

(٢) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٢٢٠. والبداية والنهاية ٤/ ٨٩. وطبقات ابن سعد ٢/ ٤٥. وذكره الواقدي في المغازي (٣٨٤ ـ ٣٩١). وتاريخ الطبري ٢/ ٢٢٩. والمنتظم ٣/ ٢٠٤ وشرح المواهب للزرقاني ٢/ ٩٣.

المدينة من غزوة ذات الرقاع، أقام بها جمادى الأولى إلى آخر رجب، ثم خرج في شعبان إلى بدر لميعاد أبي سفيان. ويقال: كانت في هلال ذي القعدة.

وميعاد أبي سفيان: هو ما سبق أن أبا سفيان قال يوم أحد: الموعد بيننا وبينكم بدر العام القابل، فقال ﷺ لرجل من أصحابه: قل: «نعم هو بيننا وبينكم موعد».

فخرج ﷺ ومعه ألف وخمسمائة من أصحابه، وعشرة أفراس، واستخلف على المدينة عبد الله بن رواحة، فأقاموا على بدر ينتظرون أبا سفيان.

وخرج أبو سفيان حتى نزل مجنة من ناحية مر الظهران، ويقال: عسفان، ثم بدا له الرجوع، فقال: يا معشر قريش، إنه لا يصلحكم إلا عام خصيب، ترعون فيه الشجر وتشربون فيه اللبن، وإن عامكم هذا عام جدب، وإني راجع فارجعوا، فرجع الناس. فسماهم أهل مكة: جيش السويق يقولون: إنما خرجتم تشربون السويق.

وأقام ﷺ ببدر ثمانية أيام، وباعوا ما معهم من التجارة، فربحوا الدرهم درهمين. وأنزل الله في المؤمنين: ﴿**الذين استجابوا لله والرسول**﴾ إلى قوله: ﴿**فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء**﴾ [آل عمران: ١٧٢ ـ ١٧٤] الآية.

والصحيح أن هذه الآية نزلت في شأن حمراء الأسد، كما نص عليه العماد بن كثير.

غزوة[١] دومة الجندل[٢]

وهي بضم الدال من «دومة» هي مدينة بينها وبين دمشق خمس ليال، وبعدها من المدينة خمس عشرة أو ست عشرة ليلة. قال أبو عبيد البكري: سميت بدومي بن إسماعيل، كان نزلها.

وكانت في شهر ربيع الأول، على رأس تسعة وأربعين شهراً من الهجرة، وكان سببها أنه بلغه ﷺ أن بها جمعاً كثيراً يظلمون من مر بهم، فخرج عليه الصلاة والسلام لخمس ليال بقين من شهر ربيع، في ألف من أصحابه، فكان يسير الليل ويكمن النهار.

واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة.

---

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٢٢٤. والمنتظم ٣/ ٢١٥. والبداية والنهاية ٤/ ٩٢. وطبقات ابن سعد ٢/ ٤٧ ومغازي الواقدي ١/ ٤٠٢ وفي دلائل النبوة للبيهقي ٣/ ٣٨٩ وتاريخ الطبري ٢/ ٢٣٢. وشرح المواهب للزرقاني ٢/ ٩٤.

(٢) انظر معجم البلدان ٢/ ٤٨٧ مادة (دومة). ومعجم ما استعجم ٢/ ٢٦٤. والروض المعطار (٢٤٥).

فلما دنا منهم، لم يجد إلا النعم والشاء، فهجم على ماشيتهم ورعاتهم فأصاب من أصاب، وهرب من هرب في كل وجه. وجاء الخبر أهل دومة فتفرقوا، ونزل ﷺ بساحتهم فلم يلق بها أحداً، فأقام بها أياماً، وبث السرايا وفرقها، فرجعوا، ولم يصب منهم أحد. ودخل المدينة في العشرين من ربيع الآخر.

غزوة بني المصطلق[1]

غزوة المريسيع: ـ بضم الميم وفتح الراء وسكون التحتيتين بينهما مهملة مكسورة وآخره عين مهملة ـ وهو ماء لبني خزاعة، بينه وبين الفرع يومان.

وتسمى غزوة بني المصطلق ـ بضم الميم وسكون المهملة وفتح الطاء المهملة، وكسر اللام بعدها قاف ـ وهو لقب واسمه: جذيمة بن سعد بن عمرو، بطن من خزاعة.

وكانت لليلتين خلتا من شعبان، سنة خمس، وفي البخاري، قال ابن إسحاق سنة ست، وقال موسى بن عقبة: سنة أربع انتهى.

قالوا: وكأنه سبق قلم، أراد أن يكتب سنة خمس فكتب سنة أربع، والذي في مغازي موسى بن عقبة من عدة طرق أخرجها الحاكم وأبو سعيد النيسابوري والبيهقي في الدلائل وغيرهم سنة خمس.

وسببها أنه بلغه ﷺ أن رئيسهم الحارث بن أبي ضرار سار في قومه ومن قدر عليه من العرب، فدعاهم إلى حرب رسول الله ﷺ فأجابوه، وتهيؤوا للمسير معه إليه.

فبعث ﷺ بريدة بن الحصيب الأسلمي يعلم علم ذلك، فأتاهم ولقي الحارث بن أبي ضرار وكلمه، ورجع إلى رسول الله ﷺ.

وخرج عليه السلام مسرعاً في بشر كثير من المنافقين، لم يخرجوا في غزاة قط مثلها. واستخلف على المدينة زيد بن حارثة. وقادوا الخيل، وكانت ثلاثين فرساً وخرجت عائشة وأم سلمة.

وبلغ الحارث ومن معه مسيره عليه السلام فسيء بذلك هو ومن معه، وخافوا خوفاً شديداً، وتفرق عنهم من كان معهم من العرب.

وبلغ عليه السلام المريسيع، وصف أصحابه، ودفع راية المهاجرين إلى أبي بكر،

---

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٣/٣٠٢. والمنتظم ٣/٢١٨. والمغازي للواقدي ١/٤٠٤. وطبقات ابن سعد ٢/٤٨. والكامل في التاريخ ٢/٨١. وتاريخ الطبري ٢/٢٦٠. وشرح المواهب للزرقاني ٢/١٠٢. والبداية والنهاية ٤/١٥٧.

وراية الأنصار إلى سعد بن عبادة، فتراموا بالنبل ساعة ثم أمر عليه السلام أصحابه فحملوا حملة رجل واحد، وقتلوا عشرة وأسروا سائرهم، وسبوا النساء والرجال والذرية والنعم والشاء. ولم يقتل من المسلمين إلا رجل واحد، كذا ذكره ابن إسحاق.

والذي في صحيح البخاري من حديث ابن عمر يدل على أنه أغار عليهم على حين غفلة منهم فأوقع بهم ولفظه: «أغار على بني المصطلق وهم غارون، وأنعامهم تستقي على الماء، فقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم وهم على الماء»[1].

فيحتمل أن يكون حين الإيقاع بهم ثبتوا قليلاً، فلما كثر فيهم القتل انهزموا بأن يكونوا لما دهمهم وهم على الماء وتصافوا وقع القتال بين الطائفتين، ثم بعد ذلك وقعت الغلبة عليهم.

قيل وفي هذه الغزوة نزلت آية التيمم. وفي الصحيحين من حديث عائشة: أنها قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره[2]، فذكر حديث التيمم.

قال في فتح الباري: «قوله في بعض أسفاره» قال ابن عبد البر في التمهيد: يقال إنه كان في غزوة بني المصطلق. وجزم بذلك في الاستذكار. وسبقه إلى ذلك ابن سعد وابن حبان، وغزوة بني المصطلق هي غزوة المريسيع.

وفيها كانت قصة الإفك[3] لعائشة، وكان ابتداء ذلك بسبب وقوع عقدها أيضاً.

فإن كان ما جزموا به ثابتاً، حمل على أنه سقط منها في تلك السفرة مرتين، لاختلاف القصتين، كما هو بين من سياقهما.

قال: واستبعد بعض شيوخنا ذلك، لأن المريسيع من ناحية مكة بين قديد والساحل، وهذه القصة كانت من ناحية خيبر لقولها في الحديث: حتى إذا كنا بالبيداء، أو بذات الجيش، وهما بين مكة وخيبر كما جزم به النووي.

قال: وما جزم به مخالف لما جزم به ابن التين فإنه قال البيداء هي ذو الحليفة

---

(١) أخرجه البخاري كتاب العتق باب (١٣) رقم الحديث (٢٥٤١). ومصنف ابن أبي شيبة ١٢/ ٣٦٥. وسنن سعيد بن منصور (٢٤٨٤). والتمهيد لابن عبد البر ٢/٢١٩.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التيمم باب (١) رقم الحديث (٣٣٤). وأبو داود كتاب الطهارة باب (١٢١) رقم الحديث (٣١٧) وابن ماجه أيضاً باب (٩٠) رقم الحديث (٥٦٥) ومسلم في كتاب الحيض رقم الحديث (١٠٨) وفي النسائي كتاب الطهارة باب (١٩٣) ١/١٦٣ وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل ٦/٥٧.

(٣) انظر السيرة لابن هشام ٣/٣٠٩ والمنتظم ٣/٢٢١ والبداية والنهاية ٤/١٦١ والكامل في التاريخ ٢/٣. وتاريخ الطبري ٢/ ٢٦٤. وفتح الباري ٧/ ٥٤٨.

بالقرب من المدينة من طريق مكة، وذات الجيش وراء ذي الحليفة.

وقال أبو عبيد البكري في معجمه: البيداء أدنى إلى مكة من ذي الحليفة[1]، ثم ساق حديث عائشة هذا، ثم قال: وذات الجيش من المدينة على بريد. قال: وبينها وبين العقيق سبعة أميال. والعقيق من طريق مكة لا من طريق خيبر، فاستقام ما قاله ابن التين.

وقد قال قوم بتعدد ضياع العقد، ومنهم محمد بن حبيب الأخباري فقال: سقط عقد عائشة في غزوة ذات الرقاع وفي غزوة بني المصطلق.

وقد اختلف أهل المغازي في أي هاتين الغزوتين كانت أولاً.

وقال الداودي: كانت قصة التيمم في غزوة الفتح ثم تردد في ذلك.

وروى ابن أبي شيبة من حديث أبي هريرة قال: لما نزلت آية التيمم لم أدر كيف أصنع. فهذا يدل على تأخرها عن غزوة بني المصطلق، لأن إسلام أبي هريرة كان في السنة السابعة، وهي بعدها بلا خلاف.

وكان البخاري يرى أن غزوة ذات الرقاع كانت بعد قدوم أبي موسى، وقدومه كان وقت إسلام أبي هريرة.

ومما يدل على تأخر القصة أيضاً عن قصة الإفك ما رواه الطبراني من طريق يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عائشة قالت: لما كان من أمر عقدي ما كان، وقال أهل الإفك ما قالوا، خرجت مع رسول الله ﷺ في غزوة أخرى، فسقط أيضاً عقدي حتى حبس الناس على التماسه، فقال لي أبو بكر: يا بنية في كل سفرة تكونين عناء وبلاء على الناس، فأنزل الله الرخصة في التيمم، فقال أبو بكر: إنك لمباركة.

وفي إسناده محمد بن حميد الرازي. وفيه مقال.

وفي سياقه من الفوائد: بيان عتاب أبي بكر الذي أبهم في حديث الصحيح، والتصريح بأن ضياع العقد كان مرتين في غزوتين. انتهى.

وفي هذه الغزوة قال ابن أبي: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فسمعه زيد بن أرقم، ذو الأذن الواعية، فحدث رسول الله ﷺ بذلك فأرسل إلى ابن أبي وأصحابه فحلفوا ما قالوا، فأنزل الله تعالى: ﴿**إذا جاءك المنافقون**﴾ [المنافقون: ١] فقال له رسول الله ﷺ: «**إن الله قد صدقك يا زيد**»[2]. رواه البخاري.

---

(١) انظر معجم ما استعجم ١/ ٢٩٠ مادة (البيداء).

(٢) أخرجه البخاري ـ كتاب التفسير باب (١) رقم الحديث (٤٩٠٠ ـ ٤٩٠١ ـ ٤٩٠٢ ـ ٤٩٠٣ ـ ٤٩٠٤). والترمذي كتاب تفسير القرآن باب ٦٣ رقم الحديث (٣٣١٢ ـ ٣٣١٤). وتهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٥/ ٤٤١.

وكانت غيبته ﷺ في هذه الغزوة ثمانية وعشرين يوماً.

غزوة الخندق[1]

وهي الأحزاب: جمع حزب، أي طائفة.

فأما تسميتها بالخندق: فلأجل الخندق الذي حفر حول المدينة بأمره ﷺ، ولم يكن اتخاذ الخندق من شأن العرب، ولكنه من مكايد الفرس. وكان الذي أشار بذلك سلمان، فقال: يا رسول الله، إنا كنا بفارس إذا حوصرنا خندقنا علينا، فأمر النبي ﷺ بحفره، وعمل فيه بنفسه ترغيباً للمسلمين.

وأما تسميتها بالأحزاب، فلاجتماع طوائف من المشركين على حرب المسلمين، وهم: قريش وغطفان واليهود ومن معهم. وقد أنزل الله تعالى في هذه القصة صدراً من سورة الأحزاب.

واختلف في تاريخها:

فقال موسى بن عقبة: كانت في شوال سنة أربع.

وقال ابن إسحاق: كانت في شوال سنة خمس، وبذلك جزم غيره من أهل المغازي.

ومال البخاري إلى قول موسى بن عقبة، وقواه بقول ابن عمر: أن رسول الله ﷺ عرضه يوم أحد وهو ابن أربع عشرة فلم يجزه، وعرضه يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة فأجازه[2]. فيكون بينهما سنة واحدة، وأحد كانت سنة ثلاث، فتكون الخندق سنة أربع.

ولا حجة فيه إذا ثبت لنا أنها كانت سنة خمس، لاحتمال أن يكون ابن عمر في أحد كان أول ما طعن في الرابعة عشر، وكان في الأحزاب استكمل الخمس عشرة، وبهذا أجاب البيهقي.

وقال الشيخ ولي الدين بن العراقي: والمشهور أنها في السنة الرابعة.

وكان من حديث هذه الغزوة: أن نفراً من يهود قدموا على قريش بمكة وقالوا: إنا

---

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٢٢٤. وطبقات ابن سعد ٢/ ٥٠. المنتظم ٣/ ٢٢٧. والبداية والنهاية ٤/ ٩٤. تاريخ الطبري ٢/ ٢٣٣. والكامل في التاريخ ٢/ ٧٠. ودلائل النبوة للبيهقي ٣/ ٣٩٢.

(٢) أخرجه البخاري كتاب المغازي باب (٣٠) رقم الحديث (٤٠٩٧) وسنن أبي داود. كتاب الحدود باب (١٨) رقم الحديث (٤٤٠٦).

سنكون معكم عليه حتى نستأصله، فاجتمعوا لذلك واتعدوا له.

ثم خرج أولئك اليهود حتى جاؤوا غطفان من قيس عيلان، فدعوهم إلى حربه عليه الصلاة والسلام، وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه، وأن قريشاً قد بايعوهم على ذلك واجتمعوا معهم.

فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب، وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن في فزارة، والحارث بن عوف المري في مرة.

وكان عدتهم ـ فيما ذكره ابن إسحاق ـ عشرة آلاف. والمسلمون ثلاثة آلاف وقيل غير ذلك.

وذكر ابن سعد أنه كان مع المسلمين ستة وثلاثون فرساً.

ولما سمع رسول الله ﷺ بالأحزاب، وبما أجمعوا عليه من الأمر، ضرب على المسلمين الخندق، فعمل فيه ﷺ ترغيباً للمسلمين في الأجر، وعمل معه المسلمون، فدأب ودأبوا.

وأبطأ على رسول الله ﷺ وعلى المسلمين في عملهم ذاك ناس من المنافقين، وجعلوا يورون بالضعف عن العمل.

وفي البخاري: عن سهل بن سعد قال: كنا مع النبي ﷺ في الخندق، وهم يحفرون ونحن ننقل التراب على أكتادنا، فقال رسول الله ﷺ: «**اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة، فاغفر للمهاجرين والأنصار**»[1].

والأكتاد. ـ بالمثناة الفوقية ـ جمع كتد ـ بفتح أوله وكسر المثناة ـ وهو ما بين الكاهل إلى الظهر، وفي بعض نسخ البخاري: أكبادنا بالموحدة، وهو موجه على أن يكون المراد به مما يلي الكبد من الجنب.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المغازي باب (٣٠) رقم الحديث (٤٠٩٨ ـ ٣٧٩٥ ـ ٣٧٩٦ ـ ٣٧٩٧). وفي سنن ابن ماجه. كتاب المساجد والجماعات باب (١) رقم الحديث (٧٤٢). والترمذي كتاب المناقب باب (٥٦) رقم الحديث (٣٨٥٧). وفي حلية الأولياء لأبي نعيم ٢/ ٣٠١. وسنن أبي داود كتاب الصلاة باب (١٢) رقم الحديث (٤٥٣). وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل ٣/ ١٧٢. والسنن الكبرى للبيهقي ٧/ ٤٨ والمطالب العالية لابن حجر (٤٣٣٢) والمعجم الكبير للطبراني ٦/ ٢٣٠. ومشكاة المصابيح للتبريزي (٤٧٩٣). وفي فتح الباري ٧/ ١٤٩. والدرر المنتشرة في الأحاديث المشتهرة للسيوطي (٤٣) وكنز العمال (٤٧٩٠٥).

وفي البخاري أيضاً: عن أنس: فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غداة باردة، فلم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم، فلما رأى ما بهم من النصب والجوع قال:

اللهـــم إن العيـــش عيـــش الآخـــرة فـــاغفـــر لـــلأنصـــار والمهـــاجـــرة

فقالوا مجيبين له:

نحـــن الـــذيـــن بـــايعـــوا محمـــداً علـــى الجهـــاد مـــا بقينـــا أبـــداً[1]

قال ابن بطال: وقوله اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة، هو من قول ابن رواحة تمثل به ﷺ. وعند الحارث بن أبي أسامة من مرسل طاووس زيادة في آخر الرجز:

والعـــــن عضـــــلاً والقـــــارة هـــم كلفـــونـــا نقـــل الحجـــارة

وفي البخاري من حديث البراء قال: (لما كان يوم الأحزاب، وخندق رسول الله ﷺ رأيته ينقل من تراب الخندق حتى وارى عني الغبار جلدة بطنه، وكان كثير الشعر، فسمعته يرتجز بكلمات ابن رواحة، وهو ينقل التراب ويقول:

اللهـــم لـــولا أنـــت مـــا اهتـــدينـــا ولا تصـــــدقنـــــا ولا صلينـــــا

فـــأنـــزلـــن سكينـــة علينـــا وإن أرادوا فتنـــــة أبينـــــا

إن الألـــى قـــد بغـــوا علينـــا وإن أرادوا فتنـــــة أبينـــــا

قال: يمد بها صوته..) وفي رواية له أيضاً:

إن الألـــى قـــد بغـــوا علينـــا إذا أرادوا فتنـــــة أبينـــــا

وفي حديث سليمان التيمي[2] عن أبي عثمان النهدي[3] أنه ﷺ حين ضرب في الخندق قال:

بســـم الإلـــه وبـــه بـــدينـــا ولـــو عبـــدنـــا غيـــره شقينـــا

فحبذا ربا وحب ديناً

قال في النهاية: يقال بديت بالشيء ـ بكسر الدال ـ أي بدأت به، فلما خفف الهمزة

---

(١) أخرجه البخاري كتاب المغازي باب (٣٠) رقم الحديث (٤٠٩٩). وفي فتح الباري ١٥٦/٨.

(٢) هو سليمان بن طرخان أبو المعتمر التيمي. تابعي. محدث توفي بالبصرة سنة (١٤٣ هـ). الكاشف ٣١٦/١. رقم الترجمة (٢١٢٣) وطبقات ابن سعد ١٨٨/٧ رقم الترجمة (٣١٩٨).

(٣) هو عبد الرحمن بن مل أبو عثمان النهدي. تابعي محدث. حافظ توفي بالبصرة سنة (٩٥ هـ). الكاشف ١٦٥/٢ رقم الترجمة (٣٣٦٧) طبقات ابن سعد ٦٨/٧ رقم الترجمة (٢٩٧٨)، تذكرة الحفاظ ٦٥/١ رقم الترجمة (٥٦) شذرات الذهب ١١٨/١. العبر ٢٧٤/٢.

كسر الدال، فانقلبت الهمزة ياء، وليس هو من بنات الياء. انتهى.

وقد وقع في حفر الخندق آيات من أعلام نبوته ﷺ. منها ما في الصحيح عن جابر قال: إنا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية شديدة ـ وهي بضم الكاف وتقديم الدال المهملة على التحتانية، وهي القطعة الصلبة ـ فجاؤوا النبي ﷺ فقالوا: هذه كدية عرضت في الخندق، فقام وبطنه معصوب بحجر، ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقاً فأخذ النبي ﷺ المعول فضرب فعاد كثيباً أهيل أو أهيم[1].

كذا بالشك من الراوي، وفي رواية الإسماعيلي باللام من غير شك، والمعنى: أنه صار رملاً يسيل ولا يتماسك.

وأهيم: بمعنى أهيل. وقد قيل في قوله تعالى: ﴿**فشاربون شرب الهيم**﴾ [الواقعة: ٥٥]. المراد: الرمال التي لا يرويها الماء.

وقد وقع عند أحمد والنسائي في هذه القصة زيادة بإسناد حسن من حديث البراء قال: لما كان حين أمرنا رسول الله ﷺ بحفر الخندق، عرضت لنا في بعض الخندق صخرة لا تأخذ فيها المعاول، فاشتكينا ذلك لرسول الله ﷺ، فجاء وأخذ المعول فقال: «**بسم الله**»، ثم ضرب ضربة فنشر ثلثها، وقال: «**الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام، والله إني لأبصر قصورها الحمر الساعة**»، ثم ضرب الثانية فقطع ثلثاً آخر، فقال: «**الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس، وإني والله لأبصر قصر المدائن الأبيض الآن**»، ثم ضرب الثالثة فقال: «بسم الله» فقطع بقية الحجر، فقال: «**الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني الساعة**»[2].

ومن أعلام نبوته ما ثبت في الصحيح من حديث جابر من تكثير الطعام القليل يوم حفر الخندق، كما سيأتي إن شاء الله تعالى مستوفى في مقصد المعجزات مع غيره[3].

وقد وقع عند موسى بن عقبة أنهم أقاموا في عمل الخندق قريباً من عشرين ليلة.

وعند الواقدي: أربعاً وعشرين.

---

(١) أخرجه البخاري كتاب المغازي باب (٣٠). رقم الحديث (٤١٠١).

(٢) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٣/ ٤٢١ وفي فتح الباري ٧/ ٥٠٥. وفي المسند للإمام أحمد بن حنبل ٤/ ٣٠٣. ومصنف ابن أبي شيبة ١٤/ ٤٢٢. وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١/ ١٣١ وجمع الجوامع للسيوطي (٩٦٦٧). وكنز العمال (٣٠٠٨٠ ـ ٣١٧٩٢).

(٣) أخرجه البخاري كتاب المغازي باب (٣٠) رقم الحديث (٤١٠١) وفتح الباري ٧/ ٥٠٧. وصحيح مسلم كتاب الأشربة باب (٢٠) رقم الحديث (١٤١) والبداية والنهاية ٤/ ٩٩ ودلائل النبوة للبيهقي ٣/ ٤٢٦. وكنز العمال (٣٣٢٣٧).

وفي الروضة للنووي: خمسة عشر يوماً.

وفي الهدي النبوي لابن القيم: أقاموا شهراً.

ولما فرغ رسول الله ﷺ من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع السيول في عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تبعهم من بني كنانة وتهامة.

ونزل عيينة بن حصن في غطفان ومن تبعهم من أهل نجد إلى جانب أحد.

وخرج رسول الله ﷺ ومن معه من المسلمين حتى جعلوا أظهرهم إلى سلع، وكانوا ثلاثة آلاف رجل. فضرب هنالك عسكره، والخندق بينه وبين القوم. وكان لواء المهاجرين بيد زيد بن حارثة، ولواء الأنصار بيد سعد بن عبادة. وكان ﷺ يبعث الحرس إلى المدينة خوفاً على الذراري من بني قريظة.

قال ابن إسحاق: وخرج عدو الله حيـي بن أخطب حتى أتى كعب بن أسد القرظي صاحب عقد بني قريظة وعهدهم، وكان وادع رسول الله ﷺ على قومه وعاقده، فأغلق كعب دونه باب حصنه، وأبى أن يفتح له، وقال ويحك يا حيـي، إنك امرؤ مشؤوم، وإني قد عاهدت محمداً فلست بناقض ما بيني وبينه، فإني لم أر منه إلا وفاء وصدقاً. فقال: ويلك افتح، ولم يزل به حتى فتح له، فقال: ويلك يا كعب، جئتك بعز الدهر، جئتك بقريش حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال، ومن دونه غطفان وقد عاهدوني على أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمداً ومن معه، ولم يزل به حتى نقض عهده، وبرىء مما كان بينه وبين رسول الله ﷺ.

وعن عبد الله بن الزبير قال: كنت يوم الأحزاب أنا وعمرو بن أبي سلمة مع النساء في أطم حسان، فنظرت فإذا الزبير على فرسه يختلف إلى بني قريظة مرتين أو ثلاثاً، فلما رجعت قلت يا أبت رأيتك تختلف، قال: رأيتني يا بني قلت: نعم. قال: كان رسول الله ﷺ قال: «**من يأت بني قريظة فيأتيني بخبرهم**» **فانطلقت**، فلما رجعت جمع لي رسول الله ﷺ أبويه فقال: فداك أبي وأمي[1]. أخرجه الشيخان والترمذي وقال: حديث حسن.

وفي رواية أصحاب المغازي: فلما انتهى الخبر إلى رسول الله ﷺ بعث سعد بن معاذ وسعد بن عبادة ومعهما ابن رواحة وخوات بن جبير ليعرفوا الخبر، فوجدوهم على

(١) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ١/١٦٦. وابن ماجه في المقدمة باب (١١) رقم الحديث (١٢٢) وفي صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير باب (٤١) رقم الحديث (٢٨٤٦ - ٢٨٤٧ - ٢٩٩٧ - ٣٧١٩ - ٤١١٣ - ٧٢٦١) وفي فتح الباري ٦/١٦٦. وفي مشكاة المصابيح (٦١٠٢). وكنز العمال (٣٦٦٤٠).

أخبث ما بلغه عنهم، نالوا من رسول الله ﷺ وتبرؤوا من عقده وعهده، ثم أقبل السعدان ومن معهما على رسول الله ﷺ وقالوا: عضل والقارة، أي كغدرهما بأصحاب الرجيع.

فعظم عند ذلك البلاء، واشتد الخوف، وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم، حتى ظن المؤمنون كل ظن.

ونجم النفاق من بعض المنافقين، وأنزل الله تعالى: **﴿وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً﴾** [الأحزاب: ١٢] الآيات.

وقال رجال ممن معه: يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا، وقال أوس بن قيظي: يا رسول الله، إن بيوتنا عورة من العدو، فائذن لنا فنرجع إلى ديارنا، فإنها خارج المدينة.

وأقبل نوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي على فرس له ليوثبه الخندق فوقع في الخندق فقتله الله. وكبر ذلك على المشركين، فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ إنا نعطيك الدية على أن تدفعوه إلينا فندفنه، فرد إليهم النبي ﷺ: «**إنه خبيث خبيث الدية، فلعنه الله ولعن ديته، ولا نمنعكم أن تدفنوه ولا أرب لنا في ديته**»[1].

قال ابن إسحاق: وأقام ﷺ والمسلمون وعدوهم يحاصرهم، ولم يكن بينهم قتال إلا مراماة بالنبل، لكن كان عمرو بن عبد ود العامري اقتحم هو ونفر معه خيولهم من ناحية ضيقة من الخندق، حتى صاروا بالسبخة، فبارزه علي فقتله، وبرز نوفل بن عبد الله بن المغيرة فقتله الزبير وقيل قتله علي، ورجعت بقية الخيول منهزمة.

ورمي سعد بن معاذ بسهم فقطع منه الأكحل ـ وهو بفتح الهمزة والمهملة بينهما كاف ساكنة ـ عرق في وسط الذراع. قال الخليل: هو عرق الحياة يقال إن في كل عضو منه شعبة فهو في اليد الأكحل وفي الظهر الأبهر وفي الفخذ النسا، إذا قطع لم يرفأ الدم.

وكان الذي رمى سعداً، ابن عرقة، أحد بني عامر بن لؤي، قال: خذها مني وأنا ابن العرقة، فقال له سعد: عرق الله وجهك في النار. ثم قال سعد: اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقني لها، فإنه لا قوم أحب إلي أن أجاهدهم من قوم آذوا رسولك وكذبوه.

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ١/٢٤٨ وفي البداية والنهاية ٤/١٠٩. وفي الجامع الكبير ٢/٧٩٩.

وأقام عليه الصلاة والسلام وأصحابه بضع عشرة ليلة. فمشى نعيم بن مسعود الأشجعي ـ وهو مخف إسلامه ـ فثبط قومه عن قوم وأوقع بينهم شراً لقوله ﷺ: «**الحرب خدعة**»[1] فاختلفت كلمتهم.

وروى الحاكم عن حذيفة قال: لقد رأيتنا ليلة الأحزاب وأبو سفيان ومن معه من فوقنا، وقريظة أسفل منا نخافهم على ذرارينا، وما أتت علينا ليلة أشد ظلمة ولا ريحاً منها، فجعل المنافقون يستأذنون ويقولون بيوتنا عورة، فمر بي النبي ﷺ وأنا جاث على ركبتي، ولم يبق معه إلا ثلاثمائة فقال: اذهب فائتني بخبر القوم، ودعا لي، فأذهب الله عني القر والفزع، فدخلت عسكرهم فإذا الريح فيه لا تجاوز شبراً، فلما رجعت رأيت فوارس في طريقي فقالوا: أخبر صاحبك أن الله كفاه القوم.

وفي رواية: أن حذيفة لما أرسله ﷺ ليأتيه بالخبر سمع أبا سفيان يقول: يا معشر قريش، إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام، ولقد هلك الخف والكراع، واختلفنا وبنو قريظة، ولقينا من هذا الريح ما ترون فارتحلوا فإني مرتحل ووثب على جمله فما حل عقال يده إلا وهو قائم.

ووقع في البخاري أنه ﷺ قال يوم الأحزاب: «**من يأتينا بخبر القوم**» فقال الزبير: أنا، فقال: «**من يأتينا بخبر القوم**»، فقال الزبير: أنا، فقال: «**من يأتينا بخبر القوم؟**» قالها ثلاثاً[2].

وقد استشكل ذكر الزبير في هذه.

فقال ابن الملقن: وقع هنا أن الزبير هو الذي ذهب والمشهور أنه حذيفة بن اليمان.

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الجهاد والسير باب (١٥٧) رقم الحديث (٣٠٢٨ ـ ٣٠٢٩ ـ ٣٠٣٠). وفي فتح الباري ٦/ ١٩٤. وفي سنن الترمذي كتاب الجهاد باب (٥) رقم الحديث (١٦٧٥) وللإمام أحمد بن حنبل في مسنده ١/ ٩٠. وفي صحيح مسلم برقم (١٣٦١) وابن ماجه في كتاب الجهاد باب (٢٨) رقم الحديث (٢٨٣٣ ـ ٢٨٣٤) وفي حلية الأولياء (٧/ ٢٤٧) وفي المسند للحميدي ٢/ ٥١٩ رقم الحديث (١٢٣٧) وفي البداية والنهاية ٤/ ١١٤. وفي المعجم الكبير للطبراني ٣/ ٨٣. وفي تفسير القرطبي ٨/ ٣٣. وفي السنن الكبرى للبيهقي ٧/ ٤٠ وفي مجمع الزوائد للهيثمي ٥/ ٣٢٠. وفي كنز العمال (١٠٨٩١).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب المناقب باب (٢٤) رقم الحديث (٣٧٤٥). والإمام أحمد بن حنبل في مسنده ٣/ ٣٦٥. وفي فتح الباري ٦/ ٦٦ وفي صحيح البخاري كتاب الجهاد والسير باب (٤١) رقم الحديث (٢٩٩٧ ـ ٣٧١٩). وفي سنن ابن ماجه في المقدمة باب (١١) رقم الحديث (١٢٢). وفي دلائل النبوة للبيهقي ٣/ ٤٣١. وفي السنن الكبرى للبيهقي ٦/ ٣٦٧. ومشكاة المصابيح (٦١٠٢).

قال الحافظ بن حجر: وهذا الحصر مردود، فإن القصة التي ذهب لكشفها غير القصة التي ذهب حذيفة لكشفها، فقصة الزبير كانت لكشف خبر بني قريظة هل نقضوا العهد بينهم وبين المسلمين، ووافقوا قريشاً على محاربة المسلمين؟ وقصة حذيفة كانت لما اشتد الحصار على المسلمين بالخندق، وتمالأت عليهم الطوائف، ثم وقع بين الأحزاب الاختلاف، وحذرت كل طائفة من الأخرى، وأرسل الله عليهم الريح واشتد البرد تلك الليلة، فانتدب عليه السلام من يأتيه بخبر قريش فانتدب له حذيفة بعد تكراره طلب ذلك، وقصته في ذلك مشهورة لما دخل بين قريش في الليل وعرف قصتهم.

وفي البخاري من حديث عبد الله بن أبي أوفى قال: دعا رسول الله ﷺ على الأحزاب فقال: «**اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم**»(١).

وروى أحمد عن أبي سعيد قال: قلنا يوم الخندق يا رسول الله هل من شيء نقوله فقد بلغت القلوب الحناجر قال: نعم، اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا. قال: فضرب الله وجوه أعدائنا بالريح.

وفي «ينبوع الحياة» لابن ظفر(٢): قيل إنه ﷺ دعا فقال: يا صريخ المكروبين يا مجيب المضطرين اكشف همي وغمي وكربي فإنك ترى ما نزل بي وبأصحابي. فأتاه جبريل فبشره بأن الله سبحانه يرسل عليهم ريحاً وجنوداً، فأعلم أصحابه ورفع يديه قائلاً: شكراً شكراً، وهبت ريح الصبا ليلاً فقلعت الأوتاد وألقت عليهم الأبنية وكفأت القدور وسفت عليهم التراب ورمتهم بالحصى، وسمعوا في أرجاء معسكرهم التكبير وقعقعة السلاح فارتحلوا هرباً في ليلتهم وتركوا ما استثقلوه من متاعهم. قال: فذلك قوله تعالى: ﴿**فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها**﴾ [الأحزاب: ٩].

وفي البخاري عن علي أن رسول الله ﷺ قال يوم الخندق: «**ملأ الله بيوتهم وقبورهم ناراً، كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس**»(٣) ومقتضى هذا أنه

---

(١) أخرجه ابن ماجه كتاب الجهاد باب (١٥) رقم الحديث (٢٧٩٦) وفي صحيح البخاري كتاب الجهاد والسير باب (٩٨) رقم الحديث (٢٩٣٣ ـ ٢٩٦٥ ـ ٣٠٢٥ ـ ٤١١٥ ـ ٦٣٩٢ ـ ٧٤٨٩) وفتح الباري ١٩٣/٦ وللإمام أحمد بن حنبل في مسنده ٣٥٣/٤. وطبقات ابن سعد ٥٧/٢. والبداية والنهاية ١١٣/٤ وحلية الأولياء ٢٥٦/٨. ودلائل النبوة للبيهقي ٤٥٦/٣.

(٢) ذكره القرطبي ١٥٧/١٤.

(٣) أخرجه البخاري كتاب الجهاد والسير باب (٩٨) رقم الحديث (٢٩٣١ ـ ٤١١١ ـ ٤٥٣٣ ـ =

استمر اشتغاله بقتال المشركين حتى غابت الشمس.

ويعارضه ما في صحيح مسلم عن ابن مسعود أنه قال: حبس المشركون رسول الله ﷺ عن صلاة العصر حتى احمرت الشمس أو اصفرت، فقال رسول الله ﷺ: «**شغلونا عن الصلاة الوسطى**»[1] الحديث. ومقتضى هذا أنه لم يخرج الوقت بالكلية.

قال الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد، الحبس انتهى إلى ذلك الوقت، أي الحمرة أو الصفرة، ولم تقع الصلاة إلا بعد المغرب انتهى.

وفي البخاري عن عمر بن الخطاب: أنه جاء يوم الخندق وجعل يسب كفار قريش قال: يا رسول الله، ما كدت أصلي حتى كادت الشمس أن تغرب فقال ﷺ: «**والله ما صليتها**»، فنزلنا مع النبي ﷺ بطحان، فتوضأ للصلاة وتوضأنا، فصلى العصر بعدما غربت الشمس، ثم صلى بعدها المغرب[2].

وقد يكون ذلك للاشتغال بأسباب الصلاة أو غيرها، ومقتضى هذه الرواية المشهورة أنه لم يفت غير العصر.

وفي الموطأ: الظهر والعصر.

وفي الترمذي عن ابن مسعود أن المشركين شغلوا رسول الله ﷺ عن أربع صلوات يوم الخندق. وقال: ليس بإسناده بأس إلا أن أبا عبيدة لم يسمع من عبد الله، فمال ابن العربي إلى الترجيح وقال: الصحيح أن التي اشتغل عنها ﷺ واحدة وهي العصر.

وقال النووي: طريق الجمع بين هذه الروايات، أن وقعة الخندق بقيت أياماً فكان هذا في بعض الأيام وهذا في بعضها. قال: وأما تأخيره ﷺ صلاة العصر حتى غربت الشمس فكان قبل نزول صلاة الخوف.

= ٦٣٩٦). وابن ماجه كتاب الصلاة باب (٦) رقم الحديث (٦٨٤). وللإمام أحمد بن حنبل في مسنده ١/ ٨٢ وفي صحيح مسلم كتاب المساجد رقم الحديث (٢٠٢ ـ ٢٠٥). وفي فتح الباري ٨/ ٢٤٧، وفي سنن الدارمي ١/ ٢٠٨. والسنن الكبرى للبيهقي ٢/ ٢٢٠. وفي طبقات ابن سعد ٢/ ٥٣. والبداية والنهاية ٤/ ١١١. وفي مجمع الزوائد للهيثمي ٦/ ١٤٠. وفي كنز العمال (٢١٩٣ ـ ٢٩٩٠٠).

(١) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ١/ ١٣٧. وصحيح مسلم كتاب المساجد باب (٣٦) رقم الحديث (٢٠٢ ـ ٢٠٥). وسنن النسائي ١/ ٢٣٦. وفتح الباري ٨/ ٢٤٧. وحلية الأولياء ٤/ ١٦٥. والبداية والنهاية ٤/ ١١١. والتمهيد لابن عبد البر ٤/ ٢٨٨. والمعجم الكبير للطبراني ١١/ ٣٨٤. والسنن الكبرى للبيهقي ١/ ٤٦٠.

(٢) أخرجه البخاري كتاب مواقيت الصلاة باب (٣٦) رقم الحديث (٥٩٦ ـ ٥٩٨ ـ ٦٤١ ـ ٩٤٥ ـ ٤١١٢). وفتح الباري ٢/ ٨٨.

قال العلماء: يحتمل أن يكون أخرها نسياناً لا عمداً، وكان السبب في النسيان الاشتغال بأمر العدو، ويحتمل أنه أخرها عمداً للاشتغال بالعدو قبل نزول صلاة الخوف، وأما اليوم فلا يجوز تأخير الصلاة عن وقتها بسبب العدو والقتال، بل يصلي صلاة الخوف على حسب الحال.

وقد اختلف في المراد بالصلاة الوسطى. وجمع الحافظ الدمياطي في ذلك مؤلفاً مفرداً سماه: كشف المغطى عن الصلاة الوسطى، فبلغ تسعة عشر قولاً، وهي: الصبح أو الظهر، أو العصر، أو المغرب، أو جميع الصلاة وهو يتناول الفرائض والنوافل واختاره ابن عبد البر، أو الجمعة وصححه القاضي حسين في صلاة الخوف من تعليقه، أو الظهر في الأيام والجمعة يوم الجمعة، أو العشاء لأنها بين صلاتين لا تقصران، أو الصبح والعشاء، أو الصبح والعصر لقوة الأدلة. فظاهر القرآن الصبح، ونص السنة العصر، أو صلاة الجماعة أو الوتر أو صلاة الخوف أو صلاة عيد الأضحى أو الفطر أو صلاة الضحى، أو واحدة من الخمس غير معينة، أو الصبح أو العصر على الترديد وهو غير القول السابق أو التوقف انتهى.

وانصرف ﷺ من غزوة الخندق يوم الأربعاء لسبع ليال بقين من ذي القعدة، وكان قد أقام بالخندق خمسة عشر يوماً، وقيل أربعة وعشرين يوماً.

وقال ﷺ: «**لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا**»[1].

وفي ذلك علم من أعلام النبوة. فإنه ﷺ اعتمر في السنة التي صدته قريش عن البيت، ووقعت الهدنة بينهم إلى أن نقضوها فكان ذلك سبب فتح مكة فوقع الأمر كما قال عليه الصلاة والسلام. وسيأتي ذلك إن شاء الله تعالى.

وقد أخرج البزار من حديث جابر بإسناد حسنٍ شاهداً لهذا ولفظه: إن النبي ﷺ قال يوم الأحزاب، وقد جمعوا له جموعاً كثيرة: «**لا يغزونكم بعدها أبداً، ولكن أنتم تغزونهم**»[2].

[غزوة بني قريظة][3]

ولما دخل ﷺ المدينة يوم الأربعاء هو وأصحابه ووضعوا السلاح جاء جبريل عليه

---

(١) أخرجه البيهقي بدلائل النبوة ٣/ ٤٥٨. وفي تفسير ابن كثير ٦/ ٣٩٦. وفي البداية والنهاية ٤/ ١١٧.

(٢) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/ ١٣٩. وفي البداية والنهاية ٤/ ١١٧.

(٣) انظر طبقات ابن سعد ٢/ ٥٧ والمنتظم ٣/ ٢٣٨. والسيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٢٤٤. والبداية =

السلام معتجراً بعمامة من استبرق على بغلة عليها قطيفة من ديباج.

وفي رواية البخاري من حديث عائشة أنه لما رجع ﷺ ووضع السلاح واغتسل أتاه جبريل فقال له: قد وضعت السلاح، والله ما وضعناه. فاخرج إليهم[1].. وأشار إلى بني قريظة.

وعند ابن إسحاق: إن الله يأمرك يا محمد بالمسير إلى بني قريظة، فإني عامد إليهم فمزلزل بهم. فأمر رسول الله ﷺ مؤذناً فأذن في الناس: من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا ببني قريظة.

وعند ابن عائذ: قم فشد عليك سلاحك، فوالله لأدقنهم دق البيض على الصفا، وبعث يومئذ منادياً ينادي يا خيل الله اركبي.

وعند الحاكم والبيهقي: وبعث علياً على المقدمة، وخرج ﷺ في أثره.

وعند ابن سعد: ثم سار إليهم في المسلمين، وهم ثلاثة آلاف والخيل ستة وثلاثون فرساً، وذلك يوم الأربعاء لسبع بقين من ذي القعدة.

واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم، فيما قاله ابن هشام.

ونزل ﷺ على بئر من آبار بني قريظة وتلاحق به الناس. فأتى رجال منهم بعد العشاء الآخرة، ولم يصلوا العصر، لقوله ﷺ **«لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة»**[2] فصلوا العصر بها بعد العشاء الآخرة، فما عابهم الله بذلك في كتابه ولا عنفهم به رسول الله ﷺ.

وفي البخاري عن ابن عمر: فأدرك بعضهم العصر في الطريق، فقال بعضهم: لا نصلي حتى نأتيها، وقال بعضهم بل نصلي، لم يرد منا ذلك، فذكر ذلك للنبي ﷺ فلم يعنف واحداً منهم[3].

= والنهاية ٤/١١٨. والكامل في التاريخ ٢/ ٧٥. وتاريخ الطبري ٢/ ٢٤٥. وشرح المواهب للزرقاني ٢/ ١٢٦.

(١) أخرجه البخاري كتاب المغازي باب (٣١) رقم الحديث (٤١١٧).

(٢) أخرجه البخاري كتاب الخوف باب (٥) رقم الحديث (٩٤٦ ـ ٤١١٩). وصحيح مسلم كتاب الجهاد باب (٢٣) رقم الحديث (٦٩) وفتح الباري ٥١٩/٧. وشرح السنة للبغوي ١٤/ ١١. وتغليق التعليق لابن حجر العسقلاني ٣٧٧. والبداية والنهاية ١١٩/٤. والإستذكار لابن عبد البر (١٠٣١١).

(٣) أخرجه البخاري كتاب المغازي باب (٣١) رقم الحديث (٤١١٩).

كذا وقع في جميع النسخ من البخاري: أنها العصر. واتفق عليه جميع أهل المغازي.

ووقع في مسلم أنها الظهر مع اتفاق البخاري ومسلم على روايته عن شيخ واحد وبإسناد واحد. ووافق مسلماً أبو يعلى وآخرون.

وجمع بين الروايتين باحتمال أن يكون بعضهم ـ قبل الأمر ـ كان صلى الظهر، وبعضهم لم يصلها، فقيل لمن لم يصلها لا يصلين أحد الظهر، ولمن صلاها: لا يصلين أحد العصر.

وجمع بعضهم باحتمال أن تكون طائفة منهم راحت بعد طائفة، فقيل للطائفة الأولى: الظهر، وللطائفة التي بعدها العصر، والله أعلم.

قال ابن إسحاق: وحاصرهم ﷺ خمساً وعشرين ليلة، حتى أجهدهم الحصار.

وعند ابن سعد: خمس عشرة. وعند ابن عقبة: بضع عشرة ليلة.

وقذف الله في قلوبهم الرعب. فعرض عليهم رئيسهم كعب بن أسد أن يؤمنوا فقال لهم: يا معشر يهود قد نزل بكم من الأمر ما ترون، وإني أعرض عليكم خلالاً ثلاثاً، فخذوا أيها شئتم. قالوا: وما هي:

قال: نتابع هذا الرجل ونصدقه، فوالله لقد تبين أنه لنبي مرسل، وأنه الذي تجدونه في كتابكم، فتأمنون على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم. فأبوا.

فقال: إذا أبيتم عليّ هذه، فهلم نقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مصلتين بالسيوف، لم نترك وراءنا ثقلاً حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا ما نخشى عليه.

فقالوا: أي عيش لنا بعد أبنائنا ونسائنا.

فقال: إن أبيتم على هذه فإن الليلة ليلة السبت، وعسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنونا فيها، فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غرة.

قالوا: نفسد سبتنا ونحدث فيه ما لم يحدث فيه من كان قبلنا، إلا من قد علمت فأصابه ما لم يخف عليك من المسخ.

وأرسلوا إلى رسول الله ﷺ أن ابعث إلينا أبا لبابة ـ وهو رفاعة بن عبد المنذر ـ نستشيره في أمرنا.

فأرسله إليهم، فلما رأوه قام إليه الرجال وجهش إليه النساء والصبيان يبكون في

وجهه، فرقَّ لهم، وقالوا يا أبا لبابة، أترى أن ننزل على حكم محمد؟ قال: نعم، وأشار بيده إلى حلقه: إنه الذبح.

قال أبو لبابة: فوالله ما زالت قدماي من مكانهما حتى عرفت أني قد خنت الله ورسوله.

ثم انطلق أبو لبابة على وجهه فلم يأت رسول الله ﷺ حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من عمده، وقال: لا أبرح من مكاني هذا حتى يتوب الله علي مما صنعت وعاهد الله أن لا يطأ بني قريظة أبداً، ولا أرى في بلد خنت الله ورسوله فيه أبداً.

فلما بلغ رسول الله ﷺ خبره، وكان قد استبطأه قال: «**أما لو جاءني لاستغفرت له، وأما إذا فعل ما فعل، فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه**»[1].

قال: وأقام أبو لبابة مرتبطاً بالجذع ست ليال، تأتيه امرأته في وقت كل صلاة فتحله للصلاة ثم تعود فتربطه بالجذع.

وقال أبو عمر: روى وهب عن مالك عن عبد الله بن أبي بكر أن أبا لبابة ارتبط بسلسلة ثقيلة بضع عشرة ليلة حتى ذهب سمعه، فما كاد يسمع، وكاد يذهب بصره، وكانت ابنته تحله إذا حضرت الصلاة، أو أراد أن يذهب لحاجة، فإذا فرغ أعادته.

وعن يزيد بن عبد الله بن قسيط: أن توبة أبي لبابة نزلت على رسول الله ﷺ وهو في بيت أم سلمة. قالت أم سلمة: فسمعت رسول الله ﷺ من السحر وهو يضحك، فقالت: قلت مم تضحك، أضحك الله سنك. قال: «**تيب على أبي لبابة**». قالت: قلت أفلا أبشره يا رسول الله، قال: «**بلى إن شئت**». قال: فقامت على باب حجرتها ـ وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب ـ فقالت: يا أبا لبابة أبشر فقد تاب الله عليك. قالت: فثار الناس إليه ليطلقوه، فقال: لا والله حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يطلقني بيده، فلما مر عليه خارجاً إلى صلاة الصبح أطلقه[2].

وروى البيهقي في دلائله بسنده عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿**وآخرون اعترفوا بذنوبهم**﴾ [التوبة: ١٠٢] قال: هو أبو لبابة إذ قال لبني قريظة ما قال وأشار إلى حلقه إن محمداً يذبحكم إن نزلتم على حكمه. قال البيهقي وترجم محمد بن إسحاق بن يسار أن ارتباطه كان حينئذ[3].

(١) ذكره البيهقي في دلائل النبوة ٤/ ١٦. وسيرة ابن هشام ٣/ ٢٤٨.
(٢) ذكره البيهقي في دلائل النبوة ٤/ ١٧ وفي سيرة ابن هشام ٣/ ٢٤٨.
(٣) انظر تفسير البغوي ٢/ ٢٧٢ [التوبة: ١٠٢].

وقد روينا عن ابن عباس ما دل على أن ارتباطه بسارية المسجد كان لتخلفه عن غزوة تبوك، كما قال ابن المسيب قال: وفي ذلك نزلت هذه الآية.

ولما اشتد الحصار ببني قريظة أذعنوا أن ينزلوا على حكم رسول الله ﷺ، فحكم فيهم سعد بن معاذ، وكان قد جعله في خيمة في المسجد الشريف لامرأة من أسلم يقال لها رفيدة وكانت تداوي الجرحى، فلما حكمه أتاه قومه فحملوه على حمار وقد وطؤوا له بوسادة من أدم ـ وكان رجلاً جسيماً ـ ثم أقبلوا معه إلى رسول الله ﷺ.

فلما انتهى سعد إلى رسول الله ﷺ والمسلمين، قال عليه الصلاة والسلام: «**قوموا إلى سيدكم**»[1]. فأما المهاجرون من قريش فيقولون إنما أراد رسول الله ﷺ الأنصار، وأما الأنصار فيقولون: عم بها رسول الله ﷺ المسلمين.

فقالوا: إن رسول الله قد ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم.

فقال سعد: فإني أحكم فيهم، أن تقتل الرجال وتقسم الأموال وتسبى الذراري والنساء.

فقال ﷺ: «**لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة**» والرقيع: السماء سميت بذلك لأنها رقعت بالنجوم.

ووقع في البخاري: قال: قضيت فيهم بحكم الله، وربما قال: «**بحكم الملك**» ـ بكسر اللام ـ.

وفي رواية محمد بن صالح[2] «**لقد حكمت اليوم فيهم بحكم الله الذي حكم به من فوق سبع سموات**»[3].

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الجهاد والسير باب (١٦٩) رقم الحديث (٣٠٤٣ ـ ٣٨٠٤ ـ ٤١٢١ ـ ٦٢٦٢). والإمام أحمد بن حنبل في مسنده ٣/ ٢٢. وصحيح مسلم كتاب الجهاد باب (٢٢) رقم الحديث (٦٤). وسنن أبي داود كتاب الأدب باب (١٤٤) رقم الحديث (٥٢١٥).
وفتح الباري ١١/ ٥٨ والسنن الكبرى للبيهقي ٦/ ٥٨. والمعجم الكبير للطبراني ٦/ ٦. ودلائل النبوة ٤/ ١٨. ومجمع الزوائد للهيثمي ٦/ ١٣٨ وكنز العمال (٢٥٤٨٣). وطبقات ابن سعد ٣/ ٢٢٣.

(٢) هو محمد بن صالح بن دينار المدني. التمار المتوفي سنة (١٦٨ هـ). الكاشف ٣/ ٤٧. رقم الترجمة (٤٩٨٥).

(٣) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ٦/ ٥٦. وطبقات ابن سعد ٢/ ٥٨. والمعجم الكبير للطبراني ٦/ ٦. والسلسلة الصحيحة للألباني ١/ ١٠٥. وإصلاح خطأ المحدثين للخطابي (٢٨). وشرح معاني الآثار ٣/ ٢١٦.

وفي حديث جابر ـ عند ابن عائذ ـ فقال: «**احكم فيهم يا سعد**»، فقال: الله ورسوله أحق بالحكم، قال: «**قد أمرك الله أن تحكم فيهم**»[1].

وفي هذه القصة: جواز الإجتهاد في زمنه ﷺ وهي مسألة اختلف فيها أهل أصول الفقه. والمختار: الجواز، سواء كان في حضرته ﷺ أم لا، وإنما استبعد المانع وقوع الإعتماد على الظن مع إمكان القطع، ولا يضر ذلك لأنه بالتقرير يصير قطعياً، وقد ثبت وقوع ذلك بحضرته ﷺ كما في هذه القصة وغيرها. انتهى.

وانصرف ﷺ يوم الخميس لسبع ليال ـ كما قال الدمياطي، أو لخمس كما قاله مغلطاي ـ خلون من ذي الحجة.

وأمر ﷺ ببني قريظة فأدخلوا المدينة، وحفر لهم أخدود في السوق، وجلس ﷺ ومعه أصحابه، وأخرجوا إليه فضربت أعناقهم، وكانوا ما بين ستمائة إلى سبعمائة، وقال السهيلي: المكثر يقول إنهم ما بين الثمانمائة إلى التسعمائة، وفي حديث جابر عند الترمذي والنسائي وابن حبان بإسناد صحيح أنهم كانوا أربعمائة مقاتل.

فيحتمل في طريق الجمع أن يقال: إن الباقين كانوا أتباعاً.

واصطفى ﷺ لنفسه الكريمة ريحانة فتزوجها، وقيل كان يطؤها بملك اليمين، وأمر بالغنائم فجمعت، وأخرج الخمس من المتاع والسبي ثم أمر بالباقي فبيع فيمن يريد وقسمه بين المسلمين، فكانت على ثلاث آلاف واثنتين وسبعين سهماً، للفرس سهمان ولصاحبه سهم، وصار الخمس إلى محمية بن جزء الزبيدي، فكان النبي ﷺ يعتق منه ويهب ويخدم منه من أراد، وكذلك صنع بما صار إليه من الرثة ـ وهو السقط من المتاع ـ.

وانفجر جرح سعد بن معاذ، فمات شهيداً.

وفي البخاري أنه دعا: اللهم إنك تعلم أنه ليس أحد أحب إليّ أن أجاهدهم فيك من قوم كذبوا رسولك [وأخرجوه]، اللهم إني أظن أنك قد وضعت الحرب فافجرها واجعل موتي فيها، فانفجرت من لبته، فلم يرعهم ـ وفي المسجد خيمة لامرأة من بني غفار ـ إلا الدم يسيل إليهم، فقالوا: يا أهل الخيمة ما هذا الذي يأتينا من قبلكم؟ فإذا سعد يغذو جرحه دماً فمات منها[2].

---

(١) ذكره في فتح الباري ٧/ ٥٢٤. وفي طبقات ابن سعد ٣/ ٣٢٥.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المغازي باب (٣١) رقم الحديث (٤١٢٢) وفي فتح الباري ٧/ ٥٢٧. وفي دلائل النبوة للبيهقي ٤/ ٢٧. وفي البداية والنهاية ٤/ ١٢٩. وفي طبقات ابن سعد ٣/ ٣٢٤.

وقد كان ظن سعد مصيباً، ودعاؤه في هذه القصة مجاباً، وذلك أنه لم يقع بين المسلمين وبين قريش من بعد وقعة الخندق حرب يكون ابتداء القصد فيه من المشركين، فإنه ﷺ تجهز إلى العمرة فصدوه عن دخول مكة، وكاد الحرب أن يقع بينهم فلم يقع كما قال تعالى: ﴿**وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم**﴾ [الفتح: ٢٤]. ثم وقعت الهدنة واعتمر عليه السلام من قابل، واستمر ذلك إلى أن نقضوا العهد فتوجه إليهم غازياً ففتحت مكة، فعلى هذا: فالمراد بقوله: أظن أنك قد وضعت الحرب، أي: أن يقصدونا محاربين. وهو كقوله ﷺ «**نغزوهم ولا يغزونا**» ـ كما تقدم ـ.

وقد بين سبب انفجار جرح سعد في مرسل حميد بن هلال ـ عند ابن سعد ـ ولفظه: أنه مرت به عنز، وهو مضطجع، فأصاب ظلفها موضع النحر فانفجرت حتى مات.

وحضر جنازته سبعون ألف ملك، واهتز لموته عرش الرحمن[١] رواه الشيخان.

قال النووي: اختلف العلماء في تأويله:

فقالت طائفة: هو على ظاهره، واهتزاز العرش تحركه فرحاً بقدوم سعد، وجعل الله تعالى في العرش تمييزاً حصل به هذا، ولا مانع منه، كما قال تعالى: ﴿**وإن منها لما يهبط من خشية الله**﴾ [البقرة: ٧٤]. وهذا القول هو ظاهر الحديث. وهو المختار. قال المازري: قال بعضهم: هو على حقيقته، وأن العرش تحرك لموته، وهذا لا ينكر من جهة العقل، لأن العرش جسم من الأجسام، يقبل الحركة والسكون. قال: لكن لا تحصل فضيلة سعد بذلك إلا أن يقال: إن الله تعالى جعل حركته علامة للملائكة على موته.

وقال آخرون: المراد بالاهتزاز الاستبشار والقبول. ومنه قول العرب: فلان يهتز للمكارم، لا يريدون اضطراب جسمه وحركته، وإنما يريدون ارتياحه إليها، وإقباله عليها.

---

(١) أخرجه البخاري كتاب مناقب الأنصار باب (١٢) رقم الحديث (٣٨٠٣). وصحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة رقم الحديث (١٢٤) والإمام أحمد بن حنبل في مسنده ٣/ ٣١٦. وسنن الترمذي كتاب المناقب باب (٥٠) رقم الحديث (٣٨٤٨). وسنن ابن ماجة المقدمة باب (١١) رقم الحديث (١٥٧) وفتح الباري ٧/ ١٥٦. وطبقات ابن سعد ٣/ ٣٢٨. والبداية والنهاية ٤/ ١٣٠. والمعجم الكبير للطبراني ٦/ ١٤. وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٩/ ٤٩. واللآلىء المصنوعة للسيوطي ٢/ ٢٣٤. ومشكاة المصابيح للتبريزي (٦١٩٧). وكنز العمال (٣٣٣١٨). ومجمع الزوائد للهيثمي ٩/ ٣٠٩.

وقال الحربي: هو عبارة عن تعظيم شأن وفاته، والعرب تنسب الشيء المعظم إلى أعظم الأشياء، فيقولون: أظلمت لموت فلان الأرض، وقامت له القيامة.

وقال جماعة: المراد اهتزاز سرير الجنازة. وهو النعش. وهذا القول باطل يرده صريح الروايات التي ذكرها مسلم «اهتز لموته عرش الرحمن» وإنما قال هؤلاء هذا التأويل لكونهم لم تبلغهم الروايات التي ذكرها مسلم والله أعلم. انتهى.

وقيل المراد باهتزاز العرش حملة العرش، وصحح الترمذي من حديث أنس قال: لما حملت جنازة سعد بن معاذ قال المنافقون لرسول الله ﷺ ما أخف جنازة سعد بن معاذ قال المنافقون لرسول الله ﷺ ما أخف جنازته، فقال النبي ﷺ: «**إن الملائكة كانت تحمله**».

وعن البراء قال: أهديت للنبي ﷺ حلة حرير، فجعل أصحابه يمسونها ويعجبون من لينها، فقال ﷺ: «أتعجبون من لين هذه؟ لمناديل سعد بن معاذ في الجنة خير منها وألين»[1] هذا لفظ رواية أبي نعيم في مستخرجه على مسلم.

والمناديل: جمع منديل ـ بكسر الميم في المفرد ـ وهو معروف.

قال العلماء: وهذا إشارة إلى عظم منزلة سعد في الجنة، وأن أدنى ثيابه فيها خير من هذه، لأن المنديل أدنى الثياب، لأنه معد للوسخ والامتهان، فغيره أفضل. انتهى.

وأخرج ابن سعد وأبو نعيم، من طريق محمد بن المنكدر عن محمد بن شرحبيل بن حسنة قال: قبض إنسان يومئذ بيده من تراب قبره قبضة فذهب بها، ثم نظر إليها بعد ذلك فإذا هي مسك، فقال رسول الله ﷺ: «**سبحان الله، سبحان الله**»، حتى عرف ذلك في وجهه، فقال: «**الحمد لله، لو كان أحد ناجياً من ضمة القبر لنجا منها سعد، ضم ضمة ثم فرج الله عنه**»[2].

وأخرج ابن سعد عن أبي سعيد الخدري قال: كنت ممن حفر لسعد قبره، فكان يفوح علينا المسك كلما حفرناه.

---

(١) أخرجه البخاري كتاب مناقب الأنصار باب (١٢) رقم الحديث (٣٨٠٢). وفي صحيح مسلم رقم الحديث (٢٤٦٨). وفي سنن الترمذي كتاب المناقب باب (٥٠) رقم الحديث (٣٨٤٧) وفي طبقات ابن سعد ٣/ ٣٣٢. وفي سنن ابن ماجه المقدمة باب (١١) رقم الحديث (١٥٧) وللإمام أحمد بن حنبل في مسنده ٣/ ٢٠٩. وفي حلية الأولياء ٧/ ١٣٢ وفي سنن النسائي ١٩٩/٨. وفي مجمع الزوائد للهيثمي ٩/ ٣١٠ وكنز العمال(٣٣٣٢٦).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ٩٨/٦. وطبقات ابن سعد ٣/ ٣٣١. وإتحاف السادة للزبيدي ١٠/ ٤٢٢. ومجمع الزوائد للهيثمي ٣/ ٤٧. والمغني عن حمل الأسفار للعراقي ١٦٦/٤.

قال الحافظ مغلطاي وغيره: وفي هذه السنة فرض الحج. وقيل: سنة ست وصححه غير واحد، وهو قول الجمهور.

وقيل: سنة سبع، وقيل: سنة ثمان ورجحه جماعة من العلماء.

وسيأتي البحث في ذلك إن شاء الله تعالى في ذكر وفد عبد القيس في المقصد الثاني، وفي ذكر حجه عليه الصلاة والسلام من مقصد عباداته.

ثم سرية محمد بن مسلمة[1] إلى القرطاء، بطن من بني بكر بن كلاب وهم ينزلون بناحية ضربة بالبكرات، وبين ضربة والمدينة سبع ليال. لعشر ليال خلون من المحرم سنة ست على رأس تسعة وخمسين شهراً من الهجرة.

بعثه في ثلاثين راكباً، فلما أغار عليهم هرب سائرهم.

وعند الدمياطي: فقتل نفراً منهم وهرب سائرهم. واستاق نعماً وشاء، وقدم المدينة لليلة بقيت من المحرم ومعه ثمامة بن أثال الحنفي أسيراً.

فربط بأمره ﷺ بسارية من سواري المسجد، ثم أطلق بأمره ﷺ، فاغتسل وأسلم وقال: يا محمد، والله ما كان على الأرض وجه أبغض إلي من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي، والله ما كان من دين أبغض إلي من دينك فأصبح دينك أحب الأديان كلها إلي، والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد إلي. وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى؟ فبشره النبي ﷺ، وأمره أن يعتمر.

فلما قدم مكة قال له قائل: صبوت؟ قال: لا، ولكن أسلمت مع رسول الله ﷺ، ولا والله يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي ﷺ. ذكر قصته البخاري[2].

غزوة بني لحيان[3]

ثم غزوة بني لحيان ـ بكسر اللام وفتحها، لغتان ـ في ربيع الأول سنة ست من الهجرة. وذكرها ابن إسحاق في جمادى الأول على رأس ستة أشهر من قريظة. قال ابن حزم: الصحيح أنها في الخامسة.

---

(١) انظر طبقات ابن سعد ٢/ ٦٠. والمنتظم ٣/ ٢٤٩. ودلائل النبوة للبيهقي ٤/ ٧٨. والكامل في التاريخ ٢/ ٩٢. وشرح المواهب للزرقاني ٢/ ١٤٣. والمغازي للواقدي ٢/ ٥٤٣. والسيرة النبوية لابن هشام ٤/ ٢٥٧.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المغازي باب (٧١) رقم الحديث (٤٣٧٢). وفي صحيح مسلم رقم الحديث (١٧٦٤).

(٣) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٢٩٢. والمنتظم ٣/ ٢٤٩ والبداية والنهاية ٤/ ٨٣. وطبقات ابن =

قالوا: وجد رسول الله ﷺ على عاصم بن ثابت وأصحابه وجداً شديداً، فأظهر أنه يريد الشام، وعسكر في مائتي رجل ومعهم عشرون فرساً. واستخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم.

ثم أسرع السير حتى انتهى إلى بطن غران ـ واد بين أمج وعسفان، وبينها وبين عسفان خمسة أميال ـ حيث كان مصاب أصحابه أهل الرجيع الذين قتلوا ببئر معونة، فترحم عليهم ودعا لهم.

فسمعت به بنو لحيان فهربوا في رؤوس الجبال، فلم يقدر منهم على أحد، فأقام يوماً أو يومين يبعث السرايا في كل ناحية. ثم خرج حتى أتى عسفان فبعث أبا بكر في عشرة فوارس لتسمع به قريش فيذعرهم، فأتوا كراع الغميم، ثم رجعوا ولم يلقوا أحداً.

وانصرف ﷺ إلى المدينة ولم يلق كيداً وهو يقول: «**آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون**»[1] وغاب عن المدينة أربع عشرة ليلة.

غزوة الغابة[2]

وتعرف بذي قرد ـ بفتح القاف والراء وبالدال المهملة ـ وهو ماء على بريد من المدينة. في ربيع الأول سنة ست، قبل الحديبية.

وعند البخاري أنها كانت قبل خيبر بثلاثة أيام، وفي مسلم نحوه.

قال مغلطاي: وفي ذلك نظر لإجماع أهل السير على خلافهما. انتهى.

قال القرطبي شارح مسلم: لا يختلف أهل السير أن غزوة ذي قرد كانت قبل الحديبية.

وقال الحافظ ابن حجر: ما في الصحيح من التاريخ لغزوة ذي قرد أصح مما ذكر أهل السير. انتهى.

= سعد ٢/ ٦٠. والمغازي للواقدي ٢/ ٥٣٥ وتاريخ الطبري ٢/ ٢٥٤. ودلائل النبوة للبيهقي ٣/ ٣٦٤ والكامل في التاريخ ٢/ ٧٨ وشرح المواهب للزرقاني ٢/ ١٤٦.

(١) أخرجه أبو نعيم بتاريخ أصبهان ٢/ ٣٦٧. وإتحاف السادة المتقين ٤/ ٣٢٦. ومصنف ابن أبي شيبة ١٢/ ٢٠. ومصنف عبد الرزاق (٩٢٤١). وفي عمل اليوم والليلة لابن السني (٥١٣). وفي السنن الكبرى للبيهقي ٥/ ٢٥٩. والمعجم الكبير للطبراني ١٢/ ٣٦٩. وفي طبقات ابن سعد ٢/ ٦١.

(٢) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٢٩٣. والمنتظم ٣/ ٢٥١ وطبقات ابن سعد ٢/ ٦١ والبداية والنهاية ٤/ ١٥١. وتاريخ الطبري ٢/ ٢٥٥ والكامل في التاريخ ٢/ ٧٨ وشرح المواهب للزرقاني ٢/ ١٤٨.

وسببها: أنه كان لرسول الله ﷺ عشرون لقحة ـ وهي ذوات اللبن القريبة العهد بالولادة ـ ترعى بالغابة، وكان أبو ذر فيها، فأغار عليهم عيينة بن حصن الفزاري ليلة الأربعاء، في أربعين فارساً فاستاقوها، وقتلوا ابن أبي ذر.

وقال ابن إسحاق: وكان فيها رجل من بني غفار وامرأة، فقتلوا الرجل وسبوا المرأة، فركبت ناقة للنبي ﷺ ليلاً حين غفلتهم ونذرت لئن نجت لتنحرنها، فلما قدمت على النبي ﷺ أخبرته بذلك فقال: «**لا نذر في معصية، ولا لأحد فيما لا يملك**»[1].

ونودي: يا خيل الله اركبي، وكان أول ما نودي بها.

وركب رسول الله ﷺ في خمسمائة وقيل: سبعمائة، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم، وخلف سعد بن عبادة في ثلاثمائة يحرسون المدينة.

وكان قد عقد للمقداد بن عمرو لواء في رمحه وقال له امض حتى تلحقك الخيول، وأنا على أثرك. فأدرك أخريات العدو. وقتل أبو قتادة مسعدة فأعطاه رسول الله ﷺ فرسه وسلاحه. وقتل عكاشة بن محصن أبان بن عمرو. وقتل من المسلمين محرز بن نضلة قتله مسعدة.

وأدرك سلمة بن الأكوع القوم، وهو على رجليه، فجعل يرميهم بالنبل ويقول:

خـــذهـــا وأنـــا ابـــن الأكـــوع ... واليـــوم يـــوم الـــرضـــع

يعني هلاك اللئام، من قولهم: لئيم راضع، أي راضع اللؤم في بطن أمه، وقيل معناه: اليوم يعرف من أرضعته الحرب من صغره وتدرب بها، ويعرف غيره.

ولحق رسول الله ﷺ الناس والخيول عشاء، قال سلمة: فقلت يا رسول الله إن القوم عطاش، فلو بعثتني في مائة رجل استنقذت ما في أيديهم من السرح وأخذت بأعناق القوم. فقال ﷺ: «**ملكت فأسجح**» ـ وهي بهمزة قطع ثم سين مهملة ثم جيم مكسورة ثم حاء مهملة ـ أي فارفق وأحسن، والسجاحة: السهولة، أي لا تأخذ بالشدة بل ارفق. فقد حصلت النكاية في العدو ولله الحمد. ثم قال: «**إنهم ليقرون في غطفان**»[2].

(١) أخرجه النسائي في سننه ٧/ ٢٩. وفي سنن ابن ماجه كتاب الكفارات باب (١٦) رقم الحديث (٢١٢٤) وفي سنن الترمذي. كتاب النذور والإيمان باب (٣) رقم الحديث (١٥٢٧) وللإمام أحمد بن حنبل في مسنده ٢/ ١٩٠. وفي مجمع الزوائد للهيثمي ٤/ ١٨٧. والمستدرك للحاكم ٤/ ٣٠٥. وفي كنز العمال (٤٦٤٧٩).

(٢) أخرجه النووي في صحيح مسلم كتاب الجهاد برقم (١٣١). وفي طبقات ابن سعد ٢/ ٦٢ وفي السنن الكبرى للبيهقي ١٠/ ٢٣٦.

وذهب الصريخ إلى بني عمرو بن عوف فجاءت الأمداد فلم تزل الخيل تأتي والرجال على أقدامهم وعلى الإبل حتى انتهوا إلى رسول الله ﷺ بذي قرد فاستنقذوا عشر لقاح، وأفلت القوم بما بقي وهي عشر.

وصلى رسول الله ﷺ بذي قرد صلاة الخوف، وأقام يوماً وليلة ورجع. وقد غاب خمس ليال، وقسم في كل مائة من أصحابه جزوراً ينحرونها.

سرية عكاشة بن محصن الأسدي[1] إلى غمر مرزوق ـ بالغين المعجمة المفتوحة ـ وهو ماء لبني أسد على ليلتين من فيد، في شهر ربيع الأول سنة ست من الهجرة، في أربعين رجلاً، فخرج سريعاً، فنذر به القوم ـ بكسر الذال المعجمة كفرح ـ فهربوا فنزلوا علياء بلادهم. فاستاقوا مائتي بعير وقدموا على رسول الله ﷺ ولم يلقوا كيداً.

ثم سرية محمد بن مسلمة إلى ذي القصة[2] ـ بالقاف والصاد المهملة المشددة المفتوحتين ـ موضع بينه وبين المدينة أربعة وعشرون ميلاً، في شهر ربيع الأول سنة ست من الهجرة. ومعه عشرة إلى بني ثعلبة.

فورد عليهم ليلاً فأحدق به القوم، وهم مائة رجل فتراموا ساعة من الليل ثم حملت الأعراب عليهم بالرماح فقتلوهم إلا محمد بن مسلمة فوقع جريحاً، وجردوهم من ثيابهم. فمر رجل من المسلمين بمحمد بن مسلمة فحمله حتى ورد به المدينة.

فبعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح في ربيع الآخر في أربعين رجلاً إلى مصارعهم، فأغاروا عليهم، فأعجزوهم هرباً في الجبال، وأصاب رجلاً واحداً فأسلم وتركه، وأخذ نعماً من نعمهم فاستاقه، ورثة من متاعهم وقدم به المدينة فخمسه رسول الله ﷺ وقسم ما بقي عليهم.

قال في القاموس[3]: الرث: السقط من متاع البيت، كالرثة بالكسر.

ثم سرية زيد بن حارثة[4] إلى بني سليم بالجموم ـ ويقال: الجموح ـ ناحية ببطن نخل من المدينة على أربعة أميال. في شهر ربيع الآخر سنة ست، فأصابوا امرأة من مزينة

---

(١) انظر طبقات ابن سعد ٢/ ٦٥. والمنتظم ٣/٢٥٣. البداية والنهاية ٤/ ١٨٠. وشرح المواهب للزرقاني ٢/١٥٣. ومغازي الواقدي (٥٥٠).

(٢) انظر طبقات ابن سعد ٢/ ٦٥. والبداية والنهاية ٤/ ١٨٠. والمنتظم ٣/ ٢٥٤. والمغازي للواقدي ٢/ ٥٥١. شرح المواهب للزرقاني ٢/ ١٥٤.

(٣) انظر القاموس المحيط ١/ ١٧٣ مادة (الرث).

(٤) انظر طبقات ابن سعد ٢/٦٦. والمنتظم ٣/٢٥٦. البداية والنهاية ٤/ ١٨٠. وشرح المواهب للزرقاني ٢/ ١٥٥. ومغازي الواقدي (٥٥٣).

يقال لها حليمة، فدلتهم على محلة من محال بني سليم، فأصابوا نعماً وشاء وأسرى، فكان فيهم زوج حليمة المزنية، فلما قفل زيد بما أصاب، وهب رسول الله ﷺ للمزنية نفسها وزوجها.

ثم سرية زيد بن حارثة[1] أيضاً إلى العيص، موضع على أربع ليال من المدينة، في جمادى الأولى سنة ست، ومعه سبعون راكباً، لما بلغه ﷺ أن عيراً لقريش قد أقبلت من الشام يتعرض لها، فأخذها وما فيها، وأخذ يومئذ فضة كثيرة لصفوان بن أمية، وأسر منهم ناساً، منهم أبو العاصي بن الربيع، وقدم بهم المدينة، فأجارته زوجته زينب ابنة النبي ﷺ ونادت في الناس ـ حين صلى رسول الله ﷺ الفجر ـ إني قد أجرت أبا العاصي.

فقال رسول الله ﷺ: «**ما علمت بشيء من هذا، وقد أجرنا من أجرت**»[2] ورد عليه ما أخذ منه.

وذكر ابن عقبة: أن أسره كان على يد أبي بصير بعد الحديبية.

وكانت هاجرت قبله وتركته على شركه، وردها النبي ﷺ بالنكاح الأول، قيل بعد سنتين وقيل بعد ست سنين، وقيل قبل انقضاء العدة.

وفي حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: «ردها له بنكاح جديد سنة سبع»[3].

ثم سرية زيد بن حارثة أيضاً إلى الطرف، وهو ماء على ستة وثلاثين ميلاً من المدينة، في جمادى الآخرة سنة ست.

فخرج إلى بني ثعلبة في خمسة عشر رجلاً، فأصاب نعماً وشاء، وهربت الأعراب، وصبح زيد بالنعم المدينة، وهي عشرون بعيراً، ولم يلق كيداً، وغاب أربع ليال.

ثم سرية زيد أيضاً[4] إلى حسمى ـ بكسر المهملة ـ وهي وراء وادي القرى، وكانت في جمادى الآخرة سنة ست.

---

(١) انظر طبقات ابن سعد ٢/ ٦٦ والمنتظم ٣/ ٢٥٦. والبداية والنهاية ٤/ ١٨٠. ومغازي الواقدي ٢/ ٥٥٣. وشرح المواهب للزرقاني ٢/ ١٥٥.

(٢) ذكره ابن سعد في الطبقات ٢/ ٦٧. والمنتظم ٣/ ٢٥٧.

(٣) انظر طبقات ابن سعد ٢/ ٦٧. والمنتظم ٣/ ٢٥٧، البداية والنهاية ٤/ ١٨٠. وشرح المواهب للزرقاني ٢/ ١٥٨. والمغازي للواقدي (٥٥٥).

(٤) انظر طبقات ابن سعد ٢/ ٦٧. والمنتظم ٣/ ٢٥٨. والبداية والنهاية ٤/ ١٨١. والمغازي للواقدي ٢/ ٥٥٥. وشرح المواهب للزرقاني ٢/ ١٥٨.

وسببها أنه أقبل دحية بن خليفة الكلبي من عند قيصر، وقد أجازه وكساه، فلقيه الهنيد في ناس من جذام بحسمى فقطعوا عليه الطريق، فسمع بذلك نفر من بني الضبيب فنفروا إليهم فاستنقذوا لدحية متاعه.

وقدم دحية على رسول الله ﷺ فأخبره بذلك فبعث زيد بن حارثة وخمسمائة رجل، ورد معه دحية. فكان زيد يسير الليل ويكمن النهار، فأقبل بهم حتى هجموا مع الصبح على القوم فأغاروا عليهم، فقتلوا فيهم فأوجعوا، وقتلوا الهنيد وابنه، وأغاروا على ماشيتهم ونعمهم ونسائهم. فأخذوا من النعم ألف شاة، ومائة من النساء والصبيان.

فرحل زيد بن رفاعة الجذامي في نفر من قومه، فدفع إلى رسول الله ﷺ كتابه الذي كان كتب له ولقومه ليالي قدم عليه فأسلم.

وبعث ﷺ علياً إلى زيد بن حارثة يأمره أن يخلي بينهم وبين حرمهم وأموالهم، فرد عليهم.

ثم سرية زيد أيضاً[1] إلى وادي القرى أيضاً، في رجب سنة ست، فقتل من المسلمين قتلى، وارتث زيد، أي حمل من المعركة رثيثاً، أي جريحاً وبه رمق - وهو مبني للمجهول، قاله في القاموس[2].

ثم سرية عبد الرحمن بن عوف[3] إلى دومة الجندل، في شعبان سنة ست.

قالوا: دعا رسول الله ﷺ عبد الرحمن بن عوف، فأقعده بين يديه، وعممه بيده، وقال: «**اغز، باسم الله، وفي سبيل الله، فقاتل من كفر بالله، ولا تغدر، ولا تقتل وليداً**»، وبعثه إلى كلب بدومة الجندل، وقال: «**إن استجابوا لك فتزوج ابنة ملكهم**»[4].

فسار عبد الرحمن حتى قدم دومة الجندل، فمكث ثلاثة أيام يدعوهم إلى الإسلام، فأسلم الأصبغ بن عمرو الكلبي، وكان نصرانياً، وكان رئيسهم، وأسلم معه ناس كثير من قومه، وأقام من أقام على إعطاء الجزية.

وتزوج عبد الرحمن تماضر - بضم المثناة الفوقية، وكسر الضاد المعجمة - بنت

---

(١) انظر المنتظم ٣/ ٢٥٩. وطبقات ابن سعد ٢/ ٦٨. وشرح المواهب للزرقاني ٢/ ١٦٠.

(٢) انظر القاموس المحيط ٣/ ٢٤٥ مادة (الرمق).

(٣) انظر طبقات ابن سعد ٢/ ٦٨. والمنتظم ٣/ ٢٥٩. والبداية والنهاية ٤/ ١٨١. والسيرة النبوية لابن هشام ٤/ ٢٧٩ والمغازي للواقدي (٥٦٠). وشرح المواهب للزرقاني ٢/ ١٦٠.

(٤) ذكره ابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق ٣/ ٨٧. وطبقات ابن سعد ٢/ ٦٨. وفي الجامع الكبير ٢/ ٤٩٢.

الأصبغ، وقدم بها المدينة فولدت له أبا سلمة.

ثم سرية علي بن أبي طالب[1] في شعبان سنة ست من الهجرة، ومعه مائة رجل إلى بني سعد بن بكر، لما بلغه ﷺ أن لهم جمعاً يريدون أن يمدوا يهود خيبر.

فأغاروا عليهم بالغمج بين فدك وخيبر، فأخذوا خمسمائة بعير وألفي شاة، وهربت بنو سعد، وقدم علي ومن معه المدينة ولم يلقوا كيداً.

ثم سرية زيد بن حارثة[2] إلى أم قرفة فاطمة بنت ربيعة بن بدر الفزارية، بناحية وادي القرى، على سبع ليال من المدينة في رمضان سنة ست من الهجرة.

وكان سببها: أن زيد بن حارثة خرج في تجارة إلى الشام. ومعه بضائع لأصحاب النبي ﷺ، فلما كان بوادي القرى لقيه ناس من فزارة من بني بدر، فضربوه وضربوا أصحابه وأخذوا ما كان معهم.

وقدم على رسول الله ﷺ فأخبره، فبعثه عليه السلام إليهم، فكمن هو وأصحابه بالنهار وساروا بالليل، ثم صبحهم زيد وأصحابه، فكبروا وأحاطوا بالحاضر، وأخذوا أم قرفة ـ وكانت ملكة رئيسة ـ وأخذوا ابنتها جارية بنت مالك بن حذيفة بن بدر.

وعمد قيس بن المحسر إلى أم قرفة ـ وهي عجوز كبيرة ـ فقتلها قتلاً عنيفاً، وربط بين رجليها حبلاً ثم ربطها بين بعيرين ثم زجرهما فذهبا فقطعاها[3].

وقدم زيد بن حارثة من وجهه ذلك، فقرع باب النبي ﷺ، فقام إليه عرياناً يجر ثوبه، حتى اعتنقه وقبله وسأله فأخبره بما أظفره الله به.

ثم سرية عبد الله بن عتيك[4] لقتل أبي رافع، عبد الله ـ ويقال سلام ـ بن أبي الحقيق اليهودي، وهو الذي حزب الأحزاب يوم الخندق.

وكانت هذه السرية في شهر رمضان سنة ست، كذا ذكره ابن سعد هاهنا وذكر في ترجمة عبد الله بن عتيك: أنه بعثه في ذي الحجة إلى أبي رافع سنة خمس بعد وقعة بني قريظة. وقيل في جمادى الآخرة سنة ثلاث.

---

(١) انظر طبقات ابن سعد ٢/٦٩. والمنتظم ٣/ ٢٦٠. والكامل في التاريخ ٢/٩٣. وفي تاريخ الطبري ٢/ ٤٠٦. وفي المغازي للواقدي ٢/ ٥٦٢. وشرح المواهب للزرقاني ٢/١٦٢.

(٢) انظر المنتظم ٣/ ٢٦٠. وطبقات ابن سعد ٢/٦٩. والكامل في التاريخ ٢/ ٩٤. والمغازي للواقدي ٢/ ٥٦٤. وشرح المواهب للزرقاني ٢/ ١٦٢. والسيرة النبوية لابن هشام ٤/ ٢٦٥.

(٣) ذكر الدولابي أن زيداً إنما قتلها كذلك لسبها رسول الله ﷺ. قال بعضهم: إنه خبر منكر وفي صحيح مسلم حديث سبي امرأة وبنتها فيه قائد تلك السرية أبي بكر. (١٧٧٥).

(٤) انظر المنتظم ٣/ ٢٦١. وطبقات ابن سعد ٢/ ٧٠. وشرح المواهب للزرقاني ٢/ ١٦٤.

وفي البخاري: قال الزهري: بعد قتل كعب بن الأشرف.

وأرسل معه أربعة: عبد الله بن عتيك، وعبد الله بن أنيس، وأبا قتادة والأسود بن خزاعي، ومسعود بن سنان، وأمرهم بقتله.

فذهبوا إلى خيبر، فكمنوا، فلما هدأت الرجل جاؤوا إلى منزله فصعدوا درجة له، وقدموا عبد الله بن عتيك لأنه كان يرطن باليهودية، فاستفتح وقال: جئت أبا رافع بهدية، ففتحت له امرأته، فلما رأت السلاح أرادت أن تصيح فأشار إليها بالسيف فسكتت، فدخلوا عليه فما عرفوه إلا ببياضه، فعلوه بأسيافهم.

وفي البخاري: وكان أبو رافع يؤذي رسول الله ﷺ ويعين عليه، وكان في حصن له. . فلما دنوا منه وقد غربت الشمس، وراح الناس بسرحهم، قال عبد الله لأصحابه: اجلسوا مكانكم، فإني منطلق ومتلطف للبواب لعلي أن أدخل، فأقبل حتى دنا من الباب، ثم تقنع بثوبه كأنه يقضي حاجة، وقد دخل الناس، فهتف البواب: يا عبد الله إن كنت تريد أن تدخل فادخل، فإني أريد أن أغلق الباب، فدخلت، فكمنت فلما دخل الناس أغلق الباب ثم علق الأغاليق على وتد، قال: فقمت إلى الأغاليق فأخذتها ففتحت الباب.

وكان أبو رافع يسمر عنده، وكان في علالي له، فلما ذهب عنه أهل سمره صعدت إليه، فجعلت كلما فتحت باباً أغلقت علي من داخل، فانتهيت إليه فإذا هو في بيت مظلم وسط عياله، لا أدري أين هو من البيت، فقلت: أبا رافع، قال: من هذا؟ فأهويت نحو الصوت فأضربه ضربة بالسيف، وأنا دهش، فما أغنيت شيئاً، وصاح، فخرجت من البيت، فأمكث غير بعيد، ثم دخلت إليه فقلت: ما هذا الصوت يا أبا رافع؟ فقال: لأمك الويل، إن رجلاً في البيت ضربني قبل بالسيف. قال: فأضربه ضربة أثخنته ولم أقتله، ثم وضعت ضبيب السيف في بطنه، حتى أخذ في ظهره، فعرفت أني قتلته[1].

وفي رواية له: ثم جئت كأني أغيثه فقلت: مالك يا أبا رافع؟ ـ وغيرت الصوت ـ فقال: لأمك الويل، دخل علي رجل فضربني، قال: فعمدت له أيضاً فأضربه أخرى، فلم تغن شيئاً، فصاح وقام أهله، قال: ثم جئت وغيرت صوتي، كهيئة المغيث، فإذا هو مستلق على ظهره، فأضع السيف في بطنه، ثم انكفىء عليه، فسمعت صوت العظم.

فجعلت أفتح الأبواب حتى انتهيت إلى درجة له، فوضعت رجلي وأنا أرى أني قد انتهيت إلى الأرض، فوقعت في ليلة مقمرة فانكسرت ساقي، فعصبتها بعمامة، فلما

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المغازي باب (١٦) رقم الحديث (٤٠٤٠) وفي فتح الباري ٧/ ٤٣٤.

صاح الديك قام الناعي على السور، فانطلقت إلى أصحابي فقلت: النجاء، فقد قتل الله أبا رافع.

فانتهيت إلى رسول الله ﷺ فحدثته فقال: «**أبسط رجلك**»، فمسحها النبي ﷺ، فكأنما لم أشتكها قط[1]. هذا لفظ رواية البخاري.

وفي رواية محمد بن سعد: أن الذي قتله عبد الله بن أنيس. والصواب: أن الذي دخل عليه وقتله عبد الله بن عتيك وحده، كما في البخاري.

[سرية ابن رواحة إلى ابن رزام][2]

وكان سببها أنه لما قتل أبو رافع سلام بن أبي الحقيق، أمرت يهود عليها أسيراً، فسار في غطفان وغيرهم يجمعهم لحربه ﷺ.

وبلغه ذلك فوجه عبد الله بن رواحة في ثلاثة نفر، في شهر رمضان سراً، فسأل عن خبره وغرته، فأخبر بذلك، فقدم على رسول الله ﷺ فأخبره.

فندب عليه السلام الناس، فانتدب له ثلاثون رجلاً، فبعث عليهم عبد الله بن رواحة، فقدموا عليه وقالوا: إن رسول الله ﷺ بعثنا إليك لتخرج إليه، يستعملك على خيبر ويحسن إليك، فطمع في ذلك فخرج وخرج معه ثلاثون رجلاً من اليهود، مع كل رجل رديف من المسلمين، حتى إذا كانوا بقرقرة ضربه عبد الله بن أنيس - وكان في السرية - بالسيف فسقط عن بعيره ومالوا على أصحابه فقتلوهم غير رجل، ولم يصب من المسلمين أحد، ثم قدموا على رسول الله ﷺ فقال: «**قد نجاكم الله من القوم الظالمين**»[3].

سرية كرز[4] - بضم الكاف وسكون الراء بعدها زاي - ابن جابر الفهري، إلى العرنيين - بضم العين وفتح الراء المهملتين - حي من قضاعة، وحي من بجيلة، والمراد هنا الثاني، كذا ذكره ابن عقبة في المغازي.

---

(١) أخرجه البخاري. كتاب المغازي باب (١٦) رقم الحديث (٤٠٣٩) وفي دلائل النبوة للبيهقي ٤/ ٣٨. وفي إتحاف السادة المتقين ٧/ ١٩٠. وكنز العمال (٤٦٣٥٩).

(٢) انظر المنتظم ٣/ ٢٦٢. وطبقات ابن سعد ٢/ ٧٠. والمغازي للواقدي ٢/ ٥٦٦. وشرح المواهب للزرقاني ٢/ ١٧٠. وفي السيرة النبوية لابن هشام ٤/ ٢٦٦ والبداية والنهاية ٤/ ٢٢١.

(٣) ذكره ابن سعد في الطبقات ٢/ ٧١.

(٤) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٤/ ٢٩٠. والمنتظم ٣/ ٢٦٣ والكامل في التاريخ ٢/ ٩٤. والمغازي للواقدي ٢/ ٥٦٨. وشرح المواهب للزرقاني ٢/ ١٧١ والبداية والنهاية ٤/ ١٨١.

وذكر ابن إسحاق: أن قدومهم كان بعد غزوة ذي قرد، وكانت في جمادى الآخرة سنة ست.

وذكرها البخاري بعد الحديبية، وكانت في ذي القعدة منها.

وعند الواقدي: في شوال منها، وتبعه ابن سعد وابن حبان.

وفي البخاري ـ في كتاب المغازي ـ عن أنس أن ناساً من عكل ـ يعني بضم العين وسكون الكاف ـ وعرينة قدموا على رسول الله ﷺ وتكلموا بالإسلام، فقالوا يا نبي الله، إنا كنا أهل ضرع، ولم نكن أهل ريف، واستوخموا المدينة، فأمر لهم رسول الله ﷺ بذود وراع، وأمرهم أن يخرجوا فيه فيشربوا من ألبانها وأبوالها.

فانطلقوا حتى إذا كانوا ناحية الحرة، كفروا بعد إسلامهم، وقتلوا راعي النبي ﷺ واستاقوا الذود. فبلغ النبي ﷺ فبعث الطلب في آثارهم، فأمر بهم فسمروا أعينهم، وقطعوا أيديهم، وتركوا في ناحية الحرة حتى ماتوا على حالهم[١].

وفي لفظ: وسمر أعينهم، ثم نبذوا في الشمس حتى ماتوا.

وفي لفظ: ولم يحسمهم، أي لم يكو مواضع القطع فينحسم الدم.

وقال أنس: إنما سمل رسول الله ﷺ أعينهم لأنهم سملوا أعين الرعاة رواه مسلم فيكون ما فعل بهم قصاصاً.

وفي رواية أنهم كانوا ثمانية.

وعند البخاري أيضاً ـ في المحاربين ـ أنهم كانوا في الصفة قبل أن يطلبوا الخروج إلى الإبل.

وفي رواية قال أنس: فلقد رأيت أحدهم يكدم الأرض بفيه حتى مات.[٢].

وعند الدمياطي ـ كابن سعد ـ أن اللقاح كانت خمسة عشر لقحة ـ بكسر اللام وسكون القاف ـ ويقال لها ذلك إلى ثلاثة أشهر.

وفي صحيح مسلم: أن السرية كانت قريباً من عشرين فارساً من الأنصار.

وروى ابن مردويه عن سلمة بن الأكوع قال: كان للنبي ﷺ مولى يقال له: يسار، فنظر إليه يحسن الصلاة فأعتقه، وبعثه في لقاح له بالحرة، فكان بها. قال: فأظهر قوم الإسلام من عرينة، وجاؤوا ـ وهم مرضى موعوكون قد عظمت بطونهم ـ وعدوا على

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المغازي باب (٣٧) رقم الحديث (٤١٩٢).

(٢) أخرجه أبي داود في سننه كتاب الحدود باب (٣) رقم الحديث (٤٣٦٧).

يسار فذبحوه وجعلوا الشوك في عينيه، ثم طردوا الإبل، فبعث النبي ﷺ في آثارهم خيلاً من المسلمين، أميرهم كرز بن جابر الفهري، فلحقهم فجاء بهم إليه، فقطع أيديهم وأرجلهم، وسمر أعينهم. قال ابن كثير: غريب جداً[1].

وروى ابن جرير عن محمد بن إبراهيم عن جرير بن عبد الله البجلي قال: قدم على رسول الله ﷺ قوم من عرينة الحديث.. وفيه قال جرير: فبعثني رسول الله ﷺ ونفراً من المسلمين حتى أدركناهم، فقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وسمل أعينهم، فجعلوا يقولون: الماء، ورسول الله ﷺ يقول: «النار»، حتى هلكوا. قال: وكره الله عز وجل سمل الأعين، فأنزل الله هذه الآية: ﴿**إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله**﴾ [المائدة: ٣٣]. إلى آخر الآية. وهو حديث غريب ضعيف. وفيه أن أمير السرية جرير بن عبد الله البجلي. قال مغلطاي: وفيه نظر، لأن إسلام جرير كان بعد هذه بنحو أربع سنين.

وفي مغازي ابن عقبة: أن أمير هذه السرية سعيد بن زيد، كذا عنده ـ بزيادة ياء ـ وعند غيره: أنه سعد ـ بسكون العين ـ ابن زيد الأشهلي، وهذا أنصاري، فيحتمل أنه كان رأس الأنصار، وكان كرز أمير الجماعة.

وأما قوله: فكره الله سمل الأعين فأنزل الله هذه الآية، فإنه منكر. فقد تقدم أن في صحيح مسلم أنهم سملوا أعين الرعاة، فكان ما فعل بهم قصاصاً والله أعلم.

تنبيه: قال في فتح الباري: وزعم ابن التين تبعاً للداودي أن عرينة هم عكل وهو غلط، بل هما قبيلتان متغايرتان، عكل من عدنان، وعرينة من قحطان.

ثم سرية عمرو بن أمية الضمري[2] إلى أبي سفيان بن حرب بمكة، لأنه أرسل للنبي ﷺ من يقتله غدراً، فأقبل الرجل ومعه خنجر ليغتاله، فلما رآه النبي ﷺ قال: «**إن هذا يريد غدراً**». فجذبه أسيد بن حضير بداخلة إزاره فإذا بالخنجر، فسقط في يده. فقال ﷺ: «**أصدقني ما أنت؟**» قال: وأنا آمن؟ قال: «**نعم**»، فأخبره بخبره فخلى عنه ﷺ[3].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الحدود باب (١٥) رقم الحديث (٦٨٠٢). وأبو داود في كتاب الحدود باب (٣) رقم الحديث (٤٣٦٤). والترمذي في كتاب الطهارة باب (٥٥) رقم الحديث (٧٢). وفي صحيح مسلم كتاب قسامة رقم الحديث (٩ ـ ١٤) وفي ابن ماجه. كتاب الحدود باب (٢٠) رقم الحديث (٢٥٧٨ ـ ٢٥٧٩). وللإمام أحمد بن حنبل في المسند ٣/ ١٦٣ ـ ١٧٧ ـ ١٩٨.

(٢) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٤/ ٢٨٢. والمنتظم ٣/ ٢٦٥. والبداية والنهاية ٤/ ٧١. وطبقات ابن سعد ٢/ ٧٢. وشرح المواهب للزرقاني ٢/ ١٧٧.

(٣) أخرجه البيهقي بدلائل النبوة ٣/ ٣٣٤ وطبقات ابن سعد ٢/ ٧٢. وفي البداية والنهاية ٤/ ٧١.=

وبعث عمرو بن أمية الضمري ومعه سلمة بن أسلم، ويقال: جبار بن صخر إلى أبي سفيان وقال: إن أصبتما منه غرة فاقتلاه.

ومضى عمرو بن أمية يطوف بالبيت ليلاً، فرآه معاوية بن أبي سفيان، فأخبر قريشاً بمكانه، فخافوه وطلبوه، وكان فاتكاً في الجاهلية، فحشد له أهل مكة وتجمعوا له.

فهرب عمرو وسلمة، فلقي عمرو عبيد الله بن مالك التيمي فقتله، وقتل آخر، وَلقي رسولين لقريش بعثتهما يتحسسان الخبر، فقتل أحدهما وأسر الآخر، فقدم به المدينة. فجعل عمرو يخبر رسول الله ﷺ خبره، وهو عليه السلام يضحك.

صلح الحديبية[1]

ثم الحديبية ـ بتخفيف الياء وتشديدها ـ وهي بئر سمي المكان بها، وقيل شجرة، وقال المحب الطبري قرية قريبة من مكة أكثرها في الحرم، وهي على تسعة أميال من مكة.

خرج ﷺ يوم الإثنين هلال ذي القعدة سنة ست من الهجرة للعمرة، وأخرج معه زوجته أم سلمة، في ألف وأربعمائة. ويقال ألف وخمسمائة وقيل ألف وثلاثمائة.

والجمع بين هذا الاختلاف: أنهم كانوا أكثر من ألف وأربعمائة، فمن قال: ألف وخمسمائة جبر الكسر، ومن قال: ألف وأربعمائة ألغاه، ويؤيده رواية البراء: ألف وأربعمائة أو أكثر.

واعتمد على هذا الجمع النووي. وأما رواية ألف وثلاثمائة فيمكن حملها على ما اطلع هو عليه، واطلع غيره على زيادة مائتين لم يطلع هو عليهم، والزيادة من الثقة مقبولة.

وأما قول ابن إسحاق: إنهم كانوا سبعمائة، فلم يوافقه أحد عليه، لأنه قاله استنباطاً من قول جابر: نحرنا البدنة عن عشرة، وكانوا نحروا سبعين بدنة، وهذا لا يدل على أنهم ما كانوا نحروا غير البدن، مع أن بعضهم لم يكن أحرم أصلاً.

وجزم موسى بن عقبة: بأنهم كانوا ألفاً وستمائة.

= والمعجم الكبير للطبراني ١٧/ ٥٧. وكنز العمال (٣٥٤٢٥).

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٣٢١. والمنتظم ٣/ ٢٦٧. والبداية والنهاية ٤/ ١٧٥. وطبقات ابن سعد ٢/ ٧٢. والكامل في التاريخ ٢/ ٨٦. ومغازي الواقدي ٢/ ٥١٧ وتاريخ الطبري ٢/ ٢٧٠ وشرح المواهب للزرقاني ٢/ ١٧٩.

وعند ابن أبي شيبة من حديث سلمة بن الأكوع: ألف وسبعمائة.

وحكى ابن سعد: ألف وخمسمائة وخمسة وعشرين.

واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم، ولم يخرج معه بسلاح إلا سلاح المسافر السيوف في القرب.

وفي البخاري - في المغازي - عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم، قالا: خرج رسول الله ﷺ عام الحديبية في بضع عشرة مائة من أصحابه، فلما كان بذي الحليفة قلد الهدي، وأشعر وأحرم منها - وفي رواية: أحرم منها بعمرة - وبعث عيناً له من خزاعة. وسار النبي ﷺ حتى كان بغدير الأشطاط أتاه عينه فقال: إن قريشاً جمعوا لك جموعاً، وقد جمعوا لك الأحابيش، وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت ومانعوك.

فقال: «**أشيروا عليَّ أيها الناس، أترون أن أميل إلى عيالهم وذراري هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت..**»

وفيه: قال أبو بكر: يا رسول الله، خرجت عامداً لهذا البيت لا تريد قتل أحد، ولا حرب أحد، فتوجه له، فمن صدنا عنه قاتلناه، قال: «**امضوا على اسم الله**»[1].

وزاد أحمد: كان أبو هريرة يقول: ما رأيت أحداً قط كان أكثر مشاورة لأصحابه من رسول الله ﷺ.

وفي رواية للبخاري: (حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال النبي ﷺ: «**إن خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعة، فخذوا ذات اليمين**»، فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقترة الجيش، فانطلق يركض نذيراً لقريش)[2].

(وسار النبي ﷺ، حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت راحلته، فقال الناس: حل حل فألحت - يعني تمادت على عدم القيام - فقالوا: خلأت القصواء خلأت القصواء. فقال النبي ﷺ «ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل»[3].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المغازي باب (٣٦) رقم الحديث (٤١٧٨ - ٤١٧٩) وفي فتح الباري ٧/٥٧٦. وطبقات ابن سعد ٢/٧٦.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الشروط باب (١٥) رقم الحديث (٢٧٣١ - ٢٧٣٢). وفي فتح الباري ٥/٤١٩. وفي السنن الكبرى للبيهقي ٩/٢١٨. ودلائل النبوة للبيهقي ٤/١٠١. والبداية والنهاية ٤/١٧٥. والدر المنثور ٦/٧٦. ومصنف عبد الرزاق (٩٧٢٠).

(٣) أخرجه أبي داود في سننه. كتاب الجهاد باب (١٥٦) رقم الحديث (٢٧٦٥) وأحمد بن حنبل في مسنده ٤/٣٢٣. وتفسير القرطبي ١٦/٢٧٥. وفي تفسير ابن كثير ٧/٣٢٨.

أي حبسها الله عن دخول مكة كما حبس الفيل عن دخولها، ومناسبة ذلك أن الصحابة لو دخلوا مكة على تلك الصورة، وصدتهم قريش لوقع بينهم القتال المفضي إلى سفك الدماء ونهب الأموال، كما لو قدر دخول الفيل، لكن سبق في علم الله أنه سيدخل في الإسلام منهم خلق، ويستخرج من أصلابهم ناس يسلمون ويجاهدون. انتهى.

ثم قال ﷺ: «**والذي نفسي بيده، لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها**».

(ثم زجرها فوثبت. قال: فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء ـ يعني حفرة فيها ماء قليل ـ يتبرضه الناس تبرضاً ـ أي يأخذونه قليلاً قليلاً ـ فلم يلبثه الناس حتى نزحوه، وشكي إلى رسول الله ﷺ العطش، فانتزع سهماً من كنانته، ثم أمرهم أن يجعلوه فيه، فوالله ما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه).

(فبينما هم كذلك إذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه من خزاعة. ـ وكانوا عيبة نصح رسول الله ﷺ من أهل تهامة ـ فقال: إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا أعداد مياه الحديبية، ومعهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت).

والعوذ: بالذال المعجمة: جمع عائذ ـ وهي الناقة ذات اللبن.

والمطافيل: الأمهات اللاتي معها أطفالها.

يريد أنهم خرجوا معهم بذوات الألبان من الإبل ليتزودوا بألبانها، ولا يرجعوا حتى يمنعوه، أو كنى بذلك عن النساء معهن الأطفال. والمراد، أنهم خرجوا بنسائهم وأولادهم لإرادة طول المقام ليكون أدعى إلى عدم الفرار.

(فقال رسول الله ﷺ: «**إنا لم نجيء لقتال أحد، ولكنا جئنا معتمرين، وإن قريشاً قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم، فإن شاؤوا ماددتهم مدة ويخلوا بيني وبين الناس إن شاؤوا، فإن أظهر فإن شاؤوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا، وإلا فقد جموا**». يعني استراحوا ـ «**وإن هم أبوا، فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي**» ـ أي صفحة العنق، كنى بذلك عن القتل ـ «**ولينفذن الله أمره**»[1]).

(فقال بديل: سأبلغهم ما تقول. فانطلق حتى أتى قريشاً فقال: إنا قد جئناكم من

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ٤/٣٢٩. وفتح الباري ٥/ ٤٣٤. ودلائل النبوة للبيهقي ٤/ ١٠٢. وفي البداية والنهاية ٤/ ١٧٥.

عند هذا الرجل، وسمعناه يقول قولاً، فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا فقال سفهاؤهم: لا حاجة لنا أن تخبرنا عنه بشيء، وقال ذوو الرأي منهم: هات ما سمعته يقول. قال سمعته يقول كذا وكذا، فحدثهم بما قال النبي ﷺ).

(فقام عروة بن مسعود، فقال: أي قوم، ألستم بالوالد؟ قالوا: بلى، قال: أولست بالولد؟ قالوا: بلى، قال: فهل تتهموني؟ قالوا: لا، قال: ألستم تعلمون أني استنفرت أهل عكاظ فلما بلحوا علي ـ وهو بالحاء المهملة، أي تمنعوا عن الإجابة ـ جئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعني؟ قالوا بلى قال: فإن هذا قد عرض عليكم خطة رشد ـ أي خصلة خير وصلاح ـ اقبلوها، ودعوني آته، قالوا ائته).

(فأتاه، فجعل يكلم النبي ﷺ فقال النبي ﷺ نحواً من قوله لبديل. فقال عروة عند ذلك: أي محمد، أرأيت إن استأصلت أمر قومك هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك؟ وإن تكن الأخرى، فإني والله لا أرى وجوهاً، وإني لأرى أشواباً من الناس خليقاً أن يفروا ويدعوك).

(فقال له أبو بكر: امصص بظر اللات، أنحن نفر عنه وندعه؟).

قال العلماء: وهذا مبالغة من أبي بكر في سب عروة، فإنه أقام معبود عروة، وهو صنمه مقام أمه، وحمله على ذلك ما أغضبه به من نسبته إلى الفرار.

والبظر: ـ بالباء الموحدة المفتوحة والظاء المعجمة الساكنة ـ قطعة تبقى بعد الختان في فرج المرأة. واللات: اسم صنم. والعرب تطلق هذا اللفظ في معرض الذم. انتهى.

(فقال ـ أي عروة ـ: من هذا؟ قالوا: أبو بكر، فقال: أما والذي نفسي بيده لولا يد كانت لك عندي لم أجزك بها لأجبتك).

(قال: وجعل يكلم النبي ﷺ، فكلما تكلم أخذ بلحيته، والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبي ﷺ ومعه السيف وعليه المغفر، فكلما أهوى عروة بيده إلى لحية النبي ﷺ ضرب يده بنعل السيف وقال: أخر يدك عن لحية رسول الله ﷺ).

قال العلماء: وقد كانت عادة العرب أن يتناول الرجل لحية من يكلمه، لا سيما عند الملاطفة، وفي الغالب إنما يصنع ذلك النظير بالنظير، لكن كان ﷺ يغضي لعروة استمالة له وتأليفاً. والمغيرة يمنعه إجلالاً للنبي ﷺ وتعظيماً. انتهى.

قال (فرفع عروة رأسه فقال: من هذا؟ قالوا: المغيرة بن شعبة. فقال: أي غدر، ألست أسعى في غدرتك؟ وكان المغيرة صحب قوماً في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم،

ثم جاء فأسلم، فقال النبي ﷺ: «**أما الإسلام فأقبل، وأما المال فلست منه في شي**»[(١)].

(ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب النبي ﷺ بعينيه، قال: فوالله ما تنخم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيماً له).

قال في فتح الباري: فيه إشارة إلى الرد على ما خشيه من فرارهم، فكأنهم قالوا بلسان الحال: من يحبه هذه المحبة ويعظمه هذا التعظيم كيف يظن أنه يفر عنه ويسلمه لعدوه، بل هم أشد اغتباطاً به وبدينه ونصره من هذه القبائل التي تراعي بعضها بمجرد الرحم والله أعلم. انتهى.

قال: (فرجع عروة إلى أصحابه فقال أي قوم. والله لقد وفدت على الملوك، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله إن رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمداً، والله إن يتنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيماً له. وإنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها).

فقال رجل من بني كنانة: دعوني آته، فقالوا ائته، فلما أشرف على النبي ﷺ وأصحابه، قال رسول الله ﷺ: «**هذا فلان، وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها له**»، فبعثت له واستقبله الناس يلبون، فلما رأى ذلك قال: سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت، فلما رجع إلى أصحابه قال: رأيت البدن قد قلدت وأشعرت، فما أرى أن يصدوا عن البيت: [(٢)].

(فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص، فقال دعوني آته.. فلما أشرف عليهم قال النبي ﷺ: هذا مكرز، وهو رجل فاجر. فجعل يكلم النبي ﷺ).

فبينما هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو، قال معمر فأخبر أيوب عن عكرمة أنه لما جاء سهيل قال النبي ﷺ «**قد سهل لكم من أمركم**».

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الشروط باب (١٥) رقم الحديث (٢٧٣١ ـ ٢٧٣٢). والإمام أحمد بن حنبل في مسنده ٤/ ٣٢٩. وفي السنن الكبرى للبيهقي ٩/ ١١٣ وفي الدر المنثور ٦/ ٧٧ وفي دلائل النبوة للبيهقي ٤/ ١٠٤.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في المسند ٤/ ٣٣٠. وفي دلائل النبوة للبيهقي ٤/ ١٠٥. وفي الدر المنثور ٦/ ٧٧.

وفي رواية ابن إسحاق: فدعت قريش سهيل بن عمرو فقالت: اذهب إلى هذا الرجل فصالحه، فقال النبي ﷺ: قد أرادت قريش الصلح حيث بعثت هذا، فلما انتهى إلى النبي ﷺ جرى بينهما القول حتى وقع بينهما الصلح على أن توضع الحرب بينهم عشر سنين وأن يأمن بعضهم بعضاً، وأن يرجع عنهم عامهم هذا.

(وقال معمر قال الزهري في حديثه: فجاء سهيل بن عمرو فقال: هات اكتب بيننا وبينكم كتاباً. فدعا النبي ﷺ الكاتب. فقال له النبي ﷺ أكتب: «**بسم الله الرحمن الرحيم**». فقال سهيل: أما الرحمن الرحيم فوالله ما أدري ما هو، ولكن اكتب باسمك اللهم، كما كنت تكتب. فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم، فقال النبي ﷺ: «**اكتب باسمك اللهم**». ثم قال: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله ـ وفي حديث عبد الله بن مغفل عند الحاكم: هذا ما صالح محمد رسول الله أهل مكة. الحديث ـ فقال سهيل: لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك. ولكن اكتب: محمد بن عبد الله. فقال النبي ﷺ: «**والله إني لرسول الله وإن كذبتموني**»[1].

وفي رواية له ـ يعني البخاري ـ ولمسلم: فقال النبي ﷺ لعلي: «**امحه**»، فقال ما أنا بالذي أمحاه[2]، وهي لغة في أمحوه.

قال العلماء: وهذا الذي فعله علي من باب الأدب المستحب، لأنه لم يفهم من النبي ﷺ تحتم محو علي نفسه، ولهذا لم ينكر عليه، ولو حتم محوه لنفسه لم يجز لعلي تركه انتهى.

ثم قال ﷺ «**أرني مكانها**» **فأراه مكانها فمحاها وكتب: ابن عبد الله**.

وفي رواية البخاري ـ في المغازي ـ فأخذ رسول الله ﷺ الكتاب ـ وليس يحسن يكتب ـ فكتب: هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله[3].

وكذا أخرجه النسائي وأحمد ولفظه: فأخذ الكتاب ـ وليس يحسن أن يكتب ـ فكتب مكان رسول الله: هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله.

قال في فتح الباري: وقد تمسك بظاهر هذه الرواية أبو الوليد الباجي[4]. فادعى أن

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الشروط باب (١٥) رقم الحديث (٢٧٣١).
(٢) المصدر السابق كتاب الصلح باب (٦) رقم الحديث (٢٦٩٨).
(٣) المصدر السابق كتاب المغازي باب (٤٤) رقم الحديث (٤٢٥١).
(٤) هو سليمان بن خلف بن سعد التجيبي القرطبي أبو الوليد الباجي (٤٠٣ ـ ٤٧٤ هـ) فقيه مالكي من رجال الحديث توفي بالمرية. الأعلام ٣/ ١٢٥ الديباج المذهب ١٢٠ وفيات الأعيان ١/ ٢١٥. =

النبي ﷺ كتب بيده بعد أن لم يكن يحسن أن يكتب.

فشنع عليه علماء الأندلس في زمانه ورموه بالزندقة، وأن الذي قاله يخالف القرآن حتى قال قائلهم:

برئت ممن شرى دنيا بآخرة ... وقال إن رسول الله قد كتبا

فجمعهم الأمير فاستظهر الباجي عليهم بما لديه من المعرفة وقال للأمير:

فهذا لا ينافي القرآن، بل يؤخذ من مفهوم القرآن، لأنه قيد النفي بما قبل ورود القرآن، قال تعالى: ﴿**وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك**﴾ [العنكبوت: ٤٨] وبعد أن تحققت أميته وتقررت بذلك معجزته، وأمن الارتياب في ذلك، لا مانع من أن يعرف الكتابة بعد ذلك من غير تعليم، فيكون معجزة أخرى.

وذكر ابن دحية أن جماعة من العلماء وافقوا الباجي على ذلك، منهم شيخه أبو ذر الهروي[١] وأبو الفتح النيسابوري وآخرون من علماء إفريقية.

واحتج بعضهم لذلك بما أخرجه ابن أبي شيبة وعمر بن شبة من طريق مجالد عن عون بن عبد الله قال: ما مات رسول الله ﷺ حتى كتب وقرأ.

قال مجالد: فذكرته للشعبي فقال صدق، قد سمعت من يذكر ذلك.

وقال القاضي عياض: وردت آثار تدل على معرفته حروف الخط وحسن تصويرها، كقوله لكاتبه: ضع القلم على أذنك فإنه أذكر لك، وقوله لمعاوية: ألق الدواة وحرف القلم وفرق السين ولا تعور الميم إلى غير ذلك. قال: وهذا وإن لم يثبت أنه كتب فلا يبعد أن يرزق علم وضع الكتابة، إنه أوتي علم كل شيء.

وأجاب الجمهور.

بضعف هذه الأحاديث.

وعن قصة الحديبية: بأن القصة واحدة، والكاتب فيها علي بن أبي طالب، وقد صرح في حديث المسور بن مخرمة بأن علياً هو الذي كتب فيحمل على أن النكتة في قوله

= فوات الوفيات ٢/ ٦٤ رقم الترجمة (١٧٣). معجم الأدباء ٣/ ٣٩٣. رقم الترجمة (٤٦٣) تذكرة الحفاظ ٣/ ١١٧٨ رقم الترجمة (١٠٢٧) شذرات الذهب ٣/ ٣٣٤ مرآة الجنان ٣/ ١٠٨.

(١) هو عبد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن غفير أبو ذر الأنصاري الهروي عالم بالحديث من الحفاظ فقيه مالكي، توفي في مكة سنة (٤٣٤ هـ). الأعلام ٣/ ٢٦٩ شجرة النور ١٠٤ وفيه وفاته سنة (٤٣٥ هـ) كشف الظنون ٤٤١ و ١٦٧٢ وفيه وفاته سنة (٤٣٦ هـ) تذكرة الحفاظ ٣/ ١١٠٣ رقم الترجمة (٩٩٧) شذرات الذهب ٣/ ٢٥٤ وتاريخ بغداد ١١/ ١٤١.

«فأخذ الكتاب، وليس يحسن يكتب» لبيان أن قوله «أرني إياها» أنه إنما احتاج إلى أن يريه موضع الكلمة التي امتنع علي من محوها إلا لكونه كان لا يحسن الكتابة.

وعلى أن قوله بعد ذلك «فكتب» فيه حذف تقديره: فمحاها فأعادها لعلي فكتب:

أو أطلق «كتب» بمعنى: أمر بالكتابة، وهو كثير، كقوله: كتب إلى كسرى وقيصر.

وعلى تقدير حمله على ظاهره، فلا يلزم من كتابة اسمه الشريف في ذلك اليوم ـ وهو لا يحسن الكتابة ـ أن يصير عالماً بالكتابة، ويخرج عن كونه أمياً، فإن كثيراً ممن لا يحسن الكتابة يعرف صور بعض الكلمات، ويحسن وضعها بيده، وخصوصاً الأسماء، ولا يخرج بذلك عن كونه أمياً ككثير من الملوك.

ويحتمل أن يكون جرت يده بالكتابة حينئذ، وهو لا يحسنها، فخرج المكتوب على وفق المراد، فيكون معجزة أخرى في ذلك الوقت خاصة، ولا يخرج بذلك عن كونه أمياً. وبهذا أجاب أبو جعفر السمناني[1] أحد أئمة الأصول من الأشاعرة وتبعه ابن الجوزي.

وتعقب ذلك السهيلي وغيره:

بأن هذا وإن كان ممكناً، ويكون آية أخرى لكنه يناقض كونه أمياً لا يكتب، وهي الآية التي قامت بها الحجة، وأفحم الجاحد، وانحسمت الشبهة، فلو جاز أن يصير يكتب بعد ذلك لعادت الشبهة، وقال المعاند: كان يحسن يكتب لكنه كان يكتم ذلك.

قال السهيلي: والمعجزات يستحيل أن يدفع بعضها بعضاً، والحق: أن معنى قوله «فكتب» أمر علياً أن يكتب انتهى.

قال: وفي دعوى أن كتابة اسمه الشريف فقط على هذه الصورة تستلزم منا' المعجزة، وتثبت كونه غير أمي نظر كبير، والله أعلم، انتهى.

وأما قوله: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم وقوله: أما الرحمن فوالله ما أدري مـ هو، ولكن اكتب اسمك اللهم. . الخ.

فقال العلماء: وافقهم ﷺ في ترك كتابة بسم الله الرحمن الرحيم وكتب: باسمك اللهم، وكذا وافقهم في محمد بن عبد الله، وترك كتابة رسول الله للمصلحة المهمة الحاصلة بالصلح.

---

(١) هو محمد بن أحمد بن محمد السمناي أبو جعفر (٣٦١ ـ ٤٤٤ هـ). قاضي حنفي. توفي بالموصل. الأعلام ٥/ ٣١٤. الجواهر المضية ٢/ ٢١.

مع أنه لا مفسدة في هذه الأمور: أما البسملة وباسمك اللهم فمعناهما واحد، وكذا قوله: محمد بن عبد الله، هو أيضاً رسوله، وليس في ترك وصف الله تعالى في هذا الموضع بالرحمن الرحيم ما ينفي ذلك، ولا في ترك وصفه ﷺ عنا بالرسالة ما ينفيها، فلا مفسدة فيما طلبوه، وإنما كانت المفسدة تكون لو طلبوا أن يكتب ما لا يحل من تعظيم آلهتهم ونحو ذلك. انتهى.

(قال في رواية البخاري: فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله.

فقال ﷺ: «**على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به**».

فقال سهيل: والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة. ولكن ذلك في العام المقبل، فكتب.

فقال سهيل: وعلى أنه لا يأتيك منا رجل ـ وإن كان على دينك ـ إلا رددته إلينا.

قال المسلمون: سبحان الله، كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلماً؟)[1].

والضغطة: بالضم، قال في القاموس: الضيق والإكراه والشدة[2]. انتهى.

فإن قلت: ما الحكمة في كونه ﷺ وافق سهيلاً على أنه لا يأتيه منهم رجل وإن كان على دين الإسلام إلا ويرده إلى المشركين.

فالجواب: إن المصلحة المترتبة على إتمام هذا الصلح ما ظهر من ثمراته الباهرة، وفوائده المتظاهرة التي كانت عاقبتها فتح مكة وإسلام أهلها كلهم، ودخول الناس في دين الله أفواجاً.

وذلك أنهم قبل الصلح لم يكونوا يختلطون بالمسلمين، ولا تتظاهر عندهم أمور النبي ﷺ كما هي، ولا يخلون بمن يعلمهم بها مفصلة، فلما حصل صلح الحديبية اختلطوا بالمسلمين، وجاؤوا إلى المدينة، وذهب المسلمون إلى مكة، وخلوا بأهلهم وأصدقائهم وغيرهم ممن يستنصحونه، وسمعوا منهم أحوال النبي ﷺ ومعجزاته الظاهرة، وأعلام نبوته المتظاهرة، وحسن سيرته، وجميل طريقته، وعاينوا بأنفسهم كثيراً من ذلك، فمالت نفوسهم إلى الإيمان، حتى بادر خلق منهم إلى الإسلام، قبل فتح مكة، فأسلموا بين صلح الحديبية وفتح مكة، وازداد الآخرون ميلاً إلى الإسلام.

فلما كان يوم الفتح أسلموا كلهم، لما كان قد تمهد لهم من الميل.

وكانت العرب من غير قريش في البوادي ينتظرون بإسلامهم إسلام قريش، فلما

---

(١) أخرجه البخاري. كتاب الشروط باب (١٥) رقم الحديث (٢٧٣١) وفي دلائل النبوة للبيهقي ٤/ ١٠٥.

(٢) انظر القاموس المحيط ٢/ ٣٨٥ مادة (ضغطه).

أسلمت قريش أسلمت العرب في البوادي. قال الله تعالى ﴿**إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً**﴾ [النصر: ١ و ٢] فالله ورسوله أعلم. انتهى.

قال في رواية البخاري: (فبينما هم كذلك إذ دخل أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده، قد خرج من أسفل مكة، حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين.

فقال سهيل: هذا يا محمد أول ما أقاضيك عليه أن ترده إلي.

فقال رسول الله ﷺ: «**إنا لم نقض الكتاب بعد**».

قال: فوالله إذاً لا أصالحك على شيء أبداً.

قال النبي ﷺ: «**فأجزه لي**»، قال ما أنا بمجيز ذلك.

قال: «**بلى فافعل**». قال: ما أنا بفاعل.

قال مكرز: بلى، قد أجزناه لك.

قال أبو جندل: أي معشر المسلمين، أرد إلى المشركين وقد جئت مسلماً؟ ألا ترون ما قد لقيت؟ وكان قد عذب في الله عذاباً شديداً)[(١)].

زاد ابن إسحاق: فقال ﷺ: يا أبا جندل اصبر واحتسب، فإنا لا نغدر، وإن الله جاعل لك فرجاً ومخرجاً. ووثب عمر يمشي إلى جنبه ويقول: اصبر إنما هم المشركون، وإن دم أحدهم كدم كلب.

قال الخطابي: تأول العلماء ما وقع في قصة أبي جندل على وجهين:

أحدهما: أن الله تعالى قد أباح التقية للمسلم إذا خاف الهلاك، ورخص له أن يتكلم بالكفر مع إضمار الإيمان إن لم يمكنه التورية، فلم يكن رده إليهم إسلاماً لأبي جندل إلى الهلاك، مع وجود السبيل إلى الخلاص من الموت بالتقية.

والوجه الثاني: إنما رده لأبيه، والغالب أن أباه لا يبلغ به إلى الهلاك. وإن عذبه أو سجنه فله مندوحة بالتقية أيضاً.

وأما ما يخاف عليه من الفتنة فإن ذلك امتحان من الله تعالى يبتلي به صبر عبادة المؤمنين.

واختلف العلماء: هل يجوز الصلح مع المشركين على أن يرد إليهم من جاء مسلماً من عندهم، أم لا؟

فقيل: نعم، على ما دلت عليه قصة أبي جندل وأبي بصير.

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الشروط باب (١٥) رقم الحديث (٢٧٣١).

وقيل: لا، وإن الذي وقع في القصة منسوخ. وإن ناسخه حديث «**أنا بريء من مسلم بين مشركين**»[1] وهو قول الحنفية.

وعند الشافعية: تفصيل بين العاقل والمجنون والصبي، فلا يردان. وقال بعض الشافعية: ضابط جواز الرد أنِ يكون المسلم بحيث لا تجب عليه الهجرة من دار الحرب. والله أعلم. قاله في فتح الباري.

قال في رواية البخاري: (فقال عمر بن الخطاب: فأتيت النبي ﷺ فقلت: ألست نبي الله حقاً؟ قال: «**بلى**»، قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: «**بلى**»، قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذاً؟ قال: «**إني رسول الله ولست أعصيه، وهو ناصري**». قلت: أو ليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: بلى، «**أفأخبرتك أنا نأتيه العام؟**» قلت: لا، قال: «**فإنك آتيه ومطوف به**».

قال: فأتيت أبا بكر فقلت: يا أبا بكر، أليس هذا نبي الله حقاً؟ قال: بلى، قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى، قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذاً؟ قال: أيها الرجل، إنه رسول الله، وليس يعصي ربه وهو ناصره، فاستمسك بغرزه، فوالله إنه على الحق. قلت: أو ليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: بلى، أفأخبرك أنك تأتيه العام؟ قلت: لا، قال: فإنك آتيه ومطوف به)[2].

قال العلماء: لم يكن سؤال عمر رضي الله عنه وكلامه المذكور شكاً، بل طلباً لكشف ما خفي عليه، وحثاً على إذلال الكفار، وظهور الإسلام، كما عرف في خلقه وقوته في نصرة الدين، وإذلال المبطلين.

وأما جواب أبي بكر لعمر رضي الله عنهما بمثل جواب النبي ﷺ فهو من الدلائل الظاهرة على عظم فضله وبارع علمه، وزيادة عرفانه ورسوخه، وزيادته في ذلك على غيره.

وكان الصلح بينهم عشر سنين، كما في السير، وأخرجه أبو داود من حديث ابن عمر.

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه بلفظ «أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين» كتاب الجهاد باب (٩٥) رقم الحديث (٢٦٤٥) والترمذي كتاب السير باب (٤٢) رقم الحديث (١٦٠٤). والمعجم الكبير للطبراني ٤/ ١٣٤ والسنن الكبرى للبيهقي ٨/ ١٣١ وتفسير القرطبي ٨/ ٦٣ ومشكاة المصابيح (٣٥٤٧) مجمع الزوائد ٥/ ٢٥٣ وفي التمهيد ٨/ ٣٩٠ وفي النسائي كتاب القسامة باب (٢٧) وإتحاف السادة المتقين ٦/ ١٩٥ وكنز العمال (٤٦٢٩٦ ـ ٤٦٣٠٣ ـ ١١٠٣١).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الشروط باب (١٥) رقم الحديث (٢٧٣١ ـ ٢٧٣٢).

ولأبي نعيم في مسند عبيد الله بن دينار كانت أربع سنين. وكذا أخرجه الحاكم في البيوع من المستدرك. والأول أشهر.

وكان الصلح على وضع الحرب، بحيث يأمن الناس فيها، ويكف بعضهم عن بعض، وأن لا يدخل البيت إلا العام القابل ثلاثة أيام، ولا يدخلوها إلا بجلبان السلاح، وهو القراب بما فيه. والجلبان ـ بضم الجيم وسكون اللام ـ شبه الجراب من الأدم، يوضع فيه السيف مغموداً. ورواه القتيبي[1]: بضم الجيم واللام وتشديد الباء، وقال: هو أوعية السلاح بما فيها.

وفي بعض الروايات: لا يدخلها إلا بجلبان السلاح: السيف والقوس.

وإنما اشترطوا ذلك ليكون علماً وأمارة للسلم، إذ كان دخولهم صلحاً.

وقال مكي بن أبي طالب القيرواني[2] في تفسيره:

وبعث عليه الصلاة والسلام بالكتاب إليهم مع عثمان بن عفان. وأمسك سهيل بن عمرو عنده، فأمسك المشركون عثمان فغضب المسلمون.

وقال مغلطاي فاحتبسته قريش عندها. فبلغ النبي ﷺ أن عثمان قد قتل، فدعا الناس إلى بيعة الرضوان تحت الشجرة على الموت، وقيل على أن لا يفروا، انتهى.

ووضع النبي ﷺ شماله في يمينه وقال: هذه عن عثمان. وفي البخاري: «**فقال ﷺ بيده اليمنى هذه بيعة عثمان، فضرب بها على يده اليسرى**».

ولما سمع المشركون بهذه البيعة خافوا وبعثوا عثمان وجماعة من المسلمين.

وفي هذه البيعة نزل قوله تعالى: ﴿**إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم**﴾ [الفتح: ١٠].

وحلق الناس مع النبي ﷺ، ونحروا هداياهم بالحديبية، قال مغلطاي: وأرسل الله ريحاً حملت شعورهم فألقتها في الحرم.

---

(١) هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري. أبو محمد (٢١٣ ـ ٢٧٦ هـ). من أئمة الأدب. محدث، مؤلف، توفي ببغداد. الأعلام ٤/١٣٧. وفيات الأعيان ١/٢٥١. تاريخ بغداد ١٠/١٧٠. تذكرة الحفاظ ٢/٦٣١. مرآة الجنان ٢/١٩١. لسان الميزان ٢/٣٥٧ روضات الجنان (٤٤٧). أنباه الرواة ٢/١٤٣.

(٢) هو مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار الأندلسي القيسي أبو محمد القيراوني (٣٥٥ ـ ٤٣٧ هـ). مقرىء. عالم بالتفسير والعربية توفي في قرطبة الأعلام ٧/٢٨٦. وفيات الأعيان ٢/١٢٠، الديباج المذهب (٣٤٦)، طبقات القراء لابن الجزري ٢/٣٠٩، معجم الأدباء ٥/٥١٧ رقم الترجمة (٩٥٩) مفتاح السعادة ٢/٨٤.

وأقام ﷺ بالحديبية بضعة عشر يوماً، وقيل عشرين يوماً، ثم قفل وفي نفوس بعضهم شيء، فأنزل الله سورة الفتح يسليهم بها ويذكرهم نعمه، فقال تعالى: ﴿**إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً**﴾ [الفتح: ١].

قال ابن عباس وأنس البراء بن عازب: الفتح هنا فتح الحديبية، ووقوع الصلح بعد أن كان المنافقون يظنون أن لم ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبداً، أي حسبوا أنهم لا يرجعون بل يقتلون كلهم.

وأما قوله تعالى: ﴿**وأثابهم فتحاً قريباً**﴾ [الفتح: ١٨] فالمراد فتح خيبر على الصحيح، لأنها وقعت فيها المغانم الكثيرة للمسلمين.

وقد روى أحمد وأبو داود والحاكم من حديث مجمع بن جارية قال: (شهدنا الحديبية، فلما انصرفنا وجدنا رسول الله ﷺ واقفاً عند كراع الغميم، وقد جمع الناس فقرأ عليهم: ﴿**إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً**﴾ [الفتح: ١] الآية فقال رجل: يا رسول الله، أو فتح هو؟ فقال: إي والذي نفسي بيده إنه لفتح).

وروى سعيد بن منصور بإسناد صحيح عن الشعبي (إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً) الحديبية، وغفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وتبايعوا بيعة الرضوان وأطعموا نخيل خيبر، وظهرت الروم على فارس، وفرح المسلمون بنصر الله.

وأما قوله تعالى: ﴿**إذا جاء نصر الله والفتح**﴾ [النصر: ١] وقوله ﷺ: (لا هجرة بعد الفتح) فالمراد فتح مكة فاتفاق.

قال الحافظ ابن حجر: فبهذا يرتفع الإشكال وتجتمع الأقوال والله أعلم.

ثم رجع ﷺ إلى المدينة.

وفي هذه السنة كسفت الشمس.

وظاهر أوس بن الصامت من امرأته خولة.

وفي هذه السنة أيضاً استسقى في رمضان ومطر الناس، فقال النبي ﷺ: «**أصبح الناس مؤمناً بالله وكافراً بالكواكب**»(١).

قال مغلطاي: وجزم الدمياطي في سيرته: بأن تحريم الخمر كان في سنة الحديبية.

وذكر ابن إسحاق: أنه كان في وقعة بني النضير، وهي بعد أحد، وذلك سنة أربع على الراجح.

---

(١) جاء في البخاري نحوه كتاب المغازي باب (٣٦) رقم الحديث (٤١٤٧). وفي السنن الكبرى للبيهقي ١٨٨/٢. ومشكاة المصابيح (٤٥١٦) وفي مسند الشافعي (٨٠).

وفيه نظر: لأن أنساً كان الساقي يوم حرمت، وأنه لما سمع المنادي بتحريمها بادر فأراقها، فلو كان ذلك سنة أربع، لكان أنس يصغر عن ذلك.

وأخرج النسائي والبيهقي بسند صحيح عن ابن عباس: إنما نزل تحريم الخمر في قبيلتين من الأنصار شربوا، فلما ثمل القوم عبث بعضهم ببعض، فلما أن صحوا جعل الرجل يرى في وجهه ورأسه الأثر فيقول: صنع هذا أخي فلان ـ وكانوا أخوة ليس في قلوبهم ضغائن ـ فيقول: والله لو كان بي رحيماً ما صنع بي هذا، حتى وقعت في قلوبهم الضغائن، فأنزل الله تعالى هذه الآية **﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر﴾ إلى ﴿منتهون﴾** [المائدة: ٩٠و ٩١] فقال ناس من المتكلفين: هي رجس، وهي في بطن فلان وفلان وقد قتل يوم أحد، فأنزل الله تعالى **﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا﴾ إلى ﴿المحسنين﴾** [المائدة: ٩٣].

وآية تحريم الخمر نزلت في عام الفتح قبل الفتح.

والخمر في الأصل مصدر خمره: إذا ستره، سمي به عصير العنب إذا اشتد وغلا كأنه يخمر العقل، كما يسمى مسكراً لأنه يسكره، أي يحجره.

وهي حرام مطلقاً، وكذا كل ما أسكر عند أكثر العلماء. وقال أبو حنيفة: نقيع الزبيب والتمر إذا طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم اشتد حل شربه ما دون السكر انتهى.

وأما الحشيشة وتسمى القنب الهندي والحيدرية والقلندرية فلم يتكلم فيها الأئمة الأربعة ولا غيرهم من علماء السلف، لأنها لم تكن في زمنهم، وإنما ظهرت في أواخر المائة السادسة وأول السابعة.

واختلف هل هي مسكرة فيجب فيها الحد، أو مفسدة للعقل فيجب التعزير، والذي أجمع عليه الأطباء أنها مسكرة، وبه جزم الفقهاء وصرح به الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في كتاب التذكرة في الخلاف، والنووي في شرح المهذب، ولا نعرف فيه خلافاً عندنا.

ونقل عن ابن تيمية أنه قال: الصحيح أنها مسكرة كالشراب، فإن أكلتها ينشون عنها ولذلك يتناولونها بخلاف البنج وغيره فإنه لا ينشي ولا يشتهى.

قال الزركشي: ولم أر من خالف في هذا إلا القرافي في قواعده فقال: نص العلماء بالنبات في كتبهم أنها مسكرة، والذي يظهر لي أنها مفسدة. في كلام تعقبه الزركشي يطول ذكره.

وقد تضافرت الأدلة على حرمتها: ففي صحيح مسلم «كل مسكر حرام»[1] وقد قال

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المغازي باب (٦١) رقم الحديث (٤٣٤٣ ـ ٤٣٤٤ ـ ٤٣٤٥). وفي=

تعالى: ﴿ويحرم عليهم الخبائث﴾ [الأعراف: ١٥٧] وأي خبيث أعظم مما يفسد العقول التي اتفقت الملل والشرائع على إيجاب حفظها. ولا ريب أن متناول الحشيشة يظهر به أثر التغير في انتظام الفعل والقول المستمد كماله من نور العقل. وقد روى أبو داود ـ بإسناد حسن ـ عن ديلم الحميري قال: (سألت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، إنا بأرض باردة نعالج فيها عملاً شديداً وإنا نتخذ شراباً من هذا القمح نتقوى به على أعمالنا وعلى برد بلادنا، قال: فهل يسكر؟ قلت: نعم، قال: فاجتنبوه، قلت: فإن الناس غير تاركيه، قال: فإن لم يتركوه فقاتلوهم).

وهذا منه ﷺ تنبيه على العلة التي لأجلها حرم المزر. فوجب أن كل شيء عمل عمله يجب تحريمه، ولا شك أن الحشيشة تعمل ذلك وفوقه.

وروى أحمد في مسنده وأبو داود في سننه عن أم سلمة قالت: (نهى رسول الله ﷺ عن كل مسكر ومفتر)[1].

قال العلماء: المفتر كل ما يورق الفتور والخدر في الأطراف. وهذا الحديث أدل دليل على تحريم الحشيشة وغيرها من المخدرات، فإنها إن لم تكن، مسكرة كانت مفترة، ولذلك يكثر النوم من متعاطيها، وتثقل رؤوسهم بواسطة تبخيرها في الدماغ.

وقد نقل الإجماع على تحريمها غير واحد، منهم القرافي وابن تيمية وقال: إن من استحلها فقد كفر.

وتعقبه الزركشي: بأن تحريمها ليس معلوماً من الدين بالضرورة، سلمنا ذلك، لكن لا بد أن يكون دليل الإجماع قطعياً على أحد الوجهين، وقد ذكر أصحابنا أن المسكر من غير عصير العنب، كعصير العنب في وجوب الحد، لكن لا يكفر مستحله لاختلاف العلماء فيه.

واختلف: هل يحرم تعاطي اليسير الذي لا يسكر؟

= صحيح مسلم كتاب الأشربة باب (٦) رقم الحديث (٦٤ ـ ٧٠ ـ ٧٣). والترمذي كتاب الأشربة باب (٣) رقم الحديث (١٨٦٦). وسنن النسائي ٨/٢٩٧ ـ ٢٩٨. وفي سنن أبي داود كتاب الأشربة، باب (٥) رقم الحديث (٣٦٨٧)، وللإمام أحمد بن حنبل في مسنده ١/٢٧٤. وابن ماجه، كتاب الأشربة باب (٩) رقم الحديث (٣٣٨٧). وفي المعجم الكبير للطبراني ١٠/١٩٣. وإتحاف السادة المتقين ٦/١٦ وفي سنن القرطبي ١٠/١٣٠. وكنز العمال (١٣١٤٣ ـ ١٣١٤٤ ـ ١٣١٤٥).

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ٦/٣٠٩. وفي سنن أبي داود. كتاب الأشربة باب (٥) رقم الحديث (٣٦٨٦).

فقال النووي في شرح المهذب إنه لا يحرم أكل القليل الذي لا يسكر من الحشيش، بخلاف الخمر، حيث حرم قليلها الذي لا يسكر. والفرق أن الحشيش طاهر والخمر نجس فلا يجوز شرب قليله للنجاسة.

وتعقبه الزركشي بأنه صح في الحديث: «**ما أسكر كثيره فقليله حرام**»[1]، قال: والمتجه أنه لا يجوز من الحشيش لا قليل ولا كثير.

وأما قول النووي: إنها طاهرة وليست بنجسة، فقطع به ابن دقيق العيد وحكى الإجماع عليه. قال: والأفيون وهو لبن الخشخاش، أقوى فعلاً من الحشيش، لأن القليل منه يسكر جداً، وكذلك السيكران وجوز الطيب مع أنه طاهر بالإجماع. انتهى.

وقد جمع بعضهم في الحشيشة مائة وعشرين مضرة دينية وبدنية، حتى قال بعضهم كل ما في الخمر من المذمومات موجود في الحشيش وزيادة. فإن أكثر ضرر الخمر في الدين لا في البدن. وضررها فيهما.

فمن ذلك: فساد العقل، وعدم المروءة، وكشف العورة، وترك الصلوات، والوقوع في المحرمات، وقطع النسل، والبرص والجذام والأسقام والرعشة والأبنة، ونتن الفم وسقوط شعر الأجفان، وحفر الأسنان وتسويدها، وتضييق النفس وتصفير الألوان، وتنقيب الكبد، وتجعل الأسد كالجعل، وتورث الكسل والفشل، وتعيد العزيز ذليلاً، والصحيح عليلاً، والفصيح أبكماً، والصحيح أبلماً، وتذهب السعادة وتنسي الشهادة، فصاحبها بعيد عن السنة طريد عن الجنة، موعود من الله باللعنة إلا أن يقرع من الندم سنه ويحسن بالله ظنه. ولقد أحسن القائل:

قل لمن يأكل الحشيشة جهلاً ... يا خسيساً قد عشت شر معيشة
دية العقل بدرة فلماذا ... يا سفيهاً قد بعتها بحشيشة

[غزوة خيبر][2]

وهي مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع، على ثمانية برد من المدينة إلى جهة الشام.

قال ابن إسحاق: خرج النبي ﷺ في بقية شهر المحرم سنة سبع، فأقام يحاصرها بضع عشرة ليلة إلى أن فتحها.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الأشربة رقم الحديث (١٨) والكامل في الضعفاء لابن عدي ٢/٧٦٧ و ٤/١٣٦٢.

(٢) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٣/٣٤٢. والمنتظم ٣/٢٩٣ ومغازي الواقدي ٢/٦٣٣. والبداية والنهاية ٤/١٨٣. وطبقات ابن سعد ٢/٨١. والكامل في التاريخ ٢/٩٩. وتاريخ الطبري ٢/٢٩٨.

وقيل: كانت في آخر سنة ست، وهو منقول عن مالك، وبه جزم ابن حزم.

قال الحافظ ابن حجر: والراجح ما ذكره ابن إسحاق، ويمكن الجمع بأن من أطلق سنة ست بناء على أن ابتداء السنة من شهر الهجرة الحقيقي وهو ربيع الأول.

وأغرب ابن سعد وابن أبي شيبة فرويا من حديث أبي سعيد الخدري: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر لثمان عشرة من رمضان، وإسناده حسن، لكنه خطأ ولعلها كانت إلى حنين فتصحفت. وتوجيهه: بأن غزوة حنين كانت ناشئة عن غزوة الفتح، وغزوة الفتح خرج فيها ﷺ في رمضان جزماً.

قال: وذكر الشيخ أبو حامد في التعليقة: أنها كانت سنة خمس، وهو وهم، ولعلها انتقال من الخندق إلى خيبر.

وكان معه ﷺ ألف وأربعمائة راجل ومائتا فارس، ومعه أم سلمة زوجته.

وفي البخاري من حديث سلمة بن الأكوع قال: خرجنا مع النبي إلى خيبر فسرنا ليلاً، فقال رجل من القوم لعامر: يا عامر، ألا تسمعنا من هنيهاتك وكان عامر رجلاً شاعراً، فنزل يحدو بالقوم يقول:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فاغفر فداء لك ما اتقينا وثبت الأقدام إن لاقينا
وألقين سكينة علينا إنا إذا صيح بنا أتينا
وبالصياح عولوا علينا

وفي رواية إياس بن سلمة عن أبيه عند أحمد في هذا الرجز من الزيادة:

إن الذين قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا
ونحن عن فضلك ما استغنينا[1]

فقال رسول الله ﷺ - كما في رواية البخاري - «من هذا السائق؟» قالوا: عامر بن الأكوع، قال: «يرحمه الله». قال رجل من القوم: وجبت يا نبي الله، لولا أمتعتنا به[2]. الحديث.

وفي رواية أحمد: فجعل عامر يرتجز ويسوق الركاب، وهذه كانت عادتهم إذا أرادوا تنشيط الإبل في السير ينزل بعضهم فيسوقها، ويحدو في تلك الحال.

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ٤/ ٥٢.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المغازي باب (٣٩) رقم الحديث (٤١٩٥).

وقوله: «اللهم لولا أنت ما اهتدينا» كذا الرواية، قالوا: وصوابه في الوزن: لا هم، أو: تالله، كما في الحديث الآخر.

وقوله: «فداء لك» قال المازري[1]: هذه اللفظة مشكلة، فإنه لا يقال للباري سبحانه: فديتك، لأن ذلك إنما يستعمل في مكروه يتوقع حلوله بالشخص، فيختار شخص آخر أن يحل ذلك به ويفديه منه. قال: ولعل هذا وقع من غير قصد إلى حقيقة معناه، كما يقال: قاتله الله، ولا يريد بذلك حقيقة الدعاء عليه، وكقوله عليه السلام: تربت يداك، وتربت يمينك، وفيه كله ضرب من الاستعارة لأن المفادي مبالغ في طلب رضا المفدى حين بذل نفسه عن نفسه للمكروه، فكان مراد الشاعر: أي أبذل نفسي في رضاك. وعلى كل حال فإن المعنى وإن أمكن صرفه إلى جهة صحيحة فإطلاق اللفظ واستعارته والتجوز فيه يفتقر إلى ورود الشرع بالإذن فيه.

قال: وقد يكون المراد بقوله: «فداء لك» رجلاً يخاطبه، وفصل بين الكلام بذلك، ثم عاد إلى الأول فقال: ما اتقينا. وهذا تأويل يصح معه اللفظ والمعنى لولا أن فيه تعسفاً اضطرنا إليه تصحيح الكلام. انتهى.

وقيل: إنه يخاطب بهذا الشعر النبي ﷺ. والمعنى: لا تؤاخذنا بتقصيرنا في حقك ونصرك. وعلى هذا فقوله: «اللهم» لم يقصد بها الدعاء وإنما افتتح بها الكلام. والمخاطب بقول الشاعر: «لولا أنت» النبي، لكن يعكر عليه بعد ذلك:

فأنزلن سكينة علينا ... وثبت الأقدام إن لاقينا

فإنه دعاء لله تعالى.

ويحتمل أن يكون المعنى فاسأل ربك أن ينزل ويثبت والله أعلم.

وقوله: «إذا صيح بنا أتينا» أي إذا صيح بنا للقتال ونحوه من المكاره أتينا ولم نتأخر عنه. وفي رواية أيضاً بالموحدة بدل المثناة، أي أبينا الفرار. وقوله: «وبالصياح عولوا علينا» أي استعانوا بنا واستفزعونا للقتال. قيل: هو من التعويل على الشيء وهو الاعتماد عليه، وقيل: هو من العويل، وهو الصوت.

وقوله: «من هذا السائق؟ قالوا: عامر، قال: يرحمه الله، قال رجل من القوم وجبت»: أي ثبتت له الشهادة وستقع قريباً، وكان معلوماً عندهم أن من دعا له النبي ﷺ

---

(١) هو محمد بن علي بن عمر التميمي المازري. أبو عبد الله (٤٥٣ ـ ٥٣٦ هـ). محدث من فقهاء المالكية. توفي بالمهدية، الأعلام ٦/٢٧٧ وفيات الأعيان ١/٤٨٦.

هذا الدعاء في هذا الموطن استشهد، فقالوا: هلا أمتعتنا به؟ أي: وددنا أنك أخرت الدعاء له بهذا إلى وقت آخر لنتمتع بمصاحبته ورؤيته مدة.

وفي البخاري من حديث أنس أنه ﷺ أتى خيبر ليلاً ـ وكان إذا أتى قوماً بليل لم يقربهم حتى يصبح ـ فلما أصبح خرجت اليهود بمساحيهم ومكاتلهم، فلما رأوه قالوا: محمد والله، محمد والخميس، فقال النبي ﷺ: «**خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين**»[1].

وفي رواية: فرفع يديه وقال الله أكبر خربت خيبر.

والخميس: الجيش: سمي به لأنه مقسوم بخمسة أقسام: المقدمة والساقة والميمنة والميسرة والقلب.

ومحمد: خبر مبتدأ، أي هذا محمد.

قال السهيلي: يؤخذ من هذا الحديث التفاؤل، لأنه ﷺ لما رأى آلة الهدم عرف أن مدينتهم ستخرب. انتهى.

ويحتمل ـ كما قاله في فتح الباري ـ أن يكون قال: «**خربت خيبر**» بطريق الوحي، ويؤيده قوله بعد ذلك: «**إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين**».

وفي رواية: أنه ﷺ صلى الصبح قريباً من خيبر بغلس ثم قال: الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين.

وقال مغلطاي وغيره: وفرق ﷺ الرايات، ولم تكن الرايات إلا بخيبر، وإنما كانت الألوية.

وقال الدمياطي: وكانت راية النبي ﷺ السوداء من برد لعائشة.

وفي البخاري: وكان علي بن أبي طالب تخلف عن النبي ﷺ وكان رمداً.. فلحق فلما بتنا الليلة التي فتحت قال: لأعطين الراية غداً ـ أو ليأخذن الراية غداً ـ رجل يحبه الله ورسوله يفتح الله عليه.

فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: أين علي بن أبي طالب؟ فقالوا: هو يا رسول الله يشتكي عينيه، قال: فأرسلوا إليه، فأتي به،

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المغازي باب (٣٩) رقم الحديث (٤١٩٧ ـ ٤١٩٨). وفي صحيح مسلم كتاب الجهاد باب (٤٣) رقم الحديث (١٢٠ ـ ١٢١) وللإمام أحمد بن حنبل في المسند ٣/ ١١ و ٤/ ٢٨ والسنن الكبرى للبيهقي ٢/ ٢٣٠. وفي فتح الباري ٧/ ٥٩٥. وفي المسند للحميدي برقم (١١٩٨). وفي تفسير القرطبي ١٥/ ١٤٠. وفي المستدرك للحاكم ٢/ ٤٦٠.

فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له فبرىء، حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية. فقال علي: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال: انفذ على رسلك، حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن تكون لك حمر النعم. الحديث[1].

ولما تصاف القوم، كان سيف عامر قصيراً، فتناول ساق يهودي ليضربه فرجع ذباب سيفه فأصاب عين ركبة عامر فمات منه. فلما قفلوا، قال سلمة: قلت يا رسول الله، فداك أبي وأمي، زعموا أن عامراً حبط عمله، قال النبي ﷺ **«كذب من قال، وإن له أجرين»**، وجمع بين إصبعيه، **«إنه لجاهد مجاهد»**[2]. رواه البخاري أيضاً.

وعن يزيد بن أبي عبيد قال: رأيت أثر ضربة بساق سلمة، فقلت ما هذه الضربة؟ قال: هذه ضربة أصابتها يوم خيبر... فأتيت النبي ﷺ فنفث فيها ثلاث نفثات فما اشتكيتها حتى الساعة. أخرجه البخاري[3].

وعنده أيضاً عن أبي هريرة: شهدنا خيبر فقال رسول الله ﷺلرجل ممن معه يدعي الإسلام: «هذا من أهل النار»، فلما حضر القتال قاتل الرجل أشد القتال، حتى كثرت به الجراحة، فكاد بعض الناس يرتاب، فوجد الرجل ألم الجراحة فأهوى بيده إلى كنانته، فاستخرج منها سهماً فنحر نفسه، فاشتد رجال من المسلمين فقالوا: يا رسول الله، صدق الله حديثك، انتحر فلان فقتل نفسه. فقال: **«قم يا فلان فأذن: لا يدخل الجنة إلا مؤمن، إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر»**[4].

وفي رواية: فقال رسول الله ﷺ عن ذلك: إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة ـ فيما يبدو للناس ـ وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار ـ فيما يبدو للناس ـ وهو من أهل الجنة. الحديث.

---

(١) أخرجه البخاري كتاب المغازي باب (٣٩) رقم الحديث (٤٢١٠). وفي فتح الباري ٧/ ٦٠٦. وفي صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة رقم الحديث (٣٤) وللإمام أحمد بن حنبل في المسند ٥/ ٣٣٣. وفي دلائل النبوة للبيهقي ٤/ ٢٠٥ وفي جمع الجوامع للسيوطي (٤٥٨٢). وفي السنن الكبرى للبيهقي ٩/ ١٠٧ وفي كنز العمال (١٥٦٧٠).

(٢) أخرجه البخاري. كتاب الأدب. باب (٩٠) رقم الحديث (٦١٤٨). وفي صحيح مسلم كتاب الجهاد رقم الحديث (١٢٣) ودلائل النبوة للبيهقي ٤/ ٢٠٢.

(٣) أخرجه البخاري كتاب المغازي باب (٣٩) رقم الحديث (٤٢٠٦).

(٤) أخرجه البخاري كتاب المغازي باب (٣٩) رقم الحديث (٤٢٠٣) ومسلم في كتاب الإيمان رقم الحديث (١٧٩) وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل ٤/ ١٣٥ وفي السنن الكبرى للبيهقي ٨/ ١٩٧ وفي اتحاف السادة المتقين ٧/ ٩. ودلائل النبوة للبيهقي ٤/ ٢٥٣.

وقاتل النبي ﷺ أهل خيبر، وقاتلوه أشد القتال، واستشهد من المسلمين خمسة عشر، وقتل من اليهود ثلاثة وتسعون.

وفتحها الله حصناً حصناً، وهي: النطاة، وحصن الصعب، وحصن ناعم، وحصن قلعة الزبير، والشق، وحصن أبي، وحصن البريء، والقموس والوطيح والسلالم، وهو حصن بني أبي الحقيق.

وأخذ كنز آل أبي الحقيق الذي كان في مسك الحمار، وكانوا قد غيبوه في خربة، فدل الله رسوله عليه فاستخرجه.

وقلع علي باب خيبر، ولم يحركه سبعون رجلاً إلا بعد جهد.

وفي رواية ابن إسحاق: سبعة، وأخرجه من طريق البيهقي في الدلائل، وزواه الحاكم، وعنه البيهقي من جهة ليث بن أبي سليم عن أبي جعفر محمد بن علي بن حسين عن جابر: أن علياً حمل الباب يوم خيبر، وأنه جرب بعد ذلك فلم يحمله أربعون رجلاً. وليث ضعيف.

وفي رواية البيهقي: أن علياً لما انتهى إلى الحصن اجتذب أحد أبوابه فألقاه بالأرض، فاجتمع عليه بعده منا سبعون رجلاً فكان جهدهم أن أعادوا الباب مكانه.

قال شيخنا: وكلها واهية، ولذا أنكره بعض العلماء. انتهى.

وفي البخاري: وتزوج ﷺ بصفية بنت حيي بن أخطب، وكان قد قتل زوجها كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، وكانت عروساً، فذكر له جمالها، فاصطفاها لنفسه فخرج بها حتى بلغت سد الصهباء حلت له ـ يعني طهرت من الحيض ـ فبنى بها ﷺ فصنع حيساً في نطع صغير، ثم قال لأنس: «آذن من حولك»، فكانت تلك وليمته على صفية. قال: خرجنا إلى المدينة فرأيت النبي ﷺ يحوي لها وراءه بعباءة. ثم يجلس عند بعيره فيضع ركبته وتضع صفية رجلها على ركبته حتى تركب[(١)].

وفي رواية له: فقال المسلمون: إحدى أمهات المؤمنين أو ما ملكت يمينه؟ قالوا إن حجبها فهي إحدى أمهات المؤمنين، وإن لم يحجبها فهي مما ملكت يمينه، فلما ارتحل وطأ لها ومد الحجاب.

وفي رواية أنه ﷺ قتل المقاتلة وسبى الذرية، وكان في السبي صفية فصارت إلى دحية الكلبي ثم صارت إلى النبي ﷺ فجعل عتقها صداقها.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي باب (٣٩) رقم الحديث (٤٢١١). وفي سنن سعيد بن منصور (٢٦٧٦) وفي شرح السنة للبغوي ١١/٢٤.

وفي رواية: فأعتقها وتزوجها[1].

وفي رواية: قال ﷺ لدحية: خذ جارية من السبي غيرها.

وفي رواية لمسلم: أنه ﷺ اشترى صفية منه بسبعة أرؤس.

وإطلاق الشراء على ذلك، على سبيل المجاز، وليس في قوله سبعة أرؤس ما ينافي قوله في رواية البخاري: خذ جارية من السبي غيرها، إذ ليس هنا دلالة على نفي الزيادة والله أعلم.

وإنما أخذ ﷺ صفية لأنها بنت ملك من ملوكهم، وليست ممن توهب لدحية لكثرة من كان من الصحابة مثل دحية وفوقه، وقلة من كان في السبي مثل صفية في نفاستها، فلو خصه بها لأمكن تغير خاطر بعضهم، فكان من المصلحة العامة ارتجاعها منه، واختصاصه ﷺ بها، فإن في ذلك رضا الجميع، وليس ذلك من الرجوع في الهبة في شيء. انتهى.

قال مغلطاي وغيره: وكانت صفية قبل رأت أن القمر سقط في حجرها، فتؤول بذلك. قال الحاكم: وكذا جرى لجويرية.

وفي هذه الغزوة حرم ﷺ لحوم الحمر الأهلية. كما في البخاري ولفظه: فلما أمسى الناس مساء اليوم الذي فتحت عليهم - يعني خيبر - أوقدوا نيراناً كثيرة، فقال النبي ﷺ: «ما هذه النيران، على أي شيء توقدون؟» قالوا: على لحم، قال «على أي لحم؟ قالوا: لحم الحمر الإنسية، فقال النبي ﷺ: «أهريقوها واكسروها». فقال رجل: يا رسول الله، أو نهريقها ونغسلها، قال: «أو ذاك»[2].

والمشهور في الإنسية: كسر الهمزة، منسوبة إلى الإنس، وهم بنو آدم. وحكي ضم الهمزة، ضد الوحشية، ويجوز فتحها والنون أيضاً، مصدر أنست به، آنس أنساً وأنسة.

وفي رواية: نهى يوم خيبر عن أكل الثوم، وعن لحوم الحمر الأهلية. وفي رواية. نهى يوم خيبر عن لحوم الحمر الأهلية ورخص في الخيل[3].

---

(١) أخرجه البخاري كتاب المغازي باب (٣٩) رقم الحديث (٤٢٠٠ ـ ٤٢١٣ ـ ٤٢٠١).

(٢) أخرجه البخاري كتاب المغازي باب (٣٩) رقم الحديث (٤١٩٦) وفي صحيح مسلم كتاب الجهاد رقم الحديث (١٢٣) وفي كتاب الصيد رقم الحديث (٣٣). وفي دلائل النبوة للبيهقي ٤/ ٢٠١. وفي المعجم الكبير للطبراني ٧/ ٣٦.

(٣) أخرجه البخاري كتاب المغازي باب (٣٩) رقم الحديث (٤٢١٥ ـ ٤٢١٩) وفي النسائي ٧/ ٢٣٩ =

قال ابن أبي أوفى: فتحدثنا أنه إنما نهى عنها لأنها لم تخمس، وقال بعضهم: نهى عنها ألبتة لأنها كانت تأكل العذرة.

قال العلماء: وإنما أمر بإراقتها لأنها نجسة محرمة، وقيل: إنما نهى عنها للحاجة إليها، وقيل: لأخذها قبل القسمة، وهذان التأويلان للقائلين بإباحة لحومها. والصواب ما قدمناه.

وأما قوله ﷺ: «اكسروها» فقال رجل: أو نهريقها ونغسلها قال: «أو ذاك». فهذا محمول على أنه ﷺ اجتهد في ذلك فرأى كسرها ثم تغير اجتهاده، أو أوحي إليه بغسلها.

وأما لحوم الخيل فاختلف العلماء في إباحتها:

فمذهب الشافعي والجمهور من السلف والخلف: أنه مباح لا كراهة فيه، وبه قال عبد الله بن الزبير وأنس بن مالك وأسماء بنت أبي بكر. وفي صحيح مسلم عنها قالت: نحرنا فرساً على عهد رسول الله ﷺ فأكلناه ونحن بالمدينة، وفي رواية الدارقطني: فأكلناه نحن وأهل بيت النبي ﷺ.

قال في فتح الباري: ويستفاد من قولها: «ونحن بالمدينة» أن ذلك بعد فرض الجهاد، فيرد على من استند إلى منع أكلها لعلة أنها من آلات الجهاد.

وفي قولها: «وأهل بيت النبي ﷺ» الرد على من زعم أنه ليس فيه أن النبي ﷺ اطلع على ذلك، مع أن ذلك لو لم يرد لم يظن بآل أبي بكر أنهم يقدمون على فعل شيء في زمنه ﷺ إلا وعندهم العلم بجوازه لشدة اختلاطهم به ﷺ وعدم مفارقتهم له، هذا مع توفر داعية الصحابة إلى سؤاله عليه السلام عن الأحكام.

ومن ثم كان الراجح أن الصحابي إذا قال: كنا نفعل كذا على عهده ﷺ كان له حكم الرفع، لأن الظاهر اطلاعه ﷺ على ذلك وتقريره، وإذا كان ذلك في مطلق الصحابة فكيف بآل أبي بكر.

وقال الطحاوي: ذهب أبو حنيفة إلى كراهة أكل الخيل، وخالفه صاحباه وغيرهما. واحتجوا بالأخبار المتواترة في حلها. انتهى.

وقد نقل بعض التابعين: الحل عن الصحابة مطلقاً من غير استثناء أحد، فأخرج ابن

= و ٢٠٣ وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل ٣/ ٣٦١ و ٢/ ٢١ وفي السنن الكبرى للبيهقي ٩/ ١٢٥ وفي المستدرك للحاكم ٢/ ١٣٧ وفي المعجم الكبير للطبراني ١٨/ ٦٨ و ١٩/ ٦٩. وفي المعجم الصغير للطبراني ١/ ٢٥٦. وفي السلسلة الصحيحة للألباني (٣٥٩).

أبي شيبة بسند صحيح ـ على شرط الشيخين ـ عن عطاء قال: لم يزل سلفك يأكلونه. قال ابن جريج: قلت له أصحاب رسول الله ﷺ فقال: نعم.

وأما ما نقل في ذلك عن ابن عباس من كراهتها: فأخرجه ابن أبي شيبة وعبد الرزاق بسندين ضعيفين.

وقال أبو حنيفة في الجامع الصغير: أكره لحوم الخيل، فحمله أبو بكر الرازي على التنزيه، وقال: لم يطلق أبو حنيفة فيه التحريم، وليس هو عنده كالحمار الأهلي، وصحح أصحاب المحيط والهداية والذخيرة عنه التحريم، وهو قول أكثرهم.

وقال القرطبي في شرح مسلم. مذهب مالك الكراهة، وقال الفاكهاني: المشهور عند المالكية الكراهة، والصحيح عند المحققين منهم التحريم.

وقال ابن أبي جمْرة: الدليل على الجواز مطلقاً واضح، لكن سبب كراهة مالك لأكلها لكونها تستعمل غالباً في الجهاد، فلو انتفت الكراهة لكثر استعماله، ولو كثر استعماله لأفضى إلى فنائها، فيؤول إلى النقص من إرهاب العدو الذي وقع الأمر به في قوله تعالى: **﴿ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾** [الأنفال: ٦٠] فعلى هذا فالكراهة لسبب خارج، وليس البحث فيه، فإن الحيوان المتفق على إباحته لو حدث أمر يقتضي أن لو ذبح لأفضى إلى ارتكاب محذور لامتنع، ولا يلزم من ذلك القول بتحريمه. انتهى.

وأما قول بعض المانعين: لو كانت حلالاً لجازت الأضحية بها. فمنتقض بحيوان البر، فإنه مأكول ولم تشرع الأضحية به. وأما حديث خالد بن الوليد عند أبي داود والنسائي: نهى رسول الله ﷺ عن لحوم الخيل والبغال والحمير[1]، فضعيف، ولو سلم ثبوته، لا ينهض معارضاً لحديث جابر الدال على الجواز، وقد وافقه حديث أسماء. وقد ضعف حديث خالد بن الوليد أحمد والبخاري والدارقطني والخطابي وابن عبد البر وعبد الحق وآخرون.

وزعم بعضهم: أن حديث جابر دال على التحريم لقوله «رخص» لأن الرخصة استباحة المحظور مع قيام المانع، فدل على أنه رخص لهم بسبب المخمصة التي أصابتهم بخيبر، فلا يدل ذلك على الحل المطلق.

وأجيب: بأن أكثر الروايات جاء بلفظ الإذن، كما رواه مسلم، وفي رواية له: أكلنا

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الاطعمة باب (٢٥) رقم الحديث (٣٧٨٨ ـ ٣٧٨٩ ـ ٣٧٩٠).

زمن خيبر الخيل وحمر الوحش، ونهانا النبي ﷺ عن الحمار الأهلي وعند الدارقطني من حديث ابن عباس: نهانا ﷺ عن الحمر الأهلية وأمر بلحوم الخيل. فدل على أن المراد بقوله: «رخص» أذن. ونوقض أيضاً بالإذن في أكل الخيل، ولو كان رخصة لأجل المخمصة لكانت الحمر الأهلية أولى بذلك لكثرتها وعزة الخيل حينئذ، فدل على أن الإذن في أكل الخيل إنما كان للإباحة العامة لا لخصوص الضرورة.

وقد نقل عن مالك وغيره من القائلين بالتحريم: أنهم احتجوا للمنع بقوله تعالى: ﴿**والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة**﴾ [النحل: ٨] وقرروا ذلك بأوجه

أحدها: أن اللام للتعليل، فدل على أنها لم تخلق لغير ذلك، لأن العلة المنصوصة تفيد الحصر. فإباحة أكلها تقتضي خلاف ظاهر الآية.

ثانيها: عطف البغال والحمير، فدل على اشتراكها معهما في حكم التحريم، فيحتاج من أفرد حكم ما عطف عليها إلى دليل.

ثالثها: أن الآية سيقت مساق الامتنان، فلو كان ينتفع بها في الأكل لكان الامتنان به أعظم، والحكيم لا يمتن بأدنى النعم ويترك أعلاها، ولا سيما وقد وقع الامتنان بالأكل في المذكورات قبلها.

رابعها: لو أبيح أكلها لفاتت المنفعة بها فيما وقع به الامتنان من الركوب والزينة.

وأجيب: بأن آية النحل [٨] مكية اتفاقاً، والإذن في أكل الخيل كان بعد الهجرة من مكة بأكثر من ست سنين، فلو فهم النبي ﷺ من الآية المنع لما أذن في الأكل.

وأيضاً: فآية النحل [٨] ليست نصاً في منع الأكل والحديث صريح في جوازه.

وأيضاً: فلو سلمنا أن اللام للتعليل، لم نسلم إفادة الحصر في الركوب والزينة، فإنه ينتفع بالخيل في غيرهما، وفي غير الأكل اتفاقاً، وإنما ذكر الركوب والزينة لكونهما أغلب ما تطلب له الخيل. ونظيره حديث البقرة المذكورة في الصحيحين[1] حين خاطبت راكبها فقالت لم أخلق لهذا وإنما خلقت للحرث، فإنه مع كونه أصرح في الحصر، ما يقصد به إلا الأغلب، وإلا فهي تؤكد وينتفع بها في أشياء غير الحرث اتفاقاً.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحة كتاب فضائل الصحابة رقم الحديث (١٣) ـ (٢٣٨٨) والبخاري كتاب الحرث والمزارعة باب (٤) رقم الحديث (٢٣٢٤ ـ ٣٤٧١ ـ ٣٦٦٣ ـ ٣٦٩٠) وفي مسند الحميدي رقم الحديث (١٠٥٤ ـ ١٠٥٥) وفي مشكاة المصابيح للتبريزي (٦٠٤٧) وفي مشكل الآثار للطحاوي ١٦٨/٤. إرواء الغليل للألباني ٢٤٢/٧ وشرح السنة للبغوي ٩٧/١٤ وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل ٥٠٢/٢.

وقال البيضاوي: واستدل بها أي بآية النحل [٨] ـ على حرمة لحومها، ولا دليل فيها، إذ لا يلزم من تعليل الفعل بما يقصد منه غالباً أن لا يقصد منه غيره أصلاً. انتهى.

وأيضاً: فلو سلم الاستدلال للزم منع حمل الأثقال على الخيل والبغال والحمير ولا قائل به. وأما عطف البغال والحمير، فدلالة العطف إنما هي دلالة اقتران وهي ضعيفة.

وأما أنها سيقت مساق الامتنان إنما قصد به غالب ما كان يقع به انتفاعهم بالخيل، فخوطبوا بما ألفوا وعرفوا، ولم يكونوا يعرفون أكل الخيل لعزتهم في بلادهم، بخلاف الأنعام، فإن أكثر انتفاعهم بها كان لحمل الأثقال والأكل، فاقتصر في كل من الصنفين على الامتنان بأغلب ما ينتفع به، فلو لزم من ذلك الحصر في هذا الشق لأضر.

وأما قولهم: لو أبيح أكلها لفاتت المنفعة بها الخ. .

فأجيب عنه: بأنه لو لزم من الإذن في أكلها أن تفنى، للزم مثله في البقر وغيرها مما أبيح أكله ووقع الامتنان به.

وإنما أطلت في ذلك لأمر اقتضاه، والله أعلم.

وفي هذه الغزوة أيضاً نهى ﷺ عن أكل كل ذي ناب من السباع، وعن بيع المغانم حتى تقسم، وأن لا توطأ جارية حتى تستبرأ.

وفي هذه الغزوة أيضاً سمت النبي ﷺ زينب بنت الحارث، امرأة سلام بن مشكم[١]، كما في البخاري من حديث أبي هريرة ولفظه: (لما فتحت خيبر أهديت لرسول الله ﷺ شاة فيها سم، فقال رسول الله ﷺ، **«اجمعوا لي من كان ها هنا من اليهود»**، فجمعوا له، فقال لهم رسول الله ﷺ **«إني سائلكم عن شيء، فهل أنتم صادقوني عنه»**؟ فقالوا: نعم يا أبا القاسم، فقال لهم رسول الله ﷺ: **«من أبوكم»**؟ قالوا: أبونا فلان. فقال رسول الله ﷺ: **«كذبتم، بل أبوكم فلان»**، **فقالوا: صدقت وبررت، فقال:** **«هل أنتم صادقوني عن شيء إن سألتكم عنه»**؟ فقالوا: نعم يا أبا القاسم، وإن كذبناك عرفت كذبنا، كما عرفته في أبينا. فقال لهم رسول الله ﷺ: **«من أهل النار»**؟ فقالوا: نكون فيها يسيراً ثم تخلفوننا فيها، فقال لهم رسول الله ﷺ: **«اخسؤوا فيها. والله لا نخلفكم فيها أبداً»**، ثم قال لهم **«هل أنتم صادقوني عن شيء إن سألتكم عنه»**؟ قالوا: نعم. فقال: **«هل جعلتم في هذه الشاة سماً؟»** فقالوا: نعم، فقال: **«ما حملكم على**

---

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٣/٣٥٢ وطبقات ابن سعد ٢/١٥٤ والبداية والنهاية ٤/٢٠٩ وفي دلائل النبوة للبيهقي ٤/٢٥٦.

ذلك»؟ فقالوا: أردنا إن كنت كذاباً أن نستريح منك، وإن كنت نبياً لم يضرك[1].

وفي حديث جابر عند أبي داود: أن يهودية من أهل خيبر سمت شاة مصلية ثم أهدتها إلى رسول الله ﷺ، فأخذ رسول الله ﷺ فأكل منها، وأكل رهط من أصحابه معه، فقال رسول الله ﷺ: «**ارفعوا أيديكم**»، وأرسل إلى اليهود فقال: «**سممت هذه الشاة**»؟ فقالت: من أخبرك؟ قال: «**أخبرتني هذه في يدي**»، للذراع. قالت نعم، قلت: إن كان نبياً فلن يضره، وإن لم يكن نبياً استرحنا منه. فعفا عنها ﷺ ولم يعاقبها، وتوفي أصحابه الذين أكلوا من الشاة، واحتجم رسول الله ﷺ على كاهله من أجل الذي أكل من الشاة[2].

وفي رواية غيره: جعلت زينب بنت الحارث امرأة ابن مشكم تسأل أي الشاة أحب إلى محمد فيقولون الذراع فعمدت إلى عنز لها فذبحتها وصلتها، ثم عمدت إلى سم لا يبطىء ـ يعني لا يلبث أن يقتل من ساعته ـ وقد شاورت يهود في سموم فاجتمعوا لها على هذا السم بعينه، فسمت الشاة وأكثرت في الذراعين والكتف، فوضعت بين يديه ومن حضر من أصحابه، وفيهم بشر بن البراء، وتناول ﷺ الذراع فانتهس منها، وتناول بشر بن البراء عظماً آخر، فلما ازدرد ﷺ لقمته، ازدرد بشر بن البراء ما في يده وأكل القوم، فقال ﷺ ارفعوا أيديكم، فإن هذه الذراع تخبرني أنها مسمومة. وفيه: أن بشر بن البراء مات، وفيه أنه دفعها ﷺ إلى أولياء بشر بن البراء فقتلوها. رواه الدمياطي.

وقد اختلف هل عاقبها ﷺ:

فعند البيهقي من حديث أبي هريرة: فأعرض عنها، ومن طريق أبي نضرة عن جابر نحوه قال: فلم يعاقبها. وقال الزهري: أسلمت فتركها.

قال البيهقي: يحتمل أن يكون تركها أولاً ثم لما مات بشر بن البراء من الأكلة قتلها. وبذلك أجاب السهيلي وزاد: أنه تركها لأنه كان لا ينتقم لنفسه، ثم قتلها ببشر قصاصاً.

ويحتمل أن يكون تركها لكونها أسلمت. وإنما أخر قتلها حتى مات بشر، لأن بموته يتحقق وجوب القصاص بشرطه.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجزية والموادعة باب (٧) رقم الحديث (٣١٦٩ ـ ٤٢٤٩ ـ ٥٧٧٧) وفي دلائل النبوة للبيهقي ٤/٢٥٦. وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل ٢/٤٥١ وفي شرح السنة للبغوي ١٤/ ٢٣ وفي طبقات ابن سعد ٢/ ١٥٤.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الديات باب (٦) رقم الحديث (٤٥١٠).

وفي مغازي سليمان التيمي: أنها قالت: إن كنت كذاباً أرحت الناس منك. وقد استبان لي الآن أنك صادق وأنا أشهدك ومن حضر أني على دينك وأن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، قال: فانصرف عنها حين أسلمت. وفيه: موافقة الزهري على إسلامها، فالله أعلم.

وفي هذه الغزوة أيضاً: نام ﷺ عن صلاة الفجر، لما وكل به بلالاً كما في حديث أبي هريرة عند مسلم (أن رسول الله ﷺ حين قفل من غزوة خيبر، سار ليلته حتى أدركه الكرى عـرس، وقال لبلال: «**إكلأ لنا الليل**»، فصلى بلال ما قدر له، ونام رسول الله ﷺ وأصحابه فلما قارب الفجر استند بلال إلى راحلته مواجه الفجر، فغلبت بلالاً عيناه وهو مستند إلى راحلته، فلم يستيقظ رسول الله ﷺ ولا بلال ولا أحد من أصحابه حتى ضربتهم الشمس، فكان رسول الله ﷺ أولهم استيقاظاً، فقال: «**أي بلال!**» فقال بلال: أخذ بنفسي الذي أخذ ـ بأبي أنت وأمي يا رسول الله ـ بنفسك. قال: «**اقتادوا**» فاقتادوا رواحلهم شيئاً، ثم توضأ رسول الله ﷺ وأمر بلالاً فأقام الصلاة، فصلى بهم الصبح، فلما قضى الصلاة قال: «**من نسي الصلاة فليصلها إذا ذكرها، فإن الله قال: «أقم الصلاة لذكري»**»(1).

وفيها قدم جعفر ومن معه من الحبشة.

واختلف في فتح خيبر هل كان عنوة أو صلحاً؟

وفي حديث عبد العزيز بن صهيب عن أنس التصريح بأنه كان عنوة، وبه جزم ابن عبد البر، ورد على من قال فتحت صلحاً. قال: وإنما دخلت الشبهة على من قال فتحت صلحاً بالحصنين اللذين أسلمهما أهلهما لتحقن دماؤهما، وهو ضرب من الصلح، لكن لم يقع ذلك إلا بحصار وقتال. انتهى.

ثم فتح وادي القرى، في جمادى الآخرة بعدما أقام أربعاً يحاصرهم، ويقال: أكثر من ذلك.

وأصاب «مدعماً» مولاه سهم فقال ﷺ: «**إن الشملة التي غلها من خيبر لتشتعل عليه ناراً**»(2).

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحة. كتاب المساجد رقم الحديث (٣٠٩) (٦٨٠) وفي سنن أبي داود كتاب الصلاة باب (١١) رقم الحديث (٤٣٥) وفي سنن ابن ماجة كتاب الصلاة باب (١٠) رقم الحديث (٦٩٧) وفي السنن الكبرى للبيهقي ٢/ ٢١٧. والتمهيد لابن عبد البر ٥/ ٢٥٠. والاستذكار لابن عبد البر ١/ ٩٧.

(2) أخرجه البخاري في كتاب الأيمان والنذور باب (٣٣) رقم الحديث (٦٧٠٧) وأبو داود كتاب الجهاد=

وصالحه أهل تيماء على الجزية، قاله الحافظ مغلطاي.

ثم سرية عمر بن الخطاب[1] رضي الله عنه إلى تربة في شعبان سنة سبع، ومعه ثلاثون رجلاً فخرج معه دليل من بني هلال، فكان يسير الليل ويكمن النهار، فأتى الخبر إلى هوازن فهربوا، وجاء عمر بن الخطاب، إلى محالهم فلم يلق منهم أحداً، فانصرف راجعاً إلى المدينة.

ثم سرية أبي بكر الصديق[2] رضي الله عنه إلى بني كلاب بنجد ناحية ضربة، سنة سبع، ويقال إلى فزارة، فسبى منهم جماعة وقتل آخرين.

وفي صحيح مسلم: فزارة، وهو الصواب.

ثم سرية بشير بن سعد الأنصاري[3] إلى بني مرة بفدك، في شعبان سنة سبع، ومعه ثلاثون رجلاً، فقتلوا، وقاتل بشير حتى ارتث وضرب كعبه، وقيل قد مات.

وقدم علبة بن زيد الحارثي بخبرهم على رسول الله ﷺ ثم قدم بعده بشير بن سعد.

ثم سرية غالب بن عبد الله الليثي[4] إلى الميفعة بناحية نجد من المدينة، على ثمانية برد، في شهر رمضان سنة سبع من الهجرة، في مائتين وثلاثين رجلاً، فهجموا عليهم في وسط محالهم، فقتلوا من أشرف لهم، واستاقوا نعماً وشاء إلى المدينة.

قالوا: وفي هذه السرية قتل أسامة بن زيد نهيك بن مرداس بعد أن قال: لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ: «ألا شققت عن قلبه فتعلم أصادق هو أم كاذب؟» فقال أسامة: لا أقاتل أحداً يشهد أن لا إله إلا الله[5].

= باب (١٣٣) رقم الحديث (٢٧١١) وفي صحيح مسلم كتاب الأيمان رقم الحديث (١٨٣) وفي دلائل النبوة للبيهقي ٤/٢٦٩ وفي النسائي كتاب الأيمان والنذور باب (٣٨). وفي تفسير القرطبي ٤/٢٥٨. وفي الترغيب والترهيب للمنذري ٢/٣٠٩. والسنن الكبرى للبيهقي ٩/١٠٠. وفي المسند لأبي عوانة ١/٥٠.

(١) انظر المنتظم ٣/٣٠١ والمغازي للواقدي ٢/٧٢٢ وتاريخ الطبري ٣/٢٢ وطبقات ابن سعد ٢/٨٩ والبداية والنهاية ٤/٢٢١ والكامل لابن الأثير ٢/١٠٦.

(٢) انظر طبقات ابن سعد ٢/٩٠ والبداية والنهاية ٤/٢٢١ والمنتظم ٣/٣٠١ وتاريخ الطبري ٣/٢٢ والمغازي للواقدي ٢/٧٢٢.

(٣) انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/١٠٦ والمنتظم ٣/٣٠٢ والبداية والنهاية ٤/٢٢٢ وطبقات ابن سعد ٢/٩١ والمغازي للواقدي ٢/٧٢٣.

(٤) انظر المنتظم ٣/٣٠٣ والمغازي للواقدي ٢/٧٢٦ وطبقات ابن سعد ٢/٩١.

(٥) أخرجه الامام أحمد بن حنبل في المسند ٥/٢٠٧ وفي الدر المنثور ٢/١٩٣ وتفسير الطبري ٥/١٢٩ وجمع الجوامع للسيوطي ٨/٩١ وفي طبقات ابن سعد ٢/٩١ وفي كنز العمال (٢٩٨٨١) والبداية والنهاية ٤/٢٢٢.

وفي الإكليل: فعل ذلك أسامة في سرية كان هو أميراً عليها سنة ثمان.

وفي البخاري: (عن أبي ظبيان قال: سمعت أسامة بن زيد يقول: بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة، فصبحنا القوم فهزمناهم، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم، فلما غشيناه قال: لا إله إلا الله، فكف الأنصاري عنه، وطعنته برمحي حتى قتلته. فلما قدمنا بلغ النبي ﷺ فقال: «يا أسامة أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله؟» قلت: كان متعوذاً. فما زال يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم)[1].

ثم سرية بشير بن سعد الأنصاري[2] أيضاً إلى يمن وجبار - بفتح الجيم - وهي أرض لغطفان، ويقال لفزارة وعذرة، في شوال سنة سبع من الهجرة، وبعث معه ثلاثمائة رجل لجمع تجمعوا للإغارة على المدينة، فساروا الليل وكمنوا النهار، فلما بلغهم مسير بشير هربوا.

وأصاب لهم نعماً كثيرة فغنمها، وأسر رجلين وقدم بهما إلى المدينة إلى رسول الله ﷺ فأسلما.

عمرة القضاء[3]

ثم عمرة القضية، وتسمى عمرة القضاء، لأنه قاضى فيها قريشاً، لا لأنها قضاء عن العمرة التي صد عنها، لأنها لم تكن فسدت حتى يجب قضاؤها. بل كانت عمرة تامة، ولهذا عدوا عُمَر النبي ﷺ أربعاً، كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

وقال آخرون: بل كانت قضاء عن العمرة الأولى. وعدوا عمرة الحديبية في العمر لثبوت الأجر فيها، لا لأنها كملت.

وهذا الخلاف مبني على الاختلاف في وجوب القضاء على من اعتمر فصد عن البيت.

فقال الجمهور: يجب عليه الهدي ولا قضاء عليه.

وعند أبي حنيفة: عكسه.

---

(١) أخرجه البخاري كتاب المغازي باب (٤٦) رقم الحديث (٤٢٦٩).

(٢) انظر المنتظم ٣/٣٠٣ والمغازي للواقدي ٢/٧٢٧ وطبقات ابن سعد ٢/٩١ والكامل في التاريخ ٢/١٠٦.

(٣) انظر البداية والنهاية ٤/٢٢٦ وطبقات ابن سعد ٢/٩٢ ومغازي الواقدي ٢/٧٣١ والكامل في التاريخ ٢/١٠٦.

وعن أحمد رواية أنه لا يلزمه هدي ولا قضاء. وأخرى: يلزمه القضاء والهدي.

فحجة الجمهور: قوله تعالى: ﴿**فإن أحصرتم فما استيسر من الهدي**﴾ [البقرة: ١٩٦].

وحجة أبي حنيفة: أن العمرة تلزم بالشروع، فإذا أحصر جاز له تأخيرها، فإذا زال الحصر أتى بها، ولا يلزم من التحلل بين الإحرامين سقوط القضاء.

وحجة من أوجبها: ما وقع للصحابة، فإنهم نحروا الهدي حيث صدوا واعتمروا من قابل وساقوا الهدي.

وحجة من لم يوجبها: أن تحللهم بالحصر لم يتوقف على نحر الهدي، بل أمر من معه هدي أن ينحر، ومن ليس معه هدي أن يحلق.

قال الحاكم في الإكليل: تواترت الأخبار أنه ﷺ لما هلَّ ذو القعدة ـ يعني سنة سبع ـ أمر أصحابه أن يعتمروا قضاء لعمرتهم التي صدهم المشركون عنها بالحديبية، وأن لا يتخلف أحد ممن شهد الحديبية، فلم يتخلف منهم إلا رجال استشهدوا بخيبر ورجال ماتوا.

وخرج معه ﷺ من المسلمين ألفان، واستخلف على المدينة أبا رهم الغفاري، وساق ﷺ ستين بدنة، وحمل السلاح والبيض والدرع والرماح، وقاد مائة فرس، فلما انتهى إلى ذي الحليفة قدم الخيل أمامه، عليها محمد بن مسلمة، وقدم السلاح واستعمل عليه بشير بن سعد.

وأحرم ﷺ ولبى، والمسلمون يلبون معه، ومضى محمد بن مسلمة في الخيل إلى مر الظهران، فوجد بها نفراً من قريش، فسألوه فقال: هذا رسول الله ﷺ يصبح هذا المنزل غداً إن شاء الله تعالى. فأتوا قريشاً فأخبروهم ففزعوا.

ونزل رسول الله ﷺ بمر الظهران وقدم السلاح إلى بطن يأجج ـ كيسمع وينصر ويضرب ـ موضع بمكة، حيث ينظر إلى أنصاب الحرم، وخلف عليه أوس بن خولى الأنصاري في مائتي رجل.

وخرجت قريش من مكة إلى رؤوس الجبال.

وقدم رسول الله ﷺ الهدي أمامه، فحبس بذي طوى، وخرج رسول الله ﷺ على راحلته القصواء، والمسلمون متوشحون السيوف محدقون برسول الله ﷺ يلبون، فدخل من الثنية التي تطلعه على الحجون، وابن رواحة آخذ بزمام راحلته.

وفي رواية الترمذي في الشمائل، من حديث أنس أنه ﷺ دخل مكة في عمرة القضاء وابن رواحة يمشي بين يديه وهو يقول:

خلـوا بنـي الكفـار عـن سبيلـه اليـوم نضـربكـم علـى تنـزيلـه
ضـربـاً يـزيـل الهـام عـن مقيلـه ويـذهـل الخليـل عـن خليلـه

فقال له عمر: يا ابن رواحة بين يدي رسول الله ﷺ تقول شعراً؟ فقال ﷺ: «**خل عنه يا عمر، فلهي أسرع فيهم من نضح النبل**»(1).

ورواه عبد الرزاق من حديث أنس أيضاً من وجهين بلفظ

خلـوا بنـي الكفـار عـن سبيلـه قـد أنـزل الـرحمـن فـي تنـزيلـه
بـأن خيـر القتـل فـي سبيلـه نحـن قتلنـاكـم علـى تـأويلـه
كما قتلناكم على تنزيله

وأخرجه الطبراني والبيهقي في الدلائل وفيه:

اليـوم نضـربكـم علـى تنـزيلـه ضـربـاً يـزيـل الهـام عـن مقيلـه
ويـذهـل الخليـل عـن خليلـه يـا رب إنـي مـؤمـن بقيلـه

وعن ابن عقبة في المغازي بعد قوله:

قـد أنـزل الـرحمـن فـي تنـزيلـه فـي صحـف تتلـى علـى رسـولـه

لكنه لم يذكر أنساً، وزاد ابن إسحاق بعد قوله:

يـا رب إنـي مـؤمـن بقيلـه إنـي رأيـت الحـق فـي قبـولـه

وقال ابن هشام: إن قوله:

نحن ضربناكم على تأويله

إلى آخر الشعر من قول عمار بن ياسر قاله يوم صفين.

قالوا: ولم يزل رسول الله ﷺ يلبي حتى استلم الركن بمحجنه مضطبعاً بثوبه وطاف على راحلته، والمسلمون يطوفون معه وقد اضطبعوا بثيابهم.

وفي البخاري، عن ابن عباس (... قال المشركون: إنه يقدم عليكم وقد وهنتهم

---

(1) أخرجه الترمذي. كتاب الأدب باب (70) رقم الحديث (2847) والنسائي. كتاب الحج باب (108). وشرح السنة للبغوي 12/ 375 وتفسير القرطبي 7/ 394. وفي حلية الأولياء 6/ 292، والسلسلة الصحيحة للألباني (593) وفي البخاري رقم الحديث (4251).

حمى يثرب. فأمرهم النبي ﷺ أن يرملوا الأشواط الثلاثة، وأن يمشوا ما بين الركنين، ولم يمنعهم أن يرملوا الأشواط كلها إلا الإبقاء عليهم)[1].

وفي رواية: (قال: ارملوا ليرى المشركون قوتكم والمشركون من قبل قعيقعان)[2].

ومعنى قوله: «إلا الإبقاء عليهم» أي لم يمنعه من أمرهم بالرمل في جميع الطوفات إلا الرفق بهم، والإشفاق عليهم.

ثم طاف رسول الله ﷺ بين الصفا والمروة على راحلته، فلما كان الطواف السابع عند فراغه ـ وقد وقف الهدي عند المروة ـ قال: هذا المنحر، وكل فجاج مكة منحر.

فنحر عند المروة. وحلق هناك، وكذلك فعل المسلمون.

وأمر رسول الله ﷺ ناساً منهم أن يذهبوا إلى أصحابهم ببطن يأجج، فيقيموا على السلاح، ويأتي الآخرون فيقضوا نسكهم ففعلوا.

وأقام رسول الله ﷺ بمكة ثلاثاً.

وفي البخاري من حديث البراء (.. فلما دخلها ـ يعني مكة ـ ومضى الأجل، أتوا علياً فقالوا: قل لصاحبك اخرج عنا فقد مضى الأجل).

(فخرج النبي ﷺ فتبعته ابنة حمزة تنادي: يا عم يا عم، فتناولها علي فأخذ بيدها وقال لفاطمة دونك ابنة عمك، فحملتها، فاختصم فيها علي وزيد وجعفر، قال علي: أنا أخذتها وهي بنت عمي. وقال جعفر: ابنة عمي وخالتها تحتي، وقال زيد ابنة أخي فقضى بها النبي ﷺ لخالتها وقال: «الخالة بمنزلة الأم»[3]) الحديث.

وإنما أقرهم النبي ﷺ على أخذها مع اشتراط المشركين أن لا يخرج بأحد من أهلها أراد الخروج، لأنهم لم يطلبوها.

وقوله: «الخالة بمنزلة الأم» أي في هذا الحكم الخاص، لأنها تقرب منها في الحنو والشفقة والاهتداء إلى ما يصلح الولد. ويؤخذ منه أن الخالة في الحضانة مقدمة على

---

(١) أخرجه البخاري كتاب المغازي باب (٤٤) رقم الحديث (٤٢٥٦). وفي دلائل النبوة للبيهقي ٤/ ٣٢٥.

(٢) أخرجه الامام أحمد بن حنبل في المسند ١/ ٣٧٣. وفي البخاري رقم الحديث (٤٢٥٦). وفي دلائل النبوة للبيهقي ٤/ ٣٢٦.

(٣) أخرجه البخاري كتاب المغازي باب (٤٤) رقم الحديث (٤٢٥١).

العمة، لأن صفية بنت عبد المطلب كانت موجودة حينئذ، وإذا قدمت على العمة مع كونها أقرب العصبات من النساء، فهي مقدمة على غيرها. ويؤخذ منها تقديم أقارب الأم على أقارب الأب انتهى[1].

قال ابن عباس: وتزوج ﷺ ميمونة وهو محرم وبنى بها وهو حلال[2].

وقد استدرك ذلك على ابن عباس وعد من وهمه، قال سعيد بن المسيب: وهِل ابن عباس وإن كانت خالته، ما تزوجها ﷺ إلا بعدما حل. ذكره البخاري.

و «وهل» بكسر الهاء أي غلط.

وقال يزيد بن الأصم عن ميمونة: تزوجني رسول الله ﷺ ونحن حلالان بسرف. رواه مسلم.

وسيأتي في الخصائص من مقصد معجزاته إن شاء الله تعالى: أن له ﷺ النكاح في حال الإحرام على أصح الوجهين عند الشافعية.

ثم سرية ابن أبي العوجاء السلمي[3] إلى بني سليم، في ذي الحجة سنة سبع، في خمسين رجلاً، فأحدق بهم الكفار من كل ناحية، وقاتل القوم قتالاً شديداً، حتى قتل عامتهم وأصيب ابن أبي العوجاء جريحاً مع القتلى، ثم تحامل حتى بلغ رسول الله ﷺ في أول صفر سنة ثمان.

ثم سرية غالب بن عبد الله الليثي[4] إلى بني الملوح ـ بالحاء المهملة ـ بالكديد ـ بفتح الكاف ـ قال في القاموس: الكديد بفتح الكاف ماء بين الحرمين شرفهما الله تعالى. والبطن الواسع من الأرض الغليظة، كالكدة بالكسر، ويوم الكديد معروف.

في صفر سنة ثمان من مهاجره، فغنم.

وفي هذا الشهر قدم خالد بن الوليد وعثمان بن أبي طلحة وعمرو بن العاصي المدينة فأسلموا. وقال ابن أبي خيثمة: كان ذلك سنة خمس، وقال الحاكم: سنة سبع.

ثم سرية غالب[5] أيضاً إلى مصاب أصحاب بشير بن سعد بفدك في صفر سنة ثمان، ومعه مائتا رجل، فأغاروا عليهم مع الصبح وقتلوا منهم قتلى وأصابوا نعماً.

---

(١) انظر فتح الباري ٧/ ٦٤٥.

(٢) أخرجه البخاري كتاب المغازي باب (٤٤) رقم الحديث (٤٢٥٨).

(٣) انظر المنتظم ٣/ ٣٠٦ وطبقات ابن سعد ٢/ ٩٤.

(٤) انظر المنتظم ٣/ ٣١٤ وطبقات ابن سعد ٢/ ٩٤ ومغازي الواقدي ٢/ ٧٥٠.

(٥) انظر المنتظم ٣/ ٣١٥ وطبقات ابن سعد ٢/ ٩٦.

ثم سرية شجاع بن وهب الأسدي[1] إلى بني عامر، بالسيء؛ ماء من ذات عرق إلى وجرة على ثلاث مراحل من مكة إلى البصرة، وخمس مراحل من المدينة.

في شهر ربيع الأول سنة ثمان، ومعه أربعة وعشرون رجلاً إلى جمع من هوازن، وأمره أن يغير عليهم فكان يسير الليل ويكمن النهار حتى صبحهم، فأصابوا نعماً وشاء واستاقوا ذلك حتى قدموا المدينة، وكانت غيبتهم خمس عشرة ليلة، واقتسموا الغنيمة وكانت سهامهم خمسة عشر بعيراً وعدلوا البعير بعشر من الغنم.

ثم سرية كعب بن عمير الغفاري[2] إلى ذات أطلاح، وراء ذات القرى، في ربيع الأول سنة ثمان، في خمسة عشر رجلاً، فساروا حتى انتهوا إلى ذات أطلاح، فوجدوا جمعاً كثيراً فقاتلهم الصحابة أشد القتال حتى قتلوا، وأفلت منهم رجل جريح في القتلى. قال مغلطاي: قيل هو الأمير. فلما برد عليه الليل تحامل حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر، فشق ذلك عليه، وهم بالبعث إليه فبلغه أنهم ساروا إلى موضع آخر فتركهم.

غزوة مؤتة [3]

ثم سرية مؤتة ـ بضم الميم وسكون الواو ـ بغير همز لأكثر الرواة، وبه جزم المبرد، وجزم ثعلب والجوهري وابن فارس بالهمز، وحكى غيرهم الوجهين.

وهي من عمل البلقاء بالشام، دون دمشق. في جمادى الأولى سنة ثمان.

وذلك أن رسول الله ﷺ كان أرسل الحارث بن عمير الأزدي بكتاب إلى ملك بصرى، فلما نزل مؤتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني فقتله، ولم يقتل لرسول الله ﷺ رسول غيره.

فأمر ﷺ زيد بن حارثة على ثلاثة آلاف وقال: إن قتل فجعفر بـن أبي طالب فإن قتل فعبد الله بن رواحة فإن قتل فليرتض المسلمون برجل من بينهم يجعلونه عليهم.

وفي حديث عبد الله بن جعفر عند أحمد والنسائي. بإسناد صحيح «**إن قتل زيد فأميركم جعفر**»[4] الحديث.

---

(١) انظر المنتظم ٣/٣١٦ وطبقات ابن سعد ٢/٩٦.

(٢) انظر المنتظم ٣/٣١٦ وطبقات ابن سعد ٢/٩٧.

(٣) انظر السيرة النبوية لإبن هشام ٤/١٥. والمنتظم ٣/٣١٨ وطبقات ابن سعد ٢/٩٧. والكامل في التاريخ ٢/١١٢ ومغازي الواقدي ٢/ ٧٥٥ والبداية والنهاية ٤/ ٢٤١.

(٤) أخرجه أحمد بن حنبل في المسند ١/ ٢٠٤. وفي صحيح البخاري كتاب المغازي باب (٤٥) رقم الحديث (٤٢٦١). وفي طبقات ابن سعد ٢/٩٨. والسنن الكبرى للبيهقي ٨/ ١٥٤. وفي دلائل=

قالوا: وعقد لهم ﷺ لواء أبيض، ودفعه إلى زيد بن حارثة، وأوصاهم أن يأتوا مقتل الحارث بن عمير، وأن يدعوا من هنالك إلى الإسلام، فإن أجابوا وإلا استعينوا عليهم بالله وقاتلوهم.

وخرج مشيعاً لهم، حتى إذا بلغ ثنية الوداع فوقف وودعهم، فلما ساروا نادى المسلمون: دفع الله عنكم وردكم صالحين غانمين، فقال ابن رواحة:

لكنني أسأل الرحمن مغفرة   وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا

فلما فصلوا من المدينة سمع العدو بمسيرهم، فجمعوا لهم، وقام شرحبيل بن عمرو فجمع أكثر من مائة ألف، وقدم الطلائع أمامه.

وقد نزل المسلمون معان ـ بفتح الميم ـ موضع من أرض الشام، وبلغ الناس كثرة العدو وتجمعهم، وأن هرقل نزل بأرض البلقاء في مائة ألف من المشركين. فأقاموا ليلتين لينظروا في أمرهم وقالوا: نكتب إلى رسول الله ﷺ فنخبره الخبر، فشجعهم عبد الله بن رواحة على المضي، فمضوا إلى مؤتة.

ووافاهم المشركون فجاء منهم ما لا قبل لأحد به من العدد والعدد والسلاح والكراع والديباج والحرير والذهب.

والتقى المسلمون والمشركون. فقاتل الأمراء يومئذ على أرجلهم، فأخذ اللواء زيد بن حارثة فقاتل وقاتل المسلمون معه على صفوفهم حتى قتل طعناً بالرماح.

ثم أخذ اللواء جعفر بن أبي طالب، فنزل عن فرس له شقراء وقاتل حتى قتل، ضربه رجل من الروم فقطعه نصفين، فوجد في أحد نصفيه بضعة وثمانون جرحاً وفيما أقبل من بدنه اثنتان وسبعون ضربة بسيف وطعنة برمح.

قال في رواية البخاري: ووجدنا ما في جسده بضعاً وتسعين من طعنة ورمية[1].

وفي رواية: أن ابن عمر وقف على جعفر يومئذ وهو قتيل قال: فعددت به خمسين بين طعنة وضربة ليس منها شيء في دبره.

وذكر ابن إسحاق بإسناد حسن، وهو عند أبي داود من طريقه عن رجل من مرة قال: والله لكأني أنظر إلى جعفر بن أبي طالب، حين اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها ثم تقدم فقاتل حتى قتل[2].

= النبوة للبيهقي ٤/ ٣٦١. وفي إرواء الغليل للألباني ٥/ ٢٨٤ وفي كنز العمال (٣٠٢٤٦).

(١) أخرجه البخاري كتاب المغازي باب (٤٥) رقم الحديث (٤٢٦١).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد باب (٥٩) رقم الحديث (٢٥٧٣). وفي صحيح البخاري. كتاب=

قالوا: ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة فقاتل حتى قتل.

فأخذ اللواء ابن أقرم العجلاني، إلى أن اصطلح الناس على خالد بن الوليد، فأخذ اللواء، وانكشف الناس فكانت الهزيمة فتبعهم المشركون فقتل من قتل من المسلمين.

وقال الحاكم: قاتلهم خالد بن الوليد فقتل منهم مقتلة عظيمة وأصاب غنيمة.

وقال ابن سعد: إنما انهزم بالمسلمين.

وقال ابن إسحاق: انحازت كل طائفة من غير هزيمة.

ورفعت الأرض لرسول الله ﷺ حتى نظر إلى معترك القوم.

وعن عباد بن عبد الله بن الزبير قال: حدثني أبي الذي أرضعني ـ وكان أحد بنيَ مرة قال: شهدت مؤتة مع جعفر بن أبي طالب وأصحابه، فرأيت جعفراً حين التحم القتال اقتحم عن فرس له شقراء ثم عقرها وقاتل القوم حتى قتل، خرجه البغوي في معجمه.

وقطعت في تلك الوقعة يداه جميعاً ثم قتل، فقال رسول الله ﷺ: «**إن الله أبدله بيديه جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء**»، أخرجه أبو عمر.

وفي البخاري عن عائشة رضي الله عنها: لما جاء قتل ابن رواحة وابن حارثة وجعفر بن أبي طالب جلس رسول الله ﷺ يعرف فيه الحزن[1].

وأخرج الطبراني بإسناد حسن عن عبد الله بن جعفر قال قال لي رسول الله ﷺ: «**هنيئاً لك أبوك يطير مع الملائكة في السماء**»[2].

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: رأيت جعفر بن أبي طالب يطير مع الملائكة، أخرجه الترمذي والحاكم[3] وفي إسناده ضعف، لكن له شاهد من حديث علي عند ابن سعد.

وعن أبي هريرة أيضاً عن النبي ﷺ قال: مر بي جعفر الليلة في ملأ من الملائكة

= المغازي باب (٤٥) رقم الحديث (٤٢٦٠). وفي مجمع الزوائد للهيثمي ٦/ ١٥٩. والسنن الكبرى للبيهقي ٩/٨٧ وفي حلية الأولياء ١/ ١١٨.

(١) أخرجه البخاري. كتاب المغازي باب (٤٥) رقم الحديث (٤٢٦٣).

(٢) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٩٧٣. وفي الترغيب والترهيب للمنذري ٢/ ٣١٥ وفي فتح الباري ٧/ ٩٦.

(٣) أخرجه الترمذي. كتاب المناقب باب (٢٩) رقم الحديث (٣٧٦٣). وفي فتح الباري ٧/ ٩٦ والمعجم الكبير للطبراني ١١/ ٣٩٦ ومشكاة المصابيح للتبريزي (٦١٥٣) وفي المستدرك للحاكم ٣/ ٢٠٩ والسلسلة الصحيحة للألباني (١٢٢٦) وكنز العمال (٣٣١٨٩ ـ ٣٣٢٠٥).

وهو مخضب الجناحين بالدم[1]، أخرجه الترمذي والحاكم بإسناد على شرط مسلم.

وأخرج أيضاً هو والطبراني عن ابن عباس مرفوعاً: دخلت البارحة الجنة فرأيت فيها جعفر بن أبي طالب يطير مع الملائكة.

وفي طريق أخرى عنه: إن جعفراً يطير مع جبريل وميكائيل له جناحان، عوضه الله من يديه[2]. وإسناد هذا جيد.

فقد عوضه الله تعالى عن قطع يديه في هذه الوقعة، حيث أخذ اللواء بيمينه فقطعت ثم أخذه بشماله فقطعت ثم احتضنه فقتل.

قال السهيلي: له جناحان، ليسا كما يسبق إلى الوهم كجناحي الطائر وريشه، لأن الصورة الآدمية أشرف الصور وأكملها، فالمراد بالجناحين صفة ملكية وقوة روحانية أعطيها جعفر. وقد عبر القرآن عن العضد بالجناح توسعاً في قوله تعالى: ﴿**واضمم يدك إلى جناحك**﴾ [طه: ٢٢]. وقال العلماء في أجنحة الملائكة إنها صفات ملكية لا تفهم إلا بالمعاينة، فقد ثبت أن لجبريل ستمائة جناح، ولا يعهد للطير ثلاثة أجنحة فضلاً عن أكثر من ذلك، وإذا لم يثبت خبر في بيان كيفيتها فنؤمن بها من غير بحث عن حقيقتها. انتهى[3].

قال الحافظ ابن حجر: وهذا الذي جزم به في مقام المنع، والذي حكاه عن العلماء ليس صريحاً في الدلالة لما ادعاه.

ولا مانع من الحمل على الظاهر، إلا من جهة ما ذكره من المعهود، وهو قياس الغائب على الشاهد وهو ضعيف.

وكون الصورة البشرية أشرف الصور لا يمنع من حمل الخبر على ظاهره، لأن الصورة باقية. وقد روى البيهقي في الدلائل من مرسل عاصم بن عمر بن قتادة: أن جناحي جعفر من ياقوت. وجاء في جناحي جبريل أنهما من لؤلؤ. أخرجه ابن منده في ترجمة ورقة.

وذكر موسى بن عقبة في المغازي، أن يعلى بن أمية قدم بخبر أهل مؤتة، فقال له رسول الله ﷺ «**إن شئت فأخبرني وإن شئت أخبرتك**» قال: أخبرني، فأخبره خبرهم

(١) ذكره في فتح الباري ٧/ ٩٦ وفي المستدرك للحاكم ٣/ ٢١٢. في السلسلة الصحيحة للألباني ٣/ ٢٢٨. وفي طبقات ابن سعد ٢/ ٩٩. وفي كنز العمال (٣٣٢٠٧).

(٢) انظر المصدر السابق.

(٣) انظر فتح الباري ٧/ ٦٥٦.

فقال: والذي بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفاً لم تذكره[1].

وعند الطبراني من حديث أبي اليسر الأنصاري: أن أبا عامر الأشعري هو الذي أخبر النبي ﷺ بمصابهم.

ثم سرية عمرو بن العاصي[2] إلى ذات السلاسل. وسميت بذلك لأن المشركين ارتبط بعضهم إلى بعض مخافة أن يفروا. وقيل لأن بها ماء يقال له السلسل، وراء ذات القرى، من المدينة على عشرة أيام.

وكانت في جمادى الآخرة سنة ثمان، وقيل: كانت سنة سبع، وبه جزم ابن أبي خالد في كتاب صحيح التاريخ . ونقل ابن عساكر الاتفاق على أنها كانت بعد غزوة مؤتة، إلا أن ابن إسحاق قال قبلها.

وسببها: أنه بلغه ﷺ أن جمعاً من قضاعة قد تجمعوا للإغارة، فعقد له لواء أبيض وجعل معه راية سوداء، وبعثه في ثلاثمائة من سراة المهاجرين والأنصار. ومعهم ثلاثون فرساً.

فسار الليل وكمن النهار، فلما قرب منهم بلغه أن لهم جمعاً كثيراً، فبعث رافع بن مكيث ـ بفتح الميم ـ الجهني إلى رسول الله ﷺ يستمده، فبعث إليه أبا عبيدة بن الجراح، وعقد له لواء، وبعث معه مائتين من سراة المهاجرين والأنصار فيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهم، وأمره أن يلحق بعمرو، وأن يكونا جميعاً ولا يختلفا.

فأراد أبو عبيدة أن يؤم الناس فقال عمرو: إنما قدمت علي مدداً، وأنا الأمير، فأطاع له بذلك أبو عبيدة، فكان عمرو يصلي بالناس.

وسار حتى وصل إلى العدو: بلي وعذرة، فحمل عليهم المسلمون، فهربوا في البلاد وتفرقوا.

ثم سرية أبي عبيدة بن الجراح[3]. وسماها البخاري: غزوة سيف البحر، وتعرف بسرية الخبط.

وبعث معه ﷺ ثلاثمائة، كما في الصحيحين وغيرهما وهو المشهور، لكن في رواية النسائي: وبضع عشرة، فإن صحت هذه الرواية فلعله اقتصر في الرواية المشهورة

---

(١) انظر فتح الباري ٧/ ٦٥٣. وفي تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ١/ ٩٧.

(٢) انظر المنتظم ٣/ ٣٢١. وطبقات ابن سعد ٢/ ٩٩ والبداية والنهاية ٤/ ٢٧٢ والكامل في التاريخ ٢/ ١١٠.

(٣) انظر المنتظم ٣/ ٣٢٢ وطبقات ابن سعد ٢/ ١٠٠ والبداية والنهاية ٤/ ٢٧٥ والسيرة النبوية لابن هشام ٤/ ٢٨١. والكامل في التاريخ ٢/ ١١٠.

على الثلاثمائة استسهالاً لأمر الكسر، والأخذ بالزيادة مع صحتها واجب.

وكان فيهم عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه.

يتلقى عيراً لقريش. رواه مسلم، وعنده أيضاً: إلى أرض جهينة.

ولا منافاة بينهما: فالجهة أرض جهينة، والقصد تلقي عير قريش - وهي الإبل المحملة للطعام وغيره -.

لكن في كتب السير: أن البعث إلى حي من جهينة بالقبلية - بفتح القاف والموحدة - مما يلي ساحل البحر، وبينها وين المدينة خمس ليال.

ولعل البعث لمقصدين: رصد عير قريش، ومحاربة حي من جهينة.

وقال ابن سعد: وكانت في رجب سنة ثمان.

وفيه نظر: فإن تلقي عير قريش ما يتصور أن يكون في هذه المدة، لأنهم حينئذ كانوا في الهدنة، فالصحيح أن تكون هذه السرية سنة ست أو قبلها، قبل هدنة الحديبية.

نعم يحتمل أن يكون تلقيهم العير ليس لمحاربتهم بل لحفظهم من جهينة، ولهذا لم يقع في شيء من طرق الخبر أنهم قاتلوا أحداً. بل فيه أنهم أقاموا نصف شهر أو أكثر في مكان واحد. فالله أعلم. قاله الحافظ ابن حجر.

لكن قال شيخ الإسلام ابن العراقي في شرح التقريب، قالوا: وكانت هذه السرية في شهر رجب سنة ثمان من الهجرة وذلك بعد نكث قريش العهد وقبل الفتح، فإنه كان في رمضان من السنة المذكورة انتهى.

قالوا وزودهم ﷺ جراباً من التمر، فلما فني أكلوا الخبط[1] - وهو بفتح المعجمة والموحدة بعدها مهملة - ورق السلم. وفي رواية أبي الزبير: وكنا نضرب بعصينا الخبط ونبله بالماء فنأكله، وهذا يدل على أنه كان يابساً، خلافاً لمن زعم أنه كان أخضر رطباً.

وقد كان معهم تمر غير الجراب النبوي، ويدل عليه حديث البخاري - في الجهاد - خرجنا ونحن ثلاثمائة نحمل زادنا على رقابنا في زادنا، حتى كان الرجل منا يأكل تمرة تمرة[2].

وابتاع قيس بن سعد جزوراً ونحرها لهم[3].

(١) أخرجه مسلم رقم الحديث (١٩٣٥).

(٢) أخرجه البخاري كتاب الجهاد والسير باب (١٢٤) رقم الحديث (٢٩٨٣).

(٣) أخرجه البخاري كتاب المغازي باب (٦٦) رقم الحديث (٤٣٦١).

وأخرج الله لهم من البحر دابة تسمى العنبر فأكلوا منها وتزودوا ورجعوا ولم يلقوا كيداً.

وفي رواية جابر عند الأئمة الستة: بعثنا رسول الله ﷺ ثلاثمائة راكب، أميرنا أبو عبيدة بن الجراح، فأقمنا على الساحل حتى فني زادنا، حتى أكلنا الخبط ثم إن البحر ألقى لنا دابة يقال لها العنبر، فأكلنا منها نصف شهر، حتى صلحت أجسامنا، فأخذ أبو عبيدة ضلعاً من أضلاعها فنصبه ونظر إلى أطول بعير فجاز تحته[1] الحديث.

زاد الشيخان في رواية: فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله ﷺ فذكرنا ذلك له فقال: «**هو رزق أخرجه الله لكم، فهل معكم شيء من لحمه فتطعمونا؟**» قال: فأرسلنا إلى رسول الله ﷺ منه فأكل[2].

ثم سرية أبي قتادة بن ربعي الأنصاري[3] إلى خضرة، وهي أرض محارب بنجد، في شعبان سنة ثمان، وبعث معه خمسة عشر رجلاً إلى غطفان، فقتل من أشرف منهم، وسبى سبياً كثيراً، واستاق النعم، وكانت الإبل مائتي بعير، والغنم ألفي شاة، وكانت غيبته خمس عشرة ليلة.

ثم سرية أبي قتادة أيضاً[4] إلى بطن أضم ـ فيما بين ذي خشب وذي المروة ـ على ثلاثة برد من المدينة، في أول شهر رمضان سنة ثمان.

وذلك أنه ﷺ لما هم أن يغزو أهل مكة، بعث أبا قتادة في ثمانية نفر، سرية إلى بطن أضم، ليظن ظان أنه ﷺ توجه إلى تلك الناحية، ولأن تذهب بذلك الأخبار.

فلقوا عامر بن الأضبط، فسلم عليهم بتحية الإسلام، فقتله محلم بن جثامة، فأنزل الله تعالى: ﴿**ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً**﴾ [النساء: ٩٤] إلى آخر الآية رواه أحمد ، وهو عند ابن جرير من حديث ابن عمر بنحوه وزاد : فجاء محلم بن جثامة في بردين فجلس بين يدي رسول الله ﷺ ليستغفر له، فقال رسول الله ﷺ: لا غفر الله لك، فقام يتلقى دموعه ببرديه، فما مضت له سابعة حتى مات فلفظته الأرض. وعند غيره: ثم عادوا به فلفظته الأرض، فلما غلب قومه عمدوا إلى صدين فسطحوه ثم رضموا عليه الحجارة حتى واروه.

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الصيد رقم الحديث (١٨).

(٢) أخرجه البخاري كتاب المغازي باب (٦٦) رقم الحديث (٤٣٦٢) ومسلم رقم الحديث (١٩٣٥).

(٣) انظر المنتظم ٣/ ٣٢٣ وطبقات ابن سعد ٢/ ١٠٠ ومغازي الواقدي ٢/ ٧٧٧.

(٤) انظر الكامل في التاريخ ٢/ ١١١. والمنتظم ٣/ ٣٢٣ وطبقات ابن سعد ٢/ ١٠١ والسيرة لابن هشام ٤/ ٢٧٥.

وفي رواية ابن جرير: فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال: إن الأرض تقبل من هو شر من صاحبكم، ولكن الله يريد أن يعظكم.

ونسب ابن إسحاق هذه السرية لابن أبي حدرد ومعه رجلان إلى الغابة، لما بلغه ﷺ أن رفاعة بن قيس يجمع لحربه، فقتلوا رفاعة وهزموا عسكره، وغنموا غنيمة عظيمة، حكاه مغلطاي والله أعلم.

ثم فتح مكة[1] زادها الله شرفاً. وهو كما قال في زاد المعاد:

«الفتح الأعظم، الذي أعز الله به دينه ورسوله وجنده وحرمه الأمين، واستنقذ به بلده وبيته الذي جعله هدى للعالمين من أيدي الكفار والمشركين، وهو الفتح الذي استبشر به أهل السماء، وضربت أطناب عزه على مناكب الجوزاء، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، وأشرق به وجه الأرض ضياء وابتهاجاً».

خرج له ﷺ بكتائب الإسلام وجنود الرحمن لنقض قريش العهد الذي وقع بالحديبية. فإنه كان قد وقع الشرط: أنه من أحب أن يدخل في عقد رسول الله ﷺ وعهده فعل، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم فعل. فدخلت بنو بكر في عقد قريش وعهدهم، ودخلت خزاعة في عقد رسول الله ﷺ وعهده.

وكان بين بني بكر وخزاعة حروب وقتلى في الجاهلية، فتشاغلوا عن ذلك لما ظهر الإسلام، فلما كانت الهدنة خرج نوفل بن معاوية الديلي من بني بكر في بني الديل حتى بيت خزاعة وهم على ماء لهم يقال له الوتير. فأصاب منهم رجلاً يقال له منبه، واستيقظت لهم خزاعة فاقتتلوا إلى أن دخلوا الحرم ولم يتركوا القتال.

وأمدت قريش بني بكر بالسلاح، وقاتل بعضهم معهم ليلاً في خفية.

وخرج عمرو بن سالم الخزاعي في أربعين راكباً من خزاعة، فقدموا على رسول الله ﷺ يخبرونه بالذي أصابهم ويستنصرونه. فقام وهو يجر رداءه وهو يقول: «لا نصرت إن لم أنصركم بما أنصر منه نفسي»[2].

وفي المعجم الصغير للطبراني، من حديث ميمونة أنها سمعته ﷺ يقول في متوضئه ليلاً: «**لبيك لبيك ثلاثاً، نصرت نصرت ثلاثاً**»، فلما خرج قلت: يا رسول الله سمعتك تقول في متوضئك: لبيك لبيك ثلاثاً، نصرت نصرت ثلاثاً، كأنك تكلم إنساناً، فهل كان

---

(١) انظر السيرة لابن هشام ٤/ ٣١ والمنتظم ٣/ ٣٢٤ والبداية والنهاية ٤/ ٢٧٧ والمغازي للواقدي ٢/ ٧٨٠ وطبقات ابن سعد ٢/ ١٠٢ والكامل في التاريخ ٢/ ١١٦ ودلائل النبوة للبيهقي ٥/ ١٩.

(٢) ذكر نحوه في مجمع الزوائد للهيثمي ٦/ ١٦١ والمطالب العالية لابن حجر (٤٣٥٦).

معك أحد؟ فقال: ﷺ: «**هذا راجز بني كعب يستصرخني ويزعم أن قريشاً أعانت عليهم بني بكر**».

ثم خرج عليه السلام فأمر عائشة أن تجهزه ولا تعلم أحداً. قالت: فدخل عليها أبو بكر فقال: يا بنية، ما هذا الجهاز؟ فقالت: والله ما أدري، فقال: والله ما هذا زمان غزو بني الأصفر، فأين يريد رسول الله ﷺ؟ قالت: والله لا علم لي. قالت فأقمنا ثلاثاً ثم صلى الصبح بالناس فسمعت الراجز ينشده:

يـــا رب إنـــي نـــاشـــد محمـــداً	حلـــف أبينـــا وأبيـــه الأتلـــدا
أن قـــريشـــاً أخلفـــوك المـــوعـــدا	ونقضـــوا ميثـــاقـــك المـــؤكـــدا
وزعمـــوا أن لســـت تـــدعـــو أحـــداً	فـــانصـــر هـــداك الله نصـــراً أبـــدا
وادع عبـــاد الله يـــأتـــوا مـــدداً	فيهـــم رســـول الله قـــد تجـــردا

إن سيم خسفاً وجهه تربدا

قال في القاموس: وتربد ـ يعني بالراء ـ تغير[1]. انتهى. وزاد ابن إسحاق:

هـــم بيتـــونـــا بـــالـــوتيـــر هجـــدا	وقتلـــونـــا ركعـــاً وسجـــدا
وزعمـــوا أن لســـت أدعـــو أحـــداً	وهـــم أذل وأقـــل عـــددا

فقال له رسول الله ﷺ: «**نصرت يا عمرو بن سالم**»[2].

فكان ذلك ما هاج فتح مكة. وقد ذكر البزار من حديث أبي هريرة بعض الأبيات المذكورة.

وقدم أبو سفيان بن حرب على رسول الله ﷺ المدينة يسأله أن يجدد العهد ويزيد في المدة. فأبى عليه، فانصرف إلى مكة.

فتجهز رسول الله ﷺ من غير إعلام أحد بذلك.

فكتب حاطب كتاباً وأرسله إلى مكة يخبر بذلك. فأطلع الله نبيه على ذلك.

فقال عليه السلام لعلي بن أبي طالب والزبير والمقداد: «**انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة معها كتاب، فخذوه منها**». قال فانطلقنا.. حتى أتينا الروضة، فإذا نحن بالظعينة، قلنا: أخرجي الكتاب، قالت: ما معي كتاب. قلنا لتخرجن الكتاب أو

---

(١) انظر القاموس المحيط ١/ ٣٠٤ مادة (ربد).

(٢) ذكره البيهقي في السنن الكبرى ٩/ ٢٣٤ وفي دلائل النبوة أيضاً ٥/ ٧ وفي الدر المنثور ٣/ ٢١٥ وكنز العمال (٣٠١٦٦).

لنلقين الثياب. قال: فأخرجته من عقاصها، فأتينا به رسول الله ﷺ. فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس من المشركين بمكة، يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ. فقال: «**يا حاطب، ما هذا؟**». قال: يا رسول الله لا تعجل علي، إني كنت امرءاً ملصقاً في قريش ـ يقول: كنت حليفاً ولم أكن من أنفسها ـ وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون أهليهم وأموالهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن اتخذ عندهم يداً يحمون بها قرابتي، ولم أفعله ارتداداً عن ديني ولا رضى بالكفر بعد الإسلام. فقال رسول الله ﷺ: «**أما إنه قد صدقكم**». فقال عمر: يا رسول الله، دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال: «**إنه قد شهد بدراً، وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدراً فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**» فأنزل الله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة**﴾ إلى قوله: ﴿**فقد ضل سواء السبيل**﴾(1) [الممتحنة: ١]. رواه البخاري.

قال في فتح الباري: وإنما قال عمر رضي الله عنه: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق مع تصديق رسول الله ﷺ لحاطب فيما اعتذر به، لما كان عند عمر من القوة في الدين وبغض المنافقين، فظن أن من خالف ما أمر به النبي ﷺ استحق القتل. لكنه لم يجزم بذلك، فلذلك استأذن في قتله. وأطلق عليه منافقاً لكونه أبطن خلاف ما أظهر. وعذر حاطب ما ذكره، فإنه صنع ذلك متأولاً أن لا ضرر فيه.

وعند الطبري أيضاً: عن عروة: فإني غافر لكم. وهذا يدل على أن المراد: بـ «غفرت» أغفر، على طريق التعبير عن الآتي بالواقع مبالغة في تحققه.

قال: والذي يظهر أن هذا الخطاب خطاب إكرام وتشريف، تضمن أن هؤلاء حصلت لهم حالة غفرت بها ذنوبهم السالفة وتأهلوا أن يغفر لهم ما يستأنف من الذنوب اللاحقة. وقد أظهر الله تعالى صدق رسوله في كل من أخبر عنه بشيء من ذلك، فإنهم لم يزالوا على أعمال أهل الجنة إلى أن فارقوا الدنيا، ولو قدر صدور شيء من أحدهم لبادر إلى التوبة ولازم الطريقة المثلى، يعلم ذلك من أحوالهم بالقطع من اطلع على سيرهم. قاله القرطبي.

وذكر بعض أهل المغازي ـ وهو في تفسير يحيى بن سلام ـ أن لفظ الكتاب الذي كتبه حاطب: أما بعد: يا معشر قريش، فإن رسول الله ﷺ جاءكم بجيش عظيم يسير كالسيل، فوالله لو جاءكم وحده لنصره الله وأنجز له، فانظروا لأنفسكم والسلام. هكذا حكاه السهيلي.

---

(١) أخرجه البخاري كتاب المغازي باب (٤٧) رقم الحديث (٤٢٧٤ ـ ٤٨٩٠).

وروى الواقدي بسند له مرسل: أن حاطباً كتب إلى سهيل بن عمرو، وصفوان بن أمية، وعكرمة: أن رسول الله ﷺ أذن في الناس بالغزو، ولا أراه يريد غيركم وقد أحببت أن تكون لي عندكم يد. انتهى.

وبعث رسول الله ﷺ إلى من حوله من العرب فجلبهم: أسلم وغفار ومزينة وجهينة وأشجع وسليم، فمنهم من وافاه بالمدينة ومنهم من لحقه بالطريق.

فكان المسلمون في غزوة الفتح: عشرة آلاف.

وفي «الإكليل» و «شرف المصطفى» اثني عشر ألفاً.

ويجمع بينهما أن العشرة آلاف خرج بها من نفس المدينة، ثم تلاحق به الألفان.

واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم وقيل أبا رهم الغفاري.

وخرج ﷺ يوم الأربعاء لعشر ليال خلون من رمضان، بعد العصر، سنة ثمان، قاله الواقدي.

وعند أحمد بإسناد صحيح عن أبي سعيد قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ عام الفتح لليلتين خلتا من شهر رمضان[1].

فما قاله الواقدي ليس بقوي لمخالفته ما هو أصح منه. وفي تعيين هذا التاريخ أقوال أخر منها عند مسلم: لست عشرة، ولأحمد: ثماني عشرة، وفي أخرى: لثنتي عشرة. والذي في المغازي: لتسع عشرة مضت. وهو محمول على الاختلاف في أول الشهر، وفي أخرى: تسع عشرة أو سبع عشرة على الشك.

ولما بلغ ﷺ الكديد ـ بفتح الكاف ـ الماء الذي بين قديد وعسفان أفطر فلم يزل مفطراً حتى انسلخ الشهر. رواه البخاري[2]، وفي أخرى: أفطر وأفطروا، الحديث.

وكان العباس قد خرج قبل ذلك بأهله وعياله مسلماً مهاجراً، فلقي رسول الله ﷺ بالجحفة، وكان قبل ذلك مقيماً بمكة على سقايته، ورسول الله ﷺ عنه راض.

وكان ممن لقيه في الطريق أبو سفيان بن الحارث، ابن عمه، وأخوه من رضاع حليمة السعدية، ومعه ولده جعفر بن أبي سفيان. وكان أبو سفيان يألف رسول الله ﷺ،

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في المسند ١/٢١٩ و ٣٤٨.

(٢) أخرجه البخاري كتاب المغازي باب (٤٨) رقم الحديث (٤٢٧٥ ـ ٤٢٧٦) ومسلم كتاب الصيام رقم الحديث (٨٧) والامام مالك في الموطأ كتاب الصيام أيضاً باب (٧) رقم الحديث (٢١) والنسائي صيام (٦٠) ومجمع الزوائد للهيثمي ٤/٢٦٤.

فلما بعث عاداه وهجاه. وكان لقاؤهما له عليه السلام بالأبواء وأسلما قبل دخول مكة.

وقيل: بل لقيه هو وعبد الله بن أبي أمية، ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب بين السقيا والعرج، فأعرض ﷺ عنهما لما كان يلقى منهما من شدة الأذى والهجو، فقالت له أم سلمة: لا يكن ابن عمك وابن عمتك أشقى الناس بك، وقال علي: لأبي سفيان ـ فيما حكاه أبو عمر وصاحب ذخائر العقبى ـ: ائت رسول الله ﷺ من قبل وجهه فقل له ما قال أخوة يوسف ليوسف: «تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين» فإنه لا يرضى أن يكون أحد أحسن منه قولاً، ففعل ذلك أبو سفيان، فقال له ﷺ: «**لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين**»[1].

ويقال: إنه ما رفع رأسه إلى رسول الله ﷺ منذ أسلم حياء منه.

قالوا: ثم سار ﷺ فلما كان بقديد عقد الألوية والرايات ودفعها إلى القبائل.

ثم نزل مر الظهران عشاء، فأمر أصحابه فأوقدوا عشرة آلاف نار، ولم يبلغ قريشاً مسيره وهم مغتمون لما يخافون من غزوه إياهم، فبعثوا أبا سفيان بن حرب وقالوا: إن لقيت محمداً فخذ لنا منه أماناً، فخرج أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام، وبديل بن ورقاء حتى أتوا مر الظهران، فلما رأوا العسكر أفزعهم.

وفي البخاري: (فإذا هم بنيران كأنها نيران عرفة، فقال أبو سفيان: ما هذه؟ لكأنها نيران عرفة، فقال له بديل بن ورقاء: نيران بني عمرو، فقال أبو سفيان: عمرو أقل من ذلك. فرآهم ناس من حرس رسول الله ﷺ، فأدركوهم فأخذوهم فأتوا بهم إلى رسول الله ﷺ فأسلم أبو سفيان.

فلما سار قال للعباس: احبس أبا سفيان عند خطم الجبل حتى ينظر إلى المسلمين، فحبسه العباس، فجعلت القبائل تمر مع النبي ﷺ: تمر كتيبة كتيبة على أبي سفيان. فمرت كتيبة فقال: يا عباس من هذه؟ قال: هذه غفار؟ قال: مالي ولغفار؟ ثم مرت جهينة فقال مثل ذلك، حتى أقبلت كتيبة لم ير مثلها، قال: من هذه؟ قال: هؤلاء الأنصار عليهم سعد بن عبادة معه الراية، فقال سعد بن عبادة: يا أبا سفيان: اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الكعبة، فقال أبو سفيان: يا عباس، حبذا يوم الذمار)[2] بالمعجمة المكسورة: الهلاك.

قال الخطابي: تمنى أبو سفيان أن تكون له يد فيحمي قومه ويدفع عنهم. وقيل:

---

(١) ذكره العراقي في المغني عن حمل الأسفار ٣/ ١٧٩.

(٢) أخرجه البخاري كتاب المغازي باب (٤٩) رقم الحديث (٤٢٨٠).

هذا يوم الغضب للحريم والأهل والانتصار لهم لمن قدر عليه، وقيل: هذا يوم يلزمك فيه حفظي وحمايتي من أن ينالني مكروه.

وقال ابن إسحاق: زعم بعض أهل العلم أن سعداً قال: اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة، فسمعها رجل من المهاجرين فقال: يا رسول الله، ما آمن أن يكون لسعد في قريش صولة. فقال لعلي: «**أدركه فخذ الراية منه فكن أنت تدخل بها**».

وقد روى الأموي في المغازي: أن أبا سفيان قال للنبي ﷺ لما حاذاه: أمرت بقتل قومك؟ قال: «**لا**»، فذكر له ما قال سعد بن عبادة ثم ناشده الله والرحم، فقال: «**يا أبا سفيان: اليوم يوم المرحمة، اليوم يعز الله قريشاً**»، وأرسل إلى سعد فأخذ الراية منه فدفعها إلى ابنه قيس.

وعند ابن عساكر من طريق أبي الزبير عن جابر قال: لما قال سعد بن عبادة ذلك عارضت امرأة من قريش رسول الله ﷺ فقالت:

يـــا نبـــي الهـــدى إليـــك لجـــا ... حـــي قـــريـــش ولات حيـــن لجـــائـــي
حيـــن ضـــاقـــت عليهـــم سعـــة الأر ... ض وعـــاداهـــم إلـــه السمـــاء
إن سعـــداً يـــريـــد قـــاصمـــة الظهـ ... ـر بـــأهـــل الحجـــون والبطحـــاء

فلما سمع هذا الشعر دخلته رأفة لهم ورحمة.فأمر بالراية فأخذت من سعد ودفعت إلى ابنه قيس.

وعند أبي يعلى من حديث الزبير أن النبي ﷺ دفعها إليه فدخل مكة بلواءين، وإسناده ضعيف جداً. لكن جزم موسى بن عقبة في المغازي عن الزهري أنه دفعها إلى الزبير بن العوام.

فهذه ثلاثة أقوال فيمن دفعت إليه الراية التي نزعت من سعد.

والذي يظهر في الجمع أن علياً أرسل لينزعها ويدخل بها، ثم خشي تغير خاطر سعد فأمر بدفعها إلى ابنه قيس، ثم إن سعداً خشي أن يقع من ابنه شيء يكرهه النبي ﷺ فسأل النبي ﷺ أن يأخذها منه فحينئذ أخذها الزبير.

قال في رواية البخاري (. . ثم جاءت كتيبة فيهم رسول الله ﷺ وأصحابه، وراية النبي ﷺ مع الزبير، فلما مر رسول الله ﷺ بأبي سفيان قال: ألم تعلم ما قال سعد بن عبادة؟ قال: ما قال؟ قال: قال كذا وكذا فقال: كذب سعد، ولكن هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة، ويوم تكسي فيه الكعبة. قال وأمر رسول الله ﷺ أن تركز رايته بالحجون.

قال وقال عروة أخبرني نافع بن جبير بن مطعم قال: سمعت العباس يقول للزبير بن

العوام: يا أبا عبد الله، ها هنا أمرك رسول الله ﷺ أن تركز الراية؟ قال: نعم.

وأمر رسول الله ﷺ يومئذ خالد بن الوليد أن يدخل من أعلى مكة من كداء ـ أي بالفتح والمد ـ ودخل النبي ﷺ من كدى ـ أي بالضم والقصر ـ فقتل من خيل خالد يومئذ رجلان: حبيش بن الأشعر وكرز بن جابر الفهري)[1].

قال الحافظ ابن حجر: وهذا مخالف للأحاديث الصحيحة الآتية في البخاري أيضاً أن خالداً دخل من أسفل مكة والنبي ﷺ من أعلاها.

يعني حديث ابن عمر: أنه ﷺ أقبل يوم الفتح من أعلى مكة على راحلته مردفاً أسامة بن زيد، وحديث عائشة أنه ﷺ دخل عام الفتح من كداء التي بأعلى مكة وغيرهما.

قال: وقد ساق ذلك موسى بن عقبة سياقاً واضحاً فقال:

وبعث ﷺ الزبير بن العوام على المهاجرين وخيلهم وأمره أن يدخل من كداء من أعلى مكة، وأمره أن يغرز رايته بالحجون ولا يبرح حتى يأتيه.

وبعث خالد بن الوليد في قبائل قضاعة وسليم وغيرهم وأمره أن يدخل من أسفل مكة وأن يغرز رايته عند أدنى البيوت.

وبعث سعد بن عبادة في كتيبة الأنصار في مقدمة رسول الله ﷺ وأمرهم أن يكفوا أيديهم ولا يقاتلوا إلا من قاتلهم.

واندفع خالد بن الوليد حتى دخل من أسفل مكة، وقد تجمع بها بنو بكر وبنو الحارث بن عبد مناف، وناس من هذيل ومن الأحابيش الذين استنصرت بهم قريش، فقاتلوا خالداً فقاتلهم فانهزموا، وقتل من بني بكر نحو من عشرين رجلاً، ومن هذيل ثلاثة أو أربعة، حتى انتهى بهم القتل إلى الحزورة إلى باب المسجد حتى دخلوا الدور، فارتفعت طائفة منهم على الجبال.

وصاح أبو سفيان: من أغلق بابه وكف يده فهو آمن.

قال: ونظر رسول الله ﷺ إلى البارقة فقال: «**ما هذا؟ وقد نهيت عن القتال**». فقالوا: نظن أن خالداً قوتل وبدىء بالقتال فلم يكن له بد من أن يقاتلهم.

قال: وقال رسول الله ﷺ ـ بعد أن اطمأن ـ لخالد بن الوليد: «**لم قاتلت وقد نهيتك**

---

(١) أخرجه البخاري كتاب المغازي باب (٤٩) رقم الحديث (٤٢٨٠).

عن القتال؟» فقال هم بدؤونا بالقتال، وقد كففت يدي ما استطعت، قال: «قضاء الله خير».

وعند ابن إسحاق: فلما نزل ﷺ مر الظهران، رقت نفس العباس لأهل مكة، فخرج ليلاً راكباً بغلة النبي ﷺ لكي يجد أحداً فيعلم أهل مكة بمجيء النبي ﷺ ليستأمنوه، فسمع صوت أبي سفيان ابن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء، فأردف أبا سفيان خلفه وأتى به إلى النبي ﷺ فأسلم وانصرف الآخران ليعلما أهل مكة.

ويمكن الجمع: بأن الحرس لما أخذوه استنقذه العباس.

وروي أن عمر رضي الله عنه لما رأى أبا سفيان رديف العباس دخل على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، هذا أبو سفيان، دعني أضرب عنقه، فقال العباس: يا رسول الله: إني قد أجرته. فقال ﷺ: إذهب يا عباس به إلى رحلك، فإذا أصبحت فأتني به، فذهب فلما أصبح غدا به على رسول الله ﷺ فلما رآه رسول الله قال: ويحك يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله؟ فقال: بأبي أنت وأمي، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك، لقد ظننت أنه لو كان مع الله إله غيره لما أغنى عني شيئاً. ثم قال: ويحك يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله؟ قال: بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك أما هذه ففي النفس منها شيء.

فقال له العباس: ويحك أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قبل أن تضرب عنقك. فأسلم وشهد شهادة الحق. فقال العباس: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئاً، قال: نعم. وأمر ﷺ فنادى مناديه: من دخل المسجد فهو آمن ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن إلا المستثنين.

وهم كما قال مغلطاي: عبد الله بن سعد بن أبي سرح. أسلم. وابن خطل: قتله أبو برزة. وقينتاه وهما: فرتنى ـ بالفاء المفتوحة، والراء الساكنة والتاء المثناة الفوقية والنون ـ وقريبة ـ بالقاف والراء والموحدة مصغراً ـ أسلمت إحداهما وقتلت الأخرى. وذكر غير ابن إسحاق أن التي أسلمت فرتنى وأن قريبة قتلت. وسارة: مولاة لبني المطلب، أسلمت، ويقال كانت مولاة عمرو بن صيفي بن هشام. وأرنب ـ علم امرأة ـ وقريبة: قتلت وعكرمة بن أبي جهل: أسلم والحويرث بن نقيد قتله علي ومقيس بن صبابة ـ بمهملة وموحدتين الأولى خفيفة ـ قتله نميلة الليثي. وهبار بن الأسود: أسلم، وهو الذي عرض لزينب بنت رسول الله ﷺ حين هاجرت فنخس بها بعيرها حتى سقطت على صخرة وأسقطت جنينها. وكعب بن زهير: أسلم وهند بنت عتبة: أسلمت ووحشي بن حرب: أسلم انتهى. وابن خطل: بفتح الخاء والطاء المهملة. وابن نقيد: بضم النون

وفتح القاف وسكون المثناة التحتية آخره دال مهملة مصغراً. ومقيس: بكسر الميم وسكون القاف وفتح المثناة التحتية آخره مهملة. وقد جمع الواقدي عن شيوخه أسماء من لم يؤمن يوم الفتح وأمر بقتله عشرة أنفس، ستة رجال، وأربع نسوة.

وروى أحمد ومسلم والنسائي عن أبي هريرة قال: لما أقبل رسول الله ﷺ وقد بعث على أحد المجنبتين خالد بن الوليد، وبعث الزبير على الأخرى، وبعث أبا عبيدة على الحسر ـ بضم المهملة وتشديد السين المهملة، أي الذين بغير سلاح ـ فقال لي يا أبا هريرة، اهتف لي بالأنصار، فهتفت بهم فجاؤوا فأطافوا به، فقال لهم: أترون إلى أوباش قريش وأتباعهم، ثم قال بإحدى يديه على الأخرى: احصدوهم حصداً، حتى توافوني بالصفا. قال أبو هريرة: فانطلقنا، فما نشاء أن نقتل أحداً منهم إلا قتلناه، فجاء أبو سفيان فقال: يا رسول الله: أبيحت خضراء قريش لا قريش بعد اليوم. فقال ﷺ: «**من أغلق بابه فهو آمن**»[1].

قال في فتح الباري: وقد تمسك بهذه القصة من قال: إن مكة فتحت عنوة، وهو قول الأكثر.

وعن الشافعي، وهو رواية عن أحمد: أنها فتحت صلحاً، لما وقع من هذا التأمين، ولإضافة الدور إلى أهلها، ولأنها لم تقسم، ولأن الغانمين لم يملكوا دورها. وإلا لجاز إخراج أهل الدور منها.

وحجة الأولين: ما وقع التصريح به من الأمر بالقتال، ووقوعه من خالد بن الوليد، وبتصريحه ﷺ بأنها أحلت له ساعة من نهار، ونهيه عن التأسي به في ذلك.

وأجابوا عن ترك القسمة: بأنها لا تستلزم عدم العنوة، فقد تفتح البلد عنوة ويمن على أهلها، ويترك لهم دورهم.

وأما قول النووي: واحتج الشافعي بالأحاديث المشهورة بأن النبي ﷺ صالحهم بمر الظهران قبل دخول مكة ففيه نظر، لأن الذي أشار إليه، إن كان مراده ما وقع من قوله ﷺ: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ـ كما تقدم وكذا من دخل المسجد ـ كما عند ابن إسحاق ـ فإن ذلك لا يسمى صلحاً إلا إذا التزم من أشير إليه بذلك الكف عن القتال، والذي ورد في الأحاديث الصحيحة ظاهر في أن قريشاً لم يلتزموا ذلك لأنهم استعدوا

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في المسند ٢/ ٢٩٢. وفي السنن الكبرى للبيهقي ٦/ ٣٤ وفي المعجم الكبير للطبراني ٧/ ٨٨ وفي سنن الدارقطني ٣/ ٦٠ ودلائل النبوة للبيهقي ٥/ ٣٢ وفي تفسير القرطبي ٦/ ٦٠ وفي نصب الراية للزيلعي ٣/ ٤٣٩ وفي فتح الباري ٨/ ١٤. كتاب المغازي باب (٤٩) وفي صحيح مسلم كتاب الجهاد برقم (٨٦). وفي مصنف ابن أبي شيبة ١٤/ ٤٧٢.

للحرب. وإن كان مراده بالصلح وقوع عقده فهذا لم ينقل، ولا أظنه عنى إلا الاحتمال الأول وفيه ما ذكرته. انتهى.

ثم دخل رسول الله ﷺ مكة في كتيبته الخضراء، وهو على ناقته القصواء بين أبي بكر وأسيد بن حضير، فرأى أبو سفيان ما لا قبل له به، فقال للعباس: يا أبا الفضل، لقد أصبح ملك ابن أخيك ملكاً عظيماً، فقال العباس: ويحك، إنه ليس بملك ولكنها نبوة، قال: «**نعم**».

وروي أنه ﷺ وضع رأسه تواضعاً لله لما رأى ما أكرمه الله به من الفتح حتى إن رأسه لتكاد تمس رحله شكراً وخضوعاً لعظمته أن أحل له بلده ولم تحل لأحد قبله ولا لأحد بعده.

وفي البخاري من حديث أنس أن النبي ﷺ دخل مكة يوم الفتح وعلى رأسه المغفر ـ وهو بكسر الميم وسكون الغين المعجمة وفتح الفاء: زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس، وفي المحكم: هو ما يجعل من فضل درع الحديد على الرأس مثل القلنسوة ـ فلما نزعه جاء رجل فقال: ابن خطل متعلق بأستار الكعبة، فقال: اقتله[1].

وفي حديث سعيد بن يربوع عند الدارقطني والحاكم: أن رسول الله ﷺ قال: أربعة لا أؤمنهم في حل ولا حرم: الحويرث وهلال بن خطل ومقيس بن صبابة وعبد الله بن أبي سرح. قال: فأما هلال بن خطل فقتله الزبير. الحديث.

وفي حديث سعد بن أبي وقاص عند البزار والحاكم والبيهقي في الدلائل نحوه، لكن قال: أربعة نفر وامرأتان وقال: اقتلوهم وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة فذكره. لكن قال: عبد الله بن خطل بدل هلال، وقال عكرمة بدل الحويرث، ولم يسم المرأتين. وقال: فأما عبد الله بن خطل فأدرك وهو متعلق بأستار الكعبة فاستبق إليه سعيد ابن حريث وعمار بن ياسر فسبق سعيد عماراً، وكان أشب الرجلين فقتله. الحديث.

وروى ابن أبي شيبة من طريق أبي عثمان النهدي: أن أبا برزة الأسلمي قتل ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة وإسناده صحيح مع إرساله.

ورواه أحمد من وجه آخر، وهو أصح ما ورد في تعيين قاتله، وبه جزم البلاذري وغيره من أهل الأخبار.

وتحمل بقية الروايات على أنهم ابتدروا قتله فكان المباشر له منهم أبو برزة، ويحتمل أن يكون غيره شاركه فيه، فقد جزم ابن هشام في السيرة: بأن سعيد بن حريث وأبا برزة الأسلمي اشتركا في قتله.

---

(١) أخرجه البخاري كتاب المغازي باب (٤٩) رقم الحديث (٤٢٨٦).

وإنما أمر بقتل ابن خطل، لأنه كان مسلماً فبعثه ﷺ مصدقاً، وبعث معه رجلاً من الأنصار، وكان معه مولى يخدمه ـ وكان مسلماً ـ ونزل منزلاً فأمر المولى أن يذبح تيساً ويضع له طعاماً ونام، فاستيقظ ولم يصنع له شيئاً، فعدى عليه فقتله، ثم ارتد مشركاً، وكان له قينتان تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ.

وأما الجمع بين ما اختلف فيه من اسمه، فإنه كان يسمى عبد العزى، فلما أسلم سمي عبد الله. وأما من قال: هلال، فالتبس عليه بأخ له اسمه هلال.

وفي رواية أبي داود من حديث مصعب: لما كان يوم الفتح أمن رسول الله ﷺ الناس إلا أربعة نفر فذكرهم ثم قال: وأما ابن أبي سرح فاختبأ عند عثمان بن عفان رضي الله عنه فلما دعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة، جاء به حتى أوقفه على رسول الله ﷺ فقال: يا نبي الله بايع عبد الله، فرفع رأسه فنظر إليه ثلاثاً، كل ذلك يأبى، فبايعه بعد ثلاث، ثم أقبل على أصحابه فقال: «**أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حيث رآني كففت يدي عن بيعته فيقتله؟**» فقالوا: يا رسول الله ما ندري ما في نفسك، ألا أومات إلينا؟ فقال: «**إنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين**»[1]. الحديث.

قال مالك ـ كما في رواية البخاري ـ: ولم يكن رسول الله ﷺ فيما نرى يومئذ محرماً. انتهى. وقول مالك هذا رواه عبد الرحمن بن مهدي عن مالك جازماً به. أخرجه الدارقطني في الغرائب. ويشهد له ما رواه مسلم من حديث جابر: دخل ﷺ يوم الفتح مكة وعليه عمامة سوداء بغير إحرام[2]. وروى ابن أبي شيبة بإسناد صحيح عن طاوس قال: لم يدخل النبي ﷺ مكة إلا محرماً إلا يوم الفتح. وقد اختلف العلماء: هل يجب على من دخل مكة الإحرام أم لا؟ فالمشهور من مذهب الشافعي عدم الوجوب مطلقاً. وفي قول: يجب مطلقاً، وفيمن يتكرر دخوله خلاف مرتب، وهو أولى بعدم الوجوب. والمشهور عن الأئمة الثلاثة: وفي رواية عن كل منهم: لا يجب، وجزم الحنابلة باستثناء ذوي الحاجات المتكررة، واستثنى الحنفية من كان داخل الميقات والله أعلم.

وقد زعم الحاكم في الإكليل: أن بين حديث أنس في المغفر وبين حديث جابر في العمامة السوداء معارضة.

وتعقبوه باحتمال أن يكون أول دخوله كان على رأسه المغفر ثم أزاله ولبس العمامة بعد ذلك، فحكى كل منهما ما رآه.

---

(١) أخرجه النسائي في سننه ١٠٦/٧. وأبي داود. كتاب الجهاد باب (١١٧) رقم الحديث (٢٦٨٣). وفي التمهيد لابن عبد البر ١٧٦/٦. وفي مشكل الآثار للطحاوي ٢٢٦/٢ وفي فتح الباري ١١/١١.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه. كتاب اللباس باب (٢١) رقم الحديث (٤٠٧٦).

ويؤيده: أن في حديث عمرو بن حريث أنه خطب الناس وعليه عمامة سوداء. أخرجه مسلم أيضاً. وكانت الخطبة عند باب الكعبة وذلك بعد تمام الدخول. وهذا الجمع للقاضي عياض.

وقال غيره: يجمع بأن العمامة السوداء كانت ملفوفة فوق المغفر، أو كانت تحت المغفر وقاية لرأسه من صدإ الحديد، فأراد أنس بذكر المغفر كونه دخل متأهباً للحرب، وأراد جابر بذكر العمامة كونه دخل غير محرم.

وفي البخاري: عن أسامة بن زيد أنه قال زمن الفتح: يا رسول الله، أين تنزل غداً، قال النبي ﷺ: «**وهل ترك لنا عقيل من منزل؟**» وفي رواية: «**وهل ترك لنا عقيل من رباع أو دور؟**»[1].

وكان عقيل ورث أبا طالب هو وطالب، ولم يرث جعفر ولا علي شيئاً لأنهما كانا مسلمين، وكان عقيل وطالب كافرين. فكان عمر بن الخطاب يقول: لا يرث الكافر المؤمن ولا المؤمن الكافر.

وفي رواية أخرى له قال ﷺ منزلنا إن شاء الله - إذا فتح الله - الخيف، حيث تقاسموا على الكفر. يعني به المحصب، وذلك أن قريشاً وكنانة تحالفت على بني هاشم وبني عبد المطلب: أن لا يناكحوهم ولا يبايعوهم حتى يسلموا إليهم النبي ﷺ، كما تقدم.

وفي رواية أخرى له: أنه يوم فتح مكة اغتسل في بيت أم هانىء ثم صلى الضحى ثمان ركعات، قالت: لم أره صلى صلاة أخف منها، غير أنه يتم الركوع والسجود.

وأجارت أم هانىء حموين لها، فقال النبي ﷺ: «**قد أجرنا من أجرت يا أم هانىء**»[2]، والرجلان: الحارث بن هشام، وزهير بن أمية بن المغيرة، كما قاله ابن

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الحج باب (٤٤) رقم الحديث (١٥٨٨ - ٣٠٥٨ - ٤٢٨٢ - ٦٧٦٤). وفي سنن أبي داود. كتاب الفرائض باب (١٠) رقم الحديث (٢٩١٠) وفي صحيح مسلم (٩٨٤، ٩٨٥) وفي سنن ابن ماجه. كتاب الفرائض باب (٦) رقم الحديث (٢٧٣٠ - ٢٩٤٢) وفي السنن الكبرى للبيهقي ١٦٠/٥ وللإمام أحمد بن حنبل في مسنده ٢٠٢/٥ وفي سنن الدارقطني ٦٢/٣ وفي دلائل النبوة للبيهقي ٩١/٥. وفي كنز العمال (٣٠٤٢٩ - ٣٠٦٨٥).

(٢) أخرجه البخاري كتاب الصلاة باب (٤) رقم الحديث (٣٥٧ - ٣١٧١ - ٦١٥٨). وفي صحيح مسلم كتاب المسافرين رقم (٨٢) وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل ٣٤١/٦، ٣٤٢، ٤٢٥. وفي السنن الكبرى للبيهقي ٥٩/٩ وفي سنن أبي داود كتاب الجهاد باب (٥٥) رقم الحديث (٢٧٦٣) وللإمام مالك في الموطأ كتاب قصر صلاة السفر باب (٨) رقم الحديث (٢٨) وفي دلائل النبوة للبيهقي=

هشام، وقد كان أخوها علي بن أبي طالب أراد أن يقتلهما فأغلقت عليهما باب بيتها وذهبت إلى النبي ﷺ.

ولما كان الغد من يوم الفتح قام ﷺ خطيباً في الناس، فحمد الله وأثنى عليه ومجده بما هو أهله ثم قال: «**أيها الناس، إن الله حرم مكة يوم خلق السماوات والأرض، فهي حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، فلا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً، أو يعضد بها شجرة، فإن أحد ترخص فيها لقتال رسول الله ﷺ فقولوا: إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم، وإنما أحلت لي ساعة من نهار، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، فليبلغ الشاهد الغائب**».

ثم قال: «**يا معشر قريش ما ترون أني فاعل فيكم؟**». قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم. قال: «**اذهبوا فأنتم الطلقاء**»[1]. أي: الذين أطلقوا، فلم يسترقوا ولم يؤسروا. والطليق: الأسير إذا أطلق. والمراد بالساعة التي أحلت له ـ عليه السلام ـ ما بين أول النهار ودخول وقت العصر، كذا قاله في فتح الباري.

ولقد أجاد العلامة أبو محمد الشقراطسي حيث يقول في قصيدته المشهورة:

ويوم مكة إذ أشرفتَ في أمم ... تضيق عنها فجاج الوعث والسهل
خوافق ضاق ذرع الخافقين بها ... في قاتم من عجاج الخيل والإبل
وجحفل قذف الأرجاء ذي لجب ... عرمرم كزهاء الليل منسحل
وأنت صلى عليك الله تقدمهم ... في بهو إشراق نور منك مكتمل
ينير فوق أغر الوجه منتجب ... متوج بعزيز النصر مقتبل
يسمو أمام جنود الله مرتدياً ... ثوب الوقار لأمر الله ممتثل
خشعت تحت بهاء العز حين سمت ... بك المهابة فعل الخاضع الوجل
وقد تباشر أملاك السماء بما ... ملكت إذ نلت منه غاية الأمل
والأرض ترجف من زهو ومن فرق ... والجو يزهر إشراقاً من الجذل
والخيل تختال زهواً في أعنتها ... والعيس تنثال رهواً في ثنى الجدل
لولا الذي خطت الأقلام من قدر ... وسابق من قضاء غير ذي حول
أهل ثهلان بالتهليل من طرب ... وذاب يذبل تهليلاً من الذبل
الملك لله هذا عز من عقدت ... له النبوة فوق العرش في الأزل

= ٨١/٥ وفي المعجم الصغير للطبراني ٦٧/٢. وسنن سعيد بن منصور (٢٦١٢). وفي المستدرك للحاكم ٤٥/٤ وفي مجمع الزوائد للهيثمي ١٧٦/٦. ومشكاة المصابيح (٣٩٧٧) وكنز العمال (٢٣٤٥١ ـ ١٠٩٥٠).

(١) ذكره البيهقي في السنن الكبرى ١٨٨/٩.

شعبت صدع قريش بعد ما قذفت بهم شعوب شعاب السهل والقلل

قالوا محمد قد زادت كتائبه كالأسد تزأر في أنيابها العصل

فويل مكة من آثار وطأته وويل أم قريش من جوى الهبل

فجدت عفواً بفضل العفو منك ولم تلمم ولا بأليم اللوم والعذل

أضربت بالصفح صفحاً عن غوائلهم طولاً أطال مقيل النوم في المقل

رحمت واشج أرحام أتيح لها تحت الوشيج نشيج الروع والوجل

عاذوا بظل كريم العفو ذي لطف مبارك الوجه بالتوفيق مشتمل

أزكى الخليقة أخلاقاً وأطهرها وأكرم الناس صفحاً عن ذوي الزلل

وطفت بالبيت محبوراً وطاف به من كان عنه قبيل الفتح في شغل

والجحفل: الجيش العظيم. وقذف الأرجاء: أي متباعدها. واللجب: بالجيم المفتوحة: الضجة من كثرة الأصوات. والعرمرم: الضخم الكثير العدد. وقوله: كزهاء الليل: شبهه بالليل في سده الأفق، واسوداده بالسلاح. والمنسحل: ـ بالحاء المهملة ـ الماضي في سيره يتبع بعضه بعضاً. وقوله: في بهو إشراق: شبه النور الذي يغشاه ـ عليه السلام ـ ببهو أحاط به. والبهو: البناء العالي كالإيوان ونحوه. والمنتجب: المتخير من أصل نجيب، أي كريم، والمقتبل: المستقبل الخير. وترتجف: تهتز. والزهو: الخفة من الطرب، يعني: أن الأرض اهتزت فرحاً بهذا الجيش، وفرقاً من صولته، أي كادت تهتز، قال تعالى: ﴿وبلغت القلوب الحناجر﴾ [الأحزاب: ١٠]. والجدل: جمع جديل، وهو الزمام المصفور. وثنى الجدل: ما انثنى على أعناق الإبل، أي انعطف. وثهلان: اسم جبل معروف. وأهل: رفع صوته. ويذبل: اسم جبل أيضاً. والذبل: الرماح الذوابل وهي التي لم تقطع من منابتها حتى ذبلت أي جفت ويبست. وتهليلاً: أي صياحاً، جبناً وفزعاً. يعني: لولا ما سبق من تقدير الله أن الجبال لا تنطق لرفع ثهلان صوته وهلل الله من الطرب، ولذاب يذبل من الجزع والفرق. وقوله: شعبت أي جمعت وأصلحت. وقذفت بهم: أي فرقت بهم مخافة شعوب. وشعوب: اسم للمنية لأنها تفرق الجماعات، من شعبت أي فرقت، وهو من الأضداد. والشعاب: الطرق في الجبال. والسهل: خلاف الجبل. والقلل: رؤوس الجبال. يعني أنه ﷺ عفا عنهم بعدما تصدعوا، أي تفرقوا وهربوا من خوفه إلى كل سهل وجبل.

وقوله: كالأسد تزأر في أنيابها العصل: أي المعوجة. والله أعلم.

ولمافتح الله مكة على رسوله ﷺ قال الأنصار فيما بينهم: أترون أن رسول الله ﷺ إذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها؟

وكان ﷺ يدعو على الصفا رافعاً يديه، فلما فرغ من دعائه قال: **«ماذا قلتم؟»** قالوا: لا شيء يا رسول الله، فلم يزل بهم حتى أخبروه، فقال ﷺ: **«معاذ الله، المحيا محياكم والممات مماتكم»**[1].

وهم فضالة بن عمير أن يقتل رسول الله ﷺ وهو يطوف بالبيت، فلما دنا منه قال له رسول الله ﷺ: **«أفضالة»، قال: نعم يا رسول الله، قال: «ماذا كنت تحدث به نفسك؟»** قال: لا شيء، كنت أذكر الله، فضحك ﷺ ثم قال: **«استغفر الله»**، ثم وضع يده على صدره، فسكن قلبه، وكان فضالة يقول: والله ما رفع يده عن صدري حتى ما خلق الله شيئاً أحب إلي منه[2].

وطاف ﷺ يوم الجمعة لعشر بقين من رمضان. وكان حول البيت ثلاثمائة وستون صنماً، فكلما مر بصنم أشار إليه بقضيب وهو يقول: **«جاء الحق وزهق الباطل. إن الباطل كان زهوقاً»**، فيقع الصنم لوجهه. رواه البيهقي[3].

وفي رواية أبي نعيم: قد ألزقها الشياطين بالرصاص والنحاس.

وفي تفسير العلامة ابن النقيب المقدسي[4]: إن الله تعالى لما أعلمه ﷺ بأنه قد أنجز له وعده بالنصر على أعدائه، وفتح مكة وإعلاء كلمة دينه، أمره إذ دخل مكة أن يقول: وقل جاء الحق وزهق الباطل، فصار ﷺ يطعن الأصنام التي حول الكعبة بمحجنة ويقول: جاء الحق وزهق الباطل، فيخر الصنم ساقطاً، مع أنها كانت مثبتة بالحديد والرصاص، وكانت ثلاثمائة وستين صنماً بعدد أيام السنة.

قال: وفي معنى الحق والباطل لعلماء التفسير أقوال:

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجهاد رقم الحديث (٨٤، ٨٦) وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل ٢/ ٥٣٨ وفي السنن الكبرى للبيهقي ٩/ ١١٧ وفي سنن الدارقطني ٣/ ٦٠ رقم الحديث (٢٣٣) وفي نصب الراية للزيلعي ٣/ ٤٤٠ وفي تهذيب تاريخ ابن عساكر ٧/ ٣٨٩.

(٢) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٤/ ٥٩ والبداية والنهاية ٤/ ٣٠٦ والشفا ١/ ١٩٢.

(٣) أخرجه البخاري كتاب التفسير باب (١٧) رقم الحديث (٤٧٢٠). وفي صحيح مسلم كتاب الجهاد رقم الحديث (٨٤ ـ ٨٧). وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل ١/ ٣٧٧. وفي الترمذي رقم الحديث (٣١٣٨). وفي السنن الكبرى للبيهقي ٦/ ١٠١ و ٩/ ١١٧. وفي مسند الحميدي رقم الحديث (٨٦). وفي مجمع الزوائد للهيثمي ٦/ ١٧٦ وفي المعجم الكبير للطبراني ١٠/ ٢٣٦. وفي دلائل النبوة ٥/ ٧٠ ـ ٧٢. وفي موارد الظمآن للهيثمي (١٧٠٢) وفي الدر المنثور للسيوطي ٤/ ١٩٩. وفي فتح الباري ٨/ ٥١١. وفي البداية والنهاية ٤/ ٣٠١. وفي السيرة النبوية لابن هشام ٤/ ٩٥ وفي تهذيب تاريخ ابن عساكر ٥/ ٦٠٩. وفي كنز العمال (٣٠١٦١).

(٤) هو محمد بن سليمان بن الحسن البلخي المقدسي. أبو عبد الله جمال الدين ابن النقيب (٦١١ ـ ٦٩٨هـ). مفسر من فقهاء الحنفية. توفي في القدس. الأعلام ٦/ ١٥٠. وفوات الوفيات ٣/ ٣٨٢ رقم الترجمة (٤٦٠). العبر ٥/ ٣٩٨. النجوم الزاهرة ٨/ ١٨٨ الجواهر المضيئة ٢/ ٥٧.

قال قتادة: جاء القرآن وذهب الشيطان. وقال ابن جريج: جاء الجهاد وذهب الشرك، وقال مقاتل: جاءت عبادة الله وذهبت عبادة الشيطان.

وقال ابن عباس: وجد ﷺ يوم الفتح حول البيت ثلاثمائة وستين صنماً، كانت لقبائل العرب يحجون إليها، ويخرون لها، فشكا البيت إلى الله تعالى فقال: «**أي رب، حتى متى تعبد هذه الأصنام حولي دونك**» فأوحى الله تعالى إليه إني سأحدث لك نوبة جديدة، يدفون إليك دفيف النسور، ويحنون إليك حنين الطير إلى بيضها، لهم عجيج حولك بالتلبية. قال: ولما نزلت الآية[1] يوم الفتح قال جبريل عليه الصلاة والسلام لرسول الله ﷺ: خذ مخصرتك ثم ألقها، فجعل يأتي صنماً صنماً ويطعن في عينه أو بطنه بمخصرته ويقول: «**جاء الحق وزهق الباطل**»، فينكب الصنم لوجهه حتى ألقاها جميعاً. وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من قوارير صفر. فقال يا علي: ارم به، فحمله عليه السلام حتى صعد ورمى به وكسره. فجعل أهل مكة يتعجبون. انتهى.

وعن ابن عباس قال: لما قدم ﷺ أبى أن يدخل البيت وفيه الآلهة، فأمر بها فأخرجت، فأخرجوا صورة إبراهيم وإسماعيل في أيديهما الأزلام، يعنى: القداح التي كانوا يستقسمون بها، فقال رسول الله ﷺ: «**قاتلهم الله، أما والله لقد علموا أنهما لم يستقسما بها قط**»[2]. فدخل البيت وكبر في نواحيه ولم يصل. رواه الترمذي.

وعن ابن عمر قال: أقبل رسول الله ﷺ عام الفتح على ناقته القصواء، وهو مردف أسامة حتى أناخ بفناء الكعبة، ثم دعا عثمان بن طلحة فقال: «**ائتني بالمفتاح**»، فذهب إلى أمة فأبت أن تعطيه فقال: والله لتعطينه، أو ليخرجن هذا السيف من صلبي، فأعطته إياه، فجاء به النبي ﷺ فدفعه إليه، ففتح الباب[3] رواه مسلم.

وروى الفاكهي من طريق ضعيفة، عن ابن عمر أيضاً قال: كان بنو أبي طلحة يزعمون أنه لا يستطيع أحد فتح باب الكعبة غيرهم، فأخذ رسول الله المفتاح ففتحها بيده.

---

(١) انظر فتح الباري ٨/ ٥١١ كتاب التفسير باب (١٢).

(٢) أخرجه البخاري كتاب الحج باب (٥٤) رقم الحديث (١٦٠١ ـ ٣٣٥٢ ـ ٤٢٨٨) والمستدرك للحاكم ٢/ ٥٥٠ وفي المعجم الكبير للطبراني ١١/ ٣١٤ ومصنف ابن أبي شيبة ١٤/ ٤٨٧ وفي سنن أبي داود كتاب المناسك باب (٩٢) رقم الحديث (٢٠٢٧) وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل ١/ ٣٦٥ وفي دلائل النبوة للبيهقي ٥/ ٧٣ وشرح السنة للبغوي ١٢/ ١٢٨ والسنن الكبرى للبيهقي ٥/ ١٥٨.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الحج رقم الحديث (٣٩٠) وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل ٢/ ٣٣ و ٦/ ١٥ وفي كشف الخفا للعجلوني ١/ ٤٤٩.

وعثمان المذكور: هو عثمان بن طلحة بن أبي طلحة بن عبد العزى، ويقال له: الحجبي، بفتح المهملة والجيم، ويعرفون الآن بالشيبيين، نسبة إلى شيبة بن عثمان بن أبي طلحة وهو ابن عم عثمان، وعثمان هذا لا ولد له وله صحبة ورواية.

واسم أم عثمان: سلافة ـ بضم السين المهملة والتخفيف والفاء ـ.

وفي الطبقات لابن سعد عن عثمان بن طلحة قال: كنا نفتح الكعبة في الجاهلية يوم الإثنين والخميس. فأقبل النبي ﷺ يوماً يريد أن يدخل الكعبة مع الناس، فأغلظت له ونلت منه، فحلم عني ثم قال: «**يا عثمان، لعلك سترى هذا المفتاح يوماً بيدي أضعه حيث شئت**»، فقلت لقد هلكت قريش يومئذ وذلت، قال: «**بل عمرت وعزت يومئذ**»، ودخل الكعبة، فوقعت كلمته مني موقعاً ظننت يومئذ أن الأمر سيصير إلى ما قال. فلما كان يوم الفتح قال: «**يا عثمان ائتني بالمفتاح**» فأتيته به فأخذه مني، ثم دفعه إلي وقال: «**خذوها خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم، يا عثمان إن الله استأمنكم على بيته فكلوا مما يصل إليكم من هذا البيت بالمعروف**». قال: فلما وليت ناداني، فرجعت إليه فقال: «**ألم يكن الذي قلت لك؟!**» قال: فذكرت قوله لي بمكة قبل الهجرة: «**لعلك سترى هذا المفتاح يوماً بيدي أضعه حيث شئت**». قلت: بلى أشهد أنك رسول الله.

وفي التفسير: أن هذه الآية ﴿**إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها**﴾ [النساء: ٥٨] نزلت في عثمان بن طلحة الحجبي. أمره ﷺ أن يأتيه بمفتاح الكعبة فأبى عليه، وأغلق باب البيت وصعد إلى السطح وقال: لو علمت أنه رسول الله لم أمنعه، فلوى علي يده وأخذ منه المفتاح وفتح الباب، فدخل ﷺ البيت، فلما خرج سأله العباس أن يعطيه المفتاح ويجمع له بين السقاية والسدانة، فأنزل الله هذه الآية. وأمر ﷺ علياً أن يرد المفتاح إلى عثمان ويعتذر إليه، ففعل ذلك علي، فقال: أكرهت وآذيت ثم جئت ترفق؟! فقال علي: لقد أنزل الله في شأنك قرآناً، وقرأ عليه الآية. فقال عثمان: أشهد أن محمداً رسول الله. فجاء جبريل عليه السلام فقال: ما دام هذا البيت أو لبنة من لبناته قائمة، فإن المفتاح والسدانة في أولاد عثمان. فكان المفتاح معه، فلما مات دفعه إلى أخيه شيبة، فالمفتاح والسدانة في أولاده! إلى يوم القيامة[١].

قال ابن ظفر في «ينبوع الحياة»: قوله: «لو أعلم أنه رسول الله لم أمنعه» هذا وهم، لأنه كان ممن أسلم. فلو قال هذا كان مرتداً.

---

(١) انظر تفسير البغوي ١/ ٣٥٣ [النساء الآية: ٥٨] وتفسير ابن كثير ١/ ٥١٥ وانظر اسباب النزول لأبي الحسن النيسابوري صفحة (٩٠).

وعن الكلبي: لما طلب ﷺ المفتاح من عثمان مد يده إليه، فقال العباس: يا رسول الله اجعلها مع السقاية، فقبض عثمان يده بالمفتاح، فقال: هاكه بالأمانة، فأعطاه إياه ونزلت الآية. قال ابن ظفر: وهذا أولى بالقول.

وفي رواية لمسلم: دخل ﷺ هو وأسامة بن زيد وبلال وعثمان ابن طلحة الحجبي فأغلقوا عليهم الباب. قال ابن عمر فلما فتحوا كنت أول من ولج، فلقيت بلالاً فسألته: هل صلى فيه رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، بين العمودين اليمانيين، وذهب عني أسأله: كم صلى[١].

وفي إحدى روايات البخاري: جعل عموداً عن يساره وعموداً عن يمينه، وثلاثة أعمدة وراءه[٢].

وليس بن الروايتين مخالفة، لكن قوله في الرواية الأخرى: وكان البيت يومئذ على ستة أعمدة مشكل، لأنه يشعر بكون ما عن يمينه أو يساره كان اثنين، ولهذا عقبه البخاري برواية إسماعيل بن أبي أويس التي قال فيها: عمودين عن يمينه.

ويمكن الجمع بين الروايتين بأنه: حيث ثنى أشار إلى ما كان عليه البيت في زمنه ﷺ، وحيث أفرد أشار إلى ما صار إليه بعد ذلك، ويرشد إلى قوله: وكان البيت يومئذ. لأن فيه إشعاراً بأنه تغير عن هيئته الأولى.

ويحتمل أن يقال: لم تكن الأعمدة الثلاثة على سمت واحد، بل اثنان على سمت والثالث على غير سمتهما، ولفظ «المتقدمين» في إحدى روايات البخاري مشعر به.

وفي رواية لمسلم جعل عمودين عن يساره وعموداً عن يمينه، عكس رواية إسماعيل، وكذلك قال الشافعي، وبشر بن عمر في إحدى الروايتين عنهما.

وقد جمع بعض المتأخرين بين هاتين الروايتين باحتمال تعدد الواقعة، وهو بعيد لاتحاد مخرج الحديث.

وجزم البيهقي بترجيح رواية إسماعيل، ووافقه عليها ابن القاسم[٣] والقعنبي[٤]

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الحج رقم الحديث (٣٩٣ ـ ٣٩٤) والبخاري كتاب الحج باب (٥١) رقم الحديث (١٥٩٨) والنسائي كتاب المساجد رقم الحديث (٥) وفي مسند الامام أحمد بن حنبل ١٢٠/٢.

(٢) أخرجه البخاري كتاب الصلاة باب (٩٦) رقم الحديث (٥٠٥).

(٣) هو عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جناده العتقي المصري أبو عبد الله ويعرف بابن القاسم. (١٣٢ ـ ١٩١ هـ). زاهد عالم بالفقه الأعلام ٣٢٣/٣. وفيات الأعيان ٢٧٦/١. شذرات الذهب ٣٢٩/١. تذكرة الحفاظ ٣٥٦/١ رقم الترجمة (٣٤٦). الديباج المذهب (١٤٦).

(٤) هو عبد الله بن مسلمة بن قعنب الحارثي أبو عبد الرحمن. حافظ. توفي بالبصرة أو بطريق مكة سنة=

وأبو مصعب[1] ومحمد بن الحسن[2] وأبو حذافة[3] وكذلك الشافعي وابن مهدي[4] وفي إحدى الروايتين عنهما. انتهى ملخصاً من فتح الباري.

وقد بين موسى بن عقبة في روايته عن نافع أن بين موقفه ﷺ وبين الجدار الذي استقبله قريباً من ثلاثة أذرع، وجزم برفع هذه الزيادة مالك عن نافع فيما أخرجه الدارقطني في الغرائب. ولفظه: وصلى وبينه وبين القبلة ثلاثة أذرع.

وفي كتاب مكة للأزرقي[5]، والفاكهي[6]: أن معاوية سأل ابن عمر: أين صلى رسول الله ﷺ، فقال: اجعل بينك وبين الجدار ذراعين أو ثلاثة، فعلى هذا ينبغي لمن أراد الاتباع في ذلك أن يجعل بينه وبين الجدار ثلاثة أذرع، فإنه تقع قدماه في مكان قدميه ﷺ إن كانت ثلاثة سواء، أو تقع ركبتاه أو يداه أو وجهه إن كان أقل من ثلاثة أذرع والله أعلم.

وفي رواية عن ابن عباس قال: أخبرني أسامة أنه ﷺ لما دخل البيت دعا في نواحيه كلها ولم يصل فيه حتى خرج، فلما خرج ركع في قبل البيت ركعتين وقال: «هذه القبلة»[7] رواه مسلم.

= (٢٢١ هـ) الأعلام ٤/١٣٧ تذكرة الحفاظ. ١/٣٨٣ رقم الترجمة (٣٨٢). الديباج المذهب (١٣١)، العبر ١/٣٨٢.

(١) هو أحمد بن أبي بكر. أبو مصعب الزهري. العوفي. (١٥٠ ـ ٢٤٢ هـ) قاضٍ. حافظ. توفي بالمدينة. الكاشف ١/١٤ رقم الترجمة (١٣) طبقات ابن سعد ٥/٥٠٥ رقم الترجمة (١٤٧٢).

(٢) هو محمد بن الحسن بن فرقد. الشيباني. أبو عبد الله. (١٣١ ـ ١٨٩ هـ) إمام بالفقه والأصول مات بالري. الأعلام ٦/٨٠. وفيات الأعيان ١/٤٥٣. وتاريخ بغداد ٢/١٧٢ ـ ١٨٢. مفتاح السعادة ٢/١٠٧ النجوم الزاهرة ٢/١٣٠. لسان الميزان ٥/١٢١.

(٣) هو أحمد بن إسماعيل أبو حذافة السهمي المدني حافظ توفي سنة (٢٥٩ هـ). الكاشف ١/١٣. رقم الترجمة (٨).

(٤) هو عبد الرحمن بن مهدي بن حسان العنبري البصري اللؤلؤي أبو سعيد. (١٣٥ ـ ١٩٨ هـ). حافظ. توفي بالبصرة. الأعلام ٣/٣٣٩ شذرات الذهب ١/٣٥٥. تذكرة الحفاظ ١/٣٢٩ رقم الترجمة (٣١٣). طبقات ابن سعد. ٧/٢١٨ رقم الترجمة (٣٣٤٥). تاريخ بغداد ١٠/٢٤٠.

(٥) هو محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد ابن الوليد بن عقبة بن الأزرق. أبو الوليد الأزرقي. مؤرخ جغرافي. توفي سنة. (٢٥٠ هـ) الأعلام ٦/٢٢٢. مفتاح السعادة ٢/١٥٤. كشف الظنون (٣٠٦ ـ ١٦٨٤). الفهرست لابن النديم ١/١١٢. معجم المؤلفين ١٠/١٩٨.

(٦) هو محمد بن إسحاق بن العباس الفاكهي. أبو عبد الله. مؤرخ. توفي سنة (٢٧٢ هـ). الأعلام ٦/٢٨. كشف الظنون (٣٠٦) معجم المؤلفين ٩/٤٠ الفهرست لابن النديم ١/١٠٩.

(٧) أخرجه النسائي في كتاب المناسك باب (١٢٧) ٥/٢١٧ ومسلم في الحج رقم الحديث (٣٩٥) وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل ٥/٢٠١

والجمع بينه وبين حديث ابن عمر، أن أسامة أخبره أن النبي ﷺ صلى في الكعبة كما رواه أحمد والطبراني: بأن أسامة حيث أثبتها اعتمد في ذلك على غيره وحيث نفاها أراد ما في علمه لكونه لم يره حين صلى، ويكون ابن عمر ابتدأ بلالاً بالسؤال ثم أراد زيادة الاستثبات في مكان الصلاة، فسأل أسامة أيضاً.

قال النووي: وقد أجمع أهل الحديث على الأخذ برواية بلال لأنه مثبت فمعه زيادة علم، فوجب ترجيحه. قال: وأما نفي أسامة فيشبه أنهم لما دخلوا الكعبة أغلقوا الباب واشتغلوا بالدعاء، فرأى أسامة النبي ﷺ يدعو ثم اشتغل أسامة في ناحية من نواحي البيت والنبي ﷺ في ناحية أخرى، وبلال قريب منه، ثم صلى النبي ﷺ فرآه بلال لقربه منه ولم يره أسامة لبعده واشتغاله بالدعاء، وكانت صلاته ـ عليه السلام ـ خفيفة فلم يرها أسامة لإغلاق الباب مع بعده واشتغاله بالدعاء، وجاز له نفيها عملاً بظنه، وأما بلال فتحققها وأخبر بها. انتهى.

وتعقبوه بما يطول ذكره. وأقرب ما قيل في الجمع: أنه ﷺ صلى في الكعبة لما غاب عنه أسامة من الكعبة لأمر ندبه إليه، وهو أن يأتي بماء يمحو به الصور التي كانت في الكعبة، فأثبت الصلاة بلال لرؤيته لها ونفاها أسامة لعدم رؤيته، ويؤيده ما رواه أبو داود الطيالسي عن أسامة بن زيد قال: دخلت على رسول الله ﷺ في الكعبة، ورأى صوراً فدعا بدلو من ماء، فأتيته به فجعل ﷺ يمحوها ويقول: «**قاتل الله قوماً يصورون ما لا يخلقون**»[1] **ورجاله ثقات.**

وأفاد الأزرقي ـ في تاريخ مكة ـ أن خالد بن الوليد كان على باب الكعبة يذب عنه ﷺ الناس.

وفي البخاري: أنه ﷺ أقام خمس عشرة ليلة، وفي رواية: تسع عشرة[2]. وفي رواية أبي داود: سبع عشرة[3].

وعند الترمذي: ثمان عشرة[4].

وفي الإكليل: أصحها بضع عشرة يقصر الصلاة.

---

(١) انظر فتح الباري ٨/ ٢١ كتاب المغازي باب (٥٠). وفي المعجم الكبير للطبراني ١/ ١٣٠ وفي مجمع الزوائد للهيثمي ٥/ ١٧٣. ومصنف ابن أبي شيبة ٨/ ٦٩٦. وفي السلسلة الصحيحة للألباني (٩٩٦) وفي تفسير القرطبي (٢/ ١١٦) وكنز العمال (٩٣٧٦ ـ ١٢٩٣٥).

(٢) أخرجه البخاري كتاب المغازي باب (٤٥) رقم الحديث (٤٢٩٨ ـ ٤٢٩٩)

(٣) أخرجه أبو داود في سننه. كتاب الصلاة باب (١٠) رقم الحديث (١٢٣٠ ـ ١٢٣١ ـ ١٢٣٢).

(٤) أخرجه الترمذي كتاب الصلاة. باب (٤١). رقم الحديث (٥٥٠ ـ ٥٤٨).

وقال الفاسي[1] في تاريخ مكة: وكان فتح مكة لعشر ليال بقين من شهر رمضان.

ثم سرية خالد بن الوليد[2] عقب فتح مكة إلى العزى بنخلة، وكانت لقريش وجميع بني كنانة، وكانت أعظم أصنامهم. لخمس ليال بقين من رمضان، وسنة ثمان، ومعه ثلاثون ليهدمها إلى رسول الله ﷺ بمكة فأخبره. فقال: «**هل رأيت شيئاً**» قال: لا، قال «**فإنك لم تهدمها، فارجع إليها فاهدمها**»، فرجع فجرد سيفه فخرجت إليه امرأة عجوز عريانة سوداء ثائرة الرأس، فجعل السادن يصيح بها، فضربها خالد فجزلها اثنتين، ورجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره فقال: «**نعم، تلك العزى، وقد يئست أن تعبد ببلادكم أبداً**»[3].

ثم سرية عمرو بن العاصي[4] إلى سواع صنم هذيل على ثلاثة أميال من مكة. في شهر رمضان سنة ثمان ـ حين فتح مكة ـ.

قال عمرو: فانتهيت إليه وعنده السادن، فقال: ما تريد؟ فقلت أمرني رسول الله ﷺ أن أهدمه، قال: لا تقدر على ذلك. قلت: لم؟ قال: تمنع، فقلت: ويحك، وهل يسمع أو يبصر؟ قال: فدنوت منه فكسرته ثم قلت للسادن كيف رأيت؟ قال: أسلمت لله.

ثم سرية سعد بن زيد الأشهلي[5] إلى مناة، صنم للأوس والخزرج بالمشلل، في شهر رمضان، حين فتح مكة، فخرج في عشرين فارساً حتى انتهى إليها، قال السادن: ما تريد؟ قال: هدم مناة، قال: أنت وذاك.

فأقبل سعد يمشي إليها، فخرجت إليه امرأة عريانة سوداء ثائرة الرأس تدعو بالويل وتضرب صدرها، فضربها سعد بن زيد فقتلها، وأقبل إلى الصنم ومعه أصحابه فهدموه وانصرف راجعاً إلى النبي ﷺ وكان ذلك لست بقين من رمضان.

---

(١) هو محمد بن أحمد بن علي، تقي الدين. أبو الطيب المكي الحسني. الفاسي. (٧٧٥ ـ ٨٣٢ هـ). مؤرخ عالم بالأصول. حافظ للحديث. توفي بمكة الأعلام ٥/ ٣٣١. الضوء اللامع ٧/ ١٨ رقم الترجمة (٣٣). ومعجم المطبوعات (١٤٢٩).

(٢) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٤/ ٧٩. والمنتظم ٣/ ٣٢٩ وطبقات ابن سعد ٢/ ١١٠. والمغازي للواقدي ٣/ ٨٧٣. والبداية والنهاية ٤/ ٣١٤. وشرح المواهب للزرقاني ٢/ ٣٤٧

(٣) ذكره البيهقي بدلائل النبوة ٥/ ٧٧. وفي مجمع الزوائد للهيثمي ٦/ ١٧٦. والدر المنثور ٦/ ١٢٦ وفي تفسير ابن كثير ٧/ ٤٣١

(٤) انظر المنتظم ٣/ ٣٣٠ وطبقات ابن سعد٢/ ١١١. وشرح المواهب للزرقاني ٢/ ٣٤٨.

(٥) انظر المنتظم ٣/ ٣٣٠ وطبقات ابن سعد ٢/ ١١١ وشرح المواهب للزرقاني ٢/ ٣٤٩.

ثم سرية خالد بن الوليد[1] إلى بني جذيمة، قبيلة من عبد القيس، أسفل مكة على ليلة بناحية يلملم، في شوال سنة ثمان. وهو يوم الغميصاء.

بعثه ﷺ لما رجع من هدم العزى، وهو ﷺ مقيم بمكة، وبعث معه ثلاثمائة وخمسين رجلاً، داعياً إلى الإسلام لا مقاتلاً، فلما انتهى إليهم قال: ما أنتم قالوا: مسلمين قد صلينا وصدقنا بمحمد، وبنينا المساجد في ساحاتنا.

وفي البخاري: لم يحسنوا أن يقولوا ذلك فقالوا صبأنا فقال لهم: إستأسروا فاستأسر القوم، فأمر بعضهم فكتف بعضاً، وفرقهم في أصحابه، فلما كان السحر، نادى منادي خالد: من كان معه أسير فليقتله، فقتلت بنو سليم من كان بأيديهم، وأما المهاجرون والأنصار فأرسلوا أساراهم.

فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «**اللهم إني أبرأ إليك من فعل خالد**».[2] وبعث علياً فودى قتلاهم.

قال الخطابي: يحتمل أن يكون نقم عليهم العدول عن لفظ الإسلام، لأنه فهم عنهم أن ذلك وقع منهم على سبيل الأنفة ولم ينقادوا إلى الدين، فقتلهم متأولاً، وأنكر ﷺ العجلة وترك التثبت في أمرهم قبل أن يعلم المراد من قولهم صبأنا.

ثم غزا ﷺ حنينا[3] ـ بالتصغير ـ وهو وادٍ قرب ذي المجاز، وقيل: ماء بينه وبين مكة ثلاث ليال، قرب الطائف، وتسمى غزوة هوزان.

وذلك أن النبي ﷺ لما فرغ من فتح مكة وتمهيدها، وأسلم عامة أهلها مشت أشراف هوزان وثقيف بعضهم إلى بعض، وحشدوا وقصدوا محاربة المسلمين، وكان رئيسهم مالك بن عوف النصري.

فخرج إليهم رسول الله ﷺ من مكة يوم السبت لست ليال خلون من شوال، في

---

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٤/ ٧٠ وطبقات ابن سعد ٢/ ١١٢ والبداية والنهاية ٤/ ٣١١ والكامل في التاريخ ٢/ ١٢٨ والمنتظم ٣/ ٣٣١.

(٢) أخرجه البخاري. كتاب المغازي باب (٥٩). وفي سنن النسائي ٨/ ٢٣٧. وللإمام أحمد بن حنبل في مسنده ٢/ ١٥١ وفي السنن الكبرى للبيهقي ٩/ ١١٥. وفي دلائل النبوة للبيهقي ٥/ ١١٤ وفي تفسير القرطبي ٧/ ٢٢٤. وفي مشكاة المصابيح (٣٩٧٦). وفي مشكل الآثار للطحاوي ٤/ ٢٥٤ وفي تفسير ابن كثير ٢/ ٣٣١. وفي كنز العمال (١٤٨٩).

(٣) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٤/ ٨٠. والمنتظم ٣/ ٣٣١. وطبقات ابن سعد ٢/ ١١٤ والكامل في التاريخ ٢/ ١٣٥. وتاريخ الطبري ٢/ ٣٤٤. والبداية والنهاية ٤/ ٣٢١ ومغازي والواقدي ٣/ ٨٨٥ وفي دلائل النبوة للبيهقي ٥/ ١١٩.

إثني عشر ألفاً من المسلمين. عشرة آلاف من أهل المدينة وألفان ممن أسلم من أهل مكة. وهم الطلقاء، يعني: الذين خلى عنهم يوم فتح مكة وأطلقهم فلم يسترقهم، وأحدهم طليق ـ فعيل بمعنى مفعول ـ وهو الأسير إذا أطلق سبيله.

واستعمل ﷺ على مكة **عتاب بن أسيد**. وخرج معه ﷺ ثمانون من المشركين، منهم صفوان بن أمية، وكان ﷺ استعار منه مائة درع بأداتها، فوصل إلى حنين ليلة الثلاثاء لعشر ليال خلون من شوال.

فبعث مالك بن عوف ثلاثة نفر يأتونه بخبر أصحاب رسول الله ﷺ، فرجعوا إليه وقد تفرقت أوصالهم من الرعب.

ووجه رسول الله ﷺ عبدالله بن أبي حدرد الأسلمي، فدخل عسكرهم، فطاف به وجاء بخبرهم.

وفي حديث **سهل بن الحنظلية** ـ عند أبي داود بإسناد حسن ـ أنهم ساروا مع رسول الله ﷺ فأطنبوا السير، فجاء رجل فقال: إني انطلقت من بين أيديكم حتى طلعت جبل كذا وكذا، فإذا أنا بهوازن عن بكرة أبيهم، بظعنهم وشائهم اجتمعوا إلى حنين، فتبسم النبي ﷺ وقال: «**تلك غنيمة المسلمين غداً، إن شاء الله تعالى**». [(١)]

وقوله عن بكرة أبيهم: كلمة للعرب، يريدون بها الكثرة وتوفر العدد، وليس هناك بكرة في الحقيقة، وهي التي يستقى عليها الماء، فاستعيرت هنا.

وقوله: بظعنهم: أي نسائهم، واحدتها ظعينة، وأصل الظعينة الراحلة التي يرحل ويظعن عليها، أي يسار، وقيل للمرأة ظعينة لأنها تظعن مع زوجها حيثما ظعن، ولأنها تحمل على الراحلة إذا ظعنت. وقيل الظعينة: المرأة في الهودج، ثم قيل للمرأة بلا هودج، وللهودج بلا امرأة ظعينة. انتهى.

وروى يونس بن بكير، في زيادة المغازي عن الربيع قال: قال رجل يوم حنين لن نغلب اليوم من قلة، فشق ذلك على النبي ﷺ.

ثم ركب ﷺ بغلته البيضاء «دلدل» ولبس درعين والمغفر والبيضة. فإستقبلهم من هوازن ما لم يروا مثله قط من السواد والكثرة، وذلك في غبش الصبح، وخرجت الكتائب

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٩/١٤٩. وفي المستدرك للحاكم ٢/٨٤ وفي المعجم الكبير للطبراني ٦/١١٦ وفي دلائل النبوة للبيهقي ٥/١٢٦. وفي مشكاة المصابيح للتبريزي (٥٩٣٢) وفي الترغيب والترهيب ٢/٢٥١ وفي تفسير ابن كثير ٢/١٧٤.

من مضيق الوادي، فحملوا حملة واحدة فانكشفت خيل بني سليم مولية وتبعهم أهل مكة والناس.

ولم يثبت معه ﷺ يومئذ إلا العباس بن عبد المطلب، وعلى بن أبي طالب، والفضل بن العباس، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وأبو بكر وعمر وأسامة بن زيد، في أناس من أهل بيته وأصحابه.

قال العباس: وأنا آخذ بلجام بغلته أكفها مخافة أن تصل إلى العدو، لأنه ﷺ كان يتقدم في نحر العدو، وأبو سفيان بن الحارث آخذ بركابه، وجعل عليه السلام يقول للعباس: «**ناد يا معشر الأنصار، يا أصحاب السمرة**» - يعني شجرة بيعة الرضوان - التي بايعوه تحتها، أن لا يفروا عنه.

فجعل ينادي تارة يا أصحاب السمرة، وتارة: يا أصحاب سورة البقرة - وكان العباس رجلاً صيتاً - فلما سمع المسلمون نداء العباس أقبلوا كأنهم الإبل إذا حنت على أولادها.

وفي رواية لمسلم: قال العباس: فوالله لكأن عطفتهم - حين سمعوا صوتي - عطفة البقر على أولادها. يقولون: يا لبيك، يا لبيك. فتراجعوا إلى رسول الله ﷺ، حتى أن الرجل منهم إذا لم يطاوعه بعيره على الرجوع انحدر عنه وأرسله، ورجع بنفسه إلى رسول الله ﷺ.

فأمرهم ﷺ أن يصدقوا الحملة، فاقتتلوا مع الكفار، فأشرف رسول الله ﷺ فنظر إلى قتالهم فقال: الآن حمي الوطيس، وهو التنور يخبز فيه، يضرب مثلاً لشدة الحرب الذي يشبه حرها حره. وهذه من فصيح الكلام الذي لم يسمع من أحد قبل النبي ﷺ.

وتناول ﷺ حصيات من الأرض ثم قال: «**شاهت الوجوه**»[1] - أي قبحت - ورمى بها في وجوه المشركين، فما خلق الله منهم إنساناً إلا ملأ عينيه من تلك القبضة.

وفي رواية لمسلم: قبضة من تراب الأرض.[2] فيحتمل أنه رمى بذا مرة وبذا مرة أخرى. ويحتمل أن يكون أخذ قبضة واحدة مخلوطة من حصى وتراب.

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ١/ ٣٠٣ وفي سنن الدارمي ٢/ ٢٢٠. وفي مجمع الزوائد للهيثمي ٦/ ٨٤. وفي المعجم الكبير للطبراني ٣/ ٢٢٧. وفي مصنف ابن أبي شيبة ١٤/ ٥٣٠. وفي إتحاف السادة المتقين ٧/ ١٧٣. وفي دلائل النبوة للبيهقي ٥/ ١٤١ ومشكاة المصابيح (٥٨٩١) وفي الدر المنثور ٥/ ١٧٤؛ وفي كنز العمال (٣٦٩٧ - ٢٩٩٢٤ - ٢٩٩٢٥ - ٣٠٢٠٤).

(٢) أخرجه مسلم كتاب الجهاد باب (٢٨) رقم الحديث (٢٨).

ولأحمد وأبي داود والدارمي، من حديث أبي عبد الرحمن الفهري في قصة حنين قال: فولى المسلمون مدبرين كما قال الله تعالى، فقال رسول الله ﷺ: «**أنا عبدالله ورسوله**»، ثم اقتحم عن فرسه، فأخذ كفا من تراب. قال: فأخبرني الذي كان أدنى إليه مني أنه ضرب وجوههم وقال: «**شاهت الوجوه فهزمهم الله**». قال **يعلى بن عطاء** ،راويه عن **أبي همام**عن أبي عبد الرحمن الفهري فحدثني أبناؤهم عن آبائهم أنهم قالوا: لم يبق منا أحد إلا امتلأت عيناه وفمه تراباً وسمعنا صلصلة من السماء كإمرار الحديد على الطست الجديد ـ بالجيم ـ

قال في النهاية: وصف الطست وهي مؤنثة بالجديد وهو مذكر، إما لأن تأنيثها غير حقيقي فأوله على الإناء والظرف، أو لأن فعيلا يوصف به المؤنث بلا علامة تأنيث كما يوصف به المذكر، نحو امرأة قتيل. انتهى

ولأحمد والحاكم من حديث ابن مسعود: فحادت به ﷺ بغلته، فمال السرج فقلت ارتفع رفعك الله، فقال: «**ناولني كفاً من تراب**»،فضرب وجوههم وامتلأت أعينهم تراباً، وجاء المهاجرون والأنصار سيوفهم بإيمانهم كأنها الشهب فولى المشركون الأدبار.[1]

وروى أبو جعفر بن جرير بسنده عن عبد الرحمن بن مولى عن رجل كان في المشركين يوم حنين قال: لما التقينا نحن وأصحاب رسول الله ﷺ يوم حنين لم يقوموا لنا حلب شاة، فلما لقيناهم جعلنا نسوقهم في آثارهم حتى انتهينا إلى صاحب البغلة البيضاء، فإذا هو رسول الله ﷺ. قال: فتلقانا عنده رجال بيض الوجوه حسان فقالوا لنا: شاهت الوجوه ارجعوا. قال: فانهزمنا وركبوا أكتافنا.

وفي سيرة الدمياطي: كان سيما الملائكة يوم حنين عمائم حمر أرخوها بين أكتافهم.

وفي حديث جبير بن مطعم: نظرت والناس يقتتلون يوم حنين إلى مثل البجاد الأسود يهوي من السماء.

والبجاد: بالموحدة والجيم آخره دال مهملة: الكساء، وجمعه: بجد، أراد الملائكة الذين أيدهم الله بهم، قاله ابن الأثير.

وفي البخاري: عن البراء وسأله رجل من قيس: أفررتم عن رسول الله ﷺ يوم حنين؟ فقال: لكن رسول الله ﷺ لم يفر، كانت هوازن رماة، وإنا لما حملنا عليهم إنكشفوا فأكبينا على الغنائم فاستقبلنا بالسهام، ولقد رأيت رسول الله ﷺ على بغلته

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ١/ ٤٥٣. وفي المستدرك للحاكم ٢/ ١١٧ وفي إتحاف السادة المتقين ٧/ ١٧٤. وفي مجمع الزوائد للهيثمي ٦/ ١٨٠. وفي المعجم الكبير للطبراني ١٠/ ٢٠٩. وفي الترغيب والترهيب للمنذري ٣/ ٢٢٤.

البيضاء وإن أبا سفيان بن الحارث آخذ بزمامها، وهو يقول: «**أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب**».[1]

وهذا فيه إشارة إلى أن صفة النبوة يستحيل معها الكذب، فكأنه قال: أنا النبي، والنبي لا يكذب، فلست بكاذب فيما أقول حتى أنهزم، بل أنا متيقن أن الذي وعدني الله به من النصر حق، فلا يجوز عليّ الفرار.

وأما ما في مسلم عن سلمة بن الأكوع من قوله: «فأرجع منهزماً» إلى قوله: «مررت على رسول الله ﷺ منهزماً» فقال: «**لقد رأى ابن الأكوع فزعاً**»[2] فقال العلماء: قوله منهزماً حال من ابن الأكوع ـ لا من رسول الله ﷺ ـ كما صرح أولاً بانهزامه، ولم يرد أن النبي ﷺ انهزم، وقد قالت الصحابة كلهم: إنه عليه السلام ما انهزم ولم ينقل أحد قط أنه انهزم في موطن من المواطن. وقد نقلوا إجماع المسلمين على أنه لا يجوز أن يعتقد انهزامه ﷺ، ولا يجوز ذلك عليه، بل كان العباس وأبو سفيان بن الحارث آخذين ببغلته يكفانها عن إسراع التقدم إلى العدو.

وقد تقدم في غزوة أحد ما نسب لابن المرابط، من المالكية، مما حكاه القاضي عياض في الشفاء: أن من قال إن النبي ﷺ هزم يستتاب، فإن تاب وإلا قتل، وأن العلامة البساطي[3] تعقبه بما لفظه: هذا القائل إن كان يخالف في أصل المسألة يعني: حكم الساب، فله وجه، وإن وافق على أن الساب لا تقبل توبته فمشكل. انتهى.

قال بعضهم: وقد كان ركوبه ﷺ البغلة في هذا المحل الذي هو موضع الحرب والطعن والضرب تحقيقاً لنبوته، لما كان الله تعالى خصه به من مزيد الشجاعة وتمام النبوة، وإلا فالبغال عادة من مراكب الطمأنينة، ولا يصلح لمواطن الحرب في العادة إلا

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الجهاد رقم الحديث (٧٨ ـ ٧٩ ـ ٨٠) وفي الترمذي كتاب الجهاد باب (١٥) رقم الحديث (١٦٨٨). وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل ١/ ٢٦٤ و٤/ ٢٨٠. وفي السنن الكبرى للبيهقي ٩/ ١٥٥. وفي دلائل النبوة للبيهقي ١٣/١ و٣/ ٣٣٤ و٥/ ١٣٢. والدر المنثور ٣/ ١٢٥. ومجمع الزوائد ١/ ٢٨٩ وكنز العمال (٣٠٢٠٦ ـ ٣٠٢١٩ ـ ٣١٨٧٣ ـ ٣٥٥٠٣) وفي المنتقى لابن الجارود (١٠٦٦). طبعة دار الجنان. وفي البخاري رقم الحديث (٤٣١٧ ـ ٢٨٦٤ ـ ٤٣١٦).

(٢) أخرجه مسلم كتاب الجهاد باب (٢٨) رقم الحديث (٨١ ـ و ١٧٧٧) وفي دلائل النبوة للبيهقي ٥/ ١٤٠ والدر المنثور ٣/ ٢٢١

(٣) هو محمد بن أحمد بن عثمان الطائي البساطي أبو عبد الله شمس الدين (٧٦٠ ـ ٨٤٢ هـ) فقيه مالكي من القضاة. توفي بالقاهرة. الاعلام ٥/ ٣٣٢ شذرات الذهب ٧/ ٢٤٥ الضوء اللامع ٧/ ٥ رقم الترجمة (٧) نيل الإبتهاج صفحة ٣٠٠ حسن المحاضرة ١/ ٢٦٣ وبغية الوعاة (١٣) كشف الظنون (٤٧٥ ـ ١١١٧ ـ ١٧١٧).

الخيل فبين ﷺ أن الحرب عنده كالسلم قوة قلب وشجاعة نفس وثقة وتوكلا على الله تعالى، وقد ركبت الملائكة في الحرب معه ﷺ على الخيل لا غير لأنها بصدد ذلك عرفا دون غيرها من المركوبات، ولهذا لا يسهم في الحرب إلا للخيل، والسر في ذلك أنها المخلوقة للكر والفر بخلاف البغال والإبل. انتهى.

وعند ابن أبي شيبة، من مرسل الحكم بن عتيبة: لم يبق معه عليه الصلاة والسلام إلا أربعة نفر، ثلاثة من بني هاشم ورجل من غيرهم: علي العباس بين يديه، وأبو سفيان بن الحارث آخذ بالعنان، وابن مسعود من الجانب الأيسر، وليس يقبل نحوه أحد إلا قتل.

وفي الترمذي بإسناد حسن من حديث ابن عمر: لقد رأيتنا يوم حنين، وإن الناس لمولون، وما مع رسول الله ﷺ مائة رجل[1].

وفي شرح مسلم للنووي: أنه ثبت معه ﷺ اثنا عشر رجلاً وكأنه أخده من قول ابن إسحاق.

ووقع في شعر العباس بن عبد المطلب أن الذين ثبتوا كانوا عشرة فقط وذلك لقوله:

نصرنا رسول الله في الحرب تسعة ... وقد فر من قد فر عنه فاقشعوا
وعاشرنا لاقى الحمام بنفسه ... لما مسّه في الله لا يتوجع

وقد قال الطبري: الانهزام المنهي عنه هو ما وقع على غير نية العود، وأما الاستطراد للكثرة فهو كالتحيز إلى فئة. انتهى.

وأما قوله ﷺ: «**أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب**» فقد قال العلماء: إنه ليس بشعر، لأن الشاعر إنما سمي شاعراً لوجوه، منها: أنه شعر القول وقصده واهتدى إليه، وأتى به كلاما موزوناً على طريقة العرب مقفى، فإن خلا من هذه الأوصاف أو بعضها لم يكن شعراً، ولا يكون قائله شاعراً. والنبي ﷺ لم يقصد بكلامه ذلك الشعر، ولا أراده، فلا يعد شعراً، وإن كان موزوناً.

وأما قوله ﷺ: أنا ابن عبد المطلب، ولم يقل: ابن عبد الله، فأجيب: بأن شهرته بجده كانت أكثر من شهرته بأبيه، لأن أباه توفي في حياة أبيه عبد المطلب قبل مولده ﷺ، وكان عبد المطلب مشهوراً شهرة ظاهرة شائعة وكان سيد قريش وكان كثير من

---

(١) أخرجه الترمذي كتاب الجهاد باب (١٥) رقم الحديث (١٦٨٩).

الناس يدعو النبي ﷺ ابن عبد المطلب ينسبونه إلى جده لشهرته، ومنه حديث ضمام بن ثعلبة في قوله: أيكم ابن عبد المطلب[1]. وقيل غير ذلك.

وأمر ﷺ أن يقتل من قدر عليه، وأفضى المسلمون في القتل إلى الذرية، فنهاهم ﷺ عن ذلك.

وقال: من قتل قتيلاً له عليه بينة فله سلبه. واستلب أبو طلحة وحده ذلك اليوم عشرين رجلاً.

وقال ابن القيم في الهدي النبوي: كان الله تعالى وعد رسوله أنه إذا فتح مكة دخل الناس في دين الله أفواجا، ودانت له العرب بأسرها، فلما تم له الفتح المبين اقتضت حكمته أن أمسك قلوب هوزان ومن تبعها عن الإسلام، وأن يجمعوا ويتألبوا لحربه ﷺ، ليظهر أمره تعالى، وتمام إعزازه لرسوله ونصره لدينه، ولتكون غنائمهم شكراناً لأهل الفتح، وليظهر الله تعالى رسوله وعباده، وقهره لهذه الشوكة العظيمة التي لم يلق المسلمون قبلها مثلها، ولا يقاومهم بعد أحد من العرب، فاقتضت حكمته سبحانه أن أذاق المسلمين أولاً مرارة الهزيمة والكسرة مع كثرة عددهم وعددهم وقوة شوكتهم، ليطامن رؤوساً رفعت بالفتح ولم تدخل بلده وحرمه كما دخل عليه الصلاة والسلام واضعاً رأسه منحنياً على مركوبه تواضعاً لربه، وخضوعاً لعظمته أن أحل له بلده، ولم يحله لأحد قبله ولا لأحد بعده، وليبين سبحانه لمن قال: لن نغلب اليوم من قلة، أن النصر إنما هو من عنده تعالى، وأنه من ينصره فلا غالب له ومن يخذله فلا ناصر له، وأنه سبحانه هو الذي تولى نصر رسوله ودينه، لاكثرتكم التي أعجبتكم، فإنها لم تغن عنكم شيئاً فوليتم مدبرين، فلما انكسرت قلوبهم ارسلت خلع الجبر مع بريد: أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها. وقد اقتضت حكمته تعالى: أن خلع النصر وجوائزه إنما تفاض على أهل الانكسار، ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض.

قال: وبهاتين الغزوتين ـ أعني حنيناً وبدراً ـ قاتلت الملائكة بأنفسها مع المسلمين، ورمى رسول الله ﷺ وجوه المشركين بالحصباء فيهما. وبهاتين الغزاتين طفئت جمرة العرب لغزو رسول الله ﷺ. انتهى.

وأمر ﷺ بطلب العدو، فانتهى بعضهم إلى الطائف، وبعضهم نحو نخلة، وقوم منهم إلى أوطاس.

---

(١) أخرجه أبو داود كتاب الصلاة باب (٢٣) رقم الحديث (٤٨٧).

واستشهد من المسلمين أربعة: منهم أيمن ابن أم أيمن.

وقتل من المشركين أكثر من سبعين قتيلاً.

ثم سرية أبي عامر الأشعر[1]، وهو عم أبي موسى الأشعري، وقال ابن أسحاق: ابن عمه والأول أشهد.

بعثه ﷺ حين فرغ من حنين، في طلب الفارين من هوازن يوم حنين إلى أوطاس ـ وهو واد في ديار هوازن ـ وكان معه سلمة بن الأكوع، فانتهى إليهم، فإذا هم ممتنعون فقتل منهم أبو عامر تسعة أخوة مبارزة بعد أن يدعو كل واحد منهم إلى الإسلام ويقول: اللهم اشهد عليه، ثم برز له العاشر فدعاه إلى الإسلام وقال اللهم اشهد عليه، فقال اللهم لا تشهد علي فكف عنه أبو عامر فأفلت. ثم أسلم بعد فحسن إسلامه فكان رسول الله ﷺ إذا رآه قال: هذا شريد أبي عامر[2].

ورمى أبا عامر ابنا الحارث ـ العلاء وأوفى ـ فقتلاه، فخلفه أبو موسى الأشعري فقاتلهم حتى فتح الله عليه.

وكان في السبي الشيماء ـ أخته عليه الصلاة والسلام من الرضاعة ـ.

وقتل قاتل أبي عامر. فقال ﷺ: «**اللهم اغفر لأبي عامر واجعله من أعلى أمتي في الجنة**».

وفي رواية البخاري قال ـ يعني أبا عامر لأبي موسى الأشعري، لما رمي بالسهم ـ: يا ابن أخي: أقرىء النبي ﷺ السلام، وقل له: يستغفر لي ثم مات. فرجعت فدخلت على النبي ﷺ فأخبرته بخبرنا وخبر أبي عامر، وقال: قل له: استغفر لي، فدعا بماء فتوضأ، ثم رفع يديه وقال: «**اللهم اغفر لعبيدك أبي عامر**» ـ ورأيت بياض إبطيه ـ ثم قال: «**اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك**»... فقلت: ولي... فقال: «**اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه وأدخله يوم القيامة مدخلاً كريماً**»[3]. قال أبو بردة: إحداهما لأبي عامر والأخرى لأبي موسى.

---

(١) انظر البداية والنهاية ٤/٣٣٦ ودلائل النبوة للبيهقي ٥/١٢٥.

(٢) ذكره ابن كثير في البداية والنهاية ٤/٣٣٧.

(٣) أخرجه البخاري كتاب المغازي باب (٥٦) رقم الحديث (٤٣٢٣) وفي دلائل النبوة للبيهقي ٥/١٥٣ وفي جمع الجوامع للسيوطي (٩٩٦٤) وفي شرح السنة للبغوي ٥/٢٠١ وفي تغليق التعليق لابن حجر العسقلاني (١٠٧٨) وفي البداية والنهاية ٤/٣٣٨.

ثم سرية الطفيل بن عمرو الدوسي[1] إلى ذي الكفين، صنم من خشب، كان لعمرو بن حممة، في شوال - لما أراد ﷺ السير إلى الطائف - ليهدمه ويوافيه بالطائف.

فخرج سريعاً فهدمه وجعل يحش النار في وجهه ويحرقه ويقول:

يا ذا الكفين لست من عبادكا ميلادنا أقدم من ميلادكا

إني حشوت النار في فؤادكا

وانحدر معه من قومه أربعمائة سراعاً، فوافوا النبي ﷺ بالطائف بعد مقدمه بأربعة أيام. وعند مغلطاي: وقدم معه أربعة مسلمون.

غزوة الطائف [2]

ثم غزوة الطائف ، وهي بلد كبير ، على ثلاث مراحل أو اثنين من مكة ، من جهة المشرق، كثيرة الأعناب والفواكه. وقيل: إن أصلها أن جبريل - عليه الصلاة والسلام - اقتلع الجنة التي كانت لأصحاب الصريم، فسار بها إلى مكة، فطاف بها حول البيت ثم أنزلها حيث الطائف، فسمي الموضع بها. وكانت أولاً بنواحي صنعاء. واسم الأرض: وج، بتشديد الجيم المضمومة.

وسار إليها النبي ﷺ في شوال سنة ثمان، حين خرج من حنين وحبس الغنائم بالجعرانة.

وقدم خالد بن الوليد على مقدمته، وكانت ثقيف لما انهزموا من أوطاس دخلوا حصنهم بالطائف، وأغلقوه عليهم بعد أن أدخلوا فيه ما يصلحهم لسنة. وتهيؤوا للقتال.

وسار ﷺ فمر بطريقة بقبر أبي رغال، وهو أبو ثقيف -[3] فيما يقال - فاستخرج منه غصناً من ذهب.

ونزل قريباً من الحصن وعسكر هناك. فرموا المسلمين بالنبل رمْياً شديداً، كأنه رجل جراد، حتى أصيب ناس من المسلمين بجراحة وقتل منهم اثنا عشر رجلاً منهم: عبد الله بن أبي أمية. ورمي عبد الله ابن أبي بكر الصديق يومئذ بجرح فاندمل ثم نقض بعد ذلك فمات منه في خلافة أبيه.

---

(١) انظر المنتظم ٣/ ٣٤١. وطبقات ابن سعد ٢/ ١١٩.

(٢) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٤/ ١٢١. والمنتظم ٣/ ٣٤١ وطبقات ابن سعد ٢/ ١٢٠. ومغازي الواقدي ٣/ ٩٢٢. والبداية والنهاية ٤/ ٣٤٤ ودلائل النبوة للبيهقي ٥/ ١٥٦.

(٣) أخرجه أبو داود كتاب الخراج باب (٤١). رقم الحديث (٣٠٨٨). وفي السنن الكبرى للبيهقي ٤/ ١٥٦ ودلائل النبوة للبيهقي أيضاً ٦/ ٢٩٧ وفي كنز العمال (٣٤٠٨٤).

وارتفع ﷺ إلى موضع مسجد الطائف اليوم، وكان معه من نسائه أم سلمة وزينب، فضرب لهما قبتين. وكان يصلي بين القبتين حصار الطائف كله.

فحاصرهم ثمانية عشر يوماً، ويقال خمسة عشر يوماً. ونصب عليهم المنجنيق وهو أول منجنيق رمي به في الإسلام، وكان قدم به الطفيل الدوسي معه لما رجع من سرية ذي الكفين، فرمتهم ثقيف بالنبل فقتل منهم رجال، فأمر ﷺ بقطع أعنابهم وتحريقها. فقطع المسلمون قطعاً ذريعاً، ثم سألوه أن يدعها لله وللرحم، فقال ﷺ «**إني لله وللرحم**»[1]

ثم نادى مناديهﷺ: أيما عبد نزل من الحصين وخرج إلينا فهو حر.

قال الدمياطي: فخرج منهم بضعة عشر رجلاً فيهم أبو بكرة، وعند مغلطاي: ثلاثة وعشرون عبداً.

وفي البخاري عن أبي عثمان النهدي قال: سمعت سعداً وأبا بكرة عن النبي ﷺ... قال عاصم: «لقد شهد عندك رجلان... أما أحدهما فأول من رمى بسهم في سبيل الله، وأما الآخر فنزل إلى النبي ﷺ ثالث ثلاثة وعشرين من الطائف»[2] الحديث.

وأعتق ﷺ من نزل منهم، ودفع كل رجل منهم إلى رجل من المسلمين يمونه، فشق ذلك على أهل الطائف مشقة شديدة.

ولم يؤذن له ﷺ في فتح الطائف. وأمر عمر بن الخطاب فأذن في الناس بالرحيل، فضج الناس من ذلك، وقالوا: نرحل ولم يفتح علينا الطائف؟ فقال ﷺ: فاغدوا على القتال، فغدوا فأصاب المسلمين جراحات، فقال ﷺ: إنا قافلون إن شاء الله تعالى فسروا بذلك وأذعنوا، وجعلوا يرحلون، ورسول الله ﷺ يضحك.

قال النووي: قصد ﷺ الشفقة عليهم والرفق بهم بالرحيل عن الطائف لصعوبة أمره، وشدة الكفار الذين هم فيه، وتقويهم بحصنهم، مع أنه ﷺ علم أولاً، أو رجا أنه سيفتحه بعد ذلك بلا مشقة. فلما حرص الصحابة على المقام والجهاد أقام، وجد في القتال حتى أصابتهم الجراح رجع إلى ما كان قصده أولاً من الرفق بهم ففرحوا بذلك لما رأوا ممن المشقة الظاهرة، ووافقوا على الرحيل، فضحك ﷺ تعجباً من تغير رأيهم.

وفقئت عين أبي سفيان صخر بن حرب يومئذ، فذكر ابن سعد أن النبي ﷺ قال له وهي في يده: «**أيما أحب إليك عين في الجنة أو أدعوا الله أن يردها عليك**» قال: بلا عين في الجنة ورمى بها.

---

(١) ذكره ابن سعد في طبقاته ٢/ ١٢٠.

(٢) أخرجه البخاري كتاب المغازي باب (٥٧) رقم الحديث (٤٣٢٦ ـ ٤٣٢٧ ـ ٦٧٦٦ ـ ٦٧٦٧).

وشهد اليرموك فقاتل وفقئت عينه الأخرى يومئذ. ذكره الحافظ زين الدين العراقي في شرح التقريب.

وقال ﷺ لأصحابه: قولوا: **لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده»**[1].

فلما ارتحلوا قال: «**آيبون، تائبون عابدون، لربنا حامدون**»[2].

فانظر كيف كان ﷺ إذا خرج للجهاد يعتد لذلك بجمع أصحابه واتخاذ الخيل والسلاح وما يحتاج إليه من آلات الجهاد والسفر، ثم إذا رجع يتعرى من ذلك ويرد الأمر كله لمولاه عز وجل لا لغيره بقوله: «**آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون، صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده**».

وانظر إلى قوله ﷺ: «**وهزم الأحزاب وحده**» فنفى ﷺ ما تقدم ذكره، وهذا هو معنى الحقيقة، لأن الإنسان وفعله خلق لربه عز وجل، فهو لله سبحانه وتعالى الذي خلق ودبر، وأعان وأجرى الأمور على يد من شاء، ومن اختار من خلقه، فكل منه وإليه، ولو شاء أن يبيد أهل الكفر من غير قتال لفعل، قال تعالى: ﴿**ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلوا بعضكم ببعض**﴾ [محمد: ٤] فيثبت سبحانه وتعالى الصابرين ويجزل الثواب للشاكرين، قال تعالى: ﴿**ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم**﴾ [محمد: ٣١].

فعلى المكلف الامتثال في الحالتين، أي: امتثال تعاطي الأسباب، والرجوع إلى المولى والسكون إليه بساحة كرمه، كما كان ﷺ يأتي الأسباب أولاً تأدباً مع الربوبية وتشريعاً لأمته، ثم يظهر الله تعالى على يديه ما يشاء من قدرته الغامضة التي ادخرها له عليه الصلاة والسلام.

قال ابن الحاج في المدخل: ولما قيل له: يا رسول الله، ادع على ثقيف. فقال: «**اللهم اهد ثقيفا وائت بهم**»[3].

---

(١) أخرجه أبو داود كتاب الديّات باب (١٧) رقم الحديث (٤٥٤٧) وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل ٥/ ٤١٢ و٣/ ٤٩٤ و ٤١٠ والسنن الكبرى للبيهقي ٨/ ٦٩ وفي إتحاف السادة المتقين ٨/ ٤١ وفي كنز العمال (١٢٣٥٩).

(٢) ذكره أبو نعيم في الحلية ٧/ ١٣٢

(٣) أخرجه الترمذي كتاب المناقب باب (٧٣) رقم الحديث (٣٩٤٢) وفي المسند للإمام أحمد بن حنبل ٣/ ٣٤٣ وفي مشكاة المصابيح للتبريزي (٥٩٨٦) وفي كنز العمال (٣٤٠٠٧) وفي جمع الجوامع للسيوطي (٩٩٥٧).

وكان ﷺ قد أمر أن يجمع السبي والغنائم مما أفاء الله على رسوله يوم حنين، فجمع ذلك كله إلى الجعرانة، فكان بها إلى أن انصرف عليه السلام من الطائف.

وكان السبي ستة آلاف رأس، والإبل أربعة وعشرين ألف بعير، والغنم أكثر من أربعين ألف شاة، وأربعة آلاف أوقية فضة.

واستأنى ﷺ ـ أي انتظر وتربص ـ بهوازن أن يقدموا عليه مسلمين بضع عشرة. ثم بدأ يقسم الأموال، فقسمها.

وفي البخاري: وطفق ﷺ يعطي رجالاً المائة من الإبل. فقال ناس من الأنصار يغفر الله لرسول الله ﷺ يعطي قريشاً ويتركنا، وسيوفنا تقطر من دمائهم؟!

قال أنس: فحدث رسول الله ﷺ بمقالتهم فأرسل إلى الأنصار فجمعهم في قبة من أدم، ثم قال لهم: «**أما ترضون أن يذهب الناس بالأموال وتذهبون بالنبي إلى رحالكم؟! فوالله لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به، قالوا: يا رسول الله قد رضينا**[1]».

وعن جبير بن مطعم قال: بينما أنا مع النبي ﷺ ومعه الناس مقفله من حنين، علقت برسول الله ﷺ الأعراب حتى اضطروه إلى سمرة فخطفت رداءه، فوقف ﷺ فقال: «أعطوني ردائي، فلو كان لي عدد هذه العضاة نعما لقسمته بينكم، ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذوبا ولا جبانا.[2] ورواه مسلم.

وذكر محمد بن سعد كاتب الواقدي عن ابن عباس أنه قال: لما قدم رسول الله ﷺ من الطائف نزل الجعرانة فقسم بها الغنائم ثم اعتمر منها وذلك لليلتين بقيتا من شوال.

قال ابن سيد الناس وهذا ضعيف، والمعروف عند أهل السير أن النبي ﷺ انتهى إلى الجعرانة ليلة الخميس، لخمس ليال خلون من ذي القعدة، فأقام بها ثلاثة عشرة ليلة، فلما أراد الإنصراف إلى المدينة خرج ليلة الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة ليلاً، فأحرم بعمرة ودخل مكة.

وفي تاريخ الأزرقي أنه ﷺ أحرم من وراء الوادي، حيث الحجارة المنصوبة.

وعند الواقدي: من المسجد الأقصى الذي تحت الوادي بالعدوة القصوى من

---

(١) أخرجه البخاري كتاب فرض الخمس باب (١٩) رقم الحديث (٣١٤٧).

(٢) أخرجه البخاري كتاب الخمس باب (١٩) رقم الحديث (٣١٤٨) وفي الجهاد باب (٢٤) رقم الحديث (٢٨٢١) وفي الموطأ كتاب الجهاد باب (١٣) رقم الحديث (٢٢). وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل ٤/ ٨٢ والمعجم الكبير للطبراني ٢/ ١٣٥ وفي مشكاة المصابيح للتبريزي (٥٩٠٧٥) وفي اتحاف السادة المتقين ٧/ ١٤٠ و٨/ ١٩٤.

الجعرانة. وكانت صلاته عليه الصلاة والسلام إذ كان بالجعرانة به.

والجعرانة موضع بينه وبين مكة بريد، كما قاله الفاكهي. وقال الباجي: ثمانية عشر ميلاً، وسمي بامرأة تلقب بالجعرانة، كما ذكره السهيلي.

قالوا: وقدم ﷺ المدينة وقد غاب عنها شهرين وستة عشر يوماً.

وبعث ﷺ قيس بن سعد بن عبادة[1] إلى ناحية اليمن في أربعمائة فارس، وأمره أن يقاتل قبيلة صداء، حين مروره عليهم في الطرق.

فقدم زياد بن الحارث الصدائي، فسأل عن ذلك البعث فأخبر، فقال: يا رسول الله أنا وافدهم، فاردد الجيش، وأنا لك بقومي، فردهم النبي ﷺ من قناة.

وقدم الصدائيون بعد خمسة عشر يوماً فأسلموا. وتأتي قصة وفدهم في الفصل العاشر من المقصد الثاني إن شاء الله تعالى.

وبعث عيينة بن حصن الفزاري[2] إلى بني تميم بالسقيا - وهي أرض بني تميم - في المحرم سنة تسع في خمسين فارسا من العرب ليس فيهم مهاجري ولا أنصاري.

فكان يسير الليل ويكمن النهار، فهجم عليهم في صحراء، فدخلوا وسرحوا مواشيهم فلما رأوا الجمع ولّوْا، فأخذوا منهم أحد عشر رجلاً، ووجدوا في المحلة إحدى عشرة امرأة وثلاثين صبياً.

فقدم منهم عشرة من رؤسائهم، منهم: عطارد والزبرقان، وقيس بن عاصم، والأقرع بن حابس، فجاؤوا إلى باب النبي ﷺ فنادوا:؛يا محمد اخرج إلينا فخرج ﷺ وأقام بلال الصلاة، وتعلقوا برسول الله ﷺ يكلمونه، فوقف معهم ثم مضى فصلى الظهر. ثم جلس في صحن المسجد.

فقدموا عطارد بن حاجب فتكلم وخطب. فأمر رسول الله ﷺ ثابت بن قيس بن شماس فأجابهم.

ونزل فيهم ﴿**إن الذين ينادونك من وراء الحجرات**﴾ [الحجرات: ٤] الآية ورد عليهم ﷺ الأسرى والسبي[3].

وفي البخاري: عن عبد الله بن الزبير: أنه قدم ركب من بني تميم على النبي ﷺ

---

(١) انظر طبقات ابن سعد ١/٢٤٧.

(٢) انظر المنتظم ٣/٣٥٢ وطبقات ابن سعد ٢/ ١٢١.

(٣) انظر دلائل النبوة للبيهقي ٥/٣١٣ وما بعدها.

فقال أبو بكر: أمر القعقاع بن معبد بن زرارة، وقال عمر: بل أمر الأقرع بن حابس، قال أبو بكر: ما أردت إلا خلافي. قال عمر: ما أردت خلافك، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما، فنزل في ذلك: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله**. . . . ﴾ [الحجرات: ١] حتى انقضت(١). أي لا تقدموا القضاء في أمر قبل أن يحكم الله ورسوله فيه.

ولما نزل ﴿**لا ترفعوا أصواتكم**﴾ [الحجرات ٢] أقسم أبو بكر لا يتكلم بين يدي رسول الله إلا كمن يسارر صاحبه، فنزل فيه وفي أمثاله ﴿**إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله**﴾ [الحجرات: ٣] الآية.

ثم بعث الوليد بن عقبة بن أبي معيط(٢) إلى بني المصطلق من خزاعة يصدقهم، وكان بينه وبينهم عداوة في الجاهلية. وكانوا قد أسلموا وبنوا المساجد، فلما سمعوا بدنو الوليد خرج منهم عشرون رجلاً يتلقونه بالجزر والغنم، فرحاً به وتعظيماً لله ولرسوله، فحدثه الشيطان أنهم يريدون قتله. فرجع من الطريق قبل أن يصلوا إليه، وأخبر النبي ﷺ أنهم لقوه بالسلاح يحولون بينه وبين الصدقة.

فهمَّ ﷺ أن يبعث إليهم من يغزوهم. وبلغ ذلك القوم، فقدم عليه الركب الذين لقوا الوليد، فأخبروا النبي ﷺ الخبر على وجهه، فنزلت هذه الآية ﴿**يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ**. . . ﴾ [الحجرات: ٦] إلى آخر الآية، فقرأ عليهم ﷺ القرآن. وبعث معهم عباد بن بشر يأخذ صدقات أموالهم ويعلمهم شرائع الإسلام ويقرئهم القرآن.

وفي «شرف المصطفى» للنيسابوري، مما ذكره مغلطاي أنه عليه الصلاة والسلام بعث عبد الله بن عوسجة إلى بني عمرو بن حارثة، وقيل حارثة بن عمر - قال: وهو الأصح - في مستهل صفر يدعوهم إلى الإسلام فأبوا أن يجيبوا واستخفوا بالصحيفة، فدعا عليهم ﷺ بذهاب العقل، فهم إلى أهل رعدة وعجلة وكلام مختلط.

ثم سرية قطبة بن عامر بن حديدة(٣) إلى خثعم، من تربة - بفتح الراء - من أعمال مكة سنة تسع، وبعث معه عشرين رجلاً، وأمره أن يشن الغارة عليهم فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى كثر الجرحى في الفريقين جميعاً، وقتل قطبة من قتل، وساقوا النعم والشاء والنساء

---

(١) أخرجه البخاري كتاب المغازي باب (٦٩) رقم الحديث (٤٣٦٧ - ٤٨٤٥ - ٤٨٤٧ - ٧٣٠٢). وانظر السيرة النبوية لابن هشام ٤/٢٠٦.

(٢) انظر المنتظم ٣/ ٣٥٧.

(١) انظر طبقات ابن سعد ٢/ ١٢٢ والمنتظم ٣/٣٥٨ والمغازي للواقدي (٩٨١).

إلى المدينة. وكانت سهمانهم أربعة أبعرة، والبعير يعدل بعشرة من الغنم بعد أن أخرج الخمس.

ثم سرية الضحاك بن سفيان الكلابي [1] إلى بني كلاب، في ربيع الأول سنة تسع، إلى القرطاء، فدعاهم إلى الإسلام فأبوا، فقاتلوهم فهزموهم وغنموهم.

ثم سرية علقمة بن مجزز المدلجي[2] إلى طائفة من الحبشة في ربيع الآخر، وقال الحاكم في صفر سنة تسع.

وذكر ابن سعد أن سبب ذلك: أنه بلغه ﷺ أن ناسا من الحبشة ترآهم أهل جدة، فبعث إليهم بن مجزز في ثلاثمائة، فانتهى إلى جزيرة في البحر، فلما خاض البحر إليهم هربوا.

فلما رجع، بعض القوم إلى أهليهم، فأمر عبد الله بن حذاقة على من تعجل، وكانت فيه دعابة، فنزلوا ببعض الطريق وأوقدوا ناراً يصطلون عليها، فقال عزمت عليكم إلا تواثبتم في هذه النار، فلما همّ بعضهم بذلك قال: اجلسوا، إنما كنت أمزح.

فذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: من أمركم بمعصية فلا تطيعوه. ورواه الحاكم وابن ماجه وصححه ابن خزيمة وابن حبان من حديث أبي سعيد الخدري.

وبوب عليه البخاري فقال: سرية عبد الله بن حذافة السهمي وعلقمة بن مجزز المدلجي، ويقال: إنها سرية الأنصاري. ثم روى حديثاً عن علي قال: بعث النبي ﷺ سرية، فاستعمل رجلاً من الأنصار، وأمرهم أن يطيعوه، فغضب فقال: أليس قد أمركم النبي ﷺ أن تطيعوني؟ قالوا: بلى، قال: فاجمعوا حطباً، فجمعوا، فقال: أقدوا ناراً، فأوقدوها، فقال: ادخلوا، فهموا، وجعل بعضهم يمسك بعضاً يقولون: فررنا إلى النبي ﷺ من النار، فمازالوا حتى خمدت النار، فسكن غضبه، فبلغ النبي ﷺ فقال: « **لو دخلوها ما خرجوا منها**»[3].

قال الحافظ أبو الفضل بن حجر: في قوله: «ويقال إنها سرية الأنصاري» إشارة إلى احتمال تعدد القصة، وهو الظاهر لاختلاف سياقهما واسم أميرهما. ويحتمل الجمع بينها بضرب من التأويل، ويبعده وصف عبد الله بن حذافة السهمي القريشي المهاجري بكونه أنصارياً. ويحتمل أن يكون الحمل على المعنى الأعم، أي أنه نصر رسول الله ﷺ

(١) انظر المنتظم ٣/٣٥٩ وطبقات ابن سعد ٢/١٢٣ والمغازي للواقدي ٩٨٢.
(٢) انظر طبقات ابن سعد ٢/١٢٣ والمغازي للواقدي ٩٨٣ وفي المنتظم لابن الجوزي ٣/٣٥٩.
(٣) أخرجه البخاري كتاب المغازي باب (٦٠) رقم الحديث (٤٣٤٠).

في الجملة. وإلى التعدد جنح ابن القيم، وأما ابن الجوزي فقال: قوله «من الأنصار» وهم من بعض الرواة، وإنما هو سهمي.

قال في فتح الباري: ويؤيده حديث ابن عباس عند أحمد، في قوله تعالى ﴿**يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم**﴾ [النساء: ٥٩] نزلت في عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي، بعثه رسول الله ﷺ في سرية. انتهى.

وقال النووي: وهذا الذي فعله هذا الأمير، قيل: أراد امتحانهم، وقيل: كان مازحاً، وقيل: إن هذا الرجل عبد الله بن حذافة السهمي، قال: وهذا ضعيف: لأنه قال في الرواية التي بعدها إنه رجل من الأنصار، فدل على أنه غيره. انتهى.

ثم سرية علي بن أبي طالب[1] إلى الفلس ـ بضم الفاء وسكون اللام ـ وهو صنم طيء ليهدمه، في ربيع الآخر سنة تسع، وبعث معه مائة وخمسين رجلاً من الأنصار، على مائة بعير وخمسين فرساً ـ وعند ابن سعد: مائتي رجل ـ فهدمه وغنم سبياً ونعماً وشاء.

وكان في السبي سفانة بنت حاتم، أخت عدي بن حاتم، فأطلقها النبي ﷺ، فكان ذلك سبب إسلام عدي.

وعند ابن سعد أيضاً: أن الذي كان سباها خالد بن الوليد رضي الله عنه.

ثم سرية عكاشة بن محصن[2] إلى الجباب ـ موضع بالحجاز ـ أرض عذرة وبلي، وقيل أرض فزارة وكلب ولعذرة فيها شركة.

قصة كعب [3] بن زهير مع النبي ﷺ، وكانت فيما بين رجوعه ﷺ من الطائف وغزوة تبوك.

وكان من خبر كعب وأخيه بجير ما ذكره ابن إسحاق وعبد الملك ابن هشام وأبو بكر محمد بن القاسم بن يسار بن الأنباري، دخل حديث بعضهم في حديث البعض:

أن بجيرا قال لكعب: اثبت حتى آتي هذا الرجل ـ يعني النبي ﷺ ـ فأسمع كلامه وأعرف ما عنده، فأقام كعب ومضى بجير، فأتى رسول الله ﷺ فسمع كلامه فآمن به. .

وذلك أن زهيراً فيما زعموا كان يجالس أهل الكتاب فسمع منهم أنه قد آن مبعثه

---

(١) انظر طبقات ابن سعد ٢/ ١٢٤ والمنتظم ٣/ ٣٦٠ ومغازي الواقدي (٩٨٤).
(٢) انظر طبقات ابن سعد ٢/ ١٢٤. والمنتظم ٣/٣٦١.
(٣) انظر السيرة النبوية لاين هشام ٤/ ١٤٤ والكامل في التاريخ ٢/١٤٦ والبداية والنهاية ٤/ ٣٦٧.

ﷺ، ورأى زهير في منامه أنه قد مد سبب من السماء، وأنه قد مد يده ليتناوله، ففاته فأوله بالنبي الذي يبعث في آخر الزمان، وأنه لا يدركه، وأخبر بنيه بذلك، وأوصاهم إن أدركوه أن يسلموا.

قال ابن إسحاق: ولما قدم ﷺ من الطائف، كتب بجير بن زهير إلى أخيه كعب: إن رسول الله قتل رجالاً بمكة ممن كان يهجوه، وإن من بقي من شعراء قريش كابن الزبعري وهبيرة بن أبي وهب قد هربوا في كل وجه، فإن كانت لك في نفسك حاجة فطر إلى رسول الله ﷺ فإنه لا يقتل أحدا جاءه تائباً، وإن كنت لم تفعل فانج إلى نجائك. وكان كعب قد قال:

ألا بلغا عني بجيرا رسالة ... فهل لك فيما قلت ويحك هل لكا
فبين لنا إن كنت لست بفاعل ... على أي شيء غير ذلك دلكا
على خلق لم تلف أما ولا أبا ... عليه ولا تلقى عليه أخا لكا
فإن أنت لم تفعل فلست بآسف ... ولا قائل إما عثرت لعا لكا
سقاك بها المأمون كأساروية ... فأنهلك المأمون منها وعلكا

قال السهيلي: «لعا» كلمة تقال للعاثر دعاء له. انتهى.

قال ابن إسحاق: وبعث بها إلى بجير، فلما أتت بجيرا كره أن يكتمها رسول الله ﷺ فأنشده إياها. فقال ﷺ: سقاك بها المأمون. صدق وإنه لكذوب، وأنا المأمون.. ولما سمع: على خلق لم تلف أما ولا أبا عليه، قال: أجل لم يلف عليه أباه ولا أمه. ثم قال عليه الصلاة والسلام: من لقي منكم كعب بن زهير فليقتله.. فكتب إليه أخوه بهذه الأبيات.

من مبلغ كعبا فهل لك في التي ... تلوم عليها باطلا وهي أحزم
إلى الله لا العزى ولا اللات وحده ... فتنجو إذا كان النجاء وتسلم
لدى يوم لا ينجو وليس بمفلت ... من الناس إلا طاهر القلب مسلم
فدين زهير وهو لا شيء دينه ... ودين أبي سلمى علي محرم

فلما بلغ كعبا الكتاب ضاقت به الأرض، وأشفق على نفسه، وأرجف به من كان في حاضره من عدوه فقال: هو مقتول. فلما لم يجد من شيء بدا، قال قصيدته التي يمدح بها رسول الله ﷺ ويذكر خوفه وإرجاف الوشاة به من عدوه.

ثم خرج حتى قدم المدينة، فنزل على رجل كانت بينه وبينه معرفة من جهينة، فغدا به إلى رسول الله ﷺ فقال: هذا رسول الله فقم إليه واستأمنه، فقام حتى جلس رسول الله

ﷺ فوضع يده في يده ـ وكان رسول الله ﷺ لا يعرفه ـ فقال: يا رسول الله، إن كعب ابن زهير قد جاء ليستأمنك تائباً مسلماً فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به؟ قال رسول الله ﷺ: **(نعم)** قال: أنا يا رسول الله كعب بن زهير.

قال ابن إسحاق: فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة: أنه وثب عليه رجل من الأنصار وقال: يا رسول الله دعني وعدو الله أضرب عنقه. فقال ﷺ: **«دعه عنك فقد جاء تائبا نازعا»**.[1] قال: فغضب كعب على هذا الحي من الأنصار لما صنع صاحبهم، وذلك أنه لم يتكلم فيه رجل من المهاجرين إلا بخير. ثم قال قصيدته اللامية التي أولها:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول ... متيم إثرها لم يفد مكبول

ومنها.

أنبئت أن رسول الله أوعدني ... والعفو عند رسول الله مأمول

مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة الـ ... ـقرآن ولو كثرت في الأقاويل

إن الرسول لنور يستضاء به ... مهند من سيوف الله مسلول

في عصبة من قريش قال قائلهم ... ببطن مكة لما أسلموا زولوا

يمشون مشي الجمال الزهر يعصمهم ... ضرب إذا عرد السود التنابيل

وفي رواية أبي بكر بن الأنباري أنه لما وصل إلى قوله:

إن الرسول لنور يستضاء به ... مهند من سيوف الله مسلول

رمى عليه الصلاة والسلام إليه بردة كانت عليه. وأن معاوية بذل فيها عشرة آلاف فقال: ما كنت لأوثر بثوب رسول الله ﷺ أحدا، فلما مات كعب بعث معاوية إلى ورثته بعشرين ألفا فأخذها منهم. قال: وهي البردة التي عند السلاطين إلى اليوم.

قال ابن إسحاق: قال عاصم بن عمر بن قتادة: فلما قال كعب: «إذا عرد السود التنابيل» وإنما عنى معشر الأنصار، لما كان صاحبهم صنع به، وخص المهاجرين بمدحته غضب عليه الأنصار، فقال بعد أن أسلم ـ يمدح الأنصار ـ قصيدته التي يقول فيها:

من سره كرم الحياة فلا يزل ... في مقنب من صالحي الأنصار

ورثوا المكارم كابرا عن كابر ... إن الخيار همُ بنو الأخيار

المكرهين السمهري بأذرع ... كسوالف الهندي غير قصار

والناظرين بأعين محمرة ... كالجمر غير كليلة الأبصار

---

(١) ذكره في المستدرك للحاكم ٣/ ٥٨٣ والمعجم الكبير للطبراني ١٩/ ١٧٧.

والبـــائعيـــن نفـــوسهـــم لنبيهـــم للمـــوت يـــوم تعـــانـــق وكـــرار
قـــوم إذا خـــوت النجـــوم فـــإنهـــم للطـــارقيـــن النـــازليـــن مقـــاري

وقد كان كعب بن زهير من فحول الشعراء، وأبوه وابنه عقبة وابن ابنه العوام بن عقبة.

غزوة تبوك[1]

مكان معروف، وهي نصف طريق المدينة إلى دمشق.

وهي غزوة العسرة، وتعرف بالفاضحة لافتضاح المنافقين فيها

وكانت يوم الخميس في رجب سنة تسع من الهجرة بلا خلاف، وذكر البخارى لها بعد حجّة الوداع لعله خطأ من النساخ.

وكان حراً شديداً، وجدبا كثيراً، فلذلك لم يور عنها كعادته في سائر الغزوات.

وفي تفسير عبد الرزاق، عن معمر عن ابن عقيل قال: خرجوا في قلة من الظهر وفي حر شديد، حتى كانوا ينحرون البعير فيشربون ما في كرشه من الماء، فكان ذلك عسرة في الماء وفي الظهر وفي النفقة، فسميت غزوة العسرة.

وسببها أنه بلغهﷺ من الأنباط الذين يقدمون بالزيت من الشام إلى المدينة أن الروم تجمعت بالشام مع هرقل. فندب ﷺ الناس إلى الخروج وأعلمهم بالمكان الذي يريد، ليتأهبوا لذلك،

وروى الطيراني من حديث عمران بن الحصين قال: كانت نصارى العرب كتبت إلى هرقل: إن هذا الرجل الذي خرج يدعي النبوة هلك، وأصابتهم سنون فهلكت أموالهم. فبعث رجلاً من عظمائهم وجهز معه أربعين ألفاً. فبلغ ذلك النبي ﷺ ولم يكن للناس قوة.

وكان عثمان قد جهز عيرا إلى الشام فقال: يا رسول الله، هذه مائتا بعير بأقتابها وأحلاسها، ومائتا أوقية ـ يعني من ذهب ـ قال: فسمعته يقول: «**لا يضر عثمان ما عمل بعدها**»[2]

---

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٤/١٥٩. والمنتظم ٣/٣٦٢ وطبقات ابن سعد ٢/١٢٥ والكامل في التاريخ ٢/١٤٩ ومغازي الواقدي ٣/٩٨٩. والبداية والنهاية ٥/٣.

(٢) ذكره في المعجم الكبير للطبراني ١٨/٢٣٢. وفي مجمع الزوائد للهيثمي ٦/١٩١. وفي فتح الباري ٨/١٤٠. كتاب المغازي باب (٧٩) وفي كنز العمال (٣٦١٨٨).

وروى عن قتادة أنه قال: حمل عثمان في جيش العسرة على ألف بعير وسبعين فرساً.

وعن عبد الرحمن بن سمرة قال: جاء عثمان بن عفان بألف دينار في كمه حين جهز جيش العسرة فنثرها في حجره ﷺ، فرأيت رسول الله ﷺ يقلبها في حجره ويقول: «**ماضر عثمان ما عمل بعد اليوم**»خرجه الترمذي وقال: حسن غريب.

وعند الفضائلي والملاء في سيرته، كما ذكره الطبري في الرياض النضرة من حديث حذيفة: بعث عثمان ـ يعني في جيش العسرة ـ بعشرة آلاف دينار إلى رسول الله ﷺ فصبت بين يديه، فجعل ﷺ يقول بيديه ويقلبها ظهراً لبطن يقول: «**غفر الله لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت، وما هو كائن إلى يوم القيامة، ما يبالي ما عمل بعدها**»[1].

ولما تأهب رسول الله ﷺ للخروج، قال قوم من المنافقين: لا تنفروا في الحر، فنزل قوله تعالى: ﴿**وقالوا لا تنفروا في الحر، قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون**﴾ [التوبة: ٨١].

وأرسل عليه السلام إلى مكة وقبائل العرب يستنفرهم.

وجاء البكاؤون يستحملونه، فقال عليه السلام: لا أجد ما أحملكم عليه. وهم: سالم بن عمير، وعلبة بن زيد، وأبو ليلى عبد الرحمن بن كعب المازني، والعرباض بن سارية، وهرم بن عبد الله، وعمرو بن عنمة، وعبد الله بن مغفل، وعبد الله بن عمرو المزني، وعمرو بن الحمام، ومعقل المزني، وحرمي بن مازن، والنعمان وسويد ومعقل وعقيل وسنان وعبد الرحمن وهند بنو مقرن. وهم الذين قال الله فيهم: ﴿**تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألاّ يجدوا ما ينفقون**﴾ [التوبة: ٩٢] قاله مغلطاي.

وفي البخاري عن أبي موسى قال: أرسلني أصحابي إلى رسول الله ﷺ، أسأله الحملان لهم، يا نبي الله، إن أصحابي أرسلوني إليك لتحملهم، فقال «**والله لا أحملكم على شيء**» فرجعت حزيناً من منع النبي ﷺ، ومن مخافة أن يكون النبي ﷺ وجد في نفسه علي فرجعت إلى أصحابي فأخبرتهم الذي قال النبي ﷺ. فلم ألبث إلا سويعة إذ سمعت بلالا ينادي: أين عبد الله بن قيس، فأجبته، فقال: أجب رسول الله ﷺ يدعوك. فلما أتيته قال: «**خذ هاتين القرينتين وهاتين القرينتين لستة أبعره ابتاعهم حينئذ من سعد،**

---

(١) ذكر في كنز العمال (٣٢٨٤٧ـ ٣٦١٨٩ ـ ٣٦٢٤٥) وفي الكامل في الضعفاء لابن عدي ٦/٢٢٥٣.

فانطلق بهن إلى أصحابك فقل: إن الله، أو إن رسول الله يحملكم على هؤلاء فاركبوهن»[1] الحديث.

وقام علبة بن زيد، فصلى من الليل وبكى وقال: اللهم إنك قد أمرت بالجهاد ورغبت فيه، ثم لم تجعل عندي ما أتقوى به مع رسولك، ولم تجعل في يد رسولك ما يحملني عليه، وإني أتصدق على كل مسلم بكل مظلمة أصابني فيها، مال أو جسد أو عرض. ثم أصبح مع الناس. فقال النبي: «**أين المتصدق بهذه الليلة**» فلم يقم أحد، ثم قال: أين المتصدق بهذه الليلة؟ فلم يقم أحد، ثم قال أين المتصدق فليقم، إليه فأخبره، فقال ﷺ: «**أبشر فوالذي نفس محمد بيده لقد كتبت في الزكاة المقبلة**[2]» رواه يونس والبيهقي في الدلائل، كما ذكره السهيلي في الروض له.

وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم في التخلف، فأذن لهم، وهم اثنان وثمانون رجلاً.

وقعد آخرون من المنافقين بغير عذر وإظهار علة جرأة على الله ورسوله وهو قوله تعالى: ﴿**وقعد الذين كذبوا الله ورسوله**﴾ [التوبة: ٩٠].

واستخلف على المدينة محمد بن مسلمة. قال الدمياطي: وهو عندنا أثبت ممن قال استخلق غيره. انتهى.

وقال الحافظ زين الدين العراقي، في ترجمة علي بن أبي طالب من شرح التقريب: لم يتخلف عن المشاهد إلا تبوك، فإن النبي ﷺ خلفه على المدينة، وعلى عياله، وقال له يومئذ: «**أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي**»[3] وهو في الصحيحين من حديث سعد ابن أبي وقاص. انتهى. ورجحه ابن عبد البر.

وقيل: استخلف سباع بن عرفطة.

---

(١) أخرجه البخاري كتاب المغازي باب (٧٩) رقم الحديث (٤٤١٥). وفي مسلم كتاب الإيمان رقم الحديث (٧ ـ ٨ ـ ٩) وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل ١٧٩/٣ ومجمع الزوائد للهيثمي ١٨٣/٤.

(٢) انظر دلائل النبوة للبيهقي ٢١٩/٥.

(٣) أخرجه البخاري كتاب المغازي باب (٧٩) رقم الحديث (٤٤١٦) وفي مسلم كتاب فضائل الصحابة رقم الحديث (٣٠ ـ ٣١). وفي الترمذي كتاب المناقب باب (٢٠) رقم الحديث (٣٧٣٠) وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل ١٧٩/١ وفي حلية الأولياء ٣٤٥/٤ اتحاف السادة المتقين ٢٢٧/٢ وفي مجمع الزوائد للهيثمي ١٠٩/٩ وفي كنز العمال (١٤٢٤٢ ـ ٣٢٨٨١ ـ ٣٦٥٧٢ ـ ٤٤٢١٦).

وتخلف نفر من المسلمين من غير شك ولا ارتياب، منهم، كعب ابن مالك، ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية، وفيهم نزل ﴿**وعلى الثلاثة الذين خلفوا**﴾ [التوبة: ١١٨] وأبو ذر، وأبو خثيمة، ثم لحقاه بعد ذلك.

ولما رأى ﷺ أبا ذر الغفاري ـ وكان ﷺ نزل في بعض الطريق ـ فقال: «**يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده**»(١). فكان كذلك.

وأمر ﷺ لكل بطن من الأنصار والقبائل من العرب أن يتخذوا لواء وراية.

وكان معه ﷺ ثلاثون ألفاً. وعند أبي زرعة سبعون ألفاً، وفي رواية عنه أيضاً أربعون ألفاً. وكانت الخيل عشرة آلاف فرس.

ولما مر ﷺ بالحجر ـ بكسر الحاء وسكون الجيم ـ بديار ثمود قال: «**لا تشربوا من مائها شيئاً، ولا يخرجن أحد منكم إلا ومعه صاحب له**» ففعل الناس، إلا أن رجلين من بني ساعدة خرج أحدهما لحاجته وخرج الآخر في طلب بعيره، فأما الذي خرج لحاجته فخنق على مذهبه وأما الذي خرج في طلب بعيره فاحتمله الريح حتى طرحته بجبلي طيء. فأخبر بذلك رسول الله ﷺ فقال: «**ألم أنهكم**» ثم دعا للذي خنق على مذهبه فشفي، وأما الآخر فأهدته طيء لرسول الله حين قدم المدينة(٢).

وفي صحيح مسلم من حديث أبي حميد: انطلقنا حتى قدمنا تبوك، فقال رسول الله ﷺ «**ستهب عليكم الليلة ريح شديدة، فلا يقم أحد منكم، فمن كان له بعير فليشد عقاله**» فهبت ريح شديدة، فقام رجل فحملته الريح حتى ألقته بجبلي طيء(٣)

وروى الزهري: لما مر رسول الله ﷺ بالحجر سجى ثوبه على وجهه واستحث راحلته ثم قال: «**لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا أنفسهم إلا وأنتم باكون، خوفاً أن يصيبكم ما أصابهم**»(٤) رواه الشيخان.

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣/٤٣٨ وفي المعجم الكبير للطبراني ٥/٨٨ مجمع الزوائد للهيثمي ٩/٤١٦ وفي المطالب العالية لابن حجر ٤٠٥٦ وفي كنز العمال (٣٤٠٧٨ ـ ٣٧٨٦١).

(٢) ذكره البيهقي في دلائل النبوة ٥/٢٤٠ وفي المعجم الكبير للطبراني ٧/١٣٦ وفي البداية والنهاية ٥/١٠.

(٣) أخرجه مسلم كتاب الفضائل رقم الحديث (١١) وفي دلائل النبوة للبيهقي ٥/٢٣٨.

(٤) أخرجه البخاري كتاب المغازي باب (٨١) رقم الحديث (٤٤١٩ ـ ٤٤٢٠) وفي مسلم كتاب الزهد باب (١) رقم الحديث (٣٩). وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل ٢/٦٦ وفي سنن الدارمي (٥٤٣). وفي السنن الكبرى للبيهقي ٢/٤٥١ وفي مشكاة المصابيح للتبريزي (٥١٢٥) وكنز العمال (٣٨٢٨٢ ـ ٤٣٧٤٢) والبداية والنهاية ٥/١٠.

ولما كان ﷺ ببعض الطريق ضلت ناقته. . فقال زيد بن اللصيت ـ وكان منافقاً ـ: أليس محمد يزعم أنه نبي ويخبركم عن خبر السماء، وهو لا يدري أين ناقته؟ فقال رسول الله ﷺ: «**إن رجلاً يقول**». . . وذكر مقالته، «**وإني لا أعلم إلا ما علمني الله، وقد دلني عليها، وهي في الوادي في شعب كذا وكذا، قد حبستها شجرة بزمامها. فانطلقوا حتى تأتوني بها**»[(١)] فانطلقوا فجاؤوا بها. رواه البيهقي وأبو نعيم.

وفي مسلم من حديث معاذ بن جبل: أنهم وردوا عين تبوك، وهي تبض بشيء من ماء، وأنهم غرفوا منها قليلاً قليلاً حتى اجتمع في شن ثم غسل ﷺ به وجهه ويديه ثم أعاده فيها فجرت بماء كثير، فاستقى الناس[(٢)]. الحديث. ويأتي إن شاء الله في مقصد المعجزات.

ولما انتهى ﷺ إلى تبوك أتاه صاحب أيلة فصالحه وأعطاه الجزية. وأتاه أهل جرباء ـ بالجيم ـ واذرح ـ بالذال المعجمة والراء والحاء المهملتين ـ بلدين بالشام بينهما ثلاثة أميال، فأعطوه الجزية، وكتب لهم ﷺ كتاباً.

ووجد هرقل بحمص، فأرسل خالد بن الوليد إلى أكيدر بن عبد الملك النصراني، وكان ملكاً عظيماً بدومة الجندل، في أربعمائة وعشرين فارساً في رجب سرية، وقال له عليه الصلاة والسلام: «**إنك ستجده ليلاً يصيد البقر**»، فانتهى إليه خالد، وقد خرج من حصنه في ليلة مقمرة، إلى بقر يطاردها، هو وأخوه حسان، وهرب من كان معهما فدخل الحصن، ثم أجار خالد أكيدر من القتل، حتى يأتي به رسول الله ﷺ على أن يفتح له دومة الجندل، ففعل وصالحه على ألفي بعير وثمانمائة فرس وأربعمائة درع وأربعمائة رمح[(٣)].

وفي هذه الغزوة كتب ﷺ كتاباً في تبوك إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام، فقارب الإجابة ولم يجب. رواه ابن حبان في صحيحه من حديث أنس.

وفي مسند أحمد أن هرقل كتب من تبوك إلى النبي ﷺ: أني مسلم فقال النبي ﷺ: «**كذب هو على نصرانيته**»[(٤)]

وفي كتاب الأموال لأبي عبيد، بسند صحيح من مرسل بكر بن عبد الله نحوه ولفظه: فقال: «**كذب عدو الله ليس بمسلم**».

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الفضائل رقم الحديث (١٠) والإمام مالك في الموطأ كتاب قصر صلاة السفر باب (١) رقم الحديث (٢) والإمام أحمد بن حنبل في مسنده ٥/ ٢٣٨.

(٢) ذكره البيهقي بدلائل النبوة ٥/ ٢٥٠ وفي السنن الكبرى للبيهقي ٩/ ١٨٧. وكنز العمال (٣٠٢٧٧).

(٣) انظر فتح الباري ١/ ٥١. كتاب بدء الوحي باب (٦).

ثم انصرف ﷺ من تبوك، بعد أن أقام بها بضع عشرة ليلة. وقال الدمياطي ـ ومن قبله ابن سعد ـ عشرين ليلة، يصلي ركعتين، ولم يلق كيدا، وبنى في طريقه مساجد.

وأقبل ﷺ حتى نزل بذي أوان ـ بفتح الهمزة بلفظ الأوان: الحين ـ وبينهما وبين المدينة ساعة جاءه خبر مسجد الضرار من السماء.

فدعا مالك بن الدخشم ومعن بن عدي العجلاني فقال: انطلقا إلى مسجد الظالم أهله فاهدماه وحرقاه. فخرجا فحرقاه وهدماه.

وذلك بعد أن أنزل الله فيه: ﴿والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا﴾ [التوبة: ١٠٧].

قال الواحدي: قال ابن عباس ومجاهد وقتاده وعامة أهل التفسير: الذين اتخذوا مسجد الضرار كانوا اثني عشر رجلاً، يضارون به مسجد قباء، وذلك أنهم قالوا في طائفة من المنافقين: نبني مسجدا فنقيل فيه فلا نحضر خلف محمد.

قال المفسرون: ولما بنوا ذلك لأغراضهم الفاسدة عند ذهاب رسول الله ﷺ إلى غزوة تبوك، ونحن نحب أن تصلي فيه وتدعو لنا بالبركة، فقال عليه الصلاة والسلام: «**إني على جناح سفر، وإذا قدمن إن شاء الله تعالى صلينا فيه**»[1]. فلما قفل من غزوة تبوك سألوه إتيان المسجد، فنزلت هذه الآية.

ولما دنا ﷺ من المدينة خرج الناس لتلقيه. وخرج النساء والصبيان والولائد يقلن:

طلــــــع البـــــــدر علينـــــــا	مـــــــن ثنيـــــــات الـــــــوداع
وجــــــب الشكـــــــر علينـــــــا	مـــــــا دعـــــــا لله داع

وقد وهم بعض الرواة ـ كما قدمته ـ وقال: إنما كان هذا عند مقدمه المدينة، وهو وهم ظاهر، لأن ثنيات الوداع إنما هي من ناحية الشام، لا يراها القادم من مكة إلى المدينة، ولا يراها إلا إذا توجه إلى الشام ـ كما قدمت ذلك ـ.

وفي البخاري: لما رجع ﷺ من غزوة تبوك فدنا من المدينة، قال: (إن بالمدينة أقواماً ما سرتم مسيراً، ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم حبسهم العذر)[2] وهذا يؤيد معنى ما ورد: نية المؤمن خير من عمله، فإن نية هؤلاء أبلغ منه أعمالهم، فإنها بلغت بهم مبلغ

---

(١) ذكره البيهقي بدلائل النبوة ٥/ ٢٦٠. وفي تفسير ابن كثير ٤/ ١٤٩ وتفسير الطبري ١١/ ١٨.

(٢) أخرجه ابن ماجه. كتاب الجهاد باب (٦) رقم الحديث (٢٧٦٤ ـ ٢٧٦٥). والإمام أحمد بن حنبل في مسنده ٣/ ١٠٣ ـ ٣٤١. وفي دلائل النبوة للبيهقي ٥/ ٢٦٧. وفي السنن الكبرى للبيهقي ٩/ ٢٤ وفي إتحاف السادة المتقين ١٠/ ٧. وفي سنن سعيد بن منصور (٢٣١٠) وفي مصنف ابن أبي شيبة ١٤/ ٥٤٦ وفي تاريخ أصفهان ١/ ٣٦٢. وفي البخاري كتاب المغازي. باب (٨٢) رقم الحديث (٤٤٢٣).

أولئك العاملين بأبدانهم، وهم على فرشهم في بيوتهم. والمسابقة إلى الله تعالى وإلى درجات العلا بالنيات والهمم لا بمجرد الأعمال.

ولما أشرف ﷺ على المدينة قال: «**هذه طابة وهذا أحد، جبل يحبنا ونحبه**»(١).

ولما دخل قال العباس يا رسول الله، ائذن لي أمتدحك قال: قل لا يفضض الله فاك، فقال:

مـن قبلهـا طبـت فـي الظـلال وفـي	مستـودع حيـث يخصـف الـورق
ثـم هبطـت البـلاد لا بشـر	أنـت ولا مضغـة ولا علـق
بـل نطفـة تـركـب السفيـن وقـد	ألجـم نسـراً وأهلـه الغـرق
تنقـل مـن صـالـب إلـى رحـم	إذا مضـى عـالـم بـدا طبـق
وردت نـار الخليـل مكتتمـا	فـي صلبـه أنـت كيـف يحتـرق
حتـى احتـوى بيتـك المهميـن مـن	خنـدف عليـاء تحتهـا النطـق
وأنـت لمـا ولـدت أشـرقـت الأر	ض وضـاءت بنـورك الأفـق
فنحـن فـي ذلـك الضيـاء وفـي الـ	ـنـور وسبـل الـرشـاد نختـرق

وقوله: من قبلها طبت الخ: أي ظلال الجنة، أي إنك كنت طيباً في صلب آدم حيث كان في الجنة.

وقوله: من قبلها: أي قبل نزولك إلى الأرض فكنى عنها ولم يتقدم لها ذكر لبيان المعنى.

وقوله: ثم هبطت البلاد لا بشر، أي لما أهبط الله آدم إلى الدنيا، كنت في صلبه غير بالغ هذه الأشياء.

وقوله: وقد ألج نسراً وأهله الغرق، يريد الصنم الذي كان يعبده قوم نوح وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿**ولا يغوث ويعوق ونسراً**﴾ [نوح: ٢٣].

وقوله: حتى احتوى بيتك المهمين الخ. النطق: جمع نطاق. وهي أعراض من جبال بعضها فوق بعض أي: نواح وأوساط منها شبهت بالنطق التي تشد بها أوساط الناس. ضربه مثلاً في ارتفاعه وتوسطه في عشيرته وجعلهم تحته بمنزلة أوساط الجبال، وأراد ببيته: شرفه، والمهمين: نعته، أي احتوى شرفه الشاهد إلى فضلك أعلى مكان من

---

(١) أخرجه البخاري كتاب المغازي. باب (٨٢) رقم الحديث (٤٤٢٢). وفي صحيح مسلم كتاب الحج (٥٠٣) وكتاب الفضائل (١١) وفي السنن الكبرى للبيهقي ٦/٣٧٢. وبدلائل النبوة للبيهقي ٥/٢٦٦. وفي كنز العمال (٣٤٩٩٣) وللإمام أحمد بن حنبل في مسنده ٥/٤٢٥.

نسب خندف ـ وهو بكسر الخاء المعجمة والدال المهملة ـ انتهى.

وجاءه ﷺ من كان تخلف عنه، فحلفوا له فعذرهم واستغفر لهم، وأرجأ أمر كعب وصاحبيه حتى نزلت توبتهم في قوله تعالى: ﴿**لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رؤوف رحيم. وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم**﴾ [التوبة: ١١٧ ـ ١١٨].

والثلاثة هم: كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع.

وعند البيهقي في الدلائل، من مرسل سعيد بن المسيب: أن أبا لبابة بن عبد المنذر لما أشار لبني قريظة بيده إلى حلقه: إنه الذبح وأخبر عنه رسول الله ﷺ بذلك فقال له رسول الله ﷺ: «**أحسبت أن الله قد غفل عن يدك حين تشير إليهم بها إلى حلقك**»، فلبث حينا ورسول الله ﷺ عاتب عليه، ثم غزا تبوكاً فتخلف عنه أبو لبابة فيمن تخلف، فلما قفل رسول الله ﷺ منها جاءه أبو لبابة يسلم عليه فأعرض عنه رسول الله ﷺ، ففزع أبو لبابة، فارتبط بسارية التوبة سبعا وقال: لا يزال هذا مكاني حتى أفارق الدنيا أو يتوب الله علي[1]. الحديث.

وعنده أيضاً من حديث ابن عباس في قوله تعال: ﴿**وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً**﴾ [التوبة: ١٠٢]. قال: كانوا عشرة رهط تخلفوا عن النبي ﷺ في غزوة تبوك، فلما رجع ﷺ أوثق سبعة منهم أنفسهم بسواري المسجد وكان ممر النبي ﷺ إذ رجع في المسجد عليهم، فقال: «**من هؤلاء**»؟ قالوا: هذا أبو لبابة وأصحاب له تخلفوا عنك يا رسول الله، حتى تطلقهم وتعذرهم، فقال: **أقسم بالله لا أطلقهم ولا أعذرهم حتى يكون الله هو الذي يطلقهم، رغبوا عني وتخلفوا عن الغزو**» فأنزل الله تعالى: ﴿**وآخرون اعترفوا بذنوبهم**﴾ [التوبة: ١٠٢]. فلما نزلت أرسل النبي ﷺ فأطلقهم وعذرهم[2]. الحديث.

---

(١) ذكره البيهقي دلائل النبوة للبيهقي ٥/ ٢٧٠. وفي الدر المنثور ٣/ ٢٧٢.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ٢/ ٣٦٣ وفي المعجم الكبير للطبراني ٧/ ٦٣ وفي نصب الراية للزيلعي ٣/ ٤٢٣ و ٤٢٤ والسلسلة الصحيحة للألباني ٣/ ٩٢ وفي مجمع الزوائد للهيثمي ١/ ٧٦ و ٥/ ٣٠٣ و ٦/ ١٧٥ و ١٠/ ٥١، وفي المستدرك للحاكم ٢/ ١٢٢ وفي إتحاف السادة المتقين ١/ ٤٢٩ و ٧/ ١٠٠ وفي البداية والنهاية ٥/ ٢٤ وفي كنز العمال (٣٠٠٤٨ ـ ٣١٨٦١ ـ ٣٩٧٩٩).

قالوا: ولما قدم ﷺ من تبوك وجد عويمر العجلاني امرأته حبلى، فلاعن عليه السلام بينهما.

حجة أبي بكر[1]

ثم حجة أبي بكر الصديق رضي الله عنه بالناس، سنة تسع في ذي القعدة، كما ذكره ابن سعد وغيره بسند صحيح عن مجاهد، ووافقه عكرمة بن خالد، فيما أخرجه الحاكم في الإكليل.

وقال قوم في ذي الحجة، وبه قال الداودي والثعلبي والماوردي. ويؤيده أن ابن إسحاق صرح بأن النبي ﷺ أقام بعد ما رجع من تبوك رمضان وشوالا وذا القعدة ثم بعث أبا بكر أميراً على الحج، فهو ظاهر في أن بعث أبي بكر كان بعد انسلاخ ذي القعدة، فيكون حجه في ذي الحجة على هذا والله أعلم.

وكان مع أبي بكر ثلاثمائة رجل من المدينة، وعشرون بدنة.

وفي البخاري ومسلم، عن أبي هريرة: أن أبا بكر بعثه في الحجة التي أمره رسول الله ﷺ قبل حجه الوداع في رهط يؤذن في الناس يوم النحر: أن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان[2].

ثم أردف النبي ﷺ بعلي بن أبي طالب، وأمره أن يؤذن ببراءة، فأذن معلنا في أهل منى ببراءة، وأن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان.

قال: فنبذ أبو بكر إلى الناس في ذلك العاك فلم يحج في العام القابل الذي حج فيه رسول الله ﷺ حجة الوداع مشرك. فأنزل الله في العام الذي نبذ فيه أبو بكر إلى المشركين: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا**﴾ [التوبة: ٢٨] الآية.

وقد دلت هذه الآية الكريمة على نجاسة المشرك كما في الصحيح «المؤمن لا

---

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٤/ ١٨٨. والمنتظم ٣/ ٣٧٢. وطبقات ابن سعد ٢/ ١٢٧ والبداية والنهاية ٥/ ٣٣ ومغازي الواقدي ٣/ ١٠٧٦. والكامل في التاريخ ٢/ ١٦٠.

(٢) أخرجه البخاري. كتاب المغازي باب (٦٦) رقم الحديث (٤٣٦٣) وفي صحيح مسلم كتاب الحج رقم الحديث (٤٢٥) وفي سنن أبي ذاود كتاب المناسك باب (٦٦) رقم الحديث (١٩٤٦). وفي سنن الترمذي كتاب تفسير القرآن باب (٦) رقم الحديث (٣٠٩١) وفي سنن النسائي كتاب الحج رقم الحديث (١٦١). وللإمام أحمد بن حنبل في مسنده ٢/ ٢٩٩. وفي سنن الدارمي كتاب الصلاة برقم ١٤٠.

ينجس» وأما نجاسة بدنه فالجمهور على أنه ليس بنجس البدن والذات، وذهب بعض الظاهرية إلى نجاسة أبدانهم، وهذا ضعيف، لأن أعيانهم لو كانت نجسة كالكلب والخنزير لما طهرهم الإسلام، ولاستوى في النهي عن دخول المشركين المسجد الحرام وغيره من المساجد. فالمراد: الأخباث لما فيهم من خبث الظاهر بالكفر وخبث الباطن بالعداوة قاله مقاتل.

وروى النسائي عن جابر أن النبي ﷺ لما رجع من عمرة الجعرانة بعث أبا بكر على الحج، فأقبلنا معه حتى إذا كنا بالعرج ثوب للصبح، فلما استوى للتكبير سمع الرغوة خلف ظهره فوقف عن التكبير فقال: هذه رغوة ناقة رسول الله ﷺ الجدعاء، لقد بدا لرسول الله ﷺ في الحج، فلعله أن يكون رسول الله ﷺ فنصلي معه، فإذا علي عليها، فقال له أبو بكر أمير أم رسول، قال: لا بل رسول، أرسلني رسول الله ﷺ ببراءة أقرؤها على الناس في مواقف الحج، فقدمنا مكة، فلما كان قبل التروية بيوم قام أبو بكر فخطب الناس فحدثهم عن مناسكهم، حتى إذا فرغ قام علي فقرأ علي الناس براءة حتى ختمها، ثم كان يوم النحر، فأفضنا فلما رجع أبو بكر خطب الناس فحدثهم عن إفاضتهم وعن نحرهم وهن مناسكهم، فلما فرغ قام علي فقرأ على الناس براءة حتى ختمها. فلما كان يوم النفر الأول قام أبو بكر فخطب الناس، فحدثهم كيف ينفرون، وكيف يرمون يعلمهم مناسكهم، فلما فرغ قام علي فقرأ على الناس براءة حتى ختمها.

وهذا السياق فيه غرابة من جهة أن أمير الحج سنة عمرة الجعرانة إنما هو عتاب بن أسيد، أما أبو بكر رضي الله عنه فأنما كان سنة تسع.

واستدل بهذه القصة على أن فرض الحج كان قبل حجة الوادع، والأحاديث في ذلك كثيرة شهيرة.

وذهب جماعة إلى أن حج أبي بكر هذا لم يسقط عنه الفرض بل كان تطوعاً قبل فرض الحج ولا يخفى ضعفه.

وفي هذه السنة أيضاً مات عبد الله بن أبي بن سلول، فجاء ابنه إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه قميصه ليكفن فيه أباه، فأعطاه. ثم سأله أن يصلي عليه، فقام ليصلي عليه، فقام عمر رضي الله عنه فأخذ بثوب رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله تصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عليه، فقال ﷺ: «**إنما خيرني الله عز وجل**» قال: ﴿**استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم**﴾ [التوبة: ٨٠]. وسأزيد على السبعين قال: إنه منافق.

فصلى عليه رسول الله ﷺ فأنزل الله عز وجل: ﴿**ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون**﴾ [التوبة: ٨٤][١]. رواه الشيخان والنسائي.

وفي هذه السنة أيضاً آلى رسو الله ﷺ من نسائه شهراً. وجحش شقه ـ أي خدش ـ وجلس في مشربة له درجها من جذوع، فأتاه أصحابه يعودونه فصلى بهم جالساً وهم قيام، فلما سلم قال: إنما جعل الإمام ليؤتم به، فإذا صلى قائماً فصلوا قياماً، وإذ صلى قاعداً فصلوا قعودا، ولا تركعوا حتى يركع، ولا ترفعوا حتى يرفع.

ونزل لتسع وعشرين فقالوا: يا رسول الله إنك آليت شهراً، فقال: «**إن الشهر يكون تسعا وعشرين**»[٢].

ثم بعث أبا موسى ومعاذا إلى اليمن قبل حجة الوداع. كل واحد منهما على مخلاف. قالوا: واليمن مخلافان، ثم قالوا: «**يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا**». وقال لمعاذ: «**إنك ستأتي قوماً أهل كتاب. فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة. فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**»[٣]. رواه البخاري.

والمخلاف: ـ بكسر الميم وسكون المعجمة وآخره فاء ـ بلغة أهل اليمن الكورة والإقليم والرستاق.

وكانت جهة معاذ العليا إلى صوب عدن، وكان من عمله الجند ـ بفتح الجيم

---

(١) أخرجه البخاري كتاب التفسير باب (١٢) رقم الحديث (٤٦٧٠ ـ ٤٦٧٢). وفي صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة رقم (٢٥) وصفات المنافقين المتقدمة (٣). وفي السنن الكبرى للبيهقي ٣/ ٤٠٢. وفي الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف (٧٨) وفي تاريخ الطبري (١٤١). وفي مشكل الآثار للطحاوي ١/ ١٣. وفي تفسير ابن كثير ٤/ ١٣٢.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الصيام (٢٢ ـ ٢٤ ـ ٢٥) والطلاق (٣٠ ـ ٣٥ ـ وفي ٧٦٤ و١١٠٧). وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل ٦/ ١٠٥ و ٣١٥ وفي السنن الكبرى للبيهقي ٧/ ٣٨١ وفي اتحاف السادة المتقين ٦/ ٣٣ وفي دلائل النبوة للبيهقي ١/ ٣٣٦ وفي جمع الجوامع للسيوطي (٦٥١٥). وفي مصنف ابن أبي شيبة ٣/ ٨٦ وفي كنز العمال (٢٣٧٦٦).

(٣) أخرجه البخاري. كتاب المغازي. باب (٦١) رقم الحديث (٤٣٣١ ـ ٤٣٤٢). وفي صحيح مسلم كتاب الايمان (٣٠) وفي السنن الكبرى للبيهقي ٤/ ٩٦ و٧/ ٧. في صحيح ابن خزيمة (٢٢٧٥) وفي الدر المنثور ١/ ١٩٤ وفي ١٩٤ وفي كنز العمال (١٥٧٧٣).

والنون ـ وله بها مسجد مشهور. وكانت جهة أبي موسى السفلى.

ثم أرسل خالد بن الوليد[1] قبل حجة الوداع أيضاً، في ربيع الأول سنة عشر ـ وفي الإكليل: في ربيع الآخر، وقيل: في جمادى الأولى ـ إلى بني عبد المدان بنجران فأسلموا.

ثم أرسل علي بن أبي طالب[2] إلى اليمن في شهر رمضان، سنة عشر من الهجرة، وعقد له لواء وعممه بيده.

وأخرج أبو داود وأحمد والترمذي من حديث علي قال: بعثني النبي ﷺ إلى اليمن فقلت يا رسول الله. تبعثني إلى قوم أسن مني وأنا حديث السن لا أبصر القضاء. قال: فوضع يده في صدري وقال: «**اللهم ثبت لسانه واهد قلبه**»، وقال: «**يا علي إذا جلس إليك الخصمان، فلا تقض بينهما حتى تسمع من الآخر**»[3]. الحديث.

فخرج في ثلاثمائة، ففرق أصحابه فأتوا بنهب وغنائم ونساء وأطفال ونعم وشاء وغير ذلك. ثم لقي جمعهم فدعاهم إلى السلام فأبوا. ورموا بالنبل، ثم حمل عليهم علي بأصحابه فقتل منهم عشرين رجلاً فتفرقوا وانهزموا فكف عن طلبهم، ثم دعاهم إلى السلام فأسرعوا وأجابوا، وبايعه نفر من رؤسائهم على الإسلام وقالوا نحن على من وراءنا من قومنا، وهذه صدقاتنا فخذ منها حق الله.

ثم قفل فوافى النبي ﷺ بمكة قد قدمها للحج سنة عشر.

ثم حج ﷺ حجة الوداع[4]، وتسمى حجة الإسلام، وحجة البلاغ، وكره ابن عباس أن يقال: حجة الوداع.

وكان ﷺ قد أقام بالمدينة يضحي كل عام ويغزو المغازي، فلما كان في ذي القعدة سنة عشر من الهجرة أجمع على الخروج إلى الحج فتجهز وأمر الناس بالجهاز له.

قال ابن سعد: ولم يحج غيرها منذ تنبأ إلى أن توفاه الله تعالى.

وفي البخاري عن زيد بن أرقم أن النبي ﷺ غزا تسع عشرة غزوة، وأنه حج بعدما

---

(١) انظر طبقات ابن سعد ٢/١٢٨. والمنتظم ٣/٣٧٩ والبداية والنهاية ٥/٩٣.

(٢) انظر طبقات ابن سعد ٢/١٢٨ والبداية والنهاية ٥/٩٣.

(٣) أخرجه ابن ماجه كتاب الأحكام باب (١) رقم الحديث (٢٣١٠). وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل ١/١١١ وفي المستدرك للحاكم ٣/١٣٥ وفي جمع الجوامع للسيوطي (٩٩٧٥) وفي كنز العمال (٣٢٠٣٧ ـ ٣٦٣٩٨).

(٤) انظر البداية والنهاية ٥/٩٩ وطبقات ابن سعد ٢/١٣٠ والمنتظم ٤/٥.

هاجر حجة واحدة لم يحج بعدها، حجة الوداع[1].

قال• وقال ابن إسحاق: وبمكة أخرى، وقيل: حج حجتين. هذا بعد النبوة وقبلها لا يعلمه إلا الله.

فخرج ﷺ من المدينة يوم السبت لخمس بقين من ذي القعدة وجزم ابن حزم بأن خروجه كان يوم الخميس، وفيه نظر. لأن أول ذي الحجة كان يوم الخميس قطعاً، لما ثبت وتواتر وقوفه بعرفة كان يوم الجمعة، فتعين أن أول الشهر كان يوم الخميس، فلا يصح أن يكون خروجه يوم الخميس، بل هو ظاهر الخبر أن يكون يوم الجمعة.

لكن ثبت في الصحيحين عن أنس: صلينا مع رسول الله ﷺ الظهر بالمدينة أربعا، والعصر بذي الحليفة ركعتين[2]. فدل على أن خروجهم لم يكن يوم الجمعة ويحمل قول من قال: لخمس بقين، أي إن كان الشهر ثلاثين فاتفق أن جاء تسعا وعشرين فيكون يوم الخميس أول ذي الحجة بعد مضي أربع ليال لا خمس، وبها تتفق الأخبار.

هكذا جمع الحافظ عماد الدين بن كثير بين الروايات، وقوى هذا الجمع بقول جابر: إنه خرج لخمس بقين من ذي القعدة أو أربع.

وصرح الواقدي بأن خروجه ﷺ كان يوم السبت لخمس ليال بقين من ذي القعدة.

وكان خروجه من المدينة بين الظهر والعصر. وكان دخول مكة صبح رابعة، كما ثبت في حديث عائشة وذلك يوم الأحد. وهذا يؤيد أن خروجه من المدينة كان يوم السبت، كما تقدم، فيكون مكثه في الطريق ثمان ليال، وهي المسافة الوسطى.

وخرج معه عليه السلام تسعون ألفاً، ويقال مائة ألف وأربعة عشر ألفاً، ويقال أكثر من ذلك، كما حكاه البيهقي.

ويأتي الكلام على حجة الوداع وما فيها من المباحث في مقصد العبادات إن شاء الله تعالى.

ثم سرية أسامة بن زيد بن حارثة[3] إلى أهل أبنى بالشراة ناحية بالبلقاء، وكانت يوم

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ٤/ ٣٧٠ والبداية والنهاية ٥/ ١٩٠ وفي دلائل النبوة للبيهقي ٥/ ٤٥٣ وفي البخاري كتاب المغازي باب (٧٨) رقم الحديث (٤٤٠٤).

(٢) أخرجه البخاري كتاب تقصير الصلاة باب (٥) رقم الحديث (١٠٨٩ ـ ١٥٤٦ ـ ٢٩٨٦) وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل ٣/ ١١٠.

(٣) انظر طبقات ابن سعد ٢/ ١٤٥ والسيرة النبوية لابن هشام ٤/ ٢٩١ والمغازي للواقدي (١١١٧). وراجع المنتظم حوادث سنة (١١ هـ) ٤/ ٧٣.

الإثنين لأربع ليال بقين من صفر، سنة إحدى عشرة.

وهي آخر سرية جهزها النبي ﷺ وأول شيء جهزه أبو بكر الصديق رضي الله عنه، لغزو الروم مكان قتل أبيه زيد.

فلما كان يوم الأربعاء بدىء برسول الله ﷺ وجعه، فحمّ وصدع، فلما أصبح يوم الخميس عقد لأسامة لواء بيده، فخرج بلوائه معقوداً فدفعه إلى بريدة الأسلمي، وعسكر بالجرف. فلم يبق أحد من وجوه المهاجرين والأنصار إلا انتدب، فيهم أبو بكر عمر.

فتكلم قوم وقالوا: يستعمل هذا الغلام على المهاجرين؟ فخرج رسول الله ﷺ وقد عصب رأسه وعليه قطيفة، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «**أما بعد، أيها الناس، ما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة، ولئن طعنتم في إمارتي أسامة فقد طعنتم في إمارتي أباه من قبله، وأيم الله إن كان للإمارة لخليقاً، وإن ابنه من بعده لخليق للإمارة، وإن كان لمن أحب الناس إلي، فاستوصوا به خيراًفإنه من خياركم**». ثم نزل عن المنبر فدخل بيته[1]. وذلك يوم السبت لعشر خلون من ربيع الأول سنة إحدى عشرة.

وجاء المسلمون الذين يخرجون مع أسامة يودعون رسول الله ﷺ، ويخرجون إلى معسكر بالجرف.

فلما كان يوم الأحد اشتد برسول الله ﷺ وجعه، فدخل أسامة من معسكره والنبي ﷺ مغمور، وهو اليوم الذي لدوه فيه، فطأطأ أسامة فقبله، ورسول الله ﷺ لا يتكلم، فجعل يرفع يديه إلى السماء ثم يضعها على أسامة. قال أسامة: فعرفت أنه يدعو لي، ورجع أسامة إلى معسكره.

ثم دخل يوم الإثنين وأصبح ﷺ مفيقاً، فودعه أسامة وخرج إلى المعسكر، فأمر الناس بالرحيل. فبينا هو يريد الركوب إذا رسول أمه أم أيمن قد جاء يقول: إن رسول الله ﷺ يموت. فأقبل هو وعمر وأبو عبيدة. فتوفي ﷺ حين زاغت الشمس لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول.

واستشكله السهيلي ومن تبعه، وذلك: أنهم اتفقوا على أن ذا الحجة كان أوله يوم الخميس، فمهما فرضت الشهور الثلاثة: توامّ أو نواقص، أو بعضها، لم يصح.

قال الحافظ ابن حجر: وهو ظاهر لمن تأمله.

---

(١) أخرجه البخاري كتاب فضائل الصحابة باب (١٧) رقم الحديث (٣٧٣٠ ـ ٤٢٥٠ ـ ٧١٨٧) وفي الترمذي كتاب المناقب باب (٣٩) رقم الحديث (٣٨١٦) وفي مسلم كتاب فضائل الصحابة رقم الحديث (٦٣ ـ ٦٤) وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل ٢/ ٢٠.

وأجاب البارزي ثم ابن كثير: باحتمال وقوع الأشهر الثلاثة كوامل، وكان أهل مكة والمدينة اختلفوا في رؤية هلال ذي الحجة، فرآه أهل مكة ليلة الخميس، ولم يره أهل المدينة إلا ليلة الجمعة، فحصلت الوقفة برؤية أهل مكة، ثم رجعوا إلى المدينة فأرخوا برؤية أهلها. وكان أول ذي الحجة الجمعة وآخره السبت، وأول المحرم الأحد وآخره الإثنين وأول صفر الثلاثاء وآخره الأربعاء، وأول ربيع الأول الخميس، فيكون ثاني عشر الإثنين.

قال: وهذا الجواب بعيد، من حيث إنه يلزم منه توالي أربعة أشهر كوامل، وقد جزم سليمان التيمي أحد الثقات: بأن ابتداء مرضه كان يوم السبت الثاني والعشرين من صفر، ومات يوم الإثنين لليلتين خلتا من ربيع الأول. فعلى هذا يكون صفر ناقصاً، ولا يمكن أن يكون أول صفر السبت إلا إن كان ذو الحجة والمحرم ناقصين. فيلزم منه نقص ثلاثة أشهر متوالية.

قال: والمعتمد ما قاله أبو مخنف: أنه توفي في ثاني ربيع الأول. وكان سبب غلط غيره أنهم قالوا: مات في ثاني شهر ربيع الأول، فغيرت فصار: ثاني عشر، واستمر الوهم بذلك يتبع بعضهم بعضاً من غير تأمل. انتهى.

ثم إن وفاته ﷺ يوم الإثنين من ربيع الأول بلا خلاف. بل كاد يكون إجماعاً لكن في حديث ابن مسعود: في حادي عشر رمضان رواه البزار. والمعتمد ما تقدم. والله أعلم. انتهى.

وسيأتي إن شاء الله تعالى حديث الوفاة الشريفة في المقصد الأخير. ولما توفي ﷺ دخل المسلمون الذين عسكروا بالجرف إلى المدينة، ودخل بريدة بلواء أسامة معقوداً حتى أتى به باب رسول الله ﷺ فغرزه عند بابه. فلما بويع أبو بكر الصديق رضي الله عنه أمر بريدة أن يذهب باللواء إلى بيت أسامة ليمضي لوجهه، فمضى به إلى معسكرهم الأول، وخرج أسامة هلال ربيع الآخر سنة إحدى عشرة إلى أهل أبنى، فشن عليهم الغارة، فقتل من أشرف له، وسبى من قدر عليه، وحرق منازلهم ونخلهم، وقتل قاتل أبيه في الغارة، ثم رجع إلى المدينة، ولم يصب أحد من المسلمين.

وخرج أبو بكر في المهاجرين وأهل المدينة يتلقونه سروراً، والله أعلم.

فجميع سراياه وبعوثه نحو ستين ومغازيه نحو سبع وعشرين.

المقصد الثاني

وفيه عشرة فصول

- في ذكر آسمائه الشريفة المنبئة عن كمال صفاته المنيفة
- وذكر أولاده الكرام الطاهرين
- وأزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين
- وأعمامه وعماته وإخوته من الرضاعة وجداته
- وخدمه ومواليه وحرسه
- وكتَّابه وكتبه إلى أهل الإسلام بالشرائع والأحكام، ومكاتباته إلى الملوك وغيرهم من الأنام.
- ومؤذنيه وخطبائه وحداته وشعرائه
- وآلات حروبه
- ودوابه
- والوافدين إليه ﷺ

في ذكر أسمائه الشريفة المنبئة عن كمال صفاته المنيفة[1]

اعلم أن الأسماء جمع إسم، وهو كلمة وضعتها العرب بإزاء مسمى، متى أطلقت فهم منها ذلك المسمى، فعلى هذا لا بد من مراعاة أربعة أشياء: الاسم والمسمى ـ بفتح الميم ـ المسمي ـ بكسرها ـ والتسمية. فالإسم: هو اللفظ الموضوع على الذات لتعريفها أو تخصيصها عن غيرها كلفظ: زيد. والمسمَّى: هو الذات المقصود تمييزها بالإسم، كشخص زيد. والمسمِّي: هو الواضع لذلك اللفظ. والتسمية: هي اختصاص ذلك اللفظ بتلك الذات. والوضع: تخصيص لفظ بمعنى إذا أطلق أو أُحِسَّ فهم ذلك المعنى.

واختلفوا، هل الإسم عين المسمى أو غيره؟ وهي مسألة طويلة تكلم الناس فيها قديماً وحديثاً. فذهب قوم إلى أن الإسم عين المسمى. واستدلوا عليه بقوله تعالى: ﴿**سبح اسم ربك الأعلى**﴾ [الأعلى: ١] والتسبيح إنما هو للرب جل وعلا، فدل على أن اسمه هو هو.

وأجيب، بأنه أشرب معنى سبح «اذكر» فكأنه قال: اذكر إسم ربك الأعلى، كقوله تعالى: ﴿**واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا**﴾ [الإنسان: ٢٥] وقد أشرب معنى اذكر «سبح»، عكس الأول. قال تعالى: ﴿**واذكر ربك**﴾ [آل عمران: ٤١] أي سبح ربك. والإشراب جار في لغتهم، يشربون معنى فعل فعلا.

واستشكل على معنى كونه هو المسمى إضافته إليه، فإنه يلزم منه إضافة الشيء إلى نفسه. وأجيب: بأن الإسم هنا بمعنى التسمية، والتسمية غير الإسم، لأن التسمية هي اللفظ بالإسم، والإسم هو اللازم للمسمى فتغايرا.

واحتج من قال بأن الإسم عين المسمى أيضاً بقوله تعالى: ﴿**بغلام اسمه يحيى**﴾ [مريم: ٧] ثم قال: ﴿**يا يحيى خذ الكتاب بقوة**﴾ [مريم: ١٢] فنادى الإسم فدل على أنه المسمى.

---

(١) انظر الشفا ١/٢٢٨ وزاد المعاد ١/٦٦ وطبقات ابن سعد ١/٨٣ ودلائل النبوة للبيهقي ١/١٥١.

وجوابه: أن المعنى: يا أيها الغلام الذي اسمه يحيى، ولو كان الإسم عين المسمى لكان من قال: النار، احترق لسانه، ومن قال: العسل، ذاق حلاوته.

وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى، وقد سمى الله تعالى نبينا ﷺ بأسماء كثيرة في القرآن العظيم وغيره من الكتب السماوية، وعلى ألسنة أنبيائه عليهم الصلاة والسلام.

ثم إن أشهر أسمائه ﷺ: محمد، وبه سماه جده عبد المطلب وذلك أنه لما قيل له: ما سميت ولدك؟ فقال: محمداً، فقيل له: كيف سميته باسم ليس لأحد من آبائك وقومك؟ فقال: لأني أرجو أن يحمده أهل الأرض كلهم. وذلك لرؤيا كان رآها عبد المطلب ـ كما ذكر حديثها علي القيرواني العابر في كتابه «البستان» ـ قال: كان عبد المطلب قد رأى في المنام كأن سلسلة من فضة قد خرجت من ظهره، لها طرف في السماء، وطرف في الأرض، وطرف في المشرق وطرف في المغرب، ثم عادت كأنها شجرة، على كل ورقة منها نور، وإذا أهل المشرق والمغرب كأنهم يتعلقون بها. فقصها، فعبرت له بمولود يكون من صلبه يتبعه أهل المشرق وأهل المغرب، ويحمده أهل السماء وأهل الأرض، فلذلك سماه محمداً، مع ما حدثته به أمه آمنة حين قال لها: إنك حملت بسيد هذه الأمة، فإذا وضعتيه فسميه محمداً.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: لما ولد النبي ﷺ عق عنه عبد المطلب وسماه محمداً فقيل له: يا أبا الحارث، ما حملك على أن سميته محمداً، ولم تسمه باسم آبائه؟ قال: أردت أن يحمده الله في السماء، ويحمده الناس في الأرض.

وعن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن لي أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب**»[1] رواه الشيخان.

وقد روي: (على قدمي) بتخفيف الياء وبالإفراد، وبالتشديد على التثنية. قال النووي في شرح مسلم: معنى الروايتين: يحشرون على أثري وزماني ورسالتي.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المناقب باب (١٧) رقم الحديث (٣٥٣٢ ـ ٤٨٩٦). وفي صحيح مسلم رقم الحديث (٢٣٥٤). والإمام أحمد بن حنبل في مسنده ٤/ ٨٠. وفي مسند الحميدي رقم الحديث (٥٥٥). وفي دلائل النبوة للبيهقي ١/ ١٥٢. والترمذي في السنن كتاب الأدب باب (٦٧) رقم الحديث (٢٨٤٠). والإمام مالك في الموطأ كتاب أسماء النبي ﷺ باب (١) رقم الحديث (١) وفي سنن الدارمي ٢/ ٣١٧ ـ ٣١٨ وفي المعجم الكبير للطبراني ٢/ ١٢٢ ـ ١٢٥. وفي مشكاة المصابيح للتبريزي (٥٧٥٦). وفي إتحاف السادة المتقين ٧/ ١٦٣ وفي دلائل النبوة لأبي نعيم ١/ ١٢، وفي التاريخ الصغير للبخاري ١/ ١٠، وفي كنز العمال (٣٢١٦٥) وفي الشفا ١/ ٢٢٩.

وفي رواية نافع بن جبير عند البخاري في تاريخه الصغير والأوسط، والحاكم في مستدركه وصححه، وأبي نعيم في الدلائل وابن سعد: أنه دخل على عبد الملك بن مروان، فقال: أتحصي أسماء رسول الله ﷺ التي كان جبير بن مطعم يعدها؟ قال: نعم، هي ستة، فذكر الخمسة التي ذكرها محمد بن جبير، وزاد: الخاتم.

وفي حديث حذيفة (أحمد، ومحمد، والحاشر، والمقفي ونبي الرحمة).

ولفظ رواية أبي نعيم (هي ستة: محمد، وأحمد، وخاتم، وحاشر، وعاقب، وماح، فأما الحاشر، فبعث مع الساعة نذيراً لكم بين يدي عذاب شديد، وأما العاقب: فإنه أعقب الأنبياء، وأما ماح: فإن الله عز وجل محا به سيئات من اتبعه).

وذكر بعضهم: أن العدد ليس من قول النبي ﷺ، وإنما ذكره الراوي بالمعنى.

وفيه نظر: لتصريحه في الحديث: «**إن لي خمسة أسماء**»[1]. والذي يظهر أنه أراد إن لي خمسة أسماء أختص بها لم يتسم بها أحد قبلي، أو مشهورة في الأمم الماضية لا أنه أراد الحصر فيها، وبهذا يجاب عن الإستشكال الوارد، وهو أن المقرر في علم المعاني أن تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر، ولكن ورود الروايات بما هو أكثر يدل على أنه ليس حصراً مطلقاً، فالطريق في ذلك أن يحمل على حصر مقيد كما ذكر والله أعلم.

وروى النقاش[2] عنه عليه الصلاة والسلام: لي في القرآن سبعة أسماء: محمد، وأحمد ويّس، وطّه، والمزمل، والمدثر، وعبد الله.

وقد جاءت من ألقابه ﷺ وسماته في القرآن عدة كثيرة، و [قد] تعرض جماعة لتعدادها وبلغوا بها عدداً مخصوصاً. فمنهم من بلغ تسعة وتسعين، موافقة لعدد أسماء الله الحسنى الواردة في الحديث.

قال القاضي عياض: وقد خصه الله تعالى بأن سماه من أسمائه الحسنى بنحو من ثلاثين إسماً.

---

(١) ذكره الطبراني في المعجم الكبير ٢/١٢٣. والسيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢١٤ وابن عبد البر في التمهيد ٩/ ١٥٢. والطحاوي في مشكل الآثار ٢/ ٥٠ وانظر مناهل الصفا ٣٥ رقم الحديث (٣٥) وفي الشفا ١/ ٨٨.

(٢) وهو محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون. أبو بكر النقاش (٢٦٦ ـ ٣٥١ هـ). عالم بالقرآن وتفسيره. الأعلام ٦/ ٨١. وفيات الأعيان ١/ ٤٨٩. معجم الأدباء ٣٠٨/٥ رقم الترجمة (٨٥٢). تذكرة الحفاظ ٣/ ٩٠٨ رقم الترجمة (٨٧٢) شذرات الذهب ٣/ ٨ طبقات الشافعية ٢/ ١٤٨ طبقات المفسرين ٢/ ١٣٥ رقم الترجمة (٤٨١). تاريخ بغداد ٢/ ٢٠١ مرآة الجنان ٢/ ٣٤٧ الأنساب للسمعاني (٥٥٦).

وقال ابن دحية في كتابه «المستوفىٰ»: إذا فحص عن جملتها من الكتب المتقدمة والقرآن والحديث وفّىٰ الثلاثمائة، انتهى.

ورأيت في كتاب «أحكام القرآن» للقاضي أبي بكر بن العربي: قال بعض الصوفية: لله تعالى ألف إسم وللنبي ﷺ ألف إسم، انتهى.

والمراد الأوصاف: فكل الأسماء التي وردت أوصاف مدح، وإذا كان كذلك، فله ﷺ من كل وصف إسم، ثم إن منها ما هو مختص به أو الغالب عليه، ومنها ما هو مشترك، وكل ذلك بيّن بين بالمشاهدة لا يخفى، وإذا جعلنا له من كل وصف من أوصافه إسماً بلغت أوصافه ما ذكر، بل أكثر، والذي رأيته في كلام شيخنا في «القول البديع»، والقاضي عياض في «الشفا» وابن العربي في «القبس»، والأحكام له، وابن سيد الناس، وغيرهم يزيد على الأربعمائة، وقد سردتها مرتبة على حروف المعجم، وهي:

الأبر بالله، الأبطحي، أتقى الناس، الأجود، أجود الناس، الأحد، الأحسن وأحسن الناس، أحمد، أحيد ـ بضم أوله وكسر المهملة ثم ياء تحتانية ـ، الآخذ بالحجزات، آخذ الصدقات، الآخر، الأخشى لله، أذن خير، أرجح الناس عقلاً، أرحم الناس بالعباد، الأزهر: وهو النير المشرق الوجه، أشجع الناس، الأصدق في الله، أطيب الناس ريحاً، الأعز الأعلى، الأعلم بالله، أكثر الناس تبعاً، الأكرم، أكرم الناس، أكرم ولد آدم، آلمص، إمام الخير، إمام الرسل، إمام المتقين، إمام النبيين، الإمام، الآمر والناهي، الآمن أمنة أصحابه، الأمين، الأمي، أنعُم الله، الأول، أول شافع، أول المسلمين، أول المؤمنين، أول من تنشق عنه الأرض.

البر، البارقليط، الباطن، البرهان، بَشَر، بشرى عيسى، البشير، البصير، البليغ، بالغ البيان، البينة.

التالي، التذكرة، التقي، التنزيل، التهامي.

ثاني إثنين.

الجبار، الجد، الجواد، جامع.

حاتم، حزب الله، الحاشر، الحافظ، الحاكم بما أراه الله، الحامد، حامل لواء الحمد، الحائد لأمته عن النار، الحبيب، حبيب الرحمن، حبيب الله، الحجازي، الحجة البالغة، حجة الله على الخلائق، حرز الأميين، الحرمي، الحريص على الإيمان، الحسيب، الحفيظ، الحق، الحكيم، الحليم، حماد، حمطايا أو قال حمياطا، حمعسق، حفي، الحمد، الحنيف، الحي.

الخبير، خاتم النبيين خاتم المرسلين، الخاتم، الخازن لمال الله، الخاشع، الخاضع، الخالص، خطيب الأنبياء، خطيب الأمم، خطيب الوافدين على الله، الخليل، خليل الرحمن، خليل الله، الخليفة، خير الأنبياء، خير البرية، خير خلق الله، خير العالمين طراً، خير الناس، خير هذه الأمة، خيرة الله.

دار الحكمة، الداعي إلى الله، دعوة إبراهيم، دعوة النبيين، دليل الخيرات.

الذاكر، الذكر، ذكر الله، ذو الحوض المورود، ذو الخُلُق العظيم، ذو الصراط المستقيم، ذو القوة، ذو مكانة، ذو عزة، ذو فضل، ذو المعجزات، ذو المقام المحمود، ذو الوسيلة.

الراضع، الراضي، الراغب، الرافع، راكب البراق، راكب البعير، راكب الجمل، راكب الناقة، راكب النجيب، الرحمة، رحمة الأمة، رحمة العالمين، رحمة مهداة، الرحيم، الرسول، رسول الراحة، رسول الرحمة، رسول الله، رسول الملاحم، الرشيد. الرفيع الذكر، رافع الرتب، رفيع الدرجات، الرقيب، روح الحق، روح القدس، الرؤوف، ركن المتواضعين.

الزاهد، زعيم الأنبياء، الزكي، الزمزمي، زين من وافى القيامة.

السابق، السابق بالخيرات، سابق العرب، الساجد، سبيل الله، السراج المنير، السراط المستقيم، السعيد، سعد الله، سعد الخلائق، السميع، السلام، السيد، سيد ولد آدم، سيد المرسلين، سيد الناس، سيد الكونين، سيد الثقلين، سيف الله المسلول.

الشارع، الشافع، الشاكر، الشاهد، الشكور، الشكار، الشمس، الشهيد.

الصابر، الصاحب، صاحب الآيات، صاحب المعجزات، صاحب البراهين، صاحب البيان، صاحب التاج، صاحب الجهاد، صاحب الحجة، صاحب الحطيم، صاحب الحوض المورود، صاحب الخاتم، صاحب الخير، صاحب الدرجة العالية الرفيعة، صاحب الرداء، صاحب الأزواج الطاهرات، صاحب السجود للرب المحمود، صاحب السرايا، صاحب السلطان، صاحب السيف، صاحب الشرع، صاحب الشفاعة الكبرى، صاحب العطايا، صاحب العلامات الباهرات، صاحب العلو والدرجات، صاحب الفضيلة، صاحب الفرج، صاحب القضيب، صاحب القضيب الأصغر، صاحب قول لا إله إلا الله، صاحب القدم، صاحب الكوثر، صاحب اللواء، صاحب المحشر، صاحب المدينة، صاحب المغفر، صاحب المغنم، صاحب المعراج، صاحب المظهر المشهود، صاحب المقام المحمود، صاحب المنبر، صاحب المئزر، صاحب النعلين،

صاحب الهراوة، صاحب الوسيلة، الصادع بما أمر، الصادق، الصبور، الصدق، صراط الله، صراط الذين أنعمت عليهم، الصراط المستقيم، الصفوح، الصفوح عن الزلات، الصفوة، الصفي، الصالح.

الضارب بالحسام المثلوم، الضحاك، الضحوك.

طاب طاب، الطاهر، الطبيب، طسم، طس، طه، الطيب.

الظاهر، الظفور، من الظفر وهو الفوز.

العابد، العادل، العظيم، العافي، العاقب، العالم، عَلَم الإيمان، علَم اليقين، العالم بالحق، العامل، عبد الله، العبد، العدل، العربي، العروة الوثقى، العزيز، العفو، العطوف، العليم، العلي، العلامة، عين العز، عبد الكريم، عبد الجبار، عبد الحميد، عبد المجيد، عبد الوهاب، عبد القهار، عبد الرحيم، عبد الخالق، عبد القادر، عبد المهيمن، عبد القدوس، عبد الغياث، عبد الرزاق، عبد السلام، عبد المؤمن، عبد الغفار.

الغالب، الغفور، الغني، الغني بالله، الغوث، الغيث، الغياث.

الفاتح، الفارقليط ـ وقيل بالباء، وتقدم ـ، الفارق، فاروق، الفتاح. الفجر، الفرط، الفصيح، فضل الله، فواتح النور.

القاسم، القاضي، القانت، قائد الخير، قائد الغر المحجلين، القائل، القائم، القتال، القتول، قثم، القثوم، قدم صدق، القرشي، القريب، القمر، القيم: ومعناه: الجامع الكامل، وصوابه بالمثلثة بدل الياء، القوي.

كافة الناس، الكفيل، الكامل في جميع أموره، الكريم، كهيعص.

اللسان.

الماجد، ماذُماذُ، المؤمل، الماحي، المأمون، المانح، الماء العين، المبارك، المبتهل، المبرأ، المبشر، مبشر اليائسين، المبعوث بالحق، المبعوث، المبلغ، المبيح، المبين، المتين، المتبتل، المتبسم، المتربص، المتضرع، المتقي، المتلو عليه، المتهجد، المتوسط، المتوكل، المتثبت، مجاب، مجيب، المجتبى، المجبر، المحرض، المحرم، المحفوظ، المحلل، محمد، المحمود، المخبر، المختار، المخصوص بالشرف، المخصوص بالعز، المخصوص بالمجد، المخلص، المدثر، المدني، مدينة العلم، المذكر، المذكور، المرتضى، المرتل، المرسل، المرتجى، المرحوم، المرتفع الدرجات، المرء ـ وهو الرجل الكامل المروءة ـ، المزكي، المزمل، المسبح، المستغفر، المستغني، المستقيم، المسري به، المسعود، المسلِّم، المسلَّم

.بمشاور، المشفع، المشفوع، المشفح، المشهود، المشير، المصباح، المصارع، المصافح، مصحح الحسنات، المصدوق، المصطفى، المصلح، المصلى عليه، المطاع، المطهر، المظهر، المطلع، المطيع، المظفر، المعزز، المعصوم، المعقب، المعلِّم، معلم أمته، المعلَّم، المعلن، المعلى، المفضال، المفضل، المفتاح، مفتاح الجنة، المقتصد، المقتفى: يعني قفا النبيين، المقدَّس، المقري، المقسط، المقسم، المقصوص عليه، المقفى، وقيل بزيادة تاء بعد القاف كما تقدم، مقيل العثرات، مقيم السنة بعد الفترة، المكرم، المكتفي، المكين، المكي، الملاحمي، ملقى القرآن، الممنوح، المنادى، المنتظر، المنجي، المنذر، المنزل عليه، المنحمنا، المصنف، المنصور، المنيب، المنير، المهاجر، المهتدي، المهدي، المهداة، المهيمن، المؤتى جوامع الكلم، الموحى إليه، الموصل، الموقر، المولى، المؤمن المؤيَّد، الميسّر.

النابذ، الناجز، الناس لقوله تعالى: ﴿**أم يحسدون الناس**﴾ [النساء: ٥٤] المفسر به عليه السلام، الناسخ، الناشر، الناصح، الناضر، الناطق بالحق، الناهي، نبي الأحمر، نبي الأسود، نبي التوبة، نبي الحرمين، نبي الراحة، نبي الرحمة، النبي الصالح، نبي الله نبي المرحمة، نبي الملحمة، نبي الملاحم، النبي، النجم، النجم الثاقب، نجي الله، النذير، النسيب، نصيح، ناصح، النعمة، نعمة الله، النقيب، النقي، النور، نور الأمم أي الهادي لها الذي أوصلها نور الله الذي لا يطفأ.

الهادي، هدى، هدية الله، الهاشمي.

الوجيه، الواسط، الواسع، الواصل الواضح، الواعد، الواعظ، الورع، الوسيلة، الوفي، الوافي، ولي الفضل، الولي.

اليثربي، يٓس.

وكنيته المشهورة أبو القاسم، كما جاء في عدة أحاديث صحيحة.

ويكنىٰ بأبي إبراهيم، كما جاء في حديث أنس في مجيء جبريل إليه عليهما الصلاة والسلام، وقوله السلام عليك يا أبا إبراهيم.[1] وبأبي الأرامل، فيما ذكره ابن دحية. وبأبي المؤمنين، فيما ذكره غيره.

واعلم أنه لا سبيل لنا أن نستوعب شرح جميع هذه الأسماء الشريفة، إذ في ذلك تطويل يفضي بنا إلى العدول عن غرض الإختصار، فلنذكر من ذلك ما يفتح الله تعالى به مما يدل على سواه. وبالله تعالى أستعين.

فأول ذلك ما له عليه الصلاة والسلام من معنىٰ الحمد الذي هو اسمه المنبىء عن

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ١/ ١٦٤ والحاكم في المستدرك ٢/ ٦٠٤.

ذاته، الذي سائر أسماء أوصافه راجعة إليه، وهو في المعنى واحد، وله في الإشتقاق صيغتان:

الإسم المبني صيغته على صيغة «أفعل» المنبئة عن الإنتهاء إلى غاية ليس وراءها منتهى، وهو اسمه «أحمد».

والإسم المبني على صيغة «التفعل» المنبئة عن التضعيف والتكثير إلى عدد لا ينتهي له الإحصاء وهو اسمه «محمد».

قال السهيلي: «محمد» منقول من الصفة، فالمحمد في اللغة هو الذي يحمد حمداً بعد حمد، ولا يكون «مفعَّل» مثل: مضرب، وممدح، إلا لمن تكرر منه الفعل مرة بعد أخرى.

وأما «أحمد» وهو إسمه عليه الصلاة والسلام الذي سمي به على لسان عيسى وموسى، فإنه منقول أيضاً من الصفة التي معناها التفضيل، فمعنى «أحمد» أحمد الحامدين لربه، وكذلك هو في المعنى، لأنه يفتح عليه في المقام المحمود بمحامد لم تفتح على أحد قبله، فيحمد ربه بها، ولذلك يعقد له لواء الحمد.

قال: وأما «محمد» فمنقول من صفة أيضاً، وهو في معنى «محمود». ولكن فيه معنى المبالغة والتكرار، فالمحمد هو الذي حمد مرة بعد مرة، كما أن المكرَّم من أكرم مرة بعد أخرى، وكذلك الممدح ونحو ذلك. فاسم «محمد» مطابق لمعناه، والله سبحانه وتعالى سماه به قبل أن يُسمى به، عَلَم من أعلام نبوته عليه الصلاة والسلام، إذ كان اسمه صادقاً عليه، فهو ﷺ محمود في الدنيا بما هدى إليه ونفع به من العلم والحكمة. وهو محمود في الآخرة بالشفاعة، فقد تكرر معنى الحمد، كما يقتضيه اللفظ.

ثم إنه لم يكن محمداً حتى كان أحمد، حمد ربه فنبأه وشرفه، فلذلك تقدم إسم أحمد على الإسم الذي هو محمد، فذكره عيسى فقال﴿**اسمه أحمد**﴾ [الصف: ٦]، وذكره موسى حين قال له ربه: تلك أمة أحمد، فقال: اللهم اجعلني من أمة أحمد. فبأحمد ذكر قبل أن يذكر بمحمد، لأن حمده لربه كان قبل حمد الناس له، فلما وجد وبعث كان محمداً أيضاً بالفعل. وكذلك في الشفاعة، يحمد ربه بالمحامد التي يفتحها عليه، فيكون أحمد الحامدين لربه، ثم يشفع فيُحمد على شفاعته.

فانظر كيف ترتب هذا الإسم قبل الإسم الآخر في الذكر والوجود، وفي الدنيا والآخرة، تلح لك الحكمة الإلهية في تخهيصه بهذين الاسمين. انتهى.

وقال القاضي عياض: كان عليه الصلاة والسلام أحمد قبل أن يكون محمداً، كما

وقع في الوجود، لأن تسميته أحمد وقعت في الكتب السالفة، وتسميته محمداً وقعت في القرآن، وذلك أنه حمد ربه قبل أن يحمده الناس. انتهى.

وهذا موافق لما قال السهيلي، وذكره في فتح الباري وأقره عليه، وهو يقتضي سبقية اسمه أحمد، خلافاً لما ادعاه ابن القيم.

وذكر ابن القيم في اسمه «أحمد» أنه قيل فيه إنه بمعنى «مفعول» ويكون التقدير: أحمد الناس، أي أحق الناس وأولاهم أن يحمد، فيكون محمداً في المعنى، لكن الفرق بينهما: أن محمداً هو الكثير الخصال التي يحمد عليها، وأحمد: هو الذي يحمد أفضل مما يحمد غيره، فمحمد في الكثرة والكمية، وأحمد في الصفة والكيفية، فيستحق من الحمد أكثر مما يستحق غيره، أي أفضل حمد حمده البشر، فالإسمان واقعان على المفعول.

قال: وهذا أبلغ في مدحه وأكمل معنى، فلو أريد معنى الفاعل لسمي «الحماد» أي الكثير الحمد، فإنه ﷺ كان أكثر الناس حمداً لربه، فلو كان اسمه أحمد باعتبار حمده لربه لكان الأولى به الحماد، كما سميت بذلك أمته. وأيضاً فإن هذين الإسمين إنما اشتقا من أخلاقه وخصائله المحمودة التي لأجلها استحق أن يسمى محمداً وأحمد.

وقال القاضي عياض ـ في باب تشريفه تعالى له عليه الصلاة والسلام بما سماه به من أسمائه الحسنى ـ: أحمد بمعنى أكبر، من حَمِد، وأجل: من حُمِد.

ثم إن في إسمه «محمد» خصائص:

منها: كونه على أربعة أحرف ليوافق اسم الله تعالى اسم محمد، فإن عدد الجلالة على أربعة أحرف كمحمد.

ومنها: أنه قيل: إن مما أكرم الله به الآدمي أن كانت صورته على شكل كتب هذا اللفظ، فالميم الأول رأسه، والحاء جناحاه، والميم سرته والدال رجلاه. قيل: ولا يدخل النار من يستحق دخولها ـ أعاذنا الله منها ـ إلا ممسوخ الصورة إكراماً لصورة اللفظ.

حكاهما ابن مرزوق، والأول: ابن العماد في كتاب كشف الأسرار.

ومنها: أنه تعالى اشتقه من اسمه «المحمود» كما قال حسان بن ثابت:

أغر عليه للنبوة خاتم	من الله من نور يلوح ويشهد
وضم الإله اسم النبي إلى اسمه	إذا قال في الخمس المؤذن أشهد
وشق له من اسمه ليجله	فذو العرش محمود وهذا محمد

وأخرج البخاري في تاريخه الصغير من طريق علي بن زيد قال: كان أبو طالب يقول:

وشـــق لـــه مـــن اسمـــه ليجلـــه فـذو العـرش محمـود وهـذا محمـد

وقد سماه الله تعالى بهذا الاسم قبل الخلق بألفي ألف عام، كما ورد من حديث أنس بن مالك، من طريق أبي نعيم في مناجاة موسى.

وروى ابن عساكر عن كعب الأحبار قال: إن الله أنزل على آدم عصياً بعدد الأنبياء والمرسلين. ثم أقبل على ابنه شيث فقال: أي بني، أنت خليفتي من بعدي، فخذها بعمارة التقوى، والعروة الوثقى، وكلما ذكرت الله فاذكر إلى جنبه اسم محمد، فإني رأيت اسمه مكتوباً على ساق العرش، وأنا بين الروح والطين، ثم إني طفت السموات فلم أر في السماوات موضعاً إلا رأيت اسم محمد مكتوباً عليه، وإن ربي أسكنني الجنة فلم أرَ في الجنة قصراً ولا غرفة إلا إسم محمد مكتوباً عليه، ولقد رأيت اسم محمد مكتوباً على نحور الحور العين، وعلى ورق قصب آجام الجنة، وعلى ورق شجرة طوبى، وعلى ورق سدرة المنتهى، وعلى أطراف الحجب، وبين أعين الملائكة، فأكثر ذكره فإن الملائكة تذكره في كل ساعاتها.

بـــدا مجـــده مـــن قبـــل نشـــأة آدم فـأسمـاؤه فـي العـرش مـن قبـل تكتـب

وروينا في جزء الحسن بن عرفة[1] من حديث أبي هريرة عنه ﷺ قال: لما عرج بي إلى السماء ما مررت بسماء إلا وجدت ـ أي علمت ـ اسمي فيها مكتوباً: محمد رسول الله، وأبو بكر خلفي.

ووجد على الحجارة القديمة مكتوب: محمد تقي مصلح أمين. ذكره في الشفاء.

وعلى الحجر بالخط العبراني: باسمك اللهم، جاء الحق من ربك بلسان عربي مبين، لا إله إلا الله محمد رسول الله، وكتبه موسى بن عمران. ذكره ابن ظفر في «البشر» عن معمر عن الزهري.

وشوهد ـ كما ذكره في الشفاء ـ في بعض بلاد خراسان مولود ولد على أحد جبينيه مكتوب: لا إله إلا الله، وعلى الآخر: محمد رسول الله.

وببلاد الهند ورد أحمر مكتوب عليه بالأبيض: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

وذكر العلامة ابن مرزوق عن عبد الله بن صوحان: عصفت بنا ريح، ونحن في

---

(١) هو الحسن بن عرفة. أبو علي العبدي. (١٥٠ ـ ٢٥٧ هـ). مؤدب من رجال الحديث. توفي بسامراء. الأعلام ٢/ ١٩٩ شذرات الذهب ٢/ ١٣٦.

لجج بحر الهند، فأرسينا في جزيرة، فرأينا فيها ورداً أحمر زكي الرائحة طيب الشم وفيه مكتوب بالأبيض، لا إله إلا الله محمد رسول الله، وورداً أبيض مكتوب عليه بالأصفر: براءة من الرحمن الرحيم إلى جنات نعيم، لا إله إلا الله محمد رسول الله.

وفي تاريخ ابن العديم عن علي بن عبد الله الهاشمي الرقي: أنه وجد ببعض قرى الهند وردة كبيرة طيبة الرائحة سوداء، عليها مكتوب بخط أبيض: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، أبو بكر الصديق، عمر الفاروق. قال فشككت في ذلك وقلت: إنه معمول، فعمدت إلى وردة لم تفتح فكان فيها مثل ذلك، وفي البلد منه شيء كثير وأهل تلك القرية يعبدون الحجارة، لايعرفون الله تعالى.

وقال عبد الله بن مالك: دخلت بلاد الهند، فسرت إلى مدينة يقال لها: نميلة ـ أو ثميلة ـ فرأيت شجرة كبيرة تحمل ثمراً كاللوز، له قشر. فإذا كسرت ثمرته خرج منها ورقة خضراء مطوية مكتوب عليها بالحمرة: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وأهل الهند يتبركون بها ويستسقون بها إذا منعوا الغيث. حكاه القاضي أبو البقاء بن الضياء في منسكه.

وفي كتاب روض الرياحين لليافعي[1] عن بعضهم أنه وجد ببلاد الهند شجرة تحمل ثمراً كاللوز، له قشر إذا كسر خرجت منه ورقة خضراء طرية مكتوب فيها بالحمرة: لا إله إلا الله محمد رسول الله. كتابة جلية وهم يتبركون بها. قال: فحدثت بذلك أبا يعقوب الصباء فقال: ما أستعظم هذا، كنت صياداً على نهر الأبلة فاصطدت سمكة، على جنبها الأيمن: لا إله إلا الله، وعلى جنبها الأيسر: محمد رسول الله، فلما رأيتها قذفتها في الماء احتراماً لها.

وعن بعضهم ـ مما ذكره ابن مرزوق في شرحه لبردة الأبوصيري ـ أنه أتي بسمكة فرأى في إحدى شحمتي أذنها لا إله إلا الله، وفي الأخرى: محمد رسول الله.

وعن جماعة: أنهم وجدوا بطيخة صفراء فيها خطوط شتى بالأبيض خلقة، ومن جملة الخطوط كتب بالعربي في أحد جنبيها: الله، وفي الآخر: عز أحمد، بخط بين لا يشك فيه عالم بالخط.

وأنه وجد سنة تسع أو قال: سنة سبع ـ بالموحدة ـ وثمانمائة حبة عنب مكتوب فيها بخط بارع بلون أسود: محمد.

---

(١) هو عبد الله بن أسعد بن علي اليافعي عفيف الدين. (٦٩٨ ـ ٧٦٨ هـ). مؤرخ باحث متصوف شافعي. توفي بمكة. الأعلام ٤/ ٧٢. الدرر الكامنة ٢/ ٢٤٧ رقم الترجمة (٢١٢٠) شذرات الذهب ٦/ ٢١٠. معجم المطبوعات (١٩٥٢). طبقات الشافعية ٦/ ١٠٣ مفتاح السعادة ١/ ٢١٧.

وفي كتاب «النطق المفهوم» لابن طغربك السياف، عن بعضهم أنه رأى في جزيرة شجرة عظيمة لها ورق كبير طيب الرائحة، مكتوب فيه بالحمرة والبياض في الخضرة كتابة بينة واضحة خلقة ابتدعها الله بقدرته، في الورقة ثلاثة أسطر، الأول: لا إله إلا الله، والثاني: محمد رسول الله، والثالث: إن الدين عند الله الإسلام.

قال ابن قتيبة: ومن أعلام نبوته ﷺ أنه لم يسم قبله أحد باسمه «محمد» صيانة من الله تعالى لهذا الاسم، كما فعل بيحيى، إذ لم يجعل له من قبل سميا، وذلك أنه تعالى سماه به في الكتب المتقدمة، وبشر به الأنبياء، فلو جعل اسمه مشتركاً فيه لوقعت الشبهة، إلا أنه لما قرب زمنه وبشر أهل الكتاب بقربه سمى قوم أولادهم بذلك رجاء أن يكون هو هو، والله أعلم حيث يجعل رسالته:

ما كل من زار الحمى سمع الندا ... من أهله أهلا بذاك الزائر

ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

وقد عدهم القاضي عياض: ستة، ثم قال: لا سابع لهم.[1]

وذكر أبو عبد الله بن خالويه[2] في كتاب «ليس»، والسهيلي في «الروض»: أنه لا يعرف في العرب من تسمى محمداً قبل النبي ﷺ إلا ثلاثة.

قال الحافظ بن حجر: وهو حصر مردود، والعجب أن السهيلي متأخر الطبقة عن عياض، ولعله لم يقف على كلامه.

قال: وقد جمعت أسماء من تسمى بذلك في جزء مفرد فبلغوا نحو العشرين، مع تكرير في بعضهم، ووهم في بعض، فيتلخص منهم خمسة عشر نفساً:

وأشهرهم: محمد بن عدي بن ربيعة بن سواءة بن جشم بن سعد بن زيد مناة بن تميم التميمي السعدي. ومنهم: محمد بن أحيحة - بضم الهمزة وفتح المهملة - ابن الجلاح - بضم الجيم وتخفيف اللام آخره مهملة - الأوسي.

ومحمد بن أسامة بن مالك بن حبيب بن العنبر.

ومحمد بن البراء - وقيل: البر - بن طريف بن عتوارة بن عامر بـن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة البكري العتواري.

---

(١) انظر الشفا للقاضي عياض ١/ ٢٣٠.

(٢) هو الحسين بن أحمد بن خالويه أبو عبد الله. لغوي نحوي. توفي في حلب سنة (٣٧٠ هـ). الأعلام ٢/ ٢٣١. وفيات الأعيان ١/ ١٥٧. معجم الأدباء ٣/ ٩٩ رقم الترجمة (٣٤١). طبقات المفسرين ١/ ١٥١ رقم الترجمة (١٤٥). مرآة الجنان ٢/ ٣٩٤ لسان الميزان ٢/ ٢٦٧.

ومحمد بن الحارث بن حديج بن حويص.

ومحمد بن حرماز بن مالك اليعمري.

ومحمد بن حمران بن أبي حمران، ربيعة بن مالك الجعفي المعروف بالشويعر.

ومحمد بن خزاعي بن علقمة بن حرابة السلمي، من بني ذكوان.

ومحمد بن خولى الهمداني.

ومحمد بن سفيان بن مجاشع..

ومحمد بن اليحمد الأزدي.

ومحمد بن يزيد بن عمرو بن ربيعة.

ومحمد بن الأسيدي.

ومحمد الفقيمي. ولم يدركوا الإسلام إلا الأول ففي سياق خبره ما يشعر بذلك، وإلا الرابع فهو صحابي جزماً[1].

وفيمن ذكره عياض: محمد بن مسلمة الأنصاري. وليس ذكره بجيد، فإنه ولد بعد النبي ﷺ بأزيد من عشرين سنة، لكنه قد ذكر تلو كلامه المتقدم: محمد بن يحمد ـ الماضي ـ فصار من عنده ستة لا سابع لهم. انتهى.

وأما اسمه عليه الصلاة والسلام «محمود» فاعلم أن من أسماء الله تعالى الحميد، ومعناه: المحمود، لأنه تعالى حمد نفسه، وحمده عباده، وقد سمى الرسول ﷺ بمحمود، وكذا وقع اسمه في زبور داود[2].

وأما «الماحي» ففسر في الحديث بمحو الكفر، ولم يمح الكفر بأحد من الخلق ما محي بالنبي ﷺ، فإنه بعث وأهل الأرض كلهم كفار، ما بين عابد أوثان ويهود ونصارى ضالين وصابئة ودهرية لا يعرفون ربا ولا معاداً، وبين عباد الكواكب وعباد النار، وفلاسفة لا يعرفون شرائع الأنبياء ولا يقرون بها، فمحاها برسوله، حتى أظهر دينه على كل دين، وبلغ دينه ما بلغ الليل والنهار، وسارت دعوته مسير الشمس في الأقطار، ولما كانت البحار هي الماحية للأدران كان إسمه عليه الصلاة والسلام فيها الماحي.

وأما «الحاشر» ففسر أيضاً في الحديث بأنه الذي يحشر الناس على قدمه، أي يقدمهم وهم خلفه، وقيل على سابقته، وقيل: قدامه وحوله، أي يجتمعون إليه في القيامة. وقد كان حشره لأهل الكتاب: إخراجه لهم من حصونهم وبلادهم. من دار هجرته إلى حيث أذاقهم الله من شدة الحشر ما شاء في دار الدنيا إلىٰ ما اتصل لهم بذلك في برزخهم.

---

(١) أي محمد بن البراء وعده في الإصابة من الصحابة ٦/ ١٩٠ رقم الترجمة (٨٤٩٨).

(٢) انظر الشفا ١/ ٢٣٦.

وهـو أول مـن تنشـق عنـه الأرض فيحشـر النـاس علـى أثـره، وإليـه يلجـؤون فـي محشرهم، وقيل: على سببه.

وأما «العاقب» فهو الذي جاء عقب الأنبياء، فليس بعده نبي، لأن العاقب هو الآخر، أي: عقب الأنبياء، وقيل: وهو اسمه عليه الصلاة والسلام في النار، فإذا جاء ـ لحرمة شفاعته ـ خمدت النار وسكنت، كما روي أن قوماً من حملة القرآن يدخلونها فينسيهم الله تعالى ذكر محمد ﷺ حتى يذكرهم جبريل، فيذكرونه فتخمد النار وتنزوي عنهم.

وأما «المقفي» فكذلك، أي: قفا آثار من سبقه من الرسل، وهي لفظة مشتقة من «القفو» يقال: قفاه يقفوه إذا تأخر عنه، ومنه قافية الرأس، وقافية البيت، فالمقفي المقفي: الذي قفا من قبله من الرسل فكان خاتمهم وآخرهم.

وأما «الأول» فلأنه أول النبيين خلقاً ـ كما مر ـ وكما أنه أول في البدء فهو أول في العود، فهو أول من تنشق عنه الأرض، وأول من يدخل الجنة، وهو أول شافع وأول مشفع، كما كان في أوليات البدء في عالم الذر أول مجيب، إذ هو أول من قال: بلى، إذ أخذ ربه الميثاق على الذرية الآدمية، فأشهدهم على أنفسهم: (**ألست بربكم**) [الأعراف: ١٧٢] فهو ﷺ الأول في ذلك كله على الإطلاق.

وأما «الآخر» فلأنه آخر الأنبياء في البعث كما في الحديث.

وأما «الظاهر» فلأنه ظهر على جميع الظاهرات ظهوره، وظهر على الأديان دينه، فهو الظاهر في وجوه الظهور كلها.

وأما «الباطن» فهو المطلع على بواطن الأمور بواسطة ما يوحيه الله تعالى إليه.

وأما «الفاتح الخاتم» ففي حديث الإسراء عن أبي هريرة من طريق الربيع بن أنس قوله تعالى له: «وجعلتك فاتحاً وخاتماً». وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً وفي الإسراء، قوله ﷺ: «**وجعلني فاتحاً وخاتماً**» فهو الذي فتح الله به باب الهدى بعد أن كان مرتجاً، وفتح به أعينا عمياً، وآذاناً صماً، وقلوباً غلفاً، وفتح أمصار الكفر، وفتح به أبواب الجنة، وفتح به طرق العلم النافع والعمل الصالح، والدنيا والآخرة، والقلوب والأسماع والأبصار والإبصار.

وقد يكون المراد: المبدأ المقدم في الأنبياء، والخاتم لهم، كما قال عليه الصلاة والسلام: «**كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث**».

وأما «الرؤوف الرحيم» ففي القرآن ﴿**لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما**

عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ [التوبة: ١٢٨] وهو فعول من الرأفة، وهي أرق من الرحمة، قاله أبو عبيدة، والرحيم فعيل من الرحمة، وقيل رؤوف بالمطيعين رحيم بالمذنبين.

وأما «الحق المبين» فقال تعالى: ﴿حتى جاءهم الحق ورسول مبين﴾ [الزخرف: ٢٩] وقال تعالى: ﴿وقل إني أنا النذير المبين﴾ [الحجر: ٨٩] وقال تعالى ﴿قد جاءكم الحق من ربكم﴾ [يونس: ١٠٨] وقال تعالى: ﴿فقد كذبوا بالحق لما جاءهم﴾ [الأنعام: ٥]، قبل [المراد]: محمد عليه السلام، وقيل القرآن، ومعناه هنا ضد الباطل، والمتحقق صدقه وأمره، والمبين البين أمره ورسالته، أو المبين عن الله ما بعثه به، كما قال تعالى: ﴿لتبين للناس ما نزل إليهم﴾ [النحل: ٤٤].

وأما «المؤمن» فقال تعالى: ﴿ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين﴾ [التوبة: ٦١] أي يصدق، وقال ﷺ: «أنا أمنة لأصحابي»[1] فهذا بمعنى المؤمن.

وأما «المهيمن» فقال تعالى: ﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه﴾ [المائدة: ٤٨] قال ابن الجوزي في زاد المسير - إن ابن نجيح روى عن مجاهد (ومهيمناً عليه) قال: محمد مؤتمن على القرآن، قال: فعلى قوله في الكلام تقدير محذوف، كأنه قال: وجعلناك يا محمد مهيمناً عليه، وسماه العباس بن عبد المطلب في شعره مهيمناً في قوله:

حتـــى احتـــوى بيتـــك المهيمـــن مـــن خنـــدق عليـــاء تحتهـــا النطـــق

وروي: ثم اغتدى بيتك المهيمن، قيل أراد: يا أيها المهيمن، القتبي والإمام أبو القاسم القشيري.

وأما «العزيز» فمعناه: جلالة القدر، أو الذي لا نظير له، أو المعز لغيره، وقد استدل القاضي عياض لهذا الاسم بقوله تعالى: ﴿ولله العزة ولرسوله﴾ [المنافقون: ٨] أي فجائز أن يوصف النبي ﷺ بالعزيز والمعز، لحصول العز له. ولقائل أن يقول: هذا اللفظ أيضاً للمؤمنين لشمول العطف إياهم، فلا اختصاص للنبي ﷺ، والغرض اختصاصه، قال اليمني: وعجبت من القاضي كيف خفي عليه مثل هذا: ويجاب: باختصاصه عليه الصلاة والسلام برتبة من العزة ليست لغيره والله أعلم.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة رقم الحديث (٢٠٧) والإمام أحمد بن حنبل في مسنده ٤/ ٣٩٩. وفي مناهل الصفا ٣٨ رقم الحديث (٥٠) وفي الشفا ١/ ١١٩.

وأما «العالم» و«العليم» و«العلم» و«معلم أمته» فقد قال تعالى: ﴿**وعلمك ما لم تكن تعلم**﴾ [النساء: ١١٣] وقال: ﴿**ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون**﴾ [البقرة: ١٥١].

وأما «الخبير» فمعناه: المطلع على كنه الشيء، العالم بحقيقته، وقيل: المخبر، قال الله تعالى:﴿**الرحمن فاسأل به خبيراً**﴾ [الفرقان:٥٩]. قال القاضي بكر بن العلاء[1] فيما ذكره في الشفـاء ـ: المأمور بـالسؤال غير النبي ﷺ ، والمسؤول الخبير هو النبي ﷺ. وقال غيره: بل السائل النبي ﷺ والمسؤول الله عز وجل، فالنبي ﷺ خبير بالوجهين المذكورين، قيل لأنه عليه الصلاة والسلام عالم على غاية من العلم بما أعلمه الله من مكنون علمه، وعظيم معرفته، مخبر لأمته بما أذن له في إعلامهم به. انتهى.

وأما «العظيم» فقال الله تعالى في شأنه: ﴿**وإنك لعلى خلق عظيم**﴾ [القلم: ٤] ووقع في أول سفر من التوراة عن إسماعيل: وسيلد عظيماً لأمة عظيمة. فهو ﷺ عظيم وعلى خلق عظيم.

وأما «الشاكر» و«الشكور» فقد وصف ﷺ نفسه بذلك فقال: «**أفلا أكون عبداً شكوراً**» أي: أأترك تهجدي فلا أكون عبداً شكوراً؟! والمعنى: أن المغفرة سبب لكون التهجد شكراً، فكيف أتركه؟ وعلى هذا فتكون «الفاء» للسببية. وقال القاضي عياض: شكوراً أي: معترفاً بنعم ربي، عالماً بقدر ذلك، مثنياً عليه، مجهداً نفسي في الزيادة من ذلك، لقوله تعالى: ﴿**لئن شكرتم لأزيدنكم**﴾ [إبراهيم: ٧].

وأما «الشكار» فهو أبلغ من شاكر، وفي حديث ابن ماجه أنه ﷺ كان من دعائه: «**رب اجعلني لك شكاراً**»[2].

وأما «الكريم» و«الأكرم» و«أكرم ولد آدم» فسماه الله تعالى به في قوله تعالى: ﴿**إنه لقول رسول كريم**﴾ [الحاقة: ٤٠] أي محمد ﷺ، وليس المراد به جبريل، لأنه تعالى لما قال: ﴿**إنه لقول رسول كريم**﴾ ذكر بعده أنه ليس بقول شاعر ولا كاهن، والمشركون لم يكونوا يصفوا جبريل بذلك، فتعين أن يكون المراد بالرسول الكريم هنا محمداً ﷺ،

---

(١) هو بكر بن محمد بن العلاء كنيته أبو الفضل فقيه مالكي من حفاظ الحديث. توفي سنة (٣٤٤ هـ) بمصر. انظر شذرات الذهب ٢/٣٦٦، ترتيب المدارك ٣/ ٢٩٠، حسن المحاضرة ١/ ٤٥٠، الديباج المذهب صفحة (١٠٠) والعبر ٢/ ٢٦٣.

(٢) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ١/ ٢٢٧. وفي إتحاف السادة المتقين ٩/ ٤٩. وفي موارد الظمآن للهيثمي (٢٤١٤).

كما سيأتي إن شاء الله تعالى بيانه في مقصد آي التنزيل. وقال عليه السلام: «**أنا أكرم ولد آدم**»[1].

وأما «الولي» و«المولى» فقال عليه الصلاة والسلام: «**أنا ولي كل مؤمن**»[2].

وأما «الأمين» فقد كان عليه الصلاة والسلام يعرف به، وشهر به قبل النبوة وبعدها، وهو أحق العالمين بهذا الإسم، فهو أمين على وحيه ودينه، وهو أمين من في السماء والأرض.

وأما «الصادق» و«المصدوق» فقد ورد في الحديث تسميته بهما، ومعناهما غير خفي، وكذلك «**الأصدق**». وروي أنه عليه الصلاة والسلام لما كذبه قومه حزن فقال له جبريل: إنهم يعلمون أنك صادق.

وأما «**الطيب**» و«ماذ ماذ» ـ بميم ثم ألف ثم ذال معجمة منونة، ثم ميم ثم ألف ثم ذال معجمة ـ كذا رأيته لبعض العلماء، ونقل العلامة الحجازي[3] في حاشيته على الشفاء عن السهيلي: ضم الميم وإشمام الهمزة ضمة بين الواو والألف ممدود، وقال: نقلته عن رجل أسلم من علماء بني إسرائيل، وقال معناه: طيب طيب، ولا ريب أنه ﷺ أطيب الطيبين، وحسبك أنه كان يؤخذ من عرقه ليتطيب به، فهو ﷺ طيب الله الذي نفحه في الوجود، فتعطرت به الكائنات وسمت، واغتذت به القلوب فطابت، وتنسمت به الأرواح فنمت.

وأما «الطاهر» و«المطهر» و«المقدس» أي المطهر من الذنوب، كما قال تعالى: ﴿**ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر**﴾ [الفتح: ٢] أو الذي يُتطهر به من الذنوب، ويتنزه بأتباعه عنها، كما قال الله تعالى: ﴿**ويزكيهم**﴾ [البقرة: ١٢٩] وقال: ﴿**ويخرجهم من الظلمات إلى النور**﴾ [المائدة: ١٦] أو يكون مقدساً بمعنى مطهراً من الأخلاق الذميمة والأوصاف الدنية.

---

(١) ذكر في مناهل الصفا (٢٩). وفي الدر المنثور ٦/١١٩. وفي تفسير القرطبي ٣/ ٢٦٣. وفي تفسير ابن كثير ٧/ ١٢ . وفي زاد المسير لابن الجوزي ٤/ ٢٤٥ وفي إتحاف السادة المتقين ١٠/ ٤٩٦. وفي دلائل النبوة لابن نعيم ١/ ١٣.

(٢) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ٣/٣٧١. وفي السنن الكبرى للبيهقي ٣/ ٢١٤ وفي السند لابن أبي عاصم ٢/ ٦٤٤ . وفي الأسماء والصفات للبيهقي ٨٢. وفي مناهل الصفا (٣٦) وفي الشفا للقاضي عياض ١/ ٤٦٧.

(٣) هو أحمد بن محمد بن علي الأنصاري الخزرجي شهاب الدين المعروف بالحجازي (٧٩٠ ـ ٨٧٥ هـ). أديب شاعر. مات في (القاهرة). الأعلام ١/ ٢٣٠. الضوء اللامع ٢/١٤٧ رقم الترجمة (٤١٦). معجم المطبوعات (١١٥١) شذرات الذهب ٧/٣١٩ وكشف الظنون (٣٨٨).

وأما «العفو» و«الصفوح» فمعناهما واحد، وقد وصفه الله تعالى بهما في القرآن والتوراة والإنجيل، كما في حديث عبد الله بن عمرو بن العاصي عند البخاري (ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح) وأمره تعالى بالعفو فقال: ﴿خذ العفو﴾ [الأعراف: ١٩٩] وقال: ﴿فاعف عنهم واصفح﴾ [المائدة: ١٣].

وأما «العطوف» فهو الشفوق، وسمي به عليه الصلاة والسلام لكثرة شفقته على أمته، ورأفته بهم.

وأما «النور» فقال تعالى: ﴿قد جاءكم من الله نور﴾ [المائدة: ١٥] قيل: محمد ﷺ وقيل القرآن، فهو نور الله الذي لا يطفأ.

وأما «السراج» فسماه الله تعالى به في قوله: ﴿وسراجاً منيراً﴾ [الأحزاب: ٤٦] لوضوح أمره، وبيان نبوته، وتنوير قلوب المؤمنين والعارفين بما جاء به، فهو نيّر في ذاته منير لغيره، فهو السراج الكامل في الإضاءة، ولم يوصف بالوهاج كالشمس، لأن المنير الذي ينير من غير إحراق بخلاف الوهاج.

وأما «الهادي» فبمعنى الدلالة والدعاء، قال الله تعالى: ﴿وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم﴾ [الشورى: ٥٢] وقال تعالى فيه: ﴿وداعياً إلى الله بإذنه﴾ [الأحزاب: ٤٦].

وأما «البرهان» فقال تعالى: ﴿يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم﴾ [النساء: ١٧٤] قيل: هو محمد ﷺ، وقيل معجزاته وقيل القرآن.

وأما «النقيب» فروي أنه ﷺ لما مات نقيب بني النجار أبو أمامة أسعد بن زرارة وجد عليه ﷺ ولم يجعل عليهم نقيباً بعده، وقال: أنا نقيبكم فكانت من مفاخرهم، والنقيب هو شاهد القوم وناظرهم وضمينهم.

وأما «الجبار» فسمي به في مزامير داود، في قوله في مزمور أربعة وأربعين. تقلد أيها الجبار سيفك، فإن ناموسك وشرائعك مقرونة بهيبة يمينك، لأنه الجبار الذي جبر الخلق بالسيف على الحق، وصرفهم عن الكفر جبراً. قال القاضي عياض: وقد نفى الله تعالى عنه جبرية التكبر التي لا تليق به فقال: ﴿وما أنت عليهم بجبار﴾ [ق: ٤٥].

وأما «الشاهد» و«الشهيد» فسماه الله بهما في قوله: ﴿إنا أرسلناك شاهداً﴾ [الأحزاب: ٤٥] أي على من بعثت إليهم بتصديقهم وتكذيبهم، ونجاتهم وضلالهم. وقوله: ﴿ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾ [البقرة: ١٤٣] روي أن الأمم يوم القيامة يجحدون تبليغ الأنبياء، فيطالبهم الله ببينة التبليغ ـ وهو أعلم بهم ـ إقامة للحجة على المنكرين، فيؤتى بأمة محمد ﷺ فيشهدون، فتقول الأمم: من أين عرفتهم؟ فيقولون

علمنا ذلك بإخبار الله في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق، فيؤتى بمحمد ﷺ فيسأل عن حال أمته، فيشهد بعدالتهم، وهذه الشهادة وإن كانت لهم لكن لما كان الرسول كالرقيب المهيمن على أمته عدى بـ«على» وقدمت الصلة للدلالة على اختصاصهم بكون الرسول شهيداً عليهم. قاله البيضاوي.

وأما «الناشر» فسمي به لأنه نشر الإسلام وأظهر شرائع الأحكام.

وأما «المزمل» فأصله المتزمل، فأدغمت التاء في الزاي وسمي به، لما روي أنه عليه الصلاة والسلام كان يفرق من جبريل ويتزمل بالثياب أول ما جاءه، وقيل: أتاه وهو في قطيفة، وقال السدي معناه: يا أيها النائم، قال: وكان متلففاً في ثياب نومه، وعن ابن عباس: يعني المتزمل بالقرآن، وعن عكرمة بالنبوة.

وقيل من الزمل، بمعنى الحمل، ومنه الزاملة، أي: المتحمل بأعباء النبوة، وعلى هذا يكون التزمل مجازاً.

وقال السهيلي: ليس «المزمل» باسم من أسمائه يعرف به، وإنما هو مشتق من حالته التي كان التبس بها حالة الخطاب، والعرب إذا قصدت الملاطفة بالمخاطب بترك المعاتبة نادوه باسم مشتق من حالته التي هو عليها، كقول النبي ﷺ لعلي رضي الله عنه ـ وقد نام ولصق جنبه بالتراب ـ قم أبا تراب إشعاراً بأنه ملاطف له، فقوله: ﴿**يا أيها المزمل**﴾ [المزمل: ١] فيه تأنيس وملاطفة.

وأما ما روي عن عائشة أنها قالت: كان متزملاً مرطا طوله أربعة عشر ذراعاً، نصفه علي وأنا نائمة ونصفه عليه، فكذب صراح، لأن نزول يا أيها المزمل بمكة في أول مبعثه، ودخوله بعائشة كان بالمدينة.

وأما «المدثر» فأصله: المتدثر، فأدغمت التاء في الدال. روي أنه ﷺ قال: «**كنت بحراء فنوديت فنظرت عن يميني وشمالي. فلم أر شيئاً فنظرت فوقي فإذا هو على عرش بين السماء والأرض**» ـ يعني الملك الذي ناداه ـ «**فرعبت فرجعت إلى خديجة فقلت دثروني دثروني**»، فنزل جبريل وقال: يا أيها المدثر[1]. وعن عكرمة: يا أيها المدثر بالنبوة وأثقالها قد تدثرت هذا الأمر فقم به.

وقيل: ناداه بالمزمل والمدثر في أول أمره، فلما شرع خاطبه الله تعالى بالنبوة والرسالة.

---

(١) أخرجه البخاري كتاب التفسير سورة (٧٤) باب (١) رقم الحديث (٤٩٢٢ ـ ٤٩٢٥). وفي صحيح مسلم كتاب الإيمان رقم الحديث (٢٥٥ ـ ٢٥٧) وفي سنن الترمذي كتاب التفسير باب (٧٠) رقم الحديث (٣٣٢٥). والإمام أحمد بن حنبل في مسنده ٣/٣٠٦. وفي المستدرك للحاكم ٢/٥٠٨.

وأما «طَه» فروى النقاش عنه عليه الصلاة والسلام: لي في القرآن سبعة أسماء فذكر منها طَه. وقيل: هو اسم الله، وقيل معناه: يا رجل، وقيل: يا إنسان. وقيل: يا طاهر يا هادي يعني النبي ﷺ، وهو مروي عن الواسطي[1]، وقيل معناه: يا مطمع الشفاعة للأمة، ويا هادي الخلق إلى الملة، وقيل: الطاء في الحساب بتسعة والهاء بخمسة وذلك أربعة عشر فكأنه قال: يا بدر، وهذه من محاسن التأويل، لكن المعتمد أنهما من أسماء الحروف.

وأما «يَس» فحكى أبو محمد مكي أنه روى عنه ﷺ أنه قال: لي عند ربي عشرة أسماء ذكر منها «يَس». وقد قيل معناه: يا إنسان بلغة طيء، وقيل بالحبشية، وقيل بالسريانية، وأصله كما قاله البيضاوي وابن الخطيب وغيرهما: يا أنيسين: فاقتصر على شطره لكثرة النداء به وقيل ياسين. لكن تعقب بأنه لا يعلم أن العرب قالوا في تصغيره أنيسين، وأن الذي نقل عنهم في تصغيره أنيسيان، بياء بعدها ألف، وبأن التصغير من التحقير الممتنع في حق النبوة لنصهم على أن التصغير لا يدخل في الأسماء المعظمة شرعاً. ويأتي مزيد بيان لذلك إن شاء الله تعالى في الفصل الرابع من النوع الخامس من أنواع المقصد السادس. وعن ابن الحنفية: معناه يا محمد، وعن أبي العالية: يا رجل، وعن أبي بكر الوراق: يا سيد البشر، وعن جعفر الصادق: ياسيد مخاطبة له عليه الصلاة والسلام، وفيه من تعظيمه على تفسير أنه يا سيد ما فيه.

وأما «الفجر» فقال ابن عطاء في قوله تعالى: ﴿**والفجر وليال عشر**﴾ [الفجر: ١ و ٢] الفجر محمد ﷺ، لأن منه تفجر الإيمان.

وهو تأويل غريب لم ير لغيره، والصواب أنه الفجر المفسر بالصبح في قوله تعالى: ﴿**والصبح إذا تنفس**﴾ [التكوير: ١٨].

وأما «القوي» فقال الله تعالى: ﴿**ذي قوة عند ذي العرش مكين**﴾ [التكوير: ٢٠] قيل محمد، وقيل جبريل عليهما الصلاة والسلام، وسيأتي في المقصد السادس ما في ذلك.

وأما ما قاله ابن عطاء في قوله تعالى: ﴿**ق والقرآن المجيد**﴾ [ق: ١] أقسم بقوة قلب حبيبه محمد ﷺ حيث حمل الخطاب والمشاهدة ولم يؤثر ذلك فيه لعلو حاله، فلا يخفى ما فيه.

وأما «النجم» فعن جعفر بن محمد بن الحسين في تفسير قوله تعالى: ﴿**والنجم**﴾

---

(١) هو محمد بن موسى الواسطي أبو بكر. متصوف. مات (بمرو) سنة (٣٣١ هـ). الأعلام ١١٧/٧. طبقات الصوفية ٣٠٢.

[النجم: ١] أنه محمد ﷺ ﴿إذا هوى﴾ إذا نزل من السماء ليلة المعراج. وحكى السلمي في قوله: تعالى ﴿والسماء والطارق، وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب﴾ [الطارق: ١ - ٣] أن النجم هنا أيضاً محمد ﷺ.

والصحيح: أن المراد به النجم على ظاهره، وسمي به عليه السلام لأنه يهتدىٰ به في طرق الهدى كما يهتدىٰ بالنجم.

وأما «الشمس» فسمي بها ﷺ لكثرة نفعه، وعلو رفعته، وظهور شريعته، وجلالة قدره وعظم منزلته، لأنه لا يحاط بكماله، حتى لا يسع الرائي له أن ينظر إليه ملء عينيه إجلالاً له، كما أن الشمس في الرتبة أرفع من غالب الكواكب لأنها في السماء السادسة والانتفاع بها أكثر من غيرها، كما لا يخفى، ولا يدركها البصر لكبر جرمها، وأيضاً فلما كان سائر الكواكب تستمد من نورها ناسب تسميته عليه الصلاة والسلام بها، لأن نور الأنبياء مستمد من نوره.

وأما «النبي» و«الرسول» فمن خصائصه عليه الصلاة والسلام أنه خاطبه تعالى بهما في القرآن دون سائر أنبيائه.

ثم إن النبوءة بالهمز مأخوذة من النبأ، وهو الخبر، وقد لا يهمز تسهيلاً. أي أن الله أطلعه على غيبه وأعلمه أنه نبيه، فيكون نبياً منبأ، أو يكون مخبراً عما بعثه الله به ومنبئاً بما أطلعه الله عليه. وبغير الهمزة يكون مشتقاً من النبوة وهو ما ارتفع من الأرض، أي أن له رتبة شريفة ومكانة عند الله منيفة. قال الشيخ بدر الدين الزركشي في شرح البردة: وكان نافع يقرأ: النبيء - بالهمز - في جميع القرآن. والإختيار تركه.

وهو لغة النبي ﷺ، وقد جاء في الحديث أن رجلاً قال: يا نبيء الله - يعني بالهمز - فقال له: «**لست نبيء الله، ولكني نبي الله**»[1] فأنكر الهمز لأنه لم يكن من لغته عليه الصلاة والسلام.

وقال الجوهري والصاغاني: إنما أنكر لأن الأعرابي أراد: يا من خرج من مكة إلى المدينة، يقال: نبأت من أرض إلى أرض إذا خرجت منها إلى أخرى.

وتكلم جماعة من القراء في هذا الحديث: وقد رواه الحاكم في المستدرك عن أبي الأسود عن أبي ذر، وقال: صحيح على شرط الشيخين، وفيما قاله نظر فإن فيه حسيناً الجعفي، كذا قاله بعضهم وليس من شرطهما. ورواه أبو عبيد: حدثنا محمد بن سعد عن

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ٢١٣. وفي الدر المنثور ١/ ٧٣. وفي تفسير القرطبي ١/ ٤٣١ وفي كنز العمال (٣٢١٤٨).

حمزة الزيات عن حمران بن أعين أن رجلاً. . . الحديث، وهذا منقطع. انتهى.

والرسول: إنسان بعثه الله إلى الخلق بشريعة مجددة يدعو الناس إليها.

واختلف هل هما بمعنى أو بمعنيين؟

فقال بالأول قوم مستدلين بقوله تعالى: **﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي﴾** [الحج: ٥٢] فأثبت لهما معاً الإرسال. وعلى هذا فلا يكون النبي إلا رسولاً، ولا الرسول إلا نبياً.

وقال آخرون بالثاني، وأنهما يجتمعان في النبوة التي هي الاطلاع على الغيب والإعلام بخواص النبوة أو الرفعة بمعرفة ذلك وحوز درجتها، وافترقا في زيادة الإرسال. وحجتهم من الآية نفسها: التفريق بين الاسمين، إذ لو كانا شيئاً واحداً لما حسن تكرارهما في الكلام البليغ، ويكون المعنىٰ: وما أرسلنا من نبي إلى أمة، أو نبي ليس بمرسل إلى أحد.

وذهب آخرون: إلى أن الرسول: من جاء بشرع مبتدأ، ومن لم يأت به نبي غير رسول وإن أمر بالإبلاغ والإنذار.

والصحيح: أن كل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً.

نعم نوزع في هذا بأنه كلام يطلقه من لا تحقيق عنده، فإن جبريل عليه الصلاة والسلام رسول، وغيره من الملائكة المكرمين بالرسالة رسل لا أنبياء. فالانفصال عنه: بأن يقيد الفرق بين الرسول والنبي، بالرسول البشري.

ثم إن النبوة والرسالة ليستا ذاتاً للنبي ﷺ، ولا وصف ذات بل تخصيص الله إياه بذلك خلافاً للكرامية.

وقال القرافي، كما نقله عنه ابن مرزوق: يعتقد كثير أن النبوة مجرد الوحي، وهو باطل، لحصوله لمن ليس بنبي كمريم وليست نبية على الصحيح، مع أنه تعالى يقول: **﴿فأرسلنا إليها روحنا﴾** [مريم: ١٧] الآية، و**﴿إن الله يبشرك﴾** [آل عمران: ٤٥]. وفي مسلم: بعث الله تعالى ملكاً لرجل على مدرجته وكان خرج في زيارة أخ له في الله تعالى، وقال له: إن الله يعلمك أنه يحبك لحبك لأخيك في الله[1] وليس بنبوة، لأنها عند المحققين: إيحاء الله لبعض بحكم إنساني يختص به كقوله: **﴿اقرأ باسم ربك﴾** [العلق: ١] فهذا تكليف يختص به في الوقت، فهذه نبوة لا رسالة، فلما نزل **﴿قم فأنذر﴾**

---

(١) أخرجه مسلم كتاب البرّ رقم الحديث (٣٨) وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل ٢/ ٢٩٢.

[المدثر: ٢] كانت رسالة لتعلق هذا التكليف بغيره أيضاً، فالنبي كلف بما يخص به، والرسول بذلك، وتبليغ غيره، فالرسول أخص مطلقاً، انتهى.

وهل نبينا ﷺ رسول الآن؟ قال أبو الحسن الأشعري: هو ﷺ في حكم الرسالة، وحكم الشيء يقوم مقام أصل الشيء، ألا ترى أن العدة تدل على ما كان من أحكام النكـاح، ويـأتي لذلك مزيد بيان إن شاء الله تعالى.

وأما «المذكر» فقال تعالى: ﴿**فذكر إنما أنت مذكر**﴾ [الغاشية: ٢١].

وأما «البشير» و«المبشر» و«النذير» و«المنذر» فقال تعالى: ﴿**إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً**﴾ [الأحزاب: ٤٥] أي مبشراً لأهل طاعته بالثواب، وقيل بالمغفرة، ونذيراً لأهل معصيته بالعذاب، وقيل: محذراً من الضلالات.

وأما «المبلغ» فقال تعالى: ﴿**يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك**﴾ [المائدة: ٦٧].

وأما «الحنيف» فقال تعالى: ﴿**فأقم وجهك للدين حنيفاً**﴾ [الروم: ٣٠] كذا قاله بعضهم.

وأما «نبي التوبة» فلأن الأمم رجعت لهدايته عليه السلام بعدما تفرقت بها الطرق إلى الصراط المستقيم.

وأما «رسول الرحمة» و«نبي الرحمة» و«نبي المرحمة» فقال الله تعالى: ﴿**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**﴾ [الأنبياء: ١٠٧] وقال تعالى: ﴿**بالمؤمنين رؤوف رحيم**﴾ [التوبة: ١٢٨] فبعثه تعالى رحمة لأمته، ورحمة للعالمين وروى البيهقي مرفوعاً «**إنما أنا رحمة مهداة**»[١] فرحم الله تعالى به الخلق مؤمنهم وكافرهم، وهذا الاسم من أخص أسمائه.

وقد كان حظ آدم من رحمته سجود الملائكة له تعظيماً إذ كان في صلبه، ونوح: خروجه من السفينة سالماً، وإبراهيم: كانت النار عليه برداً وسلاماً إذ كان في صلبه، فرحمته عليه الصلاة والسلام في البدء والختام والدوام لما أبقى الله له من دعوة الشفاعة، ولما كانت نبوته رحمة دائمة مكرّرة مضاعفة اشتق له من الرحمة اسم الرحمة.

وأما «نبي الملحمة والملاحم» وهي الحروب، فإشارة إلى ما بعث به من القتال

---

(١) ذكره البيهقي في دلائل النبوة ١/١٥٨. وفي مسند شهاب (١١٦٠ ـ ١١٦١) وفي تفسير ابن كثير ٥/٣٨١. وفي مشكاة المصابيح للتبريزي (٢٨٠٠) وفي إتحاف السادة المتقين ٧/١٦٢ وفي مصنف ابن أبي شيبة ١١/٥٠٤. وفي ميزان الإعتدال (٧٢١١) وفي لسان الميزان لابن حجر ٥/٢٣٣.

والسيف، ولم يجاهد نبي وأمته قط ما جاهد ﷺ وأمته، والملاحم التي وقعت وتقع بين أمته وبين الكفار لم يعهد مثلها قبله، فإن أمته يقاتلون الكفار في الأقطار على تعاقب الأعصار حتى يقاتلون الأعور الدجال.

وأما «صاحب القضيب» فهو السيف، كما وقع مفسراً به في الإنجيل قال: معه قضيب من حديد[1] يقاتل به، وأمته كذلك. وقد يحمل على أنه القضيب الممشوق الذي كان يمسكه[2].

وأما «صاحب الهراوة» فهي في اللغة: العصا، وقد كان ﷺ يمسك في يده القضيب كثيراً، وكان يمشي بين يديه بالعصا، وتغرز له في الأرض فيصلي إليها، قال القاضي عياض: وأراها العصا المذكورة في حديث الحوض: أذود الناس عنه بعصاي لأهل اليمن[3]. أي لأجلهم ليتقدموا، فلما كان ﷺ راعياً للخلق سائقاً لجميعهم إلى مواردهم كان صاحب الهراوة يرعى بها أهل الطواعية، وصاحب السيف يقد به من لا تزيده الحياة إلا شراً.

وأما «الضحاك» ـ بالمعجمة ـ فهو الذي يسيل دماء العدو في الحروب لشجاعته.

وأما «صاحب التاج» فالمراد به العمامة، ولم تكن حينئذٍ إلا للعرب، والعمائم تيجانها.

وأما «صاحب المغفر» فهو ـ بكسر الميم وسكون الغين المعجمة وفتح الفاء ـ زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس، كان ﷺ يلبسه في حروبه.

وأما «قدم صدق» فقال قتادة والحسن وزيد بن أسلم في قوله تعالى: ﴿**وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم**﴾ [يونس: ٢] هو محمد ﷺ يشفع لهم، وعن أبي سعيد الخدري: هي شفاعة نبيهم محمد ﷺ هو شفيع صدق عند ربهم، وعن سهل بن عبد الله: هي سابقة رحمة أودعها في محمد صلى الله عليه وسلم.

وأما «نعمة الله» فقال سهل في قوله تعالى: ﴿**وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها**﴾ [النحل: ١٨] قال: نعمته بمحمد ﷺ، وقال: ﴿**يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها**﴾ [النحل:

---

(١) انظر المزامير ٢/ ٩.

(٢) انظر الشفاء للقاضي عياض ١/ ٢٣٤.

(٣) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ٥/ ٢٨١ ـ ٢٨٣ وفي صحيح مسلم كتاب الفضائل رقم الحديث (١٧٩٩ ـ ٢٣٠١) وفي الترغيب والترهيب للمنذري ٤/ ٤١٨ ـ وفي تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٢/ ١٩٩. وفي التمهيد لابن عبد البر ٢/ ٢٩٥. وانظر الشفا للقاضي عياض ١/ ٢٣٥.

٨٣] يعني يعرفون أن محمداً نبي ثم يكذبونه، وهذا مروي عن مجاهد والسدي وقال به الزجاج.[(١)]

وأما «الصراط المستقيم» فقال أبو العالية والحسن البصري في تفسير سورة الفاتحة: هو رسول الله وخيار أهل بيته وأصحابه. حكى الماوردي ذلك في تفسير ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾ [الفاتحة: ٦] عن عبد الرحمن بن زيد.

وأما «العروة الوثقى» فحكى أبو عبد الرحمن السلمي عن بعضهم في تفسير قوله تعالى: ﴿فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾ [البقرة: ٢٥٦] الآية أنه محمد ﷺ.

وأما «ركن المتواضعين» فلأنه عمادهم، وقد ظهر عليه ﷺ من التواضع ما لم يظهر على غيره، فكان يرقع القميص، ويخصف النعل، ويقم البيت.

ووقع فيما ترجموه من كتاب شعياء مما يدل صريحاً في البشارة برسول الله ﷺ: ولا يميل إلى الهوى، ولا يذل الصالحين الذين هم كالقصبة الضعيفة بل يقوي الصديقين، وهو ركن المتواضعين، وهو نور الله الذي لا يطفأ.

وأما «قثم» و«قثوم» ـ بالقاف والمثلثة ـ ففسره القاضي عياض بالجامع للخير، وقال ابن الجوزي مشتق من القثم، وهو الإعطاء يقال: قثم له من العطاء، يقثم، إذا أعطاه، وقد كان رسول الله ﷺ أعظم الخلق ندى وأسخاهم يداً.

وأما «البارقليط» و«الفارقليط» ـ بالموحدة. وبالفاء بدلها، وفتح الراء والقاف. وبسكون الراء مع فتح القاف. وفتح الراء مع سكون القاف. وبكسر الراء وسكون القاف غير منصرف للعجمة والعلمية ـ فوقع في إنجيل يوحنا، ومعناه: روح الحق. وقال ثعلب[(٢)] الذي يفرق بين الحق والباطل،[(٣)] وفي نهاية ابن الأثير، في صفته عليه السلام، أن اسمه في الكتب السالفة «فارق ليطا» أي يفرق بين الحق والباطل، قال: ومنه

---

(١) هو ابراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج (٢٤١ ـ ٣١١ هـ) عالم بالنحو واللغة مات في بغداد. الأعلام ١/ ٤٠. ومعجم الأدباء ١/ ٨٢ رقم الترجمة (٩) تاريخ بغداد ٦/ ٨٩ وفيات الأعيان ١/ ١١ وهو فيه «إبراهيم بن محمد». إنباه الرواة ١/ ١٥٩.

(٢) هو أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني بالولاء. أبو العباس المعروف بثعلب. (٢٠٠ ـ ٢٩١ هـ) إمام في النحو واللغة. راوية للشعر. محدث. حافظ. مات في بغداد. الأعلام ١/ ٢٦٧. تذكرة الحفاظ ٢/ ٦٦٦ رقم الترجمة (٦٨٦). تاريخ بغداد ٥/ ٢٠٤. وفيات الأعيان ١/ ٣٠. الفهرست (٨٤). إنباه الرواة ١/ ١٣٨. مرآة الجنان ٢/ ٢١٩.

(٣) انظر الشفا ١/ ٢٣٤.

الحديث: محمد فرق بين الناس، أي يفرق بين المؤمنين والكافرين بتصديقه وتكذيبه.

وأما «حمطايا» ـ[1] فبفتح الحاء المهملة وسكون الميم ـ قال الهروي: أي حامي الحرم، وقال ابن الأثير في حديث كعب أنه قال في أسماء النبي ﷺ في الكتب السالفة: محمد وأحمد وحمياطا ـ يعني بالحاء المهملة ثم ميم ساكنة فمثناة تحتية فألف فطاء مهملة فألف ـ. قال أبو عمرو: سألت بعض من أسلم من اليهود عنه فقال: معناه يحمي الحرم من الحرام، ويوطىء الحلال.

وأما «أحيد» ـ وهو بهمزة مضمومة ثم حاء مهملة مكسورة ثم مثناة تحتية ساكنة ثم دال مهملة. كذا وجدته في بعض نسخ الشفاء المعتمدة. والمشهور ضبطه بفتح الهمزة وسكون الحاء المهملة وبفتح المثناة التحتية، وفي نسخة بفتحها وكسر الحاء وسكون المثناة ـ فقال النووي في كتابه تهذيب الأسماء واللغات: عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ: «**إسمي في القرآن محمد، وفي الإنجيل أحمد، وفي التوراة أحيد، وإنما سميت أحيد لأني أحيد عن أمتي نار جهنم**»[2].

وأما «المنحمنا» وهو بضم الميم وسكون النون وفتح الحاء المهملة وكسر الميم وتشديد النون الثانية المفتوحة، مقصور، وضبطه بعضهم بفتح الميمين، فمعناه بالسريانية محمد.

وأما «المشفح» ـ وهو بضم الميم وبالشين المعجمة وبالفاء المشددة المفتوحتين ثم حاء مهملة، وروي بالقاف بدل الفاء ـ ففي كتاب شعيا في البشارة به عليه السلام: يفتح العيون العور، والآذان الصم ويحيي القلوب، وما أعطيه لا أعطيه أحداً، مشفح يحمد الله حمداً جديداً، وهو بلغتهم السريانية الحمد.

وأما «مقيم السنة» ففي كتاب الشفاء: قال داود عليه الصلاة والسلام: اللهم ابعث لنا محمداً يقيم السنة بعد الفترة.

وأما «المبارك» فمبدأ الكون ونماؤه كائن من بركته المستمدة من بركة الله، ومن كمال بركته نبع الماء من بين أصابعه، وتكثير الطعام القليل ببركته حتى أشبع الجيش الكثير، وغير ذلك مما لمسه أو باشره، كما سيأتي ذلك إن شاء الله تعالى في مقصد معجزاته.

---

(١) وقيل: جمطايا: بجيم مفتوحة وميم مشددة مفتوحة وطاء مهملة بعدها ألف فمثناة تحتية فألف. راجع مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء ١/ ٢٣٤.

(٢) ذكر في تنزيه الشريعة لابن عراق ١/٣٣٨. وفي الفوائد المجموعة للشوكاني (٣٥٩). وفي ميزان الاعتدال (٧٣٩). وفي لسان الميزان لابن حجر ١/١٠٩٦. وفي تذكرة الموضوعات للفتني ٨٦.

وأما «المكين» فهو ﷺ المكين بعلو مكانته عند ربه تعالى، ومن ذلك أن قرن سبحانه ذكره بذكره فما أذن باسم أحد سواه، ولا قرن اسم أحد مع اسمه إلا إياه، فأعلن له في السابقة على ساق العرش وأذن به في اللاحقة على منار الإيمان.

وأما «الأمي» فهو من أخص أسمائه، وقال تعالى: **﴿ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا﴾** [الشورى: ٥٢]، فهو تعالى يقرئه ما كتبه بيده، وما خطته أقلامه العلمية في ألواح قدسه الأقدسية، فيغنيه بذلك عن أن يقرأ ما تكتب الخلق.

وأما «المكي» فقد كان بداية ظهوره عليه الصلاة والسلام في الأرض في مكة، التي هي حرم الله، وهي مدد البركة ومنشأ الهدى، فهو ﷺ مكي الإقامة ومبدأ النبوة، ومكي الإعادة، وكان من آية ذلك توجيهه لها حيث ما توجه، فهو ﷺ المكي الذي لم يبرح وجوداً وقصداً، والمرء حيث قصده لا حيث جسمه، حتى كان من شرعه أن يوجه الميت للكعبة. ومن أومأ لشيء فهو لما أومأ إليه، ولذلك صحت الصلاة إيماء.

وأما «المدني» فلأن المدينة دار هجرته وإقامته لا رحلة له عنها، وخصت تربتها بأن ضمت أعضاءه المقدسة.

وأما «عبد الكريم» فذكر الحسين بن محمد الدامغاني[1] في كتابه «شوق العروس وأنس النفوس» نقلاً عن كعب الأحبار أنه قال: اسم النبي ﷺ عند أهل الجنة عبد الكريم، وعند أهل النار عبد الجبار، وعند أهل العرش عبد الحميد، وعند سائر الملائكة عبد المجيد، وعند الأنبياء عبد الوهاب، وعند الشياطين عبد القهار، وعند الجن عبد الرحيم، وفي الجبال عبد الخالق، وفي البر عبد القادر وفي البحر عبد المهيمن، وعند الحيتان عبد القدوس، وعند الهوام عبد الغياث، وعند الوحوش عبد الرزاق، وعند السباع عبد السلام، وعند البهائم عبد المؤمن، وعند الطيور عبد الغفار، وفي التوارة موذ موذ، وفي الإنجيل طاب طاب، وفي الصحف عاقب، وفي الزبور فاروق، وعند الله طَه ويّس، وعند المؤمنين محمد ﷺ، وكنيته أبو القاسم لأنه يقسم الجنة بين أهلها.

وأما «عبد الله» فسماه الله تعالى به في أشرف مقاماته فقال: **﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فائتوا بسورة من مثله﴾** [البقرة: ٢٣] وقال: **﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً﴾** [الفرقان: ١]، وقال: **﴿الحمد لله الذي أنزل**

---

(١) هو حسين بن محمد بن إبراهيم أبو عبد الله الدامغاني. فقيه حنفي توفي سنة (٤٧٨ هـ). الأعلام ٢/ ٢٥٤. هدية العارفين ١/ ٣١٠.

على عبده الكتاب﴾ [الكهف: ١] فذكره بالعبودية في مقام إنزال الكتاب عليه والتحدي بأن يأتوا بمثله. وقال تعالى: ﴿وأنه لما قام عبد الله يدعوه﴾ [الجن: ١٩] فذكره في مقام الدعوة إليه، وقال تعالى: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً﴾ [الإسراء: ١]، وقال: ﴿فأوحى إلى عبده﴾ [النجم: ١٠]، ولو كان له اسم أشرف منه لسماه به في تلك الحالات العلية.

ولما رفعه الله تعالى إلى حضرته السنية، ورقاه إلى أعلى المعالي العلوية، ألزمه ـ تشريفاً له ـ اسم العبودية، وقد كان ﷺ يجلس للأكل جلوس العبد، وكان يتخلى عن وجوه الترفعات كلها في ملبسه ومأكله ومبيته ومسكنه إظهاراً لظاهر العبودية فيما يناله العيان، صدقاً عما في باطنه من تحقق العبودية لربه تحقيقاً لمعنى ﴿والذي جاء بالصدق وصدق به﴾ [الزمر: ٣٣].

ولما خير بين أن يكون نبياً ملكاً، أو نبياً عبداً، اختار أن يكون نبياً عبداً، فاختار ما هو الأتم، وكان ﷺ يقول كما في الصحيح: «**لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى، ولكن قولوا عبد الله ورسوله**»(١) فاستثبت ما هو ثابت له، وأسلم لله ما هو له لا لسواه، وليس للعبد إلا اسم العبد، ولذا كان «عبد الله» أحب الأسماء إلى الله تعالى.

(١) أخرجه البخاري كتاب الحدود باب (٣١) رقم الحديث (٦٨٣٠). وفي صحيح مسلم كتاب القدر باب (٧) رقم الحديث (٣٤) وفي الدر المنثور ٢/ ٢٤٩. وفي دلائل النبوة للبيهقي ٥/ ٤٩٨ وفي المسند للحميدي رقم الحديث (٢٧). والإمام أحمد بن حنبل في مسنده ١/ ٢٣ ـ ٢٤ وفي الشمائل للترمذي (١٧٢).

في ذكر أولاده الكرام عليه وعليهم الصلاة والسلام[1]

اعلم أن جملة ما اتفق عليه منهم ستة: القاسم وإبراهيم، وأربع بنات: زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة، وكلهن أدركن الإسلام وهاجرن معه.

واختلف فيما سوى هؤلاء: فعند ابن إسحاق: الطاهر والطيب أيضاً فتكون على هذا ثمانية، أربعة ذكور وأربع إناث. وقال الزبير بن بكار[2]: كان له ﷺ سوى إبراهيم والقاسم عبد الله، مات صغيراً بمكة، ويقال له: الطيب والطاهر، ثلاثة أسماء.

وهو قول أكثر أهل النسب، قاله أبو عمر، وقال الدارقطني: هو الأثبت. وسمي عبد الله بالطيب والطاهر لأنه ولد بعد النبوة. فعلى هذا تكون جملتهم سبعة، ثلاثة ذكور. وقيل: عبد الله غير الطيب والطاهر، حكاه الدارقطني وغيره. فتكون جملتهم على هذا تسعة خمسة ذكور. وقيل: كان له الطيب والمطيب، ولدا في بطن، والطاهر والمطهر، ولدا في بطن، ذكره صاحب الصفوة، فيكونون على هذا أحد عشر. وقيل: ولد له ولد قبل المبعث يقال له عبد مناف، فيكونون على هذا اثني عشر، وكلهم سوى هذا ولد في الإسلام بعد المبعث. وقال ابن إسحاق: كلهم غير إبراهيم قبل الإسلام. ومات البنون قبل الإسلام وهم يرتضعون، وقد تقدم من قول غيره أن عبد الله ولد بعد النبوة ولذلك سمي بالطيب والطاهر.

فتحصل من جميع الأقوال ثمانية ذكور: إثنان متفق عليهما: القاسم وإبراهيم، وستة مختلف فيهم: عبد مناف، وعبد الله، الطيب والمطيب، والطاهر، والمطهر. والأصح أنهم ثلاثة ذكور والأربع بنات متفق عليهن وكلهم من خديجة بنت خويلد إلا إبراهيم. فأما القاسم فهو أول ولد ولد له عليه الصلاة والسلام قبل النبوة، وبه كان

---

(١) انظر زاد المعاد (بشرح المواهب) ١/ ٨٦.

(٢) هو الزبير بن بكار بن عبد الله القرشي الأسدي المكي من أحفاد الزبير بن العوام أبو عبد الله (١٧٢ ـ ٢٥٦ هـ) عالم بالأنساب وأخبار العرب راوية توفي بمكة الأعلام ٣/ ٤٢. وفيات الأعيان ١/ ١٨٩ وفي تاريخ بغداد ٨/ ٤٦٧ شذرات الذهب ٢/ ١٣٣ تذكرة الحفاظ ٢/ ٥٢٨ رقم الترجمة (٥٤٦).

يكنى. وعاش حتى مشى، وقيل عاش سنتين، وقال مجاهد مكث سبع ليال، وخطأه الغلابي[1] في ذلك وقال: الصواب أنه عاش سبعة عشر شهراً. وقال ابن فارس: بلغ ركوب الدابة ومات قبل المبعث. وفي مستدرك الفرياني[2] ما يدل على أنه توفي في الإسلام. وهو أول من مات من ولده عليه الصلاة والسلام. وأما زينب فهي أكبر بناته بلا خلاف إلا ما لا يصح، وإنما الخلاف فيها وفي القاسم أيهما ولد أولاً. وعند ابن إسحاق أنها ولدت في سنة ثلاثين من مولد النبي ﷺ، وأدركت الإسلام، وهاجرت، وماتت سنة ثمان من الهجرة عند زوجها ـ وابن خالتها ـ أبي العاص لقيط وقيل مهشم بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس.

وكانت هاجرت قبله وتركته على شركه، وردها النبي ﷺ إليه بالنكاح الأول بعد سنتين، وقيل بعد ست سنين وقيل قبل انقضاء العدة، فيما ذكره ابن عقبة. وفي حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ردها له بنكاح جديد سنة سبع.

وولدت له علياً مات صغيراً وقد ناهز الحلم، وكان رديف النبي ﷺ على ناقته يوم الفتح، وولدت له أيضاً أمامة التي حملها ﷺ في صلاة الصبح على عاتقه، وكان إذا ركع وضعها وإذا رفع رأسه من السجود أعادها[3]، وتزوجها علي بن أبي طالب بعد موت فاطمة.

وأما رقية فولدت سنة ثلاث وثلاثين من مولده ﷺ. وذكر الزبير بن بكار وغيره أنها أكبر بناته ﷺ وصححه الجرجاني النسابة. والأصح الذي عليه الأكثرون كما تقدم، أن زينب أكبرهن.

وكانت رقية تحت عتبة بن أبي لهب، وأختها أم كلثوم تحت أخيه عتيبة، فلما نزلت ﴿تبت يدا أبي لهب﴾ [المسد: ١] قال لهما أبوهما ـ أبو لهب ـ رأسي من رأسكما حرام إن لم تفارقا ابنتي محمد، ففارقاهما ولم يكونا دخلا بهما.

---

(١) هو الفضل بن غسان الغلابي البغدادي محدث مؤرخ توفي سنة (٢٤٥ هـ). معجم المؤلفين ٨/ ٧١ هدية العارفين ١/ ٨١٨.

(٢) هو جعفر بن محمد بن الحسن بن المستفاض. أبو بكر الفريابي (٢٠٧ ـ ٣٠١ هـ) قاضي عالم بالحديث. الأعلام ٢/ ١٢٧ شذرات الذهب ٢/ ٢٣٥. تاريخ بغداد ٧/ ١٩٩. تذكرة الحفاظ ٢/ ٦٩٢. رقم الترجمة (٧١٤). معجم البلدان ٦/ ٣٧٢.

(٣) أخرجه مسلم في المساجد رقم الحديث (٤٢) وفي صحيح البخاري كتاب الأدب باب (١٨) رقم الحديث (٥٦٩٦) وأبو داوود كتاب الصلاة باب (١٦٥) رقم الحديث (٩١٨) وفي النسائي المساجد (١٩) إمامة (٣٧) والسهو (١٣) وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل ٥/ ٣١١ و٣٠٣.

فتزوج عثمان بن عفان رقية بمكة، وهاجر بها الهجرتين إلى أرض الحبشة، وكانت ذات جمال رائع. وذكر الدولابي أن تزويجه بها كان في الجاهلية، وذكر غيره ما يدل على أنه كان بعد إسلامه.

وتوفيت والنبي ﷺ ببدر. وعن ابن عباس: لما عزي ﷺ برقية قال: «**الحمد لله، دفن البنات من المكرمات**»(١) أخرجه الدولابي.

وأما أم كلثوم فلا يعرف لها اسم، إنما تعرف بكنيتها، وكانت تحت عتيبة بن أبي لهب ـ كما قدمته ـ ففارقها قبل الدخول.

ويروى أن عتيبة لما فارق أم كلثوم جاء إلى النبي ﷺ فقال: كفرت بدينك، وفارقت ابنتك، لا تحبني ولا أحبك. ثم سطا عليه وشق قميصه وهو خارج نحو الشام تاجراً. فقال ﷺ: «**أما إني أسأل الله أن يسلط عليك كلبه**» وفي رواية: «**اللهم سلط عليه كلباً من كلابك**»(٢) وأبو طالب حاضر فوجم لها وقال: ما كان أغناك عن دعوة ابن أخي، فخرج في تجر من قريش حتى نزلوا مكاناً من الشام يقال له الزرقاء ليلاً، فأطاف بهم الأسد تلك الليلة فجعل عتيبة يقول: يا ويل أمي، هو والله آكلي، كما دعا علي محمد، أقاتلي ابن أبي كبشة وهو بمكة وأنا بالشام، فعدا عليه الأسد من بين القوم فأخذ برأسه ففدغه. وفي رواية: فجاء الأسد فجعل يتشمم وجوههم، ثم ثنى ذنبه فوثب فضربه ضربة واحدة فخدشه، فقال: قتلني ومات. وفي رواية: أن الأسد أقبل يتخطاهم حتى أخذ برأس عتيبة ففدغه، ذكره الدولابي.

ولما توفيت رقية خطب عثمان ابنة عمر حفصة(٣) فرده، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: يا عمر، أدلك على خير لك من عثمان، وأدل عثمان على خير له منك؟ قال: نعم يا نبي الله، قال: تزوجني ابنتك، وأزوج عثمان ابنتي، خرجه الخجندي.

وكان تزويج عثمان بأم كلثوم سنة ثلاث من الهجرة. وروي أنه ﷺ قال له:

---

(١) ذكر في تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٥/ ٦٧. و٧/ ٢٩١ وفي تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ١/ ٢٩٨ و ٧/ ٢٧٩ وفي تذكرة الموضوعات للفتني ٢١٧. وفي الدرر المنتشرة في الأحاديث المشتهرة للسيوطي ٨٤. وفي الموضوعات لابن الجوزي ٣/ ٢٣٥. وفي كنز العمال (٤٥٣٧٧) والنكت البديعات صفحة ١١٨ رقم الحديث (٩٨) وفي حلية الأولياء ٥/ ٢٠٩ رقم الترجمة (٣١٧).

(٢) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/ ١٩. وفي تفسير القرطبي ١٧/ ٨٢. وفي الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف لابن حجر ١٦٠. وفي دلائل النبوة لأبي نعيم ١٦٣. وفي كنز العمال (٣٥٣٥٦).

(٣) أخرجه البخاري كتاب النكاح باب (٣٧). رقم الحديث (٥١٢٩ ـ ٥١٤٥).

«**والذي نفسي بيده لو أن عندي مائة بنت يمتن واحدة بعد واحدة، زوجتك أخرى بعد أخرى، هذا جبريل أخبرني أن الله يأمرني أن أزوجكها**».[1] رواه الفضائلي.

وماتت أم كلثوم سنة تسع من الهجرة، وصلى عليها ﷺ ونزل في حفرتها علي والفضل وأسامة ابن زيد. وفي البخاري (جلس ﷺ على القبر وعيناه تذرفان وقال: «**هل فيكم أحد لم يقارف الليلة فقال أبو طلحة: أنا، فقال: انزل قبرها فنزل**»)[2].

وقد روي نحو ذلك في رقية، وهو وهم، فإنه ﷺ لم يكن حال دفنها حاضراً، بل كان في غزوة بدر كما قدمته.

وغسلتها أسماء بنت عميس، وصفية بنت عبد المطلب، وشهدت أم عطية غسلها، وروت قوله ﷺ: «**اغسلنها ثلاثاً أو خمساً أو سبعاً، أو أكثر من ذلك إن رأيتن ذلك، بماء وسدر، واجعلن في الآخرة كافوراً، فإذا فرغتن فآذنني**» فلما فرغنا آذناه فألقى إلينا حقوه وقال: «**أشعرنها إياه**» قالت ومشطناها ثلاثة قرون وألقيناها خلفها[3].

و«الحقو»: الإزار، و«أشعرنها» أي اجعلنه شعارها الذي يلي جسدها، وذلك هو الشعار وما فوقه الدثار.

وأما فاطمة الزهراء البتول فولدت سنة إحدى وأربعين من مولد النبي ﷺ، قاله أبو عمر، وهو مغاير لما رواه ابن إسحاق: أن أولاده ﷺ كلهم ولدوا قبل النبوة إلا إبراهيم، وقال ابن الجوزي: ولدت قبل النبوة بخمس سنين، أيام بناء البيت.

وروي مرفوعاً: «**إنما سميت فاطمة، لأن الله قد فطمها وذريتها عن النار يوم القيامة**» أخرجه الحافظ الدمشقي. وروى الغساني والخطيب مرفوعاً: «**لأن الله فطمها ومحبيها عن النار**»[4].

---

(١) ذكره في كنز العمال (٣٦٢٠٦).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ٣/١٢٦. والبخاري كتاب الجنائز باب (٧١) رقم الحديث (١٣٤٢). وفي السنن الكبرى للبيهقي ٤/٥١٣. وفي تغليق التعليق لابن حجر العسقلاني (٤٨٨) وفي التاريخ الصغير للبخاري ١/١٨. وفي مشكاة المصابيح للتبريزي (١٧٢٥).

(٣) أخرجه النسائي كتاب الجنائز رقم (٣٥). وابن ماجه كتاب الجنائز باب (٨) رقم الحديث (١٤٥٨ ـ ١٤٥٩) وأبي داود في سننه كتاب الجنائز باب (٢٩) رقم الحديث (٣١٤٢). والإمام أحمد بن حنبل في مسنده ٥/٨٤. والإمام مالك في الموطأ كتاب الجنائز باب (١) رقم الحديث (٢) وفي المسند للحميدي رقم الحديث (٣٦٠). وفي نصب الراية للزيلعي ٢/١٠٧. وفي مصنف ابن أبي شيبة ٣/٢٤٢. وفي موارد الظمآن للهيثمي (٦٠٨٩).

(٤) ذكره السيوطي في اللآلىء المصنوعة ١/٢٠٨. وفي الموضوعات لابن الجوزي ١/٤٢١. وفي تنزيه الشريعة لابن عراق ١/٤١٣. وفي جمع الجوامع للسيوطي (٧٧٨٠) وفي كنز العمال (٣٤٢٢٧).

وسميت بتولاً لانقطاعها عن نساء زمانها فضلاً وديناً وحسباً، وقيل: لانقطاعها عن الدنيا إلى الله، قاله ابن الأثير.

وتزوجت بعلي بن أبي طالب في السنة الثانية، وقيل بعد أحد.، وقيل بعد بنائه عليه السلام بعائشة بأربعة أشهر ونصف، وبنى بها بعد تزويجها بسبعة أشهر ونصف، وقيل في صفر في السنة الثانية، وبنى بها في ذي الحجة على رأس اثنين وعشرين شهراً.

وكان تزويجها بأمر الله ووحيه. وتزوجت ولها خمس عشرة سنة وخمسة أشهر ونصف ولعلي إحدى وعشرون سنة وخمسة أشهر، وقيل غير ذلك. وتقدم مزيد لذلك في المغازي والسير من المقصد الأول.

قال أبو عمر: وفاطمة وأم كلثوم أفضل بنات النبي ﷺ، وكانت فاطمة أحب أهله إليه ﷺ، وكان يقبلها في فيها ويمصها لسانه، وإذا أراد سفراً يكون آخر عهده بها، وإذا قدم أول ما يدخل عليها.

وقال ﷺ: «**فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني**»[1] رواه البخاري. وقال لها: «**أما ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين**»[2] رواه مسلم، وفي رواية أحمد «**أفضل نساء أهل الجنة**»[3].

وتوفيت بعده ﷺ بستة أشهر، ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من شهر رمضان سنة إحدى عشرة، وهي ابنة تسع وعشرين سنة، قاله المديني. وقيل توفيت بعده بثمانية أشهر وقيل غير ذلك، والأول أصح كذا قالوه فيما رأيته، وهو غير منتظم مع السابق فليتأمل.

وروي أنها قالت لأسماء بنت عميس: إني قد استقبحت ما يصنع بالنساء أن يطرح على المرأة الثوب فيصفها، فقالت أسماء: يا بنت رسول الله ألا أريك شيئاً رأيته بأرض

---

(١) أخرجه البخاري كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ باب (١٢) رقم الحديث (٣٧١٤). وفي السنن الكبرى للبيهقي ٧/ ٦٤ و١٠/ ٢٠١. وفي المستدرك للحاكم ٣/ ١٥٨. وفي اتحاف السادة المتقين ٦/ ٢٤٤. وفي مشكاة المصابيح للتبريزي (٦١٣٠) وفي كشف الخفا للعجلوني ٢/ ١٣٠. وفي المغني عن حمل الأسفار للعراقي ٣/ ٣٤. وفي كنز العمال (٣٤٢٢٢ ـ ٣٤٢٢٣).

(٢) أخرجه البخاري كتاب المناقب باب (٢٥) رقم الحديث (٣٦٢٤ ـ ٣٦٢٦ ـ ٣٧١٦ ـ ٤٤٣٤ ـ ٦٢٨٦). وفي صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة رقم (٩٨) وفي تهذيب خصائص علي للنسائي (٦٣) وفي مشكل الآثار للطحاوي ١/ ٥١. وفي إتحاف السادة المتقين ٦/ ٢٤٤. وفي كنز العمال (٣٤٢٣٠).

(٣) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ٣/ ٨٠ و٥/ ٣٩١ وفي إتحاف السادة المتقين ٥/ ٢٥٤. وفي كنز العمال (٣٤٢٢٤).

الحبشة، فدعت بجرائد رطبة، فحنتها ثم طرحت عليها ثوباً، فقالت فاطمة ما أحسن هذا، تعرف به المرأة من الرجل، فإذا أنا مت فاغسليني أنت وعلي، ولا يدخل علي أحد، الحديث خرجه أبو عمر.

وفي حديث أم رافع سلمى أنها لما اشتكت اغتسلت ولبست ثياباً جدداً واضطجعت في وسط البيت، ووضعت يدها اليمنى تحت خدها، ثم استقبلت القبلة وقالت: إني مقبوضة الآن فلا يكشفني أحد ولا يغسلني، ثم قبضت مكانها، ودخل علي فأخبر بالذي قالت، فاحتملها فدفنها بغسلها ذلك، ولم يكشفها ولا غسلها أحد. رواه أحمد في المناقب والدولابي وهذا لفظه مختصراً، وهو مضاد لخبر أسماء المتقدم.

قال أبو عمر: فاطمة أول من غطي نعشها من النساء على الصفة المذكورة في خبر أسماء المتقدم، ثم بعدها زينب بنت جحش صنع بها ذلك أيضاً.

وولدت لعلي: حسناً وحسيناً ومحسناً، فمات محسن صغيراً، وأم كلثوم وزينب.

ولم يكن لرسول الله ﷺ عقب إلا من ابنته فاطمة رضي الله عنها فانتشر نسله الشريف منها من جهة السبطين الحسن والحسين فقط. ويقال للمنسوب لأولهما: حسني، ولثانيهما: حسيني.

وقد يضم للحسيني من يكون من ذرية إسحاق بن جعفر الصادق بن محمد الباقر ابن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الإسحاقي، فيقال: الحسيني الإسحاقي.

وإسحاق هذا، هو زوج السيدة نفيسة ابنة الحسن بن زيد بن الحسن بن علي، وله منها: القاسم وأم كلثوم ولم يعقبا.

وتزوج عمر بن الخطاب أم كلثوم بنت فاطمة، فولدت له: زيداً ورقية، ولم يعقبا. ثم تزوجت أم كلثوم بعد موت عمر بعون بن جعفر، ثم تزوجت بعد وفاته بأخيه محمد بن جعفر ثم مات عنها فتزوجت بأخيهما عبد الله بن جعفر ثم ماتت عنده ولم تلد لواحد من الثلاثة سوى للثاني ابنة صغيرة فليس لها عقب.

ثم تزوج عبد الله بن جعفر أختها زينب بنت فاطمة، فولدت له عدة من الأولاد، منهم: علي وأم كلثوم.

وتزوج أم كلثوم ـ هذه ـ ابن عمها القاسم بن محمد بن جعفر بن أبي طالب فولدت له عدة من الأولاد منهم: فاطمة زوج حمزة بن عبد الله بن الزبير بن العوام، وله منها عقب.

وبالجملة: فعقب عبد الله بن جعفر انتشر من علي واخته ام كلثوم ابني زينب بنت الزهراء. ويقال لكل من ينتسب لهؤلاء جعفري، ولا ريب أن لهؤلاء شرفاً.

وأما الجعافرة المنسوبون لعبد الله بن جعفر فلهم أيضاً شرف، لكنه يتفاوت، فمن كان من ولده من زينب بنت الزهراء فهم أشرف من غيرهم، مع كونهم لا يوازون شرف المنسوبين للحسن والحسين لمزيد شرفهما، وكذا يوصف العباسيون بالشرف لشرف بني هاشم.

قال الحافظ ابن حجر في الألقاب: وقد لقب به - يعني بالشريف - كل عباسي ببغداد وعلوي بمصر. وفي شيوخ ابن الرفعة شخص يقال له الشريف العباسي.

وأما عبد الله ابن النبي ﷺ فقيل مات صغيراً بمكة، فقال العاصي بن وائل: قد انقطع ولده فهو أبتر، فأنزل الله تعالى: ﴿**إن شانئك هو الأبتر**﴾ [الكوثر: ٣].

واختلف: هل ولد قبل النبوة أو بعدها؟ وهل هو الطيب والطاهر؟ والصحيح: أنهما لقبان له، كما تقدم.

وأما إبراهيم فمن مارية القبطية، وسيأتي ذكرها في سراريه عليه السلام إن شاء الله تعالى في الفصل التالي لهذا في أمهات المؤمنين.

وولد في ذي الحجة سنة ثمان من الهجرة، وقيل ولد بالعالية، ذكره الزبير بن بكار، وكانت سلمى زوج أبي رافع مولاة رسول الله ﷺ قابلته، فبشر أبو رافع به النبي ﷺ فوهب له عبداً، وعق عنه يوم سابعه بكبشين، وحلق رأسه أبو هند، وسماه النبي ﷺ يومئذ، وتصدق بزنة شعره ورقا على المساكين، ودفنوا شعره في الأرض.

وفي البخاري: من حديث أنس بن مالك، أنه ﷺ قال: «**ولد لي الليلة غلام سميته باسم أبي إبراهيم**» ثم دفعه إلى أم سيف، امرأة قين بالمدينة يقال له أبو سيف[١]، الحديث، وفيه: أنه بقي عندها إلى أن مات، والقين: الحداد.

ويجمع بينهما: بأن التسمية كانت قبل السابع، كما في حديث أنس هذا ثم ظهرت فيه، وأما حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده - عند الترمذي مرفوعاً - أنه أمر بتسمية المولود يوم سابعه،[٢] فيحمل على أنها لا تؤخر عن السابع، لا أنها لا تكون إلا

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه. كتاب الجنائز باب (٢٤). رقم الحديث (٣١٢٦) والبخاري كتاب العقيقة باب (١) رقم الحديث (٥٤٦٧). وفي صحيح مسلم كتاب الفضائل رقم (٦٢) وللإمام أحمد بن حنبل في مسنده ٣/ ١٩٤. وفي دلائل النبوة للبيهقي ٥/ ٤٣٠. وفي مجمع الزوائد للهيثمي ١/ ١٩٣. وفي السنن الكبرى للبيهقي ٤/ ٦٩ وفي مصنف ابن أبي شيبة ٣/ ٣٩٣. وفي كنز العمال (٣٢٢٠٨).

(٢) أخرجه الترمذي كتاب الأدب باب (٦٣) رقم الحديث (٢٨٣٢).

فيه، بل هي مشروعة من الولادة إلى السابع.

قال الزبير بن بكار: وتنافست الأنصار فيمن ترضع إبراهيم عليه السلام، فإنهم أحبوا أن يفرغوا مارية له عليه السلام، فأعطاه لأم بردة بنت المنذر بن زيد الأنصاري، زوجة البراء بن أوس، فكانت ترضعه بلبن ابنها في بني مازن بن النجار وترجع به إلى أمه. وأعطى ﷺ أم بردة قطعة نخل.

وقد تقدم أنه أعطاه أم سيف وبقي عندها إلى أن مات، فيحتمل أن يكون أعطاه أولاً أم بردة ثم أعطاه أم سيف وبقي عندها إلى أن توفي، لكن قد روي أنه توفي عند أم بردة، فيرجع في الترجيح إلى الصحيح.

وعن أنس بن مالك قال: ما رأيت أحداً أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ، كان إبراهيم مسترضعاً في عوالي المدينة فكان ينطلق ونحن معه، فيدخل البيت وكان ظئره قيناً، فيأخذ فيقبله ثم يرجع. الحديث رواه أبو حاتم.

وفي حديث جابر: أخذ ﷺ بيد عبد الرحمن بن عوف، فأتى به النخل فإذا ابنه إبراهيم يجود بنفسه، فأخذه ﷺ فوضعه في حجره ثم ذرفت عيناه، ثم قال: «**إنا بك يا إبراهيم لمحزنون، تبكي العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الرب**»[1] خرجه بهذا السياق أبو عمرو بن السماك، ومعناه في الصحيح.

وتوفي وله سبعون يوماً ـ فيما ذكره أبو داود ـ في ربيع الأول يوم الثلاثاء لعشر خلون منه، وقيل: بلغ ستة عشر شهراً وثمانية أيام، وقيل: سنة وعشرة أشهر وستة أيام.

وحمل على سرير صغير، وصلى عليه النبي ﷺ بالبقيع وقال: «**ندفنه عند فرطنا عثمان بن مظعون**». وروي أن عائشة قالت: دفنه ﷺ ولم يصل عليه، فيحتمل أن يكون لم يصل عليه بنفسه وأمر أصحابه أن يصلوا عليه، أو لم يصل عليه في جماعة.

وروي أن الذي غسله أبو بردة، وروي الفضل بن العباس، ولعلهما اجتمعا عليه.

ونزل قبره الفضل وأسامة، والنبي ﷺ على شفير القبر، ورش قبره وعلم بعلامة. قال الزبير: وهو أول قبر رش.

وانكسفت الشمس يوم موته فقال الناس: إنما كسفت لموت إبراهيم، فقال ﷺ:

---

(١) أخرجه البخاري. كتاب الجنائز باب (٤٣) رقم الحديث (١٣٠٣) وفي صحيح مسلم كتاب الفضائل رقم (٦٢) وفي سنن أبي داود كتاب الجنائز باب (٢٤) رقم الحديث (٣١٢٦). وفي سنن ابن ماجه. كتاب الجنائز باب (٥٣) رقم الحديث (١٥٨٩). وللإمام أحمد بن حنبل في مسنده ٣/ ١٩٤.

«**إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا ينكسفان لموت أحد**»[1] رواه الشيخان. قيل: الغالب أن الكسوف يكون يوم الثامن والعشرين أو التاسع والعشرين، فكسفت يوم موت إبراهيم في العاشر، فلذلك قالوا: كسفت لموته.

وقال ﷺ: «**إن له مرضعاً في الجنة**»[2] رواه ابن ماجه.

وقد روي من حديث أنس بن مالك أنه قال: «**لو بقي - يعني إبراهيم بن النبي ﷺ - لكان نبياً، ولكن لم يبق لأن نبيكم آخر الأنبياء**» أخرجه أبو عمر.

قال الطبري: وهذا إنما يقوله أنس عن توقيف يخص إبراهيم، وإلا فلا يلزم أن يكون ابن النبي نبياً، بدليل ابن نوح عليه السلام.

وقال النووي في تهذيب الأسماء واللغات: وأما ما روي عن بعض المتقدمين: لو عاش إبراهيم لكان نبياً فباطل وجسارة على الكلام على المغيبات، ومجازفة وهجوم على عظيم. انتهى.

قال شيخنا في كتابه «المقاصد الحسنة»: ونحوه قول ابن عبد البر في تمهيده: لا أدري ما هذا، فقد ولد نوح غير نبي، ولو لم يلد النبي إلا نبياً لكان كل أحد نبياً، لأنهم من ولد نوح. انتهى.

قال الحافظ ابن حجر: ولا يلزم من الحديث المذكور ما ذكره الطبري لما لا يخفى، وكأنه سلف النووي، وقال أيضاً عقب كلام النووي: إنه عجيب مع وروده عن ثلاثة من الصحابة، قال: وكأنه لم يظهر له وجه تأويله، فقال في إنكاره ما قال.

وجوابه أن القضية الشرطية لا تستلزم الوقوع، ولا يظن بالصحابي الهجوم على مثل هذا بالظن.

---

(١) أخرجه البخاري. كتاب الكسوف باب (١) رقم الحديث (١٠٤١ ـ ١٠٥٧ ـ ٣٢٠٤ ـ ١٠٤٢ ـ ٣٢٠١) والنسائي. كتاب الكسوف رقم الحديث (١). وفي صحيح مسلم كتاب الكسوف رقم (١ ـ ٣ ـ ٢٩). وسنن ابن ماجه. كتاب إقامة الصلاة. باب (١٢٥) رقم الحديث (١٢٦٣). وللإمام أحمد ابن حنبل في مسنده ١/ ٢٩٨ ـ ٢/ ١٥٩ و٤/ ٢٩٨ و٦/ ٣٥٤. وفي المسند للحميدي رقم الحديث (٤٥٥) وفي سنن أبي داود. كتاب الصلاة باب (٣) رقم الحديث (١١٧٧ ـ ١١٧٨). وفي المنتقى من السنن المسندة لابن الجارود رقم الحديث (٢٤٨ ـ ٢٤٩).

(٢) أخرجه البخاري. كتاب الجنائز باب (٩١) رقم الحديث (١٣٨٢ ـ ٣٢٥٥ ـ ٦١٩٥). وفي سنن ابن ماجه. كتاب الجنائز باب (٢٧) رقم الحديث (١٥١١). وللإمام أحمد بن حنبل في مسنده ٤/ ٢٨٤ ـ ٣٠٤. وفي المستدرك للحاكم ٤/ ٣٨. وفي مجمع الزوائد للهيثمي ٩/ ١٦٢. وفي دلائل النبوة للبيهقي ٧/ ٢٨٩. وفي مشكاة المصابيح للتبريزي (٦١٢٨). في كنز العمال (٣٢٢١١ ـ ٣٢٢٢٢ ـ ٣٥٥٤٦ ـ ٣٥٥٥٥).

قال شيخنا: والطرق الثلاثة:

أحدها: ما أخرجه ابن ماجه وغيره من حديث ابن عباس: لما مات إبراهيم بن النبي ﷺ، صلى عليه وقال: «**إن له مرضعاً في الجنة، لو عاش لكان صديقاً نبياً، ولو عاش لأعتقت أخواله من القبط، وما استرق قبطي**»[1]. وفي سنده أبو شيبة إبراهيم بن عثمان الواسطي، وهو ضعيف، ومن طريقه أخرجه ابن منده في المعرفة وقال: إنه غريب.

ثانيها: ما رواه إسماعيل السدي عن أنس قال: كان إبراهيم قد ملأ المهد، ولو بقي لكان نبياً[2]، الحديث.

ثالثها: ما عند البخاري من طريق محمد بن بشر عن إسماعيل بن أبي خالد قال: قلت لعبد الله بن أبي أوفى: «رأيت إبراهيم بن النبي ﷺ؟ قال: مات صغيراً، ولو قضى بعد محمد نبي عاش ابنه إبراهيم، ولكن لا نبي بعده».

وأخرجه أحمد عن وكيع عن إسماعيل سمعت ابن أبي أوفى يقول: لو كان بعد النبي ﷺ نبي ما مات ابنه. انتهى.

---

(١) أخرجه ابن ماجه. كتاب الجنائز باب (٢٧) رقم الحديث (١٥١١). وفي تهذيب دمشق لابن عساكر ٢٩٦/١. وفي الحاوي للفتاوي للسيوطي ١٨٨/٢. وفي كنز العمال (٣٢٢٠٥).

(٢) أخرجه البخاري. كتاب الأدب باب (١٠٩) رقم الحديث (٦١٩٤) وفي مسند الإمام ابن حنبل ١٥٤/٤ و٣٥٣.

في ذكر أزواجه الطاهرات وسراريه المطهرات[1]

قال الله تعالى: ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم﴾ [الأحزاب: ٦] أي أزواجه ﷺ أمهات المؤمنين، سواء من مات عنها أو ماتت عنه وهي تحته. وذلك في تحريم نكاحهن، ووجوب احترامهن، لا في نظر وخلوة.

ولا يقال بناتهن أخوات المؤمنين، ولا آباؤهن وأمهاتهن أجداد وجدات، ولا اخوتهن ولا إخواتهن أخوال وخالات. قال البغوي[2]: كن أمهات المؤمنين دون النساء، روي ذلك عن عائشة رضي الله عنها ولفظها ـ كما في البيضاوي ـ: «لسنا أمهات النساء» وهو جار على الصحيح عند أصحابنا وغيرهم من أهل الأصول: أن النساء لا يدخلن في خطاب الرجال. قال: وكان ﷺ أبا للرجال والنساء. ويجوز أن يقال أبو المؤمنين في الحرمة. وفضلت زوجاته ﷺ على النساء، وثوابهن وعقابهن مضاعفان، ولا يحل سؤالهن إلا من وراء حجاب. وأفضلهن خديجة وعائشة رضي الله عنهما، وفي أفضلهما خلاف يأتي تحقيقه إن شاء الله تعالى قريباً.

واختلف في عدة أزواجه ﷺ وترتيبهن، وعدة من مات منهن قبله، ومن مات عنهن ومن دخل بها ومن لم يدخل بها، ومن خطبها ولم ينكحها، ومن عرضت نفسها عليه.

والمتفق عليه: أنهن إحدى عشرة امرأة، ست من قريش:

خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي.

---

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٤/ ٢٩٣. وطبقات ابن سعد ٨/ ٤٢. وزاد المعاد بشرح المواهب ١/ ٨٧.

(٢) هو الحسين بن مسعود بن محمد. الفراء أو ابن الفراء أبو محمد ويلقب بمحيي السنة البغوي. (٤٣٦ ـ ٥١٠ هـ). فقيه محدث مفسر. توفي بمرو الروذ. الأعلام ٢/ ٢٥٩. وفيات الأعيان ١/ ١٤٥ وفيه رواية أخرى في وفاته سنة (٥١٦ هـ). تذكرة الحفاظ ٤/ ١٢٥٧ رقم الترجمة (١٠٦٢). شذرات الذهب ٤/ ٤٨. طبقات الشافعية للسكبي ٤/ ٢١٤ طبقات المفسرين ١/ ١٦٠ رقم الترجمة (١٥٤). مفتاح السعادة ٢/ ١٠٢.

وعائشة بنت أبي بكر بن أبي قحافة بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي.

وحفصة بنت عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط ابن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي.

وأم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي ابن كلاب مرة بن كعب بن لؤي.

وأم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة ابن كعب بن لؤي.

وسودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي.

وأربع عربيات:

زينب بنت جحش بن رباب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة.

وميمونة بنت الحارث الهلالية.

وزينب بنت خزيمة الهلالية أم المساكين.

وجويرية بنت الحارث الخزاعية المصطلقية.

وواحدة غير عربية من بني إسرائيل وهي صفية بنت حيي من بني النضير.

ومات عنده ﷺ منهن اثنتان: خديجة وزينب أم المساكين، ومات ﷺ عن تسع، ذكر أسماءهن الحافظ أبو الحسن بن الفضل المقدسي نظماً فقال:

توفي رسول الله عن تسع نسوة ... إليهن تعزى المكرمات وتنسب

فعائشة ميمونة وصفية ... وحفصة تتلوهن هند وزينب

جويرية مع رملة ثم سودة ... ثلاث وست ذكرهن مهذب

ولا خلاف في أن أول امرأة تزوج بها منهن خديجة بنت خويلد، وأنه ﷺ لم يتزوج عليها حتى ماتت.

وهذا حين الشروع في ذكرهن على الترتيب:

فأما أم المؤمنين خديجة ـ وأمها فاطمة بنت زائدة بن الأصم ـ فكانت تدعى في الجاهلية «الطاهرة»، وكانت تحت أبي هالة النباش بن أبي زرارة فولدت له هنداً وهالة وهما ذكران.

ثم تزوجها عتيق بن عائذ المخزومي، فولدت له جارية اسمها هند، وبعضهم يقدم عتيقاً على أبي هالة.

ثم تزوجها رسول الله ﷺ، ولها يومئذ من العمر أربعون سنة وبعض أخرى، وكان سنه ﷺ إحدى وعشرين سنة، وقيل خمساً وعشرين، وعليه الأكثر، وقيل ثلاثين.

وكانت عرضت نفسها عليه، فذكر ذلك لأعمامه، فخرج معه منهم حمزة، حتى دخل على خويلد بن أسد، فخطبها إليه فتزوجها ﷺ وأصدقها عشرين بكرة. وزاد ابن إسحاق من طريق آخر: وحضر أبو طالب ورؤساء مضر: فخطب أبو طالب. وقد قدمت خطبته في المقصد الأول عند ذكر تزويجها له ﷺ. وذكر الدولابي وغيره أن النبي ﷺ أصدق خديجة اثنتي عشرة أوقية ذهباً.

وقد كانت خديجة ـ كما قدمته ـ أول من آمن من الناس، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة: «أن جبريل قال للنبي ﷺ يا محمد، هذه خديجة قد أتتك بإناء فيه طعام ـ أو إدام أو شراب ـ فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني، وبشرها ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب»[1] والقصب: اللؤلؤ المجوف.

قال ابن إسحاق: كان ﷺ لا يسمع شيئاً يكرهه من رد عليه وتكذيب له عليه السلام، فيحزنه ذلك إلا فرج الله عنه بخديجة إذا رجع إليها تثبته وتخفف عنه، وتصدقه وتهون عليه أمر الناس حتى ماتت.

وعن عبد الرحمن بن زيد قال: قال آدم عليه السلام: إني لسيد البشر يوم القيامة، إلا رجلاً من ذريتي نبياً من الأنبياء، يقال له أحمد، فضل علي باثنتين: زوجته عاونته فكانت له عوناً، وكانت زوجتي علي عوناً، وأعانه الله على شيطانه فأسلم، وكفر شيطاني. خرجه الدولابي، كما ذكره الطبري.

وخرج الإمام أحمد عن ابن عباس أنه ﷺ قال: «**أفضل نساء أهل الجنة: خديجة بنت خويلد، وفاطمة ابنة محمد، ومريم ابنة عمران، وآسية امرأة فرعون**»[2].

---

(١) أخرجه البخاري. كتاب مناقب الأنصار باب (٢٠) رقم الحديث (٣٨٢٠ ـ ٧٤٩٧). وفي مجمع الزوائد للهيثمي ٩/ ٢٢٥. وفي المستدرك للحاكم ٣/ ١٨٥. وفي جامع مسانيد أبي حنيفة ١/ ٢٠٧. وفي كنز العمال (٣٧٧٦٧).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣/ ١٦٠، ١٨٥. وفي تفسير ابن كثير ٨/ ٢٠٠. وللإمام أحمد بن حنبل في مسنده ١/ ٣٢٢. وفي الدر المنثور ٢/ ٢٣ وفي فتح الباري ٧/ ١٦٩. كتاب مناقب الأنصار باب (٢٠).

قال الشيخ ولي الدين العراقي: خديجة أفضل أمهات المؤمنين على الصحيح المختار، وقيل: عائشة. انتهى.

وقال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري[1] في شرح بهجة الحاوي، عند ذكر أزواجه ﷺ: وأفضلهن خديجة وعائشة وفي أفضلهما خلاف، صحح ابن العماد تفضيل خديجة، لما ثبت أنه ﷺ قال لعائشة، حين قالت له: قد رزقك الله خيراً منها فقال: «**لا والله ما رزقني الله خيراً منها، آمنت بي حين كفر بي الناس، وصدقتني حين كذبني الناس، وأعطتني مالها حين حرمني الناس**».

وسئل ابن داود [بن علي الظاهري] أيهما أفضل؟ فقال: عائشة أقرأها النبي ﷺ السلام من جبريل، وخديجة أقرآها جبريل من ربها السلام على لسان محمد، فهي أفضل. قيل له: فمن أفضل خديجة أم فاطمة؟ فقال: إن رسول الله ﷺ قال: «**فاطمة بضعة مني**»[2] فلا أعدل ببضعة رسول الله ﷺ أحداً.

ويشهد له قوله ﷺ لها: «**أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم**»[3].

واحتج من فضل عائشة بما احتجت به من أنها في الآخرة مع النبي ﷺ في الدرجة، وفاطمة مع علي فيها.

وسئل السبكي عن ذلك فقال: الذي نختاره، وندين الله به، أن فاطمة بنت محمد أفضل من أمها خديجة، ثم أمها خديجة، ثم عائشة، ثم استدل لذلك بما تقدم بعضه.

وأما خبر الطبراني: خير نساء العالمين مريم بنت عمران ثم خديجة بنت خويلد، ثم فاطمة بنت محمد، ثم آسية امرأة فرعون. فأجاب عنه ابن العماد: بأن خديجة إنما فضلت فاطمة باعتبار الأمومة، لا باعتبار السيادة.

واختار السبكي: أن مريم أفضل من خديجة لهذا الخبر، وللاختلاف في نبوتها، انتهى.

وقال أبو أمامة بن النقاش: إن سبق خديجة، وتأثيرها في أول الإسلام وموازرتها ونصرها وقيامها في الدين لله بمالها ونفسها، لم يشركها فيه أحد، لا عائشة ولا غيرها من

---

(١) هو زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري السنيكي المصري الشافعي أبو يحيى. (٨٢٣ ـ ٩٢٦ هـ). قاض. مفسر. محدث. حافظ. الأعلام ٣/ ٤٦. معجم المطبوعات ١/ ٤٨٣. شذرات الذهب ٨/ ١٣٤ وفيه توفي سنة (٩٢٥ هـ). معجم المؤلفين ٤/ ١٨٢.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣/ ١٥٨ والبيهقي في السنن الكبرى ٧/ ٦٤ و١٠/ ٢٠٢ وفي إتحاف السادة المتقين ٦/ ٢٤٤ وفي كنز العمال (٣٤٢٢٢ ـ ٣٤٢٢٣).

(٣) ذكره السيوطي في جمع الجوامع (٤٢٤٨) وابن كثير في البداية ٥/ ١٩٩.

أمهات المؤمنين. وتأثير عائشة في آخر الإسلام، وحمل الدين وتبليغه إلى الأمة وإدراكها من الأحاديث ما لم تشركها فيه خديجة ولا غيرها، مما تميزت به عن غيرها، انتهى.

وماتت خديجة بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين، وقيل بأربع، وقيل بخمس، ودفنت في الحجون، وهي ابنة خمس وستين سنة، ولم يكن يومئذٍ يصلى على الجنازة، وكانت مدة مقامها مع النبي ﷺ خمساً وعشرين سنة، وقيل أربعاً وعشرين سنة.

وأما سودة بنت زمعة ـ وأمها الشموس بنت قيس ـ فأسلمت قديماً وكانت تحت ابن عم لها يقال له السكران بن عمرو ـ أخو سهيل بن عمرو ـ أسلم معها قديماً، وهاجرا جميعاً إلى أرض الحبشة الهجرة الثانية، فلما قدما مكة مات زوجها، وقيل إنه مات بالحبشة.

وتزوجها ﷺ بمكة بعد موت خديجة قبل أن يعقد على عائشة، هذا قول قتادة وأبي عبيدة، ولم يذكر ابن قتيبة غيره، ويقال تزوجها بعد عائشة ويجمع بين القولين: بأنه ﷺ عقد على عائشة قبل سودة، ودخل بسودة قبل عائشة، والتزويج يطلق على كل منهما، وإن كان المتبادر إلى الفهم العقد دون الدخول.

ولما كبرت سودة أراد ﷺ طلاقها، فسألته أن لا يفعل وجعلت يومها لعائشة فأمسكها.

وتوفيت بالمدينة في شوال سنة أربع وخمسين. وروى البخاري في تاريخه بإسناد صحيح إلى سعيد بن أبي هلال: أنها ماتت في خلافة عمر، وجزم الذهبي في التاريخ الكبير بأنها ماتت في آخر خلافة عمر، وقال ابن سيد الناس: إنه المشهور.

وأما أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ـ وأمها أم رومان ابنة عامر بن عويمر بن عبد شمس، من بني مالك بن كنانة ـ فكانت مسماة على جبير بن مطعم، فخطبها النبي ﷺ وأصدقها ـ فيما قاله ابن إسحاق ـ أربعمائة درهم، وتزوجها بمكة في شوال سنة عشر من النبوة قبل الهجرة بثلاث سنين، ولها ست سنين، وأعرس بالمدينة في شوال سنة اثنتين من الهجرة على رأس ثمانية عشر شهراً، ولها تسع سنين. وقيل بعد سبعة أشهر من مقدمه عليه الصلاة والسلام.

وخرج الشيخان عن عائشة أنها قالت: «تزوجني رسول الله ﷺ وأنا ابنة ست سنين فقدمنا المدينة، فنزلنا في بني الحارث بن الخزرج، فوعكت فتمزق شعري، فأتتني أمي ـ أم رومان ـ وإني لفي أرجوحة مع صواحب لي، فصرخت بي فأتيتها، ما أدري ما تريد مني، فأخذت بيدي حتى أوقفتني على باب الدار، وأنا أنهج، حتى سكن بعض نفسي، ثم

أخذت شيئاً من ماء فمسحت به وجهي ورأسي ثم أدخلتني الدار، فإذا نسوة من الأنصار في البيت فقلن: على الخير والبركة، فأسلمتني إليهن فأصلحن من شأني، فلم يرعني إلا رسول الله ﷺ ضحى، فأسلمتني إليه، وأنا يومئذٍ بنت تسع سنين [(١)].

وأخرجه أبو حاتم بتغيير بعض ألفاظه.

قال أبو عمر: كان نكاحه ﷺ لعائشة في شوال، وابتنى بها في شوال، وكانت تحب أن يدخل النساء من أهلها وأحبتها في شوال على أزواجهن.

وكانت أحب نساء رسول الله ﷺ إليه، وكانت إذا هويت الشيء تابعها عليه، وفقدها عليه السلام في بعض أسفاره فقال: «واعروساه»[(٢)]. أخرجه أحمد.

وقال لها ﷺ - كما في الصحيحين -: «**رأيتك في المنام ثلاث ليال، جاءني بك الملك في سرقة من حرير، فيقول: هذه امرأتك، فأكشف عن وجهك فأقول: إن يكن من عند الله يمضه**»[(٣)] والسَرَقَة: شقة الحرير أو البيضاء.

وفي الترمذي أن جبريل جاءه عليه الصلاة والسلام بصورتها في خرقة حرير خضراء وقال هذه زوجتك في الدنيا والآخرة. وفي رواية عنده: قال جبريل: إن الله قد زوجك بابنة أبي بكر، ومعه صورتها[(٤)].

وكانت مدة مقامها معه ﷺ تسع سنين، ومات عنها ﷺ ولها ثماني عشرة سنة ولم يتزوج بكراً غيرها، وكانت فقيهة عالمة فصيحة، كثيرة الحديث عن رسول الله ﷺ، عارفة بأيام العرب وأشعارها، روى عنها جماعة كثيرة من الصحابة والتابعين، وكان ﷺ يقسم لها ليلتين، ليلتها وليلة سودة بنت زمعة، لأنها وهبت ليلتها لما كبرت لها - كما تقدم - ولنسائه ليلة ليلة، وكان يدور على نسائه ويختم بعائشة.

وماتت بالمدينة سنة سبع وخمسين. وقال الواقدي: ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت من رمضان سنة ثمان وخمسين، وهي ابنة ست وستين سنة، وأوصت أن تدفن بالبقيع

---

(١) أخرجه البخاري كتاب مناقب الأنصار باب (٤٤) رقم الحديث (٣٨٩٤ - ٣٨٩٦ - ٥١٣٣ - ٥١٥٨ - ٥١٦٠).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في المسند ٦/٢٤٨ وفي مجمع الزوائد للهيثمي ٩/٢٢٨ وفي الكنى والأسماء للدولابي ٢/٨.

(٣) أخرجه البخاري كتاب التعبير باب (٢٠ - ٢١) رقم الحديث (٧٠١١ - ٧٠١٢) وفي مناقب الأنصار باب (٤٤) وفي كتاب النكاح باب (٣٥). وفي مسلم كتاب فضائل الصحابة رقم الحديث (٧٩) وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل ٦/١٢٨ - ١٦١.

(٤) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب باب (٦٢) رقم الحديث (٣٨٨٠).

ليلاً، وصلى عليها أبو هريرة، وكان يومئذ خليفة مروان على المدينة في أيام معاوية بن أبي سفيان.

وكانت عائشة تكنى أم عبد الله، يروى أنها أسقطت من النبي ﷺ سقطاً، ولم يثبت والصحيح أنها كانت تكنى بعبد الله بن الزبير، ابن أختها، فإنه عليه الصلاة والسلام تفل في فيه لما ولد، وقال لعائشة: «**هو عبد الله وأنت أم عبد الله**» قالت: فما زلت أكنى بها وما ولدت قط. خرجه أبو حاتم.

وأما أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ـ وأمها زينب بنت مظعون ـ فأسلمت وهاجرت. وكانت قبل رسول الله ﷺ تحت خنيس ـ بضم المعجمة وفتح النون وبالسين المهملة ـ ابن حذافة السهمي، هاجرت معه، ومات عنها بعد غزوة بدر.

فلما تأيمت ذكرها عمر على أبي بكر وعثمان فلم يجبه واحد منهما إلى زواجها[1]، فخطبها رسول الله ﷺ فأنكحه إياها في سنة ثلاث من الهجرة، وطلقها تطليقة واحدة، ثم راجعها[2]، نزل عليه الوحي: راجع حفصة فإنها حوامة قوامة وإنها زوجتك في الجنة[3].

وروى عنها جماعة من الصحابة والتابعين. وماتت في شعبان سنة خمس وأربعين في خلافة معاوية، وقيل سنة إحدى وأربعين، وهي ابنة ستين سنة، وقيل إنها ماتت في خلافة عثمان.

وأما أم المؤمنين أم سلمة هند، وقيل رملة والأول أصح ـ وأمها عاتكة بنت عامر ابن ربيعة، وليست عاتكة بنت عبد المطلب ـ فكانت قبل رسول الله ﷺ تحت أبي سلمة ابن عبد الأسد، وكانت هي وزوجها أول من هاجر إلى أرض الحبشة، فولدت له بها زينب، وولدت له بعد ذلك سلمة وعمر ودرة، وقيل هي أول ظعينة دخلت المدينة مهاجرة، وقيل غيرها، ومات أبو سلمة سنة أربع وقيل سنة ثلاث من الهجرة.

وكانت أم سلمة سمعته ﷺ يقول: «**ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول: اللهم آجرني في مصيبتي وأخلف لي خيراً منها إلا أخلف الله له خيراً منها**»[4] قالت: فلما مات أبو

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب النكاح باب (٣٧) رقم الحديث (٥١٢٩ ـ ٥١٤٥).

(٢) أخرجه أبو داوود في كتاب الطلاق باب (٣٨) رقم الحديث (٢٢٨٣) وفي ابن ماجه كتاب الطلاق باب (١) رقم الحديث (٢٠١٦) وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل ٣/ ٤٧٨.

(٣) ذكره ابن سعد في طبقاته ٨/ ٦٧.

(٤) أخرجه مسلم كتاب الجنائز رقم الحديث (٣ ـ ٤) (٦٣٢) وأبو داوود كتاب الجنائز باب (١٨) رقم =

سلمة قلت أي المسلمين خير من أبي سلمة، ثم إني قلتها، فأخلف الله لي رسول الله ﷺ فأرسل إلي رسول الله ﷺ حاطب بن أبي بلتعة يخطبني له.

وفي رواية: فخطبها أبو بكر فأبت، وخطبها عمر فأبت، ثم أرسل إليها رسول الله ﷺ فقالت: مرحباً برسول الله، إن في خلالا ثلاثاً: أنا امرأة شديدة الغيرة، وأنا امرأة مصبية وأنا امرأة ليس لي ها هنا أحد من أوليائي فيزوجني. فغضب عمر لرسول الله ﷺ أشد مما غضب لنفسه حين ردته، فأتاها رسول الله ﷺ فقال: «**أما ما ذكرت من غيرتك فإني أدعو الله أن يذهبها عنك، وأما ما ذكرت من صبيتك فإن الله سيكفيهم، وأما ما ذكرت من أوليائك فليس أحد من أوليائك يكرهني**» فقالت لابنها: زوج رسول الله ﷺ فزوجه[1]. قال صاحب «السمط الثمين» رواه بهذا السياق هدبة بن خالد «وصاحب الصفوة» وخرج أحمد والنسائي طرفاً منه، ومعناه في الصحيح.

وفيه دلالة على أن الابن يلي العقد على أمه، وعندنا أنه إنما زوجها بالعصوبة لأنه ابن ابن عمها، لأن أبا سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله، وأم سلمة هند بنت سهيل بن المغيرة بن عبد الله، ولم يكن أحد من عصبتها حاضراً غيره.

وكانت أم سلمة من أجمل النساء، وتزوجها رسول الله ﷺ في ليال بقين من شوال من السنة التي مات فيها أبو سلمة.

وماتت سنة تسع وخمسين وقيل سنة اثنتين وستين، والأول أصح، ودفنت بالبقيع وصلى عليها أبو هريرة، وقيل سعيد بن زيد، وكان عمرها أربعاً وثمانين سنة.

وأما أم المؤمنين أم حبيبة، رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب، وقيل اسمها هند، والأول أصح ـ وأمها صفية بنت أبي العاصي بن أمية عمة عثمان بن عفان ـ فكانت تحت عبيد الله بن جحش وهاجر بها إلى أرض الحبشة الهجرة الثانية، ثم تنصر وارتد عن الإسلام ومات هناك، وثبتت أم حبيبة على الإسلام.

واختلف في وقت نكاح رسول الله ﷺ إياها، وموضع العقد، فقيل: إنه عقد عليها بأرض الحبشة سنة ست، فروي أنه ﷺ بعث عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ليخطبها عليه، فزوجها إياه، وأصدقها عنه أربعمائة دينار، وبعث بها إليه مع شرحبيل بن حسنة.

= الحديث (٣١١٩) وفي الترمذي كتاب الدعوات باب (٨٣) رقم الحديث (٣٥١١) وفي المعجم الكبير للطبراني نحوه ٣٥٩/١٩ وفي كنز العمال نحوه (٦٨٣٩). وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل ٣٠٩/٦.

(١) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في المسند ٢٨/٤ وفي البداية والنهاية ٤/ ٩٠ و٩٣.

وروي أن النجاشي أرسل إليها جاريته «أبرهة» فقالت: إن الملك يقول لك إن رسول الله ﷺ كتب إلي أن أزوجك منه، وأنها أرسلت إلى خالد بن سعيد بن العاصي فوكلته وأعطت أبرهة سوارين وخواتم من فضة سروراً بما بشرتها به، فلما كان العشي أمر النجاشي جعفر بن أبي طالب ومن هناك من المسلمين فحضروا، فخطب النجاشي فقال: الحمد لله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، أما بعد: فقد أجبت إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ وقد أصدقتها عنه أربعمائة دينار ذهباً، ثم سكب الدنانير بين يدي القوم. فتكلم خالد بن سعيد فقال: الحمد لله أحمده وأستعينه وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون. أما بعد: فقد أجبت إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ وزوجته أم حبيبة بنت أبي سفيان، فبارك الله لرسوله ﷺ فيها. ودفع الدنانير إلى خالد بن سعيد بن العاص فقبضها، ثم أرادوا أن يقوموا فقال: اجلسوا فإن سنة الأنبياء إذا تزوجوا أن يؤكل طعام على التزويج، فدعا بطعام فأكلوا ثم تفرقوا. خرجه صاحب الصفوة كما قال الطبري. وكان ذلك سنة سبع من الهجرة.

قال أبو عمر: واختلف فيمن زوجها، فروي أنه سعيد بن العاصي، وروي عثمان ابن عفان وهي ابنة عمته. وذكر البيهقي أن الذي زوجها خالد بن سعيد بن العاصي وهو ابن ابن عم أبيها، لكن إن صح التاريخ المذكور فلا يصح أن يكون عثمان هو الذي زوجها، فإنه كان مقدمه من الحبشة قبل وقعة بدر في السنة الثانية من الهجرة.

وكان أبو سفيان أبوها حال نكاحها بمكة مشركاً محارباً لرسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد قيل إن عقد النكاح عليها كان بالمدينة بعد رجوعها من أرض الحبشة والمشهور الأول. وماتت بالمدينة سنة أربع وأربعين وقيل: سنة اثنتين وأربعين.

وأما أم المؤمنين زينب بنت جحش ـ وأمها أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم ـ فكان رسول الله ﷺ زوجها من زيد بن حارثة، فمكثت عنده مدة ثم طلقها ـ كما سيأتي إن شاء الله تعالى في الخصائص ـ فلما انقضت عدتها منه قال ﷺ لزيد بن حارثة «**اذهب فاذكرني لها**» قال: فذهبت إليها، فجعلت ظهري إلى الباب فقلت يا زينب بعث رسول الله ﷺ يذكرك، فقالت: ما كنت لأحدث شيئاً حتى أؤامر ربي عز وجل، فقامت إلى مسجد لها، فأنزل الله تعالى: ﴿**فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها**﴾ [الأحزاب: ٣٧]

فجاء رسول الله فدخل عليها بغير إذن[1]. أخرجه مسلم.

وقال المنافقون:[2] حرم محمد نساء الولد، وقد تزوج امرأة ابنه، فأنزل الله تعالى: ﴿**ما كان محمد أبا أحد من رجالكم**﴾ [الأحزاب: ٤٠] الآية.

وكانت زينب تفجر على أزواج النبي ﷺ تقول: زوجكن آباؤكن، وزوجني الله من فوق سبع سماوات[3]، رواه الترمذي وصححه.

وكان اسمها «برة» ﷺ زينب. وعن أنس: لما تزوج ﷺ زينب بنت جحش دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون، فإذا هو ﷺ يتهيأ للقيام فلم يقوموا، فلما رأى ذلك قام وقام من قام، وقعد ثلاثة نفر، فجاء النبي ﷺ ليدخل فإذا القوم جلوس، ثم إنهم قاموا، فانطلقت فجئت فأخبرت النبي ﷺ أنهم انطلقوا. فجاء حتى دخل فذهبت لأدخل فألقى الحجاب بيني وبينه، فأنزل الله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي**﴾ [الأحزاب: ٥٣] الآية.

وكان تزويجها له ﷺ في سنة خمس من الهجرة، وقيل سنة ثلاث. وهي أول من مات من أزواجه بعده وقالت عائشة في شأنها: ولم تكن امرأة خيراً منها في الدين، وأتقى لله وأصدق حديثاً، وأوصل للرحم، وأعظم صدقة وأشد ابتذالاً لنفسها في العمل الذي تتصدق به وتتقرب به إلى الله رواه مسلم.

وماتت بالمدينة سنة عشرين، وقيل سنة إحدى وعشرين، ولها ثلاث وخمسون

---

(١) أخرجه مسلم كتاب النكاح رقم الحديث (٨٩). وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل ٣/ ١٩٥ وفي حلية الأولياء ٢/ ٥٢.

(٢) طعن بعض الكفار فيه ﷺ بقولهم: أن محمداً احتال على زيد بن حارثة لما علقت نفسه بزوجته زينب بنت جحش حتى توصل لزواجها.

الجواب: أن زينب لم تكن معرفته بها جديدة لأنها بنت عمته أمها أميمة بنت عبد المطلب وكان رسول الله ﷺ أراد أن يزوجها زيد بن حارثة مولاه فكرهت ذلك ثم رضيت بما صنع رسول الله ﷺ فزوجها إياه ثم أعلم الله عز وجل نبيه ﷺ أنها تكون من أزواجه فكان يستحي أن يأمره بطلاقها. وكان لا يزال يكون بين زيد وزينب ما يكون من الناس. فأمره رسول الله ﷺ. أن يمسك عليه زوجه وأن يتقي الله، وكان يخشى الناس أن يعيبوا عليه ويقولوا تزوج امرأة ابنه وكان قد تبنى زيداً فكان مما قاله زيد: يا رسول الله إن زينب اشتد عليَّ لسانها وأنا أريد أن أطلقها، فقال له: اتق الله وامسك عليك زوجك. فمعنى قوله تعالى ﴿وتخفي في نفسك ما الله مبديه﴾ [الأحزاب: ٣٧] أنه كان يخفي إخبار الله الذي أخبره أنها ستصير زوجته بوحي غير قرآن [وذلك أنه كان يبلغ ما أنزل من القرآن فوراً] والذي كان يحمله على إخفاء ذلك خشيته قول الناس تزوج امرأة ابنه. وأراد الله إبطال ما كان عليه الناس قبل البعثة من أحكام التبني.

(٣) أخرجه الترمذي كتاب التفسير باب (١٦) رقم الحديث (٣٢١٣).

سنة، وصلى عليها عمر بن الخطاب، وهي أول من جعل على جنازتها نعش.

وأما أم المؤمنين زينب بنت خزيمة بن الحارث الهلالية، وكانت تدعى في الجاهلية أم المساكين لإطعامها إياهم، فكانت تحت عبد الله بـن جحش في قول ابن شهاب، قتل عنها يوم أحد فتزوجها رسول الله ﷺ سنة ثلاث، ولم تلبث عنده إلا شهرين أو ثلاثة وتوفيت في حياته ﷺ، وقيل مكثت عنده ثمانية أشهر، ذكره الفضائلي.

وقيل كانت قبله ﷺ تحت الطفيل بن الحارث، ثم خلف عليها أخوه عبيدة بن الحارث وقتل عنها يوم أحد شهيداً، فخلف عليها رسول الله ﷺ، والأول أصح.

وتوفيت في ربيع الآخر سنة أربع ودفنت بالبقيع على الطريق قال الطبري: كذا ذكره الفضائلي، وإنما يكون هذا على ما حكاه من أنها مكثت عنده عليه السلام ثمانية أشهر، أما على ما حكاه أبو عمر فلا يصح، إذ العقد كان في سنة ثلاث، ومدتها عنده ﷺ شهران أو ثلاثة فلا يصح أن تكون وفاتها في ربيع الآخر، انتهى، فليتأمل.

وأما أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية ـ وأمها هند بنت عوف بن زهير بن الحارث بن حماطة بن حمير ـ فتزوجها ﷺ لما كان بمكة معتمراً سنة سبع بعد غزوة خيبر، وكانت أختها أم الفضل لبابة الكبرى تحت العباس بن عبد المطلب، وأختها لأمها أسماء بنت عميس تحت جعفر، وسلمى بنت عميس تحت حمزة، وكانت جعلت أمرها إلى العباس فأنكحها النبي ﷺ وهو محرم، فلما رجع بنى بها بسرف حلالا، ذكره أبو عمر. وفي الصحيح من أفراد مسلم،عنها أنه ﷺ تزوجها وهو حلال،زاد البرقاني[1] بعد قوله تزوجها حلالاً: وبنى بها حلالاً وماتت بسرف. فيحمل قوله: وهو محرم، أي داخل في الحرم، ويكون العقد وقع بعد انقضاء العمرة، ثم خرج بها إلى سرف وابتنى بها فيه، وهو على عشرة أميال من مكة، كذا قاله الطبري. وسيأتي في مقصد المعجزات في ذكر الخصائص مزيد بيان لذلك إن شاء الله تعالى.

وكانت ميمونة قبل عند أبي رهم بن عبد العزى، ويقال: بل عبد الله بن أبي رهم، وقيل: بل عند حويطب بن عبد العزى، وقيل: بل فروة بن عبد العزى.

قال ابن إسحاق. ويقال: إنها وهبت نفسها للنبي ﷺ وذلك أن خطبته ﷺ انتهت إليها وهي على بعيرها فقالت: البعير وما عليه لله ولرسوله. وقيل: الواهبة نفسها غيرها.

---

(١) هو أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب أبو بكر المعروف بالبرقاني (٣٣٦ ـ ٤٢٥ هـ) عالم بالقرآن والحديث والفقه والنحو. توفي ببغداد. الأعلام ١/ ٢١٢ تاريخ بغداد ٤/ ٣٧٣ شذرات الذهب ٣/ ٢٢٨ تذكرة الحفاظ ٣/ ١٠٧٤. رقم الترجمة (٩٨٠) طبقات الشافعية ٤/ ٤٧.

وتوفيت ميمونة بسرف في الموضع الذي بنى بها فيه رسول الله ﷺ، وذلك سنة إحدى وخمسين، وقيل ست وخمسين وقيل ثلاث وستين، وصلى عليها ابن عباس ودخل قبرها.

وأما أم المؤمنين جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار ـ بكسر الضاد المعجمة وتخفيف الراء ـ فكانت تحت مسافح ـ بالسين المهملة والفاء ـ ابن صفوان المصطلقي. وكانت قد وقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري، في غزوة المريسيع، وهي غزوة بني المصطلق، في سنة خمس وقيل سنة ست، فكاتبته على نفسها، ثم جاءت رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله، أنا جويرية بنت الحارث وكان من أمري ما لا يخفى عليك، ووقعت في سهم ثابت بن قيس بـن شماس وإني كاتبت نفسي، فجئت أسألك في كتابتي، فقال رسول الله ﷺ **«فهل لك إلى ما هو خير»** قالت: وما هو يا رسول الله؟ قال: **«أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك»** قالت: قد فعلت. فتسامع الناس أن رسول الله ﷺ قد تزوج جويرية فأرسلوا ما في أيديهم من السبي، فأعتقوهم وقالوا أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قالت عائشة: فما رأينا امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها، أعتق في سببها مائة أهل بيت من بني المصطلق[1] خرجه أبو داود من حديث عائشة.

وقال ابن هشام: ويقال اشتراها ﷺ من ثابت بن قيس وأعتقها وتزوجها وأصدقها أربعمائة درهم.

وعن ابن شهاب: سبى ﷺ جويرية بنت الحارث يوم المريسيع فحجبها وقسم لها، وكانت ابنة عشرين سنة، وكان اسمها «برة» فحوله ﷺ وسماها جويرية. وقد تقدم مثل ذلك في زينب بنت جحش. وتوفيت وعمرها خمس وستون سنة في ربيع الأول سنة خمسين، وقيل سنة ست وخمسين.

وأما أم المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب بن سعية ـ بفتح السين وسكون العين المهملتين وبالياء المثناة التحتية ـ ابن ثعلبة بن عبيد من بني إسرائيل من سبط هارون بن عمران عليه الصلاة والسلام. وأمها ضرة ـ بفتح الضاد المعجمة وتشديد الراء ـ بنت سموءل ـ بفتح السين المهملة وفتح الميم وسكون الواو وفتح الهمزة وباللام ـ. فكانت تحت كنانة بن أبي الحقيق ـ بضم الحاء المهملة وفتح القاف الأولى وسكون المثناة التحتية ـ فقتل يوم خيبر في المحرم سنة سبع من الهجرة.

---

(١) أخرجه أبو داوود كتاب العتق باب (٢) رقم الحديث (٣٩٣١).

قال أنس: لما افتتح ﷺ خيبر وجمع السبي، جاءه دحية فقال يا رسول الله أعطني جارية من السبي، فقال: «اذهب فخذ جارية» فأخذ صفية بنت حيي فجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أعطيت دحية صفية بنت حيي سيدة قريظة والنضير، ما تصلح إلا لك، قال: «ادعوه بها» فجاء بها، قال: فلما نظر إليها النبي ﷺ قال: «**خذ جارية من السبي غيرها**» قال: وأعتقها وتزوجها. قال له ثابت: يا أبا حمزة ما أصدقها؟ قال: نفسها، أعتقها وتزوجها. حتى إذا كان الطريق جهزتها له أم سليم فأهدتها له من الليل، فأصبح ﷺ عروساً، فقال: «**من كان عنده شيء فليجيء به**» قال: فبسط نطعاً، قال: فجعل الرجل يجيء بالأقط، وجعل الرجل يجيء بالتمر، وجعل الرجل يجيء بالسمن، فحاسوا حيساً فكانت وليمة رسول الله ﷺ.[1].

وفي رواية: فقال الناس لا ندري أتزوجها أم اتخذها أم ولد، قالوا: إن حجبها فهي امرأته وإن لم يحجبها فهي أم ولد، فلما أراد أن يركب حجبها.

وفي رواية: فانطلقنا حتى إذا رأينا جدر المدينة هششنا إليها، فدفعنا مطايانا، ودفع رسول الله ﷺ مطيته، قال: وصفية خلفه قد أردفها، قال: فعثرت مطية رسول الله ﷺ فصرع وصرعت، فليس أحد من الناس ينظر إليه ولا إليها حتى قام رسول الله ﷺ فسترها. قال: فدخلنا المدينة، فخرج جواري نسائه يتراءينها ويشمتن بصرعتها[2] رواه الشيخان وهذا لفظ مسلم.

وروي عن جابر أنه ﷺ أتي بصفية يوم خيبر، وأنه قتل أباها وأخاها، وأن بلالاً مر بها بين المقتولين، وأنه ﷺ خيرها بين أن يعتقها فترجع إلى من بقي من أهلها، أو تسلم فيتخذها لنفسه، فقالت: أختار الله ورسوله. خرجه في الصفوة.

وأخرج تمام[3] في فوائده من حديث أنس أن رسول الله ﷺ قال لها: «**هل لك فيَّ**» قالت: يا رسول الله لقد كنت أتمنى ذلك في الشرك، فكيف إذ أمكنني الله في الإسلام.

وأخرج أبو حاتم من حديث ابن عمر: رأى ﷺ بعين صفية خضرة فقال: «**ماهذه الخضرة**»؟ فقالت: كان رأسي في حجر ابن الحقيق وأنا نائمة، فرأيت قمراً وقع في

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الصلاة باب (١٢) رقم الحديث (٣٧١ ـ ٢٢٢٨ ـ ٥٥٢٨ ـ ٧٣٣٣) وأبو داوود في كتاب الإمارة باب (٢١) رقم الحديث (٢٩٩٨). والنسائي ٦/ ١٣٣ والبداية والنهاية ٤/ ١٩٧.

(٢) أخرجه مسلم كتاب النكاح رقم الحديث (٨٧ ـ ٨٨). والبخاري كتاب الجهاد باب (١٩٧) رقم الحديث (٣٠٨٥ ـ ٣٠٨٦). وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل ٣/ ١٢٣ و١٨٧ و١٨٩ و١٩٥ و٢٤٦.

(٣) هو تمام بن محمد بن عبد الله بن جعفر أبو القاسم البجلي الرازي ثم الدمشقي (٣٣٠ ـ ٤١٤ هـ). حافظ محدث. الأعلام ٢/ ٨٧ شذرات الذهب ٣/ ٢٠٠ كشف الظنون (١٢٩٦).

حجري فأخبرته بذلك فلطمني وقال: تمنين ملك يثرب. وبنى بها ﷺ بالصهباء.

وماتت في رمضان سنة خمسين في زمن معاوية، وقيل غير ذلك.

فهؤلاء أزواجه اللاتي دخل بهن لا خلاف في ذلك بين أهل السير والعلم بالأثر.

وقد ذكر أنه ﷺ تزوج نسوة غير من ذكر، وجملتهن اثنتا عشرة امرأة:

الأولى: الواهبة نفسها لهﷺ، واختلف من هي، فقيل أم شريك القرشية العامرية، واسمها: غزية ـ بضم الغين المعجمة وفتح الزاي وتشديد المثناة التحتية ـ بنت جابر بن عوف، من بني عامر بن لؤي. وقيل بنت دودان بن عوف، وطلقها النبي ﷺ واختلف في دخوله بها.

وقيل هي أم شريك غزية الأنصارية من بني النجار، وفي الصفوة: هي أم شريك غزية بنت جابر الدوسية قال: والأكثرون على أنها التي وهبت نفسها ﷺ فلم يقبلها فلم تتزوج حتى ماتت.

وذكر ابن قتيبة في المعارف عن أبي اليقظان، أن الواهبة نفسها خولة بنت حكيم السلمي، ويجوز أن يكونا وهبتا أنفسهما من غير تضاد.

وقال عروة بن الزبير: كانت خولة بنت حكيم، من اللاتي وهبن أنفسهن للنبي ﷺ، فقالت عائشة: أما تستحي المرأة أن تهب نفسها للرجل، فلما نزلت: ﴿**ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء**﴾ [الأحزاب: ٥١] قالت عائشة: يا رسول الله، ما أرى ربك إلا يسارع لك في هواك[1] رواه الشيخان. وهذه خولة هي زوجة عثمان بن مظعون، ولعل ذلك وقع منها قبل عثمان.

الثانية: خولة بنت الهذيل بن هبيرة. تزوجها ﷺ فهلكت قبل أن تصل إليه.

الثالثة: عمرة بنت يزيد بن الجون ـ بفتح الجيم ـ الكلابية، وقيل بنت يزيد بن عبيد ابن أوس بن كلاب الكلابية. قال أبو عمر: وهذا أصح. تزوجها ﷺ فتعوذت منه حين أدخلت عليه، فقال لها: «**لقد عذت بمعاذ**» فطلقها وأمر أسامة بن زيد فمتعها بثلاثة أثواب، قال أبو عمر: هكذا روي عن عائشة.

---

(١) أخرجه البخاري كتاب التفسير باب (٧) رقم الحديث (٤٧٨٨ ـ ٥١١٣) ومسلم في الرضاع رقم الحديث (٤٩) والنسائي كتاب النكاح رقم (١) وفي موطأ مالك كتاب الرضاع (٤٩). وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل ٦/ ١٥٨. وقال النووي في معنى (ما أرى ربك إلايسارع في هواك). أي يخفف عنك ويوسع عليك في الأمور، ولهذا خيرك. راجع تفسير البغوي ٣/ ٤٦٤ [الأحزاب: ٥١] وطبقات ابن سعد ٨/ ١٢٤.

وقال قتاده: كان ذلك في امرأة من سليم. وقال أبو عبيدة: إنما ذلك لأسماء بنت النعمان بن الجون، وهكذا ذكره ابن قتيبة. وسيأتي وقال في عمرة هذه: إن أباها وصفها للنبي ﷺ ثم قال وأزيدك: أنها لم تمرض قط فقال ﷺ: «**ما لهذه عند الله من خير فطلقها**»[1].

الرابعة: أسماء بنت النعمان بن الجون ـ بفتح الجيم ـ ابن الحارث الكندية وهي الجونية. قال أبو عمر: أجمعوا أن رسول الله ﷺ تزوجها واختلفوا في سبب فراقه لها، فقال قتادة وأبو عبيدة: إنه ﷺ لما دعاها قالت: تعال أنت وأبت أن تجيء، وقال بعضهم: قالت: أعوذ بالله منك، فقال: «**عذت بمعاذ ولقد أعاذك الله مني**» وقيل: إن نساءه ﷺ علمنها ذلك فإنها كانت أجمل الناس فخفن أن تغلبهن عليه، فقلن لها إنه يحب إذا دنا منك أن تقولي: أعوذ بالله منك، فقال: «**قد عذت بمعاذ**» وطلقها، ثم سرحها إلى أهلها وكانت تسمي نفسها الشقية.

وقال الجرجاني: قلن لها: إن أردت أن تحظي عنده فتعوذي بالله منه، فقالت ذلك فولى وجهه عنها. وقيل المتعوذة غيرها، قال أبو عبيدة: ويجوز أن تكونا تعوذتا، وقال آخرون: كان بأسماء وضح فقال لها «**الحقي بأهلك**» وقد قيل في اسمها أميمة، وقيل: أمامة.

الخامسة: مليكة بنت كعب الليثية، قال بعضهم: هي التي استعاذت من النبي ﷺ وقيل دخل بها، وماتت عنده، والأول أصح، ومنهم من ينكر تزويجه بها أصلاً.

والسادسة: فاطمة بنت الضحاك بن سفيان الكلابي، تزوجها بعد وفاة ابنته زينب وخيرها حين نزلت آية التخيير،[الأحزاب: ٢٨ و ٢٩] فاختارت الدنيا ففارقها عليه الصلاة والسلام فكانت بعد ذلك تلقط البعر وتقول هي الشقية اختارت الدنيا، هكذا رواه ابن إسحاق.

لكن قال أبو عمر: هذا عندنا غير صحيح، لأن ابن شهاب يروي عن عروة عن عائشة، أنه ﷺ حين خير أزواجه بدأ بها فاختارت الله ورسوله، وتابع أزواج النبي ﷺ على ذلك.

وقال قتادة وعكرمة: كان عنده ﷺ عند التخيير تسع نسوة وهن اللاتي توفي عنهن.

وقيل إنه ﷺ تزوجها سنة ثمان، وقيل إن أباها قال: إنها لم تصدع قط، فقال عليه الصلاة والسلام: «**لاحاجة لي بها**».

السابعة: عالية بنت ظبيان بن عمرو بن عوف، تزوجها ﷺ وكانت عنده ما شاء

---

(١) ذكره الربيع بن حبيب في مسنده ٢/ ٣٥.

الله، ثم طلقها، وقل من ذكرها، وقال أبو سعد: طلقها حين أدخلت عليه صلى الله عليه وسلم.

الثامنة: قتيلة ـ بضم القاف وفتح المثناة الفوقية وسكون المثناة التحتية ـ بنت قيس أخت الأشعث بن قيس الكندي، زوجه إياها أخوها في سنة عشر، ثم انصرف إلى حضر موت فحملها فقبض ﷺ سنة إحدى عشرة قبل قدومها عليه، وقيل تزوجها عليه السلام قبل وفاته بشهرين، وقال قائلون: إن رسول الله ﷺ أوصى بأن تخير، فإن شاءت ضرب عليها الحجاب، وكانت من أمهات المؤمنين، وإن شاءت الفراق فلتنكح من شاءت، فاختارت النكاح فتزوجها عكرمة بن أبي جهل بحضر موت، فبلغ ذلك أبا بكر فقال: هممت أن أحرق عليها بيتها، فقال له عمر رضي الله عنهما: ما هي من أمهات المؤمنين، ما دخل بها رسول الله ﷺ ولا ضرب عليها الحجاب.

وقال بعضهم: لم يوص فيها عليه السلام بشيء، ولكنها ارتدت حين ارتد أخوها. وبذلك احتج عمر على أبي بكر رضي الله عنهما: أنها ليست من أمهات المؤمنين بارتدادها.

التاسعة: سنا بنت أسماء بن الصلت السلمية، تزوجها ﷺ ومات قبل أن يدخل بها، وعند ابن إسحاق: طلقها قبل أن يدخل بها.

العاشرة: شرف ـ بفتح الشين المعجمة وتخفيف الراء وبالفاء ـ بنت خليفة الكلبية، أخت دحية بن خليفة الكلبي، تزوجها رسول الله ﷺ فماتت قبل دخوله عليه السلام بها.

الحادية عشر: ليلى بنت الخطيم ـ بفتح الخاء المعجمة وكسر الطاء المهملة ـ أخت قيس تزوجها ﷺ وكانت غيوراً فاستقالته فأقالها فأكلها الذئب، وقيل هي التي وهبت نفسها له صلى الله عليه وسلم.

الثانية عشر: امرأة من غفار تزوجها ﷺ فأمرها فنزعت ثيابها فرأى بكشحها بياضاً فقال: «**ألحقي بأهلك**» ولم يأخذ مما آتاها شيئاً، أخرجه أحمد.

فهؤلاء جملة من ذكر من أزواجه ﷺ، وفارقهن في حياته، بعضهن قبل الدخول وبعضهن بعده ـ كما ذكرناه ـ فيكون جملة من عقد عليهن ثلاثاً وعشرين امرأة دخل ببعضهن دون بعض. مات منهن عنده بعد الدخول خديجة وزينب بنت خزيمة، ومات منهن قبل الدخول اثنتان: أخت دحية وبنت الهذيل باتفاق.

واختلف في مليكة وسنا، هل ماتتا أو طلقهما، مع الإتفاق على أنه ﷺ لم يدخل بهما.

وفارق بعد الدخول باتفاق بنت الضحاك، وبنت ظبيان، وقبله باتفاق: عمرة وأسماء والغفارية.

واختلف في أم شريك: هل دخل بها؟ مع الإتفاق على الفرقة. والمستقيلة التي جهل حالها، فالمفارقات بالإتفاق سبع، واثنتان على خلاف. الميتات في حياته باتفاق أربع، ومات ﷺ عن عشر، واحدة لم يدخل بها.

وروي أنه ﷺ خطب عدة نسوة:

الأولى منهن: امرأة من بني مرة بن عوف بن سعد، خطبها ﷺ إلى أبيها فقال: إن بها برصاً، وهو كاذب، فرجع فوجد البرص بها، ويقال: إن ابنها شبيب بن البرصاء بن الحارث بن عوف. ذكره ابن قتيبة، كما قاله الطبري، وعند ابن الأثير في جامع الأصول: جمرة بنت الحارث بن عوف خطبها ﷺ فقال أبوها: إن بها سوءاً، ولم يكن بها شيء، فرجع إليها أبوها وقد برصت، قال: وهي أم شبيب بن البرصاء الشاعر.

الثانية: امرأة قرشية يقال لها سودة، خطبها ﷺ وكانت مصبية، فقالت: أخاف أن تضغو صبيتي ـ أي يصيحوا ويبكوا ـ عند رأسك، فدعا لها وتركها.

الثالثة: صفية بنت بشامة ـ بفتح الموحدة وتخفيف الشين المعجمة ـ كان أصابها في سبي فخيرها بين نفسه الكريمة وبين زوجها، فاختارت زوجها.

الرابعة: ولم يذكر اسمها، قيل إنه ﷺ خطبها، فقالت: أستأمر أبي، فلقيت أباها فأذن لها، فعادت إلى النبي ﷺ فقال لها: «**قد التحفنا لحافاً غيرك**»[(١)].

الخامسة: أم هانىء، فاختة بنت أبي طالب أخت علي، خطبها ﷺ فقالت: إني امرأة مصبية واعتذرت إليه، فعذرها.

السادسة: ضباعة ـ بضم الضاد المعجمة وتخفيف الموحدة وبالعين المهملة ـ بنت عامر بن قرط ـ بضم القاف وسكون الراء وبالطاء المهملة ـ خطبها ﷺ إلى ابنها سلمة بن هشام فقال: حتى أستأمرها، فقيل للنبي ﷺ: إنها قد كبرت، فلما عاد ابنها ـ وقد أذنت له ـ سكت عنها ﷺ فلم ينكحها.

السابعة: أمامة بنت حمزة بن عبد المطلب، عرضت عليه ﷺ فقال: «**هي ابنة أخي من الرضاعة**». الثامنة: عزة بنت أبي سفيان، عرضتها أختها أم حبيبة عليه ﷺ فقال «**إنها لا تحل لي**» لمكان أختها أم حبيبة تحت النبي ﷺ.

---

(١) ذكره ابن سعد في طبقاته ٨/ ١٢٧ وفي تفسير القرطبي ١٤/ ١٦٩ وفي كنز العمال (١٨٣٢٦).

وقيل: تزوج ﷺ الجندعية ـ بضم الجيم وسكون النون وضم الدال وبالعين المهملة ـ امرأة من جندع، وهي ابنة جندب بن ضمرة، ولم يدخل بها. وأنكره بعض الرواة. فهؤلاء النساء اللاتي ذكر أنه ﷺ تزوجهن أو خطبهن أو دخل بهن، أو لم يدخل بهن أو عرضن عليه.

وأما سرارية فقيل إنهن أربعة:

مارية القبطية بنت شمعون ـ بفتح الشين المعجمة ـ أهداها له المقوقس القبطي صاحب مصر والإسكندرية، وأهدى معها أختها سيرين ـ بكسر السين المهملة وسكون المثناة التحتية وكسر الراء وبالنون آخرها ـ، وخصيا يقال له: مأبور، وألف مثقال ذهباً وعشرين ثوباً ليناً من قباطي مصر، وبغلة شهباء وهي دلدل، وحماراً أشهب وهو عفير ويقال: يعفور، وعسلاً من عسل بنها، فأعجب النبي ﷺ العسل ودعا في عسل بنها بالبركة. قال ابن الأثير: وبنها ـ بكسر الباء وسكون النون ـ قرية من قرى مصر، بارك النبي ﷺ في عسلها، والناس اليوم يفتحون الباء، انتهى.

ووهب ﷺ سيرين لحسان بن ثابت وهي أم عبد الرحمن بن حسان، ومارية أم إبراهيم بن النبي ﷺ. وماتت مارية في خلافة عمر سنة ست عشرة ودفنت بالبقيع.

وريحانة بنت شمعون من بني قريظة، وقيل من بني النضير، والأول أظهر، وماتت قبل وفاته ﷺ مرجعه من حجة الوداع سنة عشر، ودفنت بالبقيع، وكان ﷺ وطئها بملك اليمين، وقيل أعتقها وتزوجها ولم يذكر ابن الأثير غيره.

وأخرى: وهبتها له زينب بنت جحش.

الرابعة: أصابها في بعض السبي.

في أعمامه[1] وعماته[2] وإخوته من الرضاعة وجداته[3]

قال صاحب «ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى»: كان له ﷺ اثنا عشر عماً بنو عبد المطلب، أبوه ـ عبد الله ـ ثالث عشرهم: الحارث، وأبو طالب واسمه عبد مناف، والزبير ويكنى أبا الحارث، وحمزة، وأبو لهب واسمه عبد العزى، والغيداق، والمقوم، وضرار، والعباس، وقثم، وعبد الكعبة، وجحل ـ بتقديم الجيم، وهو السقاء الضخم، وقال الدارقطني بتقديم الحاء وهو القيد والخلخال ـ ويسمى المغيرة.

وقيل كانوا أحد عشر فأسقط: المقوم، وقال هو عبد الكعبة، وقيل عشرة، فأسقط الغيداق وجحلاً، وقيل تسعة فأسقط قثم.

فأما حمزة، فأمه هالة بنت وهيب بن عبد مناف بن زهرة، ويكنىٰ أبا عمارة وأبا يعلى، كنيتان له بابنيه عمارة ويعلى، وكان يدعى أسد الله وأسد رسوله وفي معجم البغوي أنه ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده إنه لمكتوب عند الله عز وجل في السماء السابعة: حمزة أسد الله وأسد رسوله**»[4].

وكان إسلامه في السنة الثانية من المبعث، وقيل في السادسة بعد دخوله ﷺ دار الأرقم، وقيل قبل إسلام عمر بثلاثة أيام.

وشهد بدراً، وقتل بها عتبة بن ربيعة مبارزة، قاله موسى بن عقبة، وقيل: بل قتل شيبة بن ربيعة مبارزة، قاله ابن إسحاق.

وأول راية عقدها ﷺ لأحد من المسلمين كانت لحمزة، وأول سرية بعثها، وقال ﷺ: «**خير أعمامي حمزة**» رواه الحافظ الدمشقي.

---

(١) انظر زاد المعاد بشرح المواهب ١/ ٨٧.

(٢) انظر طبقات ابن سعد ٨/ ٣٤.

(٣) المصدر السابق ١/ ٨٧.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣/ ١٩٨ وفي مجمع الزوائد للهيثمي ٩/ ٢٦٨ وفي المعجم الكبير للطبراني ٣/ ١٦٣ وفي كنز العمال (٣٣٢٧١).

وروى ابن السري مرفوعاً: «**سيد الشهداء يوم القيامة حمزة بن عبد المطلب**»[1].

وذكر السلفي[2] عن بريدة في قوله تعالى: ﴿**يا أيتها النفس المطمئنة**﴾ [الفجر: ٢٧] قال: حمزة بن عبد المطلب، وعن ابن عباس ﴿**فمنهم من قضى نحبه**﴾ [الأحزاب: ٢٣] قال: حمزة.

واستشهد في وقعة أحد، قتله وحشي. وعن سعيد بن المسيب كان يقول: كنت أعجب لقاتل حمزة كيف ينجو، حتى إنه مات غريقاً في الخمر. رواه الدارقطني على شرط الشيخين. وقال ابن هشام: بلغني أن وحشياً لم يزل يحد في الخمر حتى خلع من الديوان، فكان عمر يقول: لقد علمت أن الله لم يكن ليدع قاتل حمزة.

ولما رأى النبي ﷺ حمزة قتيلاً بكى، فلما رأى ما مثل به شهق. وعن أبي هريرة: وقف ﷺ علىٰ حمزة ـ وقد قتل ومثل به ـ فلم ير منظراً كان أوجع لقلبه منه. رواه أبو عمر، والمخلص[3]، وصاحب الصفوة.

وعند ابن هشام أنه ﷺ قال: «**لن أصاب بمثلك أبداً، ما وقفت موقفاً قط أغيظ لي من هذا**»[4].

وعند ابن شاذان من حديث ابن مسعود: ما رأينا رسول الله ﷺ باكياً قط أشد من بكائه على حمزة بن عبد المطلب، وضعه في القبلة ثم وقف على جنازته وانتحب حتى نشغ من البكاء يقول: «**يا حمزة يا عم رسول الله وأسد الله وأسد رسوله، يا حمزة يا فاعل الخيرات، يا حمزة يا كاشف الكربات، يا حمزة يا ذاباً عن وجه رسول الله**».

والنشغ: الشهيق حتى يبلغ به الغشي.

وكان ﷺ إذا صلى على جنازة كبر عليها أربعاً، وكبر على حمزة سبعين تكبيرة، رواه البغوي في معجمه. وقد روى أنس بن مالك أن شهداء أحد لم يغسلوا ودفنوا

---

(١) ذكره في كنز العمال (٣٣٢٦٠).

(٢) هو أحمد بن محمد بن سلفة (بكسر السين وفتح اللام) الأصبهاني صدر الدين أبو طاهر السلفي (٤٧٨ ـ ٥٧٦ هـ) حافظ توفي بالإسكندرية الأعلام ١/ ٢١٥ وفيات الأعيان ١/ ٣١ شذرات الذهب ٤/ ٢٥٥ وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٢٩٨ رقم الترجمة (١٠٨٢) حسن المحاضرة ١/ ٣٥٤ العبر ٤/ ٢٢٧ لسان الميزان ١/ ٣٩٩ والأنساب ٣/ ٢٢٤ مادة «السلفي».

(٣) هو محمد بن عبد الرحمن بن العباس أبو طاهر المخلِّص الذهبي البغدادي (٣٠٥ ـ ٣٩٣ هـ) حافظ. الأعلام ٦/ ١٩٠ تاريخ بغداد ٢/ ٣٢٢ هدية العارفين ٢/ ٥٧ واللباب ٣/ ١١١.

(٤) انظر السيرة لابن هشام ٣/ ١٠١.

بدمائهم ولم يصل عليهم[1]. خرجه أحمد وأبو داود. فيحمل أمر حمزة على التخصيص، ومن صلى عليه غيره على أنه جرح حال الحرب ولم يمت حتىٰ انقضت الحرب. وكان سن حمزة يوم قتل تسعاً وخمسين سنة، ودفن هو وابن أخته عبد الله بن جحش في قبر واحد.

وأما العباس وكنيته أبو الفضل، فأمه نتله، ويقال نتيله بنت جناب بن كلب بن النمر ابن قاسط، ويقال: إنها أول عربية كست البيت الحرام الديباج وأصناف الكسوة، لأن العباس ضل وهو صبي، فنذرت إن وجدته أن تكسو البيت.

وكان العباس جميلاً وسيماً أبيض، له ضفيرتان، معتدلاً وقيل كان طوالاً، وولد قبل الفيل بثلاث سنين، وكان أسن من النبي ﷺ بسنتين أو ثلاث، وكان رئيساً في قريش وإليه عمارة المسجد الحرام.

وكان مع النبي ﷺ يوم العقبة يعقد له البيعة على الأنصار، وكان عليه السلام يثق به في أمره كله. ولما شدوا وثاقه في أسرى بدر سهر ﷺ تلك الليلة، فقيل: ما يسهرك يا رسول الله؟ قال: «**لأنين العباس**» فقام رجل فأرخى وثاقه، وفعل ذلك بالأسرى كلهم، ذكره أبو عمر، وصاحب الصفوة.

وقيل: كان يكتم إسلامه وخرج مع المشركين يوم بدر فقال ﷺ «**من لقي العباس فلا يقتله فإنه خرج مستكرهاً**»[2] فأسره كعب بن عمرو، ففادى نفسه ورجع إلى مكة.

وقيل: إنه أسلم يوم بدر ثم أقبل إلى المدينة مهاجراً، فاستقبل النبي ﷺ يوم الفتح بالأبواء وكان معه في فتح مكة، وبه ختمت الهجرة. وقال أبو عمر: أسلم قبل فتح خيبر وكان يكتم إسلامه ويسره ما يفتح الله على المسلمين، وأظهر إسلامه يوم فتح مكة، وشهد حنيناً والطائف وتبوك.

ويقال: إن إسلامه كان قبل بدر، وكان يكتب بأخبار المشركين إلى رسول الله ﷺ، وكان المسلمون بمكة يثقون به، وكان يحب القدوم على رسول ﷺ، فيكتب إليه ﷺ «إن مقامك بمكة خير لك» وقال أبو مصعب إسماعيل بن قيس بن سعد بن زيد بن ثابت حدثنا أبو حازم سلمة بن دينار عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: استأذن العباس رضي الله عنه النبي ﷺ في الهجرة فكتب إليه: «يا عم أقم مكانك الذي أنت فيه، فإن الله عز وجل

---

(١) أخرجه البخاري أيضاً في كتاب الجنائز باب (٧٢) رقم الحديث (١٣٤٣ ـ ١٣٤٧ ـ ١٣٥٣ ـ ٤٠٧٩) وأبو داوود كتاب الجنائز باب (٢٧) رقم الحديث (٣١٣٥ ـ ٣١٣٨) وفي الترمذي كتاب الجنائز باب (٤٦). رقم الحديث (١٠٣٦) وفي ابن ماجه كتاب الجنائز باب (٢٨) رقم الحديث (١٥١٤).

(٢) ذكره ابن سعد في طبقاته ٤/ ٧ وفي تفسير ابن كثير ٤/ ٣٥ وفي تفسير القرطبي ٨/ ٤٩.

يختم بك الهجرة كما ختم بي النبوة»[1] رواه أبو يعلى والهيثم بن كليب - في مسنديهما - والطبراني في الكبير.

وأبو مصعب متروك، لكن يعتضد بقول عروة بن الزبير: كان العباس قد أسلم وأقام على سقايته ولم يهاجر، رواه الحاكم في مستدركه. وذكر السهمي[2] في الفضائل أن أبا رافع لما بشر النبي ﷺ بإسلام العباس أعتقه. وكان ﷺ يكرم العباس بعد إسلامه ويعظمه، ووصفه عليه السلام فقال: «**أجود الناس كفاً، وأحناه عليهم**» رواه الفضائلي. وفي معجم البغوي: العباس «**عمي وصنو أبي، من آذاه فقد آذاني**»[3] وفي الترمذي نحوه، وقال: حسن صحيح.

وذكر السهمي في الفضائل: أن العباس أتى النبي ﷺ فلما رآه قام إليه، وقبل ما بين عينيه، ثم أقعده عن يمينه ثم قال: «**هذا عمي فمن شاء فليباه بعمه**» فقال العباس: نعم القول يا رسول الله، قال «**ولم لا أقول هذا، أنت عمي وصنو أبي وبقية آبائي ووارثي وخير من أخلف من أهلي**» وقال له ﷺ «**يا عم لا ترم منزلك أنت وبنوك غداً حتى أتيكم فإن لي فيكم حاجة**» فلما أتاهم اشتمل عليهم بملاءة ثم قال: «**يا رب، هذا عمي وصنو أبي وهؤلاء أهل بيتي فاسترهم من النار كستري إياهم بملاءتي هذه**» قال: فأمنت أسكفة الباب وحوائط البيت فقالت: آمين آمين آمين. رواه ابن غيلان، وأبو القاسم حمزة، والسهمي، ورواه ابن السري وفيه: فما بقي في البيت مدرة ولا باب إلا أمن. ورواه الترمذي من حديث ابن عباس بلفظ «**فألبسنا كساء**» ثم قال: «**اللهم اغفر للعباس وولده مغفرة ظاهرة وباطنة لا تغادر ذنباً، اللهم احفظه في ولده**[4]» وقال حسن غريب.

وعند ابن عبد الباقي من حديث أبي هريرة: «**اللهم اغفر للعباس ولولد العباس ولمن أحبهم**[5]».

---

(١) ذكره الطبراني في المعجم الكبير ٦/ ١٩٠. وفي مجمع الزوائد للهيثمي ٩/٢٦٩. وفي تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٧/ ٢٣٥ وفي ميزان الإعتدال ١/ ١٣٢٩.

(٢) هو حمزة بن يوسف بن إبراهيم السهمي القرشي الجرجاني أبو القاسم. مؤرخ حافظ. توفي بنيسابور سنة (٤٢٧ هـ). الأعلام ٢/ ٢٨٠. تاريخ جرجان صفحة (١٢). تذكرة الحفاظ ٣/ ١٠٨٩ رقم الترجمة (٩٩٠). العبر ٢/ ١.

(٣) أخرجه الترمذي. كتاب المناقب باب (٢٨) رقم الحديث (٣٧٥٨). والإمام أحمد بن حنبل في مسنده ٤/ ١٦٥.

(٤) أخرجه الترمذي. كتاب المناقب. باب (٢٨) رقم الحديث (٣٧٦٢). وفي مشكاة المصابيح للتبريزي (٦١٤٩). وفي تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٧/ ٢٣٨. وفي جمع الجوامع للسيوطي (٩٧٦٨). وفي كنز العمال (٣٣٤٤٣).

(٥) ذكره الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد. ١٠/ ٣٩. وفي كنز العمال (٣٧١٨٥).

وفي تاريخ دمشق من حديث ابن عباس عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال له في فتح مكة «**اللهم انصر العباس وولد العباس**» قالها ثلاثاً ثم قال: يا «**يا عم أما علمت أن المهدي من ولدك**»(١). وروى الحاكم في مستدركه والبغوي في معجمه عن سعيد بن المسيب أنه قال: «**العباس حبر هذه الأمة، ووارث النبي ﷺ وعمه**» قال الذهبي سنده صحيح. قال: ويتكلف لتأويله إن كان قوله خير ـ بالمعجمة والتحتية ـ.

وفي الأفراد للدارقطني عن جابر الأنصاري رضي الله عنه، قال سمعت: رسول الله ﷺ يقول «**من لم يحب العباس بن عبد المطلب وأهل بيته فقد بريء من الله ورسوله**» وفي سنده عمر بن راشد الحارثي. وهو ضعيف جداً. لكن يشهد له ما رواه محمد بن حسين الأشناني ثم أبو بكر بن عبد الباقي في أماليه ومن طريقهما المنذري من طريق منصور عن مسلم بن صبيح بن الضحى عن مسروق عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «**من لم يحب عمي**» هذا ـ وأخذ بيد العباس فرفعها «**لله عز وجل ولقرابته لي فليس بمؤمن**»(٢).

وللترمذي وقال: حسن، عن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب أن رسول الله ﷺ قال للعباس «**والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان ما لم يحبكم لله ولرسوله**» ثم قال «**يا أيها الناس من آذى عمي فقد آذاني فإنما عم الرجل صنو أبيه**»(٣).

وروى البغوي أنه عليه الصلاة والسلام قال له: «**لك يا عم من الله حتى ترضى**»(٤).

وروى السهمي في الفضائل أنه عليه السلام قال للعباس: «**إن الله عز وجل غير معذبك ولا أحد من ولدك**».

وفي المعجم الكبير للطبراني عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ اللهم اغفر للعباس، وأبناء العباس وأبناء أبناء العباس. وفي سنده عبد الرحمن بن حاتم المرادي المصري وهو متروك.

وفي تاريخ دمشق ـ مما هو شديد الوهي ـ عن أبي هريرة مرفوعاً: «**اللهم اغفر**

---

(١) ذكره ابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق ٧/ ٢٣٦ وفي جمع الجوامع للسيوطي (٩٧٦٦). وفي كنز العمال (٣٣٤٣١ ـ ٣٩٦٥٥).

(٢) ذكره العقيلي في الضعفاء ٤/ ١٤٩.

(٣) أخرجه الترمذي. كتاب المناقب باب (٢٨) رقم الحديث (٣٧٥٨) والإمام أحمد بن حنبل في مسنده ٤/ ١٦٥. وفي أمالي الشجري ١/ ١٥٧. وفي كنز العمال (٣٣٣٩).

(٤) ذكره ابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق ٧/ ٢٤٣.

للعباس ولولد العباس ولمحبي ولد العباس وشيعتهم»[1].

وفي المناقب للإمام أحمد بسند لا بأس به، أن العباس قال: كنت عند النبي ﷺ ذات ليلة فقال: «**انظر هل ترى في السماء نجماً**» قلت: نعم قال: «**ما ترى**» قلت: الثريا، قال: «**أما إنه يلي هذه الأمة بعددها من صلبك**»[2].

وروى السهمي من حديث ابن عباس أنه ﷺ قال له: «**ألا أبشرك يا عم**» قال: بلى بأبي أنت وأمي فقال عليه السلام: «**إن من ذريتك الأصفياء ومن عترتك الخلفاء**»[3].

ومن حديث أبي هريرة: «**فيكم النبوة والمملكة**»[4].

ومن حديث ابن عباس عن أبيه: «**هذا عمي أبو الخلفاء أجود قريش كفاً وأجملها وإن من ولده السفاح والمنصور والمهدي**»[5].

وذكر ابن حبان والملاء من حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «**يا أبا بكر هذا العباس قد أقبل وعليه ثياب بيض وسيلبس ولده من بعده السواد**».

وعن جابر بن عبد الله سمعت رسول الله ﷺ يقول «**ليكونن في ولده**» ـ يعني العباس ـ «**ملوك يكونون أمراء أمتي، يعز الله بهم الدين**»[6] قال الحافظ أبو الحسن الدارقطني: هذا حديث غريب من حديث عمرو بن دينار عن جابر، خرجه الأصفهاني.

وتوفي العباس رضي الله عنه في خلافة عثمان رضي الله عنه قبل مقتله بسنتين بالمدينة، يوم الجمعة لاثنتي عشرة ـ وقيل لأربع عشرة ـ خلت من رجب، وقيل من رمضان سنة اثنتين وقيل ثلاث وثلاثين، وهو ابن ثمان وثمانين سنة، وقيل سبع وثمانين سنة، أدرك منها في الإسلام اثنتين وثلاثين سنة ودفن بالبقيع، ودخل قبره ابنه عبد الله. وكان عظيماً جليلاً، وكان يسمى ترجمان القرآن، وهو أبو الخلفاء.

---

(١) ذكره ابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق ٧/٢٣٩. وفي تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٠/٢٧، ١١/٢٤. وفي العلل المتناهية لابن الجوزي ١/٢٨٧.

(٢) أخرج نحوه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ١/٢٠٩ وفي جمع الجوامع للسيوطي (٤٥٦٧) وفي كنز العمال (٣٣٤٢٩).

(٣) ذكره المتقي الهندي في كنز العمال (٣٣٤٢٠).

(٤) ذكره البيهقي في دلائله ٦/٥١٧ وفي مجمع الزوائد للهيثمي ٥/١٩٢ وفي العلل المتناهية لابن الجوزي ١/٢٨٩ وفي كنز العمال (٣٣٤٣٤ ـ ٣٧١٨٤).

(٥) ذكره السيوطي في اللآلىء المصنوعة ١/٢٢٦ وفي الموضوعات لابن الجوزي ٢/٣٧ وفي تنزيه الشريعة لابن عراق ٢/٨.

(٦) ذكره ابن الجوزي في العلل المتناهية ١/٢٨٨ وفي كنز العمال (٣٣٤٠٠).

ويروى أن أمه أم الفضل لما وضعته أتت به النبي ﷺ فأذن في أذنه اليمنى، وأقام في اليسرى، وقال: «**اذهبي بأبي الخلفاء**»[1] رواه ابن حبان وغيره. وقد ملأ عقبه الأرض حتى قيل إنهم بلغوا في زمن المأمون ستمائة ألف. واستبعد والله أعلم. وكان العباس أصغر أعمامه ﷺ ولم يسلم منهم إلا هو وحمزة. وأسنهم الحارث.

وأما عماته[2] ﷺ بنات عبد المطلب بن هاشم، فجملتهن ست: عاتكة، وأميمة، والبيضاء وهي أم حكيم، وبرة، وصفية، وأروى، ولم يسلم منهن إلا صفية أم الزبير بلا خلاف.

واختلف في أروى وعاتكة، فذهب أبو جعفر العقيلي إلى إسلامهما، وعدهما في الصحابة، وذكر الدارقطني: عاتكة في جملة الإخوة والأخوات، ولم يذكر أروى . وأما ابن إسحاق فذكر أنه لم يسلم منهن غير صفية.

فأما صفية فأسلمت باتفاق، كما ذكرته، وشهدت الخندق، وقتلت رجلاً من اليهود، وضرب لها ﷺ بسهم، وأمها هالة بنت وهيب بن عبد مناف بن زهرة، شقيقة حمزة والمقوم وحجل، وكانت في الجاهلية تحت الحارث بن حرب بن أمية بن عبد شمس، ثم هلك فخلفه عليها العوام بن خويلد أخو خديجة أم المؤمنين، فولدت له الزبير والسائب وعبد الكعبة، وتوفيت بالمدينة في خلافة عمر رضي الله عنه سنة عشرين، ولها ثلاث وسبعون سنة، ودفنت بالبقيع.

وأما عاتكة المختلف في إسلامها فأمها فاطمة بنت عمرو بن عائذ، فتكون شقيقة عبد الله أبي النبي ﷺ وأبي طالب والزبير وعبد الكعبة، وهي صاحبة الرؤيا في قصة بدر[3] .

وأما أروى المختلف أيضاً في إسلامها، فأمها صفية بنت جندب، فهي شقيقة الحارث بن عبد المطلب، وكانت تحت عمير بن وهب بن عبد الدار بن قصي، فولدت له طليباً، ثم خلفه عليها كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي. وأسلم طليب وكان سبباً في إسلام أمه، كما ذكره الواقدي. وأما أم حكيم، البيضاء، فهي شقيقة عبد الله أبي

---

(١) ذكره في ميزان الإعتدال ٣٧٥ وفي كنز العمال (٣٣٤٣٢ ـ ٣٣٥٨٧). وفي تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٧/ ٢٤٧.

(٢) انظر طبقات ابن سعد ٨/ ٣٤ وزاد المعاد بشرح المواهب ١/ ٨٧. ودلائل النبوة للبيهقي ١/ ١٨٥.

(٣) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٢٥٨ والدلائل للبيهقي ٣/ ٢٨ وطبقات ابن سعد ٨/ ٣٦ والإصابة ٨/ ١٣٨ رقم الترجمة (٦٩٥).

النبي ﷺ. وأما برة فأمها فاطمة أيضاً، وكانت عند أبي رهم بن عبد العزى العامري، ثم خلفه عليها عبد الأسد بن هلال المخزومي، فولدت له أبا سلمة بن عبد الأسد الذي كانت عنده أم سلمة قبل النبي ﷺ. وأما أميمة فأمها فاطمة، وكانت تحت جحش بن رئاب، فولدت له عبد الله وعبيد الله وأبا أحمد وزينب وأم حبيبة وحمنة، أولاد جحش ابن رئاب.

وأما جداته عليه الصلاة والسلام من أبيه:

فأم عبد الله ـ أبيه ـ هي فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم.[1].

وأم عبد المطلب، سلمى ابنة عمرو من بني النجار، وكانت قبل هاشم تحت أحيحة بن الجلاح فولدت له عمرو بن أحيحة، وهو أخو عبد المطلب لأمه.

وأم هاشم عاتكة بنت مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان من بني سليم.

وأم عبد مناف عاتكة بنت فالج بن مليك بن ذكوان من بني سليم.

وأم قصي فاطمة بنت سعد من أزد الشراة.

وأم كلاب، نعم بنت سرير بن ثعلبة بن مالك بن كنانة.

وأم مرة وحشية بنت شيبان بن محارب بن فهم.

وأم كعب، سلمى بنت محارب من فهم.

وأم لؤي، وحشية بنت مدلج بن مرة بن عبد مناف من كنانة.

وأم غالب، سلمى بنت سعد من هذيل.

وأم فهر، جندلة بنت الحارث الجرهمي.

وأم مالك: هند بنت عدوان بن عمرو بن قيس بن غيلان.

وأم النضر، برة بنت مرة، أخت تميم بن مرة.

ذكره ابن قتيبة في كتاب المعارف كما حكاه الطبري عنه وقال: فالجدة الأولى قرشية مخزومية، والثانية نجارية، والثالثة سليمية والرابعة سليمية أيضاً، وقيل خزاعية والخامسة أزدية، والسادسة كنانية، والسابعة فهمية والثامنة فهمية أيضاً أو فهرية ـ والخط في الأصل يوهم ـ والتاسعة كنانية، والعاشرة هذلية، والحادية عشر جرهمية، والثانية عشر قيسية، والثالثة عشر مرية.

---

(١) انظر دلائل النبوة للبيهقي ١/ ١٨٤.

وأما جداته عليه الصلاة والسلام من أمه:[1].

فأم آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، برة بنت عبد العزى بن عثمان ابن عبد الدار بن قصي بن كلاب بن مرة وأم أبيها وهب: عاتكة بنت الأوقص بن مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان من بني سليم، ذكره ابن قتيبة.

وقال أبو عمر: ويعرف أبوها بأبي كبشة الذي كان ينسب إليه رسول الله ﷺ فيقال: ابن أبي كبشة، ونسب إليه لأنه كان يعبد «الشعرى» ولم يكن أحد من العرب يعبدها غيره، فلما جاءهم ﷺ بخلاف ما كانت عليه العرب قالوا: هذا ابن أبي كبشة، ولم يقصدوا ذمه ﷺ بذلك. وقيل: بل نسب إلى وهب أخي أمه كان يدعى بها، وقيل: كان يدعى بها أبوه من الرضاعة: الحارث بن عبد العزى زوج حليمة فنسب إليه.

وأم برة هي أم حبيب، قاله ابن قتيبة وقال أبو سعد: أم سفيان بنت أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب.

وأم أم حبيب هي برة بنت عوف بن عبيد بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب.

وأم برة بنت عوف، قلابة بنت الحارث بن صعصعة بن عائذ بن لحيان بن هذيل.

وأم قلابة، هند بنت يربوع من ثقيف. قاله ابن قتيبة، وقال ابن سعد: أمها بنت مالك بن عثمان من بني لحيان.

فالجدة الأولى والثانية والثالثة من أمهات أمه ﷺ قرشيات، وأم أبي أمه سلمية والرابعة لحيانية هذلية، والخامسة ثقفية، ففي كل قبيلة من قبائل العرب له ﷺ علقة نسب.

وأما إخوته عليه الصلاة والسلام من الرضاعة:[2]

فحمزة وأبو سلمة بن عبد الأسد، أرضعتهما معه ﷺ ثويبة جارية أبي لهب بلبن ابنها مسروح بن ثويبة.

وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب أرضعته ورسول الله ﷺ حليمة السعدية، وعبد الله وآسية وجدامة ـ وتعرف بالشيماء ـ الثلاثة أولاد حليمة.

وقد روي أن خيلاً له ﷺ أغارت على هوازن، فأخذوها في جملة السبي، فقالت: أنا أخت صاحبكم، فلما قدموا على رسول الله ﷺ قالت له: يا محمد، أنا أختك،

---

(١) انظر السيرة لابن هشام ١/ ١٦٥ ودلائل النبوة للبيهقي ١/ ١٨٣ وطبقات ابن سعد ١/ ٤٩.

(٢) انظر السيرة النبوية لابن هشام ١/ ١٧٠ وطبقات ابن سعد ١/ ٨٧.

فرحب بها وبسط لها رداءه وأجلسها عليه ودمعت عيناه، وقال ﷺ: «**إن أحببت فأقيمي عندي مكرمة محببة، وإن أحببت أن ترجعي إلى قومك وصلتك**» قالت: بل أرجع إلى قومي، فأسلمت، وأعطاها رسول الله ﷺ ثلاثة أعبد وجارية ونعماً وشاء[1] ذكره أبو عمر وابن قتيبة.

وأما أمه من الرضاعة، فحليمة بنت أبي ذؤيب من هوازن، وهي التي أرضعته حتى أكملت رضاعه، وجاءته ﷺ يوم حنين فقام إليها وبسط رداءه لها، فجلست عليه. وكذا ثويبة جارية أبي لهب أيضاً، واختلف في إسلامها كما اختلف في إسلام حليمة وزوجها، فالله أعلم.

وكانت ثويبة تدخل عليه ﷺ بعد أن تزوج خديجة، فكانت تكرمها. وأعتقها أبو لهب، وكان ﷺ يبعث إليها من المدينة بكسوة وصلة حتى ماتت بعد فتح خيبر. ذكره أبو عمر.

وكانت حاضنته ﷺ أم أيمن، بركة بنت ثعلبة بن حصن بن مالك، غلبت عليها كنيتها، وكنيت باسم ابنها أيمن الحبشي، وهي أم أسامة بن زيد، تزوجها زيد بعد عبيد، فولدت له أسامة، ويقال: إنها مولاة رسول الله ﷺ. هاجرت الهجرتين إلى أرض الحبشة وإلى المدينة. وكانت لعبد الله بن عبد المطلب، فورثها النبي ﷺ. وقيل كانت لأمه عليه السلام. وكان ﷺ يقول: «**أم أيمن أمي بعد أمي**»[2].

وكانت الشيماء بنت حليمة السعدية تحضنه أيضاً مع أمها حليمة السعدية.

---

(١) ذكره القاضي عياض في الشفا ١/١٢٨ وفي مناهل الصفا صفحة ٧٣ رقم الحديث (٢٤٦) وفي إتحاف السادة المتقين ٦/٢٢٦.

(٢) ذكره السيوطي في جمع الجوامع (٤٣٨٢) وفي كنز العمال (٣٤٤١٧).

في خدمه[1] وحرسه[2] ومواليه[3] ومن كان على نفقاته وخاتمه ونعله وسواكه[4] ومن يأذن عليه ومن كان يضرب الأعناق[5] بين يديه

أما خدمه:

فمنهم أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد الأنصاري الخزرجي، يكنى أبا حمزة، خدم النبي ﷺ تسع سنين أو عشر سنين، ودعا له ﷺ فقال: اللهم أكثر ماله وولده وأدخله الجنة. وقال أبو هريرة: ما رأيت أحداً أشبه صلاة برسول الله ﷺ منه. وتوفي سنة ثلاث وتسعين وقيل سنة اثنين وقيل سنة إحدى وتسعين وقد جاوز المائة.

ومنهم ربيعة بن كعب الأسلمي، صاحب وضوئه، وتوفي سنة ثلاث وستين.

ومنهم: أيمن ابن أم أيمن، صاحب مطهرته ﷺ، استشهد يوم حنين.

ومنهم عبد الله بن مسعود بن غافل ـ بالمعجمة والفاء ـ ابن حبيب الهذلي، أحد السابقين الأولين، شهد بدراً والمشاهد، وكان صاحب الوسادة والسواك والنعلين والطهور وكان يلي ذلك من النبي ﷺ، وكان إذا قام النبي ﷺ ألبسه نعليه، وإذا جلس جعلهما في ذراعيه حتى يقوم. وتوفي بالمدينة وقيل بالكوفة سنة اثنتين وثلاثين، وقيل سنة ثلاث.

ومنهم عقبة بن عامر بن عبس بن عمرو الجهني، وكان صاحب بغلته يقود به ﷺ في الأسفار، روينا عنه أنه قال: بينما أقود برسول الله ﷺ في نقب من تلك النقاب إذ قال لي رسول الله ﷺ: «اركب يا عقبة» قال فأجللت رسول الله ﷺ أن أركب مركبه ثم أشفقت أن يكون معصية قال: فركبت هنيهة ثم نزلت، ثم ركب النبي ﷺ وقدت به، فقال

---

(١) انظر البداية والنهاية ٥/ ٢٧٠ و٢٨٨ وزاد المعاد بشرح المواهب ١/ ١٠٢ وطبقات ابن سعد ١/ ٣٨٥.

(٢) انظر زاد المعاد بشرح المواهب ١/ ١٠٩.

(٣) المصدر السابق ١/ ١٠١ وفي البداية ٥/ ٢٨٨.

(٤) انظر طبقات ابن سعد ١/ ٣٦٤ و٢/ ١٨٠ والبداية ٦/ ٤ و٧.

(٥) انظر زاد المعاد ١/ ١١٢.

لي: «**يا عقبة ألا أعلمك من خير سورتين قرأ بهما الناس**» فقلت: بلى بأبي أنت وأمي يا رسول الله فقال: ﴿**قل أعوذ برب الفلق**﴾ [الفلق: ١] و﴿**قل أعوذ برب الناس**﴾ [الناس: ١][(١)] الحديث رواه أحمد وأبو داود والنسائي.

ولأحمد: فقال «**يا عقبة، ألا أعلمك خير ثلاث سور أنزلت في التوراة والإنجيل والزبور والقرآن العظيم**»، قال: قلت بلى، قال: «**فأقرأني**» ﴿**قل هو الله أحد**﴾ [الإخلاص: ١] و﴿**قل أعوذ برب الفلق**﴾ و ﴿**قل أعوذ برب الناس**﴾.

وكان عقبة عالماً بكتاب الله وبالفرائض فصيحاً شاعراً مفوهاً، ولي مصر لمعاوية سنة أربع وأربعين ثم صرفه بمسلمة بن مخلد، وتوفي بها سنة ثمان وخمسين.

ومنهم أسلع بن شريك صاحب راحلته. وفي الطبراني عن الربيع بن بدر قال: حدثني أبي عن أبيه عن رجل يقال له أسلع قال كنت أخدم النبي ﷺ وأرحل له، فقال لي ذات يوم: «**يا أسلع، قم فأرحل**» فقلت: يا رسول الله أصابتني جنابة، فسكت رسول الله ﷺ وأتاه جبريل فنزل بآية الصعيد [النساء: ٤٣ والمائدة: ٦] فقال رسول الله ﷺ: «**قم يا أسلع فتيمم**» قال: فقمت، ثم رحلت له ثم سار حتى مر بماء ثم قال لي يا أسلع: «**مسَّ أو أمسَّ هذا جلدك**» قال: فأراني التيمم ضربة للوجه وضربة لليدين إلى المرفقين[(٢)] انتهى.

ومنهم: سعد مولى أبي بكر، وقيل سعيد، ولم يثبت، وروى عنه ابن ماجه.

ومنهم: أبو ذر جندب بن جنادة الغفاري، أسلم قديماً، وتوفي بالربذة سنة إحدى وثلاثين، وصلى عليه عبد الله بن مسعود ثم مات بعده في ذلك اليوم، قاله ابن الأثير في «معرفة الصحابة»، وفي التقريب للحافظ ابن حجر سنة اثنتين وثلاثين.

ومنهم: مهاجر مولى أم سلمة.

ومنهم: حنين والد عبد الله، مولى عباس، كان يخدم النبي ﷺ، ثم وهبه لعمه العباس.

ومنهم: نعيم بن ربيعة الأسلمي.

---

(١) أخرجه أبو داوود في كتاب الصلاة باب (١٩) رقم الحديث (١٤٦٢) وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل ٤/ ١١٤ و١٥٠ وفي النسائي كتاب الإستعاذة ٨/ ٢٥٣.

(٢) ذكره ابن كثير في البداية ٥/ ٢٨٨ وفي المعجم الكبير للطبراني ١/ ٢٧٦ وفي مجمع الزوائد للهيثمي ١/ ٢٦٢ وفي الدر المنثور ٢/ ١٦٥ وفي شرح معاني الآثار ١/ ١١٣ وفي تفسير الطبري ٥/ ٦٨ وفي طبقات ابن سعد ٧/ ٤٦ ترجمة (ميمون الأسلع رقم ٢٩١٨) وفي كنز العمال (٢٧٥٨١).

ومنهم: أبو الحمراء، مولاه ﷺ وخادمه، واسمه هلال بن الحارث، أو ابن ظفر، نزل حمص وتوفي بها.

ومنهم: أبو السمح خادمه ﷺ واسمه إياد.

ومن النساء:

بركة أم أيمن الحبشية، وهي والدة أسامة بن زيد ماتت في خلافة عثمان رضي الله عنه.

وخولة جدة حفص.
وسلمى أم رافع، زوج أبي رافع.
وميمونة بنت سعد.

وأم عياش مولاة رقية بنت النبي ﷺ.

وكان يضرب الأعناق بين يديه: علي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، والمقداد ابن عمرو، ومحمد بن مسلمة، وعاصم بن ثابت بن أبي الأقلح، والضحاك بن سفيان.

وكان قيس بن سعد بن عبادة بن يديه ﷺ بمنزلة صاحب الشرطة. وكان بلال على نفقاته. ومعيقيب بن أبي فاطمة الدوسي على خاتمه. وابن مسعود على سواكه ونعله، كما تقدم. وأبو رافع واسمه أسلم ـ وقيل غير ذلك ـ قبطي، كان على ثقله. وأذن عليه ﷺ في المشربة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه رياح النوبي.

وأما حراسه:[1]

فمنهم سعد بن معاذ بن النعمان بن امرىء القيس، سيد الأوس، أسلم بين العقبتين على يد مصعب بن عمير، وشهد بدراً وأحداً والخندق، فرمي فيه بسهم فعاش شهراً ثم انتقض جرحه فمات. حرس النبي ﷺ يوم بدر حين نام في العريش.

ومنهم: محمد بن مسلمة الأنصاري، حرسه يوم أحد.

ومنهم: الزبير بن العوام حرسه يوم الخندق.

ومنهم: بلال، المؤذن، أسلم قديماً، وعذب في الله، وسكن الشام أخيراً، ولا عقب له، وتأتي وفاته إن شاء الله تعالى، وكان يحرس النبي ﷺ بوادي القرى.

وكان أبو بكر الصديق يوم بدر في العريش شاهراً سيفه على رأسه ﷺ لئلا يصل إليه أحد من المشركين. رواه ابن السمان في الموافقة.

---

(١) انظر زاد المعاد ١/ ١١٢.

ووقف المغيرة بن شعبة على رأسه بالسيف يوم الحديبية.

وكان يحرسه ﷺ أيضاً عباد بن بشر. فلما نزل ﴿**والله يعصمك من الناس**﴾ [المائدة: ٦٧] ترك ذلك.

وأما مواليه ﷺ [1]:

أسامة وأبوه زيد بن حارثة، حب رسول الله ﷺ، أعتقه وزوجه مولاته أم أيمن واسمها بركة فولدت له أسامة.

وكان زيد قد أسر في الجاهلية، فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة، فاستوهبه النبي ﷺ منها، ذكر قصته محمد بن إسحاق في السيرة، وأن أباه وعمه أتيا مكة فوجداه، فطلبا أن يفدياه، فخيره النبي ﷺ بين أن يدفعه لهما أو يبقى عنده ﷺ، وفي رواية الترمذي قال: يا رسول الله، لا أختار عليك أحداً أبداً.

واستشهد زيد في مؤته، ومات ابنه أسامة بالمدينة أو بوادي القرى سنة أربع وخمسين.

ومنهم: ثوبان، لازم رسول الله ﷺ ونزل بعده الشام، ومات بحمص سنة أربع وخمسين.

وأبو كبشة، أوس، ويقال سليم من مولدي مكة وشهد بدراً.

وشقران ـ بضم الشين المعجمة وسكون القاف ـ واسمه صالح الحبشي، ويقال: فارسي، شهد بدراً وهو مملوك، ثم عتق، قاله الحافظ ابن حجر وقال: أظنه مات في خلافة عثمان.

ورباح ـ وهو بفتح الراء وبالموحدة ـ الأسود، وكان يأذن عليه أحياناً إذا انفرد، وهو الذي أذن لعمر بن الخطاب في المشربة، كما تقدم.

ويسار، الراعي، وهو الذي قتله العرنيون.

وزيد وهو أبو يسار ـ وليس زيد بن حارثة والد أسامة ـ ذكره ابن الأثير.

ومدعم ـ بكسر الميم وفتح العين المهملة ـ عبد أسود، كان لرفاعة بن زيد الضبيبي ـ بضم الضاد المعجمة وفتح الموحدة الأولى ـ فأهده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأبو رافع، واسمه: أسلم القبطي، وكان للعباس فوهبه للنبي ﷺ، فلما بشر النبي

---

(١) المصدر السابق ١/ ١٠١.

ﷺ بإسلام العباس أعتقه، توفي قبل قتل عثمان بيسير.

ورفاعة بن زيد الجذامي.

وسفينة، واختلف في اسمه، فقيل: طهمان، وقيل: كيسان، وقيل: مهران، وقيل غير ذلك، وسماه رسول الله ﷺ سفينة لأنهم كانوا حملوه شيئاً كثيراً في السفر[1].

ومأبور القبطي، وهو من جملة من أهداه المقوقس للنبي ﷺ.

وواقد، أو أبو واقد،

وأنجشة الحادي، ويأتي ذكره في حداته ﷺ إن شاء الله تعالى.

وسلمان الفارسي، أبو عبد الله، ويقال له سلمان الخير، أصله من أصبهان، وقيل من رام هرمز، أول مشاهده الخندق، مات سنة أربع وثلاثين، يقال بلغ ثلاثمائة سنة.

وشمعون بن زيد، أبو ريحانة. قال الحافظ ابن حجر: حليف الأنصار، ويقال مولى رسول الله ﷺ، شهد فتح دمشق وقدم مصر، وسكن بيت المقدس.

وأبو بكرة، نفيع بن الحارث بن كلدة، جد القاضي الجليل بكار بن قتيبة الحنفي قاضي مصر المدفون بها.

ومن النساء: أم أيمن الحبشية، وسلمى أم رافع زوج أبي رافع، ومارية وريحانة وقيسر أخت مارية وغير ذلك.

قال ابن الجوزي: مواليه ثلاثة وأربعون، وإماؤه إحدى عشرة.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ٥/ ٢٢١ وفي المستدرك للحاكم ٣/ ٦٠٦ وفي المعجم الكبير للطبراني ١/ ٩٧ وفي حلية الأولياء ١/ ٣٦٩.

في أمرائه[1] ورسله وكتَّابه وكتبه إلى أهل الإسلام في الشرائع والأحكام، ومكاتباته إلى الملوك وغيرهم من الأنام[2]

أما كتابه فجمع كثير وجم غفير ذكرهم بعض المحدثين في تأليف له بديع استوعب فيه جملاً من أخبارهم، ونبذاً من سيرهم وآثارهم، وصدر فيه بالخلفاء الأربعة الكرام، خواص حضرته عليه الصلاة والسلام.

فأولهم في التقديم أبو بكر الصديق، وكان اسمه في الجاهلية عبد الكعبة، وفي الإسلام عبد الله، وسمي بالصديق لتصديقه النبي ﷺ، وقيل إن الله صدقه، ويلقب عتيقاً لجماله، أو لأنه ليس في نسبه ما يعاب به، وقيل لأنه عتيق من النار.

ولي الخلافة سنتين ونصفاً، وسنه سن المصطفى ﷺ. وتوفي مسموماً.

وأسلم أبوه أبو قحافة يوم الفتح، وتوفي بعد ولده في خلافة عمر، وأسلمت أمه أم الخير سلمى بنت صخر قديماً في دار الأرقم.

وعمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى، استخلفه أبو بكر فأقام عشر سنين وستة أشهر وأربع ليال، وقتله أبو لؤلؤة، فيروز غلام المغيرة بن شعبة.

وعثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية، وكانت خلافته إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهراً وثلاثة عشر يوماً، ثم قتل يوم الدار شهيداً.

وروي عن عائشة، مما ذكره الطبري في فضائله من كتابه «الرياض» أن الرسول الله ﷺ لمسند ظهره إلي، وإن جبريل ليوحي إليه القرآن، وإنه ليقول له: «**اكتب يا عثيم**»[3]. رواه أحمد.

وروى البيهقي عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ إذا جلس جلس أبو بكر عن يمينه، وعمر عن يساره وعثمان بين يديه، وكان كاتب سر رسول الله ﷺ.

---

(١) انظر زاد المعاد ١/١٠٩.

(٢) المصدر السابق ١/١٠٣ والبداية والنهاية ٤/ ٢٦٢.

(٣) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ٦/ ٢٥٠ والبداية والنهاية ٧/ ٢٠٩.

وعلي بن أبي طالب، وأقام في الخلافة أربع سنين وتسعة أشهر وثمانية أيام، وتوفي شهيداً على يد عبد الرحمن بن ملجم واختص علي بكتابة الصلح يوم الحديبية.

وطلحة بن عبيد الله التيمي، أحد العشرة، استشهد يوم الجمل سنة ست وثلاثين وهو ابن ثلاث وستين سنة.

والزبير بن العوام بن خويلد الأسدي ابن عمته وحواريه، أحد العشرة أيضاً، قتل سنة ست وثلاثين، يوم الجمل، قتله عمرو بن جرموز، بوادي السباع غيلة وهو نائم.

وسعيد بن العاص[1]، أخو خالد وأبان.

وسعد بن أبي وقاص.

وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر رضي الله عنه.

وعبد الله بن الأرقم القرشي الزهري، كان يكتب الرسائل عن رسول الله ﷺ إلى الملوك وغيرهم، وكتب بعده لأبي بكر، ثم لعمر من بعده، رضي الله عنهم، واستعمله عمر على بيت المال مدة ولايته ثم عثمان من بعده، إلى أن استعفى عثمان من الولاية وبقي عاطلاً، وكان أمير المؤمنين عمر يقول: ما رأيت أحداً أخشى لله منه، مات في خلافة عثمان.

وأبيّ بن كعب ـ بضم الهمزة وفتح الموحدة ـ من سُبّاق الأنصار، كان يكتب الوحي له ﷺ، وهو أحد الستة الذين حفظوا القرآن على عهده ﷺ وأحد الفقهاء الذين كانوا يفتون على عهده عليه السلام، توفي بالمدينة سنة تسع عشرة. وقيل سنة عشرين، وقيل غير ذلك، وهو الذي كتب الكتاب إلى ملكي عمان «جيفر» و«عبد» ابني الجلندى، كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

وثابت بن قيس بن شماس، استشهد باليمامة، وهو الذي كتب كتاب قطن بن حارثة العليمي، كما سيأتي إن شاء الله.

وحنظلة بن الربيع الأسيدي الذي غسلته الملائكة حين استشهد.

وأبو سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي.

وابنه معاوية، ولي لعمر الشام، وأقره عثمان. قال ابن إسحاق: وكان أميراً عشرين سنة، وخليفة ـ أمير المؤمنين ـ بعد نزول الحسن بن علي سبط سيد المرسلين عشرين سنة. وروينا في مسند الإمام أحمد من حديث العرباض قال: سمعت رسول الله ﷺ

---

(١) انظر ترجمته في الإصابة برقم (٣٢٥٦).

يقول: «**اللهم علم معاوية الكتاب والحساب، وقه العذاب**»[1]. وهو مشهور بكتابة الوحي.

أسلم يوم فتح مكة ومات في العشر الأخير من رجب سنة تسع وخمسين، وقيل سنة ستين وقد قارب الثمانين. وقال ابن عبد البر عن اثنتين وثمانين سنة والله أعلم.

وأخوه يزيد بن أبي سفيان بن حرب، أمّره عمر على دمشق حتى مات بها سنة تسع عشرة بالطاعون، فوليها بعده أخوه معاوية حتى رقي منها إلى الخلافة، وكان يزيد رضي الله عنه من سروات الصحابة وساداتهم، أسلم يوم الفتح أيضاً وأعطاه رسول ﷺ من غنائم حنين مائة بعير وأربعين أوقية وزنها له بلال رضي الله عنه.

وزيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري النجاري، مشهور بكتب الوحي، مات سنة خمسين أو ثمان وأربعين، وقيل بعد الخمسين. وكان أحد فقهاء الصحابة، وهو أحد من جمع القرآن في خلافة أبي بكر، ونقله إلى المصحف في خلافة عثمان.

وشرحبيل ابن حسنة، وهي أمه، وهو أول كاتب للنبي ﷺ.

والعلاء بن الحضرمي.

وخالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي، سيف الله، أسلم بين الحديبية والفتح، مات سنة إحدى أو اثنتين وعشرين.

وعمرو بن العاص بن وائل السهمي، فاتح مصر في أيام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، أسلم عام الحديبية وولي إمرة مصر مرتين، وهو الذي فتحها، ومات بها سنة نيف وأربعين وقيل بعد الخمسين.

والمغيرة بن شعبة الثقفي، أسلم قبل الحديبية، وولي إمرة البصرة ثم الكوفة، مات سنة خمسين على الصحيح.

وعبد الله بن رواحة الخزرجي الأنصاري أحد السابقين، شهد بدراً واستشهد بمؤتة.

ومعيقيب ـ بقاف وآخره موحدة، مصغر ـ ابن أبي فاطمة الدوسي، من السابقين الأولين، وشهد المشاهد ومات في خلافة عثمان أو علي.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ٤/ ١٢٧ وفي مجمع الزوائد للهيثمي ٩/ ٣٥٦ وفي التاريخ الكبير للبخاري ٧/ ٣٢٧ وفي موارد الظمآن للهيثمي (٢٢٧٨) وفي جمع الجوامع للسيوطي (٩٧٣٥) وفي المعجم الكبير للطبراني ١٨/ ٢٥٢ والبداية والنهاية ٨/ ١٢٢ وفي العلل المتناهية لابن الجوزي ١/ ٢٧١ وفي الكامل في الضعفاء لابن عدي ٥/ ١٨١٠ و٦/ ٢٤٠٢ وفي كنز العمال (٣٣٦٥٦).

وكتب له خالد بن سعيد بن العاص كتاب ثقيف كما سيأتي إن شاء الله تعالى في الوفود.

وحذيفة بن اليمان، من السابقين، صح في مسلم أنه ﷺ أعلمه بما كان وما يكون إلى أن تقوم الساعة، وأبوه صحابي أيضاً استشهد بأحد، ومات حذيفة في أول خلافة علي سنة ست وثلاثين.

وحويطب بن عبد العزى العامري، أسلم يوم الفتح، عاش مائة وعشرين سنة، ومات سنة أربع وخمسين. وله كتّاب أخر سوى هؤلاء، وذكروا في الكتاب الذي تقدم ذكره. وكان معاوية وزيد بن ثابت ألزمهم لذلك وأخصهم به، كما قاله الحافظ الشرف الدمياطي وغيره، ونبهت عليه. قال الحافظ ابن حجر: وقد كتب له قبل زيد بن ثابت، أبي بن كعب، وهو أول من كتب له بالمدينة، وأول من كتب له بمكة من قريش عبد الله ابن أبي سرح، ثم ارتد ثم عاد إلى الإسلام يوم الفتح، وممن كتب له في الجملة أكثر من غيره الخلفاء الأربعة وأبان وخالد ابنا سعيد بن العاص بن أمية.

وقد كتب ﷺ إلى أهل الإسلام كتباً في الشرائع والأحكام:

منها كتابه في الصدقات الذي كان عند أبي بكر، فكتبه أبو بكر لأنس لما وجهه إلى البحرين[1] ولفظه كما في البخاري وأبي داود والنسائي:

(بسم الله الرحمن الرحيم. هذه فريضة الصدقة التي فرضها رسول الله ﷺ على المسلمين، والتي أمر الله بها رسوله، فمن سُئلها من المسلمين على وجهها فليعطها، ومن سُئل فوقها فلا يعط:

في أربعة وعشرين من الإبل فما دونها، من الغنم في كل خمس من الإبل شاة.

فإذا بلغت خمساً وعشرين إلى خمس وثلاثين، ففيها بنت مخاض أنثى، فإن لم تكن ابنة مخاض فابن لبون ذكر.

فإذا بلغت ستاً وثلاثين إلى خمس وأربعين، ففيها بنت لبون أنثى.

فإذا بلغت ستاً وأربعين إلى ستين، ففيها حقة طروقة الجمل.

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الزكاة باب (٣٨) رقم الحديث (١٤٥٤ ـ ٢٤٨٧ ـ ٦٩٥٥) وفي أبي داوود كتاب الزكاة باب (٥) رقم الحديث (١٥٦٧) وفي النسائي كتاب الزكاة ٥/ ١٧ وفي ابن ماجه كتاب الزكاة باب (١٠). رقم الحديث (١٨٠٠). وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل ١/ ١١ وفي المستدرك للحاكم ١/ ٣٩٠ وفي إتحاف السادة المتقين ٤/ ٢٤ وفي مشكاة المصابيح للتبريزي (١٧٩٦).

فإذا بلغت إحدى وستين إلى خمس وسبعين، ففيها جذعة.

فإذا بلغت ستاً وسبعين إلى تسعين، ففيها بنتا لبون.

فإذا بلغت إحدى وتسعين إلى عشرين ومائة، ففيها حقتان طروقتا الجمل.

فإذا زادت عن عشرين ومائة، ففي كل أربعين ابنة لبون وفي كل خمسين حقة.

ومن لم يكن معه إلا أربع من الإبل، فليست فيها صدقة، إلا أن يشاء ربها، فإذا بلغت خمساً من الإبل ففيها شاة.

ومن بلغت عنده من الإبل صدقة الجذعة، وليست عنده جذعة، وعنده حقة، فإنها تقبل منه الحقة، ويجعل معها شاتين إن استيسرتا له، أو عشرين درهماً.

ومن بلغت عنده صدقة الحقة، وليست عنده الحقة، وعنده الجذعة فإنها تقبل منه الجذعة ويعطيه المصدق عشرين درهماً أو شاتين.

ومن بلغت عنده صدقة الحقة، وليست عنده إلا ابنة لبون، فإنه تقبل منه بنت لبون، ويعطي شاتين أو عشرين درهماً.

ومن بلغت صدقته بنت لبون، وعنده حقة، فإنه تقبل منه الحقة ويعطيه المصدق عشرين درهماً أو شاتين.

ومن بلغت عنده صدقة بنت لبون، وليست عنده وعنده بنت مخاض، فإنها تقبل منه بنت المخاض، ويعطي معها عشرين درهماً أو شاتين.

ومن بلغت صدقته بنت مخاض، وليست عنده، وعنده بنت لبون، فإنها تقبل منه بنت لبون، ويعطيه المصدق عشرين درهماً أو شاتين، فإن لم يكن عنده بنت مخاض على وجهها وعنده ابن لبون فإنه يقبل منه وليس معه شيء.

وفي صدقة الغنم في سائمتها إذا بلغت أربعين إلى عشرين ومائة شاةٍ شاةٌ.

فإذا زادت على عشرين ومائة إلى مائتين ففيها شاتان.

فإذا زادت على مائتين إلى ثلاثمائة ففيها ثلاث شياه.

فإذا زادت على ثلاثمائة ففي كل مائةٍ شاةٌ.

فإذا كانت سائمة الرجل ناقصة عن أربعين شاة شاة واحدة، فليس فيها صدقة إلا أن يشاء ربها.

ولا يجمع بن متفرق، ولا يفرق بين مجتمع خشية الصدقة، وما كان من خليطين

فإنهما يتراجعان بينهما بالسوية، ولا يخرج في الصدقة هرمة ولا ذات عوار ولا تيس إلا أن يشاء المُصَدِّقُ.

وفي الرقة ربع العشر، فإن لم تكن إلا تسعين ومائة فليس فيها صدقة إلا أن يشاء ربها).

قوله وفي الرقة: الدراهم المضروبة، والهاء فيه عوض من الواو المحذوفة من الورق. قاله ابن الأثير في الجامع. وقال في فتح الباري: هي بكسر الراء وتخفيف القاف: الفضة الخالصة سواء كانت مضروبة أو غير مضروبة.

ومنها كتابه الذي كان عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه، في نُصُب الزكاة وغيرها، كما رواه أبو داود والترمذي عن سالم عن أبيه: كتب ﷺ كتاب الصدقة ولم يخرجه إلى عماله وقرنه بسيفه حتى قبض، فعمل به أبو بكر حتى قبض، ثم عمل به عمر حتى قبض وكان فيه:

في خمس من الإبل شاة، وفي عشر شاتان وفي خمسة عشر ثلاث شياه، وفي عشرين أربع شياه، وفي خمس وعشرين بنت مخاض، إلى خمس وثلاثين، فإن زادت واحدة ففيها ابنة لبون، إلى خمس وأربعين، فإن زادت واحدة ففيها حقة إلى ستين، فإن زادت واحدة ففيها جذعة، إلى خمس وسبعين فإن زادت واحدة ففيها ابنتا لبون إلى تسعين، فإن زادت واحدة ففيها حقتان إلى عشرين ومائة، فإذا كانت الإبل أكثر من ذلك ففي كل خمسين حقة وفي كل أربعين ابنة لبون.

وفي الغنم في كل أربعين شاةٍ شاةٌ إلى عشرين ومائة، فإذا زادت واحدة فشاتان، إلى المائتين ففيها ثلاث شياه إلى ثلاثمائة، فإن كانت الغنم أكثر من ذلك ففي كل مائةِ شاة شاةٌ، ثم ليس فيها شيء حتى تبلغ المائة.

ولا يفرق بين مجتمع، ولا يجمع بن متفرق مخافة الصدقة، وما كان من خليطين فإنهما يتراجعان بالسوية، ولا يؤخذ في الصدقة هرمة ولا ذات عيب.

قال الزهري: وإذا جاء المصدق قسم الشاء أثلاثاً، ثلث خيار، وثلث أوساط، وثلث شرار، وأخذ من الوسط[1] رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن، قال:

---

(١) أخرجه أبو داوود في كتاب الزكاة باب (٥) رقم الحديث (١٥٦٨) وفي الترمذي كتاب الزكاة باب (٤) رقم الحديث (٦٢١). وفي ابن ماجه. كتاب الزكاة. باب (٩) رقم الحديث (١٧٩٨). والإمام أحمد بن حنبل في مسنده ٢/ ١٤ ـ ١٥. وفي السنن الكبرى للبيهقي ٤/ ٨٨. وفي سنن الدارقطني ٢/ ١١٢ رقم الحديث (١). وفي الدر المنثور ١/ ٣٤٣. وفي المستدرك للحاكم ١/ ٣٩٢.

ورواه يونس وغير واحد عن الزهري عن سالم ولم يرفعه.

قال ابن الأثير في النهاية: والخليط: المخالط، يريد به الشريك الذي يخلط ماله بمال شريكه، والتراجع بينهما هو أن يكون لأحدهما مثلاً أربعون بقرة وللآخر ثلاثون بقرة ومالهما مختلط، فيأخذ الساعي عن الأربعين مسنة وعن الثلاثين تبيعاً، فيرجع باذل المسنة بثلاثة أسباعها على شريكه، وباذل التبيع بأربعة أسباعه على شريكه، لأن كل واحد من السنين واجب على الشيوع وكأن المال ملك واحد. انتهى.

وقال في فتح الباري: واختلف في المراد بالخليط، فعند أبي حنيفة أنه الشريك، واعترض عليه بأن الشريك لا يعرف عين ماله. وقد قال: إنهما يتراجعان بينهما بالسوية، وما يدل على أن الخليط لا يستلزم أن يكون شريكاً قوله تعالى: ﴿**وإن كثيراً من الخلطاء**﴾ [صَ: ٢٤] وقد بينه قبل ذلك بقوله: ﴿**إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة**﴾ [صَ: ٢٣].

واعتذر بعضهم عن الحنفية: بأنهم لم يبلغهم هذا الحديث، أو رأوا أن الأصل قوله: ليس فيما دون خمس ذودٍ صدقة، وحكم الخليط يغاير هذا الأصل، فلم يقولوا به، وقال أبو حنيفة: لا يجب على أحد منهم فيما يملك إلا مثل الذي يجب عليه لو لم يكن خلطة.

وقال سفيان الثوري: لا يجب حتى يتم لهذا أربعون شاة ولهذا أربعون شاة.

وقال الشافعي وأحمد وأصحاب الحديث: إذا بلغت ماشيتهما النصاب زكيا، والخلطة عندهم أن يجتمعا في المسرح والمبيث والحوض والفحل، والشركة أخص منها. انتهى.

ومنها كتابه ﷺ إلى أهل اليمن، وهو كتاب جليل، فيه من أنواع الفقه في الزكاة والديات والأحكام، وذكر الكبائر والطلاق والعتاق، وأحكام الصلاة في الثوب الواحد والاحتباء فيه، ومس المصحف وغير ذلك. واحتج الفقهاء كلهم بما فيه من مقادير الديات، ورواه النسائي وقال: قد روى هذا الحديث يونس عن الزهري مرسلاً، وأبو حاتم في صحيحه وغيرهما متصلاً عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ كتب إلى أهل اليمن، وكان في كتابه:

أن من اعتبط مؤمناً قتلا عن بينة فإنه قود إلا أن يرضى أولياء المقتول، وفيه: أن الرجل يقتل بالمرأة، وفيه: في النفس الدية مائة من الإبل وعلى أهل الذهب ألف دينار، وفي الأنف إذا أوعب جدعه الدية مائة من الإبل، وفي الأسنان الدية، وفي الشفتين

الدية، وفي البيضتين الدية، وفي الذكر الدية، وفي الصلب الدية، وفي العينين الدية، وفي الرجل الواحدة نصف الدية، وفي المأمومة ثلث الدية، وفي الجائفة ثلث الدية، وفي المنقلة خمس عشرة من الإبل، وفي كل أصبع من أصابع اليد والرجل عشر من الإبل، وفي السن خمس من الإبل.

وفي رواية مالك: وفي العين خمسون، وفي اليد خمسون، وفي الرجل خمسون، وفي الموضحة خمس من الإبل. ومنها كتابه إلى بني زهير. وأما مكاتباته عليه الصلاة والسلام إلى الملوك [1] وغيرهم: فروي أنه ﷺ لما رجع من الحديبية كتب إلى الروم، فقيل له: إنهم لا يقرؤون كتاباً إلا أن يكون مختوماً، فاتخذ خاتماً من فضة ونقش فيه ثلاثة أسطر: محمد سطر، ورسول سطر، و«الله» سطر، وختم به الكتاب. [2]

وإنما كانوا لا يقرؤون الكتاب إلا مختوماً خوفاً من كشف أسرارهم، وللإشعار بأن الأحوال المعروضة عليهم ينبغي أن تكون مما لا يطلع عليها غيرهم. وعن أنس، إن ختم كتاب السلطان والقضاة سنة متبعة، وقال بعضهم: هو سنة لفعله صلى الله عليه وسلم.

فكتب إلى قيصر، المدعو «هرقل» ملك الروم يوم ذاك، ثم قال بعد تمام الكتاب «**من ينطلق بكتابي هذا إلى هرقل وله الجنة**» فقالوا: وإن لم يصل يا رسول الله؟ قال: «**وإن لم يصل**» فأخذه دحية بن خليفة الكلبي، وتوجه إلى مكان فيه هرقل[3]. ولفظه:

(بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله - وفي رواية البخاري: عبد الله ورسوله - إلى هرقل عظيم الروم - وفي روايه غير البخاري: إلى قيصر صاحب الروم -: سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين و﴿**يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون**﴾ [آل عمران: ٦٤] رواه البخاري.

وكان ﷺ أرسل هذا الكتاب مع دحية بن خليفة الكلبي إلى هرقل في آخر سنة ست، بعد أن رجع من الحديبية، كما قاله الواقدي. ووقع في تاريخ خليفة[4] أن إرساله

---

(١) انظر البداية والنهاية ٤/ ٢٦٢ وطبقات ابن سعد ١/ ١٩٨. والمنتظم لابن الجوزي ٣/ ٢٧٤ تاريخ الطبري ٢/ ٦٤٥ والكامل في التاريخ ٢/ ٩٥.

(٢) انظر زاد المعاد ١/ ١٠٤ والمنتظم ٣/ ٢٧٤ حوادث سنة (٦ هـ).

(٣) أخرجه البخاري كتاب بدء الوحي باب (٦) رقم الحديث (٧ - ٥١ - ٢٦٨١ - ٢٨٠٤ - ٢٩٤١ - ٢٩٧٨ - ٣١٧٤ - ٤٥٥٣ - ٥٩٨٠ - ٦٢٦٠ - ٧١٩٦ - ٧٥٤١) وفي مسلم كتاب الجهاد رقم الحديث (٧٣). وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل ١/ ٢٦٣.

(٤) هو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري البصري أبو عمرو ويعرف بشبّاب محدث نسابة=

كان سنة خمس، والأول أثبت، بل هذا غلط لتصريح أبي سفيان: بأن ذلك كان في مدة صلح الحديبية كما في حديث البخاري، في المدة التي كان ﷺ ماد فيها أبا سفيان وكفار قريش، يعني مدة صلح الحديبية، وكانت سنة ست اتفاقاً.

ولم يقل ﷺ إلى هرقل ملك الروم، لأنه معزول بحكم الإسلام، ولم يخله من الإكرام لمصلحة التأليف.

وقوله: يؤتك لله أجرك مرتين، أي لكونه مؤمناً بنبيه ثم امن بمحمد ﷺ.

وقوله: فإن عليك إثم الأريسين: أي فإن عليك مع إثمك إثم الأتباع بسبب أنهم اتبعوك على استمرار الكفر.

وقيل: إنه ﷺ كتب هذه الآية: يعني ﴿يا أهل الكتاب﴾ [آل عمران: ٦٤] قبل نزولها، فوافق لفظه لفظها لما نزلت، لأن هذه الآية نزلت في قصة وفد نجران، وكانت قصتهم سنة الوفود سنة تسع، وقصة أبي سفيان هذه كانت قبل ذلك سنة ست. وقيل: نزلت في اليهود، وجوز بعضهم نزولها مرتين، وهو بعيد والله أعلم.

ولما قرىء كتاب النبي ﷺ غضب ابن أخي قيصر غضباً شديداً وقال: أرني الكتاب، فقال له وما تصنع به؟ فقال: إنه بدأ بنفسه، وسماك صاحب الروم، فقال له عمه: إنك لضعيف الرأي، أتريد أن أرمي بكتاب رجل يأتيه الناموس الأكبر، أو كلاماً هذا معناه، أو قال: أن أرمي بكتاب ولم أعلم ما فيه، لئن كان رسول الله إنه لأحق أن يبدأ بنفسه، ولقد صدق: أنا صاحب الروم، والله مالكي ومالكه، ثم أمر بإنزال دحية وإكرامه إلى أن كان من أمره ما ذكره البخاري في حديثه. انتهى.

وكتب ﷺ إلى كسرى أبرويز بن هرمز بن أنو شروان ملك فارس[1].

(بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله. أدعوك بدعاية الله، فإني رسول الله إلى الناس كلهم، لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين، أسلم تسلم، فإن توليت فعليك إثم المجوس).

فلما قرىء عليه الكتاب مزقه، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «**مزق ملكه**»[2].

= إخباري. توفي سنة (٢٤٠ هـ). الأعلام ٢/ ٣١٢ تذكرة الحفاظ ٢/ ٤٣٦ رقم الترجمة (٤٤٢) وفيات الأعيان ١/ ١٧٢ والعبر ١/ ٤٣٢ وميزان الإعتدال ١/ ٦٦٥.

(١) انظر الطبقات لابن سعد ١/ ١٩٩ والبداية والنهاية لابن كثير ٤/ ٢٦٨ والمنتظم ٣/ ٢٨١.

(٢) ذكره البيهقي في الدلائل ٤/ ٣٨٨ وفي نصب الراية للزيلعي ٤/ ٤٢١ تاريخ بغداد ١/ ١٣٢ تهذيب=

وفي البخاري من حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ بعث بكتابه إلي كسرى مع عبد الله بن حذافة السهمي، فأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين، فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى، فلما قرأه مزقه، فحسبت أن ابن المسيب قال: فدعا عليهم رسول الله ﷺ أن يمزقوا كل ممزق.[1]

وقيل: بعثه مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه، والذي في البخاري هـو الصحيح.

وفي كتاب «الأموال» لأبي عبيد من مرسل عمير بن إسحاق قال: كتب رسول الله ﷺ إلى كسرى وقيصر، فأما كسرى فلما قرأ الكتاب مزقه، وأما قيصر فلما قرأ الكتاب طواه ثم رفعه، فقال رسول الله ﷺ: **«أما هؤلاء فيمزقون، وأما هؤلاء فسيكون لهم بقية»**.

وروي أنه لما جاء جواب كسرى قال: **«مزق ملكه»** ولما جاء جواب هرقل قال: **«ثبت ملكه»**.

وذكر شيخ الإسلام أبو الفضل ابن حجر العسقلاني في فتح الباري. عن سيف الدين قلج المنصوري، أحد أمراء الدولة القلاوونية، أنه قدم على ملك المغرب بهدية من الملك المنصور قلاوون، فأرسله ملك المغرب إلى ملك الفرنج في شفاعة، وأنه قبله وأكرمه، وقال: لأتحفنك بتحفة سنية، فأخرج له صندوقاً مصفحاً بذهب، فأخرج منه مقلمة من ذهب فأخرج منها كتاباً قد زالت أكثر حروفه، وقد ألصقت عليه خرقة حرير، فقال: هذا كتاب نبيكم لجدي قيصر، ما زلنا نتوارثه إلى الآن، وأوصانا آباؤنا عن آبائهم إلى قيصر، إنه ما دام هذا الكتاب عندنا لا يزال الملك فينا، فنحن نحفظه غاية الحفظ، ونعظمه ونكتمه عن النصارى ليدوم الملك فينا. انتهى.

وكتب ﷺ إلى النجاشي:[2]

(بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة، أما بعد: فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى فخلقه من روحه، ونفخه كما خلق آدم بيده، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاة على طاعته، وأن تتبعني وتؤمن بالذي جاءني، فإني رسول الله، وإني أدعوك وجنودك إلى الله تعالى، وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي، وقد بعثت

= تاريخ دمشق لابن عساكر ٧/٣٥٦ والبداية والنهاية ٤/٢٦٨ وفي مصنف ابن أبي شيبة ١٤/٣٣٨.

(١) أخرجه البخاري. كتاب الجهاد والسير باب (١٠١) رقم الحديث (٢٩٣٩).

(٢) انظر المنتظم ٣/ ٢٨٧ وتاريخ الطبري ٢/ ٦٥٢ والكامل في التاريخ ٢/ ٩٦ وزاد المعاد ١/ ١٠٤.

إليكم ابن عمي جعفراً ومعه نفر من المسلمين، والسلام على من اتبع الهدى).

وبعث الكتاب مع عمرو بن أمية الضمري، فقال النجاشي له عندما قرأ الكتاب: أشهد بالله أنه النبي الأمي الذي ينتظره أهل الكتاب، وأن بشارة موسى براكب الحمار، كبشارة عيسى براكب الجمل، وأن العيان ليس بأشفى من الخبر عنه، ولكن أعواني من الحبش قليل، فأنظرني حتى أكثر الأعوان وألين القلوب.

ثم كتب النجاشي جواب الكتاب إلى النبي ﷺ:

(بسم الله الرحمن الرحيم. إلى محمد رسول الله من النجاشي أصحمة، سلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركات الله الذي لا إله إلا هو الذي هداني للإسلام أما بعد: فقد بلغني كتابك يا رسول الله، فما ذكرت من أمر عيسى، فورب السماء والأرض إن عيسى لا يزيد على ما ذكرت ثفروقاً، إنه كما ذكرت، وقد عرفنا ما بعثت به إلينا، فأشهد أنك رسول الله صادقاً مصدقاً، وقد بايعتك، وبايعت ابن عمك وأسلمت على يديه لله رب العالمين. وقد بعثت إليك ابني، وإن شئت أتيتك بنفسي فعلت يا رسول الله، فإني أشهد أن ما تقول حق، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته).

ثم إنه أرسل ابنه في أثر من أرسله من عنده مع جعفر بن أبي طالب عم رسول الله، فلما كانوا في وسط البحر غرقوا، ووافى جعفر وأصحابه رسول الله ﷺ وكانوا سبعين رجلاً عليهم ثياب الصوف، منهم اثنان وستون من الحبشة وثمانية من أهل الشام، فقرأ عليهم رسول الله ﷺ من القرآن يس إلى آخرها، فبكوا حين سمعوا القرآن وآمنوا وقالوا: ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى عليه الصلاة والسلام، وفيهم أنزل الله: ﴿**ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا**﴾ [المائدة: ٨٢] إلى آخر الآية، لأنهم كانوا من أصحاب الصوامع.[1] انتهى.

الثفروق: علاقة ما بين النواة والقشر.

وهذا هو أصحمة الذي هاجر إليه المسلمون في رجب سنة خمس من النبوة، وكتب إليه النبي ﷺ كتاباً يدعوه فيه إلى الإسلام مع عمرو بن أمية الضمري سنة ست من الهجرة، فآمن به وأسلم على يد جعفر ابن أبي طالب، وتوفي في رجب سنة تسع من الهجرة ونعاه النبي ﷺ يوم توفي وصلى عليه بالمدينة[2].

---

(١) انظر تفسير البغوي ٢/٤٧ [المائدة: ٨٢].

(٢) أخرجه أبو داوود كتاب الجنائز باب (٥٨) رقم الحديث (٣٢٠٤) وفي النسائي كتاب الجنائز ٤/٧٠ وفي التمهيد لابن عبد البر ٦/٣٢٥ وفي شرح السنة للبغوي ٥/٣٣٩ وفي السنن الكبرى للبيهقي ٤/٣٥.

وأما النجاشي الذي ولي بعده، وكتب له النبي ﷺ يدعوه إلى الإسلام فكان كافراً، لم يعرف إسلامه ولا اسمه. وقد خلط بعضهم ولم يميز بينهما.

وفي صحيح مسلم عن قتادة: أن نبي الله ﷺ كتب إلى كسرى وإلى قيصر وإلى النجاشي وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله، وليس بالنجاشي الذي صلى عليه(١).

وكتب ﷺ إلى المقوقس ملك مصر والإسكندرية واسمه جريج بن مينا(٢).

(بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد عبد الله ورسوله، إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فعليك إثم القبط، **﴿يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾** [آل عمران: ٦٤].

وبعث به مع حاطب بن أبي بلتعة، فتوجه إليه إلى مصر، فوجده بالإسكندرية، فذهب إليها، فرآه في مجلس مشرف على البحر، فركب سفينة إليه وحاذى مجلسه وأشار بالكتاب إليه، فلما رآه أمر بإحضاره بين يديه، فلما جيء به إليه، ووقف بين يديه، ونظر إلى الكتاب فضه وقرأه، وقال لحاطب: ما منعه إن كان نبياً أن يدعو علي فيسلط علي؟ فقال له حاطب: وما منع عيسى أن يدعو على من خالفه أن يسلط عليه؟ فاستعاد منه الكلام مرتين ثم سكت، فقال له حاطب: إنه كان قبلك رجل يزعم أنه الرب الأعلى، فأخذه الله نكال الآخرة والأولى. فانتقم به ثم انتقم منه، فاعتبر بغيرك، ولا يعتبر غيرك بك. فقال: إن لنا ديناً لن ندعه إلا لما هو خير منه.

فقال حاطب: ندعوك إلى دين الإسلام الكافي به الله فَقْدَ ما سواه، إن هذا النبي دعا الناس فكان أشدهم عليه قريش، وأعداهم له اليهود، وأقربهم منه النصارى، ولعمري ما بشارة موسى بعيسى إلا كبشارة عيسى بمحمد ﷺ، وما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلا كدعاء أهل التوراة إلى الإنجيل، وكل نبي أدرك قوماً فهم من أمته، فالحق عليهم أن يطيعوه، فأنت ممن أدرك هذا النبي، ولسنا ننهاك عن دين المسيح ولكنا نأمرك به. فقال المقوقس: إني قد نظرت في أمر هذا النبي، فوجدته لا يأمر بمزهود فيه، ولا ينهى عن مرغوب فيه، ولم أجده بالساحر الضال، ولا الكاهن الكاذب، ووجدت معه آلة النبوة بإخراج الخبء والإخبار بالنجوى وسأنظر.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجهاد رقم الحديث (٧٥).

(٢) انظر طبقات ابن سعد ١/ ٢٠٠ والبداية والنهاية ٤/ ٢٧١ وزاد المعاد ١/ ١٠٦.

فأخذ كتاب النبي ﷺ وجعله في حق من عاج ودفعه لجارية له، ثم دعا كاتباً له يكتب بالعربية، فكتب إلى النبي ﷺ:

بسم الله الرحمن الرحيم، لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط، أما بعد: فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعو إليه، وقد علمت أن نبياً قد بقي، وكنت أظن أن يخرج بالشام، وقد أكرمت رسولك وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان من القبط عظيم وبكسوة وأهديت إليك بغلة لتركبها والسلام. ولم يزد على هذا، ولم يسلم[1].

وكتب ﷺ إلى المنذر بن ساوى:[2]

ذكر الواقدي بإسناده عن عكرمة قال: وجدت هذا الكتاب في كتب ابن عباس بعد موته، فنسخته فإذا فيه:

بعث رسول الله ﷺ العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى وكتب إليه كتاباً يدعوه فيه إلى الإسلام. فكتب المنذر إلى رسول الله ﷺ: أما بعد، يا رسول الله فإني قد قرأت كتابك على أهل البحرين، فمنهم من أحب الإسلام وأعجبه ودخل فيه، ومنهم من كرهه، وبأرضي يهود ومجوس، فأحدث إلي في ذلك أمرك.

فكتب إليه رسول الله ﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى، سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. أما بعد، فإني أذكرك الله عز وجل، فإنه من ينصح فإنما ينصح لنفسه، وإنه من يطع رسلي ويتبع أمرهم فقد أطاعني، ومن نصح لهم فقد نصح لي، وإن رسلي قد أثنوا عليك خيراً، وإني قد شفعتك في قومك، فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه، وعفوت عن أهل الذنوب فاقبل منهم، وإنك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك، ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية.

وكتب ﷺ إلى ملكي عمان[3]، وبعثه مع عمرو بن العاص: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله إلى جيفر ـ بفتح الجيم وسكون التحتية بعدها فاء ـ وعبد ابني الجلندى: السلام على من اتبع الهدى، أما بعد: أدعوكما بدعاية الإسلام، أسلما تسلما، فإني رسول الله إلى الناس كافة، لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين، وإنكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما، وإن أبيتما أن تقرا بالإسلام فإن ملككما

---

(١) انظر المنتظم ٣/ ٢٧٤.

(٢) انظر طبقات ابن سعد ١/ ٢٠٢ و٢١١ وزاد المعاد ١/ ١٠٨ والمنتظم ٣/ ٣٤٠.

(٣) انظر طبقات ابن سعد ١/ ٢٠١ وزاد المعاد ١/ ١٠٨ والمنتظم ٤/ ٩.

زائل عنكما، وخيلي تحل بساحتكما، وتظهر نبوتي على ملككما. وكتب أبي بن كعب، وختم الكتاب.

قال عمرو: فخرجت حتى انتهيت إلى عمان، فلما قدمتها عمدت إلى عبد ـ وكان أحلم الرجلين وأسهلهما خلقاً ـ فقلت إني رسول رسول الله ﷺ إليك وإلى أخيك. فقال: أخي المقدم علي بالسن والملك، وأنا أوصلك إليه حتى تقرأ كتابك عليه.

ثم قال: وما تدعو إليه؟

قلت: أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، وتخلع ما عبد من دونه، وتشهد أن محمداً عبده ورسوله.

قال: يا عمرو إنك كنت ابن سيد قومك، فكيف صنع أبوك؟ فإن لنا فيه قدوة.

قلت: مات ولم يؤمن بمحمد ﷺ، وددت أنه كان أسلم وصدق به، وقد كنت على مثل رأيه حتى هداني الله للإسلام.

قال: فمتى تبعته؟ قلت: قريباً، فسألني: أين كان إسلامك؟

قلت: عند النجاشي، وأخبرته أن النجاشي قد أسلم.

قال: فكيف صنع قومه بملكه؟ قلت: أقروه واتبعوه.

قال: والأساقفة والرهبان تبعوه؟ قلت: نعم.

قال: انظر يا عمرو ما تقول، إنه ليس من خصلة في رجل أفضح له من كذب.

قلت: ما كذبت وما نستحله في ديننا.

ثم قال: فأخبرني ما الذي يأمر به وينهى عنه.

قلت: يأمر بطاعة الله عز وجل وينهى عن معصيته، ويأمر بالبر وصلة الرحم، وينهى عن الظلم والعدوان وعن الزنا وشرب الخمر وعن عبادة الحجر والوثن والصليب.

قال: ما أحسن هذا الذي يدعو إليه، ولو كان أخي يتابعني لزكبنا حتى نؤمن بمحمد ونصدق به، ولكن أخي أضن بملكه من أن يدعه ويصير ذنباً.

قلت: إن أسلم ملكه رسول الله ﷺ على قومه فأخذ الصدقة من غنيهم فردها على فقرائهم.

قال: إن هذا لخلق حسن. وما الصدقة؟

فأخبرته بما فرض رسول الله ﷺ من الصدقات في الأموال، حتى انتهيت إلى

الإبل، فقال: يا عمرو، يؤخذ من سوائم مواشينا التي ترعى الشجر وترد المياه؟ فقلت: نعم. قال: والله ما أرى قومي في بعد دارهم وكثرة عددهم يطيعون هذا.

قال: فمكثت ببابه أياماً وهو يصل إلى أخيه فيخبره كل خبري، ثم إنه دعاني يوماً فدخلت عليه فأخذ أعوانه بضبعي فقال: دعوه، فأرسلت، فذهبت لأجلس فأبوا أن يدعوني لأجلس فنظرت، فقال: تكلم بحاجتك فدفعت إليه الكتاب مختوماً، ففض ختمه وقرأه حتى انتهى إلى آخره. ثم دفعه إلى أخيه فقرأه مثل قراءته، إلا أني رأيت أخاه أرق منه، فقال: ألا تخبرني عن قريش كيف صنعت؟ فقلت: تبعوه إما راغب الدين وإما مقهور بالسيف، قال: ومن معه؟ قلت: الناس قد رغبوا في الإسلام واختاروه على غيره وعرفوا بعقولهم مع هدى الله أنهم كانوا في ضلال. فما أعلم أحداً بقي غيرك في هذه الحرجة، وإن لم تسلم اليوم وتتبعه يوطئك الخيل، فأسلم تسلم، ويستعملك على قومك، ولا تدخل عليك الخيل والرجال.

قال: دعني يومي هذا وارجع إلي غداً.

فرجعت إلى أخيه فقال: يا عمرو إني لأرجو أن يسلم إن لم يضن بملكه. حتى إذا كان الغد أتيت إليه فأبى أن يأذن لي، فانصرفت إلى أخيه، فأخبرته أني لم أصل إليه، فأوصلني إليه فقال: إني فكرت فيما دعوتني إليه فإذا أنا أضعف العرب إن ملكت رجلاً ما في يدي، وهو لا تبلغ خيله ها هنا، وإن بلغت خيله ألفت قتالاً ليس كقتال من لاقى.

قلت: وأنا خارج غداً، فلما أيقن بمخرجي، خلا به أخوه فأصبح فأرسل إلي فأجاب إلى الإسلام هو وأخوه جميعاً، وصدق النبي ﷺ، وخليا بيني وبين الصدقة وبين الحكم فيما بينهم، وكانا لي عوناً على من خالفني.

وكتب ﷺ إلى صاحب اليمامة هوذة بن علي [1]، وأرسل به سليط بن عمرو العامري:

(بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى هوذة بن علي، سلام على من اتبع الهدى، واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر، فأسلم تسلم، وأجعل لك ما تحت يدك).

فلما قدم عليه سليط بكتاب رسول الله ﷺ مختوماً، أنزله وحباه واقترأ عليه الكتاب، فرد رداً دون رد وكتب إلى النبي ﷺ: ما أحسن ما تدعو إليه وأجله، والعرب تهاب مكاني فاجعل إلي بعض الأمر أتبعك. وأجاز سليطاً بجائزة وكساه أثواباً من نسج هجر.

---

(١) انظر زاد المعاد ١/١٠٧ وطبقات ابن سعد ١/٢٠٩ والمنتظم ٣/ ٢٩٠.

فقدم بذلك على النبي ﷺ فأخبره، وقرأ النبي ﷺ كتابه وقال: لو سألني سَيابة من الأرض ما فعلت. باد، وباد ما في يديه.

فلما انصرف النبي ﷺ من الفتح جاءه جبريل عليه السلام بأن هوذة مات، فقال ﷺ: «**أما إن اليمامة سيظهر بها كذاب يتنبأ، يقتل بعدي**»(١) فكان كذلك.

وكتب ﷺ إلى الحارث بن أبي شمر الغساني(٢)، وكان بدمشق، بغوطتها:

(بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى الحارث بن أبي شمر، سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله وصدق، فإني أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له، يبقى لك ملكك). وأرسله مع شجاع بن وهب.

قال صاحب «باعث النفوس»: روي عن أبي هند الداري قال:(٣) قدمنا على رسول الله ﷺ ونحن ستة نفر: تميم بن أوس الداري، وأخوه نعيم، ويزيد بن قيس، وأبو عبد الله ابن عبد الله ـ وهو صاحب الحديث ـ وأخوه الطيب بن عبد الله فسماه النبي ﷺ عبد الرحمن، وفاكه بن النعمان، فأسلمنا وسألنا رسول الله ﷺ أن يقطعنا أرضاً من أرض الشام، فقال: ﷺ «**سلوا حيث شئتم**» قال أبو هند فنهضنا من عنده ﷺ إلى موضع نتشاور فيه: أين نسأل.

فقال تميم: أرى أن نسأله بيت القدس وكورتها، فقال أبو هند: رأيت ملك العجم اليوم، أليس هو بيت المقدس، قال تميم: نعم، فقال أبو هند: فكذلك يكون فيه ملك العرب، وأخاف أن لا يتم لنا هذا. قال تميم: نسأله بيت جيرون وكورتها، فقال أبو هند: أكبر وأكبر، فقال تميم: فأين ترى أن نسأل؟ قال: أرى أن نسأله القرى التي نصنع فيها حصوناً مع ما فهيا من آثار إبراهيم عليه السلام، فقال تميم: أصبت ووفقت.

قال: فنهضنا إلى رسول الله ﷺ فقال: **يا تميم أتحب أن تخبرني بما كنتم فيه، أو أخبركم**» فقال تميم: بل تخبرنا يا رسول الله فنزداد إيماناً، فقال عليه السلام: أردت يا تميم أمراً، وأراد أبو هند غيره، ونعم الرأي رأي أبي هند، فدعا رسول الله ﷺ بقطعة من أدم، وكتب لهما فيها كتاباً نسخته:

(بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب ذكر فيه ما وهب رسول الله ﷺ للداريين إذا

---

(١) ذكره الزيلعي في نصب الراية ٤/ ٤٢٥.

(٢) انظر طبقات ابن سعد ١/ ٢٠٠ وزاد المعاد ١/ ١٠٧ والبداية والنهاية ٤/ ٢٦٧ وفيه أنه المنذر بن الحارث بن أبي شمر وفي المنتظم ٣/ ٢٨٩.

(٣) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/ ٨ وانظر المنتظم ٣/ ٣٥٦.

أعطاه الله الأرض، وهب لهم بيت عينون وحبرون والمرطوم وبيت إبراهيم ومن فيهم إلى أبد الأبد) شهد عباس بـن عبد المطلب وخزيمة بن قيس، وشرحبيل بن حسنة وكتب.

قال: ثم دخل بالكتاب إلى منزله فعالج في زاوية الرقعة بشيء لا يعرف، وعقد من خارج الرقعة بسير عقدتين، وخرج به إلينا مطوياً وهو يقول: ﴿**إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين**﴾ [آل عمران: ٦٨] ثم قال: انصرفوا حتى تسمعوا أني قد هاجرت.

قال أبو هند: فانصرفنا، فلما هاجر ﷺ إلى المدينة قدمنا عليه وسألناه أن يجدد لنا كتاباً آخر، فكتب لنا كتاباً آخر نسخته.

(بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ما أنطى محمد رسول الله لتميم الداري وأصحابه، إني أنطيتكم بيت عينون وحبرون والمرطوم وبيت إبراهيم برمتهم وجميع ما فيهم نطية بت ونفذت وسلمت ذلك لهم ولأعقابهم أبد الأبد، فمن آذاهم فيه آذاه الله)[١] شهد أبو بكر بن أبي قحافة وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان وكتب.

فلما قبض رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر رضي الله عنه وجند الجنود إلى الشام كتب كتاباً نسخته: بسم الله الرحمن الرحيم. من أبي بكر الصديق إلى أبي عبيدة بن الجراح، سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد: فامنع من كان يؤمن بالله واليوم الآخر من الفساد في قرى الداريين، وإن كان أهلها قد جلوا عنها وأراد الداريون يزرعونها فليزرعوها بلا خراج وإذا رجع إليها أهلها فهي لهم وأحق بهم والسلام عليك انتهى. نقل من كتاب الأخصا بفضائل المسجد الأقصى.

وكتب ﷺ ليوحنة بن رؤبة صاحب أيلة[٢] لما أتاه بتبوك، وصالح رسول الله ﷺ وأعطاه الجزية:

بسم الله الرحمن الرحيم. هذه أمنة من الله ومحمد النبي رسول الله ليوحنة بن رؤبة وأهل أيلة أساقفتهم وسائرهم في البر والبحر، لهم ذمة الله وذمة النبي ومن كان معه من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر، فمن أحدث منهم حدثاً فإنه لا يحول ماله دون نفسه، وإنه طيب لمن أخذه من الناس، وإنه لا يحل أن يمنعوا ماء يردونه، ولا طريقاً يريدونه من بر أو بحر. هذا كتاب جهيم بن الصلت وشرحبيل ابن حسنة بإذن رسول الله ﷺ.

---

(١) ذكره ابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق ٣/ ٣٥٤ و١٠/ ٤٦٥.

(٢) انظر البداية والنهاية ٥/ ١٥ وطبقات ابن سعد ١/ ٢١٢.

وكتب ﷺ لأهل جربا وأذرح لما أتوه بتبوك أيضاً وأعطوه الجزية:

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من محمد النبي رسول الله لأهل أذرح وجربا أنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد. وإن عليهم مائة دينار في كل رجب وافية طيبة، والله كفيل عليهم بالنصح والإحسان إلى المسلمين، ومن لجأ إليهم من المسلمين من المخافة[1].

وعن حسين بن عبد الله بن ضميرة عن أبيه عن جده ضميرة أن رسول الله ﷺ مرَّ بأم ضميرة وهي تبكي، فقال «**ما يبكيك أجائعة أنت أم عارية أنت؟**» فقالت: يا رسول الله فرق بيني وبين ابني فقال رسول الله ﷺ: «**لا يفرق بين الوالدة وولدها**» ثم أرسل إلى الذي عنده ضميرة فدعاه فابتاعه منه ببكر قال ابن أبي ذؤيب ثم أقرأني كتاباً عنده: بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من محمد رسول الله لأبي ضميرة وأهل بيته، أن رسول الله أعتقهم وأنهم أهل بيت من العرب، إن أحبوا أقاموا عند رسول الله وإن أحبوا رجعوا إلى قومهم فلا يعرض لهم إلا بحق، ومن لقيهم من المسلمين فليستوص بهم خيراً. وكتب أبي بن كعب[2].

وكتب ﷺ كتاباً إلى أهل وج[3]، سيأتي في وفد ثقيف في الفصل العاشر من هذا المقصد إن شاء الله تعالى.

وكذا كتابه ﷺ إلى مسيلمة الكذاب[4] في وفد بني حنيفة.

وكتب ﷺ لأكيدر ولأهل دومة الجندل لما صالحه[5]:

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من محمد رسول الله لأكيدر ولأهل دومة، إن لنا الضاحية من الضحل، والبور والمعامي وأغفال الأرض، والحلقة والسلاح والحافر والحصن، ولكم الضامنة من النخل، والمعين من المعمور، لا تعدل سارحتكم، ولا تعدُّ فاردتكم، ولا يحصر عليكم النبات، تقيمون الصلاة لوقتها وتؤتون الزكاة بحقها، عليكم بذلك حق الله والميثاق، ولكم به الصدق والوفاء. شهد الله ومن حضر من المسلمين[6].

والضاحي: البارز الظاهر. والضحل: الماء القليل. البور: الأرض تستخرج.

---

(١) انظر البداية والنهاية ٥/ ١٥ وطبقات ابن سعد ١/ ٢٢١.

(٢) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٤/ ١٠٧ وفي السنن الكبرى للبيهقي ٩/ ١٢٦.

(٣) انظر البداية والنهاية ٥/ ٣٠ وطبقات ابن سعد ١/ ٢١٧.

(٣) انظر زاد المعاد ١/ ١٠٨ وطبقات ابن سعد ١/ ٢٠٩ والبداية والنهاية ٥/ ٤٧.

(٥) انظر البداية والنهاية ٥/ ١٦ والمنتظم ٣/ ٣٦٤.

(٦) انظر طبقات ابن سعد ١/ ٢٢٠.

والمعامي: أعفال الأرض. والحصن: دومة الجندل. والضامنة: النخل الذي معهم في الحصن. والمعين: الظاهر من الماء الدائم.

وباع ﷺ للعداء عبداً وكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما اشترى العداء بن خالد بن هوذة من محمد رسول الله، اشترى عبداً أو أمة ـ شك الراوي ـ لا داء ولا غائلة ولا خبثة، بيع المسلم للمسلم (1). رواه أبو داود والدارقطني.

والغائلة: الإباق والسرقة والزنا. الخبثة: قال ابن أبي عروبة: بيع غير أهل المسلمين.

وكان إسلام العداء بعد فتح خيبر، وهذا يدل على مشروعية الإشهاد في المعاملات قال الله تعالى: ﴿**وأشهدوا إذا تبايعتم**﴾ [البقرة: ٢٨٢] والأمر هنا ليس للوجوب. فقد باع ﷺ ولم يشهد، واشترى ورهن درعه عند يهودي ولم يشهد، ولو كان الإشهاد أمراً واجباً لوجب مع الرهن خوف المنازعة والله أعلم.

وأما أمراؤه عليه الصلاة والسلام (2):

فمنهم: باذان بن ساسان من ولد بهرام، أمره ﷺ على اليمن، وهو أول أمير في الإسلام على اليمن، وأول من أسلم من ملوك العجم (3).

وأمر ﷺ على صنعاء خالد بن سعيد. وولى زياد بن لبيد الأنصاري حضرموت. وولى أبا موسى الأشعري زبيد وعدن. وولى معاذ بن جبل الجند. وولى أبا سفيان بن حرب نجران. وولى ابنه يزيد تيماء.

وولى عتّاب ـ بفتح المهملة وتشديد المثناة الفوقية ـ ابن أسيد ـ بفتح الهمزة وكسر السين ـ مكة، وإقامة الموسم والحج بالمسلمين سنة ثمان. وولى علي بن أبي طالب القضاء باليمن. وولى عمرو بن العاص عمان وأعمالها. وولى أبا بكر الصديق إقامة الحج سنة تسع، وبعث في أثره علياً، فقرأ على الناس براءة، فقيل: لأن أولها نزل بعد أن خرج أبو بكر إلى الحج، وقيل أردفه به عوناً له ومساعداً، ولهذا قال له الصديق: أمير أو مأمور؟ قال: بل مأمور، وأما الرافضة فقالوا: بل عزله، وهذا لا يبعد من بهتهم

---

(1) أخرجه الترمذي كتاب البيوع باب (٨) رقم الحديث (١٢١٦) وفي ابن ماجه كتاب التجارات باب (٤٧) رقم الحديث (٢٢٥١) وفي سنن الدارقطني ٣/ ٧٧ وفي السنن الكبرى للبيهقي ٥/ ٣٢٨ وفي طبقات ابن سعد ٧/ ٣٧ وفي مشكاة المصابيح للتبريزي (٢٨٨٢).

(2) انظر زاد المعاد ١/ ١١٠.

(3) انظر المنتظم ٤/ ١٣ رقم الترجمة (١٣١).

وافترائهم. وقد ولى ﷺ على الصدقات جماعة كثيرة.

وأما رسله ﷺ[1]، فقد روي أنه عليه السلام بعث ستة نفر قي يوم واحد، في المحرم سنة سبع. وذكر القاضي عياض في الشفاء مما عزاه للواقدي: أنه أصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعثه إليهم. انتهى.

وكان أول رسول بعثه ﷺ عمرو بن أمية الضمري، إلى النجاشي ملك الحبشة، وكتب إليه كتابين يدعوه في أحدهما إلى الإسلام ويتلو عليه القرآن، فأخذه النجاشي ووضعه على عينيه ونزل عن سريره، فجلس على الأرض ثم أسلم وشهد شهادة الحق وقال: لو كنت أستطيع أن آتيه لأتيته. وفي الكتاب الآخر أن يزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان، فزوجه إياها كما تقدم في ذكر الأزواج، ودعا بحق من عاج فجعل فيه كتابي رسول الله ﷺ وقال: «**لن تزال الحبشة بخير ما كان هذان الكتابان بين أظهرهم**» وصلى عليه النبي ﷺ وهو بالحبشة كذا قاله الواقدي وغيره.

وليس كذلك، فإن النجاشي الذي صلى عليه رسول الله ﷺ ليس هو الذي كتب إليه، كما قدمته.

وبعث ﷺ دحية بن خليفة الكلبي[2] ـ وهو أحد الستة ـ إلى قيصر ملك الروم، واسمه هرقل يدعوه إلى الإسلام، فهمَّ بالإسلام فلم توافقه الروم فخافهم على ملكه فأمسك.

وبعث عبد الله السهمي إلى كسرى وهو الثالث.

وبعث الرابع وهو حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس فأكرمه، وبعث إلى النبي ﷺ بجاريتين وكسوة وبغلة ولم يسلم.

وبعث الخامس وهو شجاع بن وهب الأسدي إلى ملك البلقاء الحارث بن أبي شمر الغساني.

وبعث السادس وهو سليط بن عمرو العامري إلى هوذة وإلى ثمامة بن أثال الحنفي فأسلم ثمامة.

وبعث عمرو بن العاص في ذي القعدة سنة ثمان إلى جيفر وعبد ابني الجلندى بعمان فأسلما وصدقا.

---

(١) انظر طبقات ابن سعد ١/ ١٩٨.

(٢) انظر الإصابة في تمييز الصحابة ٢/ ١٦١ رقم الترجمة (٢٣٨٦).

وبعث العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى بن العبدي ملك البحرين قبل منصرفه من الجعرانة ـ وقيل قبل الفتح ـ فأسلم وصدق.

وبعث المهاجر بن أبي أمية المخزومي إلى الحارث بن عبد كلال الحميري باليمن، فقال سأنظر في أمري.

وبعث أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل إلى اليمن عند انصرافه من تبوك سنة عشر في ربيع الأول داعيين إلى الإسلام، فأسلم غالب أهلها من غير قتال. ثم بعث علي بن أبي طالب بعد ذلك إليهم ووافاه بمكة في حجة الوداع.

وبعث جرير بن عبد الله البجلي إلى ذي الكلاع وذي عمرو يدعوهم إلى الإسلام، فأسلما وتوفي ﷺ وجرير عندهم.

وبعث عمرو بن أمية الضمري إلى مسيلمة الكذاب بكتاب.

وبعث إلى فروة بن عمرو الجذامي ـ وكان عاملاً لقيصر ـ يدعوه إلى الإسلام فأسلم، وكتب إلى النبي ﷺ بإسلامه، وبعث إليه بهدية مع مسعود بن سعد، وهي: بغلة شهباء، يقال لها فضة، وفرس يقال له الظرب، وحمار يقال له يعفور، وبعث إليه أثواباً وقباء سندسياً مذهباً، فقبل هديته ووهب لمسعود بن سعد اثني عشر أوقية.

وبعث المصدقين لأخذ الصدقات هلال المحرم سنة تسع:

فبعث عيينة بن حصن الفزاري إلى بني تميم. وبعث بريدة ـ ويقال كعب بن مالك ـ إلى أسلم وغفار. وبعث عباد بن بشر إلى سليم ومزينة. وبعث رافع بن مكيث إلى جهينة. وبعث عمرو بن العاص إلى فزارة. وبعث الضحاك بن سفيان إلى بني كلاب. وبعث بشر بن سفيان الكعبي ـ ويقال النحام العدوي ـ إلى بني كعب.

وبعث عبد الله بن اللتبية إلى ذبيان. وبعث رجلاً من سعد هذيم إلى قومه.

في مؤذنيه[1] وخطبائه وحداته وشعرائه

أما **مؤذنوه** فأربعة: اثنان بالمدينة:

بلال بن رباح، وأمه حمامة، مولى أبي بكر الصديق، .وهو أول من أذن لرسول الله ﷺ، ولم يؤذن بعده لأحد من الخلفاء، إلا أن عمر لما قدم الشام حين فتحها أذن بلال، فتذكر الناس رسول الله ﷺ، قال أسلم ـ مولى عمر ـ فلم أر باكياً أكثر من يومئذٍ، وتوفي بلال سنة سبع عشرة، أو ثمان عشرة، أو عشرين بداريا بباب كيسان، وله بضع وستون سنة، وقيل دفن بحلب، وقيل بدمشق. وعمرو بن أم مكتوم القرشي الأعمى، وهاجر إلى المدينة قبل النبي ﷺ.

وأذن له عليه السلام بقباء، سعد بن عائذ أو ابن عبد الرحمن المعروف بسعد القرظ وبالقرظي، مولى عمار، بقي إلى ولاية الحجاج على الحجاز، وذلك سنة أربع وسبعين.

وبمكة أبو محذورة، واسمه أوس الجمحي المكي، أبوه: معير ـ بكسر الميم وسكون المهملة وفتح التحتانية ـ مات بمكة سنة تسع وخمسين، وقيل تأخر بعد ذلك.

وكان منهم من يرجع الأذان ويثني الإقامة، وبلال لا يرجع ويفرد الإقامة، فأخذ الشافعي بإقامة بلال، وأهل مكة أخذوا بأذان أبي محذورة وإقامة بلال. وأخذ أبو حنيفة وأهل العراق بأذان بلال وإقامة أبي محذورة، وأخذ أحمد وأهل المدينة بأذان بلال وإقامته، وخالفهم مالك في موضعين: إعادة التكبير وتثنية لفظ الإقامة.

وأما **شعراؤه** ﷺ الذين يذبون عن الإسلام:

فكعب بن مالك. وعبد الله بن رواحة الخزرجي الأنصاري. وحسان بن ثابت بن المنذر بن عمرو بن حرام الأنصاري، دعا له ﷺ فقال: **«اللهم أيده بروح القدس»**[2]

---

(١) انظر زاد المعاد ١/١٠٩.

(٢) أخرجه البخاري. كتاب بدء الخلق باب (٦) رقم الحديث (٣٢١٢ ـ ٦١٥٢). وفي صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة رقم الحديث (١٥١ ـ ١٥٢). وفي النسائي كتاب المساجد رقم الحديث (٢٤) =

فيقال: أعانه جبريل بسبعين بيتاً، وفي الحديث «**إن جبريل مع حسان ما نافح عني**»[1] وهو بالحاء المهملة أي دافع، والمراد هجاء المشركين ومجاوبتهم على أشعارهم.

وعاش مائة وعشرين سنة، ستين في الجاهلية وستين في الإسلام، وكذا عاش أبوه ثابت، وجده المنذر، وجد أبيه حرام، كل واحد منهم عاش مائة وعشرين سنة، وتوفي حسان سنة أربع وخمسين.

ولما جاءه ﷺ بنو تميم، وشاعرهم الأقرع بن حابس، فنادوه يا محمد اخرج إلينا نفاخرك ونشاعرك، فإن مدحنا زين وذمنا شين. فلم يزد ﷺ على أن قال: «**ذاك الله إذا مدح زان وإذا ذم شان، إني لم أبعث بالشعر، ولم أومر بالفخر، ولكن هاتوا**» فأمر عليه السلام ثابت بن قيس أن يجيب خطيبهم فخطب فغلبهم. فقام الأقرع بن حابس شاعرهم فقال:

أتيناك كيما يعرف الناس فضلنا ... إذا خالفونا عند ذكر المكارم

وأنا رؤوس الناس في كل معشر ... وإن ليس في أرض الحجاز كدارم[2]

فأمر ﷺ حساناً يجيبهم فقام فقال:

بني دارم لا تفخروا إن فخركم ... يعود وبالاً عند ذكر المكارم

هبلتم علينا تفخرون وأنتم ... لنا خول ما بين قن وخادم[3]

وكان أول من أسلم شاعرهم.

وكان أشد شعرائه ﷺ على الكفار حسان وكعب. ولما رجع ﷺ من تبوك وفد عليه وفد همدان، وعليهم مقطعات الحبرات ـ الخز ـ والعمائم العدنية، جعل ملك بن النمط يرتجز بين يديه ﷺ.

= والإمام أحمد بن حنبل في مسنده ٥/ ٢٢٢. وفي إتحاف السادة المتقين ٦/ ٥٠٧. وفي المعجم الصغير للطبراني ٢/ ٤ وفي الدر المنثور ٥/ ١٠٠.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة رقم الحديث (١٥٧). وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل ٤/ ٢٩٩، ٣٠٣ وفي السنن الكبرى للبيهقي ١٠/ ٢٣٨. وفي دلائل النبوة للبيهقي ٥/ ٥١. وفي المعجم الكبير للطبراني ٤/ ٤٥ وفي مشكاة المصابيح للتبريزي (٤٧٩١). وفي كنز العمال (٣٣٢٤٦ ـ ٣٦٩٥٧).

(٢) انظر السيرة لابن هشام ٤/ ٢١١ ونسبه للزبرقان بن بدر المتوفي سنة (٤٥ هـ).

(٣) المصدر السابق ٤/ ٢١٢ وبعده:

فإن كنتم جئتم لحقن دماءكم ... وأموالكم أن تقسموا في المقاسم

فلا تجعلوا لله نداً وأسلموا ... ولا تلبسوا زياً كزي الأعاجم

وكان خطيبه ﷺ ثابت بن قيس بن شماس ـ بمعجمة وميم مشددة وآخره مهملة ـ وهو خزرجي، شهد له النبي ﷺ بالجنة، وكان خطيبه وخطيب الأنصار، واستشهد يوم اليمامة سنة اثنتي عشرة.

وكان يحدو بين يديه ﷺ في السفر عبد الله بن رواحة، وفي رواية الترمذي في الشمائل عن أنس أنه ﷺ دخل مكة في عمرة القضية وابن رواحة يمشي بين يديه ويقول:

خلوا بني الكفار عن سبيله اليوم نضربكم على تنزيله
ضرباً يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله[1]

وقد تقدم مزيد لهذا في عمرة القضية والله أعلم.

وعامر بن الأكوع ـ بفتح الهمزة وسكون الكاف وفتح الواو وبالعين المهملة ـ وهو عم سلمة بن الأكوع، استشهد يوم خيبر، ومرت قصته في غزوتها.

وأنشجة، العبد الأسود ـ وهو بفتح الهمزة وسكون النون وفتح الجيم وبالشين المعجمة ـ وكان حسن الحداء. قال أنس: كان البراء بن مالك يحدو بالرجال وأنجشة يحدو بالنساء. وقد كان يحدو وينشد القريض والرجز. فقال له ﷺ ـ كما في رواية البراء ابن مالك ـ: «**عبد رويدك رفقاً بالقوارير**»[2] أي النساء.

فشبههن بالقوارير من الزجاج، لأنه يسرع إليها الكسر، فلم يأمن ﷺ أن يصيبهن أو يقع في قلوبهن حداؤه فأمره بالكف عن ذلك. وفي المثل: الغناء رقية الزنا. وقيل أراد أن الإبل إذا سمعت الحداء أسرعت في المشي واشتدت فأزعجت الراكب وأتعبته، فنهاه عن ذلك لأن النساء يضعفن عن شدة الحركة.

---

(١) انظر فتح الباري ٧/ ٦٣٧ رقم (٤٢٥١).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب باب (٩٠) رقم الحديث (٦١٤٩ ـ ٦١٦١ ـ ٦٢٠٢ ـ ٦٢١٠) وفي مسلم كتاب الفضائل رقم الحديث (٧٠) وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل ٦/ ٣٧٦ وفي إتحاف السادة المتقين ٦/ ٤٨٢ وفي مشكاة المصابيح للتبريزي (٤٨٠٧) وفي السنن الكبرى للبيهقي ١٠/ ٢٢٧ وفي تاريخ بغداد ١٢/ ٢٠٨.

في آلات حروبه ﷺ كدروعه وأقواسه ومنطقته وأتراسه[1]

أما أسيافه ﷺ فكان له تسعة أسياف:

مأثور، وهو أول سيف ملكه ﷺ وهو الذي يقال إنه قدم به إلى المدينة في الهجرة.

والعَضْب، أرسله إليه سعد بن عبادة حين سار إلى بدر.

وذو الفقار[2]، لأنه كان في وسطه مثل فقرات الظهر، ويجوز في «فائه» الفتح والكسر، وصار إليه يوم بدر، وكان للعاصي بن منبه، وكان هذا السيف لا يفارقه ﷺ يكون معه في كل حرب يشهدها، وكانت قائمته وقبيعته وحلقته وذؤابته وبكراته ونعله من فضة.

والقلعي، بضم الفاء وفتح اللام، وهو الذي أصابه من قلع، موضع بالبادية.

والبتار، أي القاطع.

والحتف، وهو الموت.

والمخذم، وهو القاطع.

والرسوب، أي يمضي في الضريبة ويغيب فيها، وهو فعول من رسب يرسب إذا ذهب إلى أسفل وإذا ثبت.

أصابهما من الفلس ـ بضم الفاء وإسكان اللام ـ صنم كان لطيء.

والقضيب.

وأما أدراعه فسبعة:

---

(١) انظر زاد المعاد ١/١١٥ والبداية والنهاية ٦/٣ وطبقات ابن سعد ١/٣٧٦.

(٢) وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل ١/٢٧١ قال: عن ابن عباس قال: تنفل رسول الله ﷺ سيفه ذا الفقار يوم بدر، وهو الذي رأى الرؤيا يوم أحد الحديث.

ذات الفضول، بالضاد المعجمة، لطولها، أرسل بها إليه سعد ابن عبادة حين سار إلى بدر، وكانت من حديد، وهي التي رهنها عند أبي الشحم اليهودي على شعير، وكان ثلاثين صاعاً، وكان الدين إلى سنة[1].

وذات الوشاح.

وذات الحواشي.

والسعدية، ويقال بالغين المعجمة، وهي درع عكبر القينقاعي، قيل وهي درع داود عليه السلام التي لبسها حين قتل جالوت.

وفضة وكان قد أصابهما من بني قينقاع.

والبتراء، لقصرها.

والخرنق، باسم ولد الأرنب. وكان عليه ﷺ يوم أحد درعان، ذات الفضول وفضة[2]. وكان عليه ﷺ يوم حنين درعان: ذات الفضول والسعدية[3].

وأما أقواسه ﷺ فكانت ستة: الزوراء، وثلاث من سلاح بني قينقاع، قوس تدعى الروحاء، وقوس تدعى الصفراء، وشوحط، والكتوم كسرت يوم أحد فأخذها قتادة، والسداد.

وكانت له جعبة تدعى الكافور، وكانت له منطقة من أديم فيها ثلاث حلق من فضة، والإبزيم من فضة، والطرف من فضة.

وأما أتراسه، فكان له ﷺ ترس اسمه: الزلوق، يزلق عنه السلاح، وترس يقال له الفتق، وترس أهدي إليه، فيه صورة تمثال عقاب أو كبش، فوضع يده عليه فأذهب الله ذلك التمثال[4].

وأما أرماحه ﷺ، فالمثوي: قال ابن الأثير سمي به لأنه يثبت المطعون به، من الثوى وهو الإقامة. انتهى. والمثنَى، ورمحان آخران.

وكانت له ﷺ حربة كبيرة اسمها البيضاء، وكانت له عليه السلام حربة أخرى

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد باب (٨٩) رقم الحديث (٢٩١٦ ـ ٤٤٦٧). وفي الترمذي كتاب البيوع باب (٧) رقم الحديث (١٢١٤) وفي ابن ماجه كتاب الرهون باب (١) رقم الحديث (٢٤٣٧) ٢٤٣٦ ـ ٢٤٣٨ ـ (٢٤٣٩).

(٢) أخرجه ابن سعد في طبقاته عن محمد بن مسلمة ١/ ٣٧٨.

(٣) المصدر السابق ١/ ٣٧٨.

(٤) انظر طبقات ابن سعد ١/ ٣٧٩.

صغيرة دون الرمح شبه العكاز، يقال لها العنزة، وكانت تركز أمامه ويصلي إليها. وكان له ﷺ مغفر من حديد يسمى السبوغ، أو ذا السبوغ، وآخر يسمى الموشح.

تكميل:

وكان له ﷺ فسطاط يسمى الكن. وكان له محجن قدر ذراع أو أكثر يمشي ويركب به ويعلقه بين يديه على بعيرة. وكانت له مخصرة تسمى العرجون، وقضيب من الشوحط يسمى الممشوق. وكان له قدح يسمى الريان، وآخر يسمى مغيثاً، وآخر مضبب بسلسلة من فضة في ثلاث مواضع، وآخر من عيدان، وآخر من زجاج. وتور من حجارة يسمى المخضب، وركوة تسمى الصادرة، ومخضب من نحاس، ومغتسل من صفر، ومدهن وربعة اسكندرانية يجعل فيها المرآة، ومشط من عاج - وهو الذبل - والمكحلة يكتحل منها عند النوم ثلاثاً في كل عين، وكان له في الربعة أيضاً المقراض والسواك. وهذا الربعة أهداها له المقوقس صاحب الإسكندرية مع مارية أم إبراهيم عليه السلام.

وكانت له قصعة تسمى الغراء، بأربع حلق، وصاع، ومد. وقطيفة وسرير قوائمه من ساج، وفراش من أدم حشوه ليف. وخاتم من حديد، ملوي بفضة، وخاتم فضة، فصه منه، يجعله في يمينه، وقيل: كان أولاً في يمينه ثم حوله إلى يساره، منقوش عليه: محمد رسول الله. وأهدى له النجاشي خفين ساذجين فلبسهما.

وكان له ثلاث جباب يلبسهن في الحرب، جبة سندس أخضر، وجبة طيالسة. وعمامة يقال لها السحاب، وأخرى سوداء، ورداء، صلوات الله وسلامه عليه.

في ذكر خيله ﷺ ولقاحه ودوابه[1]

أما خيله ﷺ: فالسكب، يقال: فرس سكب أي: كثير الجري كأنما يصب جريه صباً، وأصله من سكب الماء يسكب، وهو أول فرس ملكه، اشتراه عليه السلام بعشرة أواق، وكان أغر محجلاً طلق اليمين، كميتاً، وقال ابن الأثير: كان أدهم.

والمرتجز ـ بضم الميم وسكون الراء وفتح التاء وكسر الجيم بعدها زاي ـ سمي به لحسن صهيله، مأخوذ من الرجز الذي هو ضرب من الشعر، وكان أبيض، وهو الذي شهد له فيه خزيمة بن ثابت، فجعل شهادته بشهادة رجلين[2].

والظرب ـ بالظاء المعجمة ـ واحد الظراب، سمي به لكبره وسمنه، وقيل لقوته وصلابة حافره، أهداها له فروة بن عمرو الجذامي.

واللحيف ـ بالمهملة ـ أهداها له ربيعة بن البراء، سمي به لسمنه وكبره، كأنه يلحف الأرض أي يغطيها بذنبه لطوله، فعيل بمعنى فاعل، يقال لحفت الرجل باللحاف: طرحته عليه، ويروىٰ بالجيم وبالخاء المعجمة، رواه البخاري ولم يتحققه، والمعروف بالحاء المهملة، قاله في النهاية.

واللزاز، سمي به لشدة تلزه، أو لاجتماع خلقه. ولزبه الشيء أي لزق به، كأنه يلتزق بالمطلوب لسرعته، وهذه أهداها له المقوقس.

والورد، قال ابن سعد: أهداها له تميم الداري، فأعطاه عمر فحمل عليه في سبيل

---

(١) انظر زاد المعاد ١/ ١١٩ والبداية والنهاية ٦/ ٩ وطبقات ابن سعد ١/ ٣٨٠.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الأقضية باب (٢٠) رقم الحديث (٣٦٠٧) وفي البخاري كتاب التفسير باب (٣) رقم الحديث (٤٧٨٤). وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل ٥/ ١٨٨ ـ ٢١٦ وفي مستدرك الحاكم ٢/ ١٨ وفي السنن الكبرى للبيهقي ١٠/ ١٤٦ وفي المعجم الكبير للطبراني ٤/ ١٠١ وفي مجمع الزوائد للهيثمي ٩/ ٢٢٠ وفي تاريخ ابن عساكر ٥/ ١٣٦ وفي كشف الخفا للعجلوني ٢/ ١٩ وفي كنز العمال (٣٧٠٣٨).

الله، ثم وجده يباع برخص فقال: «لا تشتره».

وسبحة، بالموحدة، من قولهم: فرس سابح إذا كان حسن مد اليدين في الجري. قال ابن بنين. هي فرس شقراء اشتراها من أعرابي من جهينة بعشر من الإبل.

فهذه سبعة متفق عليها:

وذكر ابن بنين فميا حكاه الحافظ الدمياطي: البحر، في خيله ﷺ، قال: وكان اشتراه من تجار قدموا من اليمن، فسبق عليه مرات، فجثا ﷺ على ركبتيه ومسح وجهه وقال « ما أنت إلا بحر» فسمي بحراً. قال ابن الأثير: وكان كميتاً وكان سرجه دفتان من ليف.

والسجل، بكسر السين وسكون الجيم، ذكره علي بن محمد بن الحسين بن عبدوس الكوفي، ولعله مأخوذ من قولك سجلت الماء فانسجل، أي صببته فانصب.

وذو اللمة ـ بكسر اللام وتشديد الميم ـ ذكره ابن حبيب[1].

وذو العقال بضم العين المهملة وتشديد القاف، وحكى بعضهم تخفيفها.

والسرحان ـ بكسر المهملة وسكون الراء ـ ذكره ابن خالويه.

والطرف ـ بكسر الطاء المهملة وسكون الراء بعدها فاء ـ ذكره ابن قتيبة في المعارف، وذكر في رواية أنه الذي اشتراه من الأعرابي وشهد له به خزيمة بن ثابت.

والمرتجل ـ بكسر الجيم ـ ذكره ابن خالويه، من قولهم ارتجل الفرس ارتجالاً، إذا خلط العنق بشيء من الهملجة.

والمرواح، ـ بكسر الميم ـ من أبنية المبالغة ـ كالمطعام ـ مشتق من الريح، أو من الرواح لتوسعه في الجري، أهداها له قوم من مذحج، ذكره ابن سعد.

وملاوح، ـ بضم الميم وكسر الواو ـ ذكره ابن خالويه.

والمندوب، ذكره بعضهم في خيله ﷺ.

والنجيب، ذكره ابن قتيبة، وأن في رواية: أنه الذي اشتراه من الأعرابي وشهد له به خزيمة.

---

(١) هو محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو والهاشمي بالولاء أبو جعفر البغدادي. عالم بالانساب والأخبار واللغة والشعر. توفي بسامراء سنة (٢٤٥ هـ). الأعلام ٦/ ٧٨ ومعجم الأدباء ٥/ ٢٨٦ رقم الترجمة (٨٤٣) تاريخ بغداد ٢/ ٢٧٧ بغية الوعاة (٢٩) والفهرست لابن النديم (١٠٦) واللباب ٣/ ١٠٤.

واليعبوب واليعسوب ذكرهما قاسم بن ثابت في كتاب الدلائل، وكان سرجه دفتان من ليف.

وكان له ﷺ من البغال:

دلدل: بدالين مهملتين، وكانت شهباء أهداها له المقوقس.

وفضة: أهداها له فروة بن عمرو الجذامي.

وأخرى: أهداها له ابن العلماء، صاحب أيلة. وأخرى من دومة الجندل، وأخرى من عند النجاشي.

قيل: وأهدى له كسرى بغلة أخرى، وفي ذلك نظر، لأن كسرى مزق كتابه ﷺ.

وكان له ﷺ من الحمير: عفير، أهداه له المقوقس، ويعفور، أهداه له فروة بن عمرو، ويقال: هما واحد، وذكر أن سعد بن عبادة أعطى للنبي ﷺ حماراً فركبه.

وكان له ﷺ من اللقاح: القصواء وهي التي هاجر عليها، والعضباء والجدعاء ولم يكن بهما عضب ولا جدع، وإنما سميتا بذلك، وقيل كان بأذنها عضب، وقيل: العضباء والجدعا ـ واحدة، والعضباء هي التي كانت لا تسبق فجاء أعرابي على قعود له فسبقها فشق ذلك على المسلمين فقال ﷺ: «**إن حقاً على الله أن لا يرفع من الدنيا شيئاً إلا وضعه**»(١).

وغنم ﷺ يوم بدر جملاً لأبي جهل في أنفه برة من فضة، فأهداه يوم الحديبية ليغيظ بذلك المشركين. وكانت له خمسة وأربعون لقحة أرسل بها إليه سعد بن عبادة: منها: أطلال، وأطراف، وبردة، وبركة، والبغوم، والحناء، ورمزه، والرياء، والسعدية، وسقيا، والسمراء، والشقراء، وعجرة، والعريس، وغوثة، وقيل: غيثة، وقمر، ومروة، ومهرة، وورشة، والعسيرة. وكانت له مائة شاة، وكانت له ستة أعنز منائح ترعاهن أم أيمن.

---

(١) أخرجه البخاري. كتاب الرقاق باب (٣٨) رقم الحديث (٦٥٠١). وأبو داود. كتاب الأدب باب (٨) رقم الحديث (٤٨٠٢ ـ ٤٨٠٣). وفي سنن النسائي كتاب الخيل ٦/ ٢٢٧. وفي مسند الإمام أحمد ابن حنبل ٣/ ١٠٣ ـ ٢٥٣. وفي السنن الكبرى للبيهقي ١٠/ ٣٩٣. وفي مشكاة المصابيح للتبريزي (٣٨٧١). وفي إتحاف السادة المتقين ٨/ ٨٨. وفي كنز العمال (٤٤٠٩٧).

في ذكر من وفد عليه ﷺ وزاده فضلاً وشرفاً لديه[1]

قال النووي: الوفد: الجماعة المختارة للتقدم في لقاء العظماء، واحدهم: وافد، انتهى.

وقد كان ابتداء الوفود عليه بعد رجوعه ﷺ من الجعرانة في آخر سنة ثمان وما بعدها، وقال ابن إسحاق: بعد غزوة تبوك، وقال ابن هشام: كانت سنة تسع تسمى سنة الوفود[2].

وقد سرد محمد بن سعد في الطبقات الوفود، وتبعه الدمياطي في السيرة له، وابن سيد الناس، ومغلطاي، والحافظ زين الدين العراقي. ومجموع ما ذكروه يزيد على الستين.

فقدم عليه ﷺ وفد هوازن[3]، كما ذكره البخاري وغيره، وذكر موسى بن عقبة في المغازي: أن رسول الله لما انصرف من الطائف في شوال إلى الجعرانة وفيها السبي - يعني سبي هوازن - قدمت عليه وفود هوازن مسلمين، فيهم تسعة نفر من أشرافهم فأسلموا وبايعوا، ثم كلموه فقالوا: يا رسول الله، إن فيمن أصبتم الأمهات والأخوات والعمات والخالات، فقال: «سأطلب لكم، وقد وقعت المقاسم، فأي الأمرين أحب إليكم، السبي أم المال» قالوا: يارسول الله، خيرتنا بين الحسب والمال، فالحسب أحب إلينا، ولا نتكلم في شاة ولا بعير، فقال: «أما الذي لبني هاشم فهو لكم، وسوف أكلم لكم المسلمين فكلموهم وأظهروا إسلامكم».

فلما صلى رسول الله ﷺ الهاجرة قاموا، فتكلم خطباؤهم فأبلغوا ورغبوا إلى

(١) انظر طبقات ابن سعد ١/ ٢٢٣ والبداية والنهاية ٥/ ٢٧ ودلائل النبوة للبيهقي ٥/ ٣٠٩ وتاريخ الطبري ٣/ ١١٥ والسيرة لابن هشام ٤/ ٢٠٥ والمنتظم ٣/ ٣٥٣.

(٢) انظر السيرة لابن هشام ٤/ ٢٠٥.

(٣) انظر دلائل النبوة للبيهقي ٥/ ١٩٢ وفي البخاري كتاب المغازي باب (٥٥) رقم الحديث (٤٣١٨ - ٤٣١٩) وفي البداية والنهاية ٢/ ٢٥٨ وفي المنتظم ٣/ ٣٣٧.

المسلمين في رد سبيهم، ثم قام رسول الله ﷺ حين فرغ، فشفع لهم وحض المسلمين عليه، وقال: «قد رددت الذي لبني هاشم عليهم»[1]، وفي رواية ابن إسحاق عن عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده: وأدركه وفد هوازن بالجعرانة، وقد أسلموا، فقالوا: يا رسول الله، إنا أهل وعشيرة، وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك. فامنن علينا منَّ الله عليك، وقام خطيبهم زهير بن صرد فقال: يا رسول الله، إن اللواتي في الحظائر من السبايا خالاتك وعماتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك، وأنت خير مكفول ثم أنشد:

امنن علينا رسول الله في كرم ... فإنك المرء نرجوه وندخر

الأبيات المشهورة الآتية إن شاء الله تعالى.

وروينا في المعجم الصغير للطبراني من ثلاثياته، عن زهير بن صرد الجشمي يقول: لما أسرنا رسول الله ﷺ يوم حنين - يوم هوازن - وذهب يفرق السبي والشاء أتيته فأنشأت أقول هذا الشعر:

امنن علينا رسول الله في كرم ... فإنك المرء نرجوه وندخر
امنن على بيضة قد عاقها قدر ... مشتت شملها في دهرها غير
أبقت لنا الدهر هتافاً على حزن ... على قلوبهم الغماء والغمر
إن لم تداركهم نعماء تنشرها ... يا أرجح الناس حلماً حين تختبر
امنن على نسوة قد كنت ترضعها ... إذ فوك تملؤه من مخضها الدرر
إذ أنت طفل صغير كنت ترضعها ... وإذ يزينك ما تأتي وما تذر
لا تجعلنا كمن شالت نعامته ... واستبق منا فإنا معشر زهر
إنا لنشكر للنعماء إذ كفرت ... وعندنا بعد هذا اليوم مدخر
فألبس العفو من قد كنت ترضعه ... من أمهاتك إن العفو مشتهر
يا خير من مرحت كمت الجياد به ... عند الهياج إذا ما استوقد الشرر
إنا نؤمل عفواً منك تلبسه ... هادي البرية إذ تعفو وتنتصر
فاعفو عفا الله عما أنت راهبه ... يوم القيامة إذ يهدى لك الظفر

قال: فلما سمع النبي ﷺ هذا الشعر قال: «ما كان لي ولعبد المطلب فهو لكم» وقالت قريش: ما كان لنا فهو لله ولرسوله، وقالت الأنصار: ما كان لنا فهو لله ولرسوله[2].

---

(١) ذكره الزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٦/ ٢٦٦ وفي فتح الباري ٨/ ٤١.
(٢) انظر دلائل النبوة للبيهقي ١/ ١٩٥ والمنتظم ٣/ ٣٣٧ والمعجم الكبير للطبراني ٥/ ٣١٢ ومجمع=

ومن بين الطبراني وزهير لا يعرف، لكن يقوى حديثه بالمتابعة المذكورة، فهو حديث حسن، وقد وهم من زعم أنه منقطع. وقد زاد الطبراني على ما أورده ابن إسحاق خمسة أبيات..

وذكر الواقدي: أن وفد هوازن كانوا أربعة وعشرين بيتاً، فيهم أبو برقان السعدي، فقال: يا رسول الله، إن هذه لأمهاتك وخالاتك وحواضنك ومرضعاتك فامنن علينا منَّ الله عليك، فقال: **«قد استأنيت بكم حتى ظننت أنكم لا تقدمون، وقد قسمت السبي»**[1].

وقدم عليه ﷺ وفد ثقيف[2]، بعد قدومه ﷺ من تبوك، وكان من أمرهم أنه ﷺ لما انصرف من الطائف قيل له: يا رسول الله ادع على ثقيف، فقال: **«اللهم اهد ثقيفاً وائت بهم»**[3].

ولما انصرف عنهم، اتبع أثره عروة بن مسعود حتى أدركه قبل أن يدخل المدينة، فأسلم وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام، فلما أشرف على علية له، وقد دعاهم إلى الإسلام وأظهر لهم دينه، رموه بالنبل من كل وجه، فأصابه سهم فقتله.

ثم أقامت ثقيف بعد قتله أشهراً، ثم ائتمروا بينهم ورأوا أنهم لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب، وقد بايعوا وأسلموا، وأجمعوا أن يرسلوا إلى رسول الله ﷺ.

فبعثوا عبد ياليل بن عمرو بن عمير، ومعه اثنان من الأحلاف: الحكم بن عمرو بن وهب بن معتب بن مالك، وشرحبيل بن غيلان، وثلاثة من بني مالك: عثمان بن أبي العاص، وأوس بن عوف، ونمير بن خرشة، فلما قدموا على رسول الله ﷺ ضرب لهم قبة في ناحية المسجد، وكان خالد بن سعيد بن العاصي هو الذي يمشي بينهم وبين رسول الله ﷺ حتى أسلموا واكتتبوا كتابهم، وكان خالد هو الذي كتبه، وكان فيما سألوا رسول الله ﷺ أن يدع لهم الطاغية ـ وهي اللات ـ لا يهدمها ثلاث سنين، فأبى عليهم ﷺ إلا أن

= الزوائد للهيثمي ١٨٦/٦ وما بعدها وفي تغليق التعليق لابن حجر ٩٨٥ والتاريخ الصغير للبخاري ٥/١ وفي إتحاف السادة المتقين ٢٦٦/٦ والأمالي الشجرية ٢٠/٢ تاريخ بغداد ١٠٦/٧ ولسان الميزان لابن حجر ١١٩/٤ (١١٩٩). وأخرجه النسائي كتاب الهبة باب (١) ٢٦٣/٦.

(١) انظر فتح الباري ٤٢/٨.

(٢) انظر طبقات ابن سعد ٢٣٧/١ والبداية والنهاية٥/٢٦ والسيرة لابن هشام ١٨٢/٤.

(٣) أخرجه الترمذي كتاب المناقب باب (٧٣) رقم الحديث (٣٩٤٢) وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل ٣٤٣/٣ وفي البداية والنهاية ٣٥٢/٤ وفي مشكاة المصابيح للتبريزي (٥٩٨٦) وفي الكامل في الضعفاء لابن عدي ٣١٢/١ ومصنف ابن أبي شيبة ٢٠١/١٢ و ٥٠٨/١٤ وكنز العمال (٣٤٠٠٧).

يبعث أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة يهدمانها.

وكانوا سألوه مع ذلك أن يعفيهم من الصلاة، وأن لا يكسروا أوثانهم إلا بأيديهم، فقال ﷺ «**كسروا أوثانكم بأيديكم وأما الصلاة فلا خير في دين لا صلاة فيه**»[1] فلما أسلموا وكتب لهم الكتاب أمّر عليهم عثمان بن أبي العاص وكان من أحدثهم سناً، لكنه كان من أحرصهم على التفقه في الإسلام وتعلم القرآن.

فرجعوا إلى بلادهم ومعهم أبو سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة لهدم الطاغية، فلما دخل المغيرة عليها علاها يضربها بالمعول، وخرج نساء ثقيف حسراً يبكين عليها، وأخذ المغيرة بعد أن كسرها مالها وحليها.

وكان كتاب رسول الله ﷺ الذي كتب لهم: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى المؤمنين: إن عضاه وج وصيده حرام لا يعضد، من وجد يفعل شيئاً من ذلك فإنه يجلد، وتنزع ثيابه، فإن تعدى ذلك فإنه يؤخذ فيبلغ النبي محمداً، وإن هذا أمر النبي محمد رسول الله، وكتب خالد بن سعيد بأمر الرسول محمد بن عبد الله، فلا يتعداه أحد فيظلم نفسه فيما أمر به محمد رسول الله.

و«وج»: واد بالطائف. واختلف فيه: هل هو حرم يحرم صيده وقطع شجره؟ فالجمهور: أنه ليس في البقاع حرم إلا حرم مكة والمدينة. وخالفهم أبو حنيفة في حرم المدينة.

وقال الشافعي ـ في أحد قوليه ـ وج حرم، يحرم صيده وشجره، واحتج لهذا القول بحديثين: أحدهما: ما تقدم، والثاني: حديث عروة بن الزبير عن أبيه أن النبي ﷺ قال: «**إن صيد وج وعضاهه حرم محرم لله**»[2] رواه الإمام أحمد وأبو داود. لكن في سماع عروة من أبيه نظر، وإن كان قد رآه.

وفي مغازي المعتمر بن سليمان التيمي عن عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي عن عمه عمرو بن أوس عن عثمان بن أبي العاص، قال: استعملني رسول الله ﷺ وأنا أصغر الستة الذين وفدوا عليه من ثقيف، وذلك أني كنت قرأت سورة البقرة، فقلت: يا رسول الله، إن القرآن يتفلت مني، فوضع يده على صدري وقال: «**يا شيطان اخرج من صدر**

---

(١) انظر البداية والنهاية ٥/ ٢٧ والسيرة لابن هشام ٤/ ١٨٥.

(٢) أخرجه أبو داوود في كتاب المناسك باب (٩٣ ـ ٩٤) رقم الحديث (٢٠٣٢). والإمام أحمد بن حنبل في المسند ١/ ١٦٥ وفي مسند الحميدي رقم الحديث (٦٣). وفي مشكاة المصابيح للتبريزي (٤٩ ٢٧) والبداية والنهاية ٥/ ٣١ وميزان الإعتدال (٤٢١٥) وفي كنز العمال (٣٤٩٩٧).

عثمان»[1]، فما نسيت شيئاً بعده أريد حفظه.

وفي صحيح مسلم، عن عثمان بن أبي العاص، قلت: يا رسول الله، إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي، فقال: **«ذلك شيطان يقال له خنزب، فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتفل على يسارك ثلاثاً»** قال: ففعلت فأذهبه الله عني[2].

وقدم وفد بني عامر[3] عليه ﷺ، قال ابن إسحاق: لما فرغ ﷺ من تبوك، وأسلمت ثقيف وبايعت، ضربت إليه وفود العرب من كل وجه، فدخلوا في دين الله أفواجاً يضربون إليه من كل وجه.

فوفد إليه ﷺ بنو عامر، فيهم عامر بن الطفيل، وأربد بن قيس وخالد بن جعفر، وحيان بن أسلم بن مالك، وكان هذا النفر رؤساء القوم وشياطينهم، فقدم ـ عدو الله ـ عامر بن الطفيل على رسول الله ﷺ وهو يريد أن يغدر به، فقال لأربد إذا قدمنا على الرجل فإني شاغل عنك وجهه، فإذا فعلت ذلك فاعله بالسيف فكلم عامر رسول الله ﷺ وقال: والله لأملأنها عليك خيلاً ورجلاً، فلما ولى قال ﷺ: **«اللهم اكفني عامر بن الطفيل»**[4].

فلما خرجوا، قال عامر لأربد: ويحك، أينما كنت أمرتك به؟ فقال: والله ما هممت بالذي أمرتني به إلا دخلت بيني وبينه، أفأضربك بالسيف؟

ولما كانوا ببعض الطريق بعث الله تعالى على عامر بن الطفيل الطاعون في عنقه فقتله الله.

وفي صحيح البخاري: أن عامراً أتى النبي ﷺ فقال: أخيرك بين ثلاث خصال، يكون لك أهل السهل، ولي أهل المدر، أو أكون خليفتك من بعدك، أو أغزوك بغطفان بألف أشقر وألف شقراء. فطعن في بيت امرأة فقال: أغدة كغدة البكر في بيت امرأة من بني فلان. ائتوني بفرسي فركب فمات على ظهر فرسه[5].

---

(١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/٣ والطبراني في المعجم الكبير ٩/ ٣٧ والبيهقي في دلائل النبوة ٥/ ٣٠٨.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب السلام رقم الحديث (٦٨) وفي مصنف ابن أبي شيبة ٧/ ٤١٩ وفي إتحاف السادة المتقين ٧/ ٢٦٨ وفي عمل اليوم والليلة لابن سني ٥٧٠ وفي الأذكار للنووي ١١٨.

(٣) انظر البداية والنهاية ٥/ ٥١ والسيرة لابن هشام ٤/ ٢١٣ وطبقات ابن سعد ١/ ٢٣٥ والمنتظم ٤/ ٣ ودلائل النبوة للبيهقي ٥/ ٣١٨.

(٤) ذكره البيهقي في دلائل النبوة ٥/ ٣١٩ وما بعدها وابن كثير في البداية ٥/ ٥٢.

(٥) أخرجه البخاري كتاب المغازي باب (٢٩) رقم الحديث (٤٠٩١).

وقدم وفد عبد القيس[1] عليه، زاده الله فضلاً وشرفاً لديه وهي قبيلة كبيرة يسكنون البحرين ينسبون إلى عبد القيس بن أفصى ـ بسكون الفاء بعدها مهملة بوزن أعمى ـ ابن دُعْمي ـ بضم الدال وسكون العين المهملتين وكسر الميم بعدها تحتانية ـ.

وفي الصحيحين من حديث ابن عباس: (قدم وفد عبد القيس على رسول الله ﷺ فقال: «**ممن القوم**» قالوا: من ربيعة، قال: «**مرحبا بالوفد غير خزايا ولا ندامى**» فقالوا: يا رسول الله، إن بيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر، وإنا لا نصل إليك إلا في شهر حرام، فمرنا بأمر فصل، نأخذ به ونأمر به من ورائنا، وندخل به الجنة. قال: «**آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع، آمركم بالإيمان بالله وحده، أتدرون ما الإيمان بالله؟ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس، وأنهاكم عن أربع: عن الدباء والحنتم والنقير والمزفت، فاحفظوهن وادعوا إليهن من وراءكم**)[2].

قال ابن القيم: ففي هذه القصة أن الإيمان بالله مجموع هذه الخصال من القول والعمل، كما على ذلك أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون وتابعوهم كلهم، ذكر ذلك الشافعي في المبسوط، وعلى ذلك ما يقارب مائة دليل من الكتاب والسنة، ولم يعد الحج من هذه الخصال، وكان قدومهم في سنة تسع، وهذا أحد ما يحتج به على أن الحج لم يكن فرض بعد، وأنه إنما فرض في العاشرة، ولو كان فرض لعده من الإيمان كما عد الصوم والزكاة. انتهى.

وقد كان لعبد القيس وفدتان:

إحداهما: قبل الفتح، ولهذا قالوا له ﷺ: حال بيننا وبينك كفار مضر، وكان ذلك قديماً، إما سنة خمس أو قبلها، وكانت قريتهم بالبحرين، وكان عدد الوفد الأول ثلاثة عشر رجلاً، وقيل كانوا أربعة عشر راكباً، وفيها سألوه عن الإيمان، وعن الأشربة، وكان فيهم الأشج، وكان كبيرهم، وقال له ﷺ: «**إن فيك خصلتين يحبهما الله، الحلم والأناة**»[3] رواه مسلم من حديث أبي سعيد.

---

(١) انظر المنتظم ٣/ ٣٨٢ ودلائل النبوة للبيهقي ٥/ ٣٢٠ وطبقات ابن سعد ١/ ٢٣٨ والبداية والنهاية ٥/ ٤٣ وتاريخ الطبري ٣/ ١٣٦.

(٢) أخرجه البخاري كتاب الإيمان باب (٤٠) رقم الحديث (٥٣) وفي السنن الكبرى للبيهقي ٦/ ٢٩٤ ومجمع الزوائد للهيثمي ٨/ ٢٢٩ ودلائل النبوة لأبي نعيم ١٠٠ ودلائل النبوة للبيهقي ٢/ ٤٣٥ والبداية والنهاية ٥/ ٤٣ وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل ١/ ٢٢٨ وفي فتح الباري ٦/ ٦٧٢ راجع أيضاً البخاري (٤٣٦٩ ـ ٣٥١٠).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان رقم الحديث (٢٥ ـ ٢٦) والترمذي كتاب البر والصلة باب (٦٦) رقم=

وأخرج البيهقي: بينما النبي ﷺ يحدث أصحابه قال: «**سيطلع عليكم من هاهنا ركب هم خير أهل المشرق**» فقام عمر نحوهم، فلقي ثلاثة عشر راكباً، فبشرهم بقوله ﷺ ثم مشى معهم حتى أتى النبي ﷺ، فرموا بأنفسهم عن ركائبهم، فأخذوا يده فقبلوها[1] الحديث وأخرجه البخاري في الأدب المفرد. فيمكن أن يكون أحد المذكورين غير راكب أو مرتدفاً.

وثانيتهما: كانت في سنة الوفود وكان عددهم حينئذ أربعين رجلاً، كما في حديث أبي خيرة الصباحي عند ابن منده.

ويؤيد التعدد: ما أخرجه من وجه آخر أنه ﷺ قال لهم: «**مالي أرى ألوانكم تغيرت**»[2] ففيه إشعار بأنه كان رآهم قبل التغير، وفي قولهم: يا رسول الله، دليل على أنهم كانوا حين المقالة مسلمين، وكذا في قولهم كفار مضر، وقولهم: الله ورسوله أعلم.

ويدل على سبقهم إلى الإسلام أيضاً، ما في البخاري: إن أول جمعة جمعت بعد جمعة في مسجد رسول الله ﷺ في مسجد عبد القيس بجواثي من البحرين وهي قرية لهم،[3] وإنما جمَّعوا بعد رجوع وفدهم إليهم، وقال في فتح الباري: فدل على أنهم سبقوا جميع القرى إلى الإسلام.

وما جزم به ابن القيم من أن السبب في كونه لم يذكر الحج في الحديث، لأنه لم يكن فرض، هو المعتمد. وقدمت الدليل على قدم إسلامهم، لكن جزمه تبعا للواقدي بأن قدومهم كان في سنة تسع قبل فتح مكة ليس بجيد، لأن فرض الحج كان سنة ست على الأصح، لكنه اختار ـ كغيره ـ أن فرض الحج في السنة العاشرة، حتى لا يرد على مذهبه أنه على الفور شيء.

وقد احتج الشافعي لكونه على التراخي بأن فرض الحج كان بعد الهجرة، وأنه ﷺ

= الحديث (٢٠١١) وأبو داوود كتاب الأدب باب (١٤٩) رقم الحديث (٥٢٢٥) وابن ماجه في كتاب الزهد باب (١٨) رقم الحديث (٤١٨٧ ـ ٤١٨٨) وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل ٣/ ٢٣ و٥٠ و٤/ ٢٠٦ وفي السنن الكبرى للبيهقي ٧/ ١٠٢ وفي موارد الظمآن للهيثمي (١٣٩٣) ومجمع الزوائد للهيثمي ٩/ ٣٨٨ وفي تاريخ بغداد ٣/ ١٩٦ و٥/ ٢٧٩ وفي المعجم الكبير للطبراني ١٢/ ٢٣٠ والأسماء والصفات للبيهقي ٤٩٩ وفي الأدب المفرد للبخاري (٥٨٥ ـ ٥٨٦) وفي شرح السنة للبغوي ١٣/ ٢٧٦ وفي إتحاف السادة المتقين ٨/ ٣١ وفي كنز العمال (٥٨١١ ـ ٥٨٣٦ ـ ٥٨٣٧ ـ ٣٦٧٢٤).

(١) ذكره البيهقي في دلائل النبوة ٥/ ٣٢٧ والبداية والنهاية ٥/ ٤٤.

(٢) انظر فتح الباري ٨/ ١٠٧.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب المغازي باب(٧٠) رقم الحديث (٤٣٧١) وفي البداية والنهاية ٥/ ٤٤.

كان قادرا على الحج في سنة ثمان، وفي سنة تسع، ولم يحج إلا في سنة عشر، وسيأتي في حجه ﷺ من مقصد عباداته مزيد لذلك إن شاء الله تعالى[1].

فإن قلت كيف قال ﷺ آمركم بأربع، والمذكورات خمس؟ قلت أجاب القاضي [عياض][2] تبعاً لابن بطال: بأن الأربع، ما عدا أداء الخمس، قال: وكأنه أراد إعلامهم بقواعد الإيمان وفروض الأعيان، ثم أعلمهم بما يلزمهم إخراجه إذا وقع لهم جهاد، لأنهم كانوا بصدد محاربة كفار مضر، ولم يقصد إلى ذكرها بعينها لأنها مسببة عن الجهاد، ولم يكن الجهاد إذ ذاك فرض عين. قال: ولذلك لم يذكر الحج لأنه لم يكن فرض.

وقال غيره: وقوله «وأن تعطوا» معطوف على قوله «بأربع» أي: آمركم بأربع وبأن تعطوا، ويدل عليه العدول عن سياق الأربع والإتيان: بأن والفعل، مع توجيه الخطاب إليهم[3].

وقال القاضي أبو بكر بن العربي: يحتمل أن يقال: إنه ﷺ عد الصلاة والزكاة واحدة لأنها قرينتها في كتاب الله، وتكون الرابعة أداء الخمس، أو أنه لم يعد الخمس لأنه داخل في عموم إيتاء الزكاة والجامع بينهما: أنه إخراج مال معين.

وقال البيضاوي: الظاهر أن الأمور الخمسة هنا تفسير للإيمان، وهو أحد الأربعة الموعود بذكرها، والثلاثة الأخرى حذفها الراوي اختصاراً أو نسياناً.

وتعقب بأنه وقع في صحيح البخاري أيضاً في رواية: «آمركم بأربع: **شهادة أن لا إله إلا الله، وعقد واحدة**» فدل على أن الشهادة إحدى الأربع.

وقال القرطبي: قيل إن أول الأربع المأمور بها: إقام الصلاة، وإنما ذكر الشهادتين تبركاً، وإلى هذا نحا الطيبي، فقال عادة البلغاء أن الكلام إذا كان منصوباً لغرض جعلوا سياقه له، وطرحوا ما عداه، وهنا لم يكن الغرض في الإيراد ذكر الشهادتين لأن القوم كانوا مؤمنين مقرين بكلمتي الشهادة، ولكن ربما كانوا يظنون الإيمان مقصور عليهما كما كان الأمر في صدر الإسلام. قال: ولهذا لم يعد الشهادتين في الأوامر[4]، انتهى ملخصاً من فتح الباري.

---

(١) وفي الفتح ١/١٧٨ قوله: وأما قول من قال إنه ترك الحج لكونه على التراخي فليس بجيد. لأن كونه على التراخي لا يمنع من الأمر به.

(٢) في الأصل عبد الوهاب والمذكور في الفتح عياضي. وهو الصواب انظر فتح الباري ١/ ١٧٧ (٥٣).

(٣) المصدر السابق ١/ ١٧٧.

(٤) المصدر السابق ١/ ١٧٦.

وقدم عليه ﷺ وفد بني حنيفة[1]، فيهم مسيلمة الكذاب، فكان منزلهم في دار امرأة من الأنصار، من بني النجار، فأتوا بمسيلمة إلى رسول الله ﷺ وهم يسترونه بالثياب، ورسول الله ﷺ جالس مع أصحابه، في يده عسيب من سعف النخل، فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ ـ وهم يسترونه بالثياب ـ كلمه وسأله، فقال له رسول الله ﷺ: «**لو سألتني هذا العسيب الذي في يدي ما أعطيتك**»[2].

وذكر حديثه ابن إسحاق على غير ذلك فقال: حدثني شيخ من أهل اليمامة من بني حنيفة: أن وفد بني حنيفة أتوا رسول الله ﷺ وخلفوا مسيلمة في رحالهم، فلما أسلموا ذكروا له مكانه، فقالوا: يا رسول الله، إنا قد خلفنا صاحباً لنا في رحالنا وركابنا يحفظها لنا، فأمر له رسول الله ﷺ بما أمر به للقوم، وقال لهم «**إنه ليس بشركم مكانا**» يعني لحفظه صنيعة أصحابه، ثم انصرفوا، فلما قدموا اليمامة ارتد ـ عدو الله ـ وتنبأ وقال: إني أشركت في الأمر معه، ثم جعل يسجع السجعات، فيقول لهم فيما يقول مضاهاة للقرآن:

لقد أنعم الله على الحبلى، أخرج منها نسمة تسعى من بين صفاق وحشى.

وسجع اللعين على سورة ﴿**إنا أعطيناك الكوثر**﴾ [الكوثر: ١] فقال: إنا أعطيناك الجواهر، فصل لربك وهاجر، إن مبغضك رجل فاجر. وفي رواية: إنا أعطيناك الجماهر فخذ لنفسك وبادر، واحذر أن تحرص أو تكاثر، وفي رواية: إنا أعطيناك الكواثر فصل لربك وبادر في الليالي الغوادر.

ولم يعرف المخذول أنه محروم عن المطلوب، وسيأتي في أوائل مقصد معجزاته ﷺ من تسجيع مسيلمة الركيك مزيد لذلك على ما ذكرته هنا إن شاء الله تعالى.

وقيل: إنه أدخل البيضة في القارورة وادعى أنها معجزة له، فافتضح بنحو ما ذكر: أن النوشادر إذا ضرب في خل الخمر ضرباً جيداً، وجعلت في بيضة بنت يومها يوماً وليلة فإنها تمتد كالخيط، فتجعل في القارورة ويصب عليها الماء البارد فإنها تجمد.

ولما سمع اللعين أن النبي ﷺ مسح رأس صبي كان ألمَّ به داء فشفي ومج في بئر فكثر ماؤها، وتفل في عين علي ـ وكان أرمد ـ فبرىء. فتفل اللعين في بئر فغار ماؤها، وفي عين بصير فعمي، ومسح بيده ضرع شاة حلوب فارتفع درها. ويبس ضرعها، ولله در الشقراطيسي حيث يقول يخاطب النبي ﷺ:

---

(١) انظر السيرة لابن هشام ٤/ ٢٢٢. والمنتظم ٣/ ٣٨٢ والبداية والنهاية ٥/ ٤٥. ودلائل النبوة للبيهقي ٥/ ٣٣٠ وطبقات ابن سعد ١/ ٢٤٠ وتاريخ الطبري ٣/ ١٣٧.

(٢) أخرجه البخاري. كتاب المناقب باب (٢٥) رقم الحديث (٣٦٢٠ ـ ٤٣٧٣ ـ ٤٣٧٨ ـ ٧٠٣٣ ـ ٧٤٦١). وفي دلائل النبوة للبيهقي ٥/ ٣٣٠ و٦/ ٣٥٨. وفي البداية والنهاية ٥/ ٤٥.

أعجزت بالوحي أرباب البلاغة في	عصر البيان فضلّت أوجه الحيل
سألتهم سورة في مثل حكمته	فتلّهم عنه حين العجز حين تلي
فرام رجس كذوب أن يعارضه	بعي غي فلم يحسن ولم يطل
مثبج بركيك الإفك ملتبس	ملجلج بزري الزور والخطل
يمج أول حرف سمع سامعه	ويعتريه كلال العجز والملل
كأنه منطق الورهاء شذّ به	لبس من الخبل أو مس من الخبل
أمرت البئر واغورت لمجته	فيها وأعمى بصير العين بالتفل
وأيبس الضرع منه شؤم راحته	من بعد إرسال رسل منه منهمل

فشبه هذا الكلام الذي عارض به مسيلمة، بكلام امرأة ورهاء، وهي الحمقاء الّتي تتكلم لحمقها بما لا يفهم، فهي تهذي بكلام مشذب ـ أي مختلط ـ لا يقترن بعضه ببعض، ولا يشبه بعضه بعضاً ككلام من به خبل ـ بسكون الموحدة ـ أي فساد، أو مس من الخَبل ـ بفتحها ـ أي جنون.

ثم إن اللعين وضع عن قومه الصلاة، وأحل لهم الخمر والزنا، وهو مع ذلك يشهد لرسول الله ﷺ أنه نبي.

وقد كان كتب لرسول الله ﷺ: من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله، أما بعد: فإني قد أشركت معك في الأمر، وإن لنا نصف الأمر، ولقريش نصف الأمر.

فقدم على رسول الله ﷺ رسوله بهذا الكتاب، فكتب إليه رسول الله ﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين(١).

وفي الصحيحين من حديث نافع بن جبير عن ابن عباس قال: قدم مسيلمة الكذاب على رسول الله ﷺ فجعل يقول: إن جعل لي محمد الأمر من بعده اتبعته، وقدمها في بشر كثير من قومه، فأقبل النبي ﷺ ومعه ثابت بن قيس بن شماس، وفي يد النبي ﷺ قطعة جريد، حتى وقف على مسيلمة في أصحابه، فقال: **«لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتكها، ولن تعدو أمر الله فيك، ولئن أدبرت ليعقرنك الله، وإني لأراك الذي أريت فيه ما رأيت، وهذا ثابت بن قيس يجيبك عني»** ثم انصرف(٢).

---

(١) انظر طبقات ابن سعد ١/ ٢٠٩. ودلائل النبوة للبيهقي ٥/ ٣٣١. والبداية والنهاية ٥/ ٤٧. والسيرة النبوية لابن هشام ٤/ ٢٤٧.

(٢) أخرجه البخاري. كتاب المغازي باب (٧١) رقم الحديث (٤٣٧٣) وفي صحيح مسلم كتاب الرؤيا. باب (٤) رقم الحديث (٢١). وفي المعجم الكبير للطبراني ١٠/ ٣٧٦. وكنز العمال (٣٨٣٨٧).

قال ابن عباس: فسألت عن قول النبي ﷺ: «**إنك الذي أريت فيه ما رأيت**» فأخبرني أبو هريرة أن النبي ﷺ قال: «**بينا أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب فأهمني شأنهما فأوحى الله إلي في المنام أن أنفخهما، فنفختهما فطارا، فأولتهما: كذابين يخرجان من بعدي، فهذان هما: أحدهما العنسي صاحب صنعاء والآخر مسيلمة**»[1].

فإن قلت: كيف يلتئم خبر ابن إسحاق مع الحديث الصحيح أن النبي ﷺ اجتمع به وخاطبه، وصرح بحضرة قومه أنه لو سأله القطعة من الجريدة ما أعطاه.

فالجواب: إن المصير إلى ما في الصحيح أولى.

ويحتمل أن يكون مسيلمة قدم مرتين، الأولى كان تابعاً وكان رئيس بني حنيفة غيره، ولهذا أقام في حفظ رحالهم، ومرة متبوعاً، وفيها خاطبه النبي ﷺ.

أو القصة واحدة، وكانت إقامته في رحالهم باختياره أنفة منه واستكباراً أن يحضر مجلس النبي ﷺ، وعامله ﷺ معاملة الكرم على عادته في الاستئلاف فقال لقومه: «**إنه ليس بشركم**» أي مكاناً، لكونه كان يحفظ رحالهم، وأراد استئلافه بالإحسان بالقول والفعل، فلما لم يفد في مسيلمة توجه بنفسه إليه ليقيم عليه الحجة ويعذر إليه بالإنذار. والعلم عند الله تعالى.

وقدم عليه ﷺ وفد طيء[2] وفيهم زيد الخيل وهو سيدهم، فعرض عليهم الإسلام فأسلموا وحسن إسلامهم. وقال ﷺ: «**ما ذكر لي رجل من العرب بفضل ثم جاءني إلا رأيته دون ما يقال فيه إلا زيد الخيل، فإنه لم يبلغ كل ما فيه**» ثم سماه زيد الخير. فخرج راجعاً إلى قومه، فلما انتهى إلى ماء من مياه نجد أصابته الحمى بها فمات[3].

قال ابن عبد البر: وقيل مات في آخر خلافة عمر. وله ابنان: مكنف وحريث، أسلما وصحبا رسول الله ﷺ، وشهدا قتال أهل الردة مع خالد.

وقدم عليه ﷺ وفد كنده[4] في ثمانين أو ستين راكباً من كنده، فدخلوا عليه

---

(١) أخرجه البخاري. كتاب المغازي باب (٧١) رقم الحديث (٤٣٧٤ ـ ٤٣٧٥). وفي دلائل النبوة للبيهقي ٦/ ٣٥٨. وصحيح مسلم كتاب الرؤيا. باب (٤) رقم الحديث (٢١) وفي مسند الإمام أحمد ابن حنبل ١/ ٢٦٣ وفي الترمذي كتاب الرؤيا باب (١٠) رقم الحديث (٢٢٩٢) وفي ابن ماجه كتاب التعبير باب (١٠) رقم الحديث (٣٩٢٢).

(٢) انظر طبقات ابن سعد ١/ ٢٤٣ والبداية والنهاية ٥/ ٥٧ ودلائل النبوة للبيهقي ٥/ ٣٣٧ والسيرة لابن هشام ٤/ ٢٢٤ والمنتظم ٣/ ٣٥٦ وتاريخ الطبري ٣/ ١١١ وعيون الأثر ٢/ ٣٠١.

(٣) ذكره البيهقي في دلائل النبوة ٥/ ٣٣٧.

(٤) انظر المنتظم ٣/ ٣٨٢ وطبقات ابن سعد ١/ ٢٤٨ والبداية والنهاية ٥/ ٦٥ ودلائل النبوة للبيهقي =

مسجده، قد رجَّلوا جممهم وتسلحوا، ولبسوا جباب الحبرات مكففة بالحرير، فلما دخلوا قال ﷺ: «**أو لم تسلموا**» قالوا: بلى، قال: «**فما هذا الحرير في أعناقكم فشقوه فنزعوه وألقوه**»[1].

وقدم عليه ـ زاده الله شرفاً لديه ـ الأشعريون وأهل اليمن[2].

قيل هو من عطف الخاص على العام، وقال الحافظ أبو الفضل شيخ الإسلام ابن حجر: المراد بهم بعض أهل اليمن، وهم وفد حمير. قال: ووجدت في كتاب الصحابة لابن شاهين من طريق إياس بن عمرو الحميري: أنه قدم وافداً على رسول الله ﷺ في نفر من حمير فقالوا: أتيناك لنتفقه في الدين الحديث.

والحاصل: أن الترجمة تشتمل على طائفتين، وليس المراد اجتماعهما في الوفادة، فإن قدوم الأشعريين كان مع أبي موسى في سنة سبع عند فتح خيبر، وقدوم حمير كان في سنة تسع، وهي سنة الوفود، ولهذا اجتمعوا مع بني تميم.

وروى يزيد بن هارون عن حميد عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «**يقدم عليكم قوم هم أرق منكم قلوباً**»[3] فقدم الأشعريون فجعلوا يرتجزون:

غـــــــداً نلقـــــــى الأحبـــــــه محمـــــــداً وحـــــــزبـــــــه

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**جاء أهل اليمن، هم أرق أفئدة وأضعف قلوباً، الإيمان يمان، والحكمة يمانية والسكينة في أهل الغنم، والفخر والخيلاء في الفدادين أهل الوبر قبل مطلع الشمس**»[4] رواه مسلم.

وفي البخاري: إن نفراً من بني تميم جاؤوا إلى رسول الله ﷺ فقال: «**أبشروا يا بني تميم**» فقالوا: بشرتنا فأعطنا، فتغير وجه رسول الله ﷺ وجاء نفر من أهل اليمن، فقال: «**اقبلوا البشرى إذ لم يقبلها بنو تميم**» قالوا: قد قبلنا، ثم قالوا: يا رسول الله جئنا لنتفقه في الدين ونسألك عن هذا الأمر، فقال: «**كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء. وكتب في الذكر كل شيء**»[5].

= ٥/ ٣٦٨ والسيرة لابن هشام ٤/ ٢٣٢.

(١) الحديث في البداية والنهاية ٥/ ٦٥ وطبقات ابن سعد ١/ ٢٤٨.

(٢) انظر طبقات ابن سعد ١/ ٢٦٢ والمنتظم ٣/ ٣٠٤ والبداية والنهاية ٥/ ٦٢.

(٣) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ٣/ ١٠٥ و١٥٥ و١٨٢ وفي مصنف ابن أبي شيبة ١٢/ ٢٢ وفي موارد الظمآن للهيثمي (٢٢٦٥) وفي طبقات ابن سعد ٤/ ٧٩.

(٤) أخرجه مسلم رقم الحديث (٥٢) وفي البخاري كتاب المغازي باب (٧٥) رقم الحديث (٤٣٨٨) وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل ٣/ ١٠٥ وفي كنز العمال (٣٨٠٠٩).

(٥) أخرجه البخاري كتاب بدء الخلق باب (١) (٣١٩٠ ـ ٣١٩١ ـ ٤٣٦٥ ـ ٤٣٨٦ ـ ٧٤١٨) وفي =

وقوله: وجاء نفر من أهل اليمن، هم الأشعريون قوم أبي موسى.

وقدم عليه ﷺ صرد بن عبد الله الأزدي[1]، فأسلم وحسن إسلامه، في وفد من الأزد فأمَّره ﷺ على من أسلم من قومه، وأمره أن يجاهد بمن أسلم أهل الشرك من قبائل اليمن.

فخرج صرد يسير بأمر رسول الله ﷺ حتى نزل بجرش، وبها قبائل من قبائل العرب، فحاصروهم فيها قريباً من شهر، وامتنعوا فيها، فرجع عنهم قافلاً، حتى إذا كان في جبل لهم وظنوا أنه إنما ولى عنهم منهزماً خرجوا في طلبه، حتى أدركوه عطف عليهم فقتله قتلاً شديداً.

وكان أهل جرش بعثوا إلى رسول الله ﷺ رجلين منهم، فبينما هما عنده ﷺ عشية فقال لهما عليه السلام: «**إن بدن الله لتنحر عند شكر**» أي المكان الذي وقع به قتل قومهم، قال: فجلس الرجلان إلى أبي بكر وعثمان فقالا لهما إن رسول الله ﷺ ينعي لكما قومكما. فخرجا إلى قومهما فوجداهم قد أصيبوا في اليوم الذي قال فيه رسول الله ﷺ ما قال، وفي الساعة التي ذكر فيها ما ذكر.

فخرج وفد جرش حتى قدموا عليه ﷺ فأسلموا وحمى لهم حمى حول قريتهم.

وفد بني الحارث بن كعب[2]. قال ابن إسحاق: بعث ﷺ خالد بـن الوليد في شهر ربيع الآخر، أو جمادى الأولى سنة عشر إلى بني الحارث بن كعب بنجران، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثاً، فإن استجابوا فاقبل منهم، وإن لم يفعلوا فقاتلهم.

فخرج خالد حتى قدم عليهم، فبعث الركبان يضربون في كل وجه، ويدعون إلى الإسلام، ويقولون: أيها الناس أسلموا تسلموا، فأسلم الناس ودخلوا فيما دعوا إليه.

فأقام خالد يعلمهم الإسلام وكتب إلى رسول ﷺ بذلك. ثم أقبل على رسول الله ﷺ ومعه وفدهم، منهم: قيس بن الحصين، ويزيد بن المحجل، وشداد بن عبد الله. وقال لهم ﷺ: «**بم كنتم تغلبون من قاتلكم**» قالوا: كنا نجتمع ولا نتفرق، ولا نبدأ أحداً بظلم، قال: «**صدقتم**»[3].

= الترمذي كتاب المناقب باب (٧٣) رقم الحديث (٣٩٥١) وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل ٤/ ٤٢٦ و٤٣٣ وفي مصنف ابن أبي شيبة ١٢/ ٢٠٣ ودلائل النبوة للبيهقي ٥/ ٣٥٣.

(١) انظر طبقات ابن سعد ١/ ٢٥٤ والمنتظم ٣/ ٣٨١ وتاريخ الطبري ٣/ ١٣٠ والبداية والنهاية ٥/ ٨٤ والسيرة لابن هشام ٤/ ٢٣٣.

(٢) انظر السيرة لابن هشام ٤/ ٢٤٠ وطبقات ابن سعد ١/ ٢٥٧ والمنتظم ٣/ ٣٧٩ والبداية ٥/ ٨٩.

(٣) ذكره ابن كثير في تاريخه ٥/ ٨٩.

وأمر عليهم قيس بن الحصين، فرجعوا إلى قومهم في بقية من شوال أو من ذي القعدة، فلم يمكثوا إلا أربعة أشهر حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقدم عليه ﷺ وفد همدان[1] فيهم: مالك بن النمط، وضمام بن مالك، وعمرو بن مالك، فلقوا رسول الله ﷺ مرجعه من تبوك، وعليهم مقطعات الحبرات والعمائم العدنية، على الرواحل المهرية والأرحبية، ومالك بن النمط يرتجز بين يديه ﷺ. وذكروا له كلاماً كثيراً حسناً فصيحاً.

فكتب لهم ﷺ كتاباً أقطعهم فيه ما سألوه، وأمر عليهم مالك بن النمط، واستعمله على من أسلم من قومه، وأمره بقتال ثقيف. وكان لا يخرج لهم سرح إلا أغار عليه.

وروى البيهقي بإسناد صحيح عن البراء أن النبي ﷺ بعث خالد بن الوليد إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام. قال البراء: فكنت فيمن خرج مع خالد بن الوليد، فأقمنا ستة أشهر ندعوهم إلى الإسلام فلم يجيبوا، ثم إن النبي ﷺ بعث علي بن أبي طالب فأمره أن يقفل خالداً إلا رجلاً ممن كان مع خالد أن يعقب مع علي.

فلما دنونا من القوم خرجوا إلينا، فصلى بنا علي، ثم صفنا صفاً واحداً، ثم تقدم بين أيدينا، فقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ، فأسلمت همدان جميعاً، فكتب علي إلى رسول الله ﷺبإسلامهم. فلما قرأ رسول الله ﷺ الكتاب خر ساجداً ثم رفع رأسه فقال: «**السلام على همدان، السلام على همدان**»[2] وأصل الحديث في صحيح البخاري.

وهذا أصح مما تقدم، ولم تكن همدان تقاتل ثقيفاً ولا تغير على سرحهم، فإن همدان باليمن وثقيف بالطائف. قاله ابن القيم في الهدي النبوي.

روى البيهقي عن النعمان بن مقرن قال: قدمنا على رسول الله ﷺ أربعمائة رجل من مزينة[3]، فلما أردنا أن ننصرف قال: «**يا عمر زود القوم**» قال: ما عندي إلا شيء من تمر ما أظنه يقع من القوم موقعاً. قال: «**انطلق فزودهم**» قال: فانطلق بهم عمر فأدخلهم منزله ثم أصعدهم إلى علية، فلما دخلنا فإذا فيها من التمر مثل الجمل الأورق، فأخذ القوم منه حاجتهم. قال النعمان: وكنت في آخر من خرج، فنظرت: وما أفقد موضع تمرة من مكانها[4].

---

(١) انظر السيرة لابن هشام ٤/ ٢٤٣ وطبقات ابن سعد ١/ ٢٥٦.

(٢) ذكره البيهقي في السنن الكبرى ٢/ ٣٦٦ وفي دلائل النبوة للبيهقي ٥/ ٣٦٩.

(٣) انظر طبقات ابن سعد ١/ ٢٢٢ والمنتظم ٣/ ٢١٧. ودلائل النبوة للبيهقي ٥/ ٣٦٥.

(٤) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ٥/ ٤٤٥. وفي دلائل النبوة للبيهقي ٥/ ٣٦٦.

وفد دوس[1]: وكان قدومهم عليه ﷺ بخيبر. قال ابن إسحاق: كان الطفيل بن عمرو الدوسي يحدث أنه قدم مكة ورسول الله ﷺ بها، فمشى إليه رجال من قريش، وكان الطفيل رجلاً شريفاً شاعراً لبيباً، فقالوا له: إنك قدمت بلادنا، وهذا الرجل الذي بين أظهرنا فرق جماعتنا، وشتت أمرنا، وإنما قوله كالسحر، يفرق بين المرء وابنه وبين المرء وأخيه، وبين الرجل وزوجه، وإنا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا، فلا تكلمه ولا تسمع منه.

قال: فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئاً، ولا أكلمه، حتى حشوت في أذني حين غدوت إلى المسجد كرسفاً، فرقاً من أن يبلغني شيء من قوله.

قال: فغدوت إلى المسجد فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي عند الكعبة، فقمت قريباً منه، فأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله: فسمعت كلاماً حسناً، فقلت: واثكل أماه. والله إني لرجل لبيب شاعر، ما يخفى علي الحسن من القبيح، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول، فإن كان ما يقول حسناً قبلت، وإن كان قبيحاً تركت.

قال: فمكثت حتى أتى ﷺ إلى بيته، فتبعته حتى إذا دخل بيته فقلت: يا محمد إن قومك قد قالوا لي كذا وكذا، فوالله ما برحوا يخوفوني أمرك حتى سددت أذني بكرسف أن لا أسمع قولك، ثم أبى الله إلا أن يسمعنيه، فسمعت قولاً حسناً، فاعرض علي أمرك.

فعرض علي رسول الله ﷺ الإسلام، وتلا علي القرآن، فلا والله ما سمعت قولاً قط أحسن منه، ولا أمراً أعدل منه، فأسلمت وشهدت شهادة الحق، وقلت: يا رسول الله، إني امرؤ مطاع في قومي وإني راجع إليهم فداعيهم إلى الإسلام، فادع الله أن يجعل لي آية.

قال: فخرجت إلى قومي حتى إذا كنت بثنية تطلعني على الحاضر، وقع نور بين عيني مثل المصباح، قال قلت: اللهم في غير وجهي، إني أخشى أن يقولوا إنها مثلة وقعت في وجهي لفراق دينهم، قال: فتحول فوقع في رأس سوطي كالقنديل المعلق، وأنا أهبط إليهم من الثنية، حتى جئتهم وأصبحت فيهم، فلما نزلت أتاني أبي ـ وكان شيخاً كبيراً ـ فقلت: إليك عني يا أبت، فلست مني ولست منك، قال: ولم يا بني؟ قلت: قد أسلمت وتابعت دين محمد، قال: يا بني فديني دينك، قال فقلت: فاذهب فاغتسل وطهر ثيابك ثم تعال أعلمك ما علمت، قال فذهب فاغتسل وطهر ثيابه ثم جاء فعرضت عليه الإسلام فأسلم.

---

(١) انظر طبقات ابن سعد ١/ ٢٦٥. والمنتظم ٣/ ٣٠٤ والبداية والنهاية ٥/ ٦١.

ثم أتتني صاحبتي فقلت: إليك عني فلست منك ولست مني، قالت: لم؟ قلت: فرق الإسلام بيني وبينك، أسلمت وتابعت محمداً ﷺ، قالت: فديني دينك فأسلمت.

ثم دعوت دوساً إلى الإسلام، فأبطؤوا علي فجئت رسول الله ﷺ فقلت: يا نبي الله إنه قد غلبني على دوس الزنا، فادع الله عليهم، فقال: «**اللهم اهد دوساً**» ثم قال «**ارجع إلى قومك فادعهم إلى الله وارفق بهم**»، فرجعت إليهم فلم أزل بأرض دوس أدعوهم إلى الله، ثم قدمت على رسول الله ﷺ بخيبر، فنزلت المدينة بسبعين أو ثمانين بيتاً من دوس. ثم لحقنا برسول الله ﷺ بخيبر فأسهم لنا مع المسلمين[1].

وهذا يدل على تقدم إسلامه، وقد جزم ابن أبي حاتم بأنه قدم مع أبي هريرة بخيبر، وكأنها قدمته الثانية.

وقدم عليه ﷺ وفد نصارى نجران[2]، فلما دخلوا المسجد النبوي بعد العصر حانت صلاتهم، فقاموا يصلون فيه، فأراد الناس منعهم فقال ﷺ دعوهم، فاستقبلوا المشرق فصلوا صلاتهم.

وكانوا ستين راكباً، منهم أربعة وعشرون رجلاً من أشرافهم، والأربعة والعشرون منهم ثلاثة نفر إليهم يؤول أمرهم؛ العاقب، أمير القوم، وذو رأيهم وصاحب مشورتهم واسمه عبد المسيح. والسيد: صاحب رحلهم وسجتمعهم، واسمه الأيهم ـ بتحتانية ساكنة ـ ويقال شرحبيل. وأبو حارثة بن علقمة أخو بكر بن وائل، قد شرف فيهم ودرس كتبهم، وكانت ملوك الروم من أهل النصرانية قد شرفوه ومولوه، وكان يعرف أمر النبي ﷺ وشأنه ر..فته مما علمه من الكتب المتقدمة. ولكن حمله جهله على الاستمرار في النصرانية، لما يرى من تعظيمه ووجاهته عند أهلها.

فدعاهم النبي ﷺ إلى الإسلام، وتلا عليهم القرآن فامتنعوا، فقال: «**إن أنكرتم ما أقول فهلم أباهلكم**»[3].

---

(١) أخرجه البخاري. كتاب الجهاد والسير باب (١٠٠) رقم الحديث (٢٩٣٧ ـ ٤٣٩٢ ـ ٦٣٩٧). وفي صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة رقم الحديث (١٩٨) وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل ٢/ ٢٤٣، ٤٤٨، ٥٠٢. وفي مشكاة المصابيح للتبريزي (٥٩٩٦). وفي مسند الحميدي رقم الحديث (١٠٥٠). وفي تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٧/ ٦٥. وفي دلائل النبوة للبيهقي ٥/ ٣٥٩. وفي دلائل النبوة لأبي نعيم ١/ ٧٩. وفي طبقات ابن سعد ٤/ ١٨١. وفي مسند الشافعي (٢٨٠). وفي كنز العمال (٣٤٠١٠).

(٢) انظر طبقات ابن سعد ١/ ٢٦٧. والبداية والنهاية ٥/ ٤٩. ودلائل النبوة للبيهقي ٥/ ٣٨٢ والسيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٢٢٢. نهاية الأرب ١٨/ ١٢١. وفتوح البلدان للبلاذري (٧٠).

(٣) ذكره ابن سعد في طبقاته ١/ ٢٦٨ وفي فتح الباري ٨/ ١١٨.

وفي البخاري من حديث حذيفة؛ (جاء السيد والعاقب صاحبا نجران إلى رسول الله ﷺ يريدان أن يلاعناه ـ يعني يباهلاه ـ فقال أحدهما لا تفعل)[1].

وعند أبي نعيم: أن القائل ذلك هو السيد، وعند غيره: بل الذي قال ذلك هو العاقب، لأنه صاحب رأيهم، وفي زيادات يونس بن بكير في المغازي أن الذي قال ذلك هو شرحبيل.

(فوالله لئن كان نبياً فلاعناه ـ يعني: باهلناه ـ لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا ـ زاد في رواية ابن مسعود: أبداً ـ ثم قالا: إنا نعطيك ما سألتنا، وابعث معنا رجلاً أميناً، ولا تبعث معنا إلا أميناً، فقال: «**لأبعثن معكم رجلاً أميناً حق أمين**» فاستشرف لها أصحاب رسول الله ﷺ فقال: «**قم يا أبا عبيدة بن الجراح**»فلما قام قال رسول الله ﷺ: «**هذا أمين هذه الأمة**» [2].

وفي رواية يونس بن بكير أنه صالحهم على ألفي حلة، ألف في رجب وألف في صفر، ومع كل حلة أوقية، وساق الكتاب الذي بينهم مطولاً. وذكر ابن سعد: أن السيد والعاقب رجعا بعد ذلك وأسلما. وفي ذلك مشروعية مباهلة المخالف إذا أصر بعد ظهور الحجة. ووقع ذلك لجماعة من العلماء سلفاً وخلفاً، ومما عرف بالتجربة أن من باهل وكان مبطلاً لا تمضي عليه سنة من يوم المباهلة.

وقدم عليه ﷺ رسول فروة بن عمرو الجذامي ملك الروم[3] وكان منزله معان ـ بإسلامه، وأهدى له بغلة بيضاء، ولما بلغ الروم ذلك من إسلامه طلبوه حتى أخذوه، فحسبوه ثم صلبوه على ماء بفلسطين، وضربوا عنقه على ذلك الماء[4].

وقدم عليه ﷺ ضمام بن ثعلبة، بعثه بنو سعد بن بكر[5].

---

(١) أخرجه البخاري كتاب المغازي باب (٧٣) رقم الحديث (٤٣٨٠).

(٢) أخرجه البخاري كتاب المغازي باب (٧٣) رقم الحديث (٤٣٨٠ ـ ٤٣٨١). وفي صحيح مسلم. كتاب فضائل الصحابة رقم الحديث (٥٤) وفي سنن ابن ماجه في المقدمة رقم الحديث (١٣٦). والإمام أحمد بن حنبل في مسنده ١/ ٤١٤ و٣/١٤٦، ٢٨٦. وفي السنن الكبرى للبيهقي ٢/ ١٧ وفي المستدرك للحاكم ٣/ ٢٦٧. وفي دلائل النبوة للبيهقي ٥/ ٣٩٢. وفي الدر المنثور ٢/ ٣٨. وفي مشكل الآثار للطحاوي ٣/ ٢٠١ وفي كنز العمال (٤٦٦٥٩).

(٣) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٤/ ٢٣٧. وطبقات ابن سعد ١/ ٢٦٦ والبداية والنهاية ٥/ ٧٧. وعيون الأثر ٢/ ٣١١، ونهاية الأرب ١٨/ ٢٨.

(٤) ذكره ابن هشام في السيرة النبوية ٤/ ٢٣٨.

(٥) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٤/ ٢١٩. والبداية والنهاية ٥/ ٥٥ وطبقات ابن سعد ١/ ٢٢٨. ودلائل النبوة للبيهقي ٥/ ٣٧٤ وعيون الأثر ٢/ ٢٩٧.

روى البخاري من حديث أنس بن مالك قال؛ (بينما نحن جلوس مع النبي ﷺ في المسجد دخل رجل على جمل فأناخه في المسجد ثم عقله، ثم قال: أيكم محمد؟ والنبي ﷺ متكىء بين ظهرانيهم، فقلنا: هذا الرجل الأبيض المتكىء، فقال له الرجل: أبن عبد المطلب، فقال النبي ﷺ: «**قد أجبتك**». فقال: إني سائلك فمشدد عليك في المسألة فلا تجد علي في نفسك. فقال: «**سل عما بدا لك**». فقال: أسألك بربك ورب من قبلك، آلله أرسلك إلى الناس كلهم؟ فقال: «**اللهم نعم**». فقال: أنشدك بالله، آلله أمرك أن نصلي الصلوات الخمس في اليوم والليلة؟ قال: «**اللهم نعم**». فقال: أنشدك بالله، آلله أمرك أن نصوم هذا الشهر من السنة؟ قال: «**اللهم نعم**». قال: أنشدك بالله، الله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فتقسمها على فقرائنا. فقال النبي ﷺ: «**اللهم نعم**».

فقال الرجل: آمنت بما جئت به وأنا رسول من ورائي من قومي وأنا ضمام بن ثعلبة، أخو بني سعد بن بكر)[1].

وزاد ابن إسحاق في مغازيه: فقال: آلله أمرك أن نعبده ولا نشرك به شيئاً وأن نخلع هذه الأنداد التي كان آباؤنا يعبدون؟

فقال ﷺ: «**اللهم نعم**».

قال: وكان ضمام رجلاً جلداً أشقر ذا غديرتين، ثم أتى بعيره وأطلق عقاله ثم خرج حتى أتى قومه فاجتمعوا إليه، وكان أول ما تكلم به أن قال: بئست اللات والعزى فقالوا: مه يا ضمام اتق البرص والجنون والجذام، قال: ويلكم، إنهما لا يضران ولا ينفعان. إن الله قد بعث رسولاً وأنزل عليه كتاباً استنقذكم به، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإني قد جئتكم من عنده بما أمركم به ونهاكم عنه، فوالله ما أمسى في ذلك اليوم في حاضره رجل ولا امرأة إلا مسلماً.

قال ابن عباس: فما سمعنا بوافد قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة[2].

وفد طارق بن عبد الله وقومه[3]. روى البيهقي عن جامع بن شداد قال: حدثني

(١) أخرجه البخاري كتاب العلم باب (٦) رقم الحديث (٦٣) وأبو داود كتاب الصلاة باب (٢٣) رقم الحديث (٤٨٦) وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل ٣/ ١٦٨. وابن ماجه كتاب إقامة الصلاة باب (١٩٤) رقم الحديث (١٤٠٢). والنسائي كتاب الصيام ٤/ ١٢٣. وفي مجمع الزوائد للهيثمي ٣/ ٢٠٤. وفي شرح السنة للبغوي ١٣/ ١٢٨. وفي السنن الكبرى للبيهقي ٢/ ٤٤٤ و٧/ ٩.

(٢) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٤/ ٢٢١. ودلائل النبوة للبيهقي ٥/ ٣٧٧.

(٣) انظر دلائل النبوة للبيهقي ٥/ ٣٨٠. والبداية والنهاية ٥/ ٧٧.

رجل يقال له طارق بن عبد لله قال: إني لقائم بسوق ذي المجاز إذ أقبل رجل وهو يقول: يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، ورجل يتبعه يرميه بالحجارة يقول: يا أيها الناس إنه كذاب فلا تصدقوه، فقلت من هذا؟ فقالوا: هذا غلام من بني هاشم يزعم أنه رسول الله. قال قلت: من هذا الذي يفعل به هذا؟ قالوا: هذا عمه عبد العزى.

قال: فلما أسلم الناس وهاجروا، خرجنا من الربذة نريد المدينة نمتار من تمرها، فلما دنونا من حيطانها قلنا: لو نزلنا فلبسنا ثياباً غير هذه، فإذا رجل في طمرين له فسلم وقال: من أين أقبل القوم؟ قلنا: من الربذة، قال: وأين تريدون؟ قلنا: نريد المدينة، قال: ما حاجتكم فيها؟ قلنا: نمتار من تمرها، قال: ومعنا ظعينة لنا، ومعنا جمل أحمر مخطوم، فقال: أتبيعون جملكم هذا؟ قالوا: نعم بكذا وكذا صاعاً من تمر، فأخذ بخطام الجمل فانطلق، فلما توارى عنا بحيطان المدينة ونخلها قلنا: ما صنعنا، والله ما بعنا جملنا ممن نعرف ولا أخذنا له ثمناً. قال: تقول المرأة التي معنا: والله لقد رأيت رجلاً كأن وجهه قطعة القمر ليلة البدر، أنا ضامنة لثمن جملكم. وفي رواية ابن إسحاق قالت الظعينة: فلا تلاوموا، لقد رأيت وجه رجل لا يغدر بكم، ما رأيت شيئاً أشبه بالقمر ليلة البدر من وجهه، إذ أقبل رجل فقال: أنا رسول رسول الله إليكم، هذا تمركم فكلوا واشبعوا واكتالوا واستوفوا، فأكلنا حتى شبعنا، واكتلنا واستوفينا، ثم دخلنا المدينة، فلما دخلنا المسجد إذا هو قائم على المنبر يخطب الناس فأدركنا من خطبته وهو يقول: «**تصدقوا فإن الصدقة خير لكم، اليد العليا خير من اليد السفلى**»[1].

وقدم عليه ﷺ وفد تجيب[2]، وهم من السكون، ثلاثة عشر رجلاً، قد ساقوا معهم صدقات أموالهم التي فرض الله عليهم، فسر عليه السلام بهم وأكرم منزلهم، وأمر بلالاً أن يحسن ضيافتهم، ثم جاؤوا رسول الله ﷺ يودعونه فأمر بلالاً فأجازهم بأرفع مما كان يجيز به الوفود. قال: «**هل بقي منكم أحد؟**» قالوا: غلام خلفناه على رحالنا وهو أحدثنا سناً، قال: **أرسلوه إلينا**» فلما أقبل الغلام على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن حاجتي ليست كحاجة أصحابي، وإن كانوا راغبين في الإسلام، والله ما أخرجني من بلادي إلا أن تسأل الله أن يغفر لي ويرحمني وأن يجعل غناي في قلبي، فقال ﷺ: «**اللهم اغفر له وارحمه واجعل غناه في قلبه**» ثم أمر له بما أمر به لرجل من أصحابه. ثم انطلقوا راجعين إلى أهليهم.

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٨/ ٣٧٧. وفي مجمع الزوائد للهيثمي ٦/ ٢٣. وفي الدر المنثور ١/ ٢٥٥. وفي كنز العمال (١٦١٦١).

(٢) انظر طبقات ابن سعد ١/ ٢٤٤. والمنتظم ٣/ ٣٥٤ والبداية والنهاية ٥/ ٨٤.

ثم وافوا رسول الله ﷺ بمنى سنة عشر، فقال: «**ما فعل الغلام؟**» قالوا: يا رسول الله ما رأينا مثله قط، ولا حدثنا بأقنع منه بما رزقه الله، لو أن الناس اقتسموا الدنيا ما نظر نحوها ولا التفت إليها[1].

قدوم وفد بني سعد هذيم من قضاعة[2]:

روى الواقدي عن ابن النعمان عن أبيه من سعد هذيم قال: قدمت على رسول الله ﷺ وافداً في نفر من قومي، فنزلنا ناحية من المدينة ثم خرجنا نؤم المسجد الحرام، فقمنا ناحية ولم ندخل مع الناس في صلاتهم حتى نلقى رسول الله ﷺ ونبايعه، ثم بايعناه ﷺ على الإسلام ثم انصرفنا إلى رحالنا.

وقد كنا خلفنا أصغرنا، فبعث ﷺ في طلبنا فأتي بنا إليه، فتقدم صاحبنا إليه فبايعه على الإسلام، فقلنا يا رسول الله، إنه أصغرنا وخادمنا، فقال: «**أصغر القوم خادمهم، بارك الله عليك**» قال: فكان والله خيرنا وأقرأنا بدعاء رسول الله ﷺ، ثم أمَّره علينا، فكان يؤمنا مرجعنا إلى قومنا، فرزقهم الله الإسلام.

وفد بني فزارة[3]: قال أبو الربيع بن سالم[4] في كتاب الاكتفاء: ولما رجع رسول الله ﷺ من تبوك، قدم عليه وفد بني فزارة، بضعة عشر رجلاً فيهم خارجة بن حصن، والحر بن قيس، ابن أخي عيينة بن حصن، وهو أصغرهم، مقرين بالإسلام، وهم مسنتون، على ركاب عجاف، فسألهم ﷺ عن بلادهم فقال أحدهم؛ يا رسول الله، أسنتت بلادنا وهلكت مواشينا، وأجدب جنابنا، وغرث عيالنا، فادع لنا ربك يغيثنا، واشفع لنا إلى ربك، وليشفع لنا ربك إليك.

فقال ﷺ: «**سبحان الله!! ويلك، هذا إنما شفعت إلى ربي عز وجل: فمن ذا الذي يشفع ربنا إليه؟ لا إله إلا هو العلي العظيم، وسع كرسيه السماوات والأرض، فهي تئط من عظمته وجلاله، كما يئط الرحل الجديد**»[5].

---

(١) ذكره ابن سعد في طبقاته ١/ ٢٤٥ وفي البداية والنهاية ٥/ ٨٤ وفي مصنف ابن أبي شيبة ٣/ ٢٩١ و١٠/ ٤٠٩.

(٢) انظر طبقات ابن سعد ١/ ٢٤٩ والمنتظم ٣/ ٣٤٩ والبداية والنهاية ٥/ ٨٥.

(٣) انظر طبقات ابن سعد ١/ ٢٢٦. والبداية والنهاية ٥/ ٧٩ والمنتظم ٣/ ٣٥٣.

(٤) هو سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الكلاعي الحميري أبو الربيع (٥٦٥ ـ ٦٣٤ هـ). محدث حافظ. بليغ. الأعلام ٣/ ١٣٦. تذكرة الحفاظ ٤/ ١٤١٧ رقم الترجمة (١١٣٥) الديباج المذهب (١٢٢). كشف الظنون (١٤١).

(٥) ذكره البيهقي في دلائل النبوة ٦/ ١٤٣ وابن كثير في البداية والنهاية ٦/ ٩٤.

وقال ﷺ: «**إن الله عز وجل ليضحك من شفقكم وقرب غياثكم**».

فقال الأعرابي: يا رسول الله، ويضحك ربنا عز وجل؟ قال: «نعم».

فقال الأعرابي: لن نعدمك من رب يضحك خيراً.

فضحك ﷺ من قوله وصعد المنبر فرفع يديه حتى رؤي بياض ابطيه، وكان مما حفظ من دعائه: «**اللهم اسق بلدك الميت، اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً مربعاً طبقاً واسعاً عاجلاً غير آجل، نافعاً غير ضار، اللهم سقيا رحمة لا سقيا عذاب ولا هدم ولا غرق ولا محق. اللهم اسقنا الغيث وانصرنا على الأعداء**»[1]، الحديث رواه ابن سعد والبيهقي، ويأتي تمامه إن شاء الله تعالى في الاستسقاء في مقصد عباداته ﷺ.

وقدم عليه ﷺ وفد بني أسد[2]، عشرة رهط فيهم وابصة بن معبد، وطلحة بن خويلد، ورسول الله ﷺ جالس مع أصحابه، فقال متكلمهم: يا رسول الله إنا شهدنا أن الله وحده لا شريك له، وأنك عبده ورسوله، وجئناك ولم تبعث إلينا بعثاً.

فأنزل الله تعالى[3]: ﴿**يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين**﴾ [الحجرات: ١٧].

وقدم عليه ﷺ وفد بهراء من اليمن[4]، وكانوا ثلاثة عشر رجلاً، فلما انتهوا إلى باب المقداد رحب بهم، وقدم لهم جفنة من حيس، فأكلوا منها حتى نهلوا. وردت القصعة وفيها شيء، فجمع في قصعة صغيرة وأرسل بها إلى رسول الله ﷺ في بيت أم سلمة، فأصاب منها هو ومن معه في البيت حتى نهلوا، ثم أكل منها الضيف ما أقاموا، يرددون ذلك عليهم وما تغيض، حتى جعلوا يقولون: يا أبا معبد، إنك لتنهلنا من أحب الطعام إلينا، وما كنا نقدر على مثل هذا إلا في الحين، فأخبرهم أبو معبد بخبر رسول الله ﷺ أنه أكل منها وردها، وأن هذه بركة أصابعه ﷺ، فجعل القوم يقولون: نشهد أنه رسول الله، وازدادوا يقيناً، وتعلموا الفرائض، وأقاموا أياماً، ثم ودعوا رسول الله ﷺ فأمر لهم بجوائز وانصرفوا إلى أهليهم.

وقدم عليه ﷺ وفد عذرة[5]، في صفر سنة تسع، وكانوا اثني عشر رجلاً، منهم

---

(١) ذكره البيهقي وفي دلائل النبوة ٦/ ١٤٤. في طبقات ابن سعد ١/ ٢٢٦. ومصنف ابن أبي شيبة ١١/ ٥٠٠. وفي جمع الجوامع للسيوطي (٩٩١٦). وفي البداية والنهاية ٥/ ٧٩.

(٢) انظر طبقات ابن سعد ١/ ٢٢٣. والمنتظم ٣/ ٣٥٥. والبداية والنهاية ٥/ ٧٩.

(٣) انظر تفسير البغوي ٤/ ١٩٧ وتفسير الطبري ٢٦/ ٩٢.

(٤) انظر طبقات ابن سعد ١/ ٢٥٠. والمنتظم ٣/ ٣٥٦.

(٥) انظر طبقات ابن سعد ١/ ٢٥٠.

جمرة بن النعمان، فرحب بهم ﷺ، فأسلموا وبشرهم بفتح الشام وهرب هرقل إلى ممتنع من بلاده، ثم انصرفوا وقد أجيزوا.

وقدم عليه ﷺ وفد بلي[1]، فأسلموا، فقال ﷺ: «**الحمد لله الذي هداكم للإسلام، فكل من مات على غير الإسلام فهو في النار**». ثم ودعوا رسول الله ﷺ بعد أن أجازهم.

وقدم عليه ﷺ وفد بني مرة[2] وكانوا ثلاثة عشر رجلاً، ورئيسهم الحارث بن عوف، فقال لهم ﷺ: «**كيف البلاد؟**» فقالوا: والله إنا لمسنتون، فادع الله لنا، فقال عليه السلام: «**اللهم اسقهم الغيث**»[3]. ثم أقاموا أياماً ورجعوا بالجائزة فوجدوا بلادهم قد أمطرت في ذلك اليوم الذي دعا لهم فيه رسول الله ﷺ.

وقدم عليه ـ زاده الله شرفاً لديه ـ وفد خولان[4]، في شعبان سنة عشر، وكانوا عشرة، فقالوا: يا رسول الله، نحن مؤمنون بالله مصدقون برسوله، وقد ضربنا إليك آباط الإبل، وركبنا حزون الأرض وسهولها، والمنة لله ولرسوله علينا، وقدمنا زائرين لك. فقال ﷺ: «**أما ما ذكرتم من مسيركم إلي فإن لكم بكل خطوة خطاها بعير أحدكم حسنة، وأما قولكم زائرين لك، فإنه من زارني بالمدينة كان في جواري يوم القيامة**».

ثم قال ﷺ: «**ما فعل صنم خولان الذي كانوا يعبدونه؟**» قالوا: بدلنا الله به ما جئت به، إلا أن عجوزاً وشيخاً كبيرين يتمسكان به، وإن قدمنا عليه هدمناه إن شاء الله تعالى.

ثم علمهم ﷺ فرائض الدين، وأمرهم بالوفاء بالعهد، وأداء الأمانة، وحسن الجوار، وأن لا يظلموا أحداً، ثم أجازهم ورجعوا إلى قومهم، وهدموا الصنم.

وقدم عليه ﷺ وفد محارب[5] عام حجة الوداع، وكانوا أغلظ العرب وأفظهم عليه أيام عرضه على القبائل يدعوهم إلى الله، فجاءه ﷺ منهم عشرة فأسلموا، ثم انصرفوا إلى أهليهم.

وقدم عليه ﷺ وفد صداء[6] في سنة ثمان، وذلك أنه لما انصرف من الجعرانة بعث

---

(١) انظر طبقات ابن سعد ١/ ٢٤٩ والمنتظم ٣/ ٣٥٥.

(٢) انظر طبقات ابن سعد ١/ ٢٢٧ والبداية والنهاية ٥/ ٨٠.

(٣) ذكره أبو نعيم في دلائل النبوة (١٦٠) وابن سعد في طبقاته ١/ ٢٢٧. وابن كثير في البداية والنهاية ٥/ ٨٠.

(٤) انظر طبقات ابن سعد ١/ ٢٤٥. وفي البداية والنهاية ٥/ ٨٤. والمنتظم ٤/ ٣. وتاريخ الطبري ٣/ ١٤٠.

(٥) انظر المنتظم ٣/ ٣٨١ والبداية والنهاية ٥/ ٨٠ وطبقات ابن سعد ١/ ٢٢٧ والكامل لابن الأثير ٢/ ١٦٦.

(٦) انظر طبقات ابن سعد ١/ ٢٤٧.

قيس بن سعد بن عبادة في أربعمائة، وأمره أن يطأ ناحية من اليمن فيها صداء، فقدم رجل منهم علم بالبعث على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله اردد الجيش، وأنا لك بقومي، فرد قيساً.

ورجع الصدائي إلى قومه فقدم على رسول الله ﷺ خمسة عشر رجلاً منهم، فبايعوه على الإسلام ورجعوا إلى قومهم ففشا فيهم الإسلام، فوافى رسول الله ﷺ منهم مائة رجل في حجة الوداع. ذكره الواقدي.

وذكر من حديث زياد بن الحارث الصدائي أنه الذي قدم على رسول الله ﷺ فقال له: اردد الجيش، وقال: كان زياد هذا معه ﷺ في بعض أسفاره وأنه ﷺ قال له: «**يا أخا صداء هل معك ماء؟**» قلت: معي شيء في إداوتي، فقال: «**صبه**»، فصببته في قعب ثم وضع عليه الصلاة والسلام كفه فيه فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه عيناً تفور.

وقدم عليه ﷺ وفد غسان[1]، في شهر رمضان سنة عشر، وكانوا ثلاثة نفر، فأسلموا وأجازهم ﷺ بجوائز، وانصرفوا راجعين.

وقدم عليه ﷺ وفد سلامان[2] في شوال سنة عشر، كما قال الواقدي، وكانوا سبعة نفر، فيهم حبيب بن عمرو، فأسلموا وشكوا إليه جدب بلادهم فدعا لهم ثم ودعوه وأمر لهم بالجوائز، ورجعوا إلى بلادهم فوجدوها قد أمطرت في اليوم الذي دعا لهم فيه رسول الله ﷺ تلك الساعة.

وقدم عليه ﷺ وفد بني عبس[3]، فقالوا: يا رسول الله، قدم علينا قراؤنا فأخبرونا أنه لا إسلام لمن لا هجرة له، ولنا أموال ومواش، فإن كان لا إسلام لمن لا هجرة له بعناها وهاجرنا، فقال ﷺ: «**اتقوا الله حيث كنتم فلن يلتكم من أعمالكم شيئاً**»[4].

وقدم عليه وفد غامد[5] سنة عشر، وكانوا عشرة، فأقروا بالإسلام وكتب لهم كتاباً فيه شرائع الإسلام، وأمر أبي بن كعب فعلمهم قرآناً، وأجازهم ﷺ وانصرفوا.

وقدم عليه وفد الأزد[6]، ذكر أبو نعيم في كتاب معرفة الصحابة، وأبو موسى

---

(١) انظر المنتظم ٣/ ٣٨٢ وتاريخ الطبري ٣/ ١٣٠ وطبقات ابن سعد ١/ ٢٥٥ والكامل لابن الأثير ٢/ ١٦٣.

(٢) انظر طبقات ابن سعد ١/ ٢٥١ والمنتظم ٣/ ٣٨٠ والكامل لابن الأثير ٢/ ١٦٣.

(٣) انظر الطبقات لابن سعد ١/ ٢٢٥ والبداية والنهاية ٥/ ٧٩ والكامل لابن الأثير ٢/ ١٦٦.

(٤) ذكره ابن سعد في طبقاته عن أبي هريرة ١/ ٢٢٦.

(٥) انظر طبقات ابن سعد ١/ ٢٦٠.

(٦) انظر طبقات ابن سعد ١/ ٢٥٤ والكامل لابن الأثير ٢/ ١٦٣ والمنتظم ٣/ ٣٨١ وتاريخ الطبري=

المديني[1]، من حديث أحمد بن أبي الحواري[2]، قال: سمعت أبا سليمان الداراني[3] قال: حدثني علقمة بن يزيد بن سويد الأزدي قال: حدثني أبي عن جدي قال:

وفدت سابع سبعة من قومي على رسول الله ﷺ فلما دخلنا عليه وكلمناه أعجبه ما رأى من سمتنا فقال: «**ما أنتم**» قلنا مؤمنون فتبسم ﷺ وقال: «**إن لكل قول حقيقة فما حقيقة قولكم وإيمانكم**»؟ قلنا: خمس عشرة خصلة، خمس منها أمرتنا رسلك أن نؤمن بها، وخمس أمرتنا أن نعمل بها، وخمس تخلقنا بها في الجاهلية فنحن عليها إلا أن تكره منها شيئاً، فقال ﷺ: «**ما الخمس التي أمرتكم بها رسلي؟**».

قلنا: أمرتنا أن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت. قال: «**وما الخمس التي أمرتكم أن تعملوا بها؟**».

قلنا: أمرتنا أن نقول لا إله إلا الله ونقيم الصلاة ونؤتي الزكاة ونصوم رمضان ونحج البيت إن استطعنا إليه سبيلاً. قال: «**وما الخمس التي تخلقتم بها في الجاهلية؟**».

قلنا: الشكر عند الرخاء، والصبر عند البلاء، والرضا بمر القضاء، والصدق في مواطن اللقاء، وترك الشماتة بالأعداء.

فقال ﷺ: «**حكماء علماء، كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء**»، ثم قال: «**وأنا أزيدكم خمساً فتتم لكم عشرون خصلة، إن كنتم كما تقولون، فلا تجمعوا ما لا تأكلون، ولا تبنوا ما لا تسكنون، ولا تنافسوا في شيء أنتم عنه غداً زائلون، واتقوا الله الذي إليه ترجعون وعليه تعرضون، وارغبوا فيما عليه تقدمون، وفيه تخلدون**»[1]. **فانصرفوا وقد حفظوا وصيته ﷺ وعملوا بها.**

= ٣/ ١٣٠ والبداية والنهاية ٥/ ٨٤.

(١) هو محمد بن عمر بن أحمد بن عمر بن محمد الأصبهاني المديني أبو موسى (٥٠١ ـ ٥٨١ هـ). حافظ توفي في أصبهان. الأعلام ٦/ ٣١٣ وفيات الأعيان ١/ ٤٨٦ طبقات الشافعية ٤/ ٩٠ تذكرة الحفاظ ٤/ ١٣٣٤ رقم الترجمة (١٠٩٥) وشذرات الذهب ٤/ ٢٧٣ مرآة الجنان ٣/ ٤٢٣ والوافي بالوفيات ٤/ ٢٤٦.

(٢) هو أحمد بن عبد الله بن ميمون ويعرف بأحمد ابن أبي الحواري أبو الحسن ـ زاهد محدث صوفي ـ توفي سنة (٢٤٦ هـ). شذرات الذهب ٢/ ١١٠.

(٣) هو عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسي المذحجي أبو سليمان الداراني. زاهد. مات في داريا سنة (٢١٥ هـ). الأعلام ٣/ ٢٩٤. وفيات الأعيان ١/ ٢٨٦. حلية الأولياء ٩/ ٢٥٤ رقم الترجمة (٤٤٨). تاريخ بغداد ١٠/ ٢٤٨.

(٤) ذكره ابن كثير في البداية ٥/ ٨٤ وفي إتحاف السادة المتقين للزبيدي ٩/ ٦٤٩ وفي كنز العمال (١٣٦٣).

وقدم عليه ﷺ وفد بني المنتفق. روى عبد الله، ابن الإمام أحمد في مسند أبيه عن دلهم بن الأسود عن عاصم بن لقيط، أن لقيط بن عامر بن صبرة بن عبد الله بن المنتفق بن عامر بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، أبا رزين العقيلي، المعدود في أهل الطائف، خرج وافداً إلى رسول الله ﷺ ومعه صاحب له يقال له نهيك بن عاصم بن مالك بن المنتفق، فوافيناه ﷺ حين انصرف من صلاة الغداة، فقام في الناس خطيباً فقال: «**يا أيها الناس، ألا إني قد خبأت لكم صوتي منذ أربعة أيام لتسمعوا اليوم، ألا فهل من امرىء بعثه قومه**» فقالوا له: اعلم لنا ما يقول رسول الله ﷺ، ألا ثم لعله يلهيه حديث نفسه أو حديث صاحبه، ألا وإني مسؤول هل بلغت، ألا اسمعوا تعيشوا. . . الحديث. وفيه ذكر البعث والنشور والجنة والنار، وفيه: ثم قلت: يا رسول الله، علامَ أبايعك؟ فبسط ﷺ يده وقال: «**على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأن لا تشرك بالله شيئاً**»[1].

وقدم عليه ﷺ وفد النخع[2]، وهم آخر الوفود قدوماً عليه. وكان قدومهم في نصف المحرم سنة إحدى عشرة، في مائتي رجل، فنزلوا دار الأضياف، ثم جاؤوا إلى رسول الله ﷺ مقرين بالإسلام، وقد كانوا بايعوا معاذ بن جبل.

فقال رجل منهم، يقال له زرارة بن عمرو، يا رسول الله إني رأيت في سفري هذا عجباً، قال: «**وما رأيت؟**» قال: رأيت أتانا تركتها كأنها ولدت جدياً أسفع أحوى، فقال له رسول الله ﷺ: «**هل تركت لك مصرة على حمل؟**» قال: نعم، قال: «**فإنها قد ولدت غلاماً وهو ابنك**»، قال يا رسول الله: ما باله أسفع أحوى؟ قال: «**ادن مني**»، فدنا منه، قال: هل بك من برص تكتمه؟ قال: والذي بعثك بالحق نبياً ما علم به أحد، ولا اطلع عليه غيرك، قال: «**فهو ذلك**».

قال: يا رسول الله، ورأيت النعمان بن المنذر عليه قرطان مدلجيان ومسكتان. قال: «**ذلك مُلْك العرب رجع إلى أحسن زيه وبهجته**».

قال: يا رسول الله، ورأيت عجوزاً شمطاء، خرجت من الأرض. قال: «**تلك بقية الدنيا**».

قال: ورأيت ناراً خرجت من الأرض فحالت بيني وبين ابن لي يقال لي عمرو، قال رسول الله ﷺ: «**تلك فتنة تكون في آخر الزمان**». قال: يا رسول الله، وما الفتنة؟ قال:

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ٤/ ١٣ وفي المستدرك للحاكم ٤/ ٥٦١ و٢٨٦ وفي السنة لابن أبي عاصم ١/ ٢٨٦ وفي البداية والنهاية ٥/ ٧٢.

(٢) انظر طبقات ابن سعد ١/ ٢٦٠.

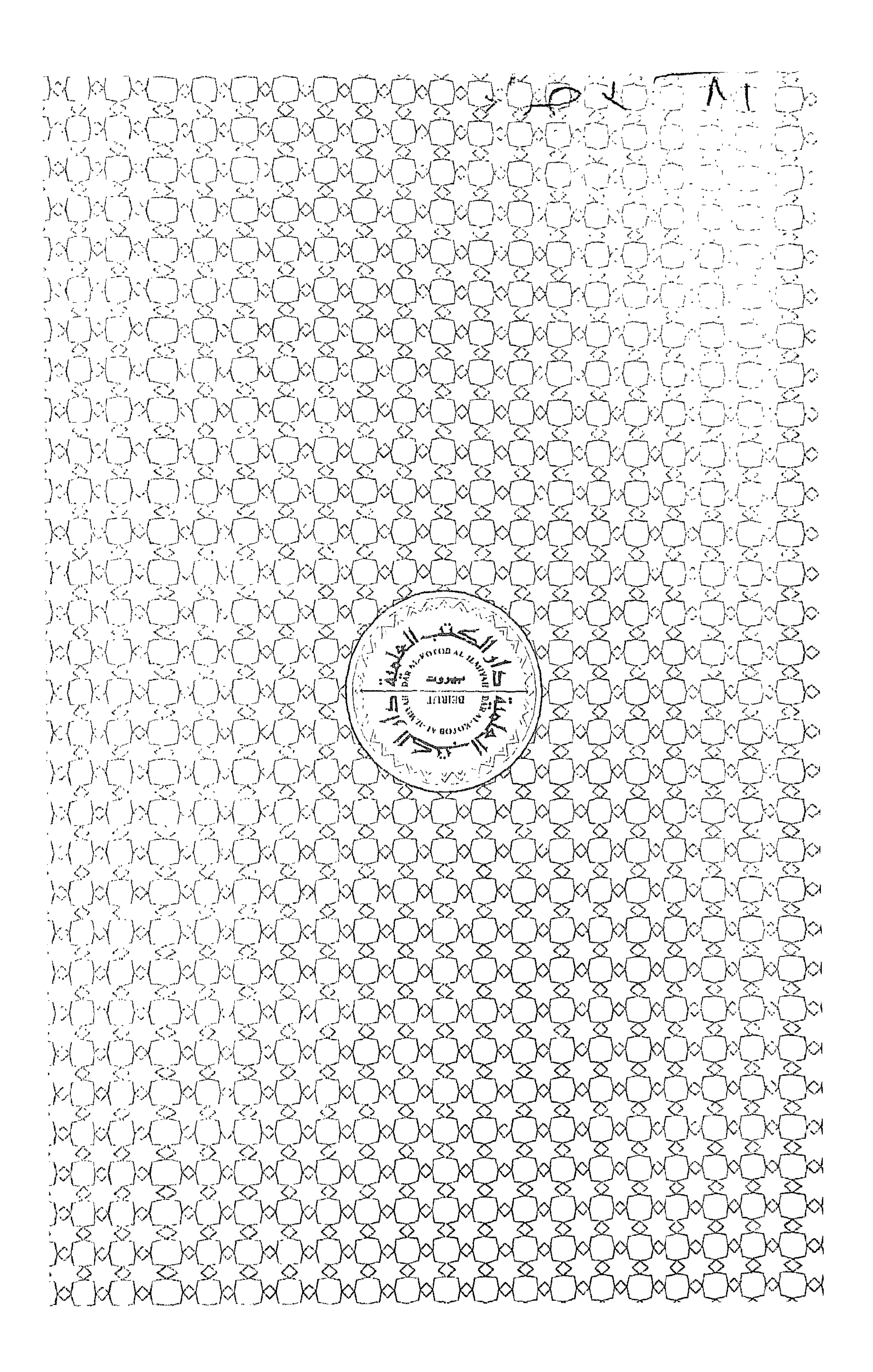
«**يقتل الناس إمامهم**» ـ وخالف رسول الله ﷺ بين أصابعه ـ «**يحسب المسيء فيها أنه محسن، ويكون دم المؤمن عند المؤمن أحلى من شرب الماء، إن مات ابنك أدركت الفتنة، وإن مت أدركها ابنك**».

قال: يا رسول الله ادع الله أن لا أدركها، فقال رسول الله ﷺ: «**اللهم لا يدركها**». فمات فبقي ابنه فكان ممن خلع عثمان بن عفان رضي الله عنه[1]. انتهى ملخصاً من الهدي النبوي، والله الموفق وسيأتي هذا إن شاء الله تعالى في تعبيره ﷺ الرؤيا من المقصد الثامن.

(١) ذكره ابن سعد في طبقاته ٥/٣٨٨.

فهرس محتويات
الجزء الأول
من المواهب اللدنية

فهرس المحتويات


دار الكتب العلمية
بيروت
DAR AL-KOTOB AL-ILMIYAH
BEIRUT

